٤ العهد القديم

www.difa3iat.com

التفسير الكامل للكتاب المقدس

الجزء الأول

متى هنري

تفسير الكتاب المقدس
متى هنري

مطبوعات إيجلز

العهد القديم

الجزء الثالث- الكتاب الأول

من سفر إشعياء إلى سفر مراثي إرميا

التفسير الكامل

للكتاب المقدس

WWW.DIFAAT.com

متى هنري

مطبوعات إيجلز

Published Originally Under the Title:
MATTHEW HENRY'S Commentary

Copyright © 1992 Marshall Pickering
Marshall Pickering is an imprint of
HarperCollins*Religious*
Part of HarperCollins*Publishers*
77- 85 Fulham Palace Road, London W6 8JB
All rights are reserved.

التفسير الكامل للكتاب المقدس
متى هنرى
العهد القديم
الجزء الثالث – الكتاب الأول

© الناشر: مطبوعات إيجلز
ص. ب ١١٠١ هليوبوليس بحري
القاهرة ١١٧٣٧ – مصر
طبعة أولى ٢٠١١
رقم الإيداع: ٥١٤٤/ ٢٠١١
الترقيم الدولي: 978-977-387-064-5
المراجعة، والإعداد الفني: إيجلز جروب
طبع في مصر: آلوكس– المنطقة الحرة

لقد اشترك في تعريب وتحرير جميع أجزاء هذا التفسير مجموعة من الخدام المسيحيين الذين لهم معرفة كتابية وافرة، وخبرة باللغتين الإنجليزية والعربية.
وقد أُنجز العمل بأكمله (خمسة أجزاء) تحت إشراف المعلم الأستاذ چوزيف صابر.

جميع حقوق الطبع في اللغة العربية محفوظة للناشر، ولا يجوز استخدام أو اقتباس أو طبع أو نسخ أو نقل أي جزء من هذا الكتاب بأي شكل من أشكال الميديا بدون إذن مسبق، وللناشر وحده حق إعادة الطبع.

www.DIFA3IAT.com

المحتويات

مقدمة ٧
إشعياء ٩
إرميا ٢٠٣
مراثي إرميا ٣٦١

WWW.DIFA3IAT.com

WWW.DIFA3IAT.com

مقدمة

قد يستطيع البعض استقراء المستقبل، وتحليل الواقع، والإتيان بتكهنات بشأن المستقبل. لكن النبوة الحقيقية هي من الله، وتعلو على قدرة البشر. وما يميز النبوة أن لها أصداء مباشرة على الواقع، وأصداء في المستقبل القريب والبعيد أيضًا. لذلك عندما سأل التلاميذ يسوع عن المجيء الثاني وانقضاء الدهر، تضمن حديثه نبوات أخرى عن خراب الهيكل وسقوط أورشليم. ومن الملاحظ أن كثيرًا من هذه النبوات قد تحقق بأشكال مختلفة لعشرات المرات على مدار التاريخ، الشيء الذي يؤكد اتساع النبوة في مفهومها وتأثيرها.

كان الأنبياء حلقة الوصل بين ناموس موسى وإنجيل العهد الجديد؛ فقد تنبأوا كثيرًا عن تفاصيل كثيرة تختص بشخص المسيّا وملكوته الروحي. ويرى العلامة "ترتليان" أن تحقيق كل هذه النبوات يُعد دليلاً على المرجعية الإلهية للكتاب المقدس.

النبي هو "الرسول" الذي ينقل رسالة الله إلى شعبه. وقد سُمي من قبل "رائي" (١صم٩: ٩)، لأن الأنبياء يرون أولاً -سواء في رؤيا أو بعيون قلوبهم، ثم ينقلون ما يرونه إلى الناس. إن التوصيف الوظيفي للنبي جاء في سفر الملوك الثاني ١٧: ١٣ "وأشهد الرب على إسرائيل وعلى يهوذا عن يد جميع الأنبياء وكل راء قائلاً: ارجعوا عن طرقكم الرديئة واحفظوا وصاياي، فرائضي، حسب كل الشريعة التي أوصيت بها آباءكم، والتي أرسلتها إليكم عن يد عبيدي الأنبياء". من هنا كان النبي هو الوسيلة التي تُنقل من خلالها رسالة الله لشعبه، كما كانوا شهودًا أيضًا؛ حتى لا يتذمر الناس على الله ويقولوا له لم تقل لنا.. لم تخبرنا.

من الملاحظ أن وجود الأنبياء كان يتكثف حول الأحداث التاريخية الخطيرة وفي أوقات الأزمات، وكانت رؤيتهم فيما يختص بالأزمة أن الحل يبدأ بالرجوع إلى الله، وأن الإصلاح يبدأ من الداخل. كما كان الأنبياء دائمًا يقفون بجانب المقهورين (مثل دفاع إيليا عن نابوت اليزرعيلي)، وأحيانًا أخرى كانوا يقفون في وجه الحكام الظالمين، وكثيرًا ما قوبلوا بالرفض من قبل النخبة الحاكمة، وفي بعض الأحيان اتهموا بالخيانة (مثل إرميا). وفي كثير من الأحيان كانوا يعانون من رفض المجتمع ككل بسبب عدم رغبة الناس في الرجوع إلى الله. بالإضافة إلى أنه كان عليهم طوال الوقت أن يُثبتوا مصداقيتهم أمام فريق آخر يُسمى بالأنبياء الكذبة.

كان على النبي أن يوصل رسالته بوضوح إلى الشعب، فأُلهموا بالروح القدس لأن يستخدموا أمثالاً وتشبيهات كوسائل إيضاح تدعم وصول رسالتهم بلا لبس أو غموض. ومن ثمَّ نرى في سفر النبي إرميا كثيرًا من وسائل الإيضاح. على سبيل المثال: قضيب شجرة اللوز (إر ١)، أو القدر التي تغلي (إر ١)،

www.DIFA3IAT.com

أو منطقة الكتان التالفة (إر ١٣) ، أو مثل الفخاري والطين (إر ١٨) . . . وهكذا . وإننا نجد شيئًا من هذا القبيل في العهد الجديد حيث جاء أغابوس النبي من اليهودية "وأخذ منطقة بولس ، وربط يدي نفسه ورجليه وقال: هذا يقوله الروح القدس: الرجل الذي له هذه المنطقة ، هكذا سيربطه اليهود في أورشليم ويسلمونه إلى أيدي الأمم." (أع ٢١: ١١)

من ناحية أخرى ، في بعض الأحيان كان النبي بشخصه هو وسيلة الإيضاح . فها هو الرب يأمر حزقيال بأن يتكئ على جنبه اليسار ٣٩٠ يومًا ليتنبأ على مملكة الشمال ، ومرة أخرى ليتكئ على جنبه اليمين ٤٠ يومًا ليتنبأ عن مملكة الجنوب (انظر حز ٤) . ومرة أخرى يأمره بحلق رأسه (حز ٥) ، ومرة أخرى أمر الرب إرميا بألا يتزوج ، وأمر هوشع بأن يتزوج من زانية . وهكذا كان النبي أداة طيعة في يدي الله ، يأخذه الروح هنا وهناك . ولا يزال روح الله يبحث عن نفوس مكرسة ، وشفاه مستعدة لتتحدث برسالة الله إلى شعبه .

اجتمع هؤلاء الأنبياء في أربعة موضوعات رئيسية: تعريف الشعب بخطيته وزيغانهم عن الرب ، دعوتهم إلى الرجوع مرة أخرى إلى الرب والعبادة الحقيقية ، إنذارهم بالدينونة الآتية ، التنبؤ بمجيء المسيح .

تحتوي أسفار الأنبياء على ١٧ سفرًا . خمسة أسفار تُسمى بأسفار الأنبياء الكبار ، واثنا عشر سفرًا تُسمى بأسفار الأنبياء الصغار– والتصنيف هنا يرجع إلى طول السفر . وهي على النحو التالي:

هذا الجزء يتناول من أسفار الأنبياء الكبار:

سفر إشعياء: الموضوع الرئيسي للسفر يأتي من معنى اسم إشعياء: "خلاص الرب"؛ وقد ذكرت فيه كلمة خلاص ٢٨ مرة . كما يُدعى سفر إشعياء بالإنجيل الخامس؛ نظرًا لاحتوائه على أكبر قدر من النبوات التي تحققت في شخص المسيا المبارك .

سفر إرميا: كان إرميا يدعو جيله بعدم الاتكال على أي قوى خارجية بخلاف الله ، وكان ينادي بأن التوبة لها زمان ، وهذا الزمان على وشك الانتهاء فلابد من الإسراع إلى التوبة . وهذا يتضح من مثل الطين والفخاري (إر ١٨) . . فالوعاء الفاسد يمكن إصلاحه طالما كان لينًا ، ولكن بمجرد أن يتقسى ، لا يمكن إصلاحه . فكان إرميا يحذر إذا مضى زمان التوبة ، فالخراب آتٍ لا محالة .

سفر مراثي إرميا: مرثاة لإرميا ، وهو شاهد عيان على خراب أورشليم على أيدي البابليين . كتب بدموعه معترفًا بخطية شعبه وصلاح الله ، وموضحًا التبعات الخطيرة عندما يرتد شخص ما أو أمة ما عن الله .

www.DIFA3IAT.com

إِشَعْيَاءَ

النبي هو إنسان له علاقة وثيقة بالله وحظوة لديه، ومن ثم له سلطة قيادية على الأرض. غالبا تأتي النبوة عن طريق الأحلام، أو سماع الأصوات، أو الرؤى، وهي تعطى للأنبياء أولا، ثم يبلغونها بدورهم للناس (عد ١٢: ٦). وقبل أن تكتب أسفار العهد القديم المقدسة، كان هناك أنبياء يقومون مقام الكتاب المقدس لأولاد الله. ويبدو أن مخلصنا كان يعتبر «هابيل» بين الأنبياء (مت ٢٣: ٣١، ٣٥). وكان «أخنوخ» نبيا، ونوح كارزا للبر، وقد قال الله عن إبراهيم «إنه نبي» (تك ٢٠: ٧). وتنبأ يعقوب عن أمور آتية (تك ٤٩: ١). وليس ثمة شك في أن موسى كان من أبرز أنبياء العهد القديم قاطبة دون منازع، لأن الله تكلم معه «وجها لوجه» (تث ٣٤: ١٠). غير أنه بعد موت موسى بعدة أجيال، ظهر روح الرب وكان عاملا في إسرائيل بروح القوة أكثر منه بروح النبوة، وألهم الكثيرين للعمل وليس للتكلم وذلك في عصر القضاة. ونجد أن روح الرب يحل على عثنيئيل، وجدعون، وشمشون وآخرين، وذلك من أجل خدمة بلدهم، بسلاحهم وليس بأقلامهم. وفي سفر القضاة كله لا نجد ذكرا لنبي سوى دبورة التي دعيت نبية.

«وكانت كلمة الرب عزيزة في تلك الأيام. لم تكن رؤيا كثيرا» (١صم ٣: ١). غير أن النبوة عادت للانتعاش في صموئيل وبدأت به فترة شهيرة في تاريخ جماعة الرب، تميزت بنور عظيم في سلسلة متعاقبة ثابتة دونما انقطاع من الأنبياء تواصلت حتى فترة ما بعد السبي، حين أكملت أسفار العهد القديم. ثم توقفت النبوة مدة أربعمائة سنة على وجه التقريب. ونقرأ عن أنبياء أقيموا من أجل خدمات عامة معينة من أشهرهم على وجه الإطلاق إيليا وأليشع، في مملكة إسرائيل. ولا نجد شيئا من كتاباتهما سوى رسالة واحدة لإيليا (٢أخ ٢١: ١٢) . غير أنه قرب النهاية الأخيرة لمملكتي يهوذا وإسرائيل رأى الله أن يوجه خدامه الأنبياء ليكتبوا بعضا من عظاتهم. وتواريخ نبواتهم ليست مؤكدة، غير أن أقدمها يرجع إلى أيام عزيا ملك يهوذا ويربعام الثاني ملك إسرائيل الذي كان معاصرا له.

وكان ذلك قبل السبي بمائتي سنة. وإذا كانوا قد شرعوا في قتل الأنبياء، إلا أنهم لن يقتلوا نبوءاتهم التي ستبقى شاهدة عليهم. كان هوشع أول الأنبياء الذين قاموا بالكتابة كما أن يوئيل وعاموس وعوبديا نشروا نبواتهم في نفس الوقت. وبدأ إشعياء يكتب نبوءته بعد ذلك، غير أنها وضعت أولا لأنها أكبرهم جميعا، وتتضمن في معظمها الحديث عن ذاك الذي شهد له جميع الأنبياء، والواقع أنه تحدث كثيرا عن المسيح حتى لقب بحق «النبي الإنجيلي»، ولقبه البعض قديما بأنه «البشير الخامس».

أولا: بالنسبة للنبي نفسه: كان من العائلة الملكية (حسب تقليد اليهود)، حيث يقولون إن أباه شقيق عزيا الملك. ومن المؤكد أنه كثير ما كان يتواجد في البلاط الملكي ولاسيما في عهد حزقيا. وأحيانا ما يحقق روح الله مقاصده من خلال الاستعداد الخاص للنبي، ذلك أن الأنبياء لم يكونوا مجرد أبواق ناطقة يتكلم

WWW.DIFAIAT.COM

روح الله من خلالها، بل كانوا أناسا متكلمين، يتكلم الروح بواسطتهم، حيث يستغل مواهبهم الطبيعية، بل ويجعلهم متفوقين على أنفسهم.

ثانيا: فيما يتعلق بالنبوءة. تعد نافعة إلى حد كبير، من حيث إدانة الخطية، والتوجيه لعمل الواجب، والتعزية في الضيقات.

ونجد هنا إشارة إلى محنتين بالغتين لحقتا بشعب الله، وهما: غزو سنحاريب، والذي وقع أيام النبي إشعياء ثم السبي في بابل، والذي حدث بعد ذلك بزمان طويل، وبالنسبة للتشجيعات التي نحتاجها في أوقات عصيبة كهذه، فنجد وفرة من نعمة الإنجيل. ولا توجد اقتباسات في الأناجيل أخذت من نبوات العهد القديم بأكثر مما أخذت من سفر إشعياء، بل ولا نجد شهادات واضحة عن المسيح، من جهة ولادته من عذراء (الأصحاح ٧)، وآلامه (الأصحاح ٥٣) على النحو الجلي الذي تضمنته رؤيا إشعياء. وبداية هذا السفر تمتلئ بتوبيخات كثيرة للخطية وتهديدات بالدينونة المترتبة عليها، أما الجزء الأخير فذاخر بالأقوال الطيبة والمعزية. وهذا الأسلوب تبناه روح المسيح قبل ذلك في الأنبياء، ولايزال يتبعه، فهو يوبخ أولا، ثم بعد ذلك يعزي، والذين يريدون أن ينعموا ببركات التعزيات يجب أن يخضعوا للإدانة والتوبيخ.

الأصحاح الأول

قُصد بالآية الأولى لهذا الأصحاح أن تكون عنوانا للسفر كله. والعظة التي وردت بهذا الأصحاح تضمنت الآتي:

أولا: اتهام باسم الله ضد الأمة اليهودية:

(١) لعدم عرفانهم بالجميل (ع ٢ و٣).

(٢) لعنادهم (ع ٥).

(٣) لفساد الشعب وانحطاطه بشكل عام (ع ٤، ٦، ٢١، ٢٢).

(٤) لتعويج القضاء على يد حكامهم (ع ٢٣).

ثانيا: شكوى حزينة من الدينونة التي جلبوها على أنفسهم نتيجة لخطاياهم، والتي جرتهم إلى خراب يكاد يكون كاملا (ع ٧- ٩).

ثالثا: رفض شكلية العبادة التي يحتفظون بها بين أنفسهم على الرغم من ارتدادهم العام وابتعادهم عن الله (ع ١٠- ١٥).

رابعا: دعوة جادة للتوبة والإصلاح، حيث خُيروا بين الحياة والموت (ع ١٦- ٢٠).

خامسا: تهديد بالهلاك لأولئك الذين يرفضون الإصلاح (ع ٢٤، ٢٨- ٣١).

سادسا: وعد بإصلاح سعيد في النهاية، والعودة إلى نقائهم وازدهارهم السابق (ع ٢٥- ٢٧).

عدد ١

أولا: اسم النبي: «إشعياء»، ومعناه «الرب يخلص»- وهو اسم على مسمى، وخاصة بالنسبة لهذا النبي، الذي تنبأ كثيرا عن الرب يسوع المخلص، والخلاص العظيم الذي سيحققه. وقيل إنه «بن آموص»، أخو أو ابن أمصيا ملك يهوذا، طبقا لتقليد مشكوك فيه، كتلك القاعدة التي تقول بأنه إذا ذكر اسم والد النبي، فهذا يفيد أن الأب أيضا كان نبيا.

ثانيا: طبيعة النبوءة. هي رؤيا. وكان النبي يسمى «الرائي» وعلى ذلك سميت النبوات «رؤى». وكانت هذه الرؤيا هي ما أدركه بذهنه، وقد تنبأ بكل وضوح بالإعلان الإلهي كما لو كان قد رآه بعينيه الجسديتين.

ثالثا: موضوع النبوءة: هناك بعض الأصحاحات في هذا السفر تتناول بابل، ومصر، وصور وبعض الأمم المجاورة الأخرى، ولكنها أخذت عنوانها من موضوعها الرئيسي، ولذلك قيل «التي رآها على يهوذا وأورشليم». ويعرض عليهم إشعياء الآتي بطريقة خاصة:

(١) تعليمات، لأن هذه الأقوال الإلهية تتعلق بهم.

(٢) توبيخ وتهديد: لأنه إذا وجد الإثم والشر

www.DIFA3IAT.com

في يهوذا، أو في ساليم (أورشليم)، فسوف تتم محاسبتهما عليه، أكثر من غيرهما.

(٣) تعزيات وتشجيعات في أوقات الشر، لأن أبناء صهيون سيسعدون بملكهم.

رابعا: تاريخ النبوءة: تنبأ إشعياء «في أيام عزيا ويوثام وآحاز وحزقيا»، ولكن يبدو:

(١) أنه تنبأ لفترة طويلة ولاسيما إذا كان (كما يقول اليهود) قد قتل على يد منسى الذي ذكر أنه نشره إلى نصفين، الأمر الذي يفترض البعض أن الرسول قد أشار إليه في عبرانيين ١١: ٣٧. والمدة التي انقضت بين موت عزيا (إش ٦: ١) إلى مرض حزقيا وشفائه بلغت سبعا وأربعين سنة، أما المدة التي تنبأ فيها قبل وبعد ذلك فهذا أمر غير مؤكد.

(٢) أنه مر بأزمنة متباينة: فقد كان يوثام ملكا صالحا، وكان حزقيا أفضل منه، ولا ريب أنه كان يأخذ بنصيحة هذا النبي، غير أنه بين عهديهما، وحين كان إشعياء في أفضل أوقاته، كان حكم آحاز يتسم بالنجاسة والشر.

عدد ٢ - ٩

أولا: على الرغم من أن النبي كان يتحدث باسم الله، فإنه إذ يئس من استماع شعبه إليه وجه كلامه للسموات والأرض (ع ٢): «اسمعي أيتها السماوات وأصغي أيتها الأرض». فالمخلوقات الجامدة، والتي تلتزم بناموس الخليقة وتحقق القصد منها سرعان ما تسمع أكثر من هذا الشعب الأحمق متبلد الحس. ليت أنوار السماء تخزي ظلمتهم، وثمار الأرض تخزي عقمهم، والتزام كل منها بأوقاتها تخزي فوضى حياتهم. هكذا بدأ موسى كلامه في تثنية ٣٢: ١.

ثانيا: اتهمهم بأنهم وصلوا إلى الذروة في عقوقهم، لتسمع السماوات والأرض، ولتتعجبا من:

(١) معاملات الله الكريمة مع شعب معوج ومثير للغيظ مثلهم: «ربيت بنين ونشأتهم» وعلمتهم (انظر أيضا تثنية ٣٢: ٦).

(٢) سلوكهم الرديء نحو ذاك الذي كان رقيقا للغاية في معاملته لهم: «فعصوا عليَّ».

ثالثا: نسب هذا لجهلهم وتهورهم (ع ٣): «الثور يعرف قانيه... أما إسرائيل فلا يعرف». ونلاحظ هنا:

(١) حصافة الثور والحمار، وهما أغبى المخلوقات، ومع ذلك لدى الثور إحساس بالواجب بحيث إنه يعرف قانيه ويخدمه. كما أن للحمار شعورا بالاهتمام بحيث يعرف معلف صاحبه، الذي يقتات منه ويلازمه. ولقد أخجلت هذه الحيوانات الغبية الإنسان، الذي لم يُرسل إليها ليتعلم منها فحسب (أم ٦: ٦ و٧)، بل ووُضع في مكانة أقل منها (إر ٨: ٧).

(٢) حماقة إسرائيل وغباوتها: فالله هو مالكهم وصاحبهم. لقد خلقنا ودبر لنا احتياجاتنا على أفضل وجه، ومع ذلك فإن كثيرين ممن يدعون شعب الله يسألون: «من هو القدير حتى نعبده؟» فهم لا يعرفون، ولا يفهمون. أو هم يعرفون، غير أن معرفتهم لم تنفعهم، لأنهم لا يتأملون فيما عرفوه، ولا يطبقونه في حياتهم، بل ولم يفكروا بعقولهم في هذه المعرفة. وعدم مبالاتنا لما نعرفه بالفعل تُعد عدوا كبيرا لإيماننا، يعادل تماما جهلنا لما يجب علينا معرفته، ولذلك يتمرد الإنسان على الله وينفر منه.

رابعا: يرثي لحالة الفساد التي عمت شعبهم ومملكتهم: ومرض الخطية كان وبائيا، ولقد لحقت عدواه بكل طبقات الشعب ودرجاته: «ويل للأمة الخاطئة» (ع ٤).

(١) كان شرهم عاما: كانوا أمة خاطئة، ومعظم الشعب كان شريرا ونجسا. لقد جاءوا من نسل شرير «أولاد مفسدين». فالخيانة تجري في الدم. كانوا أشرارا ومن نسل فاعلي الشر. ولم يكونوا فاسدين فحسب، بل استمروا في الفساد وشجعوا على الرذيلة، ونقلوا إلى الآخرين عدواها. «استهانوا بقدوس إسرائيل»، عن عمد. كانوا يعرفون ما يغضبه، وهذا ما كانوا يفعلونه بالضبط.

(٢) ولقد أوضح ذلك عندما شبههم بجسم عليل ومريض، انتشر البرص في جميع أجزائه، أو بقروح ملتهبة مثل أيوب (ع ٥ و٦). فقد تمكن المرض من الأعضاء الحيوية، مما يهدد الحياة بالهلاك. أصبحوا فاسدين في أفكارهم، حيث كان البرص في عقولهم. وانتشر وغطى الجسم كله، وبذلك زادت خطورته واستفحلت به «ليس فيه صحة»، لا مبادئ طيبة، ولا دين (فهذا هو حياة

WWW.DIFA3IAT.COM

النفس)، ولا شيء سوى «جرح وأحباط»، إثم وفساد. ولم تجر أية محاولات للإصلاح، وحتى في حالة وجود هذه المحاولات، إلا أنها أثبتت عدم فاعليتها، فالجروح «لم تعصر ولم تعصب ولم تلين بالزيت». وطالما بقيت الخطية دون توبة فالجروح لم تعصر ولم تعصب ولم يعمل أي شيء يفيد في شفائها.

خامسا: إنه- وبكل حزن- يندب دينونات الله التي جلبوها على أنفسهم. فبلادهم تكاد تكون قد خربت (ع ٧)، انظروا وشاهدوا كيف أصبح حالها: «بلادكم خربة»، أما بالنسبة لأرضكم والتي يتعين أن تمدكم بالطعام اللازم لعائلاتكم «أرضكم تأكلها غرباء قدامكم» وأنتم لا تستطيعون أن تحولوا دون ذلك. أنتم تتضورون جوعا في حين أن أعداءكم يتخمون. فأورشليم، التي تعد ابنة صهيون قد ضاعت الآن، أصبحت خربة، ومكشوفة كمظلة في كرم، حيث إنه بعد أن يجمع الكرم، لا يسكنها أحد، ولا يقترب منها أحد من الخوف كما لو كانت «مدينة محاصرة» (ع ٨). ومن المحتمل أن تكون هذه العظة قد قيلت أثناء حكم آحاز، حين قام ملوك سورية وإسرائيل بغزو يهوذا، وقام الأدوميون والفلسطينيون بذبح الكثيرين، كما أخذوا معهم الكثيرين إلى السبي (٢أخ ٢٨: ٥، ١٧، ١٨). فالعقوق والفساد على المستوى القومي لابد وأن يجلب الخراب على البلاد. ومع ذلك لم يفكروا في الإصلاح، ومن ثم هدد الله بتأديبهم مرة أخرى (ع ٥). والله يتوقف عن إصلاح وتأديب الذين يتمادون في الشر لزمن طويل، ولم يصلحوا شأنهم، ولهذا السبب ينتوي أن يدينهم بعدل ثم يهلكهم.

سادسا: وهو يعزي نفسه بالبقية التي ستكون له، والتي ستكون رمزا وشاهدا على نعمة الله ورحمته، على الرغم من هذا الفساد العام، وهذا الدمار (ع ٩): «رب الجنود أبقى» لهم بقية، حفظوا من الارتداد العام، كما نجوا سالمين وأحياء من الكارثة التي شملت الجميع. وهذا ما اقتبسه الرسول (رو ٩: ٢٧)، وطبقه على تلك القلة من الأمة اليهودية ممن اعتنقوا المسيحية في أيامه. وهذه البقية تتكون في الغالب من عدد قليل. فالكثرة ليست من علامات الكنيسة الحقيقية. فقطيع المسيح هو قطيع صغير. ومن اللائق بشعب أنقذ من الهلاك التام أن ينظر إلى الماضي ويرى كيف كان أقرب ما يكون إلى الهلاك، وليدرك كم هو مدين بالكثير لقلة من الناس الصالحين الذي وقفوا في الثغرة، ويعلم أن ذلك يرجع إلى إله صالح ترك لهم هذه البقية من الناس الأبرار.

عدد ١٠ - ١٥

أولا: الله يناديهم (ولكن دون جدوى) لسماع كلمته (ع ١٠).. اللقب الذي خاطبهم به جاء غريبا: «يا قضاة سدوم.. يا شعب عمورة». وهذا ما يشير إلى أنه كان عدلا من الله أن يجعلهم مثل سدوم وعمورة (ع ٩). لقد هاجم النبي بشجاعة قضاة سدوم، لأنه لم يكن يعرف كيف يوجه لهم ألقابا يتملقهم بها. ويقول تقليد اليهود إن هذا هو سبب قيامهم بإعدامه بعد ذلك بفترة طويلة. وكان مطلبه منطقيا جدا: «اسمعوا كلام الرب.. أصغوا إلى شريعة إلهنا»، انتبهوا إلى ما يريد الله أن يقوله لكم، ولتكن كلمته شريعتكم.

ثانيا: وكان عدلا من الله ألا يسمع صلواتهم، ولا يقبل عبادتهم، ولا ذبائحهم ولا محرقاتهم، ولا شحمها ولا دمها (ع ١١)، ولا حضورهم في دوره (ع ١٢)، لا تقدماتهم، ولا بخورهم ولا اجتماعاتهم الدينية (ع ١٣)، ولا رؤوس شهورهم ولا أعيادهم (ع ١٤)، لقد رفضت كلها لأن أيديهم كانت ملوثة بالدماء.

(١) كان هناك كثيرون من الغرباء، هم في الواقع أعداء الديانة، ومع ذلك يظهرون متحمسين للغاية لمظهرها وصورتها الخارجية. وهذه الأمة الخاطئة جاءت إلى مذبح إله إسرائيل بذبائح، ذبائح سلامة، ومحرقات، قُدمت كلها لمجد الله. لقد صلوا، وكانوا يصلون كثيرا، ويقدمون صلوات كثيرة، حيث كانوا يعتقدون أن صلواتهم ستسمع بكثرة كلامهم. وكانت قلوبهم خالية من العبادة الحقيقية. ذهبوا «ليظهروا» أمام الله (ع ١٢) أو ليتراءوا أمامه. كانت أيديهم ملآنة دما. كانوا مذنبين بالقتل، والاغتصاب، والظلم تحت إدعاء تحقيق القانون والعدالة.

(٢) وحين يكون الخطاة تحت دينونات الله تراهم يهربون إلى عباداتهم بدلا من ترك خطاياهم

www.difa3iat.com

وإصلاح حياتهم.

(٣) إن عبادات الناس الأشرار المحاطة بمظاهر الفخامة والعظمة، والتي تفتقر إلى إصلاح تام للقلب والحياة.. هي أبعد من أن تقبل من الله؛ بل هي في الواقع مكرهة له. ولقد تم بيان ذلك من خلال مجموعة من التعبيرات المتباينة بأن الطاعة أفضل من الذبيحة، والواقع أن الذبيحة بدون طاعة تعد أضحوكة، وهي إهانة لله وتثير غضبه. وقد وصفت ذبائحهم هنا بأنها عقيمة وتافهة «لماذا لي كثرة ذبائحكم يقول الرب؟» (ع ١١). إنها «تقدمة باطلة» (ع ١٣). وكل اهتماماتهم بفرائض الله كانت عبثا ولا طائل من ورائها، ولم تؤد إلى تحقيق أي غرض طيب «من طلب هذا من أيديكم» (ع ١٢). فهم يصلون، لكن الله لا يسمع لهم، لأنه على الرغم من رفعهم لكثير من الصلوات إلا أنه ليس من بينها صلاة خرجت من قلب مستقيم. إن «ذبائحكم»، ليس لي علاقة بها، لقد كثرت محرقاتكم حتى «اتخمت» منها. ولقد قال عن مجيئهم إلى دوره «أن تدوسوا دوري». أما بخورهم فعلى الرغم من رائحته الذكية فقد كان «مكرهة» له، لأنهم كانوا يوقدونه برياء وبقصد شرير. ولقد «بغض» أعيادهم ولم يعد يحتملها. والله لا يمل إطلاقا من سماع صلوات المستقيمين، لكنه يرفض الذبائح الثمينة التي يقدمها الأشرار. فالله يكره الخطية، وهي مقيتة جدا لأنها تجعل صلوات الناس وعباداتهم مكرهة عند الله. فالعبادة الشكلية والتقوى الظاهرية إثم مضاعف.

عدد ١٦ - ٢٠

أولا: دعوة إلى التوبة والإصلاح: إذا كنتم تريدون لذبائحكم أن تُقبل، ولصلواتكم أن تقبل عليكم أن تبدأوا بداية صحيحة، «اطلبوا الحق» وإلا لا تتوقعوا أن تُقبل ممارسات عبادتكم. وكما أن العدل والرحمة لا يمكن أن يكفر عن الوثنية والتجديف، هكذا لا يمكن للصلوات والذبائح أن تكفر بأي حال عن الغش والظلم.

(١) عليهم أن يكفوا «عن فعل الشر»، وأن يتوقفوا عن سفك مزيد من دم الأبرياء. وهذا هو معنى «اغتسلوا تنقوا» (ع ١٦). وعلينا لا أن نتوقف فقط عن شر أعمالنا بالابتعاد عن أعمال الخطايا المشينة، بل ونجتث جذور الخطية وعاداتها من قلوبنا.

(٢) عليهم أن يتعلموا «فعل الخير».. أن نبذل قصارى جهدنا لمعرفة واجبنا. وهو يحثهم بصفة خاصة على إتمام الواجبات المشار إليها في وصايا اللوح الثاني من الناموس: «اطلبوا الحق»، اسألوا ما هو الحق لكي تعملوه. «انصفوا المظلوم». انتقموا لأولئك الذين يعانون الظلم، اليتيم والأرملة الذين بسبب ضعفهم يطأهم المتغطرسون بأقدامهم ويسيئون معاملتهم. دافعوا عن أولئك الذين لا يعرفون كيف يدافعون عن أنفسهم، والذين ليس لهم ما يكافئونكم به نظير عطفكم عليهم.

ثانيا: إظهار وتوضيح لعدالة الإجراءات التي يتخذها الله قبلهم: «هلم نتحاجج» (ع ١٨)، فطالما كانت أيديكم «ملآنة دما» فسوف أقطع علاقتي معكم، بالرغم من الذبائح الكثيرة التي تقدمونها لي، ولكن لو اغتسلتم وتنقيتم، فيمكنكم الاقتراب مني. تعالوا الآن، هيا نبحث الأمر معا، فالحق دائما إلى جانب الديانة، وهناك من الأسباب الكثير الذي يدعونا إلى إطاعة صوت الله لنا.

(١) وهم لا يمكنهم بحق أن يتوقعوا أكثر مما يعرضه الله عليهم، وهو أنه إذا ما تابوا وأصلحوا طرقهم، فسوف يستعيدون تمتعهم بإحسانات الله، وذلك على الرغم من خطاياهم واستفزازاتهم السابقة. وهنا لن توقع عليهم أية عقوبة، ولا يثقل نيرهم. فهو لم يقل: «إذا أطعتم تماما»، بل قال «إن شئتم...»، لأنه إذا كانت المشيئة موجودة فسوف تقبل. وسوف تغفر جميع خطاياهم، ولن تذكر ثانية. وعلى الرغم من أن خطايانا حمراء كالدودي، ولونها داكن جدا، وعلى الرغم من أننا كثيرا ما نتلوث بصبغة معاصينا الكثيرة وخطايانا التي نقترفها، وعلى الرغم من أننا ظللنا طويلا غارقين فيها، كما تُنقع الملابس في الصبغة القرمزية، إلا أن الرحمة الغافرة سوف تزيل البقع تماما. وإذا ما نقينا أنفسنا بالتوبة والإصلاح (ع ١٦)، سوف ينقينا الله، وذلك بغفرانه التام. وذلك إن «شئتم وسمعتم» لأنكم في هذه الحالة «تأكلون خير الأرض»، أرض الموعد. إذا ما غفرت الخطية، فسوف تكون التعزيات سبب راحة عظمى لهم.

(٢) أما إذا كانوا لا يستطيعون أن يتوقعوا ذلك، واستمروا في عنادهم وعصيانهم، فسوف ينفذ حكم الناموس فيهم (ع ٢٠).

عدد ٢١- ٣٠

أولا: رثاء حالة الانحلال والفساد التي كانت تسود يهوذا وأورشليم. كانت المدينة الملكية مدينة أمينة، مخلصة لله ولكل ما يتعلق بمملكته بين الناس، مخلصة للأمة ولمصالحها العامة. كانت قبلا «القرية الأمينة»، كانت العدالة تأخذ مجراها الصحيح فيها «كان العدل يبيت فيها». وهذه الزوجة الجميلة الفاضلة أصبحت الآن «زانية»، ولم يعد للعدل مكان بعد في أورشليم، بل إن القاتلين يرتعون فيها دون إزعاج، والرؤساء أنفسهم كانوا غاية في القسوة والظلم حتى إنهم أصبحوا لا يتميزون عن القتلة في شيء. ولقد وصف فساد أورشليم وانحلالها (ع ٢٢): «صارت فضتك زغلا». ويُعد فساد القضاة عارا وأذى للمملكة يعادل الحط من قيمة عملتهم وتحول فضتهم إلى زغل. «وخمرك مغشوشة بماء» وبذلك أصبحت بلا مذاق أو تأثير. والزغل قد يلمع مثل الفضة، والخمر الذي مزج بالماء قد يحتفظ بلون الخمر، غير أنه لا هذه ولاتلك أصبح لها قيمة تذكر. هكذا احتفظوا بمظهر الفضيلة والعدل وشكلهما دون شعور حقيقي بأي منهما. فرؤساؤك الذين كان من واجبهم العمل على حفظ الآخرين في ولائهم لله وخضوعهم لناموسه كانوا هم أنفسهم متمردين يتحدون الله وناموسه. فهؤلاء الذين كان من واجبهم قمع اللصوص أصبحوا من رفاقهم، وأصبحوا يشاركونهم في مكاسبهم المحرمة ويوفرون لهم الحماية. كان كل همهم الاستفادة من مراكزهم، والانتفاع بها بقدر استطاعتهم سواء كان ذلك بطرق مشروعة أم غير مشروعة. كان يتعين عليهم حماية من يتعرضون للأذى ولكنهم «لا يقضون لليتيم» لم يبالوا بحماية الأيتام «ودعوى الأرملة لا تصل إليهم»، لأن الأرملة المسكينة لم تكن تمتلك ما تقدمه لهم كرشوة، حتى تستطيع عرض قضيتها عليهم.

ثانيا: اتخذ قرار لتقويم هذه المظالم (ع ٢٤): «لذلك يقول السيد رب الجنود عزيز إسرائيل»- والذي لديه السلطان لتنفيذ ما يقوله- «آه إني أستريح من خصمائي». وسوف يجد الله وقتا وطريقة للتخلص من هذا الحمل الثقيل. وإذا كان شعب الله المؤمن به لا يحذون حذوه باعتباره «قدوس إسرائيل» (ع ٤) فإنهم سيدركون ثقل يده عليهم باعتباره «عزيز إسرائيل». ومع أن مجمعهم كان به قدر كبير من الزغل والخبث، فإنه على الرغم من ذلك لن يلفظ بل سوف ينقى (ع ٢٥): «وأنقي زغلك». فسوف تقمع الرذيلة، ويسلب الظالمون من قدرتهم على عمل الأذى. وإصلاح أي شعب هو عمل الله: «وأرد يدي عليك». سوف أعمل من أجل الديانة ما سبق أن عملته لكي أغرسها. وقد فعل ذلك بالإنعام عليهم بقضاة ومشيرين صالحين (ع ٢٦): «وأعيد قضاتك كما في الأول»، وذلك لينفذوا القوانين ضد فاعلي الشر، و«مشيريك» لكي يدبروا الشئون العامة «كما في البداءة». وقد فعل ذلك (ع ٢٧) بأن غرس في أذهان الناس مبادئ العدل وحملهم على أن يخضعوا حياتهم لهذه المبادئ. ويستطيع الناس أن يعملوا الكثير عن طريق فرض القيود الخارجية، غير أن الله يتمم ذلك بفاعلية عن طريق تأثيرات «روحه». وجميع مفديي الرب سيتجددون، وتجديدهم هو فداؤهم، أما «تائبوها» فسوف يفدون بالبر. وإحياء فضيلة الشعب هو استعادة لكرامتها. «بعد ذلك تدعين مدينة العدل القرية الأمينة». وأولئك الذين يكرهون إصلاح حياتهم سوف يهلكون ولن يكتفي بتأديبهم فقط. فالنجسون، الذين تخلوا تماما عن الديانة، والمراؤون الذين يعيشون في الشر متسترين تحت عباءة الدين سوف يهلكون معا. «وتاركو الرب» الذين سبق أن أعلنوا إيمانهم به سوف «يفنون»، مثل مجرى المياه الذي يجف عندما ينفصل عن الينبوع. سوف تعجز أوثانهم عن مساعدتهم: «البطم التي اشتهيتموها.. الجنات التي اخترتموها»، بمعنى التماثيل التي عبدوها في حدائقهم وتحت الأشجار الخضراء، والتي من أجلها تركوا الإله الحقيقي، والتي عبدوها سرا في حدائقهم. وكانت هذه من أعمال الخطاة والآثمين، ولكنهم سوف يخجلون منها، ليس عن طريق توبة علنية، بل نتيجة يأسهم (ع ٢٩). سوف يخجلون من أوثانهم لأنها هي نفسها سوف «تسبى» (إش ٤٦: ١ و٢). ولن يكون بمقدورهم

مساعدة أنفسهم (ع ٣١): «ويصير القوي مشاقة»، ولن يكسر سريعا ويتحطم إلى عدة أجزاء فحسب، بل ستشتعل فيه النار بكل سهولة «وعمله» يصير بمثابة الشرارة في كيانه الهش.

وكل هذه الأمور تنطبق على:

(١) عمل الإصلاح المبارك الذي جرى على عهد حزقيا بعد المفاسد الرهيبة التي عملت أثناء حكم آحاز.

(٢) عودتهم من السبي في بابل.

(٣) ملكوت الإنجيل وانسكاب الروح، والذي بواسطته ستصبح كنيسة العهد الجديد أورشليم الجديدة، مدينة البر.

(٤) المجيء الثاني للمسيح، حيث ينقي بيدره تماما.

الأصحاح الثاني

بهذا الأصحاح تبدأ عظة ثانية، سوف تستمر إلى الأصحاحين التاليين. أما الموضوع فهو يهوذا وأورشليم (ع ١).

ويتحدث النبي في هذا الأصحاح عن:

أولا: مجد المؤمنين، وأورشليم كنيسة الإنجيل في آخر الأيام، وانضمام الكثيرين إليها (ع ٢ و٣)، والسلام العظيم الذي ستحققه في العالم (ع ٤)، الأمر الذي يستنتج منه واجب بيت يعقوب (ع ٥).

ثانيا: خزي اليهود وأورشليم عندئذ، وخزيهم فيما بعد، برفضهم الإنجيل، ورفض الله لهم:

(١) كانت خطيتهم هي سبب خزيهم (ع ٦- ٩).

(٢) فسوف يذلهم الله بدينونته (ع ١٠- ١٧).

(٣) وسوف يخزون هم أنفسهم من ثقتهم في أوثانهم واتكالهم على ذراع البشر (ع ١٨- ٢٢).

عدد ١ - ٥

العنوان الخاص بهذه العظة (ع ١) هو نفس العنوان العام للسفر كله (إش ١ : ١) غير أن ما سمي هناك « رؤيا» سمي هنا « الأمور التي رآها إشعياء». وتبدأ هذه العظة بنبوة تتعلق بآخر الأيام، أيام المسيح، حيث ستقام مملكته في العالم، عند انتهاء التدبير الموسوي. وفي أواخر أيام أورشليم الأرضية، وقبل خرابها مباشرة، لابد أن تقام أورشليم السمائية (عب ١٢ : ٢٢؛ غل ٤ : ٢٦). فأيام الإنجيل هي «آخر الأيام»، لأنها:

- كانت أيام عظيمة، انتظرها قديسو العهد القديم، وأخيرا أتت.
- علينا ألا نتطلع إلى أي تدبير للنعمة الإلهية سوى ما هو مذكور في الإنجيل (غل ١ : ٨ و٩).
- علينا أن نتطلع إلى المجيء الثاني للرب يسوع المسيح في الساعة الأخيرة (١يو ٢ : ١٨).

ويتنبأ النبي هنا بالآتي:

أولا: غرس الديانة المسيحية في العالم، وسوف تكون المسيحية حينذاك «جبل بيت الرب». وتكون كنيسة الإنجيل عندئذ ملتقى جميع نسل إبراهيم الروحي. وقد تم الوعد هنا بما يلي:

(١) تتم الكرازة بالمسيحية والإيمان بها علانية، وسوف تكون ثابتة «في رأس الجبال»، على مرأى ومسمع من الجميع. وما عمله الرسل «لم يفعل في زاوية» (أع ٢٦ : ٢٦). وكان ذلك بمثابة إضاءة منارة، ورفع اللواء.

(٢) سوف تكون الديانة راسخة ثابتة وتقام في رأس الجبال الأبدية، مبنية على «صخرة» ولذلك «أبواب الجحيم لن تقوى عليها»، إلا إذا كان بمقدورهم نزع الجبال من أساسها.

(٣) وإنها لن تدحر كل مقاومة فحسب، بل ستبقى فوق مستوى المنافسة، فسوف ترفع «فوق التلال». و«حكمة الله في سر» سوف تفوق حكمة هذا العالم، وكل فلسفته وكافة سياساته.

ثانيا: انضمام الأمميين إليها:

(١) سوف تقبل الأمم فيها، حتى غير المختونين، الذين منعوا من دخول أفنية الهيكل في أورشليم.

(٢) «تجري إليه كل الأمم». إذا أتيحت للأمم حرية الدخول، فسوف يؤمن الكثيرون بالمسيحية.

ثالثا: المساعدة والتشجيع المتبادلان، اللذان سيعطيهما هذا الحشد من المتجددين كل منهم للآخر:

«هلم نصعد إلى جبل الرب»، وعلى الرغم من أنه فوق الجبال، الأمر الذي يتعب القلب، غير أنه «جبل الرب» الذي سوف يساعدنا في الصعود إليه. ولم تسم كنيسة الإنجيل هنا «جبل الرب» فقط، بل سميت أيضا «بيت إله يعقوب» لأن فيها تم عهد الرب مع يعقوب ومع نسله المتعبد، وبها تم تحقيق هذا الوعد. الأمر يستحق تحمل المشاق لكي نصعد إلى جبله المقدس لكي نتعلم طرقه. وأولئك الذين يرغبون في تحمل هذه الآلام سوف يجدون أن تعبهم لم يكن باطلا. وإذ هو «يعلمنا من طرقه» فإننا سوف «نسلك في سبله»، وإذا عرفنا واجبنا، فإننا بنعمته سنضع قلوبنا على إتمامه.

رابعا: الوسائل التي من خلالها يتم تحقيق ذلك: «من صهيون تخرج الشريعة»، شريعة العهد الجديد، التي هي شريعة المسيح، فكما خرج في القديم ناموس موسى من جبل سيناء، فسوف تخرج «من أورشليم كلمة الرب». والإنجيل شريعة.. شريعة إيمان؛ فهو «كلمة الرب». ولقد كرز التلاميذ بالإنجيل في الهيكل على جبل صهيون (أع ٥: ٢٠). والكرازة بالإنجيل التي خرجت من أورشليم أسست كنيسة الإنجيل «في رأس الجبال».

خامسا: إقامة ملكوت الفادي في العالم: «فيقضي بين الأمم». وسوف يحكم بروحه العامل في ضمائر الناس، وسوف يختبر الناس ويوبخهم، ومملكته روحية و«ليست من هذا العالم».

سادسا: السلام العظيم الذي سيتحقق نتيجة نجاح الإنجيل في العالم (ع ٤): «فيطبعون سيوفهم سككا... لا ترفع أمة على أمة سيفا»، كما يفعلون الآن، بل «ولا يتعلمون الحرب فيما بعد»، لأنه لن يكون ثمة داعي لذلك. فهدف الإنجيل ومقصده هو تحقيق السلام والقضاء على العداوات. والإنجيل يحمل بين ثناياه أقوى الالتزامات والبواعث إلى السلام. وإنجيل المسيح بقدر ما يسود، تراه يدفع الناس لأن يكونوا مسالمين، ويلطف من طبائع الناس ويضفي عليها حلاوة، ومحبة المسيح التي تنسكب في القلب تحمل الناس على أن يحبوا بعضهم البعض. وكان المسيحيون الأوائل مشهورين بالمحبة الأخوية، وهذه الحقيقة عرفها عنهم حتى خصومهم. وهنا استدلال عملي أقيم على أساس كل هذا (ع ٥): «يا بيت يعقوب هلم فنسلك في نور الرب». ولا يقصد بعبارة بيت يعقوب إسرائيل حسب الجسد، أو إسرائيل الروحية، بل كل الذين ينتمون إلى إله يعقوب. فهل سيعلمنا الله طرقه؟ هل سيرينا مجده في وجه المسيح؟ هيا نسير آمنين في نور هذا السلام. هل لن يكون ثمة مزيد من الحروب؟ إذا فلنسير في طريقنا مبتهجين.

عدد ٦ – ٩

أولا: مصير إسرائيل. وقد وضح هذا في عبارتين تقعان في أول هذه الفقرة وفي آخرها، وهي أقوال مرعبة:

(١) حالتهم (ع ٦): «فأنك رفضت شعبك». ويالتعاسة هذا الشعب الذي يرفضه الله. كانت هذه هي الحالة التي يرثى لها والتي كان عليها شعب اليهود بعد أن رفضوا المسيح. «هوذا بيتكم يترك لكم خرابا» (مت ٢٣: ٣٨).

(٢) حالتهم ميئوس منها تماما (ع ٩): «فلا تغفر لهم»، وهذه الصلاة النبوية ترقى إلى أن تكون تهديدا بأنه لن يغفر لهم. وهذا الأمر لا يشير إلى أشخاص بعينهم (ذلك أن كثيرين منهم تابوا وغفر لهم)، بل المقصود به الأمة نفسها.

ثانيا: مصير إسرائيل والأسباب التي أدت إلى هذا المصير: الخطية بوجه عام هي التي تثير الله ومن ثم يتخلى عن شعبه. والخطايا المعينة التي حددها النبي هي التي كانت سائدة بينهم في ذلك الحين. وقد كان ثمة رفض جزئي ومؤقت لهم تمثل في السبي إلى بابل، والذي كان يمثل رمزا مسبقا للدمار النهائي على يد الرومانيين، هذا الذي جاء وليد الخطايا التي ذكرت ههنا.

(١) كان الرب قد أفرزهم له، كشعب خاص، كرمه فوق جميع الشعوب الأخرى (عد ٢٣: ٩)، لكنهم «امتلأوا من المشرق» بالمعتقدات الخرافية، تجنسوا بالغرباء، وشجعوهم على الإقامة بينهم واختلطوا بهم (هو ٧: ٨). وقد سكن بلادهم السوريون والكلدانيون والموآبيون والعمونيون، وهؤلاء جاءوا بعاداتهم وأساليبهم. «ويصافحون أولاد الأجانب».

www.DIFA3IAT.com

وهكذا دنسوا مثلهم العليا كما دنسوا عهدهم.

(٢) أعطاهم الله كلامه، وأسفاره، وأنبياءه؛ ولكنهم استخفوا بها وأصبحوا هم أنفسهم عرافين مثل الفلسطينيين، وقدموا فنون العرافة، واستمعوا إلى أولئك الذين يستخدمون النجوم أو السحب، أو أحشاء الحيوانات مدعين أنهم بها يكتشفون أمورا سرية ويتنبأون بالمستقبل. وكان الفلسطينيون عرافين مشهورين (١ صم ٦: ٢).

(٣) أكد لهم الله بأنه سيكون غناهم وقوتهم، غير أنهم إذ لم يثقوا في قوته ووعده، جعلوا رجاءهم في الذهب، وجهزوا أنفسهم بالخيل والمركبات، واتكلوا على ذلك في تحقيق أمنهم (ع ٧). وليس تملك الفضة والذهب والخيل والمركبات هو الذي يثير غضب الله، بل الرغبة في تملكها بشراهة وجشع لا حدود لهما.

(٤) الله نفسه كان إلههم، وأقام لهم فرائض العبادة، ولكنهم استخفوا به وبفرائضه (ع ٨). كانت بلادهم مليئة بالأوثان، وكان لكل مدينة إلهها (إر ١١: ١٣). الذين يعبدون الأوثان يكثرون منها، وكانوا من البلاهة لدرجة أنهم كانوا «يسجدون لعمل أيديهم». لقد أثراهم الله فضة وذهبا، ومع ذلك صنعوا أصنامهم من هذه الفضة وهذا الذهب.

(٥) لقد كرمهم الله، ولكنهم حطوا من قدر أنفسهم بدناءة (ع ٩): «وينخفض الإنسان وينطرح» لأوثانه، وهذا أمر لا يتأتى ممن لديه ذرة من العقل. بل ولم يكن الجهلة وحدهم هم الذين يفعلون ذلك، بل إن العظيم منهم تناسى عظمته وأذل نفسه لكي يعبد الأوثان، وهو بهذا يناوئ أناسا أسوأ منه، ويقدس حجارة هي أدنى منه بما لا يقاس.

عدد ١٠ – ٢٢

ينتقل النبي هنا ليبين مدى الخراب الذي سيحل بأرضهم إذا ما تخلى الله عنهم. وهذا ما قد يشير بصفة خاصة للدمار الذي حاق بهم على يد البابليين أولا، وبعد ذلك على يد الرومانيين.

أولا: ليفزع الخطاة وينبههم، هؤلاء الذين تحدوا الله وأحكامه (ع ١٠): «ادخل إلى الصخرة»، فسوف يعاقبكم الله بدينونات رهيبة، الأمر الذي تضطرون معه إلى أن تدخلوا «إلى الصخرة» وتختبئوا «في التراب من أمام هيبة الرب». سوف تفقدون كل شجاعتكم، بل وترتعشون لهزة ورقة شجرة. ولنفس الغرض «ويدخلون في مغاير الصخور وفي حفائر التراب» (ع ١٩)، وهي أكثر الأماكن ظلمة وعمقا. وهذا ما حدث بصفة خاصة عند دمار أورشليم على يد الرومانيين (لو ٢٣: ٣٠)، وأمام قوى الاضطهاد الوثنية (رؤ ٦: ١٦)، والجميع يفعل ذلك «من أمام هيبة الرب ومن بهاء عظمته». وأولئك الذين لن يخافوا الله ويهرعوا إليه سوف يضطرون إلى الخوف والهرب منه إلى مخابئ زائفة. فعبثا يكون التفكير في اللجوء إلى كهوف الأرض، إذا ما كانت الأرض ذاتها تهتز، وعلى هذا فلا ملاذ حقيقي إلا في الله وفي الحياة السامية.

ثانيا: لكي يَخزى ويُذل الخطاة المتكبرين (ع ١١): «توضع عينا تشامخ الإنسان». وتكرر هذا في (ع ١٧): «فيخفض تشامخ الإنسان». سوف يُذل تشامخ الناس، إما عن طريق نعمة الله التي تقنعهم بشر كبريائهم، وتلبسهم ثوب التواضع، وإما عن طريق التدبيرات الإلهية التي تسلبهم كل تلك الأشياء التي كانوا يتفاخرون بها، حتى «توضع» رفعتهم. وهذا سوف يتم حتى «يسمو الرب وحده». وسوف يتم هذا عن طريق الدينونات المذلة التي ستخزيهم وتحط من قدرهم (ع ١٢). «لرب الجنود يوما»، وهو يوم غضبه ودينونته «على كل متعظم وعال». ولقد ذكر هنا أن يوم الرب هذا يجيء ضد «كل أرز لبنان العالي المرتفع»، وهو أكثر الأشجار استقامة وفخامة– وعلى بلوط باشان، الذي هو أقواها وأكثرها ثباتا– وضد كل المرتفعات الطبيعية «على كل الجبال العالية وعلى كل التلال المرتفعة» (ع ١٤) التي تعلو الوديان وتبدو كأنها تناطح السماء– وضد الثوابت الصناعية «وعلى كل برج عال وعلى كل سور منيع» (ع ١٥). ويمكن أخذ هذه العبارة على أنها:

(١) تشير إلى المتكبرين، الذين ينظرون إلى أنفسهم على أنهم مثل الأرز والبلوط، راسخين ثابتين، لا تحركهم أية عاصفة، كما ينظرون إلى جميع الذين من حولهم كما لو كانوا شجيرات ضعيفة. «إن أعلى التلال هي أكثرها تعرضا للصواعق». وهؤلاء الرجال المتبجحون الذين يشبهون الأبراج المرتفعة المعلق بها

الأجراس التي تُحدث ضوضاء عالية- هذه الأسوار المحصنة، التي تحصن نفسها بصلابتها الطبيعية، وتحمي نفسها بحصونها- سوف تهدم.

(٢) تعني بصفة خاصة كل الأمور التي يتباهون بها، والتي يستندون إليها ويتكلون عليها. فسوف يسلبهم الله كل أسلحتهم التي يتكلون عليها. كانوا يتباهون بتجارتهم الخارجية، غير أن يوم الرب سوف يكون على كل «سفن ترشيش»، وسوف يغرقون في البحر، أو تتحطم سفنهم في الميناء.

ثالثا: حتى يجعل عبدة الأوثان في خزي من أوثانهم، ومن التبجيل الذي أولوه لها (ع ١٨): «وتزول الأوثان بتمامها» حين يسمو الرب وحده (ع ١٧)، وسوف لا يصب احتقاره على المتغطرسين فحسب، بل بالأكثر على كل الآلهة الزائفة، التي سوف يهجرها أصدقاؤها، ويدمرها أعداؤها، فهي لا تستطيع حماية نفسها، وهي أبعد من أن تحمي من يعبدها. وسوف يهجرها أولئك الذين يعبدونها، إما لإيمانهم بزيفها، أو نتيجة اختبار أليم عرفوا من خلاله أنها عاجزة عن مساعدتهم (ع ٢٠). وحين يكون الناس أنفسهم في كرب عظيم من دينونات الله، فسوف يلجأون إلى شقوق الصخور، هناك سوف يطرحون أوثانهم- التي اتخذوها آلهة لهم وكانوا يأملون أن تنفعهم في وقت الشدة- للجرذان والخفافيش. الله قادر أن يحمل الناس على السأم من أوثانهم التي كانوا مغرمين جدا بها. والطماعون والجشعون يجعلون الفضة والذهب أوثانا لهم، والمال إلههم، غير أنه سيأتي وقت يشعرون فيه أنها عبء عليهم بقدر ما كانوا في الماضي يتكلون عليها. وقد جاء وقت كان البحارة يطرحون البضائع والحنطة في البحر (يون ١ : ٥؛ أع ٢٧ : ٣٨). الشقوق المظلمة التي تسكنها الجرذان والخفافيش هي أنسب الأماكن للأوثان، التي لها عيون ولا تبصر. ومن الممكن أن تبغض الخطية وتترك، ليس بالتوبة عنها بدافع المحبة لله، بل من الخوف من غضبه كخوف العبيد.

رابعا: لكي يخزى الذي اتكلوا على ذراع بشر (ع ٢٢): «كفوا عن الإنسان» لا تتكلوا عليه. وكم هو ضعيف الإنسان «الذي في أنفه نسمة» ينفثها كل لحظة، وسرعان ما تنتهي إلى الأبد «كفوا عن الإنسان».

لا تجعلوه محط خوفكم، ولا موضع رجائكم، بل تطلعوا إلى فوق، إلى قوة الله، والتي تخضع لها كل قوى الإنسان وتعتمد عليها، ليكن رجاؤكم في الرب إلهكم.

الأصحاح الثالث

في هذا الأصحاح يتنبأ النبي عن الخراب الذي سيحل على يهوذا وأورشليم بسبب خطاياهم، ذلك الخراب الذي سوف يتم على يد البابليين، وذاك الذي سيكمل دمارهم على يد الرومانيين.

وقد هدد الله بالآتي:

أولا: حرمانهم من كل معونة في حياتهم، وفي مملكتهم (ع ١ - ٣).

ثانيا: تركهم للوقوع في الاضطراب والفوضى (ع ٤ و٥، ١٢).

ثالثا: حرمانهم من نعمة وجود حكام أو قضاة (ع ٦- ٨).

رابعا: يسلب من بنات صهيون زينتهن (ع ١٧- ٢٤).

خامسا: تبديد كل شيء بسيف الحرب (ع ٢٥ و٢٦).

والأشياء التي أثارت غضب الرب هي:

(١) تحديهم لله (ع ٨).

(٢) وقاحتهم (ع ٩).

(٣) سوء استخدام القوة في الظلم والطغيان (ع ١٢- ١٥).

(٤) كبرياء بنات صهيون (ع ١٦). وفي منتصف الأصحاح طلب من النبي:

أ. تأكيد سلامة الصالحين (ع ١٠).

ب. تأكيد العاقبة الوخيمة للأشرار، مهما بدت رحمة الله في الحكم (ع ١١).

عدد ١ - ٨

كان الله بصدد هدم كل اعتمادهم على المخلوق، حتى يصابوا بالإحباط وخيبة الأمل في كل توقعاتهم منه (ع ١): «السند والركن» سينزعا. سينزع منهم كل ما يتكلون عليه. فقد أصيبت جماعتهم ومملكتهم بالشيخوخة التي ستنتهي بالاضمحلال. ولقد كانوا (مثل الرجال المسنين) (زك ٨: ٤) يستندون على

www.DIFA3IAT.com

عصا، والله يهددهم بأن ينزع كل متكلهم. ويشير القديس چيروم بهذا إلى الدمار الشامل للأمة اليهودية بعد أن صلبوا مخلصنا (رو ١١: ٩؛ ١٠: ١) وأنا أعتبره تحذيرا لكل الشعوب حتى لا يجلبوا على أنفسهم غضب الله.

أولا: الخبز هو سند الحياة، ولكن الله يستطيع أن ينزع «كل سند خبز وكل سند ماء»، وكان له الحق في أن يفعل ذلك خاصة أن ما أعطاه لهم من أجل إعاشتهم حولوه إلى تدبير لشهواتهم. لكن بمقدوره أن يحرمهم من الطعام والماء إذا حُجب المطر (تث ٢٨: ٢٣ و٢٤). ثم إن بمقدوره أن ينزع إمدادات الطعام وإمدادات الماء بمنع بركته، التي بها يحيا الإنسان. المسيح هو رأس الحياة وماء الحياة، وإذا كان هو سندنا فسوف نجد أنه أعظم نصيب الذي لا يمكن أن ينزع منا (يو ٤: ١٤؛ ٦: ٢٧).

ثانيا: سوف يحرمون من جيشهم - قادتهم وضباطهم: «الجبار ورجل الحرب»، بل وحتى الضباط الأقل درجة - «رئيس الخمسين»- سوف يبعدون أيضا. ولذلك لا يفرح القوي بقوته.

ثالثا: وزراؤهم والمثقفون، ورجال السياسة، والكهنة سوف يُبعَدون أيضا- «القاضي والنبي والعراف (الذي يستخدم وسائل غير مشروعة)، والشيخ» سواء في سني حياته أو وظيفته. فحين ينزع عنهم كل سند، سوف ينزع أيضا «الماهر بين الصناع»، وأخيرا «الحاذق بالرقية».. الرجل الحاذق في الخطابة، الذي قد يكون له نفع كثير في بعض الحالات. لم يكن موسى يحسن الكلام، غير أن هارون كان كذلك.

رابعا: من أعمال الله أن يشدد أعمدة الأرض (مز ٧٥: ٣)، غير أن التهديد هنا أنهم سوف يخذلون حين يبعد الجبارون والحاذقون فالصبيان يكونون «رؤساء لهم» ممن كان يجب أن يكونوا تحت إشراف معلمين ومرشدين- الأطفال في الفهم والميول الذين لا يصلحون للحكم بأكثر ما يصلح الأطفال وهم في مهدهم. هؤلاء سوف يتسلطون عليهم، بكل حماقة الطفل وتقلباته وعناده.

خامسا: تماسك الرعايا فيما بينهم، ونظامهم الجيد، وحسن فهمهم في خطر هنا. فسوف يرسل الله أيضا روحا شريرا بينهم (كما في قضاة ٩: ٢٣)، يزرع الخصام بينهم (ع ٥): «ويظلم الشعب بعضهم بعضا»، ومادام رؤساءهم أطفالا، فلن يبذلوا أي جهد لكبح الظالمين أو نصرة المظلومين. فأسوأ ما يمكن أن يلحق بالشعب عندما يصبح الجيل الصاعد صعب المراس ولا يمكن السيطرة عليه.

سادسا: تبدأ السلطة في التسول (ع ٦) من المؤكد أنه ليس هناك طريق لإصلاح هذه المظالم، وإرجاع الأمور إلى وضعها الصحيح مرة أخرى إلا على أيدي قضاة صالحين يخولون السلطة بموافقة جماعية، لكي يمارسوا سلطتهم لصالح المجتمع. لقد بين حالهم على أنه أمر يرثى له، وأن الأمور قد بلغت نقطة اللاعودة في السوء. فمادام رؤساؤهم صبيانا، فسوف يعتقد كل رجل أنه قادر على أن يوجه القضاة. وسوف يمسك الإنسان بآخر بالقوة ليقيمه «رئيسا»، وسوف يلح الإنسان على أخيه لكي يقبل ذلك. وسوف يعد من يملك لباسا أفضل من الآخرين أساسا لاختيار الرئيس. وكان من المعقول أن يقال: إنك تتميز بالحكمة والاستقامة والخبرة، ولذلك فأنت تكون رئيسنا. غير أنه أصبح مزحة أن يقال: «لك ثوب فتكون لنا رئيسا». وأولئك الذين يجبرون على قبول هذه المكانة سوف يمتنعون عن قبولها، لأنهم يعرفون أنهم لا يستطيعون القيام بمهام هذه الوظيفة (ع ٧): «يرفع صوته» (ويرفع يده إلى أعلى، وهي العادة القديمة للقسم) «لا أكون عاصبا... لا تجعلوني رئيس الشعب»، فالرؤساء يجب أن تكون لديهم الحلول، والرؤساء الأكفاء عليهم أن يدرسوا كيف يوحدون بين رعاياهم، وألا يوسعوا الخلافات القائمة بينهم. ولكن، لماذا يرفض أن يكون رئيسا؟ «في بيتي لا خبز ولا ثوب». كانت دلالة على الحالة المزرية للأمة، أنه ما من أحد كان يرغب في أن يتولى منصبا في الحكومة. ولقد قصد الله أن تصل الأمور إلى هذا الحد البالغ السوء، ولم يكن ذلك لأن نواياه ليست طيبة بالنسبة لهذه البلاد، بل «لأن أورشليم عثرت ويهوذا سقطت»، وهم المسئولون عن ذلك. فهم الذين جلبوا الدمار على رؤوسهم «لأن لسانهما وأفعالهما ضد الرب»، فهم انتهكوا ناموس الله بالقول والفعل. أغاظوه تحت سمعه وبصره، كما لو أنه كلما زادت

معرفتهم بمجده، زاد كبرياؤهم واستهانتهم به.

عدد ٩ - ١٥

الله يواصل حواره مع شعبه:

أولا: تخاصم الله معهم بسبب الخطية. فإذا ما كدروا أنفسهم، فليعلموا أنه عليهم ألا يلوموا سوى «نفوسهم»: «ويل لنفوسهم لأنهم يصنعون لأنفسهم شرا». (واحسرتاه على نفوسهم! (هكذا تُترجم) (ع ٩). لقد تمادوا في حماقتهم، والحماقة تقسي قلوب الناس عن التوبة. وكما نقول نحن، فإن هؤلاء الذين لم يعودوا يعرفون الخجل، تزول عنهم النعمة ومن ثم يفقدون الرجاء (ع ١٢) «مرشدوك (الرؤساء والكهنة والأنبياء) مضلون»، فهم يخدعونكم. وقضاتهم الذين كان من واجبهم الاهتمام بالمظلومين وحمايتهم، كانوا هم أنفسهم أعتى الظالمين (ع ١٤ و١٥). فشيوخ الشعب ورؤساؤه قد أكلوا «الكرم». فكرم الرب الذي كان يجب أن يفلحوه ويحفظوه، قاموا بحرقه (هذا ما تشير إليه الكلمة). ونرى الله يحاجج هؤلاء الرجال العظماء (ع ١٥): «مالكم تسحقون شعبي؟» هل تظنون أنكم أعطيتم السلطان لمثل هذا الغرض؟ إنكم «تطحنون وجوه البائسين»، فإنكم تعرضونهم للآلام والرعب كما لو كانوا يطحنون بين حجري الرحى.

ثانيا: كان الله نفسه هو المدعي في هذا النزاع (ع ١٣): «قد انتصب الرب للمخاصمة وهو قائم لدينونة الشعب»، من أجل أولئك الذين ظلموا. وسوف «يدخل في المحاكمة مع شيوخ شعبه ورؤسائهم» (ع ١٤). ليس بوسع أعظم الرجال أن يستثنوا أنفسهم من فحص وحكم ودينونات الله. ولقد ثبت الاتهام. انظروا المضطهدين الظالمين، ذلك أن «نظر وجوههم يشهد عليهم» (ع ٩)، وانظروا إلى المظلومين المضطهدين وسوف ترى على وجوههم ما يبين أنهم مسحوقون ومطحونون (ع ١٥). ولكي يعاقب الله أولئك الذين أساءوا استغلال السلطة التي أنيطت بهم نجده قد أقام عليهم من يفتقرون إلى المنطق والأهلية في استخدام سلطانهم: «شعبي ظالموه أولاد. ونساء يتسلطن عليه» (ع ١٢). رجال حكمهم على الأمور ضعيف للغاية، ويتسمون بعواطف هوجاء كالنساء والأطفال. فلو كانوا أبرارا، لانصلحت أمورهم، غير أنه إذا كانت الأمور سيئة لهم، فذلك لأنهم أشرار (ع ١٠ و١١). فحين تنفذ كل الأطعمة، فإنه في يوم المجاعة لن يجوع البار، بل سوف يتمتع بثمار عمله. هؤلاء الأبرار سوف تشهد لهم ضمائرهم بأنهم حفظوا أنفسهم طاهرين من الإثم، ولذلك فإن الكارثة العامة لا تكون هكذا لهم مثل الآخرين فثمة ويل قادم للأشرار فقط، وسوف يجنون ثمار شرهم.

عدد ١٦ - ٢٦

كانت مهمة النبي أن يبين لكافة نوعيات الناس ما أسهموا به في إثم الأمة، ونصيبهم الذي عليهم أن يتوقعوه من الدينونة الشاملة الوشيكة. ونراه هنا يوبخ بنات صهيون ويحذرهن:

أولا: الخطية المنسوبة لبنات صهيون (ع ١٦): وجه لهن الاتهام في أمرين هما: التشامخ والفجور. وقد كشفن عن ميولهن الشريرة بإيماءاتهن وطريقة سيرهن وهن متشامخات لأنهن «يمشين ممدودات الأعناق» حتى يظهرن طويلات القامة، عيونهن مليئة بالشهوة (خادعات، بحسب معنى الكلمة). وهن يمشين بخطوات متهادية ويتمايلن في سيرهن، حيث تمشين «خاطرات» أو كأنهم يرقصن أثناء السير. وهن «يخشخشن» في مسيرهن، حيث يضعون أجراسا صغيرة في أحذيتهن. هكذا كان حال بنات صهيون، اللواتي كن يجب أن يسلكن بهيبة ووقار تليقان بالنساء التقيات.

ثانيا: العقوبات التي ستقابل بها تلك الخطية، والتي تأتي متطابقة مع الخطية، كما يرى الإنسان وجهه مطابقا لشكله في المرآة (ع ١٧ و١٨).

(١) «يمشين ممدودات الأعناق»، ولكن الله «يصلع» هامتهن، الأمر الذي يخزيهن فلا يظهرن رؤوسهن، إذ يصبحن مجبرات لحلق شعورهن.

(٢) لم يكن يعنيهن الأموال الطائلة التي ينفقنها لاقتناء أثمن الملابس وأغلاها لكن الله سيضربهن بالفقر، والضيق، الأمر الذي لا يجدن معه ملابس كافية لستر عريهن.

(٣) كن فخورات للغاية بحليهن، غير أن الله سينزع عنهن هذه الحلي، حين تنهب بيوتهن، وتسلب

ثرواتهن، ثم يؤخذن هن أنفسهن إلى السبي. ليس بالأمر الهام على الإطلاق السؤال عن نوعية أدوات الزينة عندئذ، لأن هذه تتغير مع الوقت، وهكذا أسماؤها. ولنا أن نفترض أن كثيرا من هذه الأشياء كانت مدعاة للسخرية، ولو لم تكن مطابقة لموضة تلك الأيام لقوبلت بالتهكم والاستهزاء. أما تلك الملابس التي كانت لائقة ومحتشمة مثل «القمصان والعمائم والأزر» فلم تكن الحاجة تدعو إلى اقتنائها بمثل هذه الكثرة وهذا التنوع.

ثالثا: كن متأنقات في ملابسهن، غير أن الله سيجعل أجسامهن خزيا وعبئا عليهن (ع ٢٤)، «عوض الطيب» (آنية العطور والتعاويز، كما يسمونها) (ع ٢٠)، سوف تكون هناك «عفونة»، والملابس ستصبح قذرة نتيجة استعمالها مدة طويلة. وعوض «المنطقة» المطرزة تطريزا رائعا، والتي تستخدم كحزام للملابس، سوف يستخدم «حبل». «وعوض الجدائل قرعة»، حيث ينتف الشعر أو يحلق، كما هي العادة في أوقات المحن البالغة (إش ١٥: ٢؛ إر ١٦: ٦)، أو في العبودية المرة (حز ٢٩: ١٨). «وعوض الديباج» سيكون «زنار مسح»، كعلامة على الإذلال التام، «وعوض الجمال كيّ». فأصحاب البشرة الجميلة حين يؤخذون إلى السبي سوف يقتم لونها، وتلوحهم الشمس. ذلك لأن أحلى الوجوه هي التي تكون الأسرع في التعرض لأضرار الطقس. ومن كل هذا علينا أن نتعلم ألا نولع بكل ما هو زاه وثمين. ولن يكون هناك من يفتن بهن (ع ٢٥): «رجالك يسقطون بالسيف وأبطالك في الحرب». وحين يقطع حراس صهيون، لا يكون من الغريب أن «تئن وتنوح أبوابها» (ع ٢٦). والمدينة نفسها إذ تصبح مهجورة «تجلس على الأرض» كأرملة لا تريد أن تتعزى.

الأصحاح الرابع

يتضمن هذا الأصحاح:

أولا: تهديد بقلة الرجال وندرتهم (ع ١).

ثانيا: وعد باستعادة سلام أورشليم ونقائها وبرها وأمنها في أيام المسيا (ع ٢- ٦). وهكذا نجد أن الله في غضبه يتذكر رحمته.

عدد ١

نجد هنا نتيجة المذبحة العظيمة التي تعرض لها الرجال وعواقبها. وترتب العناية الإلهية بحكمتها أنه خلال سنوات يكون هناك عدد متساوٍ تقريبا من الذكور والإناث في العالم، إلا أنه نتيجة الدمار الذي أحدثته الحرب فإنه نادرا ما سيوجد رجل حي من بين كل سبعة رجال. وكما أنه توجد وفيات تصاحب ولادة الأطفال – وهو أمر قاصر على النساء، فهناك وفيات قاصرة على الرجال؛ وهؤلاء الذين يحصدون بالسيف ربما يكونون أكثر عددا من الوفيات نتيجة ولادة الأطفال والنبوءة هنا أن تمسك «سبع نساء برجل واحد». ونتيجة ندرة الرجال فإنه في حين أنه قد جرت العادة على أن يتودد الرجال إلى النساء، فإن النساء الآن سوف تمسكن بالرجال. وسوف توافق سبع نساء على أن تكن زوجات لرجل واحد– وفي حين أن الشريعة تفرض على الزوج أن يدبر لزوجته طعامها وملابسها (خر ٢١: ١٠)، إلا أن هؤلاء النسوة ستكن ملزمات بإعالة أنفسهن، وسوف يقلن «نأكل خبزنا ونلبس ثيابنا»، والرجل الذي يتوددن إليه لن يتحمل أية نفقات، وكل ما يردنه منه هو أن تدعين زوجاته، لينزع عارهن، الناجم عن عدم الزواج. فهن مستعدات أن يكن زوجات مهما كانت الشروط. كان كل همهن هو أن يحصلن على أزواج. لقد نسين الحياء. كان لهن العار بسبب الإثم والرذيلة، لا يعد شيئا إلى جانب عارهن بسبب عدم زواجهن.

عدد ٢- ٦

بدا الأمر كله مظلما بالتهديدات السابقة، ولكن ها هي الشمس تبزغ من وراء السحاب. فها نحن نجد في هذه الأعداد وعودا عظيمة وثمينة وفائقة، تعطي ثقة في العزاء والراحة، ومن المؤكد أنها تشير إلى ملكوت المسيح، والفداء العظيم الذي سيحققه، وهذا ما أشير إليه مجازيا باستعادة يهوذا وأورشليم، وبالإصلاح الذي تم في عصر حزقيا بعد آحاز، والعودة من السبي في بابل، والفقرة ربما تشير إلى كل من هذين الحدثين، غير أنها تشير بصفة خاصة إلى المسيح.

أولا: سوف يقيم الله غصنا بارا، يعطي ثمار البر (ع ٢): «في ذلك اليوم»، حين تدمر أورشليم، وتتشتت

www.DIFA3IAT.com

الأمة اليهودية، سوف يقام ملكوت المسيح.

(١) سوف يمجد المسيح نفسه، فهو «غصن الرب»، وهذا لقب من ألقابه النبوية «عبدي الغصن» (زك ٣: ٨؛ ٦: ١٢)، «قضيب من جذع يسى... وغصن من أصوله» (إش ١١: ١). جاء هذا العدد في الترجمة التفسيرية الآرامية: «مسيح (أو مسيا) الرب». سوف يرقى إلى ذاك المجد الذي كان له عند الآب قبل تأسيس العالم.

(٢) سوف يقبل الناس إنجيله: ونجاح الإنجيل هو من ثمار غصن الرب، فكل نعم الإنجيل وتعزياته تنبع من المسيح. ولكنه سمي «ثمر الأرض»، لأنه يبرز في هذا العالم. وقد نأخذ العبارة على أنها تعني الأشخاص والأشياء التي هي نتاج الإنجيل. فإذا كان غصن الرب جميلا ومجيدا في أعيننا، فإنه حتى ثمار الأرض ستكون أيضا رائعة وجميلة، لأننا سنأخذها حينذاك باعتبارها ثمر الوعد (مز ٣٧: ١٦؛ ١تي ٤: ٨).

ثانيا: سيحتفظ الله لنفسه ببقية مقدسة (ع ٣). ذلك أنه في حين أن الغالبية ستقطع مثل الأغصان الذابلة، نتيجة عدم إيمانهم، إلا أنه ستترك بقية تقية.

(١) وهذه البقية مثل المكتوبين بين الأحياء. فالذين ظلوا أحياء في أوقات القتل كتبوا للحياة في سفر العناية الإلهية «أسماؤهم مكتوبة.. في سفر حياة الخروف» (رؤ ١٣: ٨). وكل الذين كتبوا للحياة، سيوجدون بين الأحياء؛ لأن المسيح لن يفقد أحدا من كل الذين أعطوا له.

(٢) وهي بقية تحت النعمة، لأن كل من كتب «بين الأحياء» سوف «يسمى قدوسا»، وعلى ذلك سيقبله الله.

ثالثا: سوف يصلح الله كنيسته وسوف يقوم وينقي كل خطأ فيها (ع ٤). وكل من في هذه البقية سوف يسمى قدوسا حيث يغسل «السيد قذرهم»، يغسله بقطع الأشرار من بينهم، وبتطهير كل ما هو شرير. فأورشليم- على الرغم من أنها المدينة المقدسة- إلا أنها احتاجت إلى الإصلاح. ولعل عبارة «بنات صهيون» يقصد بها المدن والقرى التي تعد أورشليم المدينة الأم بالنسبة لها، والتي كانت في حاجة إلى الإصلاح. سوف تطهر كل النجاسة، لأن الشر نجاسة، ولاسيما سفك الدماء. والرب هو الذي سيفعل ذلك. فالإصلاح هو عمل الله، ولكن، كيف؟ عن طريق قضاء العناية الإلهية يأتي فناء الخطاة، لكن عن طريق روح نعمته يصلحون ويتغيرون. والروح هو الذي يضيء العقل، ويقنع الضمير، ويرشدنا، ويفصل بين الغث والسمين، حيث يحيي المشاعر الرقيقة وينشطها، ويجعل الناس غيورين في كل عمل صالح.

رابعا: سيحمي الله كنيسته، وكل من ينتمون إليها (ع ٥ و٦). فالذين تبرروا سوف يثبتون.

(١) سوف تحمي مظالهم (ع ٥)، مظال راحتهم، بيوتهم، حيث يعبدون الله مع عائلاتهم. والله يولي عناية خاصة بأماكن سكنى شعبه، سواء كان كوخا حقيرا أو قصرا فخما. محافلهم أو أماكن تجمعهم للعبادة- كل كنائس المسيحيين، حتى وإن اجتمع اثنان فقط أو ثلاثة معا باسم المسيح، فإنهم سيحظون بحماية خاصة من السماء. ووثيقة الحماية هذه صورت في تشبيه مأخوذ من السلام الذي كانت تنعم به خيام بني إسرائيل حين كانوا يتنقلون في البرية، والله هو نفسه بالنسبة لكنيسة العهد الجديد مثلما كان في السابق مع إسرائيل. وقد أخذ تشبيه من الغطاء الخارجي الذي كان يعمل من جلود كباش وحملان والتي كانت على ستائر خيمة الاجتماع، كما لو أن كل مسكن وكل محفل كان عزيزا لدى الله مثلما كانت خيمة الاجتماع عزيزة لديه. «على كل مجد غطاء»، ليحميه من الريح والطقس. وحقائق الإنجيل وفرائضه، والأسفار المقدسة والخدمة، هي مجد الكنيسة، وفوق كل هذا المجد يوجد غطاء. وإذا كان الله هو المجد الذي في وسطها، فسوف يكون هو نفسه سياجا من نار حولها، وهو سياج حصين لا يمكن اختراقه. والنعمة في النفس هي مجدها. أولئك الذين يحظون بهذه النعمة هم «بقوة الله محروسون» كما في قلعة حصينة (١بط ١: ٥). فقوة الله وصلاحه سيكونان مظلة لكل القديسين، والله نفسه سيكون ملجأهم (مز ٣٢: ٧)، وسوف يكونون معه في مسكنهم (مز ٩١: ٩). والله ملجأ لشعبه في جميع الأحوال.

الأصحاح الخامس

بين النبي في هذا الأصحاح باسم الله تعديات الشعب، والأحكام التي ستأتي عليهم بسبب خطاياهم:

أولا: يبين النعم والخيرات التي أعطاها الله بمثل لكرم غير مثمر، وكيف أنهم خذلوه فيما كان يتوقعه منهم، والخراب الذي يستحقونه (ع ١– ٧).

ثانيا: سرد الخطايا الشائعة بينهم مع تهديد بالقصاص الذي يتناسب مع هذه الخطايا:

(١) الطمع والجشع اللذان سيعاقبوا عليها بالمجاعة (ع ٨– ١٠).

(٢) السكر والعربدة (ع ١١ و١٢ و٢٢ و٢٣). اللذان بسببهما سوف يلاقون السبي (ع ١٣– ١٧).

(٣) الغطرسة وتحدي عدالة الله (ع ١٨ و١٩).

(٤) الخلط بين الفضيلة والرذيلة، وبذلك يقوضون مبادئ الدين (ع ٢٠).

(٥) الغرور (ع ٢١).

(٦) تعويج القضاء، الذي تهددوا بسببه بخراب عظيم وعام (ع ٢٤ و٢٥)، سوف يتمم بغزو أجنبي (ع ٢٦– ٣٠)، ولعل ذلك يشير إلى الدمار الذي أحدثه جيش سنحاريب، ليس بعد ذلك بكثير.

عدد ١ – ٧

لكي يوقظ الله الخطاة وينبههم إلى التوبة، تراه في بعض الأحيان يتحدث بعبارات واضحة وأحيانا عن طريق الأمثال. أحيانا يستخدم النثر وفي أحيان أخرى يستخدم الشعر كما في هذه الفقرة. والله الآب يملي هذه السطور من أجل مجد المسيح ابنه الحبيب الذي أقامه سيدا للكرم. والنبي يترنم بهذه القصيدة تكريما للمسيح. وكان أنبياء العهد القديم أصدقاء للعريس. والمسيح هو ابن الله الحبيب ومخلصنا المحبوب. وقد وضع هذا المثل في أنشودة حتى يكون أشد تأثيرا وحتى يمكن تعلمه وتذكره بسهولة، وحتى يمكن نقله بكل يسر إلى الأجيال التالية. هذا المثل شرح لترنيمة موسى (تث ٣٢)، حيث تبين أن ما تم التنبؤ به عندئذ، قد تحقق الآن.

أولا: الأمور العظيمة التي صنعها الله للأمة والديانة اليهودية: كانت التربة التي زرعوا فيها «أكمة خصبة» (أو قرن ابن الزيت)، كما جاء في الهامش. كان هناك رخاء، وكان هناك طعام شهي، لقد أكلوا هناك السمين وشربوا ما هو حلو. ولنلاحظ هنا ما فعله الله فضلا عن ذلك لهذا الكرم:

(١) سيج حوله. ولو لم يهدموا سورهم، لما انتهك أحد أرضهم (مز ١٢٥: ٢؛ ١٢١: ٤).

(٢) «نقى حجارته». قدم نعمته ليزيل القلب الحجري.

(٣) غرس فيه أفضل نوعية من الكرم، إذ أقام ديانة نقية بينهم.

(٤) بنى برجا في وسطه للدفاع عنه. هذا البرج هو الهيكل.

(٥) جعل فيه معصرة: أقام مذبحه، الذي كان يجب أن يؤتى إليه بالذبائح، كثمار الكرم.

ثانيا: خابت توقعاته العادلة: «فانتظر أن يصنع عنبا»، والله يتوقع ثمار الكرم من أولئك الذين يتمتعون بمميزات الكرم. فالأهداف الطيبة والبدايات الحسنة هي أمور طيبة، غير أنها لا تكفي، إذ لابد من الثمر. لابد من وجود قلب نقي، وحياة صالحة، وثمر للكرم من أفكار، ومشاعر، وكلمات، وأفعال يقبلها الروح. ولكن خابت كل توقعاته: «فصنع عنبا رديئا».

(١) الثمر الرديء هو نتاج الطبيعة الرديئة.

(٢) الثمر الرديء هو الرياء في الدين، الذي له شكل العنب الشهي.

ثالثا: التماسه لهم أن يحكموا بأنفسهم، ما إذا كان يجب تبرير الله وإدانتهم (ع ٣ و٤): «والآن يا سكان أورشليم ورجال يهوذا احكموا بيني وبين كرمي»، وهنا نرى تحديا.. ما الذي لم يفعله الله لهم: «ماذا يصنع أيضا لكرمي وأنا لم أصنعه؟» كان لديهم كل ما يلزم لهم. لماذا وما هو الداعي لأن يعطي الكرم «عنبا رديئا» في الوقت الذي كنت أنتظر أن يصنع عنبا جيدا؟

رابعا: أُعلن مصيرهم وصدر الحكم ضدهم (ع ٥ و٦): فنظرا لأنه لا يمكن تقديم أي عذر لهذه الجريمة أو منع هذا الحكم، «فالآن أعرفكم ماذا أصنع بكرمي». فلن أدع أمره يزعجني أكثر من ذلك، وخلاصة القول، لن أتركه ليكون كرما بعد، بل سيتحول إلى خراب: فسوف تنتفي جماعة اليهود «أنزع سياجه» وبعد ذلك

www.DIFA3IAT.com

يصبح أرضا جرداء. سوف ينزع الله كل دفاعاتهم ويصبحون فريسة سهلة لأعدائهم. ولن تكون لهم بعد صورة الكرم، شكل الجماعة وهيئتها وكل المنتمين إليها، بل سيدمر هذا الكرم ويترك خرابا. فأفضل لمن لا يعطون ثمرا جيدا ألا يعطوا شيئا على الأطلاق، فلعنة الجدب هي عقاب لخطية إنعدام الثمر. ولقد تحقق هذا بصفة جزئية في خراب أورشليم على يد البابليين، أما تحقيقه الكامل فتمثل في الرفض النهائي لليهود، ويتكرر هذا العقاب مرارا عندما يفارق روح الله الذين يقاوموه مده طويلة.

خامسا: شرح هذا المثل، أو مفتاح شرحه (ع ٧): «كرم رب الجنود هو بيت إسرائيل»، مجموع الشعب الذي اندمج في جماعة واحدة ورعية واحدة، وغرس بهجته «رجال يهوذا»، وقد تعامل مع هؤلاء بكرم شديد، وقد انتظر منهم عائدا مناسبا. العنب الذي كان متوقعا، والعنب الرديء الذي أنتج: لقد «انتظر حقا... وعدلا»، انتظر أن يكون الناس أمناء وأن يقيم القضاة العدل بكل صرامة. وكان عدلا أن يتوقع ذلك منهم، غير أن الواقع كان على النقيض من ذلك تماما، فعوضا عن الحق كانت قسوة الظالمين، وعوضا عن العدل كانت صرخات المطحونين.

عدد ٨- ١٧

محبة العالم وشهوات الجسد، هما الخطيتان اللتان يعلن النبي هنا الويل عليهما باسم الرب. وكانت هاتان الخطيتان سائدتين بين رجال يهوذا، وتشكلان بعضا من العنب الرديء الذي أثمروه (ع ٤).

أولا: هنا ويل لأولئك الذين تتمكن من قلوبهم الثروة العالمية (ع ٨): «للذين يصلون بيتا ببيت ويقرنون حقلا بحقل حتى لم يبق موضع»، لم يتركوا موضعا لأحد لكي يسكن إلى جوارهم. ولو كان بوسعهم لاستأثروا بالممتلكات والنجاح لأنفسهم. كانوا مفرطين في رغبتهم في الثراء، ولهذا لم يكن يعينهم الآخرين في شيء. ولا يبالون بالمصاعب التي يتسببون فيها لكل من يتسلطون عليهم، أو الوسائل الشريرة التي يتبعونها لتكديس ثرواتهم. وسوف يعاقبون عن ذلك بأن تخرب بيوتهم وحقولهم (ع ٩ و١٠)، فسوف تهجر البيوت التي شغفوا بها، وسوف تظل خربة لمدة طويلة: «بيوتا كبيرة وحسنة بلا ساكن»، فسكانها سوف يقطعون بالسيف أو المجاعة أو الوباء، أو يؤخذون إلى السبي. هناك مثل يقول: الحمقى يبنون بيوتهم ليسكنها الحكماء، إلا أنه في بعض الأحيان، وكما اثبتت الأحداث، فإنها تبنى لكي لا يسكنها أحد على الإطلاق. والحقول التي يتباهون بها ستكون غير مثمرة (ع ١٠): «لأن عشرة فدادين كرم» تعطي عنبا لا يكفي سوى لأن «تصنع بثا واحد» من الخمر (أي ما يعادل ثمانية جالونات تقريبا)، «وحومر بذار» (أي ما يقرب من بذار قدرها ثمانية جالونات) لن يصنع سوى «إيفة»، وهي عشر الحومر، وبذلك لن يكون لهم أكثر من عشر البذار التي زرعوها.

ثانيا: هنا ويل لأولئك الذين يولعون بالملذات الحسية (ع ١١ و١٢). تلك التي تدمر الإنسان بلا أدنى شك، شأنها في ذلك شأن الانهماك في الأمور الدنيوية والظلم والاضطهاد. والخطاة الذين وجه لهم هذا الويل هم الذين أدمنوا شرب الخمر، فهم يعاقرون الخمر طوال اليوم، «للمتأخرين في العتمة تلهبهم الخمر» تلهب شهواتهم. وهم لا يقيمون أي اعتبار لعمل شيء جاد: «إلى فعل الرب لا ينظرون»، ليس لديهم اعتبار لقوته وحكمته وصلاحه، وذلك في المخلوقات التي يسيئون استعمالها ولا لصلاح تدبيراته الإلهية التي تجلت في إعطائهم هذه الأشياء الطيبة التي جعلوها طعاما ووقودا لشهواتهم. والنبوة هنا أنهم سيُرسلون إلى النفي، فالأرض ستنبذ هؤلاء السكارى (ع ١٣): «لذلك سبي شعبي لعدم المعرفة». وكيف يفهمون وهم بإفراطهم في المسكر جعلوا من أنفسهم حمقى وسكيرين؟ يجب أن يضربوا بالفقر، حتى يحتاجوا إلى الأشياء التي بددوها وأفرطوا في سوء استخدامها: «وتصير شرفاؤه رجال جوع وعامته يابسين من العطش» وسوف يقطع غالبيتهم بالجوع والسيف (ع ١٤): «لذلك وسعت الهاوية نفسها». فأماكن الدفن العادية ضاقت بالموتى، لأن هناك كثيرين جدا منهم، والمطلوب دفنهم، الأمر الذي سيجبرهم على توسيعها. فيتحتم أن يُزلوا ويُحتقروا، وتُطرح كل كرامتهم في التراب. وسوف يتمجد الله (ع ١٦). وسوف يتعالى في الحق والعدل اللذان يتسم بهما هذه التدبيرات. والناس الصالحون سيلقون كل نجدة وعون

(ع ١٧): «وترعى الخرفان حيثما تساق»، الودعاء الذين تبعوا الحمل، والذين تم اضطهادهم وترويعهم على أيدي هؤلاء الظلمة المتكبرين، سوف يُطعمون في هدوء، ولن يوجد ما يخيفهم. وسوف تكون البلاد جرداء، وتصبح نهبا للجيران: «تأكلها الغرباء». فهؤلاء الأغنياء الذين عاشوا متنعمين، سوف يأكل الغرباء ممتلكاتهم.

عدد ١٨- ٣٠

أولا: وصفت هنا بعض الخطايا التي سوف تجلب الدينونة ضد رجال يهوذا الذين عاشوا في ذلك الحين، وعلى الرغم من أنها تتعلق بهم أساسا إلا أنه قصد بها أن تكون تحذيرا لكل الناس في كافة العصور. أما الذين قيل عنهم هنا أنهم في حالة يرثى لها فهم:

(١) أولئك الأشداء في تحقيق أغراضهم الشريرة (ع ١٨): «للجاذبين الإثم بحبال البطل»، الذين يبذلون جهدا كبيرا في ارتكاب الخطية، مثل المواشي التي تجذب كجماعة. هم يظنون في أنفسهم أنهم على ثقة من تحقيق خطتهم الشريرة كما لو كانوا يجذبونها تجاههم بحبال قوية، ولكنهم سيكتشفون أنها «حبال البطل» تتمزق عند تعرضها لأي جهد. والذين يرتكبون الخطية من خلال ضعفهم يجذبون بواسطة الخطية، والذين يقترفونها بجرأة يجذبون إليهم الإثم، على الرغم من اعتراض العناية الإلهية، ووخزات الضمير. والبعض بالخطية يجذبون دينونة الله على رؤوسهم كما لو كان ذلك بحبال قوية.

(٢) أولئك الذين يتحدون عدالة الله، ويدعون القدير لأن يفعل ما في وسعه (ع ١٩): «ليعجل عمله لكي نرى». لقد سخروا من الأنبياء واستهزأوا بهم. لم يصدقوا الإعلان الإلهي الخاص بغضب الله ما لم يرونه قد نُفذ. فإذا ما ظهر الله ضدهم كما هددهم، يظنون أنه في وسعهم أن يقوموا بدورهم على خير وجه تجاهه. لقد سمعنا كلمته، ولكن هذا كله مجرد كلام، عندما يعجل عمله، فسوف نحمي أنفسنا تماما.

(٣) أولئك الذين يخلطون بين السلوك الحسن وبين الشر «القائلين للشر خيرا وللخير شرا» (ع ٢٠). والذين يستحسنون السكر، والطمع ويطلقون عليهما الصفات الحسنة، ومن الجهة الأخرى يسمون الجدية سوء طبع، ويقولون شرا كاذبين فيما يختص بالتقوى. هؤلاء يسيئون إلى الله، وإلى الدين وإلى ضميرهم ونفوسهم ونفوس الآخرين إساءة بالغة.

(٤) أولئك الذين على الرغم من ارتكابهم لأخطاء جسيمة إلا أنهم يُغالون في مقدرتهم للحكم الصائب على الأمور (ع ٢١): فهم «حكماء في أعين أنفسهم»، ويعتقدون أنه بمقدورهم أن يتفوقوا على الحكمة غير المحدودة ويستطيعون مقاومة العناية الإلهية نفسها.

(٥) أولئك الذين يتشدقون بأنهم قادرون على أن يشربوا كمية كبيرة من الخمر القوية دون أن تسيطر عليهم (ع ٢٢)، الذين هم أبطال «على شرب الخمر»، ويسخرون قواهم في خدمة شهواتهم. والسكارى- ناكرو فضل الله- يسيئون استخدام قوتهم البدنية، التي منحها لهم الله لاستخدامها في مقاصد حسنة، وهم شيئا فشيئا لا يعملون إلا على إضعافها.

(٦) أولئك الذين- باعتبارهم قضاة- يعوجون القضاء (ع ٢٣). «يبررون الشرير من أجل الرشوة»، ويوجدون ذريعة أو أخرى ليبرئوه من إثمه ويحموه من العقوبة، وفي نفس الوقت يدينون البريء: «وأما حق الصديقين فينزعونه منهم».

ثانيا: وصف للأحكام التي تجلبها هذه الخطايا: فالله البار سوف ينتقم (ع ٢٤- ٣٠). وسبق أنه شبه هذا الشعب بكرم (ع ٧) كان يرجى أن يصنع ثمرا طيبا، ولكن نعمة الله لم تعمل فيهم وأصبح «أصلهم كالعفونة»، حيث جف من أسفل وصعد الزهر كالغبار. فالخطية تضعف قوة وأصل الشعب، ولذلك من السهولة استئصالهم، وهي تشوه الجمال، زهر الشعب، وتنزع الرجاء في الثمر. والخطاة يحولون أنفسهم إلى قش وعصافة. لذلك «كما يأكل لهيب النار القش» هكذا تُلتهم العصافة، دون معونة أو شفقة. الله لا يرفض الناس من أجل كل انتهاك لناموسه وكلمته، ولكن حين تُحتقر كلمته ويُهجر ناموسه، فما الذي ينتظرونه سوى أن الله يتخلى عنهم تماما؟ وعدالة الله هي التي تفعل ذلك، لأن هذا هو غضب الرب الذي «حمي.. على شعبه»، وهذه هي دينونته التي استلزمها هذا السلوك: «ومد يده عليه وضربه».

هذه اليد التي كثيرا ما امتدت من أجلهم ضد أعدائهم امتدت الآن عليهم. وحين يأتي الله بغضب ضد شعب ما ترتعد الجبال ويتملك الخوف عظماءهم. وأي منظر يمكن أن يكون أكثر رعبا من منظر جثث الرجال وهي مطروحة [«كالروث» (هكذا معنى الكلمة في الهامش) «في الأزقة»].

وهذا ما يشير إلى أن جماهير غفيرة ستذبح، ليس الجنود في المعركة فحسب، بل إن سكان مدنهم يسقطون بالسيف، ولن يجد الناجون عزيمة ولا شجاعة للقيام بدفنهم. وهذا الخراب لابد وأن يتم على يد عدو أجنبي، يدمر كل شيء، فالذين يخافون الله لن يُستخدموا لتحقيق مشورته. فإذا رفع الله راية ما، يستطيع أن يستميل قلوب الناس حتى يجندوا أنفسهم تحت هذه الراية، على الرغم من أنهم قد لا يعرفون السبب أو الكيفية. «فإذا هم بالعجلة يأتون سريعا». وقد وصف هذا الأمر هنا بتعبيرات رائعة عظيمة (ع ٢٧- ٣٠).

وعلى الرغم من أنهم يسيرون مسافات طويلة فإنه «ليس فيهم رازح». على الرغم من أنهم قد يضطرون إلى السهر المستمر، إلا أنهم «لا ينعسون ولا ينامون».

ولا يرغبون في راحة أو استرخاء، ولن يخلعوا ملابسهم «ولا تنحل حُزُم أحقائهم»، بل سيلبسوا مناطق أحقائهم دائما ويتقلدوا سيوفهم. «ولا تنقطع سيور أحذيتهم»، والتي عليهم أن يمكثوا لإصلاحها (كما ورد في يشوع ٩: ١٣). ستكون أسلحتهم وذخائرهم ثابتة وفي حالة رائعة، «سهامهم مسنونة وجميع قسيهم ممدودة». وخيولهم ومركباتهم الحربية ستكون مهيأة للخدمة. فخيولهم قوية حتى إن حوافرها «تحسب كالصوان»، وعجلات مركباتهم، ليست مكسورة أو مرضوضة، بل هي سريعة «كالزوبعة». وكل الجنود ستكون جريئة جسورة (ع ٢٩): «لهم زمجرة كاللبوة» والتي بزئيرها تنهض نفسها، وتثير الفزع في كل من هم حولها. «يهرون عليهم... كهدير البحر» في العاصفة. ولن يكون ثمة أقل احتمال لنجدة أو معونة. وإذا ما أظلم النور في السماء، فيالهول تلك الظلمة. وإذا ما حجب الله وجهه، فلا عجب أن تخفي السماء وجهها وتبدو عابسة.

الأصحاح السادس

إلى هنا لم يكن لإشعياء سوى تفويض ضمني افتراضي، ولعله إذا رأى أنه لم يحقق نجاحا كبيرا فيه، لذلك بات يفكر في التخلي عنه، وعلى هذا فقد رأى الله أن من المناسب أن يجدد له إرساليته بطريقة تعمل على إشعال حماسته، على الرغم مما بدا له أن تعبه كان باطلا.

ونجد في هذا الأصحاح:

أولا: رؤيا لإشعياء عن مجد الله (ع ١- ٤)، والرعب الذي سببته له هذه الرؤيا (ع ٥)، زوال خوفه بعد تأكيد الرب له على مغفرة خطاياه (ع ٦ و٧).

ثانيا: تكليفه بالذهاب في إرسالية كنبي موفد من الله (ع ٨)، كارزا لغير التائبين (ع ٩- ١٢)، واستبقاء الرحمة لبقية تقية (ع ١٣). ولقد رأى هذه الأمور وسمعها كنبي إنجيلي.

عدد ١ – ٤

الرؤيا التي رآها إشعياء- الذي كان كصموئيل حين قيل عنه أنه «أؤتمن... نبيا للرب» (١صم ٣: ٢٠)- كانت تهدف إلى تثبيت إيمانه. وهكذا أيضا ظهر الله أولا كإله المجد لإبراهيم (أع ٧: ٢)، ثم لموسى (خر ٣: ٢)، وكذلك تبدأ نبوات حزقيال، والقديس يوحنا برؤى عن المجد الإلهي. وأولئك الذين عليهم أن يعلموا الآخرين معرفة الله، يجب أن يتعرفوا هم عليه بالأولى. كانت الرؤيا «في سنة وفاة عزيا الملك»، والذي حكم كأي من ملوك يهوذا مدة تزيد على الخمسين سنة. وفي الوقت الذي مات فيه عزيا، رأى إشعياء هذه الرؤيا حيث كان الله جالسا على «كرسي عال». فملوك إسرائيل يموتون، لكن إله إسرائيل حي لا يموت. وقد مات عزيا الملك بمرض الجذام لكن ملك الملوك لا يزال جالسا على كرسي مجده.

أولا: رأى الله على عرشه، وهو عرش «عال ومرتفع»، ليس فقط فوق كل العروش الأخرى باعتباره يسمو عليها، بل فوقها لأنه يسود عليها. وإشعياء لم ير «يهوه»- جوهر الله (لأنه ما من إنسان رأى الله، أو يستطيع أن يراه)، بل «أدوناي» أي سيادته. رأى الرب يسوع، هكذا فسرت هذه الرؤيا في يوحنا ١٢: ٤١، بأن إشعياء في هذه الرؤيا رأى مجد المسيح. رأى

www.DIFASIAT.com

سلطان الملك الأزلي الأبدي: رآه «جالسا على كرسي» هو عرش المجد، الذي يجب أن نسجد أمامه، إنه عرش للسيادة الذي يجب أن نخضع له وهو عرش للنعمة، علينا أن نتقدم إليه بثقة.

ثانيا: رأى هيكله، كنيسته على الأرض، مليئة بمظاهر مجده. وكانت «أذياله تملأ الهيكل»، تملأ العالم كله (لأن العالم كله هيكل الله)، أو بالأحرى الكنيسة التي امتلأت، وأثريت وجملت بعلامات الحضور الإلهي.

ثالثا: رأى الملائكة المباركين وهم مضيئون حول عرشه (ع ٢): «السرافيم واقفون فوقه»، الملائكة المقدسون الذين يسمون سرافيم، المضرَمون نارا، لأنه الصانع «خدامه نارا ملتهبة» (مز ١٠٤: ٤). وهم يشتعلون حبا في الله، وحماسة لمجده وضد الخطية. إنه مجد للملائكة أن يكونوا «سرافيم»، لهم حمية وحماسة ملائمة لنورهم، ولهم فيض ليس من المعرفة الإلهية فحسب، بل من الحب المقدس. ولكل واحد منهم «ستة أجنحة»، ليست مبسوطة من فوق كتلك التي رآها حزقيال، (حز ١: ١١)، بل أربعة منها للغطاء، فالجناحان العلويان يغطون بهما وجوههم، وبالجناحين السفليين يغطون أرجلهم. وهذا ما يشير إلى تواضعهم ووقارهم العظيمين، فهم لا يغطون أرجلهم فقط، بل وجوههم أيضا. ويستخدمان جناحان للطيران، وحين يكلفهم الله بمهمة ما فإنهم يطيرون بسرعة (دا ٩: ٢١). وهذا يعلمنا أن نعمل عمل الله بفرح وسرعة.

رابعا: هنا نسمع التسبحة التي رنمت بها الملائكة تمجيدا لذاك الجالس على العرش (ع ٣). فبكل حماسة كانوا يصرخون وينادون معا «هذا نادى ذاك» بدون أدنى نشاز يسيء إلى التناغم. والتسبحة هي نفسها التي ترنمت بها الحيوانات الأربعة الأحياء في رؤيا ٤ : ٨. فالكنيسة السمائية تردد نفس هذه التسابيح، وليس ثمة تغيير في الأزمنة أو السمات المميزة. وهنا نجد تسبيحا لأعظم ألقابه المجيدة، فهو «رب الجنود»، وإحدى أعظم سجاياه المجيدة، وهي «قداسته». فالقوة دون القداسة التي توجهها تصبح رعبا للبشرية. وقوة الله (عزته) نطق بها مرتين في مزمور ٦٢: ١١، غير أن قداسته نطق بها ثلاث مرات.. «قدوس قدوس قدوس»، ولعل ذلك يشير إلى الأقانيم الإلهية الثلاثة. قدوس الآب، قدوس الابن، قدوس الروح القدس (لأنه ذكر بعد ذلك في الآية ٨ «من يذهب من أجلنا»). أو لعل ذلك من أجل «الكائن والذي كان والذي يأتي»، «مجده ملء كل الأرض»، مليئة من مجد قوته وقداسته لأنه «رحيم في كل أعماله» (مز ١٤٥: ١٧).

خامسا: نلاحظ هنا علامات الرعب التي ملأت الهيكل عند هذه الرؤيا الخاصة بالمجد الإلهي (ع ٤): فاهتز البيت، بل «فاهتزت أساسات العتب من صوت الصارخ». لقد أظلم البيت «وامتلأ البيت دخانا». وفي الهيكل السمائي، كل شيء يرى بوضوح. فهناك يسكن الله في نور، أما هنا فهو «يسكن في الضباب» (٢أخ ٦: ١).

عدد ٥ - ٨

أولا: الذعر الذي تملك النبي نتيجة الرؤيا التي رأى بها مجد الله (ع ٥): «فقلت ويل لي». ولعل أحدا يعتقد بأنه كان عليه أن يقول: «يا لسعادتي، لا شيء سيزعجني الآن». غير أنه على العكس من ذلك قال «ويل لي إني هلكت».

(١) ما الذي أضفى هذا الرعب على النبي: «إني هلكت لأني إنسان نجس الشفتين». يعتقد البعض أنه هنا يشير بصفة خاصة إلى كلمة خاطئة تفوه بها، أو إلى خطأه لصمته عن عدم توبيخه الخطية بشجاعة. غير أن العبارة يمكن أن تؤخذ بمعنى عام: «أنا خاطئ» ولاسيما بكلامي. وكلنا لدينا سبب يدعونا إلى أن نبكي ونحتجب أمام الرب إذ أننا:

أ. نحن أنفسنا ذوي شفاه نجسة، فشفاهنا لم تقدس لله. ولسنا مستحقين أن نردد اسم الله على شفاهنا. ونجاسة شفاهنا يجب أن تكون سبب حزن لنفوسنا، لأننا بكلامنا نتبرر وبكلامنا ندان أيضا.

ب. نحن نسكن وسط أناس بمثل حالنا فمرض الخطية وراثي ومنتشر، وهذا ليس مبررا يقلل معه ذنبنا بل على العكس، يجب أن يزيد من حزننا، إذ أننا لم نعمل على تطهير تلوث شفاه الآخرين، لكننا على النقيض من ذلك تعلمنا طرقهم وتكلمنا لغتهم، كما

تعلم يوسف في مصر الحلف الذي كان يحلف به رجال الحاشية (تك ٤٢: ١٦).

(٢) ما الذي أثار فيه هذه الأفكار المحزنة: «لأن عيني قد رأتا الملك رب الجنود». إننا هالكون ما لم يكن هناك وسيط بيننا وبين هذا الإله القدوس (١ صم ٦: ٢٠). وهكذا أُذل إشعياء لكي يُعد للكرامة التي سيدعى إليها كنبي.

ثانيا: تهدئة مخاوف النبي بكلمات معزية، أجابه الملاك بها (ع ٦ و٧). فقد طار إليه بسرعة واحد من السرافيم لكي يطهره. الذين تروعهم رؤى مجد الله، سوف تعاد الطمأنينة ثانية إليهم بافتقاد النعمة لهم. وهنا نرى واحدا من السرافيم يصرف مؤقتا من أمام عرش مجد الله، لكي يكون رسول نعمته إلى رجل صالح، ومن ثم أتاه طائرا. وحتى بالنسبة لربنا يسوع المسيح نفسه في آلامه في جثسيماني «ظهر له ملاك من السماء يقويه» (لو ٢٢: ٤٣). كانت بيد السرافيم «جمرة... من على المذبح»، ومس بها شفتيه لكي يطهرهما. والروح القدس المبارك يعمل كنار (مت ٣: ١١). لقد وضع السرافيم حياة في النبي، لأن الطريقة التي يطهر بها الشفتان من نجاسة الخطية هي إشعال الروح بمحبة الله. إن هذه قد مست شفتيك لكي تطمئنك. أنه قد «انتزع إثمك وكفر عن خطيتك». ولقد أزيل إثم خطيتك بالرحمة الغافرة، إثم خطايا اللسان. فميلك الفاسد إلى الخطية تم إزالته بالنعمة المجددة، ومن ثم فلا شيء يحول بينك وبين قبولك أمام الله كعابد له، أو من استخدامك كرسول من الله لبني الإنسان.

ثالثا: تجديد إرسالية النبي (ع ٨)، وهنا اتصال بين الله وإشعياء، كيف لنا أن نتوقع أن يتكلم الله من خلالنا ما لم نكن قد سمعناه يتكلم معنا؟ هنا نرى الله يفكر في نفسه: «من أُرسل ومن يذهب من أجلنا؟» وهو بهذا يعلمنا أن إرسال الخدام عمل لا يجب الإقدام عليه دون تفكير واع. وإنه لمما يضفي كرامة على الخدمة أن الله حين يرسل نبي لكي يتكلم باسمه، نراه يظهر في ملء مجده في الأعالي. «من أُرسل»، مما يشير إلى أنه بصدد أن يرسل لهم نبيا من إخوتهم (عب ٢: ١٧). الله يجد مسرته في أن يبعث لنا بفكره عن طريق أناس مثلنا، هم أنفسهم يهتمون بالرسالة التي يحملونها. فالذين يعملون في كرم الرب هم خطاة وتحت الآلام مثلنا، فمن هو كفؤ لهذه الأمور؟ إن مثل هذه الدرجة من الشجاعة والاهتمام بنفوس الناس، وكذلك هذا الإدراك لأسرار ملكوت السماوات هي من الأمور النادرة الوجود. وليس لأحد أن يتكلم باسم الله إلا أولئك الذين يرسلهم الله (رو ١٠: ١٥)؛ فتكليف الناس بالخدمة هو من عمل المسيح (١تي ١: ١٢). لقد بدت الدعوة إلى الخدمة هنا وكأنها توسل، غير أن إشعياء تقدَّم لقبول الدعوة معلنا أنه سيذهب ويترك النجاح في يد الله.. «هأنذا أرسلني». وفي قوله: «هأنذا» يظهر مدى استعداده للذهاب طوعا غير مُجبَر على الخدمة، مستعدا لمواجهة أعتى الصعاب «جعلت وجهي كالصوان».

عدد ٩ – ١٣

صدق الله على كلام إشعياء، وهو هنا يرسله في مهمة غريبة– وهي أن يتنبأ بهلاك شعبه، بل ويهيئهم لهذا الهلاك. وكان هذا ليرمز إلى حالة الأمة اليهودية في أيام المسيح، حين يرفضون الإنجيل بكل عناد، ومن ثم يرفضهم الله. ولقد اقتبست هذه الأعداد بشكل جزئي، أو أشير إليها ست مرات في العهد الجديد. ولقد أعطي إشعياء هنا أن يفهم هذه الأمور الأربعة.

(١) إن معظم الناس الذين أرسل إليهم سيصمون آذانهم عن سماع كلامه، وسيعمدون إلى أن يغمضوا عيونهم أمام كل الإعلانات الإلهية عن فكر الله ومشيئته التي سيعلنها لهم (ع ٩).

(٢) إن حالهم لن يؤول إلى الأفضل بخدمته، بل سيتردى إلى الأسوأ، فالذين يفقدون بصيرتهم بعناد، يجب أن يلحق بهم العمى كعقوبة (ع ١٠). لن يفهموا أو يدركوا ما تقوله، وعلى ذلك فسيكون من نتيجة خدمتك أنه «غلظ قلب هذا الشعب» تبلد حسه، واندفع في شهواته. «وثقل أذنيه وأطمس عينيه» بشكل أشد، ولذلك فإن عودتهم إلى الله في النهاية، ثم توبتهم أصبحت مستحيلة تماما. فحتى كلمة الله تكون في أحيان كثيرة وسيلة لتصلب قلب الخطاة.

(٣) إن من شأن ذلك أن يأتي خرابهم الكامل (ع ١١ و١٢). ويتساءل النبي: «إلى متى أيها السيد» (وهذا سؤال مقتضب)، هل سيظل الحال على هذا

www.DIFA3IAT.com

المنوال؟ وهل يتعين عليَّ وغيري من الأنبياء أن نبذل دائما جهودنا بينهم دون طائل؟ وإجابة على هذا التساؤل أخبر بأن ذلك سينتهي إلى الخراب النهائي للأمة اليهودية «تصير المدن خربة بلا ساكن... وتخرب الأرض وتقفر». (مقفرة بسبب الدمار كما جاء في الهامش). والدينونات الروحية كثيرا ما يتبعها دينونات زمنية بالنسبة للأشخاص والأماكن. وقد تحقق هذا جزئيا بدمار أورشليم على يد البابليين، غير أن النبوات السابقة إذا طبقت بشكل واضح في العهد الجديد على اليهود في أيام مخلصنا، فلا ريب أن هذه تشير إلى الدمار النهائي لذلك الشعب على إيدي الرومانيين.

(٤) إنه على الرغم من ذلك ستحفظ بقية كشاهد على رحمة الله (ع ١٣): «وإن بقي فيها عشر»، عدد معين، ولكنه قليل جدا بمقارنته بالأعداد الغفيرة التي ستهلك لعدم إيمانها. وبالنسبة لهذا العشر، أي هذه البقية التي ستخلص، ذكر هنا بشأنها الآتي:

أ. إنهم سيعودون (إش ٦: ١٣؛ ١٠: ٢١)، سيرجعون عن الخطية ويعودون إلى الله والواجب. سيعودون من السبي إلى أراضيهم.

ب. سوف يؤكلون، بمعنى أنهم سيقبلون من الله مثل العشور، التي كانت طعاما في بيت الله (ملا ٣: ١٠).

ج. إنهم سيكونون مثل أشجار الغابات في الشتاء، بها حياة على الرغم من أنه ليس لها أوراق: «كالبطمة والبلوطة التي وإن قطعت فلها ساق». هكذا أيضا بالنسبة لهذه البقية، فعلى الرغم من أنه سينزع منها ازدهارها الخارجي، إلا أنهم سيستردون أنفسهم، كالشجر في الربيع، ويزدهرون ثانية.

د. إن هذه البقية المميزة ستكون السند والدعم لخير الجميع. «زرعا مقدسا» في النفس التي هي جوهر الإنسان، أساس النعمة في القلب سيحفظ الحياة، «كل من هو مولود من الله... زرعه يثبت فيه» (١يو ٣: ٩). وكما أن الأشجار التي تنمو على جانبي الطريق المرتفع (ممشاه تصل بين قصر الملك والهيكل، ١مل ١٠: ٥) هي التي تدعم الطريق المرتفع والتي بدونها ينهار، هكذا أيضا البقية المقدسة التي تتكون من أناس جادين، مصلين، هي دعامة الدولة، وتساعد على بقاء الأمور في نطاقها الصحيح وتنقذهم من الهلاك التام.

الأصحاح السابع

هذا الأصحاح هو عظة خاصة يشير فيها النبي إلى الرحمة وكذلك الدينونة لأولئك الذين لا يدركون أو يفهمون كليهما.

ويتضمن الأصحاح:

أولا: الرعب الذي تملك آحاز لمحاولة القوات المتحالفة من أرام وإسرائيل اقتحام أورشليم (ع ١ و٢).

ثانيا: التأكيد الذي بعث به الله على لسان النبي لتشجيعه وإخباره بأن المحاولة سيكون مصيرها الفشل وسوف تحفظ أورشليم آمنة (ع ٣- ٩).

ثالثا: تأكيد ذلك بآية أعطاها الله لآحاز (ع ١٠- ١٦).

رابعا: تهديد بالخراب الهائل الذي سيجلبه الله على آحاز ومملكته بواسطة الأشوريين- على الرغم من نجاتهم من هذه العاصفة الحالية- لأنهم استمروا في شرهم (ع ١٧- ٢٥).

عدد ١ - ٩

تجددت إرسالية إشعياء النبي في سنة وفاة عزيا الملك (إش ٦: ١). وحكم بدلا منه يوثام، وهذا الأخير حكم جيدا مدة ستة عشر عاما. ولا ريب أن إشعياء طوال هذه الفترة كان يتنبأ بحسب ما يؤمر به، ومع ذلك لا نجد في هذا السفر أيا من نبواته قد أرخت في عهد يوثام، غير أن هذه النبوة التي كتبت أولا، كانت في أيام آحاز بن يوثام.

أولا: اشترك رصين ملك أرام وفقح ملك إسرائيل في وضع مؤامرة خطيرة ضد أورشليم، علما بأن فقح سبق له القيام بعدة هجمات ضد يهوذا (٢مل ١٥: ٣٧). أما الآن، وفي السنة الثانية أو الثالثة من حكم آحاز، فقد دخلا في تحالف ضد يهوذا، ولأن آحاز بدأ حكمه بالوثنية رغم أنه وجد السيف مسلطا على رأسه «فدفعه الرب إلهه ليد ملك أرام... ودفع أيضا ليد ملك إسرائيل» (٢أخ ٢٨: ٥). وإذ انتشيا بهذا الانتصار صعدا إلى أورشليم لكي يحاصراها.

ثانيا: المحنة العظيمة التي وجد آحاز وحاشيته أنفسهم فيها حين أخبرا بموضوع هذه المؤامرة: «وأخبر بيت داود» أن أرام وأفرايم قد تحالفا ضد يهوذا (ع

٢). وقد وصلت الأخبار بأن جيشي أرام وإسرائيل قد نزلا إلى الميدان. فرجف قلبه (قلب آحاز) وقلوب شعبه كرجفان شجر الوعر قدام الريح. أما الذي أثار هذا الرعب فهو إحساسهم بالإثم وضعف إيمانهم. لقد اتخذوا من الله عدوا، ولم يعرفوا كيف يتخذونه صديقا.

ثالثا: الأوامر التي صدرت لإشعياء لتشجيع آحاز في بليته، لأنه كان ابن داود وملك يهوذا. وكان الله يعطف عليه من أجل خاطر أبيه، الذي لا يجب أن ينسى، ومن أجل شعبه، الذي لا ينبغي التخلي عنه. وقد أمر إشعياء أن يأخذ معه ابنه الصغير لأن اسمه يحمل بين ثناياه عظة. «شآر ياشوب» ومعناه «البقية ستعود». وقد سمي هذا الابن هكذا لتشجيع من أخذ إلى السبي من شعب الله، حيث يؤكد لهم أنهم لابد وأن يعودوا. ولقد أرشده على المكان الذي سيجد فيه آحاز: «طرف قناة البركة العليا» حيث كان يخطط كيف ينظم الأعمال المتعلقة بالمياه حتى يضمن توافرها للمدينة (إش ٢٢: ٩- ١١؛ ٢أخ ٣٢: ٣ و٤)، أو يعطي بعض التوجيهات الضرورية لتحصين المدينة. لقد أعطاه الكلام الذي يتكلم به، وإلا ما كان النبي سيعرف كيف يأتي برسالة طيبة لمثل هذا الرجل الشرير، غير أن الله قصد بها أن يدعم الإسرائيليين الأمناء. وكان على النبي أن يوبخ خوفهم (ع ٤): «احترز واهدأ». التقط أنفاسك وكن شجاعا. كان يجب عليه أن يعلمهم احتقار أعدائهم، ليس بكبرياء، أو نتيجة شعورهم بالأمان، بل بإيمان وثقة في الله. وكان آحاز يصفهما بأنهما ملكان قويان حكيمان، وهو ليس ندا لأي منهما. ولكن النبي قال له. كلا، إنهما مثل «الشعلتين المدخنتين». إنهما غاضبان، وهما عنيفان، مثل القذائف النارية، ولكنهما إذ دخلا في تحالف معا فقد وصل حالهم إلى الأسوأ، مثل عيدان الخشب التي إذا وضعت معا تحترق بعنف أكثر. غير أنهما مجرد شعلتين مدخنتين، بل هما بقايا شعلتين مدخنتين، سبق أن اشتعلتا ومن ثم ضاعت قوتهما، وتستطيع أنت أن تطأهما بقدمك. عليه أن يؤكد لهم أن الخطة الحالية لهذين الحليفين الخطيرين (هكذا كانا يعتبران نفسيهما) ضد أورشليم من المؤكد أنها ستفشل وتنتهي إلى لا شيء (ع ٥- ٧). فلم تسيء إليهم يهوذا في شيء، ولم تكن لديهما أية ذريعة لمحاربة آحاز، غير أنهما، ودون أي سبب قالا: «نصعد على يهوذا ونقوضها». وكانا يعدان لتقسيم المملكة إلى جزئين، أحدهما لملك إسرائيل والآخر لملك أرام، الذي وافق أن يملك عليها «ابن طبئيل»، وهو شخصية مجهولة، وليس من المؤكد ما إذا كان أراميا أم إسرائيليا. ولقد كانا واثقين تماما من تحقيق هدفهما حتى أنهما قسما الفريسة قبل اصطيادها. ولقد وعدهم الله نفسه بأن هذه المحاولة ستبوء بالفشل (ع ٧): «هكذا يقول السيد الرب لا تقوم لا تكون». ولن يستطيع أي منهما أن يوسع من الأرض الخاضعة له، أو يوسع من غزواته إلى أبعد من ذلك: «لأن رأس أرام دمشق ورأس دمشق رصين»، وهو يفتخر بهذا، وعليه أن يقنع به (ع ٨) ولمدة طويلة كان «رأس أفرايم السامرة ورأس السامرة ابن رمليا» فقح فقط. سوف يحمل هذان على أن يعرفا ما يخصهما، فقد عينت حدودهما، ولن يتخطياها لكي يجعلا من نفسيهما سادة لمدن يهوذا، ناهيك عن جعل أورشليم فريسة لهما. وأفرايم، الذي يبدو أنه أكثر العدوين خبثا يجب أن يستأصل قريبا، ويصبح أبعد ما يكون من الاستيلاء على أراضي الآخرين، فلا يستطيعون الصمود أمامه. إنها لحماقة عظمى في هذا العالم أن يقوم البعض بإنزال الخراب بجيرانهم مع أنهم هم أنفسهم قد عينوا للدمار وكانوا قاب قوسين منه أو أدنى. كان على النبي أن يحثهم على مزج الإيمان بالطمأنينة (ع ٩): «إن لم تؤمنوا فلا تأمنوا». الأمور التي أخبرتم بها مشجعة غير أنها لن تتحقق ما لم تقبلوا كلمة الله.

عدد ١٠- ١٦

أولا: قدم الله لآحاز- بواسطة النبي- عرضا سخيا، ألا وهو تأكيد النبوات السابقة بأية معجزة أو آية يختارها (ع ١٠ و١١): «اطلب لنفسك آية من الرب إلهك». ذلك أنه ينظر إلى طبيعتنا بعين الاعتبار، وإذ نعيش في عالم مادي، فنحن ميالون لأن نطلب براهين وعهود. ونرى هنا مدى إحسانات الله حتى على الأشرار وغير الشاكرين. لقد أمر آحاز بأن يطلب لنفسه آية، كما فعل جدعون بالنسبة لجزة الصوف (قض ٦: ٣٧).

ثانيا: رفض آحاز بفظاظة هذا العرض الكريم (ع ١٢): «لا أطلب». والسبب الحقيقي الذي حمله على ألا يطلب آية هو أنه بيت النية على الاعتماد على الأشوريين وقواتهم، وعلى طلب العون من آلهتهم، لهذا كان لا يرى داعيا أن يصبح مدينا لإله إسرائيل. ومع ذلك تظاهر بأن رفضه مرده الناحية الدينية: «لا أجرب الرب».

ثالثا: النبي يوبخه هو وحاشيته لاحتقارهم النبوة (ع ١٣): «هل هو قليل عليكم أن تضجروا الناس حتى تضجروا إلهي أيضا» بإهاناتكم له؟ وبإهانتكم الأنبياء تعتقدون بأنكم إنما تستهينون بأناس مثلكم، غير مدركين أنكم تهينون الله نفسه، لأنهم رسله.

رابعا: يعطيهم النبي- باسم الرب- آية (ع ١٤)، تعبر بصفة عامة عن إرادته الصالحة لإسرائيل ولبيت داود. سوف يولد المسيح من أمتكم، ومن عائلتكم، ولا يمكن أن تهلكوا مادامت هذه البركة فيكم. سبق أن أخبرتم أنه سيولد بينكم، وأنا أقول لكم علاوة على ذلك أنه سيولد من عذراء، الأمر الذي يشير إلى القوة الإلهية والطهارة الإلهية التي بواسطتها يجيء إلى العالم. وعلى الرغم من أن هذا سيتحقق بعد ذلك بما يزيد عن خمسمائة عام، إلا أنها كانت آية مشجعة للغاية لبيت داود، وتعد تأكيدا بأن الله لن ينبذهم. وسوف يأتي المسيح إلى العالم في مهمة مجيدة يتضمنها اسمه المجيد: «ويدعون اسمه عمانوئيل الذي تفسيره الله معنا» الله يشاركنا طبيعتنا، وفي سلام معنا، ودخل معنا في عهد. وهذا ما تحقق بتسميته يسوع- أي مخلص (مت ١: ٢١- ٢٥)، لأنه لو لم يكن «عمانوئيل- الله معنا»، لما كان هو «يسوع- مخلص». فالموعود به سيكون عمانوئيل «الله معنا»، ليت هذه الكلمة تعزيكم (إش ٨: ١٠) وهي أن «الله معنا» (ع ٨) وأن أرضكم هي أرض عمانوئيل. ليت قلب «بيت داود» لا يرتجف على هذا النحو (ع ٢)، وليت يهوذا لا تخشى تنصيب ابن طبئيل (ع ٦)، لأنه ما من شيء بمقدوره أن يستأصل الميراث من ابن داود الذي سيكون عمانوئيل. وأقوى التعزيات في وقت المحنة هي تلك التي تأتينا من المسيح، علاقتنا به، ودالتنا لديه وتوقعاتنا بالنسبة لشخصه، وتوقعاتنا منه. ولقد ذكر أيضا بالنسبة لهذا الطفل (ع ١٥)، أنه سوف يكون إنسانا حقا وسوف ينشأ ويربى مثل أي طفل آخر: «زبدا وعسلا يأكل». وهنا آية أخرى تتعلق بصفة خاصة بالسرعة التي سيتم بها دمار هذين الملكين اللذين يشكلان الآن رعبا ليهوذا (ع ١٦): قبل أن يعرف هذا الطفل، الطفل الذي بين يدي الآن- ليس عمانوئيل- بل «شآر ياشوب» (ع ٣): «أن يرفض الشر ويختار الخير»، أي قبل أن يبلغ الثالثة أو الرابعة من عمره، فإن الأرض «التي أنت خاش» من قواتها المتحالفة من الإسرائيليين والأراميين سوف «تخلى». وهذا ما تحقق بالكامل، لأنه، في غضون سنتين أو ثلاث بعد ذلك، تآمر هوشع ضد فقح وقتله (٢مل ١٦: ٣٠)، وقبل ذلك استولى ملك أشور على دمشق وذبح رصين (٢مل ١٦: ٩)، والواقع أنه كان ثمة حدث حاضر وقع على نحو من السرعة، ومعنى شآر ياشوب «البقية ستعود»، الأمر الذي يشير بلا ريب إلى العودة العجيبة لمئتي ألف منفي، كانوا قد وقعوا أسرى في يد فقح ورصين فسبوهم، ولكنهم أعيدوا ثانية بروح رب الجنود (اقرأ القصة في ٢أخبار ٢٨: ٨- ١٥). والاسم النبوي لهذا الطفل، إذ تم تحقيقه على هذا النحو، فلا ريب أن هذا لابد وأن يتحقق أيضا، فأرام وإسرائيل لابد أن يجردوا من ملكيهما.

عدد ١٧ - ٢٥

وبعد الوعود المعزية التي قطعت لآحاز باعتباره فرعا من بيت داود، نجد هنا تهديدات ضده، باعتباره فرعا فاسدا. ومعصيته سوف «تفتقد بعصا».

أولا: الدينونة التي هُدد بها رهيبة (ع ١٧).. وُقعت على الملك نفسه وعلى شعبه، وعلى العائلة الملكية «وعلى بيت أبيك».

ثانيا: العدو الذي استخدم كأداة لهذه الدينونة هو ملك أشور. لقد وضع آحاز ثقة عظيمة في ذلك الملك لكي يساعده ضد تحالف قوى إسرائيل وأرام (٢مل ١٦: ٧ و٨). ويهدد الله الآن بأن ملك أشور هذا الذي اتكل عليه بدلا من اتكاله على الله، سوف يصبح سوطا له. ومنذ ذلك الحين ولمدة طويلة أصبح ملوك أشور مصدر متاعب شديدة ليهوذا.

(١) نداءات توجه للغزاة (ع ١٨): «الرب يصفر للذباب.. وللنحل» (انظر إشعياء ٥: ٢٦). والأعداء

www.DIFA3IAT.com

الذين يبدون محتقرين كالذباب والنحل، الذين يمكن سحقهم بسهولة سوف يقومون بعملهم بكل فاعلية كالأسود والأشبال إذا ما رأى الله ذلك.

(٢) استيلاؤهم على البلاد (ع ١٩). وسوف يبدو الأمر كما لو أن البلاد لم تكن في حالة تسمح لها بالمقاومة. فلم يجد الأعداء صعوبة في شق طريقهم: «فتأتي وتحل جميعها في الأودية الخربة»، والتي تخلى عنها السكان عند أول إنذار لهم. سوف يأتون ويتمركزون في الأراضي المنخفضة مثل أسراب الذباب والنحل، وسوف يتحصنون باللجوء إلى شقوق الصخور، كما يفعل النحل في كثير من الأحيان، ويظهرون مدى قوتهم بالظهور علانية في كل غاب الشوك وفي كل المراعي، وسوف ينتشرون بوجه عام في جميع أنحاء البلاد.

(٣) الخراب العظيم سوف يلحقوه بالبلاد، وهجر السكان لها (ع ٢٠): «يحلق السيد... الرأس وشعر الرجلين وتنزع اللحية». وسوف يكتسحهم المخرب جميعا. ذلك المخرب الذي استأجره آحاز لخدمته سيجعله الله أداة لتدميرهم. كثيرون ضربوا بذراع البشر الذي وثقوا فيه أكثر من ثقتهم بذراع الرب.

(٤) العواقب المترتبة على إخلاء البلاد بوجه عام من السكان: سوف تدمر كل قطعان الماشية، ولذلك فإن الإنسان بجهد جهيد ينقذ عجلة بقر واحدة وشاتين لاستعماله الخاص– وهذا رأس مال فقير (ع ٢١). والمواشي القليلة التي تركت ستجد أمامها مساحة كبيرة من الأرض لتطعم عليها حتى إنه «من كثرة صنعها اللبن» فإنه سينتج زبد كاف (ع ٢٢). ثم إنه سيكون أيضا ثمة نقص في الناس حتى إن اللبن الذي تنتجه بقرة واحدة وشاتان سوف يكفي عائلة بأكملها، من العائلات التي اعتادت أن يكون لديها خدم وتستهلك كمية كبيرة. وسوف تفرغ البلاد من سكانها حتى إنه سيكون هناك زبد وعسل يكفي للقلة التي بقيت فيها. والأرض الطيبة التي اعتادت أن تعطي نتاجا طيبا سوف يسودها الشوك والحسك (ع ٢٣). وسوف تحول أدوات الزراعة إلى أسلحة للحرب (ع ٢٤) مع سهام وقسي لصيد الحيوانات البرية في الأدغال، أو لاستخدامها في الدفاع عن النفس ضد اللصوص. وسوف يكون هناك شوك وحسك كثير في الأماكن التي ما كان يجب أن توجد فيها، غير أنها لن توجد في الأماكن التي كان يجب أن تنبت فيها (ع ٢٥). «وجميع الجبال التي تنقب بالمعول» لاستعمال خاص، والتي تمنع المواشي من الاقتراب منها خوفا من الشوك والحسك سوف تكون الآن مفتوحة «هدمت جدرانها.. يفسدها الخنزير من الوعر» (مز ٨٠: ١٢ و١٣).

الأصحاح الثامن

يشكل هذا الأصحاح، والأصحاحات الأربعة التالية له كلها (حتى الأصحاح الثالث عشر)، حديثا واحدا متواصلا، الهدف منه هو بيان الدمار العظيم الذي سيحيق قريبا بمملكة إسرائيل، غير أن تدبيرات سخية قد حفظت لراحة أولئك الخائفون الله في تلك الأزمنة الحالكة.

ونجد في هذا الأصحاح:

أولا: نبوة عن انهيار التحالف الذي تم بين مملكتي أرام وإسرائيل على يد ملك أشور (ع ١– ٤).

ثانيا: الدمار الذي سيتم على يد المنتصر المتغطرس في كل من إسرائيل ويهوذا (ع ٥– ٨).

ثالثا: تشجيعات عظيمة لشعب الله في خضم تلك الضيقات، وقد أعطوا تأكيدات بأن:

(١) الأعداء لن يحققوا ما يضمرونه لهم (ع ٩ و١٠).

(٢) إذا ما حافظوا على مخافة الله، وتخلوا عن خوفهم من البشر، فسوف يجدون الله ملجأهم (ع ١١– ١٤)، وفي حين يغرق الآخرين في اليأس، إلا أنهم سوف يتمكنون من انتظار الرب ليمنحهم أوقاتا أفضل (ع ١٥– ١٨). أخيرا، وجه تحذيرا صارما للجميع بألا يلجأوا للتوابع أو العرافين (ع ١٩– ٢٢).

عدد ١ – ٨

تتضمن هذه الفقرة نبوة عن انتصارات ملك أشور على دمشق، والسامرة، ويهوذا، وكيف أن الاثنين الأولين يجب أن يخربا بواسطته، والأخير يتملكه الرعب الشديد منه.

أولا: صدرت الأوامر للنبي لكي يكتب هذه النبوة، لكي يقرأها الناس أجمعين، حتى عندما يتحقق الأمر يعرفون أن الله قد أرسله، لأن هذه كانت من بين

www.DIFAIAT.com

أهداف النبوة (يو ١٤: ٢٩). عليه أن يأخذ «لوحا كبيرا» ويكتب عليه كل ما تنبأ به عن قيام ملك أشور بغزو البلاد، ويتعين عليه أن يكتب عليه «بقلم إنسان»، وبالطريقة المعتادة. ولقد أرشد النبي بأن يسمي سفره «مهير شلال حاش بز» ومعناه «مسرع إلى الغنيمة»، إشارة إلى أن الجيش الأشوري سوف يقبل عليهم بسرعة فائقة ويسلب منهم سلبا عظيما.

ثانيا: اهتمام النبي بأن يتم التصديق على هذا المكتوب (ع ٢): «وأن أشهد لنفسي»، لقد كتب النبوة في حضورهما حتى يكونا مستعدين للحلف بصحتها، إذ أن النبي قد تنبأ قبل ذلك بوقت طويل بالهجوم الذي شنه الأشوريون على تلك البلاد. ولقد ذُكر اسمي شاهديه. وكان أحدهما هو أوريا الكاهن، وقد ورد اسمه في قصة آحاز (٢مل ١٦: ١٠ و١١).

ثالثا: إطلاق اسم ابنه على سفره. فزوجته تدعى «نبية» (لأنها زوجة نبي)، وهذه «حبلت وولدت ابنا»– ابنا آخر– وكان يتعين أن يتضمن اسمه موعظة مثلما كان الحال مع ابنه السابق (إش ٧: ٣) ولكن مع اختلاف هو أن الأول كان يتحدث عن رحمة لأن «شآر ياشوب» يعني «البقية ستعود»، ولكنهم استخفوا بذلك، أما الأخير فيتحدث عن الدينونة «مهير شلال حاش بز» ومعناه «مسرع إلى الغنيمة» أو «لقد أسرع إلى الفريسة». وكل مرة كان ينادي فيها الطفل باسمه أو بجزء منه، كان ذلك يشكل تذكرة بالدينونات المقبلة.

رابعا: النبوة نفسها، والتي تفسر هذا الاسم الغامض:

(١) إن أرام وإسرائيل اللذين تحالفا الآن ضد يهوذا سيقعان بعد وقت قصير فريسة سهلة في يد ملك أشور (ع ٤): «لأنه قبل أن يعرف الصبي أن يدعو يا أبي ويا أمي»، أي في غضون سنة أو سنتين؛ «تحمل ثروة دمشق وغنيمة السامرة»، هاتين المدينتين الحصينتين الآن، إذ سوف تنهاران «قدام ملك أشور»، الذي سوف ينهب المدينة والبلاد تتويجا لانتصاره.

(٢) نظرا لأنه كان هناك كثيرون في يهوذا ممن كانوا يعملون سرا لصالح أرام وإسرائيل، وكانوا ساخطين على بيت داود فإن الله سيؤدبهم أيضا على يد ملك أشور. ولكن ماذا كانت خطية الفئة المتذمرة في يهوذا (ع ٦): «هذا الشعب» الذي يوجه لهم النبي كلامه هنا: «رذل مياه شيلوه الجارية» احتقروا بلادهم وحبذوا هزيمتها، لأنها لم تحقق شهرة عظيمة في العالم مثلما فعل بعض الملوك والأمم الأخرى. رفضوا التعزيات التي يقدمها لهم أنبياء الله من خلال كلمة الله وسروا «برصين وابن رمليا»، اللذين كانا من أعداء بلادهم، وكانا يقومان بغزوها الآن. وكم من دولة تحتضن مثل هذه الأفاعي، التي تأكل من خبزها ومع ذلك تكن الولاء لأعدائها، ويهرعون إلى التخلي عنها إذا ما بدا أن بلادهم أخذت في التداعي. ونفس ملك أشور الذي دمر أفرايم وأرام سوف يكون وبالا ورعبا لهذه الجماعة في يهوذا (ع ٧ و٨). لأنهم رذلوا «مياه شيلوه الجارية... هوذا السيد يصعد عليهم مياه النهر القوية»، نهر الفرات. لقد استهانوا بأرض يهوذا، لأنه ليس بها نهر يتفاخرون به مثل هذا النهر. حسنا– يقول الله: إذا كنتم مغرمين بنهر الفرات إلى هذا الحد، فسوف يكون لكم منه الكفاية، فإن ملك أشور الذي تقع بلاده على هذا النهر سوف يجتاحكم بجيشه العظيم. ليتنا نقنع بمياه شيلوه الجارية، فمياه النهر القوية شديدة الخطورة. لقد هددوا بأن الجيش الأشوري سينقض عليهم كالطوفان حيث يكتسح كل ما يصادفه. فإنه «يبلغ العنق» بمعنى أنه سيتقدم حتى يفرض حصارا على أورشليم. وفي أعتى فيضان من المتاعب فإن الله سيرفع رأس شعبه فوق المياه. فعلى الرغم من أن الطير الأشوري الجارح قد بسط جناحيه، وعلى الرغم من أن جناحي جيشه الأيمن والأيسر قد انبسطا بطول البلاد وعرضها، إلا أنها على الرغم من ذلك «بلادك يا عمانوئيل». إنها ستكون بلاد المسيح، لأنه سوف يولد فيها.

عدد ٩– ١٥

يعود النبي هنا للحديث عن المحنة الراهنة التي يواجهها الملك آحاز وحاشيته ومملكته على ضوء التهديد الذي يشكله تحالف الأسباط العشرة والأراميين ضده.

أولا: إنه يتفاخر على الأعداء المغيرين، بل وفي الواقع يتحداهم أن يعملوا كل ما في وسعهم (ع

www.DIFA3IAT.com

٩ و١٠): «هيجوا أيها الشعوب»، واصغوا إلى ما يقوله النبي لكم باسم الله. نحن نعلم أنكم ستبذلون أقصى ما في استطاعتكم ضد يهوذا وأورشليم. «احتزموا... احتزموا... تشاوروا... تكلموا»، قرروا ما تفعلون، ولتملأكم الثقة في أن الأمر سيتم بمجرد أن تقولوا كلمة. غير أن جميع جهودكم ستذهب هباء. «انكسروا». فلن تفشل محاولاتكم فحسب، بل إنها ستكون سبب دماركم، فسوف تنكسرون بنفس هذه الخطط التي وضعتموها ضد أورشليم. «لأن الله معنا»، وهو إلى جانبنا، وهو الذي يقوم بدورنا ويحارب عنا «وإن كان الله معنا فمن علينا؟»

ثانيا: يعزي النبي شعب الله بنفس التعزيات والتشجيعات التي أعطيت له هو نفسه.

(١) يخبرنا النبي كيف أنه هو نفسه قد علمه الله بألا يستسلم لمثل هذه المخاوف المذهلة «فإنه هكذا قال لي الرب بشدة اليد، وأنذرني أن لا أسلك في طريق هذا الشعب» (ع ١١)، لا أردد ما يقولون ولا أفعل ما يفعلون، ولا أوافق على عقد السلام تحت أية شروط، أو ألجأ إلى الأشوريين لطلب العون. لقد نبه الله النبي ألا يسبح مع ذلك التيار، لأن أشجع الناس معرضون للخوف عندما تظهر التهديدات كالسحب، ولاسيما حين تنتقل المخاوف كالوباء.

(٢) والآن، ماذا قال لشعب الله؟

أ. حذرهم من الخوف الخاطئ (ع ١٢)، ويبدو أن ذلك كان أسلوب هذا الشعب في ذلك الحين، والخوف ينتقل كالوباء، فالذي يذوب قلبه، ينتقل خوفه إلى إخوته فيصبحون مثله (تث ٢٠: ٨)، ولذلك: «لا تقولوا فتنة لكل ما يقول له هذا الشعب فتنة». لا تنضموا لأولئك الذين ينادون بالتحالف مع الأشوريين بدافع من عدم الإيمان، وعدم الثقة في الله وفي قضيتهم. وعندما يكون هناك ثمة مشكلة هينة، لا تسرعوا إلى الصياح قائلين: توجد مؤامرة. وحين يتحدث هذا الشعب عن الأنباء المكدرة بأن «أرام قد تحالف مع أفرايم» فما الذي سيحدث لنا؟ «لا تخافوا خوفه ولا ترهبوا».

ب. نصحهم بخوف مقدس: «رب الجنود فهو خوفكم وهو رهبتكم» (ع ١٣). فخوف الله الناجم عن الإيمان هو المادة الحافظة من خوف الناس الذي ينزع الطمأنينة (انظر ١ بطرس ٣: ١٤ و١٥) حيث اقتبس هذا وطبق على المؤمنين المتألمين.

ج. وعدهم بأمن مقدس وصفاء الذهن إذا ما فعلوا ذلك (ع ١٤) «ويكون مقدسا»، اجعلوه خوفكم، تجدوه رجاءكم، وعونكم، ودفاعكم، ومخلصكم القوي. سيكون مقدسكم، الذي تهرعون إليه للسلامة، حيث لا تكونون في حاجة إلى الخوف من أي شر.

ثالثا: هدد بدمار الأشرار وغير المؤمنين سواء في يهوذا أو في إسرائيل. ليس لهم قسم أو نصيب في التعزيات السابقة. ويتنبأ النبي بأن الجزء الأعظم من «بيتي إسرائيل» لن يخافوا رب الجنود. فما كان رائحة حياة لحياة بالنسبة لآخرين سيكون رائحة موت لموت بالنسبة لهم. «فيعثر بها كثيرون ويسقطون».

عدد ١٦ - ٢٢

أولا: الامتياز الذي لا يمكن وصفه والذي يتمتع به شعب الله، عندما يؤتمنوا على الكتابات المقدسة، حتى يتكرسوا لرب الجنود ويجعلونه خوفهم ومقدسهم: «صر الشهادة» (ع ١٦):

(١) إنها «شهادة» و«شريعة». لقد صادق الله عليها، وأمر بها. وهي كشهادة توجه إيماننا، وكشريعة تنظم ممارساتنا، وينبغي علينا أن نؤيد حقائقها، ونخضع لمبادئها.

(٢) وهذه الشهادة وهذه الشريعة مصرورتان ومختومتان، ذلك لأنه ليس لنا أن نضيف إليهما أو نحذف منهما.

(٣) وضعتا كوديعة مقدسة في أيدي التلاميذ الذين هم «أبناء الأنبياء والعهد» (أع ٣: ٢٥). وهذه هي الأمور الصالحة التي أنيط بهم حفظها (٢تي ١: ١٣ و١٤).

ثانيا: كيف يجب أن ننتفع بهذا الامتياز. هذا ما نتعلمه:

(١) إنه يحدد لنا اثنين من المخاوف، عن طريق الأنبياء وقراراتهم (ع ١٧ و١٨).

أ. غضب الله على شعبه الذي يولي عناية فائقة به: «الساتر وجهه عن بيت يعقوب»، ويبدو أنه في الوقت الراهن يهملهم، وغير راضي عنهم.

ب. احتقار الناس وتعييراتهم، ليس بالنسبة لشخصه فقط، ولكن لتلاميذه أيضا، الذين ختمت بينهم الشريعة والشهادة: «هأنذا والأولاد الذين أعطانيهم الرب آيات وعجائب». قد يُنظر إلينا كأناس غرباء، غير أن المسيح ينظر إلى المؤمنين كأبنائه الذين أعطاهم له الآب (يو ١٧: ٦). ويُنظر إليه وإلى تلاميذه كعلامات ورموز يجب أن تُقاوم (لو ٢: ٣٤)، بل وتقاوم في كل مكان (أع ٢٨: ٢٢). لقد رأى إشعياء يد الله في كل الأمور المحبطة له، ووضع ذلك نصب عينيه. لذلك استقر رأيه على أن ينتظر الرب ويطلبه، ويخدمه حتى عندما حجب وجهه، متوقعا بيقين المتواضع عودته في رحمته.

(٢) بالمشورة والنصيحة التي يعطيها لتلاميذه، الذين استؤمنوا على أقوال الله الحية. وقد افترض أنهم في يوم محنتهم سيقعون في إغراء استشارة «أصحاب التوابع والعرافين».

فهكذا فعل شاول في أوقات محنته حيث طلب استشارة امرأة صاحبة جان في عين دور (١صم ٢٨: ٧، ١٥)، كما سأل أخزيا إله عقرون (٢مل ١: ٢). وهؤلاء العرافون هم من «المشقشقين والهامسين». ولعل هذه العبارة تشير إلى صوتهم وطريقة كلامهم. فهم لا يتكلمون بشجاعة ووضوح، بل كأولئك الذين يريدون أن يلهوا بالناس لا أن يرشدوهم.

وكانت هناك شرائع واضحة ضد ذلك الشر (لا ١٩: ٣١؛ ٢٠: ٢٧)، ومع ذلك وجدت في إسرائيل بل وفي الأمم المسيحية. تجنبوا استعمال الرقي والتعاويز، واستشارة أولئك الذين باستخدام طرق خفية يتظاهرون بأنهم يقرأون الطالع ويشفون الأمراض. لقد زودهم بإجابة على هذه التجربة: إذا حاول البعض أن يوقعكم في هذا قولوا لهم «ألا يسأل شعب إلهه؟ أيسأل الموتى لأجل الأحياء؟» قل لهم إن الشعب يجب أن يسأل إلهه، والآن حيث أن يهوه إلهنا فمن ثم يتعين أن نستشيره لا أن نستشير أصحاب التوابع والعرافين (مي ٤: ٥)، وإذا كان ثمة شعب خاطئ وفي محنة، ألا يسأل إلهه ويرجوه المغفرة والسلام؟ ألا يجب على شعب يعاني من الشك والحاجة والخطر أن يسألِ إلهه التوجيه والعون والحماية؟ وهل هناك حماقة أعظم من أن نتوقع من أصدقائنا الذين رحلوا من هذا العالم أن يقوموا بهذا نيابة عنا، حين نؤلههم ونصلي لهم، في حين يكون أصدقاؤنا الأحياء عاجزين عن ذلك؟ إن السحرة والعرافين يستشيرون الموتى، مثل الساحرة التي كانت في عين دور، وهم بهذا أعلنوا عن حماقتهم. النبي هنا يوجههم إلى استشارة الأقوال الإلهية. وإذا لم يتحدث الأنبياء الذين كانوا بينهم عن كل قضية بصفة مباشرة، إلا أنه مع ذلك لديهم الكلمة المكتوبة، وعليهم الرجوع إليها. والذين يعرفون كيف يستفيدون من كتبهم المقدسة لا يمكن أن يستمالوا لاستشارة السحرة. لتكن وصايا الله أهل مشورتك، وهنا ستحصل على النصيحة الصحيحة. علينا أن نتكلم «مثل هذا القول»، أي أن نتخذ من هذا معيارنا (١تي ٦: ٣). علينا أن نلجأ في مثل هذه الأحوال إلى الشهادة والشريعة، لأن الذين لا يتفقون مع كلمة الله فإنهم بهذا يوضحون أنه «ليس لهم فجر»، ليس لهم نور الصباح (هكذا تعني الكلمة). والذين يرفضون الإعلان الإلهي ليس لهم فهم بشري، وهكذا الحال أيضا بالنسبة لأولئك الذين يعترفون بالأقوال المنطقية ولكنهم لا يعترفون بالأقوال الإلهية. والبعض يأخذون هذه العبارة كتهديد: «ما لم يتكلموا بمثل هذا القول لن يكون ثمة نور لهم، ولكنهم سينقادون إلى الظلمة واليأس» وهذا المعنى نجده في عددي ٢١ و٢٢.

فما النور الذي كان لشاول حين استشار الساحرة (١صم ٢٨: ١٨، ٢٠). إنه يقرأ مصير أولئك الذين يسعون وراء أصحاب التوابع، ولا يولون أي اعتبار لشريعة الله وشهادته. عليهم أن يتوقعوا كل الرعب والبؤس (ع ٢١ و٢٢)، «فيعبرون» في الأرض غير مستقرين غير ثابتين، سيكونون «مضايَقين» لا يعرفون إلى من يلجأون للحصول على ضروريات الحياة. فأولئك الذين كانوا يطعمون حتى التخمة سوف يتضورونْ جوعا. فالذين يبتعدون عن الله يبعدون أنفسهم عن طريق كل ما هو طيب. وهؤلاء الناس «حينما يجوعون أنهم يحنقون»، وسوف يكونون سبب إزعاج شديد لكل من هم حولهم، وينسون كل قواعد الواجب واللياقة، وبكل خيانة «يسبُّون ملكهم» وبكل تجديف يسبُّون «إلههم». وحين يكسرون روابط ولائهم، فلا عجب ألا يتحملهم طويلا الذين من ديانتهم، ومن ثم تراهم بعد ذلك يسبُّون الله، يسبُّونه

ثم يموتون. سوف «يلتفتون إلى فوق»، لكن السماء ستعبس في وجوههم وتبدو لهم مكفهرة. وكيف تكون خلاف ذلك ماداموا قد سبُّوا إلهها؟ سوف «ينظرون إلى الأرض»، ولكن ما هو العزاء الذي بمقدورها أن تقدمه لأولئك الذين هم في حرب مع إلهها؟

الأصحاح التاسع

في هذا الأصحاح يقول النبي للبار إن الأمور ستسير معه على خير ما يرام، أما الشرير فويل له، إذ سوف يواجه مصيرا مظلما.

أولا: وعود جزيلة لأولئك الذين يتمسكون بالشريعة والشهادة، فبينما يساق الذين يلجأون إلى أصحاب التوابع والعرافين إلى الظلام والضلال، نجد أن من يتمسكون بالله سينظرون نورا عظيما، ويجدون الخلاص في خضم الألم والضيق، موضحا بهذا نعمة الإنجيل:

(١) في تعليم المسيح (ع ١- ٣).

(٢) في انتصاراته (ع ٤ و٥).

(٣) سلطانه وسيادته كعمانوئيل (ع ٦ و٧).

ثانيا: تهديدات رهيبة ضد شعب إسرائيل الذين تمردوا (ع ٨- ١٠)، إذ سوف يفترسهم جيرانهم (ع ١١ و١٢) لقساوة قلوبهم وريائهم، وسوف ينتزع كل مباهجهم وكل ما يتكلون عليه (ع ١٣- ١٧)، وسوف يحل بهم الخراب التام نتيجة غضب الله عليهم وحنقهم تجاه بعضهم البعض (ع ١٨- ٢١).

عدد ١- ٧

تشير كلمات هذا الأصحاح بوضوح إلى خاتمة الأصحاح السابق، حيث كان كل شيء يبدو قاتما وكئيبا: «شدة وظلمة قتام الضيق». غير أنه حتى في الظلمة نجد أنه «نور أشرق في الظلمة للمستقيمين» (مز ١١٢: ٤): «ولكن لا يكون ظلام» كما كان أولا. وفي أحلك الأوقات نجد هذه الكلمة الاستدراكية «ولكن» محفوظة لشعب الرب لكي تخفف من متاعبهم، لقد أضطهدوا، غير أنهم «غير متروكين» (٢كو ٤: ٩)، «كحزانى» لكن.. «دائما فرحون» (٢كو ٦: ١٠). وإنه لمما يعزينا أنه حينما تشتد الأمور ظلاما، نجد أن «مصور النور وخالق الظلمة» (إش ٤٥: ٧) قد حدد لكل منها حدودها، وجعل أحدهما مقابلا للآخر؟ (تك ١: ٤).

أولا: أعطي الوعد هنا بثلاثة أمور، وكلها تشير في النهاية إلى نعمة الإنجيل، التي كان للقديسين أن يعزوا أنفسهم بها في كل يوم مظلم مكفهر.

(١) نور عظيم، سوف يبدد الظلام شيئا فشيئا، حتى أنه لن يستمر كما كان فيما مضى: «ولكن لا يكون ظلام للتي عليها ضيق». لقد «أهان الزمان الأول أرض زبولون وأرض نفتالي» (المنعزلتين واللتين تتعرضان بالأكثر لغارات الأعداء المجاورين)، ولكن الأخير أكرم الأراضي الواقعة في «طريق البحر عبر الأردن» (ع ١). كان إسرائيل بلا إله حقيقي وبلا كاهن معلم، وفي تلك الأيام لم يكن هناك سلام. ولكن الظلمة التي هدد بها في إشعياء ٨: ٢٢ لن تسود، لأن: «الشعب السالك في الظلمة أبصر نورا عظيما». وفي ذلك الوقت الذي عاش فيه النبي، كان هناك أنبياء كثيرون في كل من يهوذا وإسرائيل، ممن كانت نبواتهم تشكل نورا عظيما من أجل هداية وتعزية شعب الله الذي تمسك بالشريعة والشهادة. ولكن هذه النبوة كان لها أن تتحقق بالكامل حين شرع ربنا يسوع يظهر كنبي، وبدأ يكرز بالإنجيل في أرض زبولون وأرض نفتالي وفي جليل الأمم.

(٢) زيادة مجيدة في شعب الرب، وفرح عظيم ينجم عنها (ع ٣): «أكثرت الأمة» أيها الرب. كان عدد الشعب قد تقلص نتيجة دينونة شديدة تلو الأخرى، إلا أنك يا رب بدأت الآن تكثره ثانية. وكان من شأن ذلك أنهم «يفرحون أمامك»، فثمة قدر كبير من الفرح الروحي الجاد قد غمرهم، فرح بحضور الله. وهذا ما ينطبق تماما على أزمنة نور الإنجيل التي أشير إليها في آية ٢. لقد عظَّمت الفرح لكل من يقبل النور، وهم «يفرحون أمامك».. أي يأتون أمامك في فرائضهم المقدسة بفرح عظيم، وفرحهم ليس كفرح إسرائيل تحت كرومهم وأشجار التين الخاصة بهم، بل هو فرح بإحسان الله وبفيض نعمته. إنه فرح مقدس: «يفرحون أمامك»، يفرحون بالروح (كما فعل المسيح) (لو ١٠: ٢١)، وهذا الفرح أمام الله. إنه فرح عظيم: «كالفرح في الحصاد»، كفرح الذين بكل صبر انتظروا ثمر الأرض الثمين، حيث يحصدونه في فرح. ومثلما يفعل الناس في الحرب،

بعد معركة خطيرة حيث «يبتهجون عندما يقتسمون غنيمة» والإنجيل يأتي بالرخاء والانتصار.

(٣) حرية مجيدة (ع ٤ و٥): «يفرحون أمامك»، ولسبب وجيه: لأنك كسرت نير ثقله، ولن يبقى في العبودية بعد، كما كسرت «عصا كتفه وقضيب مسخره»، كما كسر نير المديانيين من عنق إسرائيل على يد جدعون. افعل بهم «كما في يوم مديان» حين هزمت هزيمة ساحقة. والانتصار الزمني الذي تشير إليه هذه العبارة ليس واضحا تماما، فربما تكون إشارة إلى الحيلولة دون تنصيب سنحاريب نفسه سيدا لأورشليم، والذي تم «في يوم مديان» بيد الرب مباشرة، وتم في صمت دون ضوضاء. غير أنها بلا ريب تتطلع إلى أبعد من ذلك، إلى النور العظيم الذي سيشرق على الجالسين في الظلمة، فسوف ينادى «للمأسورين بالإطلاق» (لو ٤: ١٨). والهدف الذي يسعى إليه الإنجيل هو تحطيم نير الخطية والشيطان، وإزالة ثقل الإثم والفساد، حتى يمكن أن ندخل إلى حرية مجد أولاد الله. لقد حطم المسيح نير الناموس الطقسي (أع ١٥: ١٠؛ غل ٥: ١) وخلصنا «من أيدي أعدائنا» حتى «إننا بلا خوف...نعبده» (لو ١: ٧٤). وهذا ما تم بالروح القدس الذي يعمل كنار (مت ٣: ١١)، ولكن ليس كما تكون المعارك الحربية، بضوضاء واضطراب، كلا، لأن أسلحة محاربتنا ليست جسدية.

ثانيا: ولكن مَنْ، وأين ذاك الذي يتعهد بإنجاز هذه الأمور العظيمة للكنيسة؟ هذا ما يخبرنا به النبي (ع ٦ و٧) سوف يتم هذا بواسطة المسيح، عمانوئيل (إش ٧: ١٤)، وهو يتحدث الآن عن ذلك بالأسلوب النبوي، وكأنه أمر واقع «يولد لنا ولد». وكما أنه الخروف الذي ذبح، فهو أيضا الطفل الذي ولد. فكل الأمور العظيمة التي عملها الله لمؤمني العهد القديم عملت بواسطته باعتباره الكلمة الأزلي، ومن أجل خاطره باعتباره «الوسيط». فالأمة اليهودية، وخاصة بيت داود حفظت مرات كثيرة من هلاك وشيك لا لشيء سوى أن تلك البركة كانت فيهم. والترجمة التفسيرية الآرامية تأخذ العبارة على أنها تتحدث عن الإنسان الذي يتحمل المسئولية إلى النهاية:

(١) انظر إليه في اتضاعه. فنفس ذاك الإله القوي هو نفسه الطفل الذي ولد، وهكذا وضع نفسه وأخلى نفسه لكي يمجدنا ويملأنا. لقد ولد في عالمنا. «والكلمة صار جسدا وحل بيننا»، فهكذا أحب الله العالم حتى بذله. لقد ولد لنا، وأعطي لنا.

(٢) انظر إليه في مجده. فهو ابن الله، وابن الإنسان، له أعطي أعظم مجد وسلطان ولذلك ليس لنا إلا أن نسعد إذا ما اتخذناه صديقنا. وسوف يدعى «عجيبا مشيرا...» سوف يعرفه شعبه ويعبده بهذه الألقاب. جاء «عجيبا مشيرا». حقا دعي «عجيبا»، لأنه إله وإنسان. هو «مشيرا»، لأنه كان على معرفة وثيقة بمشورات الله منذ الأزل، وهو يعطي مشوراته لبني البشر. إنه حكمة الآب، وجُعل لنا حكمة من الله. إنه الله القوي– الله القادر. وكما أن لديه حكمة، فلديه قوة أيضا، وهو قادر أن يخلص إلى التمام. وهو الآب الأبدي، أو أبو الأبدية، إنه الله، وواحد مع الآب، من الأزل وإلى الأبد. وهو الذي يعطيهم الحياة الأبدية والسعادة، وهكذا فهو واهب الخلود لهم. هو ملك السلام. وهو كملك فإنه يحمي ويأمر ويخلق السلام في مملكته. فهو سلامنا. وعرشه فوق كل عرش (ع ٦): «وتكون الرياسة على كتفه»– على كتفه فقط. ولن يرتدي شارة الرياسة على كتفه فقط «وأجعل مفتاح بيت داود على كتفه» (إش ٢٢: ٢٢)، بل سيتحمل عبئها. وقد ذكرت هنا أشياء مجيدة عن رياسة المسيح (ع ٧): فسوف تنمو ويزداد بهاؤها، وسوف يزداد إشراقها أكثر فأكثر في العالم. وسوف تكون رياسة للسلام، تتناغم مع صفته كملك السلام. وسوف يحكم بالحب، وفيما تزداد رياسته، يزداد معها السلام. وسوف تدار بالحكمة والمساواة: «ليثبتها ويعضدها بالحق والبر». وسوف تكون مملكة أبدية: «لنمو رياسته... لا نهاية». ولقد تعهد الله نفسه بأن يتمم كل هذا: «رب الجنود»، الذي بيده كل القوة، وكل المخلوقات طوع أمره هو «يصنع هذا».

عدد ٨– ٢١

نجد هنا تهديدات رهيبة موجهة بصفة أساسية إلى إسرائيل، مملكة الأسباط العشرة، وأفرايم والسامرة، والتي تم التنبؤ هنا بخرابها، وكل هذا تحقق في غضون سنوات قليلة، لكنها تمتد إلى أبعد من ذلك وتذكر مصير كل الأمم التي تنسى الله، والتي لن تقبل المسيح

لكي يملك عليها.

أولا: مقدمة هذه النبوة (ع ٨): «أرسل الرب قولا في يعقوب» أرسله بواسطة عبيده الأنبياء، فهو يحذر قبل أن يجرح، غير أنهم لم يبالوا بأن يصرفوا غضبه. وقد وقع عليهم كعاصفة من المطر والبرد النازل من العلاء، الأمر الذي لم يستطيعوا أن يتجنبوه.

ثانيا: الخطايا التي اتهم بها شعب إسرائيل، والتي أغاظت الله وحملته على إرسال هذه الدينونات عليهم.

(١) تحديهم السافر لعدالة الله، واعتقادهم بأنهم ندا له «القائلون بكبرياء وبعظمة قلب»، ليفعل الله كل ما في وسعه. إذا دمر بيوتنا، فسوف نصلحها، بل ونجعلها أقوى. وإذا كانت البيوت المبنية من الطوب قد دمرت، فسوف نعيد بناءها بأحجار منحوته. إذا قطع العدو الجميز فسنزرع أرزا بدلا منه.

(٢) عدم قابليتهم للإصلاح تحت توبيخات العناية الإلهية حتى تلك الآونة (ع ١٣). «والشعب لم يرجع إلى ضاربه ولم يطلب رب الجنود»، فهم إما ملحدون، لا دين لهم، وإما وثنيون، يطلبون آلهة من نسج خيالهم وصنع أيديهم.

(٣) فسادهم الأخلاقي، واستغراقهم في النجاسة. فأولئك الذين كان يجب أن يقوموهم عاونوهم على الفساد (ع ١٦): «وصار مرشدو هذا الشعب مضلين». غير أنه من سوء طالع الشعب أن يصبح أطباؤه هم علته. فالذين يباركون هذا الشعب، أو يدعونه مباركا (بحسب ما جاء في الهامش) الذين يتملقونه، ويمتدحونه في شره، ويصرخون إليه، قائلين سلام. سلام، إنما يجرونه إلى الخطية. ولدينا من الأسباب ما يحملنا على الخوف من أولئك الذين يتكلمون عنا حسنا، حين نخطئ (انظر أمثال ٢٤: ٢٤؛ ٢٩: ٥). لقد كان الشر عاما، وأصابت عدواه الجميع (ع ١٧): «كل واحد منهم منافق وفاعل شر». كل واحد كان مجدفا على الله (هذا ما تشير إليه الكلمة) وفاعل شر للإنسان، وهذان الأمران غالبا ما يأتيان معا، فالذين لا يخافون الله لا يقيمون وزنا للإنسان.

ثالثا: الدينونات التي هددوا بها بسبب شرهم هذا:

(١) بصفة عامة، عرضوا أنفسهم لغضب الله، الذي سوف يهلك كنار (ع ١٨): «لأن الفجور يحرق كالنار». فالشوك والحسك حينما تلتهمهما النار «تلتف عمود دخان»، ولذلك تظلم الأرض كلها نتيجة ذلك، وسوف يواجهون المتاعب، ولن يجدوا منها مهربا (ع ١٩): «ويكون الشعب كمأكل للنار».

(٢) سيهيج الله القوى المجاورة ضدهم (ع ١١ و١٢). كانت إسرائيل في ذلك الحين في تحالف مع أرام ضد يهوذا، غير أن الأشوريين الذين كانوا أعداء الأراميين، حين هزموهم، قاموا بغزو إسرائيل، وجمع الله أعداء إسرائيل في تحالف معا. فالذين يشتركون معا في الخطية، كما حدث لأرام وإسرائيل في غزو يهوذا، عليهم أن يتوقعوا المشاركة في تحمل عقوبة الخطية. فالأراميون أنفسهم الذين كانوا في حلف معهم سيكونون عصا تأديب لهم، هم من الأمام والفلسطينيون من خلف. وسوف يحاصرون بالأعداء من كل جانب، «فيأكلون إسرائيل بكل الفم» (ع ١٢). ولم يعد ينظر للفلسطينيين فقط على أنهم عدو يرهب جانبه، لكن الأراميون أيضا الذين كانوا يعدون من الأصدقاء الدائمين لشعب إسرائيل، اجتمعوا معا لإهلاك هذا الأخير.

(٣) سيأخذ الله من وسطهم أولئك الذين كانوا يثقون بهم (ع ١٤ و١٥). «فيقطع الرب من إسرائيل الرأس والذنب النخل والأسل»، وهذا ما يفسره العدد التالي:

أ. قضاتهم الذين كانوا مبجلين لكرم أصلهم ووظائفهم كانوا هم «الرأس»، لكن لأنهم تسببوا في خطأ الشعب نحو الله، كان لابد وأن يقطعوا.

ب. أنبياؤهم الكذبة هم «الذنب»، و«الأسل»، وهم أحقر هذه الفئات جميعا. فالخادم الشرير يعد من أسوأ الناس. فأفضل الأمور تصبح أسوأها حين تفسد.

(٤) الخراب سيكون عاما مثلما كان الفساد عاما، ولن يهرب منه أحد (ع ١٧): «لا يفرح السيد بفتيانه» الذين كانوا في زهرة شبابهم، بل ولن يقول لهم: «ترفقوا بالفتيان من أجلي». «ولا يرحم يتاماه وأرامله»، على الرغم من أنه من ناحية معينة، هو راعي هؤلاء وحاميهم. لأنهم أفسدوا سبلهم مثل كل الآخرين.

(٥) الكل سوف يسهم في وقوع هذا الدمار

العام: «ولا يشفق الإنسان على أخيه». وكثيرا ما تفنى الممالك بالحروب الأهلية، وهذا ما حدث في إسرائيل. ففي هذه المعارك «يلتهم على اليمين فيجوع... يأكلون كل واحد لحم ذراعه» نتيجة الجوع (ع ٢٠) وهذا يشير إلى المجاعة وندرة الطعام. وهذه المنازعات لم تكن قاصرة على أشخاص معينين أو عائلات خاصة بل كانت بين الأسباط (ع ٢١): «منسى أفرايم وأفرايم منسى». وهؤلاء الذين استطاعوا أن يتحالفوا ضد يهوذا، لم يستطيعوا الاتحاد فيما بينهم. فالعداء والحقد المتبادلان بين أسباط إسرائيل هما خطية تؤهلهم للخراب. وثمة علامة كئيبة من علامات الخراب سرعان ما بدت في الأفق.

(٦) ومع كل هذه الدينونات، فإن الله لم يسقط خصومته معهم إنه قرار هذه الأنشودة (ع ١٢، ١٧، ٢١): «مع كل هذا لم يرتد غضبه بل يده ممدودة بعد». فلم يلجأوا إلى التوبة والإصلاح. ولذلك استمر غضبه مشتعلا ضدهم و«يده ممدودة بعد». «والشعب لم يرجع إلى ضاربه» ولذلك واصل ضربه لهم.

الأصحاح العاشر

يتناول النبي في هذا الأصحاح:

أولا: الظلم الذي أوقعه المتغطرسون على الشعب ممن أساءوا استغلال سلطتهم ضد مواطنيهم (ع ١- ٤).

ثانيا: التهديد بعدو من الخارج يغزو البلاد، أي سنحاريب ملك أشور، والذي يجب أن نلاحظ بشأنه الآتي:

(١) التكليف الذي صدر إليه بغزو يهوذا (ع ٥ و٦).

(٢) غطرسته وخيلاؤه في تنفيذ هذه المهمة (ع ٧- ١١، ١٣، ١٤).

(٣) توبيخ وجه له لكبريائه وتهديد بسقوطه ودماره، بعد أن يكون قد خدم الأغراض التي أقامه الله من أجلها (ع ١٢، ١٥- ١٩).

(٤) وعد بالنعمة لشعب الله، لكي يمكنهم تحمل هذه المحنة (ع ٢٠- ٢٣).

(٥) تشجيعات عظيمة قدمت لهم بألا يخشوا هذه العاصفة التي تهددهم، بل عليهم أن ينتظروا نهايتها وهلاك هذا العدو الرهيب (ع ٢٤- ٣٤).

عدد ١ – ٤

ليس واضحا ما إذا كان النبي يوجه هذا الويل ضد رؤساء وقضاة إسرائيل أم يهوذا، أم كليهما، ونجد هنا:

أولا: الاتهام الذي وجه ضد هؤلاء الظالمين (ع ١ و٢). وقد اتهموا بالآتي:

(١) إصدار قوانين ومراسيم شريرة: «يقضون أقضية البطل». ويل للسلطات العليا التي تصدر هذه المراسيم. وويل لمعاونيهم الذين يصوغونها، ويسجلونها «الذين يسجلون جورا».

(٢) تعويج القضاء عند تنفيذ القوانين التي أصدرت.

(٣) الإثراء عن طريق ظلم الذين يقعون تحت رحمتهم. ذلك أنهم ينهبون «الأيتام» من القليل الذي ترك لهم، لأنه ليس لهم من يدافع عنهم.

ثانيا: تحدٍ وجه لهم بأن يواجهوا دينونة الله بكل كبريائهم وقوتهم (ع ٣): «ماذا تفعلون... إلى من تهربون؟» أنتم تستطيعون سحق الأرامل والأيتام، ولكن ماذا كنتم ستصنعون حين يقوم الله (أي ٣١: ١٤)، «أين تتركون مجدكم» حتى تجدوه حين تنتهي العاصفة؟ فالثروة التي حققوها كانت مجدهم، ولم يكن يتوافر لهم مكان آمن لكي يودعوها فيه.

ثالثا: صدر الحكم ضدهم، وبمقتضاه سوف يلقى البعض في السجن والنفي (يجثون بين الأسرى، أو تحتهم) وآخرون سيواجهون الموت. فأولئك الذين داسوا الأرامل والأيتام سوف يداسون من آخرين (ع ٤).

عدد ٥ – ١٩

تم التنبؤ في الأصحاح السابق عن خراب مملكة إسرائيل على يد شلمنأسر ملك أشور، وقد تحقق ذلك في السنة السادسة لحزقيا (٢مل ١٨: ١٠). وكان خرابا شاملا ونهائيا، الرأس مع الذنب. أما في هذا الأصحاح فقد تم التنبؤ بتأديب مملكة يهوذا على يد سنحاريب ملك أشور. وقد تحققت هذه النبوة في السنة الرابعة عشرة للملك حزقيا (٢مل ١٨: ١٣، ١٧). وقد انتهى الأمر بارتباك الأشوريين، والتشجيع العظيم لحزقيا وشعبه بعودتهم إلى الله.

أولا: الله، في سلطانه، عين ملك أشور ليكون في خدمته، واستخدمه كأداة (ع ٥ و٦). «ويل لأشور»، لتعلموا أنكم «قضيب غضبي» وسوف أرسلكم لتكونوا سوطا «على شعب سخطي». فعلى الرغم من أن اليهود أظهروا التقوى، إلا أنهم كانوا «أمة منافقة»، يتظاهرون أنهم متدينون، ولاسيما في وقت الإصلاح هذا، غير أنهم لم يكونوا أتقياء حقا، ولم يتغيروا عن طرقهم المعوجة. لقد أبرأهم حزقيا من وثنيتهم إلى درجة بعيدة، أما الآن فقد انغمسوا في النجاسة، والرياء هو نجاسة. وإذا كانوا أمة دنسة منافقة، فمن ثم كانوا شعب سخط الله. ونرى هنا التغيير الذي أحدثته الخطية: فأولئك الذين كانوا الشعب المختار المقدس، أصبحوا الآن «شعب سخطه» (انظر عاموس ٣: ٢). أما الأشوريون فعلى الرغم مما بدوا عليه من عظمة فائقة إلا أنهم لم يكونوا سوى «قضيب» غضب الله، أداة رأى الله أن يستخدمها لتأديب شعبه. «العصا في يدهم» والتي يضربون بها شعبه هي عصا «سخطه». فسخطه هو الذي وضع العصا في يدهم. فأحيانا، يتخذ الله من أمة وثنية- لا تعبده إطلاقا- أداة يعاقب بها أمة منافقة، تعبده ولكن ليس بإخلاص وحق. ولقد سمي الأشوريون «قضيب» غضب الله.. «أرسله... أوصيه». أرسل أشور، ليغتنم غنيمة وينهب نهبا، ولكن ليس لسفك أي دماء. كان عليه أن ينهب البلاد، يسلب البيوت يشتت المواشي، وينزع من الناس كل ثروتهم وكمالياتهم «ويجعلهم مدوسين كطين الأزقة». ولكن لماذا تكون للأشوريين اليد العليا عليهم على هذا النحو؟ ليس لتدميرهم بل لإصلاحهم.

ثانيا: ادعى ملك أشور في كبريائه بأنه حر، وأنه يعمل من أجل مجده الشخصي. لقد استخدمه الله للدينونة ليكون أداة تقود شعبه إلى التوبة: «أما هو فلا يفتكر هكذا ولا يحسب قلبه هكذا» (ع ٧). فلم يطرأ على فكره أنه خادم للرب، أو أنه صديق لإسرائيل. لقد كان الله يستهدف تأديب شعبه، وشفاءهم من نفاقهم، وتقريبهم إليه، ولكن، هل كان هذا قصد سنحاريب؟ إنه لم يكن يستهدف سوى «أن يبيد ويقرض أمما ليست بقليلة» وأن يقيم من نفسه سيدا عليهم. قصد أن يشبع شهواته وأن يقيم مملكة على مستوى العالم. ويتبين من خطاب قائده إلى حزقيا، والذي صدر باسمه، أن الخيلاء والتعالي والغطرسة قد ملأت هذا الرجل. ولقد وُصف كبرياؤه وصلفه هنا، بغية التعريف به كشخص أحمق من جهة، ولطمأنة شعب الله من جهة أخرى من أنه سينكسر. وهو يتفاخر بالأمور العظيمة التي عملها بالأمم الأخرى. فلقد جعل ملوكهم يتوددون إليه ويسعون لكسب وده (ع ٨): «أليست رؤسائي جميعا ملوكا؟» فهؤلاء الذين عينتهم قادة الآن ألم يكونوا ملوكا؟ أليس هؤلاء الذين كانوا ملوكا أحرارا في مناطق نفوذهم خضعوا الآن لنفوذه، وقدموا له فروض الولاء، وجعل من نفسه سيدا على مدنهم؟ ولقد ذكر الكثيرين (ع ٩) ممن هزمهم: «كلنو» استسلمت سريعا مثل «كركميش»، و«حماة» لم تستطع الصمود بأكثر من «أرفاد»، وخضعت له «السامرة» مثلما خضعت «دمشق». لقد استولى على «ممالك الأوثان» ووجد سبلا ليأخذها لنفسه (ع ١٠)، لقد ظن سنحاريب في كبريائه أن كل غزوة قام بها لإحدى الممالك كانت انتصارا على إله تلك المملكة. لقد وسع من مناطق نفوذه ونقل «تخوم شعوب» (ع ١٣) وقد شمل ذلك أراضي واسعة في إطار مملكته. «ونهبت ذخائرهم».. العظام وبعض الفاتحين ليسوا أكثر من لصوص كبار. «وحططت الملوك كبَطَل». لقد أذللت من كانوا يظنون أنهم عظماء. ويتباهى بأنه فعل كل ذلك بقدرته وحكمته (ع ١٣): «بقدرة يدي صنعت» لأني بطل «وبحكمتي لأني فهيم». وقد فعل كل ذلك بسهولة ويسر، كلعبة أو تسلية، كما لو كان يستولى على أوكار العصافير (ع ١٤): «كعش وكما يُجمع بيض مهجور جمعت أنا كل الأرض». وهو على غرار الإسكندر اعتقد أنه قهر العالم. وهدد بما سيلحقه بأورشليم، والذي كان الآن على وشك فرض الحصار حولها (ع ١٠ و١١). وهو يتحدث بتجديف عن إله إسرائيل على اعتبار أنه أحد الأوثان، ويضعه على نفس المستوى مع الآلهة الزائفة للبلدان الأخرى، كما لو أنه لم يكن ثمة إله حقيقي سوى «مثرا» إله النور، الذي كان يعبده. ولابد من أنه كان يعرف أن العابدين الحقيقيين لإله إسرائيل كانوا ممنوعين صراحة من عمل أية صور منحوتة، وإذا فعل أحدهم ذلك فلابد وأن يكون خلسة، وعلى ذلك فلم تكن على نفس ثراء وفخامة تماثيل الأمم الأخرى. أما إذا

كان يقصد تابوت العهد وغطائه، فإنه يتكلم بحماقة، لأنه شخص أحمق. الذين يتخذون من مظاهر الأبهة والعظمة الخارجية دلالة على الكنيسة الحقيقية فإنهم يتبعون نفس هذا المذهب. ونظرا لأنه فتح السامرة، فقد استنتج أن أورشليم ستسقط أيضا. ولكن هذا استنتاج خاطئ لأن أورشليم كانت ملتصقة بالله، في حين أن السامرة ابتعدت عنه.

ثالثا: الله، في عدالته، يوبخ كبرياءه ويعرفه مصيره.

(١) بيَّن بطلان افتخاره وحماقته ووقاحته (ع ١٥): «هل تفتخر الفأس على القاطع بها أو يتكبر المنشار على مردده؟» قالت ذبابة على عجلة عربة في قصة خرافية، انظروا الغبار الذي أثيره، وقالت الفأس: انظروا الدمار الذي أحدثه بين الأشجار. وثمة طريقتان يمكن أن يقال فيهما أن «تفتخر الفأس على القاطع بها» وهما:

أ. في حالة المقاومة والمعارضة: لقد جدف سنحاريب على الله، وهدد بأن يفعل معه ما فعله بآلهة الأمم، هنا يقال إن الفأس تثور في وجه رافعها. فالآلة التي تقاوم العامل بها لا تقل حماقة عن الخزف الذي يقاوم الخزاف، ولا يمكن تبرير مقاومة الإنسان لله سواء بحكمته أو بثروته أو بقوته، التي يعطيها له، ومن ثم فإن هذا أمر غير مقبول البتة.

ب. ومن ناحية المنافسة، هل يمكن للفأس أن تنسب إلى نفسها المديح الخاص بالعمل الذي استخدمت فيه؟ لقد كانت حماقة من سنحاريب أن يقول: «بقدرة يدي صنعت وبحكمتي» (ع ١٣). إن ذلك معناه أنه يمكن للعصا أن تتباهى بأنها هي التي أرشدت اليد التي حركتها «كأن العصا ترفع من ليس هو عودا».

(٢) تنبأ بسقوطه ودماره: فبعد أن ينجز الله عمله من خلاله، هنا سيعمل عمله ضده (ع ١٢). ومن جهة غزو سنحاريب، فقد قصد الله أن يعمل بها خيرا لصهيون وأورشليم. فحين يجلب الله متاعب على شعبه، فإنه يقصد بذلك أن يذكرهم بالخطية، ويوقظ فيهم الشعور بالواجب، ويعلمهم أن يصلوا، وأن يحبوا ويساعدوا بعضهم بعضا.

وحين تتحقق هذه الأهداف، بقدر ما، نتيجة هذه المتاعب فإنه يزيلها في رحمته (لا ٢٦: ٤١ و٤٢). هنا تكون العصا قد انجزت المهمة التي أرسلها الله من أجلها. وبعد أن يتم الله عمل رحمته لشعبه، سيقوم بعمل غضبه على من قاموا بغزوهم: «إني أعاقب ثمر عظمة قلب ملك أشور»؛ فمحاولته ضد صهيون وأورشليم يجب أن تصد، وتنتهي إلى لا شيء (ع ١٦، ١٩). والله نفسه هو الذي سيفعل ذلك، باعتباره «رب الجنود» و«نور إسرائيل»، ونحن على ثقة من أن بمقدوره أن يفعل ذلك لأنه «رب الجنود» وفوق كل ما في السماوات والأرض. لدينا من الأسباب ما يحملنا على الرجاء في أنه سيحقق ذلك لأنه «نور إسرائيل... وقدوسه». وسوف يكون هذا الخراب مثل قضاء المرض على الجسد. «لذلك يرسل السيد سيد الجنود على سمانه هزالا».. فجيشه العظيم، الذي كان يشبه الجسم المغطى بالشحم، سوف يهزل، ويتبدد، ويصبح مثل الهيكل العظمي.

«ويوقد تحت مجده وقيدا كوقيد النار»، ويكون من شأن ذلك أن يصبح جيشه حطاما، فجأة، مثلما تفعل النار ببيت فخم وتحوله إلى دمار. «ويصير نور إسرائيل نارا» للأشوريين، مثلما كان عمود السحاب نورا للإسرائيليين وفزعا للمصريين عند البحر الأحمر. «فيحرق ويأكل حسكه وشوكه في يوم واحد»، فضباطه وعساكره، مثل الشوك والحسك. وحتى «مجد وعره» (ع ١٨)، أي النخبة المختارة من قوات جيشه، والذي يقدرهم كما يقدر الناس أشجار السرو (مجد وعرهم)، أو أشجار فاكهتهم (مجد بستانه) سوف يطرحون كالشوك والحسك في النار. ويذكر النبي أن الجيش سيقل عدده جدا «وبقية أشجار وعره تكون قليلة». وهذه القلة المتبقية لابد وأن تكون محبطة، تكون «كذوبان المريض».

عدد ٢٠ – ٢٣

سبق أن قال النبي (ع ١٢): إن الرب سيكمل «كل عمله بجبل صهيون وبأورشليم» عن طريق غزو سنحاريب للبلاد.

أولا: رجوع البعض ممن سيعطي لهم هذا التدبير الإلهي ثمر البر والسلام، على الرغم من أنه الآن ليس

www.DIFA3IAT.com

للفرح بل للحزن، وما هؤلاء سوى بقية (ع ٢٢)، «بقية إسرائيل» (ع ٢٠)، «بقية يعقوب»، (ع ٢١). ولقد ذكر أن بقية إسرائيل هذه كانت من «الناجين من بيت يعقوب» وهم الذين هربوا من فساد بيت يعقوب، وحافظوا على استقامتهم في أوقات الارتداد العام. «لا يعودون يتوكلون أيضا على ضاربهم»، ولن يعتمدوا إطلاقا على الأشوريين لكي يعاونوهم ضد أعدائهم الآخرين، إذ أدركوا أن هؤلاء الأشوريين هم أنفسهم ألد أعدائهم. «ترجع البقية» (وهذا ما أشير إليه في اسم ابن النبي) «شآر ياشوب» (إش ٧: ٣)، «بقية يعقوب». وسوف يعودون بعد رفع الحصار عن أورشليم، ليس للعودة إلى امتلاك بيوتهم وأراضيهم بهدوء فحسب، بل العودة إلى الله وإلى واجبهم، فسوف يتوبون ويصلون ويطلبون وجهه، ويصلحون حياتهم. وهذا الوعد الخاص بتجديد وخلاص بقية من إسرائيل أشار إليه الرسول بولس عندما كرز به لهم أولا وتجددوا في رومية ٩: ٢٧، وقصد به البقية من اليهود الذين قبلوا الإنجيل عندما كرز لهم أولا وآمنوا.

ثانيا: هلاك آخرين: «لأن السيد رب الجنود يصنع فناء» (ع ٢٣). وهذا يعني دمار ممتلكات وعائلات كثيرين من اليهود على يد جيش أشور. فقد «قضي» ليس بأن يتم هذا الدمار فحسب، بل إنه «حدد» (وهذا معنى الكلمة)، فلقد حدد بصفة خاصة من جهة مداه والمدة التي يستغرقها. وسوف يأتي الله– وعن حق– بهذا الخراب على شعب يثير سخطه، ولكنه وضع حدا له بحكمته وإحسانه.

عدد ٢٤ – ٣٤

يميز النبي في عظته بين الغث والثمين؛ فقد تحدث عن الرعب الذي يحدثه غزو سنحاريب للمرائين، وهم «شعب» سخط الله عليه (ع ٦). أما هنا فهو يتحدث عن تعزية المخلصين، الذين كانوا شعبا يحظى بمحبة الله.

أولا: تحريض لشعب الله بألا يخاف من هذه الكارثة التي يهدد بها: «ارتعب في صهيون الخطاة» (إش ٣٣: ١٤). ولكن يقول الرب «لا تخف من أشور يا شعبي الساكن في صهيون» (ع ٢٤).

ثانيا: تهدئة مخاوفهم: لن يعمل الأشوريون شيئا ضدهم إلا ما عينه الله وحده. وسوف تهب العاصفة سريعا (ع ٢٥): «لأنه بعد قليل جدا»، بعد مدة قصيرة جدا (حسب ما تعنيه الكلمة) يتم السخط وغضبي (الذي هو العصا التي في يدهم: ع ٥). فالعدو الذي يهددهم، سيتعامل الله معه. لقد رفع «عصاه» على صهيون، غير أن الله سوف يقيم عليه «سوطا» (ع ٢٦)، كان يشكل رعبا لشعب الله، لكن الله سيكون رعبه. ومن أجل تشجيع شعب الله يقتبس النبي بعضا مما سبق، فدمار الأشوريين سيكون «كضربة مديان» (والتي تمت بقوة خفية) وكما «عند صخرة غراب» وهو أحد ملوك مديان، الذي قتل بعد المعركة، فذلك ما سيؤول إليه مصير سنحاريب بعد هزيمة قواته. «على أسلوب مصر»، حين شطر البحر الأحمر لهروب إسرائيل وبعد ذلك أغلقه لهلاك مطارديهم، فهكذا رفع قضيبه الآن فوق المياه، من أجل خلاص أورشليم وهلاك الأشوريين. سوف يخلصون تماما من قبضة الأشوريين ويتحررون من خوفها (ع ٢٧). فلن يزول النير فحسب، بل «ويتلف النير بسبب السمانة» (لأن عنقك أصبح غليظا).

أ. من أجل حزقيا (مسيح الرب) وهو من المصلحين الكبار الذين يحبهم الله.

ب. من أجل داود. وهذا هو سبب دفاع الله عن أورشليم ضد سنحاريب (إش ٣٧: ٣٥).

ج. من أجل شعبه إسرائيل، الأبرار منهم.

د. من أجل المسيح، مسيح الله.

ثالثا: فزع العدو، الذي تملك كثيرين (ع ٢٨).

(١) كم كان الأشوريون مرعبين! وهنا نجد وصفا خاصا لزحف سنحاريب، والسرعة التي كان يتقدم بها: «فقد جاء إلى عياث... إلخ». «وضع في مخماش أمتعته»، كما لو أنه ليس في حاجة إلى أسلحته الثقيلة بعد ذلك، وكيف أنه كان يهزم كل مكان بيسر وسهولة، ومدن المخازن الحصينة في يهوذا، كيف أصبحت الآن مخازن لأسلحته. لقد اختاروا ممرا شهيرا: «عبروا المعبر».

(٢) كيف كان رجال يهوذا جبناء، هذا النسل الفاسد من أشبال ذلك الأسد: لقد «هربوا» عند أول إنذار، «مسكينة هي عناثوث»، وهي مدينة كهنة، والتي كان يجب أن تكون مثالا للشجاعة لكنها صرخت

www.DIFA3IAT.com

أكثر من غيرها (ع ٣٠). أما بالنسبة لأولئك الذين «احتموا» معا، فلم يكن ذلك للقتال بل للهرب بناء على اتفاق فيما بينهم (ع ٣١). وهذا يبين السرعة التي كانت تنتقل بها أخبار تقدم العدو في جميع أنحاء المملكة: «جاء إلى عياث»، قال أحدهم، حقا، قال آخر: «عبر بمجرون»... إلخ.

(٣) كيف ستفشل محاولته ضد أورشليم: «اليوم يقف في نوب»، التي بمقدوره أن يرى منها جبل صهيون، وهناك «يهز يده» ضده (ع ٣٢). سوف يهددها ولن يفعل أكثر من ذلك.

(٤) كيف سيتبين له أن الأمر خطير جدا. وحين «يهز يده على» أورشليم، فإن الرب «يقضب الأغصان برعب... ويقطع غاب الوعر» (ع ٣٣ و٣٤). والأشجار المرتفعة القامة والمتشامخة سوف تقطع، بمعنى أن المتشامخين سوف يذلون «ويقطع غاب الوعر». فالجنود الأشوريون بأسلحتهم وحرابهم المنتصبة يشبهون غابة، مثل لبنان، غير أنه حين يصبحون جميعهم في ليلة واحدة كالموتى، هنا تكون لبنان قد سقطت فجأة بمعرفة «القدير»، بالملاك المهلك، فإذا كان ذلك مصير هذا الغازي المتجبر، فليس ثمة داع لأن يخشاه شعب الله.

الأصحاح الحادي عشر

إنه تحول عظيم جدا في النبوة، أن تنتقل من التنبؤ بالخلاص الزمني لشعب الله إلى الخلاص العظيم الذي سوف يتم في ملء الزمان بواسطة الرب يسوع المسيح، الذي ما كان الخلاص الأول الذي تحقق سوى رمز وإشارة إليه. وبعد نبوة خلاص أورشليم من سنحاريب تأتي نبوة عن المسيح الملك.

أولا: ولادته من بيت داود (ع ١).

ثانيا: جدارته وأهليته لعمله العظيم (ع ٢ و٣).

ثالثا: العدل والاستقامة التي تتميز بها رياسته (ع ٣– ٥).

رابعا: السلام الذي تتسم به مملكته (ع ٦– ٩). دخول الأمميين هذه المملكة (ع ١٠)، ومعهم البقية الباقية من اليهود التي ستتحد معهم في مملكة المسيح (ع ١١– ١٦). والرب في القريب سيعطيهم رمزا، وبعض الأمثلة الغامضة في الرئاسة التقية التي كانت في عهد حزقيا، والسلام العظيم الذي ستنعم به الأمة في ظله بعد فشل سنحاريب، وعودة الكثيرين من الأسباط العشرة من الشتات إلى إخوتهم في أرض يهوذا.

عدد ١ – ٩

سبق للنبي أن تحدث عن ولد يولد وتكون الرياسة على كتفه. كما قال في إشعياء ١٠: ٢٧ ويتلف النير بسبب السمانة (الممسوح بحسب ترجمة أخرى)، أما في هذه الفقرة فيتحدث عن ذلك الذي سيمسح.

أولا: سيأتي المسيح في الوقت المعين من بيت داود، باعتباره «غصن الرب» (إش ٤: ٢) الذي وصفه بأنه سيكون بهاء ومجدا. ويجب أن يأتي هذا الغصن من «جذع يسى». ويتعين أن يكون ابن داود، الذي أبرم معه عهد الملك. وكثيرا ما كان داود يدعى «ابن يسى»، وهكذا أيضا سمي المسيح وقد سمي «قضيب»، و«غصن»، وهاتان الكلمتان استعملتا هنا لتشيرا إلى الصغر والرقة «غصن» الذي غالبا ما يكون سهل الكسر. وقبل هذا مباشرة وصف أعداء شعب الله بأنهم مثل الأغصان المتشامخة (إش ١٠: ٣٣)، غير أن المسيح شبه «كفرخ» رقيق (إش ٥٣: ٢)، وعلى الرغم من ذلك سوف ينتصر عليهم. ولقد ذكر أنه يخرج من جذع يسى وليس داود، لأن يسى عاش ومات في تواضع وبعيدا عن أية شهرة، ولم تكن عائلته ذات شأن (١صم ١٨: ١٨) إنه يخرج من قضيب أو جذع يسى. كان بيت داود قد تدنى للغاية في زمن ولادة المسيح، وهذا ما يستدل عليه من الفقر الذي كان عليه يوسف ومريم. والترجمة التفسيرية الآرامية جاءت على هذا النحو: «سيولد ملك من أبناء يسى، وسيمسح المسيا (أو المسيح) من أولاد أولاده».

ثانيا: يجب أن يكون جديرا– من كل جهة– بذلك العمل العظيم الذي قصد له أن يقوم به: هذا الغصن الغض يجب أن يروى بندى السماء حتى يصبح قضيبا قويا يصلح كصولجان للحكم، (ع ٢): «ويحل عليه روح الرب». وسوف يحل عليه الروح ليس بمكيال، بل بدون حدود، لأنه فيه «يحل كل ملء اللاهوت» (كو ١: ١٩؛ ٢: ٩). وقد بدأ كرازته بهذا (لو ٤: ١٨): «روح الرب عليَّ». ويحل عليه «روح الحكمة والفهم روح المشورة والقوة روح المعرفة»، وسيعرف كيف يدير

شئون مملكته الروحية لما فيه مجد الله وسعادة البشر. وقد عرف بشجاعته في تعليمه طريق الله بالحق، ولا يبالي بأحد (مت ٢٢: ١٦).

ثالثا: سوف يكون مدققا في إدارة رياسته وممارسته للسلطة التي أنيطت له (ع ٣)، وسيجعل الروح القدس الذي سوف يتسربل به «لذته تكون في مخافة الرب». والروح في المسيح سيكون بلا مكيال، حتى ينجز عمله كاملا.

رابعا: سيكون عادلا وبارا في جميع أعمال رياسته: «فلا يقضي بحسب نظر عينيه»، ولا يحابي الوجوه (أي ٣٤: ١٩)، «ولا يحكم بحسب سمع أذنيه»، كما يفعل الناس عادة، ولا بالكلمات المنمقة التي يتكلمون بها عندما يدعونه «سيدي سيدي»، بل سوف يحكم بإنسان القلب الخفي، والمبادئ الجوهرية التي يحكم بها بين الناس، وهو في هذه الأخيرة شاهد منزه عن الخطأ. سوف يحكم بالبر والأمانة (ع ٥): «ويكون البر منطقة مَتْنَيهِ». يحيطه بصفة دائمة، وسيكون مجده، وهو سيمنطق نفسه لكل عمل، ويلبس سيفه للحرب في ميدان العدل. «بل يقضي بالعدل للمساكين»، سوف يقضي لصالح أصحاب الحق ويدافع عنهم، على الرغم من أنهم مساكين في العالم، ولأنهم مساكين في الروح. والمسيح هو قاضي للرجل المسكين (مز ٧٢: ٢، ٤): «يقضي لمساكين الشعب» (أو الأرض): والبعض يترجمون هذه العبارة هكذا «يوبخ ودعاء الأرض بالعدل». فإذا كان شعبه، أي ودعاء الأرض، قد ارتكب خطأ فسوف يفتقد خطأه بالعقاب، لكنه سوف «يضرب الأرض»، إنسان الأرض الذي يقوم بالعدوان «بقضيب فمه»، وكلمة فمه تجلب عليهم الرعب والهلاك. و«بنفخة شفتيه»، بعمل روحه، وطبقا لكلمته «يميت المنافق».

خامسا: وسيكون سلام عظيم وسكينة تحت رياسته (إش ٩: ٦). والسلام يشير إلى أمرين:

(١) الاتحاد أو الألفة: الأمر الذي لمح إليه في هذه الوعود التي جاءت في تشبيهات مجازية، فحتى «الذئب» يعيش في سلام «مع الخروف»، والناس الذين عرفوا بميولهم الشريرة سوف تتغير طباعهم بطريقة عجيبة بنعمة المسيح حتى إنهم سيعيشون في محبة حتى مع أضعف الناس، الذين كانوا فريسة سهلة لهم فيما مضى. والمسيح، الذي هو سلامنا، جاء ليقضي على كل العداوات وليقيم صداقات دائمة بين أتباعه ولاسيما بين اليهود والأمميين. و«النمر» لن يكتفي بألا يمزق «الجدي» بل «يربض» معه، و«العجل والشبل» يربضان معا، وسوف ينعمان بصداقة مباركة. وسوف يتوقف الأسد عن أن يكون آكلا للحوم بل «كالبقر يأكل تبنا» وكما يعتقد البعض بأن جميع الحيوانات كانت كذلك قبل السقوط. أما «الصل» و«الأفعوان» فلن يكونا سامين فيما بعد. وأبناء الأفاعي سيصبحون ذرية القديسين. وهذا ما تحقق بالتأثير العجيب الذي أحدثه الإنجيل على عقول أولئك الذين قبلوه، فقد غير طبيعتهم، وأولئك الذين كانوا يدوسون الودعاء بأقدامهم، لم يتحولوا فقط إلى الوداعة، بل صاروا محبين لهم أيضا. والبعض يأمل أن يتحقق كل هذا في الأيام الأخيرة حين «يطبعون سيوفهم سككا»، أي يحولون سيوفهم إلى أسلحة للمحاريث، تستخدم لأغراض سلمية فقط.

(٢) السلامة أو الأمان. المسيح- راعي الخراف العظيم- سوف يولي قطيعه عناية حتى إنهم لن يدمروا بعضهم بعضا، ليس ذلك فحسب، بل لن يسمح لأعدائهم الذين من الخارج أن يكدروهم. وسوف ينال شعب الله الخلاص، ليس من الشر فقط، بل من الخوف منه أيضا، ونتيجة لذلك سيمتلئون بالخضوع والرغبة في تقبل النصح والإرشاد «صبي صغير يسوق» أولئك الذين كانوا فيما مضى يستنكفون أن يحكمهم أقوى الرجال. وسبب ذلك مرجعه معرفة الله. وكلما زادت هذه المعرفة زاد الميل إلى السلام. «لأن الأرض تمتلئ من معرفة الرب»، الأمر الذي يزيل العداوات من قلوب الناس. وهناك المزيد من معرفة الرب يمكن الحصول عليها من إنجيل المسيح أكثر كثيرا من ناموس موسى.

عدد ١٠ - ١٦

نبوة أخرى عن امتداد وإزدهار ملكوت المسيح، التي رمز إليها بيهوذا في ختام حكم حزقيا، وبعد هزيمة سنحاريب.

أولا: هذه النبوة تحققت جزئيا حينما ظهرت

الأمور العظيمة التي عملها الله لحزقيا وشعبه كراية، حفزت الأمم المجاورة على المجيء إليهم للاستعلام عن العجائب التي عملت في الأرض، وهذا ما فعله سفراء ملك بابل (ع ١٠). حينئذ نجد أن كثيرين من الإسرائيليين من الأسباط العشرة- الذين سبق أن أجبرهم ملك بابل على الهرب لحياتهم إلى جميع البلدان المحيطة- قد تشجعوا على العودة إلى بلادهم ووضعوا أنفسهم تحت حماية ملك يهوذا. وقد قيل أن هذا بمثابة استعادتهم مرة «ثانية» (ع ١١)، وهذا مثال على قوة الله كما في خلاصهم الأول من العبودية في مصر. حينئذ «يجمع منفيي إسرائيل» ويؤتى بهم إلى بلادهم، وهكذا الحال أيضا بالنسبة «لمشتتي يهوذا». وهنا ستنسى العداوة القديمة بين أفرايم ويهوذا، وسوف يتحدان ضد الفلسطينيين وغيرهم من أعدائهما (ع ١٣ و١٤). وحين يأتي الوقت الذي حدده الله لخلاص شعبه ستصير الجبال المنيعة سهلا أمامه. ولذلك علينا ألا نيأس عندما نجد أن أحوال الكنيسة قد تدنت جدا، ذلك أن الله بمقدوره أن يحول الأيام القاتمة إلى أخرى مجيدة.

ثانيا: تحمل إشارة أخرى إلى أيام المسيح وانضمام الأمم إلى ملكوته، لأن الرسول أشار إلى هؤلاء (ع ١٠)، والتي تعد الأعداد التالية استمرارا لها (رو ١٥: ١٢): وأيضا يقول إشعياء سيكون أصل يسى- القائم ليسود على الأمم- عليه سيكون «رجاء الأمم». وهذا مفتاح لهذه النبوة، التي تتحدث عن المسيح كأصل يسى، أو «غصن من أصوله» (ع ١)، «كعرق من أرض يابسة» (إش ٥٣: ٢).

(١) «ويرفع راية للأمم» أو يقام راية للأمم. فحين صلب ارتفع «عن الأرض»، كراية أو منارة، حتى يجذب عيون وقلوب «الجميع» إليه (يو ١٢: ٣٢). لقد رفع كراية في كرازة الإنجيل الأبدي، الذي يعد الخدام حاملين للوائه.

(٢) «إياه تطلب الأمم». ونقرأ عن اليونانيين الذين طلبوا أن يروا يسوع (يو ١٢: ٢١).

(٣) «ويكون محله مجدا». البعض يأخذون هذه العبارة على أنها تشير إلى موت المسيح (انتصارات الصليب جعلت حتى من موته مجدا)، والبعض يقولون إنها تشير إلى صعوده، حين جلس عن يمين الله. أو أنها تشير بالأحرى إلى كنيسة الإنجيل.

(٤) سيجتمع إليه كل من اليهود والأمم (ع ١١). بقية من كل منهما، وهي بالمقارنة بقية قليلة، تم استعادتها بصعوبة شديدة- سوف تجمع بقية من اليهود: «ويجمع منفيي إسرائيل ويضم مشتتي يهوذا» (ع ١٢)، وكثيرون منهم كانوا من يهود الشتات في وقت قبولهم المسيح.

(٥) ستتم مصالحة سعيدة بين يهوذا وأفرايم، وكل منهما سيكون في أمان من أعدائهما بل ويسودان عليهم (ع ١٣ و١٤). والاتحاد بين يهوذا وإسرائيل في ذلك الحين كان رمزا وصورة للالتحام بين اليهود والأمم. «وينقضان على أكتاف الفلسطينيين»، كما ينقض النسر على فريسته. بل وسوف يوسعون غزواتهم شرقا على الأدوميين، والموآبيين، والعمونيين. فمن جميع الأمم سيكون هناك البعض ممن يطيعون الإيمان.

(٦) سوف يزال كل ما من شأنه أن يعيق تقدم الإنجيل ونجاحه، ولذلك حين يجمع ما بين اليهود والأمميين معا في كنيسة الإنجيل سوف تزال كل العقبات (ع ١٥ و١٦)، والصعاب التي بدت مستعصية سوف يتم التغلب عليها بصورة عجيبة «وأسير العمي في طريق لم يعرفوها» (انظر إشعياء ٤٢: ١٥ و١٦؛ ٤٣: ١٩ و٢٠). سوف يؤتى بالمؤمنين «على خيل وبمركبات» (إش ٦٦: ٢٠).

الأصحاح الثاني عشر

شبه الخلاص الذي وعد به في الأصحاح السابق بخلاص إسرائيل «يوم صعوده من أرض مصر». وكما رنم موسى وبنو إسرائيل تسبحة حمد لمجد الله (خر ١٥: ١) هكذا سيفعل أيضا شعب الله في ذلك اليوم الذي يقوم فيه جذع يسى راية للشعوب، وسيكون مشتهى وفرح كل الشعوب. وفي ذلك اليوم.

أولا: سيرنم كل مؤمن ترنيمة حمد (ع ١، ٣): «وتقول... أحمدك يا رب».

ثانيا: كثيرون سينضمون لتسبيح الله للربح الناتج عن هذا الخلاص (ع ٤- ٦).

عدد ١ – ٣

هذا هو الجزء الأول من ترنيمة الحمد التي أعدت ليتغنى بها شعب الرب حين يتمم الله لهم النجاة العظيمة، ولكنيسة المسيح حين يقام ملكوته في العالم. فالكنيسة المشتتة، إذا تجمعت في جسد واحد، فإنها ستسبح الله كرجل واحد.

أولا: الوعد أكيد، والبركات المتضمنة حين تمنح، سوف تزود الكنيسة بمادة وفيرة تستوجب تقديم الشكر لله من أجلها.

ثانيا: «وتقول»، بمعنى ينبغي عليك أن تقول.. «في ذلك اليوم» حيث يؤتى بالكثيرين في حشود إلى المسيح ويندفعون نحوه كما يندفع الحمام نحو أعشاشه. «وتقول... أحمدك يا رب» أحمدك.. حتى إذا «غضبت عليَّ». فحتى غضب الله لا يجب أن يحول بيننا وبين حمده. فمن خلال يسوع المسيح «أصل يسى» صرف غضب الله عن البشرية لأنه هو «سلامنا» والذين يتصالح الله معهم يعزيهم. وأحيانا ما يأتي الله بشعبه إلى البرية حتى يمكنه أن يلاطفهم (هو ٢: ١٤). لقد تعلموا أن ينتصروا في الرب (ع ٢): «هوذا الله خلاصي»، ليس مخلصي الذي نلت الخلاص بواسطته فحسب، بل هو خلاصي، الذي أنا مطمئن فيه. فأمامنا عمل نعمله وإغراءات لنقاومها، وعلينا أن نعتمد عليه ليعطينا القدرة لعمل ذلك. أمامنا الكثير من المتاعب التي علينا أن نجتازها، ويمكننا الاتكال عليه ليعزينا في كل ضيقاتنا، لأنه «مؤتي الأغاني في الليل».

ونلاحظ اللقب الذي قيل عن الله هنا: «ياه يهوه». وكلمة «ياه» هي اختصار لكلمة «يهوه»، وكلتاهما تشيران إلى أزليته وعدم تغييره، مما يعطي تعزية عظيمة لأولئك الذين يتكلون عليه كقوتهم وترنيمتهم، لأن الرب يهوه هو قوتكم وترنيمتكم وصار لكم خلاصا، فإنه «من ينابيع الخلاص» في الله، الذي هو مصدر كل صلاح لشعبه «فتستقون مياها بفرح». فوعود الله التي أعلنت، وأقرت، وأعطيت لنا في وصاياه، هي ينابيع الخلاص.

عدد ٤ – ٦

هذا هو الجزء الثاني من الترنيمة. المؤمنون يحثون بعضهم بعضا على حمد الله، وفي هذه الفقرة نراهم يدعون ويشجعون بعضهم بعضا على ذلك.

أولا: شعب صهيون وأورشليم الذين حماهم الله من عنف سنحاريب (ع ٦) يجب أن يتلهفوا ويتحمسوا لحمد الله وشكره. «يا ساكنة صهيون»، والكلمة مؤنثة. ليت النساء تكن قويات في الرب ومن أفواههن يتقن التسبيح.

ثانيا: احمدوا الرب بالصلاة «ادعوا باسمه». ولا يتعين علينا أن نتكلم مع الله فحسب، بل نتكلم مع الآخرين عنه «ذكِّروا» باسمه. «عرفوا بين الشعوب بأفعاله»، اصنعوا ذلك بين الوثنيين لعلهم يأتون ليصبحوا في شركة مع إسرائيل ومع إله إسرائيل. وحين كرز الرسل بالإنجيل لكل الأمم، بدءا من أورشليم، هنا تحقق هذا القول الإلهي: «صَوِّتي».. رحبوا بالإنجيل بكل فرح ثم اعلنوه للآخرين بالتهليل والهتاف العالي، كأولئك الذين يصيحون «صياح النصرة» (خر ٣٢: ١٧ و١٨)، أو لتتويج ملك (عد ٢٣: ٢١). «قدوس إسرائيل عظيم»، لأنه مجيد في قداسته، ولذلك فهو عظيم لأنه قدوس. إنه لمن سعادة إسرائيل أن الله الذي دخل معهم في عهد، وسكن وسطهم، هو عظيم دونما حدود.

الأصحاح الثالث عشر

إلى هنا، كانت نبوات هذا السفر تتعرض ليهوذا وإسرائيل ولاسيما أورشليم، أما الآن فيشرع النبي في الإشارة إلى مصير الأمم والممالك المجاورة، لأن ذاك الذي هو ملك القديسين، هو أيضا ملك الأمم. غير أن الأمم التي تتعلق بهم هذه النبوات لهم صلة ما– بطريقة أو بأخرى– بشعب الله (تث ٣٢: ٨ و٩). والتهديدات التي نجدها هنا موجهة إلى بابل وموآب ودمشق ومصر وصور... إلخ، قُصد بها أن تكون مبعث تعزية للذين يخافون الله في إسرائيل ولكنهم مرتعبون ومقهورون من قبل جيرانهم الأقوياء، وأن تشكل في الوقت ذاته إنذارا للأشرار الذين في وسطهم.

ويتضمن هذا الأصحاح والأصحاح الذي يليه ما قاله الله لبابل ولملكها، الذي سيصبح بمرور الأيام عدوا لدودا لهم أكثر من سابقيه بما لا يقاس، الأمر الذي سيحاسب الله عليه ملك بابل أخيرا.

ويتضمن هذا الأصحاح:

www.DIFA3IAT.com

أولا: تجميع عام للقوات التي سوف تستخدم ضد بابل (ع ١- ٥).

ثانيا: الخراب والأعمال الرهيبة التي سترتكبها هذه القوات في بابل (ع ٦- ١٨).

ثالثا: الدمار الشامل والخراب الذي يلحق ببابل (ع ١٩- ٢٢).

عدد ١ – ٥

العنوان العام لهذا السفر كان «رؤيا إشعيا بن آموص» (إش ١: ١)، غير أن العنوان الدقيق لهذه العظة هو «وحي من جهة بابل» إنه ثقل أو عبء، أو درس كان عليهم أن يتعلموه (هكذا يفهمه البعض)، غير أنه سيكون حملا شديد الوطأة بالنسبة لهم. إنه عبء بابليون أو بابل، والتي كانت في ذلك الحين خاضعة لمملكة أشور (التي كانت عاصمتها نينوى)، غير أنها سرعان ما قامت بثورة وأصبحت مملكة قوية جدا في عهد نبوخذنصر. وقد تنبأ إشعياء بعد ذلك عن سبي اليهود إلى بابل (إش ٣٩: ٦). وتتضمن هذه الأعداد دعوات للأمم القوية التي سيستخدمها الله كأدوات لتدمير بابل: وهو يذكر هذه الأمم (ع ١٧) «الماديين»، الذين قاموا بالاشتراك مع الفرس تحت قيادة داريوس وكورش بتحطيم المملكة البابلية.

أولا: أشير إلى بابل هنا بعبارة «أبواب العتاة» (ع ٢)، بسبب كثرة بيوت النبلاء التي كانت بها. غير أن «كل الأرض» (أرض بابل) كان مقدرا هلاكها (ع ٥)، لأنه على الرغم من أن العتاة (النبلاء) كانوا قادة الاضطهاد، غير أن البلاد كلها اتفقت معهم في هذا الشأن.

ثانيا: الأشخاص الذين تجمعوا معا لخراب بابل دعاهم الله هنا «مقدَّسيَّ» (ع ٣)، الذين قُصد لهم أن يقوموا بهذا العمل وكرستهم عناية الله له. وهذا ما يستشف منه، أن ذلك كان في قصد الله، وليس في قصدهم، أنها ستكون حربا مقدسة، أما بالنسبة لهم فقد استهدفوا توسيع إمبراطوريتهم، أما الله فقد قصد إطلاق سراح شعبه. أما كورش، وهو الشخصية الأساسية في هذا الموضوع، فقد دعي وبحق «مقدسا»، لأنه كان مسيح الله (إش ٤٥: ١)، وكان رمزا لذاك الذي يأتي، وقد دعاهم الله «أبطالي» لأنهم استمدوا قوتهم من الله، وكان عليهم أن يستخدموها من أجله. وقد ذكر عن كورش أن الله أمسك «بيمينه» (إش ٤٥: ١) في هذه المهمة. وعلى الرغم من أن كورش لم يعرف الله، إلا أن الله استخدمه كعبد له (إش ٤٥: ٤) «لقبتك وأنت لست تعرفني». كانوا كثيرين جدا «جمهور،.. ممالك أمم مجتمعة» (ع ٤)، ولم تكن قوات بدائية همجية، بل كانت قوات منتظمة. «يأتون من أرض بعيدة من أقصى السماوات». وبلاد أشور المترامية الأطراف تقع بين بابل وفارس.

ثالثا: النداءات التي وجهت لهم كانت فعالة: «أقيموا راية على جبل أقرع» (ع ٢). «رب الجنود يعرض جيش الحرب» (ع ٤).

عدد ٦ – ١٨

تتضمن هذه الفقرة وصفا للخراب الرهيب الذي سيلحقه الماديون والفرس بمملكة بابل. لقد أمر المطمئنين الآن والآمنين أن يولولوا وينوحوا:

أولا: لأن «يوم الرب قريب» (ع ٦)، يوم الدينونة، سيعمل الله كمنتقم عادل لقضيته، وقضية شعبه التي أسيء إليها. «هوذا يوم الرب قادم» (ع ٩). وسوف يتعامل الله معهم بقسوة من أجل الأعمال الوحشية التي ارتكبوها ضد شعبه.

ثانيا: ستذوب قلوبهم هلعا. فلا تتبقى لهم شجاعة أو راحة (ع ٧ و٨). وهؤلاء الذين كانوا متعظمين مستكبرين عتاة في أوقات السلم (ع ١١)، حيث تأتيهم المتاعب تراهم وقد أسقط في يدهم ومتحيرين: «ترتخي كل الأيادي» وتعجز عن حمل أي سلاح. «ويذوب كل قلب إنسان... يبهتون بعضهم إلى بعض». وإذ يرتعبون، فسوف يزرعون الخوف كل منهم في الآخر «وجوههم وجوه لهيب»، شاحبة من الخوف، أو حمراء كاللهب، أو تحمر خجلا نتيجة جبنهم.

ثالثا: تتحطم كل آمالهم (ع ١٠): «فإن نجوم السماوات،.. لا تبرز نورها»، بل ستحجبها السحب، «تظلم الشمس عند طلوعها»، وهذه علامة أكيدة على طقس رديء.

رابعا: سوف يعاقبهم الله على «إثمهم» ولاسيما خطية الكبرياء (ع ١١). ويتعين إذلال هذا الكبرياء

WWW.DIFA3IAT.COM

الآن: «تجبُّر العتاة» يجب أن يذل ولاسيما نبوخذنصر وابنه بلطشاسر اللذين في كبريائهما أهانا شعب الله.

خامسا: ستكون المذبحة رهيبة حتى إنه سينجم عنها ندرة في الرجال (ع ١٢): «وأجعل الرجل أعز من الذهب الإبريز». فالبلاد المكتظة بالسكان سوف تبدو خالية من سكانها بسبب الحرب.

سادسا: سترتبك أحوالهم بحيث تشبه زلزلة السماوات، بالرعود، وحين «تتزعزع الأرض» نتيجة الزلازل سوف ينتهي كل شيء إلى دمار وخراب «في سخط رب الجنود» (ع ١٣). وبابل، التي اعتادت أن تكون كالأسد المزمجر والدب الثائر سوف تصبح «كظبي طريد وكغنم بلا من يجمعها» (ع ١٤). الجيش الذي يتكون من قوات من أمم مختلفة سوف يذل ويتشتت حتى أنهم «يلتفتون كل واحد إلى شعبه».

سابعا: سيكون مشهدا دمويا رهيبا، كما يحدث دائما حين يلتهم السيف التهاما. فلا رحمة أو هوادة لدى الغازي، بل سوف يسلم الجميع للسيف. والجنود الذين من أمم أخرى وجاءوا ليساعدوهم سوف يبادون معهم. ونظرا لأن معظم نواميس الطبيعة والإنسانية سوف تُبكم بضراوة الحرب، لذلك سوف «تُحطم أطفالهم... وتُفضح نساؤهم» (ع ١٦) بواسطة الغزاة.

ثامنا: العدو لن يعرف رحمة. فهؤلاء الماديون جنبا إلى جنب مع الفرس، لن يقبلوا رشوة (ع ١٧). فالماديون لا يعتدون بالفضة «ولا يرحمون» (ع ١٨) لا «الفتيان» الذين في ريعان الشباب، ولا الأطفال الذين في سن البراءة، «ولا يرحمون ثمرة البطن. لا تشفق عيونهم على الأولاد».

عدد ١٩ - ٢٢

هذه الفوضى الرهيبة والدمار الذي تم التنبؤ بأنه سيتم على يد الماديين والفرس في بابل سوف ينتهي هنا بخراب نهائي. كانت بابل مدينة رائعة. وكانت «بهاء الممالك وزينة فخر الكلدانيين»، «الرأس من ذهب» (دا ٢: ٣٧ و٣٨)، كما كانت تدعى «سيدة الممالك» (إش ٤٧: ٥)، و«فخر كل الأرض» (إر ٥١: ٤١)، مثل «ظبي» لطيف (هذا معنى الكلمة) (ع ١٤). والنبوة هنا بأنها ستدمر تماما مثل سدوم وعمورة. لقد تم الاستيلاء على بابل حين كان بيلشاصر يعربد، وعلى الرغم من أن كورش وداريوس لم يهدماها، إلا أنها شيئا فشيئا أصبحت حطاما. وقد تم التنبؤ هنا (ع ٢٠) بأنها «لا تسكن» أبدا، وفي وقت أدريان لم يكن قد تبقى منها شيء سوى السور. وفي حين أنه كانت النبوة بالنسبة لنينوى بأنه بعد أن تهجر وتصبح خربة فإن القطعان ستربض في وسطها، إلا أنه ذكر هنا بالنسبة لبابل أنه «لا يُربِض هنا رعاة»، فسوف تكون البلاد جرداء حتى لن يكون بها مراعي للغنم. بل ستكون مأوى لـ«وحوش القفر»، التي تتسبب في عزلتها، و«يملأ البوم بيوتهم» وكذلك «بنات النعام» و«معز الوحش» والتي ستكون هي نفسها خائفة هناك، فضلا عن أنها ستسبب خوف الآخرين وعدم اقترابهم إلى هناك. أما بنيامين بار يونا- وهو رحالة من العصور الوسطى- فقد ذكر في مجال حديثه عن بابل ما يلي: «ها هي بابل التي يبلغ عرضها ثلاثين ميلا، قد أصبحت خرابا. وهناك حطام قصر نبوخذنصر، لكن الناس لا يجرؤن على دخوله خوفا من الحيات والعقارب، التي كانت تمتلك المكان» وقد لمح إلى أن هذا الخراب سيحل قريبا (ع ٢٢): «ووقتها قريب المجيء» ونبوة خراب بابل هذه كان القصد منها هو دعم وتعزية شعب الله حين كانوا منفيين هناك، ومقهورين بدرجة تدعو إلى الحزن والرثاء، وقد تحققت هذه النبوة بعد مائتي سنة تقريبا من إعلانها.

الأصحاح الرابع عشر

في هذا الأصحاح:

أولا: المزيد من الوحي الخاص ببابل.

(١) الدفاع عن قضية إسرائيل في هذه المعركة مع بابل (ع ١- ٣).

(٢) سقوط ملك بابل (ع ٤- ٢٠).

(٣) القضاء على الجنس البابلي (ع ٢١- ٢٣).

ثانيا: تأكدت نبوة خراب بابل، والتي كانت لا تزال بعيدة، بنبوة عن خراب الجيش الأشوري الذي غزا الأرض، الأمر الذي وقع بعد ذلك بفترة ليست طويلة (ع ٢٤- ٢٧).

ثالثا: التنبؤ بنجاح حزقيا ضد الفلسطينيين، والمزايا التي سيجنيها شعبه نتيجة ذلك (ع ٢٨– ٣٢).

عدد ١ – ٣

لابد وأن تدمر بابل، لأن الله يعد الرحمة لشعبه.

فالأذى الذي لحق بهم لابد وأن ينتقم له من مضطهديهم. والنير الذي وضعته بابل على أعناقهم يجب أن يكسر ويتعين حصولهم على حريتهم.

أولا: أساس مراحم الله ليعقوب وإسرائيل– رحمة الله بهم واختياره لهم (ع ١): «لأن الرب سيرحم يعقوب»– وسلالة يعقوب هم الآن مسبيون في بابل، «ويختار أيضا إسرائيل»، على الرغم مما بدا لبعض الوقت وكأنه رفضهم ولفظهم.

ثانيا: الإحسانات التي أعدها لهم: «ويريحهم في أرضهم»، التي سبق أن طردوا منها– الأرض المقدسة، أرض الموعد. «فتقترن بهم الغرباء» ويقولون لهم: «نذهب معكم لأننا سمعنا أن الله معكم» (زك ٨: ٢٣). وهؤلاء المتجددون كانوا ذي نفع عظيم لهم في عودتهم إلى وطنهم: «والشعوب» الذين يعيشون بينهم يأخذونهم ويهتمون بهم «ويأتون بهم إلى موضعهم»– كأصدقاء – وكعبيد، راغبين في أن يقدموا لهم كل الخدمات الطيبة الممكنة. وعند عودة المسبيين من بابل، بموجب إعلان كورش، نجد أن كل الذين كانوا حولهم، ساهموا في رحيلهم (عز ١: ٤، ٦)، ولم يفعلوا ذلك لأنهم سئموا منهم كما فعل المصريون، بل لأنهم أحبوهم. وكثيرون صاحبوهم بمحض اختيارهم. «ويمتلكهم بيت إسرائيل في أرض الرب عبيدا وإماء». ومزايا هذه الأرض جعلتها فردوسا لهؤلاء العبيد الذين كانوا غرباء عن عهود الموعد، لأنه ناموس واحد «الغريب مع مولود الأرض». أما الذين يرفضون المصالحة فيجب أن يهزموهم ويذلوهم: «ويسبون الذين سبوهم ويتسلطون على ظالميهم» بالعدل، وليس بهدف الانتقام. وكان يلزم أن يروا نهاية سعيدة لكل مظالمهم (ع ٣): «يريحك الرب من تعبك ومن انزعاجك ومن العبودية القاسية». والرب نفسه تعهد لهم بعمل هذا التغيير المبارك.

عدد ٤ – ٢٣

اضطهد ملوك بابل المتعاقبين شعب الله. وبدت الملكية البابلية مستبدة، وعالمية ودائمة، وبذلك، وعلى ضوء هذه الادعاءات، تخيلت أنها تنافس الله، لذا كان من العدل تماما أن تسقط، وأن يقتل بيلشاصر آخر ملوكها في نفس الليلة التي سقطت فيها بابل (دا ٥: ٣٠).

أولا: سقوط ملك بابل: وقد سجلت هنا عبارات خطيرة جدا تقدم لنا نبذة عن حياة هذا الملك القوي وموته، على الرغم من «أنه قد جعل رعبهم في أرض الأحياء» (حز ٣٢: ٢٥).

(١) الثروة الهائلة والقوة البالغة التي وصل إليها هذا الملك وهذه المملكة. إذا كانت ثروة هذا الملك عظيمة، فقد حققها من خلال التسلط «بغضب على الأمم» (ع ٦)، حيث أصدر لهم قانونا بحسب مسرته، قهر به الأمم (ع ١٢) حتى لا يستطيعون محاربته. وقد دفع إلى الميدان بهذه الجيوش الضخمة حتى أنه «زلزل الأرض وزعزع الممالك» (ع ١٦)، وقد تملك الرعب كل جيرانه، واضطروا للخضوع له.

(٢) سوء الاستغلال المفرط لكل هذه الثروة وهذه القوة:

أ. ظلم فادح وقسوة: فقد عرف باسم «الظالم» (ع ٤)، كان لديه «قضيب المتسلطين» (ع ٥)، ولكنه كان «عصا الأشرار». كان «الضارب» للشعوب، ليس بالعدل، من أجل تقويمهم وإصلاحهم بل «بغضب» (ع ٦). كان يضربهم «بلا فتور». كان «المتسلط بغضب»، ولذلك فإن ذاك الذي تسلط على كل من حوله لم يستطع أن يضبط نفسه. «جعل العالم كقفر» (ع ١٧). وكان شديد القسوة على الأسرى (ع ١٧) حتى أنه «لم يطلق أسراه إلى بيوتهم» بل ابقاهم في الأسر، ولم يسمح لأي منهم بالعودة إلى بلاده. وهذا يشير بصفة خاصة إلى شعب اليهود. وكان ظلمه شديد الوطأة على رعاياه (ع ٢٠): «أخربت أرضك قتلت شعبك».

ب. كبرياء وغطرسة بالغان: وقد روعي هنا ذكر مظاهر الأبهة التي كان يحيط نفسه بها، وبذخ حاشيته (ع ١١). لكن حدة انفعالاته هي التي أوصلته للهلاك (ع ١٣ و١٤): «قلت في قلبك»، مثل لوسيفر «أصعد إلى السماوات». لقد تمنى ملك بابل في نفسه أن يتفوق

www.DIFA3IAT.com

على جميع جيرانه، ويسمو عليهم كما تسمو السماوات على الأرض. وأمر بإحضار آنية الهيكل لتدنيسها (انظر دا ٥: ٢). وبنفس هذه الغطرسة قال هنا: «وأجلس على جبل الاجتماع في أقاصي الشمال»، وقيل إن هذا هو موقع جبل صهيون (مز ٤٨: ٢). ولعل بيلشاصر كان يعد لحملة على أورشليم قبل أن يقضي الله عليه. لقد جعل نفسه ندا لإله إسرائيل الذي سمع أن كرسيه «فوق مرتفعات السحاب». ولذلك قال «أصعد» إلى هناك وأصير عظيما مثله، «أصير مثل العلي». لقد أله بعض الملوك من مؤسسي المملكة الأشورية حتى لقد أطلقت أسماؤهم على الكواكب. ولكنه قال «أرفع كرسي فوق كواكب الله».

(٣) الدمار التام الذي أتى عليه: النبوة هنا أن ثروته ستضيع وقوته سوف تتلاشى. وظل في طغيانه مدة طويلة، ولكن نهايته كطاغية قد حلت (ع ٤). فالذين لا يتوقفون عن ارتكاب الخطية، سيرغمهم الله بطريقته على ذلك. ذلك أن «الرب»، الإله البار قد كسر «عصا» هذا الملك الشرير. قضيّ عليه وضعف نظير الموتى وصار مثلهم (ع ١٠). وهبط «إلى الهاوية» فخره (ع ١١)، أي أنه هلك معه. وهذا الملك القوي الذي اعتاد أن يرقد على فراش وثير من الريش، نراه الآن وتحته «تفرش الرمة» وغطاؤه «الدود». الأمر الذي يوضح أنه على الرغم من تصوره أنه إله، إلا أنه مخلوق من الطين مثل سائر البشر. «ملوك الأمم بأجمعهم اضطجعوا بالكرامة» (ع ١٨)، «كل واحد في بيته»، غير أن ملك بابل هذا طرح من قبره (ع ١٩)، أي أن جثته قد طرحت في حفرة كجثة الحيوان «كغصن أشنع» لنبات سام بغيض، حتى لا يلمسه أحد، مثل ملابس الأشرار المحكوم عليهم بالموت «المضروبين بالسيف» والذين يكومون على جثثهم أكواما من حجارة. وسوف تدوس الخيل والعسكر جثة ملك بابل وتمزقها إربا «كجثة مدوسة». أما بالنسبة لأسلافه فلن يتحد «بهم في القبر» (ع ٢٠). وهكذا بعد أن قضى نحبه «استراحت، اطمأنت كل الأرض» (ع ٧)، لأنه كان أكثر الناس تهديدا للسلام، أما الآن، فالجميع «هتفوا ترنما»، لقد أطمأنت الآن أشجار السرو وأشجار الأرز في لبنان وهي تعتقد بأنها آمنة الآن، وليست معرضة للقطع لكي تمد هذا الطاغية بالأخشاب.

فملوك البلدان المجاورة الذين شبهوا بأشجار السرو والأرز (زك ١١: ٢)، جاء الوقت الذي يشعرون فيه بالراحة حيث لا يخشون من سلب حقوقهم. أما الموتى فسيرحبون به ولاسيما أولئك الذين أسرع بهم إلى القبور نتيجة وحشيته (ع ٩ و١٠): «الهاوية من أسفل مهتزة لك لاستقبال قدومك». ثم إن «جميع عظماء الأرض» الذين كانوا في حياتهم يرتعشون أمامه سوف يسخرون منه في القبر ويمثلون كما لو أنهم يتخلون له عن عروشهم هناك ليجلس عليها كما اعتاد أن يفعل لعروشهم على الأرض. «أأنت أيضا قد ضعفت نظيرنا» من كان يتخيل ذلك؟ أنت الذي حسبت نفسك بين الآلهة الخالدين، هل أتيت لتلقى مصيرك بيننا نحن البشر، الذين مآلهم الموت؟ «كيف سقطت من السماء يا زهرة بنت الصبح» (ع ١١ و١٢). هل مثل هذا النجم أصبح حفنة من الطين؟ وهل سبق لأي إنسان أن سقط من مثل هذه المكانة السامية والسلطة العظيمة إلى هوة العار والبؤس هذه؟ «الذين يرونك يتطلعون إليك يتأملون فيك» (ع ١٦). ولم يسبق للموت أن أحدث مثل هذا التغيير البغيض لأي إنسان مثلما أحدثه له. وهل من الممكن لهذا الرجل الذي كان منذ ساعات قليلة يبدو في هذه العظمة الفائقة، أن يصبح الآن على هذا القدر من الشحوب والحقارة والازدراء؟ «أهذا هو الرجل الذي زلزل الأرض وزعزع الممالك؟» من كان يدور بخلده أنه سيصل إلى هذه الحال (مز ٨٢: ٧)؟

(٤) وهنا استدلال استنبط من كل هذا (ع ٢٠): «لا يسمى إلى الأبد نسل فاعلي الشر». كان ملوك الإمبراطورية البابلية من الأشرار، ولهذا ورثوا هذا العار. فطريق الخطية ليس له ضمان.

ثانيا: تم التنبؤ هنا بدمار العائلة الملكية برمتها مع العاصمة الملكية.

(١) سوف تباد كل العائلة الملكية تماما. فقد صدر الأمر للماديين والفرس الذين سيستخدمون في تنفيذ هذه العملية، بأنه عليهم– بعد أن يغتالوا بيلشاصر– أن يهيئوا «لبنيه قتلا» (ع ٢١)، وبسبب إثمه سيدفع أبناؤه الثمن بنفس العملة «فلا يقوموا ولا يرثوا الأرض» حتى لا يرتكبون في أيامهم نفس الفظائع التي ارتكبها آباؤهم من قبلهم. فعناية الله

www.DIFAAT.com

تأخذ في الاعتبار خير الشعوب بأكثر مما ندرك نحن، وذلك بإنهاء حياة البعض ممن كانوا سيرتكبون الشر والأذى فيما لو كانوا قد عاشوا.

(٢) سوف تدمر العاصمة الملكية وتهجر (ع ٢٣). وسوف لا يسكنها سوى الطيور المخيفة ولاسيما «القوق» و«الغراب» وما إلى ذلك (إش ٣٤: ١١).

عدد ٢٤ - ٣٢

مر ما يقرب من مائتي عام بين النبوة الخاصة بسقوط بابل وبين إتمامها. ولعل أولئك الذين تنبأ لهم إشعياء قد يتساءلون: ماذا يعنينا في هذا؟ وإجابة على هذا التساؤل رد بنبوة عن خراب كل من الأشوريين والفلسطينيين في وقت قريب.

أولا: تم التأكيد على دمار الأشوريين (ع ٢٥): «أحطم أشور في أرضي». لقد جاء سنحاريب بجيش عظيم إلى أرض يهوذا غير أن الله حطمه: «أحطم أشور»، لن يفعل ذلك سواي. وتحطيم قوة أشور نتج عنها كسر النير عن عنق شعب الله: «ويزول عن كتفهم حمله»، وتضمن هذا الحمل إيواء جيش كبير جدا ودفع الضرائب الباهظة. وقد تمت المصادقة على هذه النبوة وتأكيدها بحلف (ع ٢٤): «قد حلف رب الجنود» وما ذكر هنا عن هذا الهدف الخاص لله ينطبق على كل مقاصد الله، فقد جعل تحطيم قوة أشور مثلا لما يعمله الله بكل الأمم التي تتكاتف ضده وضد كنيسته (ع ٢٦)، ولم يقتصر الأمر على إمبراطورية أشور التي كانت في ذلك الحين تعد وكأنها العالم كله، كما كان الحال بعدئذ بالنسبة للإمبراطورية الرومانية (لو ٢: ١) لأنه بسقوطها سقطت دول كثيرة ممن كانت تعتمد عليها. فهذه حقيقة لا تسقط أبدا، أن الله سوف يواجه كل أعداء شعبه (خر ٢٣: ٢٢). وقد تم تحدي كل قوى الأرض أن تقدم على تغيير خطة الله (ع ٢٧): «فإن رب الجنود قد قضى» بأن يحطم نير أشور «فمن يبطل»، أو يصمد أمام دينوناته؟

ثانيا: تم التأكيد أيضا على دمار الفلسطينيين وقوتهم: وقد وقع ذلك «في سنة وفاة الملك آحاز»، وهي السنة الأولى لحكم حزقيا (ع ٢٨). قد وبخ الفلسطينيون لسعادتهم بوفاة الملك عزيا. فقد كان لهم بمثابة الحية (ع ٢٩)، وأذلهم (٢أخ ٢٦: ٦): «وخرج وحارب الفلسطينيين... وبنى مدنا» في وسطهم. غير أنه حين تخلى عزيا عن العرش، استقبل ذلك بفرح في جت، وبشروا في أشقلون. قاموا بالانتقام من آحاز، واستولوا على عدة مدن من يهوذا (٢أخ ٢٨: ١٨): ومع ذلك فإنه «من أصل الحية يخرج أفعوان» وهو عدو أكثر شراسة من عزيا، بل سيكون تولي حزقيا للحكم بالنسبة لهم «ثعبانا ساما طيارا»، لأنه سوف يهاجمهم بكل سرعة وعنف. فقد «ضرب الفلسطينيين إلى غزة» (٢مل ١٨: ٨). في حين أن شعب الله، الذي دمروه وأذاقوه الآلام والفقر، سوف يعود ويتمتع بالخير الوفير «وترعى أبكار المساكين» (أفقر الناس بينهم سيجدون طعاما كافيا). أما بالنسبة للفلسطينيين فإن الله سوف يبيد أصلهم «بالجوع» (ع ٣٠)، وفيما «يربض البائسون» من شعب الله بالأمان، فرحين بترانيم السلام، فإن كل باب وكل مدينة للفلسطينيين سوف تولول وتصرخ (ع ٣١)، وسوف تنحل دولتهم تماما، لأنه من يهوذا، التي تقع شمالي بلاد الفلسطينيين، «يأتي دخان» (جيش كبير يثير غبارا كثيرا، دلالة على نار آكلة وشيكة)، «وليس شاذ في جيوشه»، أو ناقص حين يدخلون القتال.

ثالثا: استخدام كل هذه الأحداث بغية تشجيع شعب الله (ع ٣٢): «فبماذا يجاب رسل الأمم؟»

(١) هذا يشير إلى أن الأمور العظيمة التي عملها الله لشعبه قد لاحظها جيرانهم. وسوف يرسل المبعوثون للاستفسار عنها. ويليق بنا أن نكون مستعدين دائما لمجاوبة كل من يسألنا عن سبب الرجاء الذي فينا من ناحية عناية الله «بوداعة وخوف» (١بط ٣: ١٥).

(٢) الإجابة التي يجب أن تعطى للرسل: إن الله صديق أمين لكنيسته وشعبه، وسيظل هكذا على الدوام. قولوا لهم «إن الرب أسس صهيون». فالله في كل ثورات الدول والممالك يؤسس صهيون، وهو يستهدف نجاح مصالح كنيسته. وحين أرسل مبعوثوا الأمم ليسألوا عن نجاح حزقيا ضد الفلسطينيين، كانوا يتوقعون أن يتعلموا منه شيئا في السياسة، وطرق الحرب. غير أنه قيل لهم إن هذه الانتصارات لم تتأت

نتيجة أي شيء من هذا القبيل، بل يرجع الفضل فيها إلى العناية التي يوليها الله لشعبه. لأنه في صهيون «يحتمي بائسو شعبه»، وبالنسبة لشعبه المسكين الذي أذل منذ عهد قريب، فإن «المساكين يبشرون» (مت ١١: ٥). وسوف يثقون في هذه الحقيقية العظمى، وهي أن «الرب أسس صهيون» وعلى هذه الحقيقة يبنون رجاءهم، وليس على ذراع بشر. ومهما كان الذي يحدث لأية جماعات معينة، فإن الكنيسة التي أسسها الله، وبنيت على الصخرة التي هي المسيح، فلابد وأن تكون راسخة ثابتة. ولن يخاف شعبها مما يستطيع الإنسان أن يعمله.

الأصحاح الخامس عشر

يحوي هذا الأصحاح والذي يليه وحي عن موآب– وهي نبوة عن الدمار العظيم الذي سيحيق بتلك البلاد، التي تتاخم أرض إسرائيل، والتي كانت دائما تسبب لها الأذى والمضايقات، على الرغم من أن الموآبيين من سلالة لوط، ابن أخي إبراهيم، ورفيقه، وعلى الرغم من أن الإسرائيليين– وبتدبير من الله– قد استبقوهم، في وقت كان بمقدورهم أن يقضوا عليهم هم وجيرانهم معا.

ونجد في هذا الأصحاح:

أولا: المناحة العظيمة التي أقامها الموآبيون ورثاء النبي لهم (ع ١– ٥).

ثانيا: الكوارث الرهيبة التي عللت هذه المناحة وبررتها (ع ٦– ٩).

عدد ١ – ٥

كانت بلاد موآب ضئيلة المساحة، لكنها كانت خصبة جدا. وكانت متاخمة لنصيب سبط رأوبين على الجانب الآخر من الأردن والبحر الميت. ولقد ذهبت نعمي للإقامة هناك حين اجتاحت المجاعة أرض كنعان. وهذه هي البلاد التي (كما جاءت النبوة هنا) سوف تتعرض للخراب والغارات العنيفة. ونجد نبوة أخرى تتحدث عن خرابها في إرميا ٤٨، الأمر الذي تحقق على يد نبوخذنصر. أما النبوة التي تعرضت لها هذه الفقرة كان لها أن تتم «في ثلاث سنين» (إش ١٦: ١٤)، ولذلك فقد تحققت إما بواسطة جيش شلمنأسر، في الوقت الذي تم الاستيلاء فيه على السامرة في السنة الرابعة لحكم حزقيا، وإما على يد جيش سنحاريب، والذي بعد ذلك بعشر سنوات قام بغزو يهوذا. ولقد أبلغ النبي شعبه بهذه النبوة ليعرفهم أن عناية الله هي التي تحكم العالم والشعوب– وأن من يعبدون الآلهة الكاذبة سوف يحاسبهم إله إسرائيل. وتحقيق هذه النبوة في وقت قريب «في ثلاث سنين» قد يكون تأكيدا لرسالة النبي وصدق كل نبواته الأخرى. أما فيما يختص بموآب فقد شملت النبوة عنها الآتي:

أولا: ستداهم مدنها الرئيسية ليلا ويستولي عليها العدو (ع ١). وعلى هذا سيكون هناك حزن بالغ لأنه «خربت عار موآب وهلكت. إنه في ليلة خربت قير موآب وهلكت»، وهما المدينتان الرئيسيتان في تلك المملكة، وفي الليلة التي تم الاستيلاء عليهما ونهبهما، تم القضاء على موآب. ذلك أن الاستيلاء عليهما جعل البلاد كلها مفتوحة. وجعل ثروتها لقمة سائغة. وكما أن الريف يطعم المدن، فإن المدن هي التي تحمي الريف، ولا يستطيع أحدهما أن يقول للآخر «لا حاجة بي إليك».

ثانيا: كان على الموآبيين أن يلجأوا إلى أوثانهم لنجدتهم (ع ٢)، «ديبون»، سكان ديبون ذهبوا «إلى البيت»، «يصعدون إلى المرتفعات»، حيث يعبدون آلهتهم، وهناك صعدوا لكي يرفعوا شكاواهم.

ثالثا: سيكون هناك حزن عام يشمل البلاد كلها. وقد وصف هنا بشكل مؤثر. فسوف تكون موآب واديا للدموع– صورة مصغرة لهذا العالم (ع ٢). وسوف يندب الموآبيون خسارة «نبو» و«ميدبا». وسوف ينتزعون شعرهم نتيجة حزنهم حتى أن «كل رأس منها قرعة كل لحية مجزوزة»، وذلك طبقا لعادة التعبير عن الحزن في تلك الأزمنة في هذه البلدان. «في أزقتها يأتزرون بمسح» (ع ٣). سوف يصعدون «على سطوح» بيوتهم، التي كانت مسطحة، وهناك «يولول كل واحد منها سيّالاً بالبكاء»، وبهذا يصرخون إلى آلهتهم. وينزلون وهم منخرطون في البكاء.

رابعا: إن شجاعة جنودهم سوف تخونهم. فعلى الرغم من أنهم نشأوا كجنود غير أنهم كانوا يصرخون

ويرتعدون، كل نفس كانت ترتعد (ع ٤).

خامسا: سوف ينتشر الصراخ بسبب هذه الكوارث إلى الأجزاء المتاخمة (ع ٥). كما أن النبي نفسه انزعجت روحه بمثل هذه النبوات: «يصرخ قلبي من أجل موآب»، وعلى الرغم من أنهم كانوا من أعداء إسرائيل، إلا أنهم إخوتنا في الإنسانية. ويليق بخدام الله أن يتحلوا برقة الروح، وأن يكونوا ودعاء كسيدهم، الذي بكى على أورشليم على الرغم من حكمه عليها بالخراب، ومثل إلههم الذي لا يسر بموت الأشرار. كل المدن المجاورة ستهتز لحزن موآب. ذلك أن «الهاربين»، الذي يبذلون كل ما في وسعهم لكي يهربوا بحياتهم، سوف يحملون صرخاتهم حتى «صوغر»، وهي المدينة التي هرب إليها جدهم الأول لوط ليحتمي بها هربا من نيران سدوم، وقد أستبقت من أجل خاطره. وسوف يصنعون ضجة عالية بصراخهم كما تفعل العجلة ذات الثلاث سنوات حين تصيح من أجل وليدها، كما نقرأ في ١ صموئيل ٦: ١٢. وسوف يصعدون في «عقبة اللوحيث» (كما صعد داود في مصعد جبل الزيتون باكيا، ٢صم ١٥: ٣٠)، وفي «طريق حوروونايم» (أي طريق ذي نهايتين)، وهو الطريق الذي يؤدي إلى بيت حوران العليا وكذلك السفلى، والذي نقرأ عنه في يشوع ١٦: ٣، ٥.

عدد ٦ – ٩

في هذا الوقت كان «الصراخ قد أحاط بتخوم موآب» (ع ٨). وقد وصل إلى «أجلايم» وهي مدينة تقع على أحد طرفي المدينة، «إلى بئر إيليم» وهي مدينة في أقصى الطرف الآخر.

أولا: «لأن مياه نمريم تصير خربة» (ع ٦)، بمعنى أن البلدة نهبت وافتقرت. والمجاعة عادة ما تكون النتيجة الوخيمة للحرب. فإذا ما نظرنا إلى البيوت نجدها قد نهبت كذلك (ع ٧): «الثروة التي اكتسبوها» بجهد جهيد، «ذخائرهم» التي اختزنوها بعناية فائقة، كانوا «يحملونها إلى عبر وادي الصفصاف» وإما أن أصحابها يحملونها إلى هناك لإخفائها، أو لأن الأعداء يعبئونها ويرسلونها إلى بلادهم، وربما يكون ذلك بطريق البحر.

ثانيا: «لأن مياه ديمون تمتلئ دما» (ع ٩)، بمعنى أن سكان البلاد يُذبحون بأعداد غفيرة. وكلمة «ديمون» تقارب في العبرية لفظة «دم»، والمكان سوف يشابه اسمه.. «لأني أجعل على ديمون زوائد»، أي كوارث إضافية. فلدي دينونات أخرى محفوظة لهم. بكل هذا لم يصرف غضب الله. فالبعض سيتمكنون من الفرار، وآخرون سيغض الطرف عنهم، ويكونون كبقية في البلاد، غير أن الله يجعل على كليهما «أسدا»، وحيوانات مفترسة.

الأصحاح السادس عشر

يواصل هذا الأصحاح الوحي الخاص بموآب ، ونجد فيه:

أولا: يقدم النبي نصيحة طيبة للموآبيين، ليصلحوا ذواتهم، وليكونوا مترفقين بشعب الله، حتى يتجنبوا الدينونات السابق التهديد بها (ع ١– ٥).

ثانيا: وإذ كان يخشى ألا يأخذوا بنصيحته، فإنه واصل نبوءته عن خراب بلادهم في غضون ثلاث سنوات (ع ٦– ١٤).

عدد ١ – ٥

لقد بين الله أنه لا يسر بهلاك الخطاة بأن أخبرهم بما يتعين عليهم عمله حتى يتجنبوا الهلاك، وهذا هو ما فعله هنا بالنسبة لموآب.

أولا: أوصاهم بأن يتوخوا العدل في معاملة بيت داود، وأن يدفعوا الضريبة التي سبق أن تعهدوا بتقديمها (ع ١): «أرسلوا خرفان حاكم الأرض». لقد جعل داود من الموآبيين عبيدا له (٢صم ٨: ٢)، وبعد ذلك أصبحوا يدفعون الجزية لملوك إسرائيل (٢مل ٣: ٤)، وكانوا يدفعونها من الخراف. والآن يطالبهم النبي بأن يدفعوها إلى حزقيا. يجب أن جبايتها من جميع أنحاء البلاد، «من سالع» وهي مدينة على حدود موآب، على أحد جوانبها، «نحو البرية»، وهي حدود المملكة من الناحية الأخرى، ثم ترسل إلى «جبل ابنة صهيون»، مدينة داود. والبعض يعتقدون أن هذا قيل بتهكم وسخرية، ولكنني أفضل أخذها على أنها مثل نصيحة دانيال لنبوخذنصر حين كان يعرفه بمصيره

(دا ٤: ٢٧). وهذا ما ينطبق على الواجب العظيم الذي يفرضه الإنجيل من جهة الخضوع للمسيح، باعتباره ملك الأرض وملكنا. فحين تأتي إلى الله، الحاكم العظيم، عليك أن تأتي باسم الحمل، حمل الله. «بنات موآب» (القرى الريفية، أو نساء بلدك) سوف يرتعدن «في معابر أرنون»، وقد سلكن هذا الطريق لكي يهربن إلى بلد آخر «كفراخ منفرة» من عشها ولم يستكمل طلوع ريشها بعد.

ثانيا: نصحهم بأن يصنعوا «إنصافا» لبني إسرائيل (ع ٣). اقبلوا نصيحتي، وألغوا كل القرارات الظالمة التي أصدرتموها، والتي بواسطتها صعبتم الحياة على شعب الله.

(١) تنبأ النبي بعاصفة قادمة على شعب الله، الذين برحمة الله تمكنوا من الهرب من غضب جيش أشور، ولكنهم واجهوا هذه المخاطر لكي يتحركوا من أجل سلامتهم. الخطر والمتاعب التي كانوا يتعرضون لها كانت تشبه حرارة الشمس المحرقة في وقت الظهيرة.

(٢) طلب لهم مأوى في أرض موآب بعد أن أصبحت أرضهم ملتهبة وحارقة لهم. وهكذا كان يتعين عليهم أن يتعاملوا بشفقة مع شعب الله. وحيث أنهم مستقرون في بيوتهم، عليهم إذا أن يفتحوا أبوابهم لشعب الله المشتتين، ويكونوا لهم كظل ظليل، لأنهم احتملوا «ثقل النهار والحر». لا تظهروا «الهاربين» ولا تسلموهم (كما فعل الأدوميون، عو ١٣ و١٤)، بل استروا «المطرودين». فليس المطلوب فقط أن تخفوهم لفترة ما، بل إذا دعت الحاجة، أعطوهم حقوق المواطنة: «ليتغرب عندك مطرود موآب» (ع ٤)، أوجدوا لهم مأوى، وكونوا «سترا لهم». إنهم مطرودون، ولكنهم شعبي. فالرب يعرف الذين هم له أينما كانوا، حتى في الوقت الذي ينكرهم فيه الجميع. وسوف يكون هو نفسه ملجأ لهم إذا لم يتيسر لهم سواه، وسوف يجدون راحتهم فيه.

(٣) يؤكد لهم النبي على الرحمة التي يحفظها الله لشعبه. إنهم- أي شعب الله- لن يحتاجوا طويلا لكرمهم، ولن يكونوا عبئا عليهم: «لأن الظالم يبيد وينتهي الخراب». سيكون بوسع شعب الله- في القريب العاجل- أن يعوضوا الموآبيين عن كرمهم (ع ٥): فبالرغم من خراب عرش الأسباط العشرة، إلا أنه في يهوذا سوف يثبت «الكرسي بالرحمة»، وعلى نفس المنوال يمكن لعرشك يا موآب أن يثبت، إذا أردت. اتخذ من حزقيا صديقا لك. إنه سوف «يجلس عليه بالأمانة». وحينئذ سوف يكون قاضيا، وإذ ذاك سوف يحمي أولئك الذين كانوا ملجأ لشعب الله. وسوف نرى سمات القاضي العادل. إنه سوف «يطلب الحق»، أي أنه سوف يتحين الفرص لتعويض كل من وقع عليهم الأذى. أيضا سوف «يبادر بالعدل» ولن يتوانى عن تحقيقه. ليت الموآبيون يدركون ذلك المثال، عندئذ فليتيقنوا من ثبات مملكتهم.

عدد ٦- ١٤

أولا: الخطايا التي أدين بها موآب: (ع ٦) يبدو أن النبي قد توقف عن إسداء النصح للموآبيين. كان يمكن له أن يبرئهم، ولكنهم لم يريدوا. فكثيرا ما هلكت نفوس ثمينة بالكبرياء أكثر منه بأي شهوة كانت. فقد أشتهر الموآبيون بهذا: «قد سمعنا بكبرياء موآب». كانوا يعتقدون أنهم أحكم من أن يقبلوا نصيحة ما، لذا فهم لن ينتهجوا مثال حزقيا، فيقيموا عدلا ويحبوا الرحمة. ولقد سمعنا عن «صلفها» أيضا (فأولئك المغالين في كبريائهم، عادة ما يكونوا حادي الطباع)، وبالأخص سخطها على شعب الله، الذين تضطهدهم عوض أن تحميهم. فمن خلال افتخارها ترضي كبرياءها وأهواءها، غير أنه «بطل افتخارها»، فلن تتحقق خططها القائمة على الكبرياء والغضب بالصورة التي كانت تأملها.

ثانيا: المحن التي هددت بها موآب (ع ٧): «لذلك تولول موآب على موآب... تئنون على أسس قير حارسة» تلك المدينة العظيمة القوية، والتي صمدت ضد قوة عظيمة (٢ مل ٣: ٢٥)، سوف تسوى الآن بالأرض. وقد أشتهرت موآب بحقولها وكرومها، غير أنها ستخرب على أيدي جيش الغزاة (ع ٨، ١٠). لقد غرست بكروم ممتازة رائعة وقد وصلت إلى يعزير، وقد أراحت نفسها على المدى الذي انتشرت فيه، فقد انتشرت حتى «تاهت في البرية»، انتشرت حتى «عبرت البحر» البحر الميت. وكم من مرة كانوا يهللون على قطافهم وعلى حصادهم. كانوا يفرحون ويسعدون في

www.DIFA3IAT.com

حقولهم وكرومهم يغنون ويهللون في معاصرهم. ولم يذكر شيء عن قيامهم بتسبيح الله وتمجيده من أجل المحصول الوفير الذي اعطاه لهم. جعلوه طعام ووقود لشهواتهم، وعلى هذا يجب أن ينزع كل هذا منهم، ولذلك ذبلت حقولهم (ع ٨). والجنود، الذين دعوا هنا «أمراء الأمم» سوف يكسرون من الكروم «أفضلها»، وأحسن ما يوجد منها. لقد انتهى فرح الحصاد، ولن يكون ثمة غناء بعد، ذلك أن خراب بلادهم قد شوه فرحهم. «وأبطل كل أفراحها.... وأخرب كرمها وتينها» (هو ٢: ١١ و١٢). غير أن النفس التقية يمكنها أن تفرح في الرب باعتباره إله خلاصها حتى حين «لا يزهر التين ولا يكون حمل في الكروم» (حب ٣: ١٧ و١٨). وقد شاركهم النبي في حزنهم: «لذلك أبكي بكاء يعزير على كرمة سبمة»، وينظر بمشاركة وجدانية على المصائب التي لحقت بهذه البلاد الجميلة: «أرويكما بدموعي يا حشبون» وأخلطهما بدموعك، والواقع أنه يبدو حزنا داخليا: «لذلك ترن أحشائي كعود من أجل موآب» (ع ١١). فالبلايا التي تحل بالعالم وكذلك التي تحيق بالكنيسة يجب أن نعتبرها بلايانا (انظر إشعياء ١٥: ٥).

ثالثا: وفي ختام الأصحاح نرى عجز آلهة موآب عن معاونتهم «ويكون إذا ظهرت إذا تعبت موآب على المرتفعة...» (ع ٢١) وسوف تتعب وتنهك قواها في الصلاة لآلهتها، غير أنهم لا يستطيعون مساعدتها، وسوف تقتنع بعجزها. غير أنها بعد أن تسأم من مرتفعاتها، لن تذهب- كما كان يجب أن تفعل- إلى إله المقدس، بل «إلى مقدسها»، إلى معبد كموش، كبير آلهة موآب (هكذا يوصف دائما)، وسوف تصلي هناك ولكن بلا جدوى، فالأمر نفسه كان قد سبق تحديده منذ فترة طويلة مضت (ع ١٣): «هذا هو الكلام»، هذا هو الأمر «الذي كلم به الرب موآب منذ زمان».. منذ أن بدأت تتكبر وتتصرف بوقاحة، وتسيء إلى شعب الله. فالبلاد كان قد حكم عليها بالخراب منذ زمن طويل مضى، أما الآن فقد أعلن متى يتم ذلك. «تكلم الرب» بأنه سيتم «في ثلاث سنين» (ع ١٤)، والله يعلن عن فكره بصورة تدريجية، ولقد تلألأ نور الإعلان الإلهي أكثر فأكثر، وهكذا الحال أيضا بالنسبة لنور النعمة الإلهية في القلب. وسوف «يهان مجد موآب»، أي أنها ستكون محط الاحتقار، حين تتلاشى كل أسباب افتخارهم. كان مجدا لموآب أنها كانت عامرة بالسكان، وكان جنودها يتسمون بالشجاعة، غير أن القلة الصغيرة الباقية ستكون «صغيرة لا كبيرة». و«في ثلاث سنين كسني الأجير»، فسوف يكون ذلك في نهاية ثلاث سنين بالضبط، لأن الأجير الذي يستأجر لفترة معينة يحسب المدة بدقة. إنها بعدل حذرت، وأعطيت وقتا كافيا للتوبة، التي لو استغلتها- كما فعلت نينوى- لكان يحق لنا أن نتوقع انتفاء الدينونات التي هُددت بها.

الأصحاح السابع عشر

تحالف أرام وأفرايم ضد يهوذا (إش ٧: ١ و٢)، وإذ ارتبطا ارتباطا وثيقا، فإن هذا الأصحاح وعنوانه: «وحي من جهة دمشق» (المدينة الرئيسية في سورية)، يتحدث عن مصير إسرائيل أيضا.

أولا: تم التنبؤ هنا بدمار المدن القوية سواء في أرام أو في إسرائيل (ع ١- ٥)، ومرة ثانية (ع ٩- ١١).

ثانيا: في وسط الدينونة يتذكر الله رحمة لإسرائيل، وأعطي وعد كريم بأنه ستحفظ بقية لا تمسها الكوارث بل ستعمل على دفعهم إلى الصلاح (ع ٦- ٨).

ثالثا: تمت الإشارة إلى اندحار جيش أشور أمام أورشليم (ع ١٢- ١٤). وبالنسبة للترتيب الزمني كان يجب وضع هذا الأصحاح بعد الأصحاح التاسع، ذلك أن دمار دمشق الذي تحدثت عنه النبوة هنا تم في حكم آحاز (٢مل ١٦: ٩).

عدد ١- ٥

نجد هنا الوحي من جهة دمشق، والترجمة التفسيرية الآرامية جاء بها: وحي من جهة كأس اللعنة التي ستتجرعها دمشق. وإذ كانت الأسباط العشرة في تحالف معها، كان لابد وأن يتوقعوا أن يشاركوا دمشق في كأس الرعب هذا. دمشق ذاتها، وهي أكبر مدن أرام، لابد وأن تدمر، وتحرق بيوتها، وأسوارها وأبوابها، وتزال حصونها، ويحمل سكانها إلى السبي، وهكذا «تزال من بين المدن وتكون رجمة ردم» (ع ١). وسوف يهجر السكان مدنهم، «مدن عروعير (اسم

www.difaiat.com

مقاطعة تابعة لأرام) متروكة» (ع ٢)، وهكذا فإن الأماكن التي كانت مخصصة لأن يسكنها الناس «تكون للقطعان فتربض» فيها. فالبيوت الفاخرة تحولت إلى حظائر للماشية. وحصون إسرائيل، وهي مملكة الأسباط العشرة، سوف يحيق بها الخراب: «ويزول الحصن من أفرايم» (ع ٣). كان الأراميون هم قادة التحالف ضد يهوذا، ولذلك عوقبوا أولا وبكل قسوة، وبعد أن أصبحت إسرائيل ضعيفة على هذا النحو، فإن «بقية أرام. فتصير كمجد بني إسرائيل»، فهذه القلة التي بقيت من الأراميين سوف يكونون في حالة مزرية ومحتقرة مثل بني إسرائيل. وسوف يقضى على مجد يعقوب كما يقضي الوباء الخطير على حياة الإنسان (ع ٤): «مجد يعقوب» كان في أعدادهم الكبيرة، غير أن هذا المجد «يذل» حينما يقضى على الكثيرين منهم بحيث لا «تبقى فيه» إلا بقية قليلة. لقد مات الإسرائيليون من مرض طالت مدته، وضاعت مملكة الأسباط العشرة شيئا فشيئا. سلب كل شيء وحمل بعيدا بيد جيش أشور (ع ٥). وكان الجيش المنتصر، مثل الفلاحين النابهين في وادي رفايم، حين كانت الحنطة غير عادية، ومع ذلك لم يخلفوا وراءهم سنبلة واحدة كلما استطاعوا إلى ذلك سبيلا.

عدد ٦ - ٨

حفظت الرحمة هنا في وسط الدينونة من أجل بقية سوف تفلت من الخراب الشامل الذي سيحيق بمملكة الأسباط العشرة. فقد خبئ ودعاء الأرض في يوم غضب الرب، وغدت حياتهم مريحة نتيجة لجوئهم إلى أرض يهوذا. ستعين بقية قليلة للاستبقاء (ع ٦): «وتبقى فيه خصاصة» غير أن غالبية الشعب أخذت إلى السبي. والذين تركوا كانوا مثل البقايا الهزيلة لشجرة الزيتون حين تهز بشدة، «كنفض زيتونة حبتان أو ثلاث في رأس الفرع» (أبعد من متناول أولئك الذين يهزونها)، وهذا كل ما في الأمر. وسوف تكون بقية مقدسة (ع ٧ و٨). لقد تابوا عن خطاياهم ورجعوا إلى الله، ولذلك كانوا كجمرات انتشلت من وسط النار. سوف يتطلعون إلى خالقهم، ويعترفون بسلطانه على كل الأحداث المتعلقة بهم، الرحيمة منها والأليمة، وسوف يخضعون لكل ما يجريه، ويبتعدون عن أوثانهم، المصنوعات وليدة خيالهم، ولن يعبدوها بعد، ولن يتوقعوا منها الخلاص. والذي يلتفت إلى خالقه «لا يلتفت إلى المذابح صنعة يديه ولا ينظر إلى ما صنعته أصابعه» بل يحطمها تحطيما.

عدد ٩ - ١١

يعود النبي هنا للتنبؤ بالدمار الذي سيحيق إسرائيل على يد الأشوريين. فحتى المدن القوية، التي كان يجب أن تحمي البلاد، لن تكون قادرة على حماية نفسها، وسوف تصير «كالردم في الغاب». وكما هرب الكنعانيون أمام إسرائيل، سوف تهرب إسرائيل الآن أمام الأشوريين. وسوف تخرب المدن (ع ١٠ و١١): «لأنك نسيت إله خلاصك» وكل الإنجازات العظيمة التي صنعها لك، «ولم تذكري صخرة حصنك» الذي كان قوتك في أوقات كثيرة، وإلا لكان قد تم القضاء عليكم منذ أمد بعيد. لقد بذلوا عناية فائقة ليحسنوا أرضهم، حتى تصبح أكثر جمالا. كانت مثل بستان أو كرم، عامر بالمزروعات، وبأفضل ما ينبت فيها ولكنهم لم يقنعوا بها، وأرسلوا لكل البلاد المجاورة طالبين زروعا غريبة. ويبدو أن هذا المثل قد وضع بصفة عامة للجهد البالغ في زراعة أرضهم، ولعدم ريبتهم في أن ما زرعوه سوف ينمو ويزدهر، «ولكن يهرب الحصيد في يوم الضربة المهلكة والكآبة العديمة الرجاء». كان الحصاد في بعض الأحيان يمثل يوما حزينا إذا ما جاء المحصول هزيلا، ومع ذلك ففي هذه الحالة، كان ثمة رجاء أن يكون المحصول التالي أفضل من سابقه. ولكن سيكون هناك الحزن مع اليأس لأنهم لن يروا فقط هلاك محصول ذلك العام، بل ستتغير ملكية الأرض فيسود عليها قاهريهم.

عدد ١٢ - ١٤

تتحدث هذه الأعداد عن المصير الذي ينتظر أولئك الذين سلبوا شعب الله. فإذا ما غزا الأشوريون والإسرائيليون يهوذا وسلبوها. وإذا ما سبى جيش أشور شعب الله وخرب بلادهم، عليهم أن يعرفوا بأن ذات الخراب ينتظرهم. وقد كان الجيش الأشوري يتكون من أمم كثيرة مختلفة. كان من «شعوب كثيرة» (ع ١٢)، وكانوا بهذا الثقل يأملون تحقيق هدفهم. كانوا يحدثون

ضجيجا، مثل ضجيج البحر لكي يخيفوا شعب الله حتى لا يقاومهم. فقد عمد سنحاريب وقواده، في أقوالهم ورسائلهم أن يحدثوا ضجيجا لكي يبثوا الرعب في قلب حزقيا وفي قلوب شعبه، وكانت الأمم التي تتبعهم «تهدر كهدير مياه غزيرة». حسبوا أنهم بضجيجهم يحققون أهدافهم، ولكن الله (ع ١٢): «ينتهرها فتهرب بعيدا». وسوف يطارد سنحاريب وبقية قواته بالرعب الذي يتولد فيهم «كعصافة الجبال أمام الريح وكالجل أمام الزوبعة»، مثل زغب النبتة الشائكة (كما جاء في ترجمة أخرى). فسوف يجعلهم الله «كالجل»، يجعلهم «مثل القش أمام الريح» يطردهم بعاصفته وبزوبعته يروعهم (مز ٨٣: ١٣، ١٥). سوف يتم ذلك على حين غرة (ع ١٤): «في وقت المساء» حينما يكونون رعبا لشعب الله ومهددين له، إلا أنهم «قبل الصبح ليسوا هم». ففي وقت النوم استغرقهم نوم عميق (مز ٧٦: ٥ و٦). وهذا ما حدث، إذ أباد الملاك جيش أشور في الليل.

الأصحاح الثامن عشر

أيا كانت الأمة التي أشير إليها هنا بعبارة «أرض حفيف الأجنحة» فإن الله سوف يجازيها بسبب شعبه.

أولا: لأنهم يهددون شعب الله (ع ٢).

ثانيا: ولقد دعيت كل الشعوب المجاورة لتشهد ما ستكون عليه النتيجة (ع ٣).

ثالثا: على الرغم من أن الله يبدو لبعض الوقت وكأنه غير مبال بشعبه، إلا أنه يظهر في النهاية ضد أعدائهم ويدحرهم (ع ٤- ٦).

عدد ١ – ٧

حار المفسرون في معرفة هذا الشعب الذي تقع أرضه عبر أنهار كوش. البعض يقولون إنها مصر، غير أن هذا لاقى اعتراضا على أساس أن الأصحاح التالي عنوانه: «وحي من جهة مصر». آخرون يقولون إن المقصود هنا بلاد الحبشة التي كانت ترهاقة ملكا لها. وقد فكر في حماية اليهود وهذا هو ما أشير إليه بعبارة «حفيف الأجنحة»، وذلك بشن هجوم قوي على ملك أشور في مهاجمته أورشليم (٢مل ١٩: ٩) غير أنه على الرغم من تحديه لملك أشور بواسطة سفرائه إلا أن الله سيسلك نهجا آخر لحماية أورشليم. غير أنني أميل إلى تناول هذا الأصحاح على اعتبار أنه نبوة ضد أشور وعلى هذا يكون استمرارا للأعداد الثلاثة الأخيرة من الأصحاح السابق. كان ذلك الأصحاح ضد الجيش الأشوري الذي اندفع لاقتحام يهوذا، أما هذا الأصحاح فيشكل نبوة ضد أرض أشور ذاتها، والتي تقع عبر نهري دجلة والفرات.

أولا: المحاولة من جانب هذه الأرض (أيا كانت) ضد «أمة طويلة وجرداء» (ع ٢)، سواء كان ذلك يشير إلى الأثيوبيين الذين يشنون حربا ضد الأشوريين أو إلى الأشوريين وهم يهاجمون يهوذا. نعرف من هذا أنه كان شعبا مرعبا منذ البداية، وكانت له سطوته الرهيبة، لكن على الرغم من ذلك يتحول إلى أمة «طويلة وجرداء»، ويتعرض للدمار بواسطة أنهاره التي كان من المفروض أن تثري الفلاحين والتجار. كان شعبا مخوفا، وهو الآن أمة طويلة جرداء، مزقت وانهارت ولذلك أصبحت فريسة سهلة لنا.

ثانيا: وصل الإنذار للبلاد المجاورة حيث دعوا إلى مشاهدة ما اعتزم الله أن يفعله (ع ٣): «ترتفع الراية على الجبال.... يُضرب بالبوق»، وبهما يعلن الحرب ضد أعداء شعبه، ويستدعى كل أصدقائها. لأنه على وشك أن يعمل عملا عظيما، لأنه رب الجنود.

ثالثا: التأكيد الذي أكده الله لنبيه، ومن خلاله لشعبه، هو أنه بالرغم من أنه قد يبدو- في وقت ما- وكأنه غير مبال بهم، إلا أنه سيظهر مع ذلك من أجل عزاء شعبه وإرباك عدوه وعدوهم (ع ٤): «لأنه هكذا قال لي الرب» أنه سوف يعتني بشعبه ويكون حصنا لهم، وينظر إلى مسكنه صهيون كموضع راحته إلى الأبد. ويهتم بها (حسب ترجمة أخرى)، ويكون كالدفء بعد المطر، «كغيم الندى في حر الحصاد»، الذي يرحب به الجميع للغاية، الندى بالنسبة للأرض والغيم بالنسبة للعمال. وللعظماء بيوت للشتاء وأخرى للصيف (عا ٣: ١٥)، غير أن أولئك الذين مع الله يجدون فيه كليهما، وسوف يواجه أعداءه وأعداءهم (ع ٥ و٦). وحين منى جيش أشور نفسه بمحصول وفير يتمثل في الاستيلاء على أورشليم، فإن الله سيدمر هذا الجيش بالسهولة التي يقطع بها الفلاح

أغصان الكرم بالمناجل «وينزع الأفنان ويطرحها». ويبدو أن هذا إشارة إلى جثث الموتى من الجنود، المتناثرة مثل أغصان الكرمة البرية التي قطعت إلى أجزاء صغيرة. «وتترك معا لجوارح الجبال» لتفترسها. «في ذلك اليوم»، حيث يتم هذا «تقدم هدية لرب الجنود». فأولئك الذين هم «أمة طويلة وجرداء»» (ع ٢) والذين كانوا مدوسين، سوف يكونون هدية للرب، وعلى الرغم مما يبدو أنه لا فائدة منهم ولا قيمة لهم، إلا أنهم سيكونون مقبولين لدى ذاك الذي يحاسب الإنسان بحسب صدق إيمانه ومحبته وليس بالأبهة والنجاح من حيث المظهر الخارجي. كانت النبوة في (مز ٦٨: ٣١) هي أن «كوش تسرع بيديها إلى الله». وآخرون يأخذونها كإشارة إلى نهب جيش سنحاريب، والذي منه أحضرت الهدايا «لرب الجنود».

الأصحاح التاسع عشر

وكما كانت أشور عصا ليهوذا، ضُربت به، هكذا ستكون مصر قصبة مرضوضة خُدعت بها، ولذلك سيمد الله يده عليهما معا.

وهنا نجد نبوة عن مصر:

أولا: أنها ستذل، وستكون محتقرة بين الأمم بقدر ما هي ذو مكانة سامية الآن بينها (ع ١- ١٧).

ثانيا: ديانة الله المقدسة ستصل مصر أخيرا، وذلك بصفة جزئية على يد اليهود الذين يفرون إليها للاحتماء بها، غير أن الجزء الأكبر سيكون على يد الكارزين بإنجيل المسيح، الذين سوف يؤسسون الكنائس في مصر بكرازتهم، وذلك في العهد الجديد، عهد المسيح. (ع ١٨- ٢٥).

عدد ١ - ١٧

على الرغم من أن مصر كانت تشكل بيت العبودية لشعب الله في القديم، إلا أن اليهود غير المؤمنين اتكلوا على مصر لمساعدتهم (إش ٣٠: ٢)، ومن ثم هربوا إلى هناك، وكان ذلك مخالفا لأمر الله الصريح، حينما بلغت الأمور حدا لا يحتمل في بلادهم (إر ٤٣: ٧). ولقد وبخ قائد الجيش حزقيا لهذا (إش ٣٦: ٦). وفيما تحالفوا مع مصر لم يخشوا دينونات الله، واتكلوا على مصر لكي تحميهم. ولتفادي كل هذا الأذى، كان لابد من إخضاع مصر.

أولا: ستبدو آلهة مصر عاجزة تماما عن مساعدتهم (ع ١): «هوذا الرب راكب على سحابة سريعة وقادم إلى مصر»، كما يذهب القاضي في عظمة ووقار ليحاكم الأشرار ويدينهم، هكذا سيأتي الله إلى مصر بدينونة. وفي كل هذه النبوة الخاصة بمصر لا نجد أية إشارة إلى عدو أجنبي يقوم بغزوها، غير أن الله نفسه سيقوم ضدهم، ويثير بينهم الأسباب التي تؤدي إلى تحطيمهم، بعضا لبعض. وحين يأتي «ترتجف أوثان مصر». وقد وُجدت إيزيس وأوزوريس وأبيس- أصنام مصر- عاجزة تماما عن حماية من يعبدونها، ولذلك سوف يتبرأون منها ويرفضونها. سوف يقوم المصريون «فيسألون الأوثان»، كما يسألون «أصحاب التوابع والعرافين» (ع ٣)، غير أن كل ذلك لن يفيدهم شيئا.

ثانيا: أما جنود مصر، الذين أشتهروا بشجاعتهم، فسوف تنخلع قلوبهم هلعا. وأبطالهم الذين عرفوا بإقدامهم، سوف يوصمون بالجبن: «ويذوب قلب مصر داخلها» كالشمع أمام النار (ع ١): «وتهراق روح مصر داخلها» (ع ٣). ويكونون «كالنساء» (ع ١٦)، وأقل إنذارا سوف يبث الرعب فيهم ويربك صفوفهم.

ثالثا: سوف ينخرط المصريون في حروب بين بعضهم البعض. ولن تكون ثمة حاجة للاستعانة بقوة أجنبية لتدمرهم، ذلك أنهم سيدمرون أنفسهم بأنفسهم (ع ٢): «وأهيج مصريين على مصريين فيحاربون كل واحد أخاه وكل واحد صاحبه مدينة مدينة ومملكة مملكة»، ولقد قُسمت مصر إلى اثنتي عشرة مقاطعة، أو إمارة، غير أن بسماتيك، حاكم إحدى المقاطعات، إذ غرس الخلاف بينهم، نصب نفسه أخيرا سيدا لهم جميعا. وأية مملكة تنقسم على ذاتها سرعان ما تخرب.

رابعا: سوف تحمق خططهم: وحين يريد الله تدمير أمة فإنه يفني «مشورتها» (ع ٣). وقد كان كل منهم يستخف بالآخر، وكل منهم يكشف عن حماقته الشخصية، أما العناية الإلهية فقد حمقتهم جميعا (ع ١١). كان نبلاء مصر يتباهون بعراقتهم، ويقدمون

سجلات خرافية عن جذور أسرهم التي تمتد إلى عشرة آلاف سنة خلت. وكان هذا المسلك سائدا بينهم في ذلك الحين كما يظهر مما كتبه هيرودوت، وكانوا يتفاخرون جميعا بأن مصر أقدم من أية أمة أخرى ببضعة آلاف من السنين. «فأين هم حكماؤك» الآن (ع ١٢). فليعرفونا بكل حنكتهم- إذا استطاعوا- «فليخبروك ليعرفوا ماذا قضى به رب الجنود على مصر»، ومن ثم يسلحوا أنفسهم تبعا لذلك، لكن في الواقع هم أبعد من أن يفعلوا ذلك، بل إنهم في حقيقة الأمر يخططون لدمار مصر، بل ويعجلون بخرابها (ع ١٣)؛ ذلك أن «رؤساء نوف انخدعوا» هم أنفسهم، بل «وأضَلَّ مصر وجوه أسباطها». إنه لأمر محزن لأي شعب، حين يعمل على دماره أولئك الذين تكفلوا بحمايته، مثلما حدث هنا (ع ١٤): وجعلوا مصر «في كل عملها كترنح السكران».

خامسا: سوف تتحول عصا الحكم إلى حية للخيانة والقمع (ع ٤): «وأغلق على المصريين في يد مولى قاس»، ليس أجنبيا، بل شخص يحكمهم بحق موروث، غير أنه سيكون ملكا قاسيا يحكمهم بالحديد والنار.

سادسا: اشتهرت مصر بنهرها، «النيل»، وكان مصدر ثروتها وقوتها، وقد تم التهديد بأنه سوف «تنشف المياه من البحر ويجف النهر وييبس» (ع ٥). وكان خصب البلاد يعتمد كلية على فيضان النيل، وإذا ما جف النيل، سوف تتحول أراضيهم الخصبة إلى أراض جرداء لا تنتج أي محصول: «وكل مزرعة على النيل تيبس وتتبدد ولا تكون» (ع ٧). وإذا كان «القصب والأسل» (أعواد البردي) الذي على حافة النيل يذبل، فكم بالحري الحنطة التي تقع على مسافة أكبر. غير أن «الأنهار تضعف وتجف» ليس نتيجة تدخل الأعداء كسنحاريب الذي جفف ببطن قدميه جميع خلجان مصر (إش ٣٧: ٢٥)، بل سيتأتى ذلك من قبل الله الذي أحيانا «يجعل الأنهار قفارا ومجاري المياه معطشة» (مز ١٠٧: ٣٣). ثم إن جفاف الأنهار سينجم عنه «قتل أسماكهم» (مز ١٠٥: ٢٩)، ومن ثم سيهلك أولئك الذين يعملون بحرفة الصيد عملهم سواء من يستخدمون «شصا» أو بالشباك (ع ٨): سوف «يئنون» و«ينوحون» لبوار تجارتهم. وهناك من «يحيكون» الملابس (ع ١٠)، وهؤلاء سيكونون «مكتئبي النفس» ذلك لأن عملهم سيفشل لنقص الماء. وخسارة كل هذه المزايا بسبب النهر إنما جاء نتيجة عملهم (ع ٦): «تنتن الأنهار وتضعف». أما ملوكهم وعظماؤهم فسوف ينزحون الماء من النهر الرئيسي إلى بيوتهم، مفضلين مصلحتهم الخاصة على الصالح العام. ويخبرنا هيرودوت أن الفرعون «نخو» إذ شرع في حفر ممر مائي مباشر من النيل إلى البحر الأحمر، استخدم عددا كبيرا من الرجال لحفر قناة لهذا الغرض الأمر الذي أتلف النيل وأفقده ١٢٠ ألفا من شعبه، ومع ذلك ترك هذا العمل دون أن ينجزه.

سابعا: كانت مصر شهيرة بصناعة الملابس الكتانية، لكن هذه الصناعة ستدمر. وكان تجار سليمان يشترون الجليبات الكتانية من مصر (١ مل ١٠: ٢٨)، وكانت بلادهم تنتج أفضل أنواع الكتان ولديها أفضل الصناع، غير أنه سوف «يخزى الذين يعملون الكتان الممشط» (ع ٩). ولابد أن يصيب الكساد تجارة مصر لأنه «لا يكون لمصر عمل يعمله» (ع ١٥)، وحيث لا يوجد ما يعمل، فلا يوجد ما يكتسب أيضا. لن يكون ثمة شيء لا «رأس أو ذنب، نخلة أو أسلة»، لا شيء للعظيم أو الحقير، للضعيف أو القوي. لن يجد أحد من هؤلاء ما يعمله.

ثامنا: ثمة ذعر عام سيتملك المصريين، فسوف ترتعد مصر «وترجف» (ع ١٦)، وهذا دليل على الفساد والخراب. وحين يسمعون عن الخراب الذي حل بيهوذا على يد جيش سنحاريب (ع ١٧) فسوف يدركون أن دورهم آتٍ ليقعوا فريسة في يد هذا الجيش المنتصر. سوف يرتعدون «من هزة يد رب الجنود» (ع ١٦)، ويرتعبون «من أمام قضاء رب الجنود الذي يقضي به» عليهم (ع ١٧). ومن ذراع الرب المرفوعة سوف يستخلصون أنه خطط ضد مصر ويهوذا أيضا. لأنه إذا بدأ قضاء الرب ببيت الرب، فلا أحد يمكنه أن يدرك أين سينتهي.

عدد ١٨- ٢٥

هنا نرى شمس البر وقد بزغت من بين سحب التهديدات النبوية، ذلك أن الله لم يزل يختزن رحمة لمصر، وسوف يظهرها عندما يأتي بالديانة الحقة بينهم،

www.difa3iat.com

حيث يدعوهم إلى عبادة الإله الحقيقي وحده. وقد نتج عن كرازة مرقس الإنجيلي (كما هو معروف)، تأسيس الكنائس المسيحية في مصر. وتشير كثير من نبوات هذا السفر إلى أيام المسيح، ولم لا؟ أليس أمر عادي أن نتحدث عن نعم الإنجيل وفرائضه بلغة العهد القديم؟. وفي هذه النبوات قد لا تشير عبارة «في ذلك اليوم» إلى ما جاء قبلها مباشرة، بل قد يكون لها معنى خاص يشير إلى ذلك اليوم، حين يطلع النهار من العلاء ليفتقد هذا العالم المظلم. ومع ذلك فمن المحتمل أن هذه النبوة قد تحققت بشكل جزئي حين أتى هؤلاء اليهود- الذين فروا من بلادهم ليحتموا في مصر حين غزا سنحاريب بلادهم- وحملوا معهم ديانتهم. ويقول لنا يوسيفوس إن أونياس بن أونياس رئيس الكهنة والذي كان يعيش في الإسكندرية كخارج على القانون، حصل على إذن من بطليموس فيلوميتر، وملكته كليوباترا، لكي يبني هيكلا لإله إسرائيل، كذاك الموجود في أورشليم في بلدة تل بسطا في مصر، واتخذ ذريعة لذلك من نبوة إشعياء هذه بأنه «يكون مذبح للرب في وسط أرض مصر». وقد وصف دخول المصريين الإيمان في هذه الفقرة:

أولا: سوف يتكلمون «بلغة كنعان»، واللغة المقدسة لغة الأسفار المقدسة، لن يفهموها فحسب، بل سوف يستخدموها (ع ١٨): «في أرض مصر خمس مدن تتكلم» هذه اللغة، وكثيرون جدا من اليهود يأتون للإقامة في مصر، وسرعان ما يملأون خمس مدن، إحداها ستكون «مدينة الشمس»، حيث كانت عبادة الشمس، وهي أكثر مدن مصر المعروفة بعبادة الأوثان، فحتى هذه المدينة سوف تشهد إصلاحا عظيما.

ثانيا: سوف يقسمون لرب الجنود.. لن يقسموا به فحسب، بل سيكرسون أنفسهم لمجده بقسم مقدس ويلزمون أنفسهم بخدمته.

ثالثا: سيقيمون العبادة الجهارية لله في أرضهم (ع ١٩): «يكون مذبح للرب في وسط أرض مصر»، مذبح حيث «يقدمون ذبيحة وتقدمة» (ع ٢١)، وهذا ما يجب أن يُفهم بمعنى روحي، لأنه طبقا لناموس موسى لا يجب أن يكون هناك مذبح تقدم عليه ذبائح سوى ذاك الذي في أورشليم. وفي المسيح تلاشت كل الفوارق بين الأمم، ولذلك فثمة مذبح روحي، كنيسة الإنجيل في مصر سوف تُقبل لدى الله كأنها في إسرائيل.

رابعا: ستظهر السمة الدينية على الأمة: ليس في وسط أرض مصر فحسب، بل سوف يكون هناك «عمود للرب عند تخمها». حتى في أرض مصر سيكون للرب من يعبدونه بأمانة ويتخذون من اسمه برجا حصينا.

خامسا: وإذ يوجدون في محنة، فسوف يطلبون الله ويجدونه، فيكون ذلك «علامة وشهادة لرب الجنود». ويعرف الرب بأنه إله يستجيب لصلاة كل الذين يرجعون إليه (انظر عددي ٢٠، ٢٢).

سادسا: سوف يظهرون اهتماما بالمخلص العظيم. وسوف يلقي المصريون التائبون نفس النعمة التي وجدها التائبون من أهل نينوى، غير أن كل الإحسانات التي أنعم بها عليهم، والتي تماثل ما حظي به الإسرائيليون، ما كانت سوى ظلال للخلاص الذي يقدمه الإنجيل.

سابعا: تنتشر معرفة الله بينهم (ع ٢١). ولعل هذه إشارة إلى ترجمة العهد القديم من اللغة العبرية إلى اللغة اليونانية بواسطة السبعين، والتي تمت في مدينة الإسكندرية في مصر. وبهذه الوسيلة (إذ قدم اليونانيون لغتهم في البلاد) «فيُعرف الرب في مصر»، وقد سبق أن وعد بأنه سوف «يعرف المصريون الرب».

ثامنا: سوف يدخلون في شركة القديسين. وإذا انضموا إلى الرب فسوف يضافون إلى الكنيسة. سوف تبطل العداوات.

فقد كانت هناك عداوات رهيبة بين مصر وأشور، أما الآن فهناك «تكون سكة من مصر إلى أشور» (ع ٢٣)، سوف يتبادلون التجارة، وكل ما يجري بينهم سيكون في إطار من الصداقة. «ويعبد المصريون مع الأشوريين». والذين يشتركون في عبادة نفس الإله، ويتقابلون عند عرش النعمة الواحد، ويشتركون معا في العبادة، يتحتم عليهم أن يقضوا على كل مظاهر الكراهية والعداء، ويربطون قلوبهم معا في محبة مقدسة. الأمم الوثنية لن تتحد معا في حظيرة الإنجيل تحت رعاية المسيح راعي الخراف العظيم فحسب، بل

إنهم جميعا سيتحدون مع اليهود. فحين تصبح مصر وأشور شريكتين في عبادة الله «يكون إسرائيل ثلثا لمصر» معهم (ع ٢٤)، سوف يصبحون خيطا مثلوثا لا ينقطع. وإذ اتحدوا على هذا النحو، يصبحون «بركة في الأرض. بها يبارك رب الجنود» (ع ٢٤ و٢٥). وسوف يكونون جميعا بركة للعالم. وعلى الرغم من أن مصر كانت في السابق بيت العبودية، وكانت أشور الغازي الظالم، سوف يغفر كل ذلك ويصبح في طي النسيان، وسوف يكونون مقبولين لدى الله مثل إسرائيل. فجميعهم شعبه الذين يظللهم بحمايته.

الأصحاح العشرون

هذا الأصحاح ما هو إلا نبوة عن جر جماهير غفيرة من المصريين والأثيوبيين إلى السبي على يد ملك أشور.

ونجد هنا:

أولا: العلامة التي استخدمت في النبوة، والتي تمثلت في سير النبي حافي القدمين ويكاد يكون عاريا لفترة من الزمن، وكأنه أسير مسكين (ع ١ و٢).

ثانيا: تفسير هذه العلامة مع تطبيقها على مصر وعلى كوش «أثيوبيا» (ع ٣- ٥).

ثالثا: استفادة شعب الله من تلك النبوة، التي تمثلت في عدم الاتكال إطلاقا على ذراع بشر، لأنها سوف تخدعهم كما حدث هنا (ع ٦).

عدد ١ – ٦

الله هنا، باعتباره ملكا على الأمم، يبتلي مصر وكوش بكارثة رهيبة، غير أنه بصفته ملك القديسين يخرج لشعبه الصلاح منها.

أولا: تاريخ هذه النبوة: كانت في السنة التي حوصرت فيها أشدود- مدينة الفلسطينيين الحصينة- بواسطة جيش الأشوريين. ومن غير المؤكد في أية سنة من حكم حزقيا حدث ذلك. فملك أشور في ذلك الحين كان يدعى «سرجون». أما «ترتان» القائد الأعلى في هذه الحملة فكان من ضباط سنحاريب، حيث أرسله لتحدي حزقيا، حسب الاتفاق مع القائد الميداني (٢مل ١٨: ١٧).

ثانيا: جُعل إشعياء علامة، بواسطة ملبسه غير العادي. كان المسح الذي لبسه علامة لشعبه على الأوقات العصيبة التي أتت عليهم، والتي سوف تأتي أيضا. لقد لبس المسح بصفته نبيا، لكي يظهر بأنه مات عن العالم. وسبق لإيليا أن ارتدى ملابس من وبر (٢مل ١: ٨)، وكذلك يوحنا المعمدان (مت ٣: ٤)، غير أن إشعياء جاءه الأمر قائلا: «حل المسح عن حقويك» ليس لكي يستبدلها بملابس أفضل، بل عليه ألا يلبس بدلا منها شيئا على الإطلاق، كما أنه كان عليه أن «يخلع حذاءه» أيضا، ويسير «حافيا». كان هذا يمثل مشقة عظيمة للنبي، وسوف يعرضه للاحتقار والسخرية، غير أن الله أمره أن يفعل هذا، حتى يظهر دليلا على طاعته لله، وفي نفس الوقت يخزي عصيان شعبه. ومادمنا في سبيل عمل الواجب، فعلينا أن نثق في الله من جهة سمعتنا وسلامتنا.

ثالثا: تفسير هذه العلامة (ع ٣ و٤): كان المقصود بها بيان أن المصريين والكوشيين سيساقون إلى السبي بواسطة ملك أشور، وهم عرايا كما كان عليه حال إشعياء، والله يسميه «عبدي إشعياء»، لأنه في هذا الأمر أثبت أنه خادم الله المطيع، وبهذا تمجد الله فيه. ولقد قيل إن إشعياء قد مشى «معرى وحافيا ثلاث سنين»، كما ظهر في ذلك الوقت كنبي. وسوف يقوم الأشوريون بثلاث غزوات متتابعة، لسلب المصريين والكوشيين، وأخذهم إلى السبي، عراة، وبالكاد يغطون عريهم بخرق بالية. ولقد ذكر بصفة خاصة أن ذلك كان «خزيا لمصر» (ع ٤)، لأنهم كانوا شعبا متكبرا.

رابعا: فائدة هذه العلامة وتطبيقها (ع ٥ و٦): توقعت البلدان التي كانت في خطر ابتلاعها بواسطة الأشوريين أن يقوم «ترهاقة»، ملك كوش، بإيقاف زحف جيوشهم المنتصرة، ويكون حصنا لجيرانه، وأن مصر، وهي دولة معروفة بحكمتها وشجاعتها سوف ترغمهم على رفع الحصار عن أشدود ثم الانسحاب. غير أنه عوضا عن ذلك، وبمحاولتهم مقاومة ملك أشور جعلوا من بلادهم فريسة له. وقد أصبحوا الآن خائفين أكثر من ذي قبل من تزايد عظمة ملك أشور، الذي ثبت أن مصر وكوش لم تكن أمامه سوى أغصان شائكة وأشواك وضعت لتخمد نارا آكلة. وسوف يقتنع اليهود بصفة خاصة بحماقتهم في اتكالهم على

هذه القصبة المرضوضة (ع ٦): «ويقول ساكن هذا الساحل» (أرض يهوذا تقع على البحر، على الرغم من أنها ليست محاطة به)، كل واحد سيفتح الآن عينيه ويقول: «هوذا هكذا ملجأنا الذي هربنا إليه». لقد هربنا إلى المصريين والكوشيين، وكان رجاؤنا أن يخلصونا من ملك أشور، غير أنهم اندحروا، فكيف لنا أن نهرب الآن ونحن عاجزون عن أن ندفع بجيوشهم إلى المعركة كما فعلوا هم؟

الأصحاح الحادي والعشرون

يتضمن هذا الأصحاح نبوة عن مجيء أوقات حزينة وأعباء ثقيلة،

أولا: على بابل التي أشير إليها هنا بعبارة «برية البحر»، والتي سيدمرها الماديون والفرس (ع ١- ١٠).

ثانيا: وعلى دومة أو أدومية (ع ١١ و١٢). وعلى بلاد العرب أو قيدار (ع ١٣- ١٧).

عدد ١- ١٠.

سبق أن قرأنا نبوة ضد بابل (إش ١٣)، ونجد هنا نبوة أخرى عن سقوطها. كانت بابل تتظاهر في بعض الأحيان بأنها حليفة لهم (كما في إشعياء ٣٩: ١)، والله بهذا يحذرهم من وضع ثقتها في صداقتها، كما يوصيهم بألا يخشوا من عداوتها. لقد وضعت بابل للهلاك، وكل الذين يؤمنون بأنبياء الله بمقدورهم رؤيتها وهي تترنح. وقد سميت بابل هنا «برية البحر»، لأنها كانت بلادا مستوية مليئة بالبحيرات، وكانت تروى بغزارة عن طريق روافد كثيرة لنهر الفرات. ولم تعرف طريق الشهرة إلا منذ فترة بسيطة فقط. وقد فاقتها نينوى حين كان الملك في يد الأشوريين، غير أنها أصبحت سيدة الممالك، وقبل عصر نبوخذنصر، تنبأ الله صراحة بواسطة أنبيائه عن سقوطها مرارا وتكرارا، حتى لا يرتعب شعبه من نهوضها ثانية، أو يقنطوا من الخلاص حين يقعون في السبي تحت أيديها (أي ٥: ٣؛ مز ٣٧: ٣٥ و٣٦).

أولا: الهجوم الضاري الذي سيشنه الماديون والفرس ضد بابل (ع ١ و٢): سوف «يأتي من البرية من أرض مخوفة». والجزء الشمالي لمادي وفارس كان بريا وجبليا ومخيفا بالنسبة للغرباء، ولقد استدعيت «عيلام» (أي فارس) للصعود ضد بابل، بالاشتراك مع قوات مادي لحصارها. وقد جاءت هذه القوات «كزوابع في الجنوب عاصفة». وكما هو مألوف في مثل هذه الحالة، سوف ينضم إليهم بعض المنشقين: «الناهب ناهبا». ويحدثنا المؤرخون عن جادات وجوبريا وهما من ضباط ملك بابل العظام، الذين توجهوا إلى كورش، وإذ كانا على دراية تامة بجميع المدينة وممراتها، فقد قادوا فرقة اتجهت إلى القصر مباشرة حيث اغتالت بيلشاصر. وهكذا بمعاونة الخائن كان «الناهب ناهبا». وسوف يكيل الفرس للبابليين بنفس مكيالهم..فسوف يلقى نفس المصير أولئك الذين اتخذوا جيرانهم فريسة لهم بالاحتيال والحروب غير العادلة والمعاهدات الخادعة.

ثانيا: الانطباعات المختلفة بالنسبة لقاطني بابل: بالنسبة للمسبيين المساكين سوف يرحبون بهذه الأخبار، لأنه سبق أن قيل لهم منذ فترة طويلة مضت أن خلاصهم سيكون على يد ذاك الذي يدمر بابل، وعلى هذا، فإنهم لدى سماعهم أن جيوش عيلام ومادي في طريقهم لمحاصرة بابل «قد أبطلت كل أنينها». أما للظالمين المتكبرين فسوف تكون رؤيا محزنة ومكدرة (ع ٢) ولاسيما بالنسبة لملك بابل، ويبدو أنه هو الذي نراه هنا يندب مصيره المحتوم (ع ٣ و٤): «لذلك امتلأت حقواي وجعا...»، وهذا ما تم حرفيا في بيلشاصر، لأنه في نفس تلك الليلة التي تم الاستيلاء فيها على المدينة، واغتيل هو نفسه، فإنه عند رؤيته كتابة غامضة على الحائط «تغيرت هيئة الملك وأفزعته أفكاره وانحلت خرز حقويه واصطكت ركبتاه» (دا ٥: ٦). فقد اغتيل في هذه الليلة عينها، حينما كان في أوج مرحه وصخبه وعربدته بين الكئوس والسواري المحيطة به، وألف من أقطابه يعربدون معه.

ثالثا: يجب أن توجد بابل في مرحها وصخبها (ع ٥): هيئوا المائدة بكل أنواع المشهيات، أقيموا الحراس، دعهم يراقبون من برج المراقبة فيما نمرح ونصخب، وفي حالة إعطاء أي إنذار سيقوم الرؤساء بتهيئة الدروع ويكونون على أهبة الاستعداد لاستقبال العدو استقبالا حارا.

www.DIFA3IAT.com

رابعا: الإنذار الذي سيوجه إلى بابل إذا ما اقتحمها كورش وداريوس: لقد أظهر الله النبي الحارس وهو في برج حراسته، وطبقا لواجبه كحارس عليه أن يخبر «بما يرى» (ع ٦). وقد اكتشف هذا الحارس مركبة باثنين من الفرسان، يركب فيها القائد العام. ثم رأى مركبة أخرى تجرها البغال، من تلك المركبات التي كانت شائعة الاستعمال بين الفرس، ومركبة تجرها الجمال، من تلك التي كان الماديون يستخدمونها بكثرة، وهكذا كانت هاتان المركبتان تشيران إلى هاتين الأمتين اللتين تحالفتا ضد بابل. ولقد صرخ: «أنا قائم على المرصد دائما في النهار»، وحتى الآن كل شيء بدا آمنا وهادئا. ثم صرخ ثانية «هوذا ركاب من الرجال. أزواج من الفرسان» (ع ٩).

خامسا: أخيرا، ذكرت إشارة معينة عن سقوط بابل. ذاك الذي في المركبة: «أجاب» (حين سمع الحارس يتكلم): «وقال سقطت سقطت بابل وجميع تماثيل آلهتها المنحوتة كسرها إلى الأرض».

سادسا: أعطي تنبيها لشعب الله، الذي كان مسبيا في ذلك الحين في بابل، بأن هذه النبوة الخاصة بسقوط بابل قصد بها خصيصا أن تكون تشجيعا له (ع ١٠).

(١) اللقب الذي خلعه النبي عليهم باسم الله: «يا دياستي وبني بيدري». ولقد دعاهم النبي بأنهم له، لأنهم كانوا من مواطنيه ولكنه قال هذا وكأنه صادر عن الله. والكنيسة هي بيدر الله، والمؤمنون الحقيقيون هم الحنطة التي يضعها الله في بيدره، وما المراؤون سوى عصافة وقشا. وحنطة بيدر الله يجب أن تتوقع أن تدرس بالبلايا والاضطهادات، وحتى عندئذ فإن الله يعترف بها أنها مازالت ملكه.

(٢) التأكيد الذي قدمه لهم والذي يجب أن يقيموا عليه رجاءهم: «ما سمعته من رب الجنود إله إسرائيل أخبرتكم به».

عدد ١١ و١٢

جاءت هذه النبوة الخاصة بـ«دومة» موجزة للغاية، وعسرة الفهم. ويعتقد البعض أن «دومة» جزء من بلاد العرب، وأن سكانها من سلالة «دومة» الابن السادس لإسماعيل. وهناك آخرون يعتقدون- استنادا إلى ذكر جبل سعير- أن دومة هي أدومية التي هي بلاد الأدوميين. ومن المؤكد أن المقصود هو أحد جيران إسرائيل، وقد تم التنبؤ بمحنتهم، ليس فقط من أجل تحذيرهم للاستعداد لها، بل لتحذير إسرائيل بألا يتكلوا عليهم، بل على إلههم فحسب. ولقد صرخ «صارخ من سعير»، مثل ذلك الرجل المكدوني، الذي طلب من بولس في رؤيا أن يأتي إليهم ويعينهم (أع ١٦: ٩). والسؤال كان خطيرا: «ما من الليل؟» وقد وجه السؤال للشخص المناسب وهو «الحارس». وقد كرر السؤال مما يدل على لهفته. ولقد تعين أنبياء الله وخدامه ليكونوا حراسا. لقد كانوا بمثابة الحراس في المدينة في وقت السلم، لكي يتأكدوا ما إذا كانت الأمور تسير على ما يرام، ولكي يقرعوا على كل باب على حدى (هل الباب مغلق؟ هل النار آمنة؟). أيضا كانوا كحراس في المعسكر في زمن الحرب (حز ٣٣: ٧). عليهم أن يراقبوا العدو ويحذروا منه. ومن واجبنا أن نسأل مرارا وتكرارا: «ما من الليل؟». أيها الحارس، كم الساعة الآن. وبعد ليلة طويلة حالكة هل هناك ثمة أمل في أن ينبلج الصبح؟ ماذا بقى من الليل (كما يترجمها البعض)، ما هي الرؤيا التي رآها النبي هذه الليلة؟ نحن مهيئون لسماعها. أو ما الذي حدث في هذه الليلة؟ ما هو حال الطقس؟ ما هي الأنباء؟ ولم يكن الحارس نائما، ولا كان أصما، مع أن الذي نادى عليه كان رجلا من سعير. أجاب «أتى صباح». يأتي أولا صباح من نور وسلام وفرص طيبة، سوف تتمتعون بيوم آخر من الراحة. غير أنه بعد ذلك يأتي ليل من المتاعب والبلايا. استغلوا فرصة الصباح الحاضرة في الاستعداد لليل الذي يعقبه. «إن كنتم تطلبون فاطلبوا. ارجعوا تعالوا». اسألوا ما شاء لكم، توبوا، وأطيعوا.

عدد ١٣ - ١٧

كانت بلاد العرب مترامية الأطراف تمتد شرقي كنعان وجنوبها. والددانيون (ع ١٣) من نسل ددان بن إبراهيم من قطورة، أما سكان تيماء وقيدار فكانوا من نسل إسماعيل (تك ٢٥: ٣، ١٣، ١٥). وكان العرب يعيشون في خيام، ويرعون الأغنام، وهم شعب تمرس على المشاق، وكان اليهود يعتمدون عليهم

www.DIFA3IAT.com

كجدار بينهم وبين الدول الشرقية الأكثر ميلا للحروب، ومن ثم، كإنذار لليهود سوف يستمعون إلى «وحي من جهة بلاد العرب».

أولا: يقوم عليهم جيش مدمر، بسيف «السيف المسلول... القوس المشدودة... شدة الحرب» (ع ١٥). ومن المحتمل أن يكون ملك أشور قد استولى على العربية وهو في طريقه للحرب وكانوا فريسة سهلة بالنسبة له.

ثانيا: يضطر أهل المدن المساكين إلى الهرب بحثا عن الحماية ولذلك سوف تضطر قوافل الددانيين إلى المبيت «في بلاد العرب» (ع ١٣).

ثالثا: سوف يحتاجون إلى من ينعشهم أثناء هربهم: «يا سكان أرض تيماء» (لعلهم جيران جماعات الددانيين): «هاتوا ماء لملاقاة العطشان... وافوا الهارب بخبزه»، لأنهم يستحقون عطفكم «فإنهم من أمام السيوف قد هربوا». ليتنا نتعلم أن ننظر بعطف لأولئك الذين في محنة، وبكل سرور نخلصهم من ورطتهم. ومما يحمد لأرض تيماء أنهم أغاثوا حتى أولئك الذين كانوا في الجانب المنهزم.

رابعا: وكل مجد قيدار سوف يتلاشى ويسقط. وقطعانهم ومواشيهم الكبيرة سيستولي عليها العدو. أما رماتهم فعوض أن يهزموا العدو سيسقطون هم أنفسهم، «وبقية عدد قسي أبطال بني قيدار تقل» (ع ١٧)، فالرجال القادرون جسمانيا سيكونون قلة قليلة، لأنهم كانوا الأكثر تعرضا للخطر، وسقطوا أولا بسيف العدو.

خامسا: كل ذلك سيتم في وقت قصير: «في مدة سنة كسنة الأجير» (أي خلال سنة واحدة بالضبط) ستتحقق هذه الدينونة ضد قيدار. وتحديد الزمن هذا قد تكون له فائدته الكبرى بالنسبة للعرب، فلربما تنبههم للتوبة، ولعلهم بهذه التوبة يحققون ما حققه أهل نينوى حين منعوا بتوبتهم عقابهم أن يتم بعد أن أخبروا أنه وشيك على الأبواب.

سادسا: تم التصديق على كل هذا من قبل الله (ع ١٦): «لأن الرب إله إسرائيل قد تكلم».

الأصحاح الثاني والعشرون

هذا الأصحاح يتضمن وحيا «من جهة وادي الرؤيا»، أورشليم. لتسمع أورشليم الآن مصيرها.

ويختص هذا الأصحاح بالآتي:

أولا: مدينة أورشليم نفسها وما يجاورها:

(١) نبوة عن المحنة العظيمة التي ستحيق بهم قريبا نتيجة غزو سنحاريب وحصاره (ع ١- ٧).

(٢) توبيخهم لسوء سلوكهم من ناحيتين:

أ. لم يلتفتوا إلى الله عندما فكروا في وسائل استبقائهم (ع ٨- ١١).

ب. لم يتضعوا أمام يده القوية (ع ١٢- ١٤).

ثانيا: بلاط حزقيا وضباط الحاشية:

(١) خلع «شبنا»، وهو رجل شرير، وطرده من الخزانة (ع ١٥، ١٩، ٢٥).

(٢) ترقي ألياقيم، الذي كان مزمعا أن يخدم بلاده بشكل أفضل (ع ٢٠- ٢٤).

عدد ١ - ٧

عنوان هذه النبوة «وحي من جهة وادي الرؤيا» أي يهوذا وأورشليم. وقد سميت أورشليم واديا، ذلك أن الجبال كانت تحيط بها، أما أرض يهوذا فتذخر بالوديان. وقد سميت «وادي الرؤيا» لأنه هناك عُرف الله وهناك عرف الأنبياء فكره عن طريق الرؤى.

أما بابل، البعيدة عن الله، فعلى الرغم من أنها كانت غنية وعظيمة فقد سميت «برية البحر»، غير أن أورشليم التي أؤتمنت على أقواله كانت «وادي الرؤيا».

أما الوحي «من جهة وادي الرؤيا» هنا، فهو أنها لن تهلك تماما، بل سوف يصيبها الذعر فقط، لأنه لا يشير إلى خراب أورشليم على يد نبوخذنصر، بل إلى المحاولة التي قام بها سنحاريب ضدها (ارجع إلى أصحاحي ١٠، ٣٦).

أولا: الذعر الذي يجتاح المدينة مع زحف جيش سنحاريب نحوها. وقد عرف عنها أنها مدينة تجارية عظيمة، مكتظة بالسكان مشهورة بجلبتها ووسائل المرح الصاخبة المتوافرة فيها. أما الذي سوف يزعجكم الآن، فهو تلك الحوانيت المهجورة كما أنكم صعدتم «جميعا على السطوح» (ع ١)، لكي تحموا أنفسكم من العدو. ولكن لماذا ارتعدت أورشليم إلى هذه

الدرجة؟ «قتلاك ليس هم قتلى السيف» (ع ٢)، بل نتيجة المجاعة (كما يقول البعض) أو بسبب الخوف جزعت قلوبهم تماما، حتى بدا أن الخوف قد قتلهم كما لو كانوا قد تمزقوا بسيف.

ثانيا: الهروب المشين لرؤساء يهوذا، الذين هربوا من جميع أنحاء البلاد، وفروا إلى أورشليم (ع ٣)، وقد وجدوا هناك بعد أن تركوا مدنهم لكي تقع فريسة في يد الجيش الأشوري، الذي إذ لم يجد أي مقاومة «صعد على كل مدن يهوذا الحصينة وأخذها» (إش ٣٦: ١). ولقد أُسر هؤلاء الرؤساء «بالقسي»، فلم يهربوا كالجبناء فحسب بل إنهم حين وصلوا إلى أورشليم، كانوا يرتعدون خوفا حتى أنهم لم يستطيعوا أن يمدوا قوسا.

ثالثا: الحزن العميق الذي ساد كل الناس الجادين نتيجة ذلك، حتى النبي نفسه أخذته غصة ومرارة نتيجة ذلك (ع ٤ و٥). ولم يكن يريد أن يجاهر بحزنه، ومن ثم طلب ممن حوله أن ينصرفوا عنه، ذلك أنه كان يريد البكاء سرا. ولكن ما هو سبب حزنه؟ فالنبي رجل فقير، ليس لديه ما يفقده، وقد تمرس على الضيقات، إلا أنه حزن على «خراب» شعبه. فلقد وطأنا الأعداء بأقدامهم، ولم يعرف أصدقاؤنا أي مسلك يسلكوه لكي يقدموا العون لنا. فها هم الأعداء بآلاتهم الحربية يدكون الأسوار، ونحن نصرخ إلى الجبال (لكي تبعد الأعداء أو تسقط علينا وتغطينا) ولكن دون جدوى، أو لتسمع الجبال خصومتنا (مي ٦: ١) ولتحكم بيننا وبين جيراننا.

رابعا: قوة العدو العظيمة، التي حاصر بها مدينتهم (ع ٦ و٧): لقد جاءت عيلام (أي الفرس) بمركباتها وجعبتها تعج بالسهام. أما «قير» (أي مادي) فقد أعدوا كل شيء للمعركة، ولحصار أورشليم. ثم إن الوديان المتميزة المحيطة بأورشليم، والتي اعتادت أن تمتلئ بالماشية ستعج بمركبات الحرب، وهناك «الفرسان تصطف اصطفافا نحو الباب»، لتمنع وصول أية إمدادات.

عدد ٨- ١٤

كانت مدن يهوذا الحصينة هي «ستر» للبلاد، ولكن إذ استطاع جيش الأشوريين أن يكشفها، فلم تعد حصنهم المنيع. وقد ظهر الآن ضعف يهوذا، إذ قضى الجيش على حصون يهوذا. وقد فُتحت مخازن لأسلحتهم الآن لاستخدام العامة. والبعض يعطون معنى آخر لهذا، وهو أنه نتيجة هذه المحنة التي ستحيق بيهوذا فإن الله سيكشف سترهم (أي يظهر رياءهم، ٢أخ ٣٢: ٣١). لقد أظهروا الآن اتكالهم على البشر (ع ٩)، وشعورهم بالأمان (ع ١٣). لقد كانوا في رعب شديد، وقد كشفوا بخوفهم هذا عن:

أولا: ازدراء كبير بصلاح الله وقدرته على معاونتهم: وقد استخدموا كل الوسائل التي طرأت لهم من أجل حمايتهم، غير أنهم إذ فعلوا هذا تجاهلوا الله. وحين أقام سنحاريب نفسه سيدا لكل مدن يهوذا الحصينة، قرروا الصمود في الدفاع وعدم الاستسلام بسهولة. فقاموا بفحص إمدادات السلاح والمخازن، لكي يعرفوا ما إذا كان لديهم مخزون كافٍ من السلاح: «فتنظر في ذلك اليوم إلى أسلحة بيت الوعر» الذي بناه سليمان في أورشليم ليكون مخزنا للسلاح (١مل ١٠: ١٧). راجعوا التحصينات «شقوق مدينة داود» وساروا حول الأسوار، وعرفوا الأمكنة التي تآكلت فيها نتيجة إهمال عمليات الإصلاح. وكانت هذه الثغرات كثيرة. والمحن العامة يجب أن تنبهنا إلى إصلاح ثغراتنا، وتكميل ما هو ناقص. وتأكدوا من إمدادات المياه الخاصة بالمدينة: «وجمعتم مياه البركة السفلى. وعددتم بيوت أورشليم» حتى يرسل كل بيت نصيبه من الرجال للخدمة العامة، ومن أجل المساهمة بالمال، كل بيت بحسب ما يستطيع. ذلك أن الممتلكات الخاصة يجب أن تبذل للأمن العام، وهكذا تم إزالة البيوت التي كانت تعترض طريق تحصين السور. وقد عملوا خندقا بين السورين الخارجي والداخلي، من أجل أمن المدينة كلها، وقد خططوا لجمع مياه البركة القديمة إليها، حتى يتوافر لهم ماء كاف، وحتى يحرموا من يحاصرون المدينة منه. حتى لا يأتي جيش أشور ويجد «مياها غزيرة» (٢أخ ٣٢: ٤). وكم ظهر تجاهلهم لله في كل هذه الاستعدادات: «لكن لم تنظروا إلى صانعه» (أي إلى أورشليم، المدينة التي تتلهفون للدفاع عنها) أو إلى كل المزايا التي حبتها بها الطبيعة من أجل الدفاع عنها. إن الله هو الذي

صنع مدينته أورشليم، وشكلها منذ أمد بعيد في مشوراته الإلهية. ولقد اتهموا هنا بأنهم لم يلتفتوا إلى الله. لقد حصنوا أورشليم لأنها كانت مدينة غنية، وكانت تضم بيوتهم، وليس لأنها المدينة المقدسة التي تحتوي على مسكن الله. لم يتكلوا عليه لكي يبارك محاولاتهم، بل اعتقدوا أن قوتهم تكفي. وقد قيل عن حزقيا نفسه «على الرب إله إسرائيل اتكل» (٢مل ١٨: ٥)، ولاسيما بالنسبة لهذا الظرف (٢أخ ٣٢: ٨)، غير أن من كان حوله من رجال الدولة العظماء، والجنود البواسل، لم يعرفوا الله.

ثانيا: احتقار عظيم لغضب الله وعدله (ع ١٢– ١٤). وكان قصد الله من ابتلائهم بهذه الكارثة، هو إذلالهم واقتيادهم إلى التوبة. وفي يوم البلية هذا دعاهم الرب «إلى البكاء والنوح» وإلى كل التعبيرات التي تنم عن الحزن، ذلك أنه دعاهم حتى إلى «القرعة والتنطق بالمسح»، وهذا من أجل النوح على خطاياهم، وتدعيم صلواتهم، ولكي يهيئوا أنفسهم لإصلاح حياتهم. دعاهم الله إلى هذا بأن شرح لهم نبيه تدبيراته الإلهية. لكنهم سلكوا على النقيض من قصد الله (ع ١٣). كانوا واثقين ومبتهجين كما لو أنه لم يكن لهم أي عدو، أو أنهم غير معرضين لأي خطر. وبعد أن عملوا كل احتياطاتهم التي تكفل لهم الأمان، تحدوا الأخطار، وصمموا على أن يستمروا في مرحهم.

«لنأكل ونشرب لأننا غدا نموت». كانت هذه هي لغة العابثين الدنسين الذين «كانوا يهزأون برسل الله... وتهاونوا بأنبيائه». وسخروا من الموت. واستهزأوا بالتعليم الخاص بالحياة الآتية بعد الموت. عدم الإيمان بحياة أخرى بعد هذه الحياة هو أصل الانغماس في الشهوات الجسدية، والشعور المادي بالأمان، التي هي خطايا وعار وسبب هلاك جزء غير قليل من الجنس البشري. وقد عبر الله لنبيه عن غضبه بسبب هذه الأمور: «فأعلن في أذني» لكي يعلنها هو بدوره من على السطح: «لا يغفرن لكم هذا الإثم حتى تموتوا» (ع ١٤). والذين يسيرون ضدا لمشيئة الله سيجدون أنه يسير ضدا لهم، فمع الأعوج يكون ملتويا.

عدد ١٥ – ٢٥

نرى هنا نبوة عن عزل «شبنا»، وهو من كبار موظفي البلاط، وترقية ألياقيم إلى مركز الكرامة والثقة. وبتحقيق ما سبق التنبؤ به بالنسبة لهؤلاء الأشخاص المعينين، استهدف الله أن يؤكد كلمته التي نطق بها على فم إشعياء فيما يتعلق بأحداث أخرى أعظم وأخطر. ومن المحتمل أن هذه النبوة قيلت في نفس الوقت مع تلك التي وردت في الجزء السابق من الأصحاح، وبدأت تأخذ طريقها إلى التحقيق قبل غزوة سنحاريب، لأن «شبنا» وقتئذ كان «على البيت»، أما فيما بعد، فكان ألياقيم (إش ٣٦: ٣)، وشبنا الذي كان ينحط قدره تدريجيا، لم يكن عند ذاك سوى كاتب.

أولا: النبوة الخاصة بخزي «شبنا»: لقد قيل عنه إنه «جليس الملك»، إذ أؤتمن على إدارة الدخل، كما قيل عنه أيضا إنه «الذي على البيت». ويقول اليهود: إنه كان خائنا ويراسل ملك أشور، وكان في معاهدة معه ليسلم له بمقتضاها المدينة. وقد كان متكبرا مغرورا، يشعر بالأمن والطمأنينة (ع ١٦): «مالك ههنا ومن لك ههنا». ما هذه الضوضاء الشديدة وهذا الصخب البالغ الذي تسببه. ألست أنت وضيعا نكرة لا ندري من أين أتيت؟ إذا ما معنى أنك «نقرت لنفسك ههنا قبرا؟» الواقع أنك «الناحت لنفسه في الصخر مسكنا» كما لو قصدت أن يدوم لك بهاؤك حتى بعد موتك. وهذه نبوة عن سقوطه وتلويث مجده (ع ١٩): «وأطردك من منصبك». فالأماكن العالية منزلقة، وأولئك الذين يجردون عن حق من مجدهم هم الذين ينتفخون به. وهذا ما أشار إليه في آية ٢٥: «يزول الوتد المثبت في موضع أمين (إشارة إلى شبنا، والذي كان يعتقد أنه ثابت راسخ في مركزه) ويقطع ويسقط». وبعد فترة وجيزة سوف يطرد ليس من منصبه فحسب، بل من بلده أيضا: «هوذا الرب يطرحك طرحا يا رجل» (ع ١٧ و١٨). ويعتقد البعض أن الأشوريين قد ألقوا القبض عليه، ونفوه إلى خارج البلاد، أو أن حزقيا– إذ اكتشف خيانته، قام بنفيه. وهناك من يقولون إنه أصيب بالبرص، وهو مرض جرت العادة على أنه يأتي نتيجة غضب الله، ولاسيما لعقاب المتكبرين، وبسبب هذا المرض ألقي «كالكرة» خارج أورشليم. لقد اعتقد شبنا أن وظيفته صغيرة جدا بالنسبة له، وعلى ذلك سوف يرسل إلى

www.DIFA3IAT.com

«أرض واسعة» حيث يهيم هناك على وجهه، ولكنه لن يعرف طريق العودة ثانية، «وهناك تكون مركبات»، تلك التي كانت مركبات مجده، ستصبح وسيلة للومه وتوبيخه وذلك «لخزي بيت» سيده؛ أي لخزي حاشية آحاز الذي أعطاه فرصة الترقية.

ثانيا: نبوة بارتقاء ألياقيم (ع ٢٠– ٢٥). فهو «عبد» الله الذي أثبت أمانته في وظائف أخرى، ولذلك سيدعوه الله إلى هذا المنصب الكبير. وجاءت النبوة هنا بأن ألياقيم سيأخذ وظيفة «شبنا» كبير أمناء القصر، ووزير الخزانة، ورئيس الوزراء. وكان على النبي أن يقول لشبنا (ع ٢١) سوف «ألبسه ثوبك» علامة الشرف، «وأشده بمنطقتك» علامة السلطة، لأنني سوف «أجعل سلطانك في يده»، سوف «ألبسه» وهذا يتبعه أن أجعل السلطان في يده. والذين يدعون إلى مناصب الثقة والسلطان، عليهم أن يطلبوا نعمة الله لكي تمكنهم من أداء مهام مناصبهم. وهكذا وصفت ترقية ألياقيم بعبارة «وأجعل مفتاح بيت داود على كتفه» (ع ٢٢). كان يشرف على «بيت ذخائره: الفضة والذهب والأطياب والزيت الطيب وكل بيت أسلحته وكل ما وجد في خزائنه» (إش ٣٩: ٢) وكان يتصرف فيها بما يراه نافعا للصالح العام. وكان يتعين أن يثبت ويوطد في هذه الوظيفة، لأنه سيبقى فيها طوال حياته (ع ٢٣): «وأثبته وتدا في موضع أمين». لن يقصى منه أو يبعد عنه. وسوف يكون بركة لبلاده (ع ٢١): «فيكون أبا لسكان أورشليم ولبيت يهوذا». وسوف يشرف ليس على الأمور المتعلقة ببيت الملك فحسب، بل بكل المصالح العامة في أورشليم ويهوذا. وإنه لمن خير الشعب ألا يكون للحاشية والبلاد مصالح منفصلة، لكن يكون رجال البلاط مواطنين أوفياء، وعندئذ فالذي تباركه الحاشية سوف تباركه البلاد أيضا.

سوف يكون بركة لعائلته (ع ٢٣ و٢٤): «ويكون كرسي مجد لبيت أبيه». وألياقيم وتد «في موضع أمين»، وقد قيل إن كل عائلته سوف تعتمد عليه، كما تعلق الآنية التي لها أيدي بواسطة مسامير أو خوابير. وهذا يفيد أيضا أنه سيكون كريما في رعايتهم جميعا.. ويتحمل عبء ذلك: و«كل آنية صغيرة من آنية الطسوس إلى آنية القناني جميعا» من أكبرها حتى أصغرها ممن تحتاج إليها عائلته سوف يقوم هو بتدبيرها. وربنا يسوع باعتبار أن معه مفتاح بيت داود فهو يعد «وتدا في موضع أمين». ومعلق عليه «كل مجد بيت أبيه». والنفس التي تتعلق بالرب يسوع لا يمكن أن تهلك، بل ولن تسقط على الأرض أبدا.

الأصحاح الثالث والعشرون

يتحدث هذا الأصحاح عن صور، وهي مدينة غنية قديمة تقع على البحر، اشتهرت بالتجارة، ومتاخمة لنصيب سبط أشير (انظر يشوع ١٩: ٢٩)، حيث سميت «المدينة المحصنة صور»، ونادرا ما نجدها عدوا خطيرا لإسرائيل، بل على العكس من ذلك أحيانا نجد أنها حليفه الأمين كما كان الحال في حكم كل من داود وسليمان، ذلك أن المدن التجارية تحافظ على عظمتها، ليس عن طريق غزو جيرانها، بل عن طريق التجارة معهم.

وقد تضمن هذا الأصحاح نبوة عن:

أولا: خراب صور العظيم على يد نبوخذنصر والجيش البابلي، في الوقت الذي دمروا فيه أورشليم (ع ١– ١٤).

ثانيا: إحياء صور بعد سبعين عاما، وعودة الصوريين من السبي واستئنافهم نشاطهم التجاري (ع ١٥– ١٨).

عدد ١– ١٤

وإذ كانت صور ميناء ومدينة ساحلية، كان من الملائم أن تبدأ هذه النبوة الخاصة بخرابها، بل وتنتهي أيضا بعبارة «ولولي يا سفن ترشيش»، ذلك أن كل تجارتها وثروتها وشهرتها كانت تعتمد على سفنها التي إذا ما دمرت لضاع كل هذا.

أولا: إزدهار صور: «تجار صيدون العابرون البحر» كانوا في بداية الأمر سببا في إثراء تجار صيدون «ملأوك» (ع ٢). وصيدون هي من أقدم المدن، كانت تقع على نفس الساحل، على بعد بضعة فراسخ إلى الشمال، وكانت صور في البداية مجرد مستعمرة تابعة لها، غير أن الابنة فاقت الأم. وقد ساعدت مصر كثيرا على ازدهارها (ع ٣)، وكان شيحور هو نهر مصر، الذي بواسطته وبواسطة المحيط الذي يصب فيه قامت التجارة بين المصريين وبين صور. وأصبحت صور ثرية

www.DIFA3IAT.com

وعظيمة من خلال الصناعة، على الرغم من أنه لم يكن لها أي مصدر للكسب سوى المياه. كانت المدينة «المفتخرة» التي اشتهرت بمرحها وصخبها (ع ٧) وهذا ما حملهم على تجاهل التحذيرات التي وجهها لهم الله من خلال عبيده. كانت المدينة «القديمة» وهذا ما حملها على أن تثق بنفسها. كانت المدينة «المتوجة» (ع ٨) التي توجت نفسها. وكان «تجارها رؤساء» و«متسببوها» حيثما ذهبوا «موقرو الأرض» فقد كانوا يلقون احترام الجميع.

ثانيا: هنا نرى سقوط صور: ولا يبدو أنها جرت على نفسها المتاعب نتيجة إغضابها جيرانها، بل بالأحرى باغرائهم بثروتها، غير أنه، إذا كانت هذه الثروة هي التي حملت نبوخذنصر على مهاجمة صور، فقد خاب ظنه، لأنه بعد أن صمدت للحصار ثلاث عشرة سنة، رحل السكان عن طريق البحر مع عائلاتهم وبضائعهم، ولم يتركوا لنبوخذنصر سوى مدينة جرداء خاوية.

وقد جاءت هنا النبوة الخاصة بدمار صور: فسوف يخرب المرفأ أو على الأقل يهجر. ولن يكون هناك ميناء مريح لاستقبال سفن ترشيش، بل «خربت» تماما (ع ١). لقد دمرت صور وباتت خرابا، ولذلك لم تعد بها أية تجارة بعد. وتمكن الحزن من السكان حتى أنهم عجزوا عن التعبير عنه. وأخذت الجيران الدهشة، وتألموا من أجلها «اخجلي يا صيدون» (ع ٤)، لأن أمواج البحر الهادرة جاءت إلى صيدون بهذه الأخبار عن صور، وهناك أعلن البحر الآتي «لم أتمخض ولا ولدت».. «لم أحضر سفنا محملة بالشبان إلى صور حيث يمكنهم أن يتقنوا فن التجارة والأعمال».

وهو الأمر الذي جعل مدينة صور غنية مليئة بالسكان. والواقع أن مصر كانت مملكة أكبر، وأكثر اتساعا، ومع ذلك كانت تجارة صور أكبر بكثير، حتى أن جميع الدول من حولها سوف تتألم كثيرا من الأخبار الخاصة بدمار هذه المدينة وحدها، بنفس الألم الذي شعروا به بعد ذلك بوقت طويل حين بلغتهم أخبار مصر كلها (ع ٥). أنتم الذين كنتم منذ أمد بعيد من «سكان الساحل» جاء الوقت لأن تولولوا الآن، لأنه يتحتم عليكم أن تتغربوا إلى ترشيش. وأفضل سبيل يمكنكم انتهاجه هو أن تقلعوا إلى ترشيش عن طريق البحر. والذين لم يتمكنوا من الهرب عليهم ألا يتوقعوا سوى السبي (ع ٧): «تنقلها رجلاها بعيدا للتغرب». وسوف يدفعون إلى السبي سيرا على الأقدام. وكثيرون ممن حاولوا الهرب سيقعون في أيدي الأعداء. لم تعد لديهم قوة، فيسقطون فريسة سهلة في أيدي أعدائهم. وإذ لم تعد أية قوة لصور، لذلك فإن جارتها صيدون ستفقد مباهجها (ع ١٢): «لا تعودين تفتخرين أيضا أيتها المنهتكة العذراء بنت صيدون»، فها أنت أصبحت مهيأة لأن تقعي تحت سيطرة البابليين المنتصرين. ولكن ممن ستأتي كل هذه المتاعب؟ إن الله هو الذي سببها لهم «رب الجنود قضى». وسوف يتساءلون «من قضى بهذا على صور؟» (ع ٨) الله هو الذي قضى بذلك. فهو الذي يتسم بالحكمة والعدل المطلقين. فلم يأت الله على صور بهذه الكوارث لكي يظهر قوة تعسفية جائرة، بل ليعاقب الصوريين على كبريائهم. ولا ريب أن هناك خطايا كثيرة تثير غضب الله على صور. ولقد أخبر الله العالم بما قصده. أراد أن يدين المتغطرسين والذين يعتمدون على المجد الأرضي الزائل، لكي يبين لهم كيف أنها أمور واهية حتى وإن بدت لهم ثابتة دائما. فهل يتكل الناس على علمهم أو ثروتهم أو أبهتهم أو قوتهم أو مجدهم؟ انظروا إلى خرائب صور، لتروا كيف تشوه كل هذا المجد وتلطخ ودفن تحت التراب. «مد يده على البحر». وسوف يكون البابليون الأداة التي ينفذ بها ذلك (ع ١٣): «هوذا أرض الكلدانيين» وكيف دمروا هم وأرضهم بكل سهولة. «قد أقاموا أبراجهم دمروا قصورها. جعلها ردما»، وهكذا سوف تدمر صور بعد ذلك على يد نبوخذنصر. وإذا ما تمعنا في سقوط الآخرين، فلن نبالغ كعادتنا في ثقتنا في استمرارية مجدنا وعظمتنا الأرضية.

عدد ١٥ – ١٨

أولا: الوقت الذي حدد لاستمرار خراب صور، والذي لم يكن يقصد به أن يكون خرابا دائما: «صور تُنسى سبعين سنة» (ع ١٥)، لقد دمرها نبوخذنصر في نفس الزمن تقريبا الذي دمرت فيه أورشليم، كما استمرت في دمارها لنفس المدة. لقد داس على كبرياء صور، وهو بهذا خدم قصد الله، ولكنه تمادى في غطرسته، وسرعان ما أذله الله نتيجة ذلك.

ثانيا: نبوة عن استعادة صور لمجدها السابق، من بعد «سبعين سنة كأيام ملك واحد»، أو ملكية واحدة، وهي ملكية نبوخذنصر. ولنا أن نفترض أن كورش في ذات الوقت الذي أطلق فيه اليهود وشجعهم على إعادة بناء أورشليم، أطلق أيضا أهل صور، وشجعهم على إعادة بنائها: «الرب يتعهد صور» برحمته، لأنها لن تخارب إلى الأبد. سوف تبذل كل ما في وسعها لكي تستعيد أمجادها التجارية ثانية. وسوف تغني كزانية، تأدبت بعض الوقت بسبب فسقها، غير أنه، حينما أطلق سراحها، فسوف تستخدم كل مهاراتها القديمة في الإغراء. وإذ عاد أهل صور من السبي، أخذوا يخططون من أجل تدعيم التجارة، والحصول على أفضل السلع، وإرضاء كافة العملاء، كما تفعل الزانية التي تم نسيانها، حين تعود إلى نشاطها ثانية، حيث تحاول أن تخطب ود الجماعة بالغناء والمغازلة: «خذي عودا طوفي في المدينة» ورددي ألحانك. وشيئا فشيئا سوف تصبح صور سوقا للأمم ثانية. «فتعود إلى أجرتها وتزني» (بمعنى أنها ستنخرط في عقد صفقات تجارية، لأن النبي يواصل التشبيه المجازي بالزانية) «مع كل ممالك البلاد على وجه الأرض»، وهي الممالك التي سبق لها الدخول معها في صفقات تجارية أثناء ازدهارها. ومحبة ثروات العالم ما هي إلا زنى روحي، ولذلك فإن محبي الثروات يدعون «الزناة والزواني» (يع ٤: ٤). وإذ استعادت نشاطها التجاري ثانية فسوف تحقق فيه نجاحا بأكثر مما كانت عليه في السابق: «وتكون تجارتها وأجرتها قدسا للرب» (ع ١٨). فتجارة صور وكل ما تحققه منها من مكاسب سوف تخصص للرب، وتستخدم في خدمته: سوف لا يكنزونها بل ينفقونها في أعمال الخير والرحمة. فما يدخرونه بعد إعالة أنفسهم وعائلاتهم، سوف يقدمونه «للمقيمين أمام الرب»، أي للكهنة، خدام الرب. فهم ومن يعولوهم يجب أن يأكلوا «إلى الشبع» ويتعين أن يتوافر لهم «لباس فاخر»، يتحمل ويدوم لفترة طويلة. وهذا ما يستشف منه أن الديانة ستقام في صور الجديدة، وأنهم سيعرفون الإله الحقيقي وأنهم سيكونون في شركة مع إسرائيل الله. وعندئذ سنجد رجالا من صور يسكنون أرض يهوذا (نح ١٣: ١٦). ويُعرف عن صور وصيدا أنهما كانتا أيام المسيح أكثر تدينا من مدن إسرائيل، لأنه لو كان المسيح قد ذهب بينهما «لتابتا» (مت ١١: ٢١). ونقرأ عن مؤمنين في صور (أع ٢١: ٣ و٤). وكل من سلع التجار وأجر العمال ستكرس لله «قدسا للرب» وهذه إشارة إلى الكتابة التي نقشت على عمامة رئيس الكهنة (خر ٣٩: ٣٠)، وتكريس العشور طبقا للناموس (لا ٢٧: ٣٠). ويتعين علينا أولا أن نكرس أنفسنا للرب، وذلك قبل أن نكرس ما نعمله أو نكسبه. وحينما نكون أسخياء في إغاثة المسكين، ودعم الخدمة وتشجيع الإنجيل، فبذلك تكون بضائعنا وأجرتنا قد كُرست لله إذ قد إستخدمناها بإخلاص من أجل مجده.

الأصحاح الرابع والعشرون

في هذا الأصحاح تبدأ عظة جديدة وتستمر حتى نهاية الأصحاح السابع والعشرين، ومن خلالها يقدم النبي وعود ثمينة للأبرار، حيث يقول «قولوا للصديق خير»، كذلك كثير من التهديدات الرهيبة للأشرار حين يقول: «ويل للشرير شر» (إش ٣: ١٠ و١١). وهذان يوضح كل منهما الآخر. وهذا الأصحاح في معظمه يشكل تهديدا. فهو لا يتضمن أقوالا تخص أي مدينة أو مملكة بعينها، مثلما كان الحال بالنسبة للأصحاحات السابقة، بل إنها أقوال إلهية تتعلق بالأرض كلها.

- يقول البعض إنها نبوة عن الدمار الرهيب الذي سيحدثه سنحاريب وجيشه الأشوري والذي سيتم قريبا.
- آخرون يتخذونها كإشارة إلى دمار، سيحدثه نبوخذنصر وجيوشه بعد مائة عام في نفس هذه البلدان. أما الوعود التي جاءت مختلطة بتهديدات فقد قصد بها تعزية شعب الله في أوقات المحن هذه. وقد قصد النبي هنا أن يقدم بصفة عامة الحالة المأساوية للبشرية. وقد كُتبت النبوات وحفظت من أجل تعليمنا، ولذلك لا ينبغي أن نخضعها للتفسيرات الخاصة. ونجد في هذا الأصحاح:

أولا: تهديد بالخراب بسبب الخطية (ع ١- ١٢)، أضيف إليها تأكيد بأن الأبرار سيتعزون في خضم هذه الكوارث (ع ١٣- ١٥).

ثانيا: تهديد آخر بحالات مماثلة من الدمار (ع ١٦- ٢٢)، أضيف إليها تأكيد بأن الله سيتمجد في وسط كل هذه الأمور.

عدد ١ - ١٢

تصور لنا هذه النبوة منظرا كئيبا وحزينا:

أولا: سوف تجرد الأرض مما فيها: «يخلي الأرض ويفرغها» (ع ١)، كما لو أنها أعيدت إلى حالتها الأولى حين كانت «خربة وخالية» (تك ١ : ٢)، مشوشة ومقفرة. فثمة بلدان كثيرة تفتقر إلى الراحة والرضا الحقيقيين، وبأقل الأمور تصير خاوية جرداء، وكثيرا ما نرى ممتلكات واسعة وقد نهبت وأفرغت مما فيها نتيجة دينونة ما. فالخطية دمرت وجه الأرض، وقد أصبحت الأرض بالنسبة للإنسان مختلفة تماما عما كانت عليه حين خلقها الله لتكون مسكنا له. وكان من شأن الخطية أن الرب «يبدد سكانها». وكان العصيان في بابل هو سبب تشتيتهم عندئذ. ولنفس الهدف كان ما جاء في آية ٤ «ناحت ذبلت الأرض»، وهذا ما يحزن أولئك الذين أخذوها أساسا لسعادتهم. العالم كله يذبل ويذوي، مثل الزهرة التي تذبل في أيدي أولئك الذين يجدون مسرتهم في الإمساك بها بين أيديهم أطول مدة ممكنة. وكما أن الأرض نفسها تشيخ، هكذا أيضا أولئك الذين يسكنونها تراهم بائسين. فالناس يحملون معهم أجسامهم العليلة الواهنة، وتراهم في كثير من الأحوال منزوين ومحاصرين بالنوائب (ع ٦)، «لذلك احترق سكان الأرض» أو أكلوا، البعض نتيجة مرض ما، وآخرون نتيجة مرض آخر، «وبقي أناس قلائل».

ثانيا: الله هو الذي سيجلب كل هذه الكوارث على الأرض والرب الذي خلق الأرض وجعلها مثمرة جميلة، من أجل نفع الإنسان وراحته، هو نفسه الذي نراه الآن «يخلي الأرض ويفرغها» (ع ١) ذلك أن خالقها هو قاضيها، وسيظل كذلك. فالرب هو الذي «تكلم بهذا القول» وهو الذي سيقوم بهذا العمل (ع ٣).

ثالثا: والأشخاص من جميع المراتب ومن كل الحالات سيكون لهم نصيب من هذه الكوارث (ع ٢): «وكما يكون الشعب هكذا الكاهن... إلخ» فمنزلة الحكام أو الخدام لن تحميهم. فالكهنة كانوا أشرارا مثل الشعب، ومادامت مكانتهم لم تكبحهم عن ارتكاب الخطية، فكيف لهم أن يتوقعوا أنها ستحميهم من الدينونة؟ «كما العبد هكذا سيده. كما الأمة هكذا سيدتها». فالذين لديهم مال بالفعل لن يكون حالهم أصلح من أولئك الذين يطحنهم الفقر.

رابعا: الخطية هي التي جلبت هذه الكوارث على الأرض. أفرغت الأرض وذويت لأنها «تدنست تحت سكانها» (ع ٥)، ولذلك أصبحت خربة نتيجة دينونة الله عليها. فلقد انتهكوا نواميس الخليقة والتزاماتهم تجاه إله الكون. «لأنهم تعدوا الشرائع» الخاصة بالديانة المعلنة كما «غيروا الفريضة» أو أهملوها (كما يترجمها البعض) ولم يحاولوا مراعاتها. تجاهلوا النواميس، وذلك بارتكابهم الخطية. وتعدوا الفرائض، بتغافلهم عن الواجب. وهم بهذا «نكثوا العهد الأبدي»، الذي يشكل رابطة أبدية، وهو بالنسبة للذين يحفظونه بركة أبدية.

خامسا: هذه الدينونة سوف تذل كبرياء الناس (ع ٤): «حزن مرتفعو شعب الأرض»، لأنهم فقدوا ما كان مبعث كبريائهم. وهو مثبط هائل لصخبهم. وقد تم التوسع في هذا إلى درجة كبيرة (ع ٧- ٩): «ناح... كل مسروري القلوب». وهذه هي طبيعة الفرح الأرضي. لأنها «كصوت الشوك تحت القدر» (جا ٧: ٦). والفرح الأرضي ما هو إلا صخب وضجيج، غير أنه سرعان ما ينتهي إلى كآبة. وثمة أمران يثيران الفرح الباطل ويظهرانه:

(١) السكر: «ناح المسطار».. لقد تعفن لنقص الشراب. و«ذبلت الكرمة»، وخاب الأمل في إثمارها، ولذلك «ناح... كل مسروري القلوب» وأبطل كل أفراحها، وذلك بأن «أخرب كرمها وتينها» (هو ٢: ١١ و١٢).

(٢) الموسيقى: «بطل فرح الدفوف... بطل فرح العود»، اللذين اعتادوا استعمالهما في أفراحهما (إش ٥: ١٢). وخلاصة القول «غرب كل فرح»، فما عاد هناك منظر جميل يمكن رؤيته، ولم تتبق لأحد قوة لإظهار ابتسامة مصطنعة.

سادسا: ستشعر المدن بهذا الخراب (ع ١٠): «دُمرت قرية الخراب»، دمرت مدينة الفوضى (كما في ترجمة أخرى) وأصبحت مكشوفة أمام الغزاة. «أغلق كل بيت عن الدخول»، ربما بسبب الوباء، ولذلك «بقى أناس قلائل» (ع ٦)، «الباقي في المدينة

(أورشليم نفسها) خراب»، وسوف ينمو العشب في الشوارع، وقد «ضرب الباب ردما» (ع ١٢).

عدد ١٣ - ١٥

هنا نجد الرب يتذكر رحمته وسط غضبه. ذلك أنه في يهوذا كما في أورشليم والبلدان المجاورة، حينما يجتاحها الدمار سواء على يد سنحاريب أو نبوخذنصر، ستحفظ فيها بقية تنجو من الخراب الشامل.

أولا: العدد القليل لهذه البقية (ع ١٣): حين يتم خراب كل شيء سيكون «كنفاضة زيتونة كالخصاصة إذ انتهى القطاف». فستجد هنا أو هناك واحدا قد نجا من الكارثة العامة. وسوف تتبعثر هذه القلة مثل التقاط فضلات حصاد الزيتون. والرب يعرف الذين هم له، أما العالم فلا يعرفهم.

ثانيا: تعبد وخشوع هذه البقية الصغيرة: إذ أنقذوا بأعجوبة من هذا الدمار العظيم (ع ١٤): «يرفعون أصواتهم ويترنمون». والذين يفرحون في الرب بمقدورهم أن يفرحوا حتى في الضيق وهم يترنمون ليس فقط من أجل الرحمة بل «لأجل عظمة الرب». وسوف تنتشر معرفة الله بسبب تشتتهم، حتى أن الشطآن البعيدة سوف تترنم بحمده.

ثالثا: غيرتهم المقدسة لحث الآخرين على عبادة الله حتى وهم في بوتقة الآلام (ع ١٥)، هذه النيران التي «احترق» سكانها بها (ع ٦). فأولئك الذين «في جزائر البحر»، حيث نفوا، أو اضطروا إلى الهرب طلبا للمأوى. دخلوا «في النار والماء» (مز ٦٦: ١٢)، ليتهم يمجدون الله في كل الأحوال.

عدد ١٦ - ٢٣

أولا: تعزية للقديسين: قد يطردون، نتيجة الكوارث العامة إلى «أطراف الأرض»، أو ربما أبعدوا إلى هناك رغما عنهم بسبب ديانتهم، غير أنهم هناك يترنمون ولا أقول يتنهدون، وهذه هي ترنيمتهم: «مجدا للبار».

ثانيا: رعب للخطاة: يعود النبي للرثاء بسبب المآسي التي رآها تحل بالأرض: «فقلت يا تلفي يا تلفي. ويل لي». إن مجرد تفكيري في هذا يحزنني ويشعرني بالضياع (ع ١٦): تنبأ بأن هذا الإثم سيتعاظم (ع ١٦): «الناهبون نهبوا». أصبح الناس خائنين بعضهم لبعض، وأصبحت الخيانة ظاهرة عامة. لقد اختفى الحق الذي هو الرابطة المقدسة للمجتمع، ولم يتبق شيء في معاملات الناس سوى الخيانة.

وأصبحوا خائنين لإلههم وذلك بالتخلي عن ولائهم له. وسوف يتعقب سكان الأرض من مكان لآخر بابتلاء أو آخر (ع ١٧ و١٨): «رعب وحفرة وفخ» (خوف من الحفرة والفخ) يتملكهم أينما كانوا. وهذا مثال عام للحالة المزرية لحياة البشر ذلك أنهم حينما يريدون تجنب كارثة ما يقعون في أسوأ منها. وسوف تتحطم الأرض نفسها. وسوف يحدث ذلك حرفيا في النهاية، حين تحترق الأرض والمصنوعات التي فيها، أما قبل ذلك فإنه يحدث مجازا. وهذا ما تم التعبير عنه في عددي ١٩ و٢٠: «انسحقت الأرض انسحاقا. تشققت الأرض تشققا. تزعزعت الأرض تزعزعا» لقد تحركت من مكانها. أولئك الذين يكنزون كنزهم في الأشياء الأرضية يضعون ثقتهم فيما سوف ينسحق ويتشقق: «ترنحت الأرض ترنحا كالسكران». ومحبو الأرض يسكنون فيها كما في قلعة أو برج حصين ولكنها «تدلدلت كالعرزال» بكل سهولة وبطريقة فجائية، وبأقل خسارة بالنسبة لمالكها العظيم. «فسقطت ولا تعود تقوم»، غير أنه ستكون هناك سماء جديدة وأرض جديدة، لن يسكنها سوى البر. ولكن ما الذي هز الأرض على هذا النحو وأسقطها؟ إنه الإثم الذي سيكون ثقيلا عليها.

والخطية ما هي إلا ثقل على الخليقة كلها. وهي سبب هلاك الدول والممالك والعائلات. والله سيدخل في منازعة خاصة مع ملوك الأرض ورؤسائها (ع ٢١): «الرب يطالب جند العلاء في العلاء وملوك الأرض على الأرض». فالأقوياء الذين يعتقدون أنهم في منأى عن الخطر سوف يرد الله عليهم كل غطرستهم وقسوتهم، وسوف تقع تبعة ذلك على رؤوسهم. وليتعزى أولئك الذين وطأهم الأقوياء بأقدامهم بأنه على الرغم من أنهم لا يستطيعون أن يقاوموهم إلا أنه يوجد إله سوف يحاسبهم. ولقد جاءت النبوة بصفة خاصة (ع ٢٢) بأنهم سوف «يجمعون جمعا كأسارى في سجن»، صدر الحكم عليهم وأدينوا وأغلق «عليهم في

www.DIFA3IAT.com

حبس». ولذلك ليت الرجل الحر لا يتباهى بحريته، ولا يغتر القوي بقوته، لأنه لا يعرف ما هي الدينونة التي تنتظره. «ثم بعد أيام كثيرة يتعهدون»، إما في غضب، أو يحفظون ليوم التنفيذ «إلى دينونة اليوم العظيم» (يه ٦)، وقد يفتقدون في رحمة ويطلق سراحهم من سجنهم، ويستردون ثانية، ليس أمجادهم، لكن حريتهم. لقد أسر نبوخذنصر ملوكا ورؤساء كثيرين، وحبسهم في زنزانة في بابل، وكان ضمن الآخرين يهوياكين ملك يهوذا، غير أنه بعد فترة وجيزة مات نبوخذنصر فقام ابنه بزيارتهم، وعطف على يهوياكين بصفة خاصة «أخرجه من السجن... وجعل كرسيه فوق كراسي الملوك الذين معه في بابل» (إر ٥٢: ٣١ و٣٢). وحين يُذل أعداء كنيسة الله سوف يظهر- دون أدنى شك- أن الرب قد ملك. وحين يعاقب ملوك الأرض بسبب طغيانهم، هنا يثبت للعالم كله أن الله هو ملك الملوك، وأنه يملك باعتباره رب الجنود- وأنه «قد ملك في جبل صهيون وفي أورشليم»، في كنيسته- وأنه يملك «قدام شيوخه». شيوخ الله، التلاميذ القدامى، المؤمنون المختبرون، الذين حينما كانوا يقعون في أية حيرة كانوا يقصدون مقدس الله في صهيون وأورشليم، هؤلاء سيرون أكثر من الآخرين كيف يسيطر الله ويملك. وعندئذ سوف يتضح أنه يملك «بمجد»، يملك ببهاء وجلال حتى إنه «يخجل القمر وتخزى الشمس»، كما تحجب الأنوار الأصغر وتحتجب بواسطة الأنوار الأكبر. ومجد الخالق لابد وأن يحجب مجد أكثر مخلوقاته لمعانا.

الأصحاح الخامس والعشرون

أولا: يرفع النبي تسبيحات شكر لله من أجل صنيعه (ع ١- ٥)، وعود ثمينة بما سوف يعمله الله أيضا لكنيسته ولاسيما في نعمة الإنجيل (ع ٦- ٨).

ثانيا: انتصار الكنيسة في الله على أعدائها (ع ٩- ١٢). يتكلم هذا الأصحاح بابتهاج عن الكنيسة كما تكلم الأصحاح السابق برعب على العالم.

عدد ١- ٥

أولا: يعزم النبي على أن يمجد الله (ع ١): «يا رب أنت إلهي»، إله دخل في عهد معي. وبينما يعاقب الله «ملوك الأرض على الأرض»، يمكن لنبي فقير أن يتوجه إليه وبجرأة وتواضع يقول: «يا رب أنت إلهي». لذلك «أعظمك أحمد اسمك».

ثانيا: وهو يغبط نفسه بفكرة أن آخرين سوف يحمدون الله أيضا (ع ٣) و«لذلك»، وبالنظر إلى أنك أفرغت الأرض إفراغا وللانتقام العادل الذي انتقمته، «يكرمك شعب قوي» في تناغم واتفاق «وتخاف منك قرية أمم عتاة». وهذه العبارة يمكن أن تفهم على النحو التالي:

(١) إنها تشير إلى أولئك الذين كانوا أعداء لملكوت الله. فهؤلاء إما أنهم سيتجددون ويمجدون الله بالانضمام إلى عبادته مع شعبه، أو على الأقل يدانوا، فيقرون بهزيمتهم، وإما:

(٢) تشير إلى الذين قواهم الله وشددهم، وجعلهم في خدمته، على الرغم من ضعفهم السابق. ولهذا سيظهر الله بكل جلاء من أجل هؤلاء الذين يتقونه ويمجدونه ويقف إلى جانبهم حتى أن الجميع يهابونهم.

ثالثا: يلاحظ النبي ما ينبغي أن يكون موضع هذا الحمد. علينا أن نعظم الله ونحمده. لأنه:

(١) صنع عجبا، طبقا لمشورة إرادته (ع ١). وكان هذا أمر جديدا وسبب دهشة لنا، أنها كانت «مقاصدك منذ القديم».

(٢) ولأنه بصفة خاصة أذل المتكبرين، وحطم قوة عتاة الأرض (ع ٢): «لأنك جعلت مدينة رجمةً». وكم من مدينة حصينة ظنت أنها محروسة تماما سواء بالطبيعة أو لمهارتها ولكنك حطمتها. وكم من مدينة بنيت بطريقة قوية حتى سميت «حصينة»، وكان يزورها الأجانب من جميع الأنحاء حتى إنها دعيت «قصر أعاجم» قد سويت بالأرض ولن تقوم لها قائمة بعد. مدن كانت مزدهرة ذات يوم ولكنها ذويت ويكاد لا يعرف أحد عنها شيئا (سوى عن طريق ما تكتشفه الحفريات). وكم مدينة من مدن إسرائيل أصبحت أطلالا منذ أمد بعيد.

(٣) أغاث البائسين من شعبه (ع ٤): «لأنك كنت حصنا للمسكين حصنا للبائس». فهو يقوي الضعفاء المتواضعين الذين يحتمون به. وهو لا يقويهم

www.DIFAA3AT.com

فحسب، بل يكون هو قوتهم. وهو «ملجأ من السيل» والمطر والبرد، «وظلا من الحر» القائظ من حرارة الشمس في الصيف لأن «نفخة العتاة كسيل على حائط»، يحدث ضوضاء شديدة غير أنه لا يستطيع تدمير الحائط. وأعداء المساكين من شعب الله هم قساة متحجرو القلب. وغضبهم عاصف ثائر لكنه مثل الريح تحت السيطرة الإلهية، لأن الله «جمع الريح في حفنتيه».

فالريح التي تضرب السفينة تتقاذفها، غير أن الريح التي تضرب الحائط لا يمكنها أن تحركه. لأنك «تخفض ضجيج الأعاجم»، تقلله وتخرسه، «كحر» يخفض «بظل غيم». ولقد سُمي مضطهدو شعب الله بالأعاجم، لأنهم نسوا أن أولئك الذين يضطهدونهم هم إخوة لهم في الإنسانية. وقد دعوا «عتاة»، يخاف منهم الناس عوض أن يحبوهم. وأغصان العتاة، حتى الأغصان العليا منها سوف تحطم. وإذا كان العاملون في كرم الله دعوا لكي يحتملوا «ثقل النهار والحر»، فإنه سوف ينعشهم كما بظل غيمة.

عدد ٦ – ٨

وإذا افترضنا– مثل كثيرين– أن هذه الأعداد تشير إلى الفرح العظيم الذي لابد وأن يعم صهيون وأورشليم حين يدحر أحد الملائكة جيش الأشوريين، أو حينما يطلق اليهود من السبي في بابل، إلا أننا على الرغم من ذلك لا نستطيع إغفال أنها تتطلع إلى أبعد من ذلك، حيث تشير إلى نعمة الإنجيل والمجد الذي هو تاج هذه النعمة وكمالها. فنحن بصدد نبوة عن الخلاص والنعمة المقدمين لنا في المسيح يسوع، «الخلاص الذي فتش وبحث عنه أنبياء» (١بط ١: ١٠).

أولا: ستكون نعمة الإنجيل وليمة ملكية لجميع الشعوب، وليست كوليمة أحشويروش التي لم يقصد بها سوى عظمة صاحب الوليمة (أس١: ٤)، أما وليمة الإنجيل فقد قصد بها إشباع الضيوف.

(١) الله نفسه هو صاحب الوليمة.

(٢) الضيوف الذين دعوا هم «جميع الشعوب». الأمم كما اليهود «اكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها».

(٣) المكان هو «هذا الجبل» (جبل صهيون)، وعلى الكارزين أن يبدأوا من أورشليم. وكنيسة الإنجيل هي أورشليم السمائية. وهي «وليمة سمائن... ممخة»، وكم هي مغذية تعزيات الإنجيل هذه لكل من يطعم بها. وهي وليمة «خمر» عتيقة، وهي خمر صافية معتقة منذ أمد بعيد.

ثانيا: إن العالم سيتحرر من ظلمة الجهل والشر الذي ضاع ودُفن في ضبابهما منذ مدة طويلة (٧): «ويفني في هذا الجبل وجه النقاب» (غطاء الوجه). كانت وجوههم مغطاة كالمحكوم عليهم أو كالموتى. «النقاب الذي على كل الشعوب»، لأن الجميع جالسون في الظلمة، فاليهود أنفسهم، الذين عُرف الله بينهم كان «البرقع موضوع على قلبهم» (٢كو ٣: ١٥). غير أن هذا البرقع مزقه الرب بنور إنجيله الذي أشرق في العالم، وبقوة روحه القدوس الذي فتح عيون الناس لكي تتقبله.

ثالثا: سوف يقهر الموت وتتحطم شوكته: «يبلع الموت إلى الأبد» (ع ٨).

(١) المسيح نفسه، سينتصر على الموت بقيامته. لقد بدا أن القبر ابتلعه، ولكنه في الواقع هو الذي ابتلع الموت.

(٢) لن يستطيع الموت فيما بعد أن ينال من سعادة القديسين.

(٣) سينتصر المؤمنون على الموت كعدو مهزوم: «أين شوكتك يا موت» إنه آخر عدو.

رابعا: سوف يختفي الحزن، وسوف يكون هناك فرح دائم: «ويمسح السيد الرب الدموع عن كل الوجوه». وفي عهد النعمة سيقدم لنا ما هو كاف لتعويضنا عن كل أحزان هذا الزمن الحاضر، ذلك أنه سوف «يمسح الله كل دمعة من عيونهم» (رؤ٧: ١٧؛ ٢١: ٤). «ولا يكون حزن» فيما بعد، لأن «الموت لا يكون في ما بعد». ورجاؤنا في هذا يجب أن يمسح كل دموعنا، وكل البكاء الذي يعوق الزرع.

خامسا: كل التوبيخات التي توجه للديانة سوف تتلاشى إلى الأبد. سوف «ينزع عار شعبه»، سوف تتلاشى التشويهات والافتراءات التي كانوا يسيئون بها إلى الشعب.

عدد ٩ - ١٢

أولا: ترحيب الكنيسة بهذه البركات «ويقال في ذلك اليوم» (ع ٩) بابتهاج وتواضع: «هوذا هذا إلهنا انتظرناه» وبمثل ترنيمة النصرة هذه سوف يدخل القديسون الممجدون «إلى فرح سيدهم». إنه لتشجيع لنا أن ننظر اكتمال هذا الخلاص: «انتظرناه فخلصنا»، وسوف يواصل ما بدأه، لأن عمل الله إلهنا كامل.

ثانيا: توقع لبركات أخرى: «لأن يد الرب تستقر على هذا الجبل» (ع ١٠)، وسوف تتوافر للكنيسة ولشعب الله براهين متواصلة على وجود الله في وسطهم، وسوف تتحطم قوة أعدائهم. لقد ذكر موآب هنا كإشارة لكل خصوم شعب الله. «ويداس موآب»، أو يدرس (حيث تضرب الحنطة بالدوس عليها) ثم يطرح مثل «التبن في ماء المزبلة»، حيث لا يصلح بعد لشيء. ذلك أنه بعد أن تستقر «يد الرب» على هذا الجبل، فسوف «يبسط يديه» وسط شعبه «كما يبسط السابح»، الأمر الذي يستخلص منه أنه سوف يستخدم قوته بكل حيوية من أجلهم سيعمل بصفة دائمة، لأنه هكذا يكون حال السابح. وسوف «يضع كبرياء» أعدائهم (وقد كانت موآب آثمة لكبريائها البالغ، إش ١٦: ٦) وذلك بدينونة مُذلة تلو الأخرى. وكذلك سيضع «مكايد يديه»، سوف ينزع منهم ما أخذوه سلبا ونهبا. وسوف يدمر كل تحصيناتهم (ع ١٢). ولا توجد قلعة حصينة أمام كلي القدرة. ودمار موآب هنا إنما يرمز إلى انتصار المسيح على الموت (الأمر الذي أشير إليه في الآية ٨)، وإلى تجريده «الرياسات والسلاطين» بصليبه (كو ٢: ١٥).

الأصحاح السادس والعشرون

هذا الأصحاح ترنيمة فرح مقدس وحمد، حيث يحتفل بالأمور العظيمة التي عملها الله من أجل الإنسان، وسوف يترنم بها بعد إتمام النبوة، لأنه يتعين علينا أن نقابل رحمة الله التي يغدقها علينا بالشكر والتسبيح.

وقد تعلم شعب الله هنا:

أولا: أن يفرحوا بالحماية الإلهية التي تتمتع بها الكنيسة بصفة عامة وكل عضو فيها (ع ١- ٤).

ثانيا: أن يفرحوا بالنصرة على كل المقاومات والعوائق (ع ٥ و٦).

ثالثا: أن يسيروا مع الله وينتظروه في أحلك الظروف (ع ٧- ٩).

رابعا: أن يرثوا لحماقة أولئك الذين لا يعيرون العناية الإلهية اهتماما (ع ١٠ و١١).

خامسا: أن يشجعوا أنفسهم برجاء أن الله سيواصل عمل الخير معهم (ع ١٣ و١٤)، وأن يلزموا أنفسهم بمواصلة عبادته (ع ١٣).

سادسا: أن يتذكروا أعمال الله الرحيمة بهم (ع ١٥- ١٨).

سابعا: أن يبتهجوا برجاء الخلاص المجيد الذي سيكون بمثابة قيامة لهم (ع ١٩)، وأن يطمئنوا في انتظار هذا الخلاص (ع ٢٠ و٢١).

عدد ١ - ٤

كان من المناسب جدا أن تذيل نبوات نعمة الإنجيل بترنيمة: «في ذلك اليوم يغنى بهذه الأغنية»، وسوف يكون ذلك «في أرض يهوذا»، التي ترمز إلى كنيسة الإنجيل، لأنه قيل إن عهد الإنجيل عمل مع «بيت يهوذا» (عب ٨: ٨).

أولا: كنيسة الله محصنة تماما ضد الأشرار (ع ١): «لنا مدينة قوية». وهي كنيسة مؤسسة بميثاق عهد أبدي، ومهيأة لاستقبال كل الذين تحرروا بواسطة ذلك الميثاق، وهي مدينة حصينة، على غرار ما كانت عليه أورشليم، حينما كانت مدينة قوية وكان الله نفسه يشكل سياجا من نار حولها. والكنيسة مدينة حصينة لأن لها «أسوارا ومترسة» من عمل الله نفسه، لأنه في وعده عين الخلاص نفسه ليكون حصنها.

ثانيا: ويكون سكان أورشليم قوتها، إذا كانوا للرب كما يجب أن يكونوا (زك ١٢: ٥). فصدر الأمر هنا بأن تفتح الأبواب «لتدخل الأمة البارة» (ع ٢). لقد أبعدوا وطردوا بسبب إثم الأزمنة السابقة، أما الآن فأصبحت لهم حرية الدخول ثانية.

ثالثا: كل الذين ينتمون إليها يتمتعون بالأمان والراحة، بالطمأنينة وهدوء البال وذلك ليقينهم من نعمة الله: «تحفظه سالما سالما» يشعر بالسلام الداخلي والسلام الخارجي، سلام مع الله، وسلام الضمير وسلام تحت كل الظروف. فأولئك الذين يتكلون

على الله لابد وأن يكونوا ثابتي الرأي، ومن هم على هذا النحو يحفظهم الله في سلام دائم، وهذا السلام يحفظهم (مز ١١٢: ٧). لتثقوا فيه دوما، وفي جميع الأوقات، حينما لا تجدون أحدا يكون محلا لثقتكم. وما نعتمد على العالم في إنجازه محدود بحدود الزمن، غير أن ما نعتمد على الله في تحقيقه سيدوم بقدر دوامنا نحن. لأن في الرب يهوه- «ياه الرب»، في «الكائن والذي كان والذي يأتي»، هناك صخرة الدهور، أساس ثابت وراسخ لكي نبني عليه إيماننا، والبيت الذي يقام على هذه الصخرة سيصمد أمام العاصفة.

عدد ٥ - ١١

يشجعنا النبي على أن نثق في الكلمة، لأن الله:

أولا: سيعطي النفوس المتواضعة المتكلة عليه النصرة على أعدائهم المتكبرين (ع ٥ و٦). وحتى بابل نفسها- المدينة المرتفعة- سوف يخفضها (إش ٢٥: ١٢). وهو لم يقل إن جيوشا عظيمة سوف تدوسها، لكنها أقدام المساكين التي ستفعل ذلك، عندما يريد هو (ملا ٤: ٣؛ انظر أيضا مز ١٤٧: ٦؛ رو ١٦: ٢٠).

ثانيا: هو يعلم طريق شعبه وييسر به «طريق الصديق استقامة» (ع ٧) (طريق البار ممهدة، بحسب ترجمة أخرى)، فهم يودون السير مع الله في طاعة ثابتة. «تُمهد أيها المستقيم سبيل الصديق»، بأن تزيل من أمامه ما يمكن أن يكون أحجار عثرة. الله يزن «طريق الصدِّيق» (كما نقرأ في كلمته).. إنه يعرفها، وسوف يعطيه نعمة كافية للتغلب على جميع الصعاب.

ثالثا: إنه لمن واجبنا أن ننتظر الرب في أحلك الظروف وأكثر الأمور تثبيطا للهمم (ع ٨ و٩). هكذا كان دائما النهج الذي يمارسه شعب الله: «ففي طريق أحكامك يا رب انتظرناك»، ولا نزال أيضا. وحين أدبتنا لم ننظر إلى أي يد غير يدك لكي تنقذنا. لا يفترض إطلاقا أن تبعدنا متاعبنا عن الله، بل «إلى اسمك وإلى ذكراك شهوة النفس». وجل اهتمامنا يجب أن يكون مركزا على اسم الله: «أيها الآب مجد اسمك». وينبغي أن يكون ذكر الله عوننا ومسرتنا. واشتياقنا إلى الله يجب أن يكون من داخلنا، حارا ومخلصا (مز ٤٢: ١).

رابعا: إن قصد الله في أحكامه هو أن يدفع الناس إلى أن يطلبوه: «لأنه حينما تكون أحكامك في الأرض» وتأتي بالهلاك على كل فساد، هنا يكون لدينا من الأسباب ما يحملنا على توقع أنه ليس شعب الله فقط بل حتى «سكان المسكونة» سوف يتعلمون العدل، سوف يصححون أخطاءهم ويصلحون حياتهم.

خامسا: إنهم أشرار حقا أولئك الذين لا يتأثرون بالطرق التي يتبعها الله لإصلاحهم، لذا فمن الضروري أن يتعامل الله معهم بقسوة من خلال أحكامه. والخطاة يسيرون بعكس ما يريدهم الله (ع ١٠): على الرغم من أنه «يرحم المنافق». فهم يتلقون مراحم كثيرة من الله، والقصد من ذلك اجتذابهم لمحبته وعبادته، ومع ذلك، فقد ذهب كل ذلك سدى، ولا يتعلمون «العدل». يعيشون «في أرض الاستقامة»، في أرض مستوية حيث لا توجد عثرات كثيرة، مثل أماكن كثيرة أخرى- في أرض التأديب حيث يعاقب الرذيلة والدنس، ومع ذلك هناك يصنعون «شرا»، ويواصلون طرقهم الرديئة بجرأة. والذين يفعلون الشر لا يعرفون العدل، وعليهم أن يتوقعوا أحكام الله ضدهم. إنهم لا يرون «جلال الرب». ونحن حتى عندما نتلقى رحمة من الرب علينا أيضا أن نرى «جلال الرب» وصلاحه. ولكنهم لا يرون. وليس أحد أعمى كأولئك الذين لا يريدون أن يروا، الذين ينسبون أي تأديب إلهي إلى الحظ أو القدر. فهم «لا يرون، (ولكن دعهم) يرون».. احملهم على أن يروا - سواء رضوا أم أبوا- أن الله غاضب عليهم. الملحدون والمحتقرون، والمتكلون على أنفسهم، سوف يدركون قريبا أنه «مخيف هو الوقوع في يدي الله الحي». سوف يعرفون أنهم ظلموا شعب الله ظلما بيِّنا، وسوف يخجلون من عداوتهم وإساءتهم إلى مَن كانوا جديرين بمعاملة أفضل. ونظرا لأنهم استهانوا بأولاد الله فسوف «تأكلهم نار أعدائك».

عدد ١٢ - ١٩

يرجع النبي في هذه الأعداد إلى الماضي، وبعد ذلك يتطلع إلى المستقبل.

www.DIFA3IAT.com

أولا: تأملاته وأفكاره التي يستعرضها مختلطة. فحين ينظر إلى حالة الكنيسة في الماضي يجد أن الله في أمثلة عديدة عمل أعمالا عظيمة لشعبه (ع ١٢): «كل أعمالنا صنعتها لنا». فمهما عملنا من أعمال طيبة فإنما ذلك جاء نتيجة عمل نعمة الله فينا. وبصفة خاصة في الآية ١٥: أنك «زدت الأمة يا رب» حتى إن واحدا أصبح ألفا (فقد تضاعفوا بدرجة كبيرة في مصر، وبعد ذلك في كنعان ولذلك ملأوا الأرض)، وفي هذا «تمجدت»، لأمانتك للعهد مع إبراهيم. كانت الأمم المجاورة أحيانا تفتري عليهم (ع ١٣): «أيها الرب إلهنا» أنت الذي لك وحدك الحق في أن تسود علينا، ونحن عبيدك ورعاياك، إليك نشكو أنه «قد استولى علينا سادة سواك». ذلك أنهم حين أهملوا عبادة الله، سمح لأعدائهم أن يسودوا عليهم، حتى يعرفوا الفرق بين عبادته وعبادة «ممالك الأرض». وقد يفهم هذا على أنه اعتراف بخطية عبادتهم آلهة أخرى، ومن خلال ذلك استولى عليهم «سادة» آخرون (لأنهم يسمون أوثانهم «بعل» أي سيد) بخلاف الله. غير أنهم يعدون الآن بأن هذا لن يستمر بعد ذلك، من الآن فصاعدا «وحدك نذكر اسمك»، لن نعبد غيرك، بل نعبدك وحدك وبالطريقة التي رسمتها أنت وعينتها. وقد تكون توبتنا نحن مماثلة لذلك: «قد استولى علينا سادة سواك»؛ فكل شهوة كانت سيدا علينا، وبذلك ظلمنا الله وظلمنا أنفسنا. لقد تعرضوا أحيانا للسبي على أيدي أعدائهم (ع ١٥)، الأمة التي زدتها أولا، قد تقلصت الآن، بددتهم «في جميع الشعوب من أقصاء الأرض إلى أقصائها» وهذا طبقا للتهديد الوارد في تثنية ٣٠: ٤؛ ٢٨: ٦٤. وقد تذكر النبي أنهم حيث تضايقوا وأخذوا إلى السبي قاموا وصرخوا إلى الله، الأمر الذي يشكل دلالة على أنهم لم ينسوا الله تماما ولم يتخل هو بدوره عنهم كلية، وأنه كانت هناك مقاصد رحيمة في الأحكام التي كانوا تحتها (ع ١٦): «يا رب في الضيق طلبوك». فالضيقات تدفعنا إلى اللجوء إلى الله، وتسرع بنا إلى عمل ما هو واجب علينا، وتبين لنا اتكالنا على الله. كذلك تدفعنا الضيقات إلى الصلاة السرية، والتي نتحدث فيها إلى الله بأكثر حرية وأكثر خصوصية عنها في الصلاة الجهارية.

إنه يشكو أن كفاحهم من أجل حريتهم كان خطرا ومريرا، ولكنهم لم ينجحوا فيه (ع ١٧ و١٨): كنا كالحبلى التي تتلوى وتصرخ في مخاضها، وقد حاولنا أن نساعد أنفسنا تحت وطأة قلق وتعب عظيمين، بل وزادت متاعبنا نتيجة هذه المحاولات. وحينما كانوا يجيئون قدام الرب بشكاواهم والتماساتهم كانوا في آلام كالحبلى في مخاضها: «كأننا ولدنا»، وكانت لنا توقعاتنا العظيمة بولادة سعيدة. غير أنه للأسف «ولدنا ريحا»، ثبت أنه حمل كاذب، وخابت كل توقعاتنا، وأجهضت كل محاولاتنا. «لم نصنع خلاصا في الأرض» سواء بالنسبة لأنفسنا أو بالنسبة لأصدقائنا: «ولم يسقط سكان المسكونة» بل إنهم مازالوا متكبرين متغطرسين كعهدنا بهم.

ثانيا: توقعاته وآماله سارة جدا: فهي بصفة عامة: «يا رب تجعل لنا سلاما» (ع ١٢). فمهما كانت المتاعب التي عينت لفترة ما لشعب الله، فالسلام سوف يكون نصيبهم في النهاية، لأن نهاية هؤلاء هي السلام. لقد استمعت إلى رغبة المتواضعين ولذلك لن نعطي مجدا لأحد سواك، ولن نعتمد إلا على نعمتك فقط لكي تمكننا من عمل ذلك. «هم أموات»، أولئك السادة الذين استولوا علينا سواك. لقد تحطمت قوتهم. لقد «أبدت كل ذكرهم». وعلى الرغم من أن الكنيسة لم تفرح بولادة طفل حيث كانت تتلوى وتصرخ في مخاضها ولكنها ولدت «ريحا» (ع ١٨) غير أنه «تحيا أمواتك». فسوف يدخل روح حياة من الله في الشهود الذي ذبحوا (رؤ ١١: ١١) والعظام اليابسة ستحيا وتصبح «جيش عظيم جدا جدا» (حز ٣٧: ١٠)، «تقوم الجثث». حينما يأتي الوقت الذي عينه الله، فإن أورشليم، مدينة الله، التي ترقد الآن مثل جثة ميت، سوف تقوم، وسوف يعاد بناؤها وتزدهر من جديد. ولذلك فإن السكان المساكين البائسين المكتئبين، الذين يسكنون كما في التراب، عليهم أن «يستيقظوا ويترنموا». فندى نعمة الله سيكون بالنسبة لها كندى المساء للأعشاب التي كانت قد جفت نتيجة حرارة الشمس طوال النهار والذي جاء فأحياها وأنعشها. ومثل ندى الربيع الذي يروي الأرض والذي يجعل الأعشاب المدفونة فيها تنهض وتزهر، هكذا يزدهرون هم أيضا. وسوف يحيا

الأمم، أي أنهم سوف يدعون بعد قيامة المسيح، سوف يقومون معه ويجلسون معه في السماويات، والواقع أنهم سيقومون ليكونوا جسده، ويصبحون الجسد السري للمسيح وسيقومون كجزء منه.

عدد ٢٠ و٢١

يفترض البعض أن هذين العددين لا ينتميان إلى الترنيمة التي تستغرق بقية الأصحاح، بل إنهما يبدءان موضعا جديدا، ويكونان بالأحرى مقدمة للأصحاح التالي وليس خاتمة لهذا الأصحاح.

أولا: الله يوجه الشعب (ع ٢٠): «هلم يا شعبي ادخل مخادعك»، لا تبق في الخارج لئلا تطبق عليكم العاصفة. وعلينا بالإيمان أن نجد سبيلا إلى هذه المخادع ونختبئ هناك، وفي هدوء علينا أن نضع أنفسنا تحت الحماية الإلهية. ادخلوا كما دخل نوح الفلك، لأن الرب «أغلق... عليه». وحينما تتهددنا الأخطار، فمن الصواب أن ننسحب ونختبئ كما فعل إيليا بجوار نهر كريث. ادخل إلى مخدعك لكي تفحص نفسك، وقلبك، لتصل، وتذلل نفسك أمام الله.

ثانيا: أكد لهم أن المتاعب ستنتهي في وقت قصير للغاية: «اختبئ نحو لحيظة»، وهي أصغر جزء من مقاييس الزمن يمكننا تخيله. وحين تنتهي ستبدو لك وكأنها لم تكن شيئا. حين طرد القديس أثناسيوس من الأسكندرية بناء على قرار من يوليانوس، وحزن أصدقاؤه كثيرا لذلك، طلب منهم أن يبتهجوا، إنها سحابة صيف عما قليل تنقشع.

ثالثا: أكد لهم أن أعداءهم سوف يحاسبون عن الأذى الذي ألحقوه بهم بالسيف (ع ٢١): «لأنه هوذا الرب يخرج من مكانه ليعاقب إثم سكان الأرض». البعض يقولون إن مكان الرب هو عرش النعمة، فهو يسر بأن يكون هناك، وحين يعاقب يخرج من مكانه، لأنه لا يسر بموت الخطاة، وسوف يدان المجرمون: «فتكشف الأرض دماءها»، دم القديسين والشهداء البريء الذي سُفك سوف يظهر الآن (تك ٤: ١٠ و١١؛ أي ٢٠: ٢٧).

الأصحاح السابع والعشرون

يواصل النبي حديثه في هذا الأصحاح ليبين الأمور العظيمة التي سيعملها الله لهيكله وشعبه في خلاص أورشليم من سنحاريب ودمار الجيش الأشوري، ولكنه تفسير عام لتشجيع شعبه في العصور اللاحقة:

أولا: سوف يحاسب الله الظالمين والمتكبرين (ع١).

ثانيا: إنه يجب أن يولي الاهتمام لشعب الله باعتباره كرم الله (ع ٢ و٣).

ثالثا: سيسقط الله مخاصمته للشعب، عند عودتهم إليه (ع ٤ و٥).

رابعا: سوف يكثر الله عددهم تكثيرا (ع ٦).

خامسا: أما بالنسبة لمتاعبهم فسوف تتغير سماتها (ع ٧)، وتعدل وتخفف (ع ٨)، وتقدس (ع ٩).

سادسا: وعلى الرغم من أن الهيكل قد يحطم ويهجر لفترة ما (ع ١٠ و١١).

سابعا: إلا أنه سوف يسترد، وسوف يتجمع أعضاؤه المشتتون معا ثانية (ع ١٢ و١٣).

عدد ١ – ٦

يترنم النبي هنا بدينونة الله ورحمته:

أولا: الدينونة ضد أعداء شعب الله (ع ١). لأنه حين يخرج الرب «من مكانه ليعاقب إثم سكان الأرض» (إش ٢٦: ٢١)، فمن المؤكد أنه سيعاقب «لوياثان... التنين الذي في البحر» وكل طاغية متجبر مثل لوياثان الرهيب الذي يرعب الأقوياء «ليس من شجاع يوقظه» (أي ٤١: ١٠، ٢٤ و٢٥). هكذا كان سنحاريب ونبوخذنصر وأنطيوخس، كل في أيامه. وهكذا كان أيضا فرعون سابقا وقد سمي «لوياثان» و«الوحش» (إش ٥١: ٩؛ مز ٧٤: ١٣ و١٤؛ حز ٢٩: ٣). وكان لكنيسة العهد الجديد أكثر من لوياثان خاص بها، حيث نقرأ عن تنين عظيم أحمر يريد أن يبتلعها (رؤ ١٢: ٣). وقوى الاضطهاد البغيضة هذه شبهت بلوياثان من جهة الحجم والقوة– وبالتنانين من جهة ثورتها وعنفوانها، «الحية الهاربة»، المؤثرة في مشوراتها، و«الحية المتحوية»، الخبيثة المتملقة، ولكنها شريرة عنيدة. فالرؤساء العظام إذا ما قاوموا شعب الله سيعدون في نظر الله مثل التنانين والحيات، والوباء الذي يصيب البشر. وهم أقوى من أن يواجههم الناس

www.DIFA3IAT.com

أو يحاسبوهم، ولذلك فإن الله العظيم سوف يتولى أمرهم بنفسه، وذلك «بسيفه القاسي العظيم الشديد»، وحين يمتلئ مكيال إثمهم ويحين وقتهم، في ذلك اليوم سوف يعاقبهم لأن يومه قد أتى (مز ٣٧: ١٣). وهذا ينطبق على الانتصارات الروحية التي حققها الرب يسوع على قوى الظلام. فلم يجرد رئيس هذا العالم من سلاحه فحسب، بل سيدمره بسيفه القوي وبثمار موته والكرازة بالإنجيل، ذاك الذي معه قوة الموت أي الشيطان، لوياثان، الحية القديمة، التنين (رؤ ٢٠: ٢ و٣).

ثانيا: عن الرحمة لشعب الله:

(١) إنهم كرم الرب، وتحت رعايته الخاصة. وهم في عين الله الكرمة المشتهاة. والعالم يشبه برية قاحلة لا قيمة لها، غير أن الكنيسة مسيجة ككرم، تجمع منها ثمار ثمينة، يمجدون بها الله والإنسان. هي «الكرمة المشتهاة» التي تصنع أفضل الأعناب المختارة، الأمر الذي يشير إلى إصلاح الكنيسة، في حين أنه قبل ذلك صنعت «عنبا رديئا» (إش ٥: ٤): «أنا الرب حارسها». فالذين يأتون بثمار لله هم تحت حراسته. وكرمة الله في هذا العالم كثيرا ما تتعرض للأذى، فثمة كثيرون يريدون إلحاق الأذى بها (مز ٨٠: ١٣)، غير أن الله لن يسمح بأن يلحق بها أي ضرر حقيقي، بل إنه سيحول الضرر إلى خير، وسوف يحفظها الله في ليل البلية والاضطهاد، وفي نهار السلام والازدهار، حيث التجارب ليست أقل خطرا. سوف تسيج هذه الكرمة على أفضل وجه: «أسقيها كل لحظة» ومع ذلك لن تسقى أكثر مما ينبغي. فندى نعمة الله وبركته سيتساقط عليها بصفة دائمة. الله يروي كرمته بخدمة الكلمة على يد عبيده الأنبياء. لقد غرس بولس، وأبلوس سقى، ولكن الله هو الذي ينمي.

(٢) على الرغم من أنه في بعض الأحيان يخاصم شعبه، غير أنه عند خضوعهم يعود ويصالحهم (ع ٤ و٥). فليس له «غيظ» تجاه كرمته. إنها لحقيقة أنه إذا وجد بها شوكا وحسكا بدلا من العنب فإنه يدوس عليه ويحرقه، وإلا إذا كنت في غيظ من شعبي، فعليهم أن يتواضعوا ويصلوا ويطلبوا وجهي، ومن ثم يأتون إليّ كملجأ لهم برغبة خالصة للتصالح معي، وهنا سأصنع صلحا معهم وكل شيء يصبح على ما يرام.

وهنا نرى مشاجرة مفترضة بين الله والإنسان. وهي مشاجرة قديمة العهد تعود إلى بداية دخول الخطية. وهنا نجد دعوة كريمة موجهة لنا لتسوية هذا النزاع. الرحمة الغافرة سميت حصننا، ليت الإنسان يتمسك بذلك الحصن. المسيح هو «ذراع الرب» (إش ٥٣: ١). والمسيح «مصلوبا» هو «قوة الله» (١كو ١: ٢٤) ليتنا بإيمان حي نتمسك به. والله يريد أن يتصالح معنا إذا ما رغبنا في التصالح معه.

(٣) كنيسة الله في العالم ستكون جسما متناميا (ع ٦): «في المستقبل»، حينما تنتهي هذه الكوارث، أو في عهد الإنجيل «يتأصل يعقوب»، وبشكل لم يسبق له مثيل. كثيرون سينضمون إلى الكنيسة، والمؤمنون سيكونون بأعداد كبيرة، وبعضهم من جميع الأمم المحيطة، وسيكون المتجددون مثمرين لثمار البر. فالكرازة بالإنجيل أثمرت «في كل العالم» (كو ١: ٦)، ثمر دائم (يو ١٥: ١٦).

عدد ٧- ١٣

هنا يترنم النبي برحمة وحكم على شعب الله، وبرحمة ممزوجة بذلك الحكم.

أولا: هنا تهديد بالدينونة ضد يعقوب وإسرائيل: «يزهر ويفرع» (ع ٦)، غير أن البعض سوف يضربون ويقتلون (ع ٧). وستبدأ الدينونة في بيت الرب. أورشليم مدينتهم «الحصينة» تصبح مهجورة «كالقفر» (ع ١٠ و١١). لقد استخدم الله وسائل عديدة لإصلاحهم، لم ينجم عنها إصلاح الكثيرين، وعلى هذا سيترك لهم بلادهم كالقفر لبعض الوقت، وهذا ما تم حين دمر البابليون أورشليم، وعندئذ أصبح «المسكن» مهجورا ومتروكا لمدة طويلة. كانت أورشليم مدينة حصينة، ليس نتيجة مهاراتهم أو بالطبيعة بقدر ما كان ذلك يرجع إلى الحماية الإلهية، ولكنهم حين أغاظوا الله تركت كالقفر. وفي حدائق أورشليم الغناء سوف ترعى الماشية وتربض هناك، ولن يوجد أحد ليطردها منها، وسوف تلتهم الغصون الرقيقة لأشجار الفاكهة، ولعل هذه أيضا إشارة إلى أن الشعب سيصبح فريسة سهلة لأعدائه «حينما تيبس» أغصانه نتيجة الريح والصقيع وعدم التشذيب، و«تتكسر» لكي تستخدم كوقود. «فتأتي نساء وتوقدها». سوف

يعم الخراب، لأن الأشجار ذاتها سوف تدمر. وهذه صورة لحالة الكرمة التي يرثى لها. ويبدو أن مخلصنا كان يشير إلى ذلك حين تحدث عن غصن الكرمة الذي «ينزع» منه ويطرح فيجف «ويجمعونه ويطرحونه في النار فيحترق» (يو ١٥: ٦)، «لأنه ليس شعبا ذا فهم».. حيث لا يعرف للأمور الإلهية طعما أو نكهة، مثل الغصن الجاف الذي لا عصارة فيه، وهذا هو أصل وسبب جميع الخطايا. فالشرير يفتقر إلى الفهم للأمور العظيمة التي تهمه، ولذلك فإن «صانعه» الذي خلقه لكي يسبحه، إذ رأى أنه لم يحقق الغرض من خلقته، بل وجده يكره الإصلاح ويرفض أن يخلق من جديد، «لذلك لا يرحمه صانعه». إذا كنا لن نسعد بنعمة ذاك الذي خلقنا بقوته، فإنه من الأفضل لنا لو أننا لم نخلق البتة.

ثانيا: هنا نجد رحمة عظيمة ممزوجة بهذا الحكم: ذلك أنه يوجد أبرار إلى جانب الفاسدين والمنحلين، فسوف يظهر الله رحمته بهم. وعلى الرغم من أنهم سوف يضربون ويقتلون، لكن ليس كما يضرب ويقتل أعداؤهم (ع ٧).

وقد صور هنا شعب الله وأعداء الله كمن يتقاتلون. في هذا السياق نجد القتلى على كلا الجانبين. والله يستخدم الأشرار لقتل شعبه، لأنهم سيفه (مز ١٧: ١٣). غير أنه حينما يأتي كأس الرعدة إليهم، فسوف يكون الأمر رهيبا عليهم، أقسى جدا مما عاناه شعب الله في أعتى أوقات محنهم. فنسل المرأة لن يسحق سوى عقبه، غير أن الحية سيسحق رأسها. فهناك فرق شاسع حقا بين متاعب الأبرار وموتهم، وبين متاعب الأشرار وموتهم. فالبلايا تخفف وتلطف لكي تتواءم مع قوة احتمال الأبرار وليس طبقا لما يستحقونه من عقاب (ع ٨). لذلك سمح الله بأن تحل المتاعب بشعبه، إلا أنه لا يدعهم يجربون فوق ما يستطيعون (١كو ١٠: ١٣). فهو يأخذ في اعتباره مدى تحملنا حين يشرع في تأديبنا، وحين تكون «ريحه العاصفة في يوم الشرقية»، حيث لا تكون عاصفة صاخبة فحسب بل بغيضة مدمرة أيضا، فإنه يكبح ريحه الشديدة ويضع لها حدودا. وحين يذري حنطته فإنما يفعل ذلك بريح لطيفة تحمل العصافة بعيدا، ولكن ليس الحنطة الجيدة. وعلى الرغم من أن الله سيبتليهم إلا أنه سيجعل من ذلك وسيلة لخير نفوسهم، ويؤدبهم كما يؤدب الأب ابنه، وذلك ليطرد الحماقة من قلوبهم «لذلك بهذا يكفر إثم يعقوب» (ع ٩). ولذلك، ونظرا لأن البلية قد خُففت، وقُمعت الريح العاتية، فلنا أن نستخلص من ذلك أنه يقصد إصلاحهم وليس هلاكهم. والخطية التي يقصد إبراؤها بالمحنة بصفة خاصة هي عبادة الأوثان. إلا أنه نتيجة السبي إلى بابل فإنهم لم ينقطعوا عن هذه الخطية فحسب، بل أخذوا يحاربونها. فسوف يقول أفرايم: ليس لي علاقة بعد بالأوثان. وقد غفرت خطية يعقوب حين أخذ حجارة الوثني الثمينة والمقدسة عنده، وحطمها إلى قطع صغيرة كأحجار الكلس، ولم يكتف بأنه احتقرها ولم تعد لها قيمة في نظره أكثر من أحجار الكلس، بل إنه في انتقام مقدس حطمها إلى قطع صغيرة كالحجر الهش، ولن يترك يعقوب أية سواري أو مذابح للبخور متعلقة بها أمامه حينما يتوب، بل إنه سيحطمها أيضا بحيث لا تقوم لها قائمة بعد ذلك.

وكان هذا طبقا لناموس تدمير وتحطيم كل الأصنام الخاصة بعبادة الأوثان (تث ٧: ٥)، ومنذ سبي بابل لم يكن هناك في العالم شعب تأصلت فيه كراهية الأوثان بقدر ما كان عليه الحال بالنسبة للشعب اليهودي. سوف تكون أورشليم مهجورة ومتروكة لفترة من الزمن، ومع ذلك سيأتي يوم يعود إليها أصدقاؤها المشتتون من جميع أنحاء البلدان التي نفوا إليها (ع ١٢ و١٣). هؤلاء الإسرائيليون المشتتون سوف يتجمعون معا: وسوف ينتقيكم كما ينتقي القمح من العصافة. وسوف يفصلهم عن أولئك الذين يعيشون بينهم «من مجرى النهر» (مجرى الفرات) في الشمال الشرقي، إلى النيل في «وادي مصر» الذي يقع إلى الجنوب الغربي. فالذين طردوا إلى أرض أشور، وتم سبيهم هناك في أرض أعدائهم، وأولئك «المنفيون في أرض مصر» حيث ترك كثيرون بعد السبي في بابل، ذهبوا إلى مصر على العكس من أمر الله الواضح (إر ٤٣: ٦ و٧)، وعاشوا هناك كمشردين، كان الله يحتفظ لهم جميعا برحمته. فعلى الرغم من طردهم إلا أنهم لم ينبذوا: «وأنتم تلقطون واحدا واحدا»، في سكون، وكما في السر يلقط واحد ثم آخر: «يضرب ببوق عظيم فيأتي التائهون». وإعلان كورش للمسبيين

هو هذا البوق العظيم، الذي أيقظ اليهود الذين كانوا يغطون في عبوديتهم لكي ينفضوا عن أنفسهم تراب هذه العبودية. سوف يجمعون معا: «ويسجدون للرب في الجبل المقدس في أورشليم». وبعد أن يتجمع المسبيون ثانية، وبعد أن يعودوا إلى أرضهم، كان الأمر الرئيسي الذي انخرطوا فيه هو عبادة الله. كان الهيكل المقدس أطلالا غير أنه كان لديهم الجبل المقدس «مكان المذبح» (تك ١٣: ٤). والحرية في عبادة الله هي أغلى وأعظم الحريات.

الأصحاح الثامن والعشرون

نجد في هذا الأصحاح:

أولا: وُبخ الأفرايميون وتم تهديدهم لعجرفتهم وفسوقهم (ع ١ – ٨)، غير أنه في وسط هذا نجد وعدا كريما بنعمة الله للبقية من شعبه (ع ٥ و٦).

ثانيا: أيضا تم توبيخهم وتهديدهم بسبب حماقتهم وتغافلهم عن الإفادة من التوجيهات التي حملها إليهم الأنبياء باسم الله (ع ٩- ١٣).

ثالثا: تم توبيخ وتهديد حكام أورشليم لاستخفافهم المشين بأحكام الله وتحديهم لها، وبعد أن أعطوا الوعد الكريم بالمسيح وبنعمته، عرفوا بأن آمالهم الواهية في الهرب من أحكام الله، التي كانوا يمنون بها أنفسهم من المؤكد أنها ستخدعهم (ع ١٤- ٢٢).

رابعا: تأكد كل هذا بتشبيه أخذ من الطريقة التي يتبعها الفلاح بالنسبة لأرضه وحنطته، والتي بمقتضاها عليهم أن يتوقعوا أن الله سيتعامل على هذا النحو مع شعبه الذي أسماه منذ فترة بسيطة مضت بأنهم «دياستي وبني بيدري» (شعبي المطحون والمشتت)، (انظر إش ٢١: ١٠) . وقد كتب هذا لنصحنا وهو نافع لتوبيخنا وتحذيرنا (ع ٢٣- ٢٩).

عدد ١ – ٨

أولا: يحذر النبي الأسباط العشرة من العقوبات الآتية بسبب خطاياهم حين دمر ملك أشور بلادهم وحمل الشعب إلى السبي. واشتق اسم أفرايم من الإثمار، وكان له «وادي سمائن» خصيب (ع ١، ٤)، والسامرة التي كانت تقع على تل، كانت على «رأس وادي سمائن». وكانت بلادهم فخر كنعان، وكانت وديانهم عامرة بالحنطة والكروم.

(١) كيف أساءوا استغلال الرخاء الذي كان لهم. فالصلاح الذي توج به الله سنواتهم كان بالنسبة لهم «إكليل فخر». وكانت الكبرياء خطية سائدة بينهم، ومن ثم فقد صرخ النبي بكل شجاعة «ويل لإكليل فخر... أفرايم». فقد انغمسوا في الفسوق. وكان أفرايم سيئ السمعة من جهة السكر، أما السامرة رأس الوادي الخصب، فكانت مليئة بـ «المضروبين بالخمر» الذين كسرتهم الخمر، بحسب ما جاء في الهامش. والسكارى يجعلون من أنفسهم حمقى متوحشين، حيث تتغلب عليهم الخطية، وتسود عليهم (٢بط ٢: ١٩). فهي تحطم أبدانهم وتتلف صحتهم. لقد دمرتهم الخمر، وتلاشى سلامهم مع الله، وكل هذا من أجل إشباع شهوة شريرة. «ويل.. سكارى أفرايم». وهذا ويل خاص لسكارى أفرايم، لأنهم من الشعب الذي أعلن إيمانه بالله. البعض يأخذ «إكليل الفخر» على أنه للسكارى، ويقصد به إكليل الزهور الذي يتوج به من يحققون النصر في مباريات السكر الشريرة ويشربون أكثر من بقية المتسابقين.

(٢) عدالة الله في نزع الخير الوفير منهم ماداموا قد أساءوا استخدامه: «جمال بهائه»، أي الرخاء الذي كانوا يفتخرون به، ما هو إلا «زهر ذابل». وبمقدور الله بكل سهولة أن يأخذ منهم قمحه في حينه، أي بعد أن ينضج (هو ٢: ٩)، وأن يسترد خبراته التي هيأوها للبعل. والله لديه خادم مستعد لتنفيذ ضرباته، وهو «شديد وقوي»، إنه ملك أشور نفسه، حيث يلقي «إلى الأرض بشدة» كل ما هو موضع فخرهم (ع ٢). وبعدئذ «بالأرجل يداس إكليل فخر سكارى أفرايم» (ع ٣). والسكارى تراهم- في حماقتهم- يميلون للكلام بزهو وفخر، ولكنهم بهذا يجلبون السخرية على أنفسهم. فبهاء وديانهم سوف يذبل من تلقاء نفسه، وهو يحمل بين طياته عوامل فساده «كباكورة التين»، التي ما أن تكتشف حتى تقطف وتؤكل، وهكذا حال ثروة العالم، التي إلى جانب أنها تذوي تلقائيا، فإنها معرضة لأن يلتهمها الآخرون كباكورات الفاكهة.

ثانيا: بعد ذلك تحول إلى مملكة يهوذا، التي أسماها «بقية شعبه» (ع ٥)، لأنها كانت تتكون من

سبطين مقابل العشرة الأسباط الأخرى.

(١) وعدهم بإحسانات من الله، وأنه سوف يرشدهم ويحميهم حين يترك جمال أفرايم معرضا للدوس بالأرجل في ذلك اليوم، حين يدمر جيش أشور إسرائيل، سيكون الله لبقية شعبه كل ما يحتاجونه ويرغبونه، ليس لمملكة يهوذا فقط، بل لكل الذين حافظوا على استقامتهم من إسرائيل. وحين يكون الأشوريون في إسرائيل «كانهيال البَرَد» صاحبا عنيفا، و«كنوء مهلك»، و«كسيل مياه غزيرة جارفة» نازلة على الأرض بشدة (ع ٢)، حينئذ، «في ذلك اليوم» سوف يميز «رب الجنود» شعبه بنعم خاصة لأنهم أفرزوا أنفسهم بالالتصاق به بكل شدة. سوف يكون لهم «إكليل جمال وتاج بهاء». وسوف يظهر فيهم على هذا النحو لكي يثبت أن صورته قد عادت فيهم، وسوف يكون هذا بالنسبة لهم إكليل جمال. سوف يهبهم كل الحكمة والنعمة التي هم في احتياج إليها. وسوف يكون هو نفسه لهم «روح القضاء للجالس للقضاء». فالمستشارون سوف يرشدون بالحكمة والحصافة. وسوف يقضي القضاة بالعدل والمساواة. وسوف يمدهم بكل الشجاعة المطلوبة لتغلبهم على الصعاب. وسوف يكون «بأسا للذين يردون الحرب إلى الباب»، إلى أبواب المدينة التي حاصروها، أو إلى أبوابهم هم، حين يتجمعون ضد الأعداء الذين حاصروهم. وحين يعطي الله هذه يكون لذلك الشعب تاج بهاء. ويمكن افتراض أن هذه إشارة إلى المسيح، ولذلك جاءت في الترجمة الآرامية: في ذلك اليوم يكون المسيح «تاج بهاء».

(٢) يشكو من الكثيرين الذين فسدوا (ع ٧): «لكن هؤلاء أيضا»، أي الكثيرين ممن هم في يهوذا «ضلوا بالخمر». هناك سكارى في أورشليم، كما في أفرايم. وقد وجدت خطايا أفرايم في يهوذا، ولكن ليس خرابها. ذلك أن إسرافهم في السكر كان في حد ذاته خطأ من الناحية العملية، فقد كانوا يظنون أنهم يحفظون صحتهم بذلك، فضلا عن أنه يساعد على الهضم، غير أنهم أتلفوا بهذا جسدهم وعجلوا بمرضهم وموتهم. وقد تشوش فكرهم ونجم عن ذلك فساد ضميرهم، وعلى ذلك اعتنقوا مبادئ فاسدة، من بنات أفكارهم. وقد تفاقمت هذه الخطية نتيجة ثلاث أمور:

أ. إن الذين اتهموا بها هم من كان يجب أن يكونوا قدوة: «الكاهن والنبي ترنحا بالمسكر»، وقد غرقت وظيفتهما وضاعت في الخمر. فالكهنة، باعتبار أنهم يقدمون الذبائح، كانوا ملزمين طبقا لناموس معين أن يضبطوا أنفسهم (لا ١٠: ٩). أما الأنبياء فكانوا كالنذير (كما يبدو مما جاء في عاموس ٢: ١١)، وكان يتحتم عليهم أن يبتعدوا تماما عن الخطايا التي ينهون الناس عنها، ومع ذلك وقع كثيرون منهم في هذه الخطية.

ب. إن عواقبها وخيمة، ليس بسبب المثال السيئ الذي يظهرون به، بل لأن النبي إذا ما سكر يضل «في الرؤيا». والكهنة «ينسوا المفروض ويغيروا حجة كل بني المذلة» (أم ٣١: ٥)، فهو يتذبذب من الناحية الذهنية كما من الناحية البدنية أيضا.

ج. إن المرض معد: «جميع الموائد امتلأت قيئا وقذرا» (ع ٨). إنها لوقاحة وسوء خلق أن تقزز الناظرين. إن الموائد التي يتناولون عليها طعامهم كانت ملطخة بالقذارة.

عدد ٩ – ١٣

يشكو النبي هنا غباوة هذا الشعب، حتى أنهم غير قابلين للتعليم.

أولا: قصد أنبياؤهم وخدامهم أن يعلموا معرفة الله وإرادته، «لمن يعلم معرفة ولمن يفهم تعليما» (ع ٩). وهذا هو أسلوب الله في تعامله مع البشر، وهو أن ينير بصيرتهم أولا بمعرفة حقه، وبهذا ينال محبتهم، فيخضعون إرادتهم لوصاياه.

ثانيا: لم يترك الأنبياء وسيلة إلا واتبعوها ليحققوا كل الخير للشعب، فعلموهم كأطفال صغار في بداية حياتهم، حيث انفصلوا «عن الثدي» وأُخذوا إلى التعليم (ع ٩)، لأنه كان من الشائع بين الأمهات اليهوديات أن يرضعن أطفالهن حتى يبلغوا الثالثة من العمر، ويكونوا مستعدين في الغالب لأن يتخذوا الخطوات الأولى في التعليم والإرشاد، فيتعلموا معرفة الرب بحسب استطاعتهم، حتى وإن كانوا قد فطموا حديثا. لقد علموهم كما يتعلم الأطفال القراءة «أمر على أمر»، قليل من هنا وقليل من هناك. قليل من

www.difa3iat.com

شيء ما وقليل من شيء آخر، حتى لا يكون التوجيه عبئا ثقيلا عليهم– قليل في مرة، وقليل في مرة أخرى حتى لا تتخم ذاكرتهم بأكثر مما يحتملون، قليل عن أحد الأنبياء، وقليل عن نبي آخر. من المستحسن أن نأخذ وصية تلو الأخرى، وأمرا بعد الآخر. فوصية العدل يجب أن تكون مع وصية التقوى، ووصية المحبة مع العدل.. إلخ. مع ملاحظة ضرورة التكرار مرارا كثيرة. ويجب أن يكيف المدرسون أنفسهم بحسب مقدرة المتلقين، ويعطوهم ما هم في أمس الحاجة إليه، وبمقدار قليل في كل مرة (تث ٦: ٦ و٧). فقد كانوا يقنعونهم ويحملونهم على التعلم (ع ١٢)، ولقد قال لهم الله على لسان أنبيائه: هذا الطريق الذي نوجهكم إليه هو «الراحة. اريحوا الرازح» هذا هو مكان «الراحة» لنفوسكم، وسوف يجلب الراحة لبلادكم من الحروب التي انتهكتها منذ أمد بعيد.

ثالثا: كانوا غير ميالين للتعلم مثل الأطفال الصغار (ع ٩). «لم يشاءوا أن يسمعوا» (ع ١٢) لِما كان سيريحهم وينعشهم. لقد حافظوا على عادتهم القديمة في الاستماع إلى عظات النبي، التي كانت تدوي في آذانهم، ولكنها لم تحرك شيئا في داخلهم.

رابعا: كيف سيحاسبهم الله بشدة عن كل ذلك. وسوف يحرمهم من امتياز الاستماع للتعليم الصحيح، فيتحدث إليهم «بشفة لكناء وبلسان آخر» (ع ١١). فأولئك الذين يعرضون عن سماع صوت كلمة الله المعزية، سوف يحملون على سماع صوت عقابه الرهيب. وباحتقارهم المشين لله ولكلمته، كانوا في الواقع يعجلون بهلاكهم، ويجهزون أنفسهم لذلك، «كي يذهبوا ويسقطوا إلى الوراء»، وينتقلون من خطية لأخرى، حتى «ينكسروا ويُصادوا فيؤخذوا» (ع ١٣).

عدد ١٤– ٢٢

بعد أن وبخ النبي أولئك الذين سخروا من كلمة الله، يواصل هنا توبيخ أولئك الذين سخروا من أحكامه. وهو هنا يوجه كلامه إلى «رجال الهزء ولاة هذا الشعب الذي في أورشليم» (ع ١٤).

أولا: تحدى هؤلاء الرجال المستخفون رب الجنود بأن يفعل أقسى ما عنده (ع ١٥): «لأنكم قلتم قد عقدنا عهدا مع الموت وصنعنا ميثاقا مع الهاوية». ظنوا في أنفسهم أنهم واثقون من حياتهم، حتى حينما كان الهلاك في كل اتجاه، كما لو كانوا قد اتفقوا مع الموت بألا يأخذهم عنوة، ولكن بالشيخوخة فقط. وإذا كان لنا سلام مع الله، نكون في الواقع قد عقدنا ميثاقا مع الموت، بأنه في أي وقت يأتينا لن يكون مصدر رعب لنا، بل ولن يضيرنا بشيء (١كو ٣: ٢٢ و٢٣)، لكن أن نحاول مهادنة الموت، في حين أننا بالخطية نعادي الله، فهذا يدل على الحماقة البالغة. إنه وهم أحمق ذاك الذي تخيله المحتقرون «السوط الجارف إذا عبر» وسقط تحته آخرون فإنه مع ذلك «لا يأتينا». ولكن ما هو أساس ثقتهم هذه؟ «لأننا جعلنا الكذب ملجأنا»، أي سيلجأون للأكاذيب والخدع في مواجهة العدو، الذي كان «سوط الله» ظانين أنها سوف تحميهم منه، وذلك بخضوعهم الظاهري في معاهدات وهمية للسلام. لقد ظن حكام أورشليم في أنفسهم أنهم أعظم من ساسة البلدان الأخرى، فرأوا أن يتملقوا ملك أشور، مع وعد بتسليمه المدينة أو أن يخضعوا له، بقصد التخلص من نيره فور أن ينتهي الخطر. وأولئك الذين يقيمون خططهم على أساس الغش والخداع، قد يحققونها، ولكن عليهم ألا يتوقعوا منها تعزية.

ثانيا: بيَّن الله– بواسطة النبي– حماقة ثقتهم. ولم يزحزح هذه الثقة الزائفة إلا بعد أن أظهر لهم أساسا راسخا يمكنهم أن يرتكنوا إليه (ع ١٦): «هأنذا أؤسس في صهيون حجرا... أساسا مؤسسا»، يتكون هذا الأساس من:

(١) وعود الله بصفة عامة– عهده مع إبراهيم أساس من حجر، ثابت ودائم، لكي يبنى عليه الإيمان. إنه «حجر امتحان»؛ لأن كل القديسين حموا أنفسهم به، ولم يخزهم أبدا.

(٢) الوعد بالمسيح على وجه الخصوص، لأنه انطبق عليه هذا بكل صراحة في العهد الجديد (١بط ٢: ٦– ٨). فهو الحجر الذي قد صار رأس الزاوية. والمسيح يسوع هو أساس وضعه الله. وهو «حجر امتحان»، و«رأس الزاوية» الذي تتحد فيه جوانب المنزل، هو «رأس الزاوية» والذي «يؤمن» بهذه الوعود، ويستند إليها «لن يخزى». بل بقلب راسخ ينتظر وبهدوء يقول: مرحبا بمشيئة الله. فالأسس التي يبنون عليها الآن لا يمكن أن تكون آمنة (ع ١٧): «وأجعل الحق خيطا

والعدل مطمارا» وهذا ما يشير إلى:
أ. بناء كنيسته: فبعد أن وضع الأساس (ع ١٦) سوف يقيم البناء، كما يفعل البناؤون باستخدام الخيط والمطمار (زك ١٠: ٤). فالبر سيكون الخيط، والعدل سيكون المطمار. وإذا تأسست الكنيسة على المسيح، فسوف تشكل وتصلح بواسطة الأسفار الإلهية.
ب. أو يشير إلى معاقبة أعداء الكنيسة، الذين سيواجههم بسلطان وحسم. فهؤلاء الرجال المستخفون سوف يخجلون من الآمال الباطلة التي خدعوا بها أنفسهم. فالذين يتخذون الكذب ملجأ يبنون على الرمل، وسوف يسقط البناء إذا ما هبت العاصفة، ويُدفن الباني تحت أطلال بنائه.
لقد ظنوا أنه إذا ما عبر السوط الجارف لن يقترب منهم، غير أن النبي يقول لهم (ع ١٩)، بأنهم سيكونون أول من يسقطه: «كلما عبر يأخذكم»، كما لو أنه جاء خصيصا من أجلهم. «فإنه كل صباح يعبر» لن تكونوا في أمان إطلاقا، سيكون ثمة وباء يسير في الظلام، ودمار عند الظهيرة. ومجرد سماع أخبارهما الآتية من بعيد سيثير الرعب فيكم. فالأخبار السيئة تشكل رعبا للمستخفين، غير أن ذي القلب الثابت «يؤمن بالله» فلا يخاف منها، وحين يأتي السوط الجارف، فإن كل مسرات المحتقرين وثقتهم لن تنفعهم شيئا (ع ٢٠): «لأن الفراش قد قصر عن التمدد»، ولذلك اضطر إلى أن يقلص نفسه وينكمش. وما اعتقدوا أن يحتموا به ثبت أنه غير كاف: «والغطاء ضاق عن الالتحاف». وحين يأتي الله ليواجه هؤلاء المتهكمين، فإنما ذلك «ليفعل فعله... وليعمل عمله»، باعتباره القاضي العادل في الأرض. وسوف يعمل عمله الآن ضد شعبه، كما سبق أن فعل ذلك ضد أعدائهم، وسوف «يقوم الرب» الآن ضد أورشليم، كما سبق وقام أيام داود ضد الفلسطينيين «في جبل فراصيم» (انظر ٢ صموئيل ٥: ٢٠)، وكما قام في زمن يشوع ضد الكنعانيين «في الوطاء عند جبعون». فمن يقولون إنهم أعضاء في كنيسة الله، إذا ما تمثلوا بالفلسطينيين والكنعانيين في غطرستهم واحتقارهم وصايا الله، فعليهم أن يتوقعوا أن الله سيعاملهم بنفس هذه المعاملة. وهذا سيكون «فعله الغريب... و... عمله الغريب». ذلك أنه عمل لم يتعود أن يعمله مع شعبه.

وهو عمل غريب حقا إذا ما «تحول لهم عدوا وهو حاربهم» (إش ٦٣: ١٠). استخدام وتطبيق كل هذا: (ع ٢٢): «فالآن لا تكونوا متهكمين»، لا تتجرأوا وتسخروا من توبيخات كلمة الله أو أحكامه. «لا تكونوا متهكمين لئلا تشدد ربطكم»، سواء الربط التي أنتم مقيدون بها تحت سيادة الخطية، أو الربط التي تقيدكم لدينونة الله. ليت هؤلاء المستخفون بتهديدات الله يكفون عن ذلك، لأن النبي يؤكد لهم: «لأني سمعت فناء قُضي به من قبل السيد رب الجنود على كل الأرض»، فهل تظنون أن بمقدوركم الفرار؟

عدد ٢٣ – ٢٩

هذا المثل الذي استعير (مثل الكثير من أمثال مخلصنا) من عمل الفلاح، قد أُستهل بمقدمة مهيبة: «اصغوا واسمعوا صوتي انصتوا واسمعوا قولي» (ع ٢٣).
أولا: المثل هنا واضح بما فيه الكفاية، وهو أن الفلاح يمارس عمله بكل جهد وحرص ويتبع نهجا ونظاما في هذا العمل.
(١) من جهة الحرث والزرع: «هل يحرث الحارث كل يوم ليزرع؟» إنه ينبغي «للحراث أن يحرث على رجاء وللدارس على الرجاء» (١كو ٩: ١٠). هل بصفة دائمة «يشق أرضه ويمهدها؟» نعم حتى تصبح الأرض مهيأة لتقبل البذار. و«إذا سوى وجهها» ألا يزرع بذارا تناسب التربة؟ ذلك أن الزارع يعرف الحبوب المناسبة للتربة الطينية وتلك المناسبة للتربة الرملية، وطبقا لذلك، يزرع كل نوعية في مكانها المناسب– القمح في المكان الرئيسي (بحسب ترجمة الهامش)، لأنه كان من المحاصيل الأساسية في كنعان (حز ٢٧: ١٧)، «والشعير في مكان معين».
(٢) أثناء قيامه بالدرس (ع ٢٧ و٢٨). هذا أيضا يعتمد على نوعية الحب الذي سيدرس. «الشونيز... والكمون»، إذ أنه من السهل خروجها من القشرة الخارجية لذا يكتفي باستخدام «القضيب» و«العصا» عند درسهما، ولكن القمح يحتاج إلى قوة أكثر، وعلى ذلك فلابد أن يسحق بآلة الدراس (بالنورج)، وهي مزلجة ذات عجلات لها أطراف حديدية تُسحب للأمام والخلف فوقه لتخرج الحنطة، ومع ذلك «لا يدرسه إلى

الأبد»، ولا أطول من المدة اللازمة لكي يحرر الحنطة من العصافة: «لا يسحقه»، «ببكرة عجلته». ولا يطحنه بخيله، لأن هذه عملية أخرى تُجرى في وقت لاحق. فيا له من تعب ذاك الذي يجب أن نتحمله، ليس من أجل أن نكسب عيشنا فحسب، بل أيضا في إعداد طعامنا الضروري، ومع ذلك، وبعد كل هذا المجهود، فهو طعام بائد. فهل بعد ذلك نضن بعمل ما هو أكثر «للطعام الباقي للحياة الأبدية؟». حيث إن الحنطة لابد وأن تسحق، هكذا سُحق المسيح لأن الرب «سر بأن يسحقه»، حتى يصبح خبز الحياة لنا.

ثانيا: معظم المفسرين يأخذون هذا المثل على أنه رد آخر على أولئك الذين يتحدون أحكام الله: فكما أن الفلاح لن يحرث كل يوم، ولكنه في النهاية يزرع البذار، هكذا لن يهدد الله دائما، بل إنه في النهاية ينفذ في الخطاة العقوبات التي يستحقونها، غير أنه يفعل ذلك بحكمة لعلهم ينصلحون ويسلكون طريق التوبة. غير أننا يمكننا أن نعطي هذا المثل مجالا أوسع:

(١) فبالنسبة للفلاح، الله هو الذي «يرشده بالحق يعلمه» (ع ٢٦). والفلاحون في حاجة إلى أن يتعلموا كيف ينظمون شئونهم. وتقدم فن الزراعة يعد خدمة عامة للبشرية تفوق في أهميتها تشجيع معظم الفنون الأخرى. ومهارة الفلاح هي من الله. وهذا يخفف إلى حد ما وطأة الحكم الذي صدر ضد الإنسان بسبب الخطية، ذلك أنه حين أرسل الله الإنسان- تنفيذا لهذا الحكم- لكي يفلح الأرض، علمه كيف يفعل ذلك بما يعود عليه بأعظم فائدة. فالله هو الذي يعطي الإنسان قدرة لأداء هذا العمل، ورغبة فيه وفرحا به، وهو الذي يجب أن يتوجه إليه الفلاحون طلبا لتوجيههم، لأنهم أكثر من غيرهم اتكالا على عمل العناية الإلهية. أما بالنسبة للمثل الآخر المتعلق بسلوك الفلاح حين يدرس قمحه فقد قيل «هذا أيضا خرج من قبل رب الجنود» (ع ٢٩)، وإذا كان هو الذي يعطي الإنسان أن يعمل الأشياء بحكمة فيجب أن نقر بأنه «عجيب الرأي عظيم الفهم».

(٢) كنيسة الله هي حقله (١كو ٣: ٩). وإذا كان المسيح هو الكرمة الحقيقية فأباه هو الكرام (يو ١٥: ١)، وهو بصفة دائمة يتعهد كنيسته بكلمته وأحكامه. أليس الله هو الذي يشق الأرض المتروكة بلا زرع بواسطة خدامه؟ الله يزرع كلمته بواسطة خدامه (مت ١٣: ١٩). ومهما كانت نوعية تربة القلب، هناك في الكلمة بذرة أو أخرى مناسبة لها، وهكذا يستخدم قضيب الله بحكمة. والمتاعب هي «النورج» الذي يستخدمه، وهو يقصد بها أن يحررنا من العالم، وأن يفصل بيننا وبين عصافتنا، ولكنه سيجعلها مناسبة لقوتنا. وإذا ما حقق القضيب والعصا القصد منهما، فلن يستخدم بكرة عجلته أو خيله.

الأصحاح التاسع والعشرون

هذا الويل الذي وجه لأريئيل، والذي تضمنه هذا الأصحاح، هو نفسه «وحي من جهة وادي الرؤيا» (إش ٢٢: ١)، ومن المحتمل جدا أنه يشير إلى نفس الحدث- حصار جيش أشور لأورشليم، والذي قضى عليه ملاك، ومع ذلك فإنه ينطبق على دمار أورشليم على يد جيش بابل، وخرابها الأخير بواسطة الرومان.

أولا: الحدث الذي تم التنبوء به هو أن أورشليم ستقع في محنة عظيمة (ع ١- ٤، ٦)، غير أن أعداءها سوف يقهرون (ع ٥، ٧ و٨).

ثانيا: توبيخ لثلاث نوعيات من الخطاة:

(١) الذين لم يبالوا بالتحذيرات (ع ٩- ١٢).

(٢) أولئك الذين كانوا شكليين ومرائين في ممارساتهم الدينية (ع ١٣ و١٤).

(٣) السياسيون الذين احتقروا التدبيرات الإلهية (ع ١٥ و١٦).

ثالثا: وعود عظيمة بالنعمة والرحمة لبقية سوف يقدسها الله (ع ١٧- ٢٤).

عدد ١ - ٨

من المتفق عليه أن أريئيل هنا هي أورشليم، لأنها كانت المدينة التي سكنها داود، وذلك الجزء منها الذي سمي «صهيون» كان هو «مدينة داود»، التي كان بها الهيكل والقصر. أما لماذا دعيت بهذا الاسم فهذا أمر غير محقق فالمدن كالأشخاص كثيرا ما يكون لها ألقاب وكنايات. و«أريئيل» تعني «أسد الله»، أو«الأسد القوي»، وكما أن الأسد هو ملك الوحوش، هكذا كانت أورشليم بين المدن. وعندما كانت أورشليم

مدينة بارة، كانت تتسم بالشجاعة كالأسد. والبعض يأخذ «أريئيل» على أنها كناية لمذبح المحرقة، الذي يلتهم الحيوانات التي تقدم كذبائح مثلما يلتهم الأسد فريسته. ولكنني أفضل أن آخذ هذه الأقوال كويل «يا أورشليم. يا أورشليم» وقد كررت هنا كما هوالحال في متى ٢٣: ٣٧، كصيغة تأكيدية لإنذارها.

أولا: المحنة التي تم التنبؤ بأنها ستلحق بأورشليم: فعلى الرغم من أن أورشليم مدينة قوية، إلا أنه إذا ما وجد بها الشر. فالويل لها.

(١) لتعلم أورشليم أن خدماتها الدينية المظهرية لن تعفيها من دينونة الله (ع ١): «زيدوا سنة على سنة»، واصلوا أعيادكم السنوية، لتظهر ذكوركم هناك ثلاث مرات في السنة أمام الرب، وليس أحد منهم فارغا، ليحرصوا على ألا يفوت على أحد هذه الاحتفالات: «لتدر الأعياد»، كما اعتادت أن تدور، غير أنه طالما لم يصلحوا حياتهم، ولم يتضعوا بقلوبهم، عليهم ألا يظنوا أنهم بأعمالهم هذه يستطيعون تهدئة الإله الذي أساءوا إليه، وأنهم بهذا يصرفون غضبه عنهم.

(٢) دعها تعرف أنها «من قبل رب الجنود تفتقد» (ع ٦)، وسوف تعاقب خطاياها بإنذارات «برعد وزلزلة... بزوبعة وعاصف ولهيب نار آكلة».

أ. سوف تحاصر أورشليم: لم يقل سوف أدمر أريئيل، بل سوف أحاصر أريئيل، لأنها إذا ما انتبهت من غفوتها وتابت فإنها لن تتعرض للدمار. لقد قال: أنا «أحيط بك كالدائرة»؛ فالذي أحاط بها كان جيش العدو. فعندما يحاربنا الناس، يجب أن نرى من خلالهم الله الذي يحارب معنا.

ب. سوف تكون في حزن إذ نرى البلاد وقد أصبحت خرابا، ستكون في «نوح وحزن» (ع ٢)، سوف يتوبون، وينصلحون ويعودون إلى الله، وبعد ذلك ستصبح بالنسبة لي كأريئيل. سوف تعود أورشليم إلى سابق عهدها، وستعود ثانية لتكون أمامي أورشليم التي أعرفها، المدينة المقدسة (إش ١: ٢٦).

(٣) سوف تذل وتخضع (ع ٤): «فتتضعين» من علو غطرستك، وبذا «تتكلمين من الأرض وينخفض قولك من التراب ويكون صوتك كخيال من الأرض». سوف يكونون هزالا ضعفاء كالمرضى، كلامهم همس متقطع، لخشيتهم من أن يسمعهم أعداؤهم.

ثانيا: التنبؤ بدمار أعداء أورشليم (ع ٥، ٧): «فتتضعين» (ع ٤)، «تتكلمين من الأرض»، أي يتضعون إلى أقصى حد. غير أنه سوف «يصير جمهور أعدائك»، جيوش أعدائك الغفيرة ستصبح «كالغبار الدقيق»، عاجزين عن الكلام، أو بالكاد يهمسون، وسوف يكونون «كالعصافة المارة». أنت ستتضعين أما هم فسوف يشتتون ويقتلون (إش ٢٧: ٧). «في لحظة بغتة»: وسوف يباغت الأعداء بهذا الدمار، أما أنتم فستباغتون بالخلاص. لقد دمر جيش الأشوريين في موقعه بواسطة ملاك وحدث ذلك بغتة وعلى حين غرة. و«جمهور كل الأمم المتجندين على أريئيل... يكون كما يحلم الجائع أنه يأكل» مع أنه لا يزال جوعانا. وفيما كانوا يأملون أن تكون أورشليم فريسة لهم، وبذلك يغتنون عن طريق سلبها، إلا أن آمالهم كلها كانت مجرد أحلام. ذلك أنهم هم أنفسهم سيختفون كحلم مع كل مظاهر الأبهة والقوة والازدهار التي كانوا يتحلون بها.

عدد ٩ - ١٦

أولا: نرى النبي في دهشة من غباء السواد الأعظم من الأمة اليهودية. كان لديهم لاويون يعلمون معرفة الرب. وكان عندهم أنبياء يحملون إليهم رسائل من الله مباشرة. ومن المؤكد أن هذا الشعب العظيم الذي توافرت له كل مزايا الإعلان الإلهي، «إنما هو شعب حكيم وفطن» (تث ٤: ٦) غير أن الواقع مع الأسف كان على النقيض من ذلك تماما (ع ٩)، غير أن النبي يخاطب الفئة المتعقلة التي فيهم. أما البقية فكانوا يلهون أنفسهم بما يختلقونه من خداع، فهم يصخبون ويعربدون. غير أنه من واجب هذه الفئة أن يندهشوا، ويحزنوا على حماقتهم، ويصرخوا إلى الله بالصلاة من أجلهم. لقد سكروا بمحبة الملذات الدنيوية وتحيزهم ضد الدين، والمبادئ الفاسدة التي رسخت في أذهانهم. وهم كالسكارى، لم ينتبهوا إلى التوبيخات الإلهية التي وجهت لهم. «ضربوني ولم أتوجع» (أم ٢٣: ٣٥) هكذا يقول السكير. هناك ما يطلق عليه السكر الروحي. فالله نفسه سكب عليهم

www.difa3iat.com

«روح سبات وأغمض» عيونهم (ع ١٠) وذلك في دينونة عادلة، لمعاقبتهم لأنهم أحبوا «الظلمة أكثر من النور». أحبوا النوم وقالوا «نوم قليل بعد نعاس قليل» ولذلك أسلمهم لأوهام قوية وقال لهم ناموا الآن. وهذا ينطبق على اليهود غير المؤمنين الذين رفضوا إنجيل المسيح، وكان عدلا أن يتركهم لقساوتهم ورفضهم. حتى حل عليهم غضب الله في أقصى درجاته (رو ١١: ٨): «أعطاهم الله روح سبات». وقد تحقق هذا في الأيام الأخيرة للأمة اليهودية حين كان رؤساء الكهنة والكتبة وشيوخ الشعب هم أعظم مَن قاوموا المسيح وإنجيله وبذلك جعلوا أنفسهم في ضلال مبين. ولذلك فكل رؤيا ولاسيما تلك التي رآها هذا النبي وأعلنها، أصبحت غير مفهومة لهم، كانت الرؤيا بينهم غير أنهم لم يحاولوا فهمها، كما يفعل الرجل (على الرغم من حصافته) في كتاب سلم إليه مختوما. فهو يرى كتابا، وهذا كل ما في الأمر. ولذلك كانوا يعرفون أن ما قاله إشعياء ما هو إلا رؤيا ونبوة، غير أن معناها قد أخفي عنهم. غير أن نفس الرؤيا التي هي لكم «رائحة موت لموت» هي للآخرين «رائحة حياة لحياة» وسوف تكون كذلك. فالمعرفة سهلة لمن يفهم.

ثانيا: يهدد النبي– باسم الله– أولئك الذين كانوا مظهريين ومرائين في عبادتهم (ع ١٣ و١٤).

(١) خطيتهم تمثلت في أنهم كانوا زائفين أمام الله في ممارساتهم الدينية (ع ١٣). فذاك الذي يعرف خفايا القلوب لا يمكن أن تخدعه المظاهر الكاذبة. فإذا كان القلب عامرا بمحبة الله وخشيته فمن فضلة هذا القلب يتكلم اللسان. غير أن هناك الكثيرين ممن يعبدون الله بالكلام فحسب. فعبادتهم من اللسان إلى الخارج فقط. ولا دخل لعقولهم بالعبادة. ولم يتخذوا من كلمة الله أساسا لعبادتهم، بل لم يتخذوا من مشيئته نبراسا لهم. «وصارت مخافتهم مني وصية الناس معلمة». فأصبح تقليد الشيوخ عندهم أكثر أهمية من ناموس الله الذي أعطاه لموسى. وهذا ما طبقه مخلصنا في أيامه على اليهود ممن كانت عبادتهم شكلية (مت ١٥: ٨ و٩).

(٢) كانت العقوبة التي هدد الله بتوقيعها عليهم عقوبة روحية تتناسب مع شرهم الروحي (ع ١٤): «لذلك هأنذا أعود أصنع بهذا الشعب عجبا». لم تكن في قلوبهم ذرة واحدة من الإخلاص. وعلى هذا فإن الله لن يترك في عقولهم ذرة من الحكمة. «فتبيد حكمة حكمائه». لقد اختاروا أن يكونوا مرائين، وفكروا في أن يغشوا الله، ولذلك تخلى عنهم الله وتركهم في حماقتهم حتى يسهل على كل المحيطين بهم أن يغشوهم. وهذا عمل غريب، أن يفقد الحكماء حكمتهم على حين غرة، ويستسلموا للأوهام.

ثالثا: بين حماقة أولئك الذين فكروا في أن يسلكوا بحسب أهوائهم في خفية من الله. ولقد وصفت سياساتهم (ع ١٥): «يتعمقون ليكتموا رأيهم عن الرب»، حتى لا يعرف ما يعملونه أو ما ينتوون عمله. ولقد اوضحت سخافة سياستهم (ع ١٦): «يا لتحريفكم»– أنتم تقلبون الأمور، وتريدون أن تخدم العناية الإلهية خططكم، التي تبدأونها من الوجهة الخاطئة. «هل يحسب الجابل كالطين»، كلا بل بالأحرى إن الله هو الذي سيقودكم ويسهل كل خططكم كما يشكل الفخاري طينه.

عدد ١٧ – ٢٤

يعرفهم الله هنا بأنه سيقلب الأمور رأسا على عقب. لقد رفضوا تصديق العناية الإلهية، انتظروا «مدة يسيرة جدا» يقول الله، وسوف تقتنعون بأنه يوجد إله يتحكم في العالم. والتغيير العجيب الذي تم التنبؤ به هنا ربما يشير بصفة أساسية للتدبير السار لشئون يهوذا وأورشليم بعد فشل محاولة سنحاريب. غير أنه يمكن أن يتجاوز ذلك فيشير إلى رفض اليهود للغرس الأول للإنجيل.

أولا: تم التنبؤ هنا بتغيير عظيم (ع ١٧): «يتحول لبنان بستانا»، وكان في الأصل قفر. و«البستان»، الذي كان أرضا خصبة، سوف يصبح «وعرا». وكان في هذا علامة على هزيمة سنحاريب أن الأرض أصبحت خصبة أكثر من المألوف (إش ٣٧: ٣٠): تأكلون هذه السنة مما ينمو تلقائيا، وسوف يكون الطعام بالنسبة للإنسان (كما هو بالنسبة للحيوانات) الناتج التلقائي للتربة. ولقد أصبحت لبنان مثمرة جدا حتى إن ما كان يحسب حقلا خصبا إذا ما قارناه بها سوف يبدو وكأنه وعرا. وحين يجمع للمسيح محصول وفير من

النفوس من بين الأمم، هنا يكون الوعر (البرية) قد تحولت إلى حقل خصيب (إش ٥٤: ١).

ثانيا: أولئك الذين كانوا جهلاء يصبحون أذكياء (ع ١٨). والذين لا يفهمون هذه النبوة، حين تتحقق، سوف يفهمونها، وسوف يعترفون ليس فقط بذراع الرب الصانعة كل هذا، بل وبصوت الله في النبوة الخاصة به. «يسمع في ذلك اليوم الصم أقوال السفر». فالأميون المساكين سيؤتى إليهم بالإعلان الإلهي، وأولئك الذين يجلسون في الظلمة سيرون نورا عظيما، لأن الإنجيل أرسل إليهم «لتفتح عيونهم» (أع ٢٦: ١٨). وأولئك الخطاة سوف يصبحون مستقيمين (ع ٢٤): «ويعرف الضالو الأرواح فهما» ويفهمون الأمور على حقيقتها، ذلك أن روح الحق سيقودهم إلى كل الحق. والذين تذمروا على أقوال الله باعتبارها أقوالا صعبة، سوف يعرفون المعنى الحقيقي ويتفهمونها بشكل أفضل. والذين أخطأوا فيما يتعلق بعناية الله وتذمروا، سوف يرون نتيجة الأشياء ويدركون قصد الله من وراء كل هذه الأمور (هو ١٤: ٩).

البائسون سيصبحون فرحين مبتهجين (ع ١٩): «ويزداد البائسون فرحا بالرب». وهذا ما يستشف منه أنهم حتى في محنتهم كانوا يحتفظون بفرحهم في الرب، أما الآن فقد ازداد فرحهم به. وفضيلة التواضع ستسهم إلى حد كبير في زيادة فرحنا المقدس. أما سنحاريب، ذلك «العاتي» فسوف يباد هو وجيشه العظيم (ع ٢٠). وقوة الشيطان هذا العاتي الحقيقي، سوف تكسر وذلك بانتشار إنجيل المسيح (عب ٢: ١٤). وسوف يخمد المضطهدون. ولكي تكمل راحة شعب الله، فإن المستخفين في البلاد سوف يقطعون نتيجة إصلاح حزقيا. كانوا يضطهدون شعب الله والأنبياء، ولعل هذه إشارة إلى إشعياء النبي. وهذا ينطبق تماما على رؤساء الكهنة والفريسيين، الذين اضطهدوا المسيح ورسله، ولهذا السبب قطعوا. كانوا ينتظرون فرصة ضدهم، ومن خلال جواسيسهم كانوا بمثابة «الساهرين على الإثم» حتى يروا ما إذا كان بمقدورهم أن يمسكوه بأي شيء يقوله أو يعمله مما يمكن أن يوصف بأنه شر. فقد «جعلوا الإنسان يخطئ بكلمة»، مع أنه قد يكون من أحكم الناس وأكثرهم تقوى، وذلك عن طريق كلمة أسيء اختيارها أو قيلت في غير موضعها، مع أنهم يدركون تماما أنها قيلت بقصد حسن (ع ٢١). أما «المنصف»، أي كل من كان من طائفة الأنبياء أو القضاة، أو الحكام، والذين كان من واجبهم تبصير الشعب بأخطائه، فقد كانوا مكروهين وقد «نصبوا فخا» لهم. وهكذا كان مبعوثو الفريسيين يُرسلون لمراقبة مخلصنا لعلهم «يصطادوه بكلمة» (مت ٢٢: ١٥). «وصدوا البار بالبطل». كانوا يذمون الشخص ويشوهون سمعته التي بمقدورهم أن يستخدموها كما فعلوا مع مخلصنا.

أما يعقوب الذي خجل من تعييرات أعدائه، تنفس الآن الصعداء وذلك بإزاحة هذه التعييرات (ع ٢٢): «لذلك هكذا يقول.... الرب الذي فدى إبراهيم» من جميع متاعبه، وسوف يفدي كل الذين هم نسله الحقيقي بالإيمان.

فذاك الذي بدأ عنايته بكنيسته في فداء إبراهيم. سوف يظهر لبيت يعقوب، ولن يخزوا، ولن «يصفار» وجوههم، بل ستتولد فيهم الشجاعة. ويعقوب الذي اعتقد أن عائلته ستنقرض، سوف يرى أولاده، جماهير من المؤمنين، ولذلك «ليس الآن يخجل» (ع ٢٢)، وسوف «يكلمون الأعداء في الباب» (مز ١٢٧: ٥). إنه لشيء يسعد الآباء عندما يفكرون أن أولادهم خليقة الله، عمل يديه. غير أنه مما يسعدهم بالأكثر أن يروا أن أولادهم وهم خليقته الجديدة، من عمل نعمته.

الأصحاح الثلاثون

يبدو أن هذا الأصحاح يتعلق بالخطر الوشيك الناجم عن غزو سنحاريب:

أولا: توبيخ مستحق لأولئك الذين كانوا في عجالة لتقبل المساعدة من مصر (ع ١- ٧).

ثانيا: تهديد رهيب ضد أولئك الذين استخفوا بالنصيحة الخالصة التي قدمها لهم الله بواسطة أنبيائه (ع ٨- ١٧).

ثالثا: وعد جزيل لأولئك الذين وثقوا في الله بأن سيريهم أياما سعيدة، وأوقاتا للفرح والإصلاح وأشياء طيبة ظاهرة للجميع وأفراح وانتصارات متزايدة (ع ١٨- ٢٦)، وكثير من هذه الوعود تنطبق على نعمة الإنجيل.

رابعا: نبوة عن الهزيمة الساحقة لجيش أشور، والتي

www.difa3iat.com

ستكون مقدمة لتلك الأزمنة السعيدة (ع ٢٧- ٣٣).

عدد ١ - ٧

كثيرا ما كان خطأ الشعب اليهودي وحماقته أنه حينما كانوا يهانون من قبل جيرانهم الواقفين في جانب ما، كانوا يطلبون العون من جيرانهم الواقعين على الجانب الآخر، بدلا من التطلع إلى الله ووضع ثقتهم فيه. فقد طلبوا مساعدة الأراميين ضد إسرائيل (٢أخ ١٦: ٢ و٣). ثم طلبوا مساعدة الأشوريين ضد الأراميين (٢مل ١٦: ٧). أما هنا فقد لجأوا إلى المصريين ليعينوهم ضد الأشوريين (٢مل ١٨: ٢١).

أولا: وصف لخطيتهم: لم يطلبوا مشورة الرب. «يجرون رأيا» بين أنفسهم، ورأيا من آخر، غير أنهم لم يطلبوا مشورتي. «يسكبون سكيبا وليس بروحي»، ولذلك سيثبت أنه تحالف ضعيف للغاية، وأنه ملجأ زائف: «ليلتجئوا إلى حصن فرعون» وكان «ظل مصر» (ولم تكن سوى ظل) هو الغطاء الذي تدثروا به.

ثانيا: شر هذه الخطية: وكانوا- بحسب قولهم- أولاد الله، غير أنهم لا يثقون فيه، وقد وصموا وعن حق بأنهم متمردون. وكانوا يضيفون خطية إلى أخرى. وكانوا يبذلون كل جهدهم ليأخذوا المصريين كحلفاء لهم: «يذهبون لينزلوا إلى مصر»، يسافرون جيئة وذهابا ليجدوا هناك طريقا مميزا، ولكن «لم يسألوا فمي»، ولم يأخذوا في اعتبارهم ما إذا كان الله سيرضى عن ذلك أم لا. وكانوا يتحملون نفقات باهظة في سبيل ذلك (ع ٦): «يحملون على أكتاف الحمير ثروتهم»، متصورين- كما هي عادة الخائفين- أنهم يكونون في مأمن في أي مكان آخر غير مكانهم. أو أنهم كانوا يرسلون ثرواتهم هناك كرشاوى لرجال حاشية فرعون. مع أن الله كان على استعداد لأن يساعدهم «مجانا»، غير أنه، إذا ما حصلوا على مساعدة من المصريين، فعليهم أن يدفعوا ثمن ذلك باهظا. لقد حملوا ثرواتهم إلى مصر عبر أرض المتاعب والآلام، تلك البرية المخوفة التي تقع بين كنعان ومصر، التي هي «مكان حيات محرقة وعقارب» (تث ٨: ١٥).

ثالثا: عاقبة ذلك: سوف يستقبل المصريون سفراءهم، ويعلنون استعدادهم للتعامل معهم (ع ٤): «لأن رؤساءه صاروا في صوعن»، ولقد شجعهم الملك على الاعتماد على المساعدة التي سيرسلها لهم. غير أنه لن يكونوا على حسب توقعاتهم: هم «شعب لا ينفعهم» (ع ٥). يقول الرب: «مصر تعين باطلا»، والقوات التي كان عليهم أن يزودوهم بها ما كان بالإمكان جمعها في وقت مناسب، أو أن المصريين كانوا في السر يميلون إلى الأشوريين. لذلك فإن مصر تعين باطلا «وعبثا» (ع ٧). «والاحتماء بظل مصر خزيا». وهو ما كان موضع فخركم، وسوف تلومون أنفسكم على حماقتكم في الثقة بذلك. و«ظل مصر»، «أرض حفيف الأجنحة» (إش ١٨: ١)، والتي كانت موضع ثقتكم سوف تكون سبب تشويشكم. وولاة إسرائيل، الذين كانوا في لهفة للدخول في حلف سوف يخجل «الجميع من شعب لا ينفعهم»، شعب ليس سوى «للخجل والخزي» (ع ٥). وأولئك الذين يتكلون على أي بشر سوف يكتشفون إن عاجلا أم آجلا أنهم يستحقون التوبيخ. والخالق هو صخر الدهور، أما المخلوق فهو قصبة مرضوضة.

عدد ٨- ١٧

أولا: المقدمة رهيبة جدا. ويتعين على النبي أن يكتب (ع ٨): «اكتب هذا... على لوح... في سفر»، ليحفظ هذا للأجيال القادمة «لزمن آت للأبد إلى الدهور». كشهادة ضد هذا الجيل الشرير. ليكتب هذا لخزي أناس الجيل الحاضر: لعل أبناءهم يستفيدون من ذلك، على الرغم من أنهم لن يفعلوا. والناس سيميلون إلى الاعتقاد بأن الله كان قاسيا جدا عليهم، ما لم يعرفوا مدى شرهم، وكيف عاملهم الله بكل الوسائل الطيبة قبل أن يشتد عليهم إلى هذا الحد. وقد قصد بكل هذا تحذير ونصح أولئك الذين في أقاصي الزمان والمكان.

ثانيا: الصفة التي أعطيت لليهود الأشرار المجدفين: «شعب متمرد» (ع ٩)، «أولاد كذبة» لا يلتزمون بما يقولونه، يعدون بالكثير ولا ينفذون شيئا مما وعدوا به، وقد تمردوا على سلطان الله، فهم «أولاد لم يشاءوا أن يسمعوا شريعة الرب» أو يلتفتوا إليها.

ثالثا: الحكم الذي صدر ضدهم كان رهيبا:

(١) منعوا الأنبياء من أن يحدثوهم باسم الله. بل إنهم في الواقع «يقولون للرائين لا تروا». لقد أخبرهم الأنبياء بأخطائهم، وحذروهم من الخطر المحدق بهم بسبب الخطية. وطلبوا منهم أن يكلموهم «بالناعمات». فمهما كان الأمر صائبا وصادقا فلن يستمعوا إليه ما لم يكن ناعما. ومن يريدون الخداع يستحقون أن يخدعوا. لقد أوقفهم الأنبياء عن متابعة طرقهم الخاطئة ووقفوا في طريقهم مثلما وقف الملاك في طريق بلعام وسيف الله مسلولا في يده. وحين صمموا بعناد على مواصلة طرقهم الردية قالوا للأنبياء: «حيدوا عن الطريق ميلوا عن السبيل». كان الأنبياء يحدثونهم دائما عن «قدوس إسرائيل» وكيف أنه سيتعامل مع الخطاة بشدة، وهذا ما لم يستطيعوا تحمله. فإذا ما تحدث إليهم الأنبياء سيشترطون عليهم ألا يسموا الله «قدوس إسرائيل» لأن قداسة الله هي الصفة التي يرهبها الأشرار بأكثر من أي شيء آخر. ولقد صدر الحكم عليهم نتيجة ذلك (ع ١٢ و١٣). «لذلك هكذا يقول قدوس إسرائيل». علينا أن نخبر الناس أن الله هو «قدوس إسرائيل». والأساس الذي صدر بمقتضاه هذا الحكم هو: «لأنكم رفضتم هذا القول»- سواء بصفة عامة، أي كل ما يقوله الأنبياء لهم، أو هذه الرسالة بصفة خاصة والتي تعلن أن الله هو «قدوس إسرائيل». ثم إنهم توكلوا «على الظلم والاعوجاج» من حيث الثروة التي حققوها بالخداع والعنف، أو بالطرق الخاطئة التي اتبعوها لأمنهم الشخصي. لقد اتكلوا على ذلك، ومن ثم كان عدلا أن يسقطوا. ولقد صدر الحكم عليهم: «لذلك يكون لكم هذا الإثم كصدع منقض ناتئ في جدار مرتفع»، وثقتكم هذه ستكون بمثابة بيت بُني على الرمل، واحتقاركم لكلمة الله هذه والتي كان يجب أن تبنوا عليها، سوف يجعل من أي شيء آخر تتكلون عليه مثل جدار ناتئ، الذي إذا ما وُضع عليه أي ثقل غالبا ما ينهار به: «يأتي هَدُّه بغتة في لحظة». فأنتم وما تتكلون عليه لن يكون مثل طين الفخاري (إش ٢٩: ١٦) فحسب، لكنه «يكسر ككسر إناء الخزافين». وما أن يكسر إلا ويحطم إلى قطع صغيرة لا تصلح بعد لشيء، فلا تحمل ماء أو نارا.

(٢) استخفوا بالتوجيهات الكريمة التي أعطاها الله لهم، وفضلوا أن يسيروا على هواهم (ع ١٥- ١٧). والله الذي يعرفهم، والذي يريد خيرهم، أعطاهم هذا النهج، الذي وصف لنا جميعا. والذي بمتقضاه يمكننا أن نخلص من كل شر ومن كل بلية. وهذا النهج يقوم على أساس «الرجوع والسكون» أي في العودة إلى الله، حيث نلجأ إليه لأن فيه راحتنا. ليتنا نتوب عن طرقنا الشريرة، ونسكن في طريق الله، وفي عمل ما هو واجب علينا، وهذا هو السبيل الذي نخلص به. ارجعوا عن خططكم الخاصة بالنزول إلى مصر. «بالرجوع» (الاصلاح التام لقلوبكم وحياتكم)، وفي «السكون» (في خضوع نفوسكم تماما لله) «تخلصون». ألا يحفزنا هذا على عمل ما هو مطلوب منا؟ لابد أن نلجأ إلى «الرجوع والسكون». علينا الاتكال على الله بثقة مقدسة عالمين أنه يستطيع أن يفعل ما يريد لشعبه وأنه سيفعل ما هو أفضل بالنسبة لهم، وفي هذا قوتنا. غير أنهم لن يقبلوا نصيحة الله، على الرغم من أنها من أجل خيرهم. ومن العدل أن يهلكوا بمرضهم أولئك الذين يرفضون أن يكون الله طبيبهم. بل إنهم لن يبذلوا أية محاولة لمجرد تجربة النهج الذي أوصاهم به الله: «وقلتم لا» (ع ١٦)، «بل على خيل نهرب» «وعلى خيل سريعة نركب». سوف نسرع هنا وهناك للحصول على مساعدات خارجية. حين استولى سنحاريب على كل مدن يهوذا الحصينة لم يتخيل هؤلاء الأبناء العصاة بأنه عليهم التذرع بالصبر لأن الله سيظهر لهم، كما فعل بطريقة عجيبة في الفترة الأخيرة. تريدون الهرب «لذلك تهربون»، وسوف تهربون بأقصى سرعة، وهكذا سيكون أيضا من يتعقبونكم فالكلاب تميل كثيرا إلى الجري وهي تنبح وراء من يجري بسرعة. والمنتصرون يحمون أولئك الذين يجلسون ساكنين، لكنهم يتتبعون الهاربين. وقد جاءت النبوة (ع ١٧)، بأنهم بسهولة يقطعون (ع ١٧)، وأن واحدا من الأعداء يقتل ألفا منهم، وخمسة من الأعداء يهرب أمامهم جيش بأكمله، إلا أنه يمكن لواحد منهم أن يهرب بمفرده إلى مكان منعزل ويترك «كسارية على رأس جبل».

عدد ١٨ - ٢٦

العبارة الختامية في الفقرة السابقة «تبقون كسارية

على رأس الجبل...» يأخذها البعض على أنها وعد بأنه ستحفظ بقية كتذكار لرحمة الله. أما العبارة الاستهلالية في هذه الفقرة فيمكن أن تؤخذ على أنها العكس من ذلك: ومع ذلك فإن الرب ينتظر حتى يبدي نحوكم عطفه.

أولا: سوف يتراءف الرب عليهم ويرحمهم: «ينتظر الرب ليتراءف» (ع ١٨)، سوف ينتظر حتى ترجعوا إليه وتطلبوا وجهه، وعندئذ سيكون مستعدا ليرحمكم. وسوف يتحرك ليخلصكم، «لأنه قد استيقظ من مسكن قدسه» (زك ٢: ١٣) وسوف «يتراءف عليك عند صوت صراخك»، حين تصرخ إليه عند حاجتك وعندما يكون الأمر ملحا جدا- حتى تصرخ إليه في الصلاة، بصلاة حارة للغاية، «حينما يسمع»، هنا لا يتطلب الأمر أي شيء آخر. ذلك أنه عند أول كلمة «يستجيب لك»، ويقول لك: «ها أنا». فأولئك الذين أبعدوا عن ممتلكاتهم، سوف يعودون للتمتع بها في هدوء. وحين ينتهي الخطر فإن «الشعب في صهيون يسكن في أورشليم»، كما اعتادوا، وسوف يسكنون في أمان، دون خوف من الشر. والذين يسكنون في صهيون، المدينة المقدسة يجدون هناك ما يكفيهم ليمسحوا الدموع من عيونهم. وهذا سيحدث على أساس حقيقتين عظيمتين:

(١) الرب هو إله حق، وهو حكيم وعادل في جميع أعمال عنايته، أمين لكلمته رؤوف بشعبه.

(٢) ولذلك «طوبى لجميع منتظريه»، وليس الذين ينتظرونه بصلواتهم فقط، بل وكذلك الذين ينتظرونه في رجاء.

ثانيا: لن يفتقروا ثانية إلى وسائل النعمة (ع ٢٠ و٢١). وقد وعدوا (ع ١٩)، بأنهم لن يبكوا بعد «لا تبكي بكاء»، وأن الله «يتراءف عليك»، ومع ذلك فقد أخذ هنا كأمر مسلم به أن الله سوف يعطيهم «خبزا في الضيق وماء في الشدة». ووعد بأن «تكون عيناك تريان معلميك»، بمعنى أنه سيكون بينهم معلمون أمناء، وسوف يحترمونهم ولا يستخفون بهم كما فعلوا في السابق، وأنه حينئذ يكون من الأفضل لهم أن يعتادوا على خبز الضيق وماء الشدة. شاع مثلٌ بين طائفة المتطهرين القدامى يقول: «الخبز الأسمر مع الإنجيل وجبة طيبة». ويبدو أن معلميهم كانوا قد أبعدوا من وسطهم، غير أن الله في الوقت المناسب سيعيدهم ثانية إلى اجتماعاتهم الموقرة. كما وعدوا بأنهم سيستفيدون ليس فقط من الخدمة العامة، بل من النصائح والوصايا الخاصة (ع ٢١): «وأذناك تسمعان كلمة خلفك»، تنادي عليك كما ينادي رجل على مسافر حين يراه قد خرج عن طريقه. وهذه الكلمة ستأتي من «خلفك»، من شخص لا تراه. «عيناك تريان معلميك»، غير أن هذا المعلم الذي لا تراه هو ضميرك أنت، الذي بنعمة الله يستيقظ الآن ليقوم بعمله. والكلمة هي: «هذه هي الطريق اسلكوا فيها». وتأتي هذه الكلمة «حيثما تميلون إلى اليمين وحينما تميلون إلى اليسار». وهناك أخطاء من المتطرفين على جانبي الفضيلة سواء جهة اليمين أو جهة اليسار، والمجرب دائما يكون في عمل دءوب لكي نميل إلى طريق الضلال. لذلك مما يدعو للحمد أن مسارنا يُصحَّح، نُمنع من الخطأ بواسطة نصائح خادم أمين، أو صديق، أو مراجعة الضمير أو عمل الروح القدس فينا. لن تقال الكلمة فقط، بل سوف تسمعها أذناك أيضا، ومع أن الله قد تكلم فيما سبق «مرة وباثنتين لا يلاحظ الإنسان» (أي ٣٣: ١٤)، إلا أنكم الآن تصغون بانتباه إلى هذه الهمسات السرية، وتسمعونها بأذن صاغية طائعة.

ثالثا: سوف يشفون من وثنيتهم، ويتخلون عن أوثانهم، ولن يعودوا إليها ثانية (ع ٢٢). وسوف يتوقفون عن ارتكاب خطيتهم المحببة. كم كانوا حمقى فيما مضى أثناء ارتدادهم عن الله. حيث كانوا يغطون صفائح تماثيلهم بالفضة، أما التمثال المسبوك فغشاؤه من ذهب. وعلى الرغم من أن الذهب ليس في حاجة إلى الطلاء، إلا أنهم كانوا يصنعون له أغطية وزينات، ولم يكونوا يبخلون بأية أموال في تكريم أصنامهم. ويا له من غضب مقدس ذاك الذي أظهروه نحوها في يوم توبتهم. فلم يحتقروها ويشوهوها فقط، بل إنهم في غضب مقدس أطاحوا بالذهب والفضة التي صنعت منهما. ولعل هذا تحقق في أشخاص كثيرين. الذين، نتيجة لخلاص أورشليم من جيش سنحاريب اقتنعوا بحماقة أوثانهم وتخلوا عنها. كما تحقق هذا في الشعب اليهودي عند عودتهم من السبي في بابل، لأنهم كرهوا الأوثان بدرجة لم يسبق لها مثيل،

كما يتحقق هذا يوميا في تجديد النفوس بقوة النعمة الإلهية، حيث يتحولون من الوثنية الروحية إلى تقوى الله ومحبته.

رابعا: حينئذ يعطيهم الله فيضا من خيراته. فحين يعطيهم معلميهم ويعطونه قلوبهم «هذه كلها تزاد» لهم (مت ٦: ٣٣). وحين يقبل الناس على تسبيح الله: هنا نجد «الأرض أعطت غلتها. يباركنا الله» (مز ٦٧: ٥ و٦). وهذا معناه هنا: بعد أن تتخلوا عن أوثانكم فإن الله: «يعطي مطر زرعك الذي تزرع» (ع ٢٣)، «زرعك الذي تزرع»: هذا واجبك، ثم يعطي الله «مطر زرعك» هذا من جانبه. وهكذا الحال أيضا في الثمر الروحي. وعطاء الأرض سيكون دسما، دسما وطيبا جدا، «دسما وسمينا»، طيبا وكافيا: «وترعى ماشيتك... في مرعى واسع... تأكل علفا مملحا». ولن تقدم لها الحنطة في العصافة لزيادة حجمها، بل سيقدم لها علف جيد «مذرى بالمنسف والمذراة». وحتى قمم الجبال ستروى بالمطر جيدا حتى أنه سيكون عليها «سواق ومجاري مياه» تنزل إلى الوديان (ع ٢٥)، ويكون هذا «في يوم المقتلة العظيمة» التي يعملها الملاك في معسكر الأشوريين «حينما تسقط الأبراج» التي أقاموها لحصار أورشليم.

خامسا: نتيجة هذا كله لابد وأن ينعم شعب الله بالراحة والفرح (ع ٢٦). يزيد النور، أي تزداد المعرفة (فحين تتم النبوات ستفهم بشكل كامل). «ويكون نور القمر كنور الشمس»، ويزداد نور الشمس نسبيا وسوف «يكون سبعة أضعاف كنور سبعة أيام في يوم يجبر الرب كسر شعبه»، ويشفي الرب الجروح التي لحقت بهم نتيجة هذه الغزوة ويعوضهم عن كل خسائرهم. والنور الذي جاء به الإنجيل إلى العالم لأولئك الجالسين في الظلمة يزيد على نور العهد القديم كما يزيد نور الشمس على نور القمر.

عدد ٢٧ ـ ٣٣

هذه النبوة الرهيبة عن دمار جيش أشور، تشكل جزءا من وعد الله لإسرائيل، بأن الله سيمنعهم من مثل هذا العمل ثانية.

أولا: قدم رب الجنود هنا في كل قوته وكل رعب غضبه (ع ٢٧): «هوذا اسم الرب»، الذي يزدري به الأشوريون «يأتي من بعيد». فهو رسول غضب «غضبه مشتعل»، و«شفتاه ممتلئتان سخطا» لتجديف قائد الجيش، الذي شبه إله إسرائيل بآلهة الوثنيين «ولسانه كنار آكلة»، ولم يكتم غضبه لكنه، سيسمع «جلال صوته» (ع ٣٠)، وسوف «يُري نزول ذراعه بهيجان غضب ولهيب نار آكلة نوء وسيل وحجارة بَرَد».

ثانيا: العواقب الناجمة عن غضب الرب عليهم.. «ويُري نزول ذراعه» (ع ٣٠). أولئك الذين قيل عنهم «يا رب ارتفعت يدك ولا يرون» سوف يرونها نازلة بقسوة عليهم (ع ٢٧). وثمة خمسة أمور هنا للتنفيذ:

(١) هنا «نهر غامر يبلغ إلى الرقبة»، كان الجيش الأشوري بالنسبة ليهوذا كسيل «مياه النهر القوية» الذي يندفق إلى يهوذا حتى «يبلغ العنق» (إش ٨: ٧ و٨) لأن نفخة غضب الرب سوف تكون مثل هذا بالنسبة لهم.

(٢) هنا «غربال السوء» الذي يستخدمه الله «لغربلة الأمم» التي كان يتكون منها جيش أشور (ع ٢٨). وسوف يغربلهم بحيث يقومون بعضهم ضد بعض، ويجعلهم في رعب عظيم وأخيرا يطيح بهم جميعا لأنه «غربال السوء».

(٣) هنا «رسن» (شكيمة) لكي تكبحهم من ارتكاب الأذى وتسخرهم لخدمة مقاصد الله رغما عنهم (إش ١٠: ٧).

(٤) هنا «بالقضيب»، بل «صوت الرب» الذي يصدر الأوامر «يضرب» أشور (ع ٣١). ولا مهرب هنا. ففي كل مكان يوجد فيه أشوري ينزل الرب عليه، «عصا القضاء» (ع ٣٢).

(٥) «لأن تفتة مرتبة» لهم (ع ٣٣). فوادي ابن هنوم، المتاخم لأورشليم سمي «تفتة». ويقال إن كثيرا من الفرق العسكرية الأشورية كانت تعسكر هناك وقد أهلكهم الملاك.

ثالثا: فرحة أورشليم لسقوط الأشوريين (ع ٢٩): «تكون لكم أغنية كليلة تقديس عيد»، وهذه ترنيمة حمد. كالتي يرنمها أولئك الذين يقفون في بيت الرب ليلا ويسبحون مجد ذاك «مؤتي الأغاني في الليل».

الأصحاح الحادي والثلاثون

هذا الأصحاح ما هو إلا موجزا للأصحاح السابق.

أولا: ويل لأولئك الذين اتكلوا على المصريين حين هاجمهم جيش أشور ولم يتكلوا على الله (ع ١- ٣).

ثانيا: تأكيد عناية الله بأورشليم وقت الخطر (ع ٤ و٥).

ثالثا: دعوة إلى التوبة والإصلاح (ع ٦ و٧).

رابعا: نبوة عن سقوط الجيش الأشوري (ع ٨ و٩).

عدد ١ - ٥

أولا: الخطية التي وبخت هنا (ع ١): «ينزلون إلى مصر للمعونة» كلما تعرضوا للخطر، كما لو أن النجاح في الأرض يصيب عبدة الأوثان أكثر ممن يعبدون الإله الحي الحقيقي. كان لدى المصريين الكثير من المركبات والخيول، فإذا ما استطاعوا أن يحصلوا من هناك على قوات تحارب في صفوفهم، فسوف يكون بمقدورهم مواجهة ملك أشور، هذا ما حسبوه مستخفين بإله إسرائيل: «ولا ينظرون إلى قدوس إسرائيل».

ثانيا: حماقة هذه الخطية: «لا يطلبون الرب»، «وهو أيضا حكيم» (ع ٢). وإذا ما كانت الحكمة غير المحدودة قد آذرتهم، ألن تفيدهم بأكثر مما تستطيع كل سياسات مصر؟ كانوا يتجشمون عناء بالغا في رحلة مضنية مضجرة إلى مصر، في الوقت الذي كان بوسعهم أن يحصلوا على مساعدة أفضل لو أنهم نظروا إلى السماء. غير أنهم ما لم يلتمسوا حكمة الله فسوف «يقوم على بيت فاعلي الشر»، أي تلك الفئة التي تنزل إلى مصر. لقد وضعوا ثقتهم في أولئك الذين لم يكونوا بقادرين على مساعدتهم، وسوف تثبت هذه الحقيقة في وقت قريب (ع ٣). فسوف يدركون أن «المصريون» الذي يعتمدون عليهم اعتمادا كبيرا «فهم أناس لا آلهة». والجميع يعرفون أن المصريين ليسوا آلهة وخيلهم جسد لا روح، غير أن الذين يطلبون مساعدتهم لا يأخذون هذا في اعتبارهم، وإلا ما كانوا قد وضعوا ثقتهم فيهم إلى هذا الحد. وسوف يواجه الله المصريين قريبا وذلك ما وضح في «وحي من جهة مصر» (إش ١٩).

وعندئذ فإن أولئك الذين أسرعوا إليهم طالبين معونتهم سوف يسقطون معهم. لقد سلبوا الله عمله. تظاهروا بأن شغلهم الشاغل هو المحافظة على أورشليم ولهذا تحالفوا مع مصر. ولكن النبي يقول لهم إن أورشليم ستحفظ دون مساعدة من مصر، وإن الذين بقوا فيها سيكونون آمنين في حين أن الذين هربوا إلى مصر سيهلكون. وسوف يظهر الله ضد أعداء أورشليم بشجاعة الأسد «فوق فريسته» (ع ٤).

وحين يخرج الأسد للإمساك بفريسته «يدعى عليه جماعة من الرعاة»، ولكن هؤلاء الرعاة لا يتجاسرون على الاقتراب من الأسد، وكل ما يستطيعونه هو أن يروعوه «من صوتهم»، ولكن هيهات. ذلك أنه «لا يرتاع من صوتهم». «هكذا ينزل رب الجنود للمحاربة عن جبل صهيون»، وبكل سهولة ودون مقاومة سيدمر جيش أشور كما يمزق الأسد الحمل إربا إربا. وكل من يقفون أمام الله لن يكونوا سوى حفنة من الرعاة المساكين الذين يصيحون في مواجهة أسد. كما أن الله سيظهر لأحباء أورشليم برقة الطيور على صغارها (ع ٥) «كطيور مُرِفة» على أعشاشها حين تهاجم، حيث ترف فوق صغارها لحمايتها ولطرد المغيرين. وبمثل هذه المحبة والشفقة «يحامي رب الجنود عن أورشليم. يحامي فينقذ. يعفو فينجي». وكلمة يعفو يقصد بها «يعبر». ولم تستخدم بهذا المعنى إلا هنا وفي (خروج ١٢ : ١٢ و١٣، ٢٧)، وذلك بعبور الملاك المهلك عن بيوت الإسرائيليين في حين أنه سيهلك كل أبكار المصريين. وسوف يدمر جيش الأشوريين بواسطة ملاك مهلك يعبر أورشليم. سوف يهلكون بواسطة الوباء، غير أنه لن تصل عدوى هذا الوباء لأي من المحاصرين. وهكذا سيعبر ثانية فوق بيوت شعبه وينجيهم.

عدد ٦ - ٩

أولا: أورشليم- بعد الإصلاح- ستخلص من يد أعدائها (ع ٦ و٧). وكان هذا صوت الرب الذي ينادي في المدينة، وصوت الأنبياء وهم يفسرون هذه الدينونة. «ارجعوا» عن طرقكم الردية، ارجعوا إلى «الله». ارجعوا يا «بني إسرائيل» إلى ولائكم لذاك الذي ارتددتم عنه. وهو يذكرهم بمولدهم ونسبهم. كانوا أولادا مرتدين عن الطريق القويم، لكنهم مازالوا أبناء، ولذلك عليهم العودة وسوف يشفون من ارتدادهم.

www.difaasiat.com

وثمة وعد كريم (ع ٧): «لأن في ذلك اليوم يرفضون كل واحد أوثان...» وذلك إطاعة لأوامر حزقيا التي لم يطعها كثيرون منهم إلا بعد الإنذار المتمثل في الغزوة الأشورية. وهذا خوف مطلوب لأنه يبعدنا عن خطايانا. وسوف يكون الإصلاح عاما لأنهم «يرفضون كل واحد» أوثانه. وسوف يقوم الإصلاح على أساس تقوي لا سياسي. سوف ينبذون أوثانهم «التي صنعتها لكم أيديكم خطيئة».

ثانيا: سوف يهلك محاصرو أورشليم. فبعد أن ينبذوا أوثانهم هنا «يسقط أشور» (ع ٨ و٩). سوف يهلك رجال جيش أشور في مواقعهم، وذلك بسيف الرب الذي يكون في يد ملاك. وسوف يهرب الجيش أمام هذا السيف غير المرئي. «ومن الراية يرتعب رؤساؤه»، وعند كل راية يرونها إذ تدخلهم الريبة في أنها لجماعة من اليهود يتعقبونهم. ولكن من الذي يفعل هذا؟ إنه «الرب الذي له نار في صهيون وله تنور في أوشليم». فالله يتخذ له هناك مسكنا كما يفعل الإنسان حيث يكون مخبزه وناره. وعلى الأشوريين ألا يعتقدوا أن بمقدورهم إخراجه من بيته. ذلك أنه هو نفسه «سور نار» حول أورشليم، ولذلك فكل من يحاول اقتحامه يعرض نفسه للهلاك.

الأصحاح الثاني والثلاثون

يتضمن هذا الأصحاح:

أولا: نبوة عن الإصلاح العظيم الذي يبدأ به حزقيا حكمه (ع ١ – ٨).

ثانيا: نبوة عن الاضطراب العظيم الذي سوف يعم المملكة في منتصف حكمه بسبب الغزو الأشوري (ع ٩ – ١٤).

ثالثا: وعد بالفرج عقب ذلك (ع ١٥ – ٢٠)، هذا الوعد الذي يمكن اعتباره أنه يشير إلى زمان المسيح.

عدد ١ – ٨

وصف لازدهار المملكة. ويمكن اتخاذه كمرشد للحاكم أو الرعايا، كل بحسب ما يجب عليه عمله، أو إطراء لحزقيا.

أولا: يجب على الرؤساء أن يقوموا بواجبهم الذي تفرضه عليهم مكانتهم، وأن يستخدموا سلطاتهم في تحقيق المقاصد العظيمة التي عينوا لها (ع ١ و٢). ويجب أن يكون هناك ملك للرؤساء، كسلطة أعلى منهم، يتحدون تحت رئاسته، كما يتعين أن يكون للملك رؤساء تحت إمرته يعمل من خلالهم (١ بط ٢: ١٣ و١٤). وعليهم أن يستخدموا سلطتهم في حدود القانون، وليس بالتعارض معه. عليهم أن يحكموا بالعدل والحكمة والمساواة. والمسيح نفسه يحكم بالعدل (ع ٢): «ويكون إنسان (ذلك الملك الذي يحكم بالبر) كمخبأ». وحين يلتزم الرؤساء بواجبهم، هكذا سيفعل الشعب أيضا. هذا الرئيس الصالح يكون كمخبأ للرعايا من عواصف الشر والعنف، ويقضي للذليل واليتيم. ويكون «كسواقي ماء في مكان يابس»، يرطب الأرض ويجعلها مثمرة، و«كظل صخرة عظيمة» قد يجد فيها المسافر المسكين ملاذا من حرارة الشمس المحرقة. وهذا كله، بل وأكثر، هو ما يمثله المسيح يسوع لكل رعاياه الأمناء في ملكوته. فيه نجد أنهار ماء للجياع والعطاش إلى البر، وكل المنعشات التي تحتاجها النفس البائسة في الصحراء، وظل صخرة عظيمة يأوي إليها المسافر. كما أن الملاذ أو المخبأ تتحمل ضربات الريح والعاصفة لكي تخلص أولئك الذين يحتمون بها، هكذا المسيح تحمل العاصفة هو نفسه لكي يبعدها عنا.

ثانيا: على الرعايا أن يعملوا واجبهم كل في موقعه. عليهم أن يكونوا راغبين في التعلم، ويتخلصوا من تحاملهم على رؤسائهم ومعلميهم، ويخضعوا لنور الحق وقوته (ع ٣). وحين يبدأ عمل الإصلاح المبارك هذا، ويؤدي الناس دورهم فيه، فإن «عيون الناظرين»، عيون الأنبياء، والرائين «لا تحسر». ذلك أن الله سيباركهم برؤى عليهم أن يبلغوها للشعب. وهنا فإن «آذان السامعين»، للكلمة، سوف «تصغي». سوف يطرأ عليهم تغيير عظيم (ع ٤). «وقلوب المتسرعين» والمندفعين، سوف تشفى الآن من اندفاعها وتسرعها و«تفهم علما»، لأن روح الله سيعطيهم فهما. وهذا العمل المبارك عمله المسيح في تلاميذه بعد قيامته (لو ٢٤: ٤٥؛ ١يو ٥: ٢٠). أما «ألسنة العيين»، والتي اعتادت أن تتلعثم حين تتكلم عن أمور الله سوف تبادر «إلى التكلم فصيحا»، كأولئك الذين يفهمون،

ويؤمنون ومن ثم يتكلمون. ولن يخلط بعد بين الخير والشر أولئك الذين يقولون على النور ظلاما وعلى الظلام نور (ع ٥): «ولا يدعى اللئيم بعد كريما»، فحين يحقق اللئام نجاحا «يدعون محسنين» كرماء (لو ٢٢ : ٢٥). بعد أن تزداد الحكمة في الأرض، فسوف يرتقي الناس بحسب استحقاقهم، ولن يكون للأشرار بعد سمعة حسنة بين الشعب. وخلاصة القول إنه من مصلحة الشعب أن يُقيم الناس على أساس فضائلهم ونفعهم وخيرهم للبشرية، وليس بحسب ثرواتهم أو ألقابهم الشريفة. ولكي ينفذ هذا المبدأ نجد هنا وصفا للئيم والماكر. فاللئيم والماكر سيسببان ضررا أكثر إذا ما وضعت السلطة في يد أحد منهما، ذلك أن أمجاده ستزيده سوءا (ع ٦ و٧). وهؤلاء الرجال الأشرار الميالين للأذى دائما ما يخططون للظلم.

وليس فيهم أية ذرة من المروءة والكرم. وكلما وجدت المؤامرات والخطية، لابد أن نلمس يد الشيطان فيها. لأن اللئام يتكلمون «باللؤم». وفي حالة انفعالهم يمكنك أن تعرفهم على حقيقتهم من اللغة الشريرة البذيئة التي يخاطبون بها من حولهم. كما أنهم يتكلمون «على الرب بافتراء»، وهم بهذا يتنجسون، لأن هذا هو المعنى الذي تشير إليه الكلمة التي ترجمت «نفاقا». ولا يمكن أن تكون ثمة حماقة ضد الله بأكثر من استخدام اسمه لمناصرة الشر. وعوضا عن تدبير احتياجات المسكين، نراهم يعملون على زيادته فقرا، فهم يفرغون «نفس الجائع»، إما بأن يأخذوا من الجياع الطعام الذي لديهم أو عدم تقديم ما يجب عليهم إعطاؤه لهم. ويقطعون «شرب العطشان»، يقطعون عن العطاش المساعدة التي اعتادوا تقديمها مع أنهم أشد حاجة إليها من ذي قبل. وهؤلاء اللئام الماكرون دائما ما يكون حولهم أدوات يستخدمونها في عمل الشر ممن لديهم الاستعداد لأن يخدموا مقاصدهم الشريرة: «والماكر آلاته رديئة». أما الكريم بالحق الذي يستحق أن يوصف هكذا، فتراه لا يفتر عن عمل الخير مع كل إنسان طبقا لظروفه (ع ٨): «فبالكرائم يتآمر». ويتعين أن يعمل الخير في إطار من الحكمة، حتى لا يكون إحسانا في غير أهله: «وهو بالكرائم يقوم». وسوف تكافئه العناية الإلهية برخاء مستمر وسمعة حسنة راسخة. وسوف تمنح نعمة الله السلام لقلبه.

عدد ٩ – ٢٠

في هذه الفقرة نرى الله وقد قام يحاسب فاعلي الإثم، غير أنه يعود بالرحمة إلى الاتقياء لكي يكافئهم على أعمالهم النبيلة.

أولا: حين يكون فساد الأخلاق كبيرا يجب توقع أزمنة رديئة. وقد وجه الإنذار إلى «النساء المطمئنات» (ع ٩)، وكذلك «البنات الواثقات» اللواتي من أجل إشباع كبريائهن وزيادة رفاهيتهن، يضطر أزواجهن وأقاربهن إلى ترك الفقير يتضور جوعا: «قمن اسمعن» بكل وقار وانتباه.

(١) كان الله بصدد أن يضرب بالخراب الأرض التي يعشن فيها في لهو ومجون. ويبدو أن هذا يشير بصفة أساسية إلى الدمار الذي أحدثه جيش سنحاريب حين استولى على كل مدن يهوذا الحصينة. غير أن عبارة «أياما على سنة» تشير إلى أن هذا الخراب سيستمر لأكثر من سنة، حيث استمر منذ بداية دخول هذا الجيش أرض يهوذا حتى الإطاحة به. «ارتجفن أيتها المطمئنات». وهنا يخبرهن النبي بأن البلاد التي يحصلون منها على قوتهن وأسباب رفاهيتهن سوف تخرب قريبا. «قد مضى القطاف»، فمن أين لكن ما تصنعن منه خمرا كي تمرحن بها؟ «الاجتناء لا يأتي»، لأنه لن يكون هناك ما يجمع (ع ١٠). «لاطمات على الثدي من أجل الحقول المشتهاة» ومنتجاتها. ذلك أن مدن يهوذا التي يعشن فيها سوف يحل بها الدمار (ع ١٣ و١٤). وسوف «يطلع شوك وحسك» فيغطيها، وهذه هي ثمار الخطية واللعنة. فالبيوت الفاخرة صارت «مغاير إلى الأبد» بعد أن كانت كالحصون والأبراج التي تدل على القوة والروعة.

(٢) وفي رؤيتكن لهذا: «ارتجفن... ارتعدن... تجردن وتعرين وتنطقن على الأحقاء» (ع ١١)، وهذا لا يستشف منه فقط أن الله سيجردهن من كل مجدهن، بل إن أفضل وسيلة لمنع هذه المتاعب هو أن يتوبوا ويتذللوا أمام الله في ندم حقيقي وحزن مقدس. وأفضل مواجهة للمتاعب، يتمثل في إنكار الذات والشهوات الجسدية.

ثانيا: وطالما أنه لازالت هناك بقية ممن يحافظون على أمانتهم واستقامتهم، فهناك رجاء في أزمنة الفرج

لابد وأن تأتي. ولقد تمتعوا بهذه الأوقات في نهاية حكم حزقيا، غير أنه يمكن افتراض أن النبوة تتطلع إلى أبعد من ذلك، إلى أيام المسيح، ملك البر، وملك السلام. وسوف تتأتى هذه الأوقات السعيدة حين «يسكب علينا روح من العلاء» (ع ١٥). الذي لا يبين فقط مشيئة الله الصالحة نحونا، بل أيضا عمل الله الصالح فينا. فإعطاء الله روحه القدوس لمن يسألونه، معناه في الواقع أنه يعطيهم كل الأشياء الطيبة، وهذا ما يتضح بمقارنة ما جاء في متى ٧: ١١؛ لوقا ١١: ١٣. والأمر العظيم الذي يعزي به شعب الله أنفسهم هو أنه سوف «يسكب عليهم الروح القدس». وحين يعتزم الله إعطاء نعم لكنيسته نراه يسكب روحه ليؤهل أولئك الذين يعتزم استخدامهم كأدوات لنعمته (وقد جاء ملكوت المسيح وأقيم بانسكاب الروح القدس– انظر أعمال ٢– وسيستمر إلى النهاية). فتلك التي كانت قفرا جافا عقيما، تصير بستانا. وهنا تعطي الأرض غلتها بغزارة. ولقد وعد بأن الأرض في أيام المسيح «تتمايل مثل لبنان ثمرتها» (مز ٧٢: ١٦).

البعض يأخذون هذه على أنها إشارة إلى قبول الأمم في كنيسة المسيح. وحين يسكب الروح القدس على نفس ما، «فيسكن في البرية الحق»، ويحولها إلى بستان مثمر. «والعدل في البستان يقيم» ويزيده خصبا، حينئذ يفسر الخدام الناموس ويقوم الرؤساء بتنفيذه بكل حكمة وفطنة، وبأمانة تامة، حتى أن الشرير يصبح صالحا، والصالح يزداد صلاحا. وسوف يكون بين جميع نوعيات الناس– الفقير والوضيع وغير المتعلم، الذين أهملوا كالقفر، والأغنياء والعظماء والمتعلمين الذين قيموا كأرض خصبة، رأيا صحيحا وصالحا في كل شيء. سلام داخلي (ع ١٧) سوف يتبع سكنى البر (ع ١٦). وهذا في حد ذاته يعد «سكونا وطمأنينة إلى الأبد»، وهذا يعني هدوء مقدس وطمأنينة للبال. والحياة الهادئة التي تشعر بالسلام هي تلك التي تقضى «في كل تقوى ووقار» (١تي ٢: ٢). وعلى الرغم من أن عمل البر قد يكون شاقا ويعرضنا للاحتقار، إلا أنه يوجد سلام. «وعمل العدل سكونا وطمأنينة إلى الأبد».

بعد أن زال الرعب الذي أحدثه غزو سنحاريب، أدرك الناس بأكثر من أي وقت مضى نعمة السكنى الهادئة التي لا تزعجها أخطار الحرب. ليت كل عائلة تنأى بنفسها عن الشجار والنزعات داخل البيت وتضع نفسها تحت حماية الله. سوف تكون أورشليم مسكنا هادئا (انظر إش ٣٣: ٢٠). وحتى نزول «بَرَد» والذي سيشكل عاصفة عنيفة، تنتهي «بهبوط الوعر» المنعزل الكئيب، إلا أن أورشليم ستكون عندئذ «مطمئنة وفي محلات أمينة». وستجنى المحاصيل الطيبة في كل مكان هناك، وفي كل سنة، والله هو الذي ينمي، غير أنه على المزارع أن يبذل كل جهد، ويزرع «على كل المياه»، وإذا ما فعل هذا، سيطلع القمح كثيفا للغاية حتى إنه سيحول ماشيته، حتى الثور والحمار لكي تأكل رؤوسه وتخفضه قليلا. والبعض يقول إن هذه إشارة إلى خدمة الرسل، الذين خرجوا للزرع كالفلاحين (مت ١٣: ٣) «على كل المياه». وحين يرسل الله هذه الأزمنة السعيدة، فطوبى لأولئك الذين يستغلونها لعمل الخير بما يملكون فيكونوا كالذين يزرعون على كل المياه.

الأصحاح الثالث والثلاثون

هذا الأصحاح يروي نفس الأحداث التي تناولها الأصحاح السابق، وهي محنة يهوذا وأورشليم نتيجة غزو سنحاريب وخلاصهم نتيجة هلاك الجيش الأشوري.

أولا: المحنة العظيمة التي ستأتي على يهوذا وأورشليم في ذلك الحين (ع ٧– ٩).

ثانيا: المخاوف الخاصة التي سوف تنتاب الخطاة في صهيون (ع ١٣ و١٤).

ثالثا: صلوات الأتقياء التي يرفعونها إلى الله في هذه المحنة (ع ٢).

رابعا: الأمان المقدس الذي يتمتعون به أثناء هذه المتاعب (ع ١٥ و١٦).

خامسا: تدمير جيش أشور (ع ١– ٣).

سادسا: إثراء اليهود نتيجة سلب معسكر الأشوريين (ع ٢٣ و٢٤).

سابعا: حالة السعادة التي ستنعم بها أورشليم والأمة اليهودية، فتكون للديانة الأولوية المطلقة (ع ٦)، وسوف تزدهر حياتهم المدنية (ع ١٧– ٢٢).

عدد ١ – ١٢

أولا: بسبب غشه وخداعه وقسوته لحق الويل بالأشوري المتكبر (ع ١). لقد سلب شعب الله، وكسر معاهدة السلام التي كان قد عقدها معهم، وتصرف بخيانة. لقد سلب أولئك الذين لم يسبق لهم أن ألحقوا به ضررا، ولم يكن هناك من داع للنزاع معهم. وعامل بخيانة أولئك الذين كانوا دائما يعاملونه بأمانة. وذاك الذي سلب مدن يهوذا، سوف يقوم ملاك بتحطيم جيشه. وسوف يخون البابليون الأشوريين ويثورون عليهم. بل إن اثنين من أبناء سنحاريب نفسه سيخونانه ويغتالانه بوحشية وهو ساجد في بيت نسروخ إلهه. وبعد أن فعل أقصى ما يستطيع من شر، وبعد أن ذهب إلى الحد الذي سمح به الله، هنا سينتقل كأس الرجفة إلى يده.

ثانيا: شعب الله المصلي المتحمس، تضرع إلى عرش النعمة من أجل الأرض التي تعاني الآن من محنة (ع ٢): «يا رب تراءف علينا»، وقد صلوا:

(١) من أجل أولئك الذين انخرطوا في الخدمة العسكرية دفاعا عنهم: «كن عضدهم في الغدوات». حزقيا ورؤساؤه، وكل رجال حربه في حاجة إلى أن تمدهم يا رب بصفة دائمة بالقوة والشجاعة. في كل صباح حين يخرجون، ربما يكون لهم عمل جديد ليعملوه ومصاعب جديدة عليهم أن يواجهوها، أعطهم قوة تتناسب مع متاعب اليوم.

(٢) من أجل الشعب برمته. «خلاصنا أيضا في وقت الشدة»، الذين لنا والذين جلسوا ساكنين ولم يجرأوا على الذهاب إلى الأماكن العالية حيث القتال. إنهم يعتمدون على الله ليس فقط باعتباره مخلصهم، الذي يحقق لهم النجاة، بل باعتباره هو نفسه خلاصهم.

ثالثا: تدمر الجيش الأشوري وكان معسكرهم مصدر ثروة وغنيمة سهلة ليهوذا وأورشليم. وما كادوا يرفعون صلاتهم (ع ٢) إلا واستجيبت لهم (ع ٣)، بل وحقق الله لهم أكثر مما سألوا. صلوا لكي يخلصهم الله من أعدائهم، ولكنه فعل أكثر من ذلك، إذ حقق لهم النصرة عليهم. وتحطمت قوة المعسكر الأشوري (ع ٣) حين قتل الملاك المهلك آلافا منهم: «من صوت الضجيج هربت الشعوب». أما نهب معسكر الأشوريين فقد جاء عقابا للدمار الذي ألحقوه بكل مدن يهوذا الحصينة (ع ٤): «ويجنى سلبكم» بواسطة سكان أورشليم، كما بواسطة «الجراد. كتراكض الجندب»، أي أن الناهبين بكل سهولة وسرعة يضعون أيديهم على ثروات الأشوريين، كما يحول جيش من الجراد أي حقل أو شجرة إلى أرض جرداء.

رابعا: وإذ نهب جيش الأعداء على هذا النحو (ع ٥) «تعالى الرب». فسوف ينال شعبه بركة ذلك. وحين يتعالى الله ليشتت الأمم التي تحالفت ضد إسرائيل (ع ٣) فإنه يكون قد «ملأ صهيون حقا وعدلا»، وهذا ما يولد إحساس بالعدالة. ولذلك ستسمى ثانية «مدينة العدل» (إش ١ : ٢٦). ولقد لقى حزقيا وشعبه تشجيعا (ع ٦) بالتأكيد لهم بأن الله سيعينهم في محنتهم. «فيكون أمان أوقاتك وفرة خلاص وحكمة ومعرفة». وهنا نتيجة طيبة أن يكون هو «أمان» أوقاتنا، حتى لا تضطرب أمورنا في الداخل، أيضا «وفرة» خلاصنا، الخلاص من أعدائنا في الخارج. وهنا نجد أيضا الحكمة الروحية لحزقيا وشعبه أن يتصرفوا في أمورهم في إطار المبدأ القائل «مخافة الرب هي كنزه». والديانة الحقة هي الكنز الحقيقي لأي قائد أو شعب، وهي التي تشير بوضوح بأنهم أغنياء.

خامسا: وصف المحنة التي ابتلت بها أورشليم: وقد كانت النبوة هنا تختص بالآتي:

(١) سوف يكون العدو في غاية الغطرسة بحيث لن يكون هناك تعامل معه، سواء عن طريق معاهدات السلام. «نكث العهد»، كما لو أنه لا يليق به أن يكون أمينا لكلمته، أو عن طريق الاستعداد للحرب، «لم يعتد بإنسان»، واحتقر التماسات الرحمة التي وجهوها له. لم يواجه سوى بمقاومة ضئيلة، ولذلك كان يحتقرهم ولم يأسف حين أعمل سيفه فيهم جميعا. كان «لا يخاف الله ولا يهاب إنسانا».

(٢) لهذه الأسباب لم يكن يوافق على أية شروط للمصالحة. أما «رسل السلام» الذين أرسلهم حزقيال لمحاولة عقد معاهدة سلام، إذ وجدوه غير قابل للاتفاق، أخذوا «يبكون بمرارة» من الغيظ كالأطفال، إذ يئسوا من وجود أية وسيلة لتهدئته.

www.DIFASIAT.com

(٣) إن البلاد سوف تخرب تماما على يد جيشه. لم يكن يجرؤ أي إنسان على السفر في الطرق، ولذلك كسدت التجارة: «خلت السكك. باد عابر السبيل». ولم يعد أحد يجني فائدة من أرضه (ع ٩). كان الدمار شاملا. والجزء الذي كان يخص الأسباط العشرة من الأرض كان قد صار خرابا بالفعل: ذلك أن «لبنان» الشهيرة بأشجار الأرز، و«شارون» التي كانت معروفة بورودها، و«باشان» الشهيرة بماشيتها، و«كرمل» المعروفة بقمحها، كانت كلها مثمرة جدا، غير أنها أصبحت الآن «كالبادية»، «خجل» كل منها أن ينادي باسمه. ذلك أنها أصبحت على النقيض مما كانت عليه. لقد سقطت أوراقها قبل أوانها في يد سالبيها.

سادسا: ظهر الله في النهاية ضد هذا الغازي المتغطرس (ع ١٠- ١٢). بدا وكأنه يجلس كمتفرج لا يهمه من الأمر شيئا. وهو لن يظهر أنه يوجد إله مسيطر فقط، بل سيثبت أنه يسيطر على الجميع دونما استثناء. وحين يفشل المعاونون الآخرون كلهم، هنا يسرع الله بالمعاونة. وسوف يقهر الأشوريين. أيها الأشوريون سوف «تحبلون بحشيش تلدون قشيشا». وهو لا قيمة له، سوى أن يحرق وقودا للنار، حيث لا يستطيع الهرب منها، وسوف تكون «نفسكم نار تأكلكم». فالتهديدات والمذابح التي تهددون بها شعب الله، هي التي ستلتهمكم. وسوف يسخر الله نفوسهم لتكون نارا تأكلهم، وعندئذ لا غرابة في أن يصير العدو «وقود كلس أشواكا مقطوعة تحرق بالنار»، حيث تجف ومن ثم تحترق بسرعة. هكذا كان دمار الجيش الأشوري.

عدد ١٣ - ٢٤

ما الذي فعله الله حتى نعترف بقوته؟

أولا: لقد أثار الرعب في قلوب الخطاة في صهيون (ع ١٤): «أخذت الرعدة المنافقين». كانت ثمة خطاة يتمتعون بمزايا صهيون وخدماتها، غير أن قلوبهم لم تكن مستقيمة أمام الله. وعلى الرغم من أن الخطاة في صهيون كانوا خاضعين لرعب الشرائع السرية والغريبة الخاصة بهم، إلا أنهم ضُربوا بذعر أكثر نتيجة إدانة ضمائرهم. فحين رأوا أن الجيش الأشوري يحاصر أورشليم، وعلى أهبة الاستعداد لإحراقها، لم يستطيعوا الهرب إلى مصر، وبعد أن ارتابوا في صدق الوعود التي قطعها الله بواسطة أنبيائه، أسقط في يدهم وصرخوا قائلين: «من منا يسكن في نار آكلة؟» هيا نهجر المدينة ونقصد أي مكان آخر. أو ربما يعني هذا أنهم رأوا الجيش الأشوري يدمر، لأن تدميره هو النار التي سبق أن أشير إليها للتو في عددي ١١ و١٢. وحين رأى الخطاة في صهيون الخراب العظيم الذي نجم عن غضب الله تملكهم خوف رهيب، وأدركوا أنهم أغاظوا هذا الإله بعبادة آلهة أخرى في السر.

ثانيا: دبر الله في إحسانه كل ما من شأنه أن يحمي شعبه الذين وثقوا فيه: اسمعوا هذا واعترفوا بقوته إذ جعل «السالك بالحق والمتكلم بالاستقامة... في الأعالي يسكن» (ع ١٥ و١٦). ونجد هنا:

(١) سمات الرجل الصالح حتى في أوقات الشر العام: يسلك باستقامة. ويسير تبعا لقواعد العدالة، يعطي كل ذي حق حقه. ينطق بالحق «بالاستقامة» (كما وردت الكلمة)، وهو يتكلم بنية صالحة. ويعتبر أن إثراء نفسه على حساب الآخرين أمرا دنيئا وعملا مشينا. وإذا ما حاول أحد أن يضع في يده رشوة في أي وقت ليعطل العدالة تراه «النافض يديه من قبض الرشوة؟» ويعتبر محاولة تقديمها له إهانة لشخصه. و«يسد أذنيه» عن سماع أي شيء يميل إلى العنف، أو أية اقتراحات تحرضه على الانتقام (أي ٣١: ٣١). كذلك «يغمض عينيه عن النظر إلى الشر». فكراهيته للخطية بلغت حدا لم يعد يستطيع معه أن يرى الآخرين يرتكبونها. والذين يحتفظون بطهارة نفوسهم يجب أن يسدوا آذانهم عن الاستماع إلى محاولات إغرائهم ويحولون أعينهم عن رؤية الباطل.

(٢) تعزية الرجل الصالح وراحته التي تحفظ له حتى في أوقات الكوارث العامة (ع ١٦). سيكون آمنا، وستكون له شركة مع الله الذي هو نار آكلة، ولكنه سيكون بالنسبة له نورا وفرحا. أما بالنسبة للمتاعب الحالية فهو «في الأعالي يسكن»، لأنها في الواقع لن تمسه. لا يغمره «سيل المياه». أما إذا حاصرته هذه المياه، فستكون «حصون الصخور ملجأه»، فيحتمي فيها، وسيكون الله صخر الدهور، ملجأه فلا يعوزه شيء، وسوف «يعطي خبزه»، حتى حينما يبلغ الحصار أشده. كذلك ستكون «مياهه مأمونة». والذين يتقون الرب لن يعوزهم شيء من الخير.

ثالثا: سوف يحمي أورشليم ويخلصها من أيدي الغزاة وسوف يخلع حزقيا المسوح ويظهر في بهائه، وفي ثيابه الملكية (ع ١٧)، الأمر الذي كان سبب فرحة كل رعاياه المحبين. والذين يسيرون باستقامة سيرون بعين الإيمان ملك الملوك في بهائه، بهاء القداسة، وسوف يحل هذا البهاء عليهم. وإذا رُفع الحصار فقد أصبحوا في حرية من حيث السفر إلى خارج دون خطر الوقوع في أيدي الأعداء، سوف يرون «أرضا بعيدة»، وسوف يزورون أقصى أطراف البلاد. وهكذا يرى المؤمنون كنعان السمائية، تلك الأرض البعيدة جدا، ويعزون أنفسهم بها في الأوقات الصعبة. وتذكر الخوف الذي سبق أن تملكهم سوف يزيد من بهجة خلاصهم (ع ١٨): «قلبك يتذكر الرعب» ويغمره السرور إذ إنه انتهى. وسوف تظن أنك لاتزال تسمع في أذنك إنذارات الخطر: «إلى السلاح، ليتخذ كل واحد موقعه». «أين الكاتب؟» (أي سكرتير الحرب) ليظهر لكي يضع سجلا بأسماء الضباط والجنود. «أين الجابي؟» أو ضابط المرتبات في الجيش؟ لكي يوفي بنفقات الدفاع. «أين الذي عد الأبراج؟»، عليه الاهتمام بأن يضع عددا كافيا من الرجال في كل برج. ولن تفزعهم بعد الآن رؤية الأشوريين الذين كانوا شعبا شرسا، لهم لغة غريبة، ولم يكن بمقدورهم أن يفهموا توسلاتهم أو شكاواهم، ومن ثم لم ينصتوا لهم، كانوا «الشعب الغامض اللغة... بلسان لا يُفهم» (ع ١٩). «انظر صِهيون مدينة أعيادنا»، المدينة التي نقيم فيها احتفالاتنا المقدسة، والتي اعتدنا التقابل فيها لعبادة الله في اجتماعاتنا التعبدية. كان الشعب الطيب في ألم بالغ من أجل صهيون. لأن الغزاة سيحرقون هيكلهم. وقد وُعدت أورشليم هنا بأمرين اثنين:

(١) أمان راسخ وأكيد، سوف تكون «مسكنا مطمئنا» لشعب الله، ولن يزعجهم أحد كما سبق، بأخطار الحرب والاضطهاد (إش ٢٩: ٢٠): «لأن العاتي قد باد وفني المستهزئ وانقطع كل الساهرين على الإثم». سوف ترون خيرا في أورشليم وسلاما في إسرائيل ستعيشون لترونه وتشاركون فيه.

(٢) استقرار ثابت: حقا إن أورشليم مدينة أعيادنا ما هي إلا «خيمة» إذا ما قورنت بأورشليم الجديدة. فالإعلانات الحاضرة للمجد الإلهي والنعمة لا تقاس بتلك المحفوظة للحالة المستقبلية. غير أنها «خيمة لا تنتقل». فبعد أن تنتهي المتاعب الحاضرة ستتمتع أورشليم ولمدة طويلة بسلام راسخ. ومميزاتها المقدسة التي هي بمثابة «أوتادها» و«أطنابها» لن تقلع. فكنيسة الله على الأرض ما هي إلا خيمة، وعلى الرغم من أنه يمكن نقلها من مكان لآخر، إلا أنها لن تُهدم طالما بقي العالم قائما، لأن المسيح له في كل جيل من يعبده. ومواعيد العهد هي أوتادها وأحكام الإنجيل ووصاياه هي أطنابها (حبالها) التي لن تنقطع إطلاقا. لأن الله نفسه سيكون حاميهم ومخلصهم (ع ٢١ و٢٢). وهذا هو الأساس الرئيسي لثقتهم. الله سيكون مخلص أورشليم وربها القدير، الذي سيكون لها «مكان أنهار وترع». وليس لأورشليم نهر كبير يجري فيها، ولذلك كانت تفتقر إلى واحدة من أعظم التحصينات الطبيعية، وكذلك واحدة من أعظم المزايا للتجارة بين الدول، غير أن وجود الله وقوته كافيان لتعويض هذا النقص في أي وقت كان. ولو كانت هناك أنهار كبيرة وترع حول أورشليم «لا يسير فيها قارب بمقذاف وسفينة عظيمة لا تجتاز فيها». لأن الرب هو «قاضينا»، ونُخضع له جميع أفكارنا. وهو «ملكنا»، الذي ندين له بالولاء، ولذلك «هو يخلصنا». وسوف ينكسر الأعداء، مثل سفينة في البحر لم تستطع مقاومة العاصفة، بل تمزقت أشرعتها وتحطمت ساريتها، وغرق كل شيء كان يمكن استخدامه في إصلاحها (ع ٢٣). كانوا يعتقدون أنه لا محالة من أن تقع أورشليم في قبضتهم، غير أنه فيما كانوا يدخلون الميناء، وعلى الرغم من سيطرتهم على كل شيء، وجدوا أنهم «لا ينشرون قِلعًا». وسوف تكون ثروة معسكرهم غنيمة كبيرة لليهود: «حينئذ قُسِمَ سَلبُ غنيمة كثيرة».

تركوا خيامهم حيث هي، ومن ثم كل ما بها من ثروة وقعت في أيدي المحاصرين، بل وحتى «العرج نهبوا نهبا». وهكذا أخرج الله من الشر خيرا، ولم يخلص أورشليم فقط، بل وأغناها أيضا. وسوف ينزع منهم المرض والخطية: «ولا يقول ساكن أنا مرضت»، وكما أن «العرج نهبوا نهبا»، هكذا سيفعل المرضى أيضا. سوف يختبرون فرحا شاملا حتى أن المرضى سينسون مرضهم ويشتركون في مظاهرات الفرح، وخلاص مدينتهم سيكون شفاءهم. وسوف يتحمل

المرضى أسقامهم دونما شكوى طالما يرون الأمور حسنة بالنسبة لأورشليم. و«الشعب الساكن فيها مغفور الإثم». الخطية هي مرض النفس، وحين يغفر الله الخطية فهو يشفي المرض.

الأصحاح الرابع والثلاثون

نجد في هذا الأصحاح الهلاك الحتمي الذي ينتظر كل الأمم المعادية لكنيسة الله ولشعبه. ومن المحتمل أن تكون هذه النبوة قد تحققت في الخراب الشامل الذي أحدثه الجيش الأشوري أولا، أو بالأحرى جيش نبوخذنصر بعدئذ. بين تلك الأمم التي جاورت إسرائيل، وكانت تلحق بها الأذى بطريقة أو بأخرى.

كان هذا الغازي الجبار يتباهى بسفك الدماء، ودمار البلاد، وهو في هذا، ودون قصد منه إطلاقا، كان ينفذ ما هدد به الله هنا ضد أعدائه وأعداء شعبه.

ونجد هنا:

أولا: دعوة كل الشعوب إلى الانتباه (ع ١).

ثانيا: قدم مشهدا رهيبا من دماء مراقة وبلبلة شديدة (ع ٢– ٧).

ثالثا: السبب الكامن وراء هذه الدينونات (ع ٨).

رابعا: استمرار هذا الدمار (ع ٩– ١٥).

خامسا: التصديق الإلهي على كل هذه الأحداث (ع ١٦ و١٧).

عدد ١ – ٨

أولا: إعلان الحرب (ع ١). على كل الشعوب أن تصغي وتسمع لأن الأمر يهمها جميعا، الله غاضب عليهم، وغضبه معلن ضد كل الشعوب.

ثانيا: إعلان البيان الرسمي، وهو يوضح:

(١) مَن الذين يشن الحرب ضدهم (ع ٢): «لأن للرب سخطا على كل الأمم»، ذلك أنهم تحالفوا جميعا ضد الله والدين، وكل ذلك لخدمة مصالح الشيطان. ونظرا لأنهم جميعا تمتعوا بطول أناته، فهكذا عليهم جميعا أن يتوقعوا سخطه. وسخطه منصب بصفة خاصة «على كل جيشهم». لأنهم بهذه الجيوش ألحقوا الأذى بشعب الله. وبواسطة هذه الجيوش كانوا يأملون أن يتعالوا على عدل الله وقوته، ولذلك سينصب حمو غضب الله بالدرجة الأولى عليهم.

(٢) مَن الذين يحارب من أجلهم، وما الأسس والأسباب التي قامت عليها هذه الحرب (ع ٨): «لأن للرب يوم انتقام». وكما أن هناك يوم لصبر الرب، هكذا أيضا سيكون هناك يوم لانتقامه لأنه على الرغم من طول أناته، إلا أنه لن يصبر إلى الأبد. إنها «سنة جزاء من أجل دعوى صهيون». وصهيون هي المدينة المقدسة، وهي تمثل كنيسة الله في العالم. وكانت صهيون في نزاع عادل مع جيرانها بسبب المظالم التي ألحقوها بها. وقد تركت الأمر لله لكي يدافع عنها، وسوف يفعل ذلك حين يأتي الوقت المناسب.

ثالثا: إجراءات الحرب: سيف الرب «قد روي في السماوات» (ع ٥). ولعل هذه إشارة إلى عادتهم في غمر سيوفهم في سائل ما بغية اكتسابها صلابة أو زيادة بريقها (حز ٢١: ٩– ١١).

ولقد ثمل سيف الله إلى أقصى مدى في السماوات، وذلك في مشوراته وأحكامه، وفي عدله وقوته: «هوذا على أدوم ينزل وعلى شعب حرَّمته للدينونة»، وهو الشعب الذي استحق لعنته. وسيف حرب الله هو دائما سيف العدل. سوف يتبع هذا الحكم وقوع مذبحة رهيبة بينهم (ع ٦). وحين تنتهي رحمة الله وصبره، اللذان أسيء استغلالهما، فإن سيف عدله لن يعرف رحمة أو هوادة. ولقد فقد الناس بسبب الخطية شرف طبيعتهم البشرية وجعلوا أنفسهم مثل الحيوانات التي تبيد، ولذلك قُتلوا مثل الحيوانات، ولم يعد ذبح جيش من الرجال أكثر من ذبح قطيع من «الخراف والتيوس» وأكل «كُلى كباش»، والواقع أن سيف الرب لن يدمر الخراف والتيوس فحسب، وهم يرمزون إلى الجنود العاديين، (ع ٧) بل «يسقط البقر الوحشي معها والعجول مع الثيران»– العظماء والأقوياء والرؤساء– سيكونون فريسة سهلة مثل «خراف وتيوس». فأعظم الرجال هم لا شيء أمام غضب الإله العظيم. بل إن «الجبال» الصلبة الصخرية سوف «تسيل... بدمائهم» (ع ٣). وقد استخدمت هذه التعبيرات المبالغ فيها لأنها تبدو مرعبة لمسامعنا. وستكون هذه المذبحة العظيمة محرقة عظيمة لعدل الله (ع ٦)، فقد كان يقصد بالذبائح مجد الله، لكي يعرف أنه يمقت الخطية، ويطلب كفارة لها، وأنه

WWW.DIFA3IAT.COM

ليس شيء سوى الدم يمكنه أن يصنع هذه الكفارة. هكذا فإن الأرض كلها كانت ستغرق بدم الخطاة لو لم يسفك دم المسيح- الكفارة العظمى- من أجلنا. هذه المذبحة ستكون بغيضة للبشرية (ع ٣) ونتيجتها ستكون ارتباكا وخرابا شاملا كما لو أن أركان الطبيعة كلها قد تحللت وذابت (ع ٤): «وتلتف السماوات كدرج» الكتابة بعد أن نكون قد انتهينا من قراءته، أو بعد أن يكون قد ذبل بسبب حرارة النار. سوف تسقط النجوم كما تسقط أوراق الأشجار في الخريف، وكل جمال الأمة المهزومة وفرحها وراحتها سوف تختفي وتزول وستلغى حكومتها وقادتها.

عدد ٩- ١٧

تصف هذه النبوة التغييرات المحزنة التي كثيرا ما تسمح بها العناية الإلهية، في البلدان، والمدن، والقصور والعائلات. فالأماكن التي ازدهرت يصيبها الوهن والانحلال. ونحن لا يمكننا أن نعرف الأماكن التي وجدت بها المدن العظيمة والتي نالت شهرة عبر التاريخ، وهذا مما يمثل القضاء الإلهي، وهو عقوبة عادلة يوقعها الله حينما يأتي «يوم انتقام سنة جزاء من أجل دعوى صهيون». وأولئك الذين يرمون إلى تحطيم الكنيسة لن يكون بوسعهم أن يفعلوا ذلك أبدا، بل إنهم بكل تأكيد سيدمرون أنفسهم.

أولا: ستصبح البلاد مثل نهر سدوم (ع ٩ و١٠) و«أنهارها» التي تروي الأرض وتنعش السكان سوف تتحول «زفتا»، وتتجمد. ويتحول «ترابها كبريتا». فلقد جعلت الخطية أرضهم قابلة للاشتعال حتى أنها ستشتعل نارا عند أول شرارة من غضب الله، وسوف تظل مشتعلة بصفة مستمرة «ليلا ونهارا لا تنطفئ». وعذاب أولئك الذين في جهنم- أو الذين يستقر الجحيم في ضمائرهم هو عذاب لا ينقطع وسوف يستمر طالما كان هناك على الأرض خطاة يغيظون الله «من دور إلى دور» ومهما استهان الناس بذلك، فإنه «مخيف هو الوقوع في يدي الله الحي».

ثانيا: تصبح المدن مثل بيوت عتيقة متهالكة ومهجورة، تسكنها في العادة الحيوانات المفترسة، أو الطيور ذات الفأل الرديء- أو النذيرة بالشر. وسوف يلعنها الله للدمار والخراب. لأن الله «يمد عليها خيط الخراب ومطمار الخلاء» (ع ١١). أما الفوضى والخرب اللذان يعمان البلاد كلها فسيكون مثل ذاك الذي عم الأرض كلها حين كانت «خربة وخالية» (تك ١: ٢). والخطية سرعان ما تحول الجنة إلى خراب، وتشوه جمال الخليقة كلها. وحين يكون هناك خراب فلابد وأن يصاحبه خواء، وسوف يُقطع العظماء من رجالهم، ولن يجرؤ أحد منهم على الظهور (ع ١٢): «وكل رؤسائها»، الذين يهتمون بالأمور الشاقة المنوطة بهم «يكونون عدما».

ثالثا: حتى البيوت ستصبح كالبرية (ع ١٣): «ويطلع في قصورها الشوك. القريص والعوسج في حصونها».

رابعا: ستصبح مسكنا ومحل لقاء الحيوانات والطيور المخيفة. وقد توسع الحديث عن هذا الخراب (ع ١١): «ويرثها القوق» الذي يجب أن يكون في عزلة (مز ١٠٢: ٦)، وكذلك «القنفذ» الذي يأتي بأصوات مخيفة وقبيحة، «والغراب» وهو من الطيور الجارحة، والذي تجذبه جثث الموتى، سوف يسكن فيها، وكل الطيور النجسة، التي لم تخلق لخدمة الإنسان (ع ١٣). فالقصر الذي كان بلاطا للعظماء يسكنه البوم الآن (ع ١٤) وسوف تتقابل «وحوش القفر» مع الحيوانات المفترسة. التي كانت في الجزيرة، وهي الأرض العامرة بالمستنقعات. «ومعز الوحش يدعو صاحبه» للذهاب إلى هذا المكان المهجور الشبيه بالصحراء. «هناك يستقر الليل ويجد لنفسه محلا»، «هناك تحجر النكازة وتبيض وتفرخ»، «وهناك تجتمع الشواهين (الصقور) بعضها ببعض» (ع ١٥). ويا له من تغيير كئيب ذاك الذي يتأتى نتيجة الخطية. فهي تحول الأرض الخصبة إلى صحراء مجدبة، والمدينة العامرة إلى برية قاحلة.

خامسا: هنا تأكيد خاص بإتمام هذه النبوة (ع ١٦ و١٧): «فتشوا في سفر الرب واقرأوا». فما عينته كلمة الله سوف ينفذه ويحققه روحه القدوس، لأنه لا تسقط كلمة من كلام الله على الأرض. ونرى هنا مراعاة للنظام الدقيق وتحديد النِسب، فبالنسبة لهذه الطيور والحيوانات «قد ألقى لها قرعة».. أي حدد لها

أجزاء حتى يعرف كل منها مكانه؛ حتى لا يزاحم بعضها بعضا.

لقد أقامت أورشليم العهد القديم نفسها من وسط الخراب، إلى أن تركت مكانها لأورشليم العهد الجديد، التي ستستمر حتى تعطي مكانها لأورشليم السمائية.

الأصحاح الخامس والثلاثون

كما أن كل دينونة من الله ضد العالم (الأصحاح ٢٤) يعقبها وعد برحمة عظيمة لكنيسته (الأصحاح ٢٥)، هكذا هنا أيضا بعد مشهد قاتم من الارتباك والحيرة نرى آخر مضيئا وسارا، والذي وإن كان يتنبأ بازدهار مملكة حزقيا في الجزء الأخير من حكمه، إلا أنه يتطلع بكل تأكيد إلى ما بعد ذلك، كما كان الحال بالنسبة للنبوة التي وردت في الأصحاح السابق حيث ذهبت إلى أبعد من دمار الأدوميين، وكلتاهما كانتا ترمزان إلى ملكوت المسيح وملكوت السماوات.

وسوف تقام كنيسة الإنجيل وتزدهر:

أولا: سوف يقبل الأمميون بها (ع ١ و٢، ٧).

ثانيا: الذين يتمنون للكنيسة خيرا، والذين كانوا ضعفاء وخائفين، سوف يتقوون (ع ٣ و٤).

ثالثا: ستجرى المعجزات سواء بالنسبة لنفوس الناس أو أجسامهم (ع ٥ و٦).

رابعا: ستقاد كنيسة الإنجيل في طريق القداسة (ع ٨ و٩).

خامسا: سوف توخذ أخيرا إلى فرح لا ينتهي (ع ١٠). وهكذا نجد في هذا الأصحاح الكثير عن المسيح والسماء بأكثر مما كنا نتوقعه من العهد القديم.

عدد ١ - ٤

أولا: نجد هنا قفرا قد تحول إلى أرض مثمرة. فحين تحررت أرض يهوذا من سيطرة الجيش الأشوري، رأينا البلاد التي استحالت جرداء وإذا بها تعود إلى سابق عهدها وتزهر كالورود. وبينما لم تقدم الأمم الوثنية ثمرا لله حيث ظلت كالقفر دهورا طويلة إلا أنها بعد أن قبلت الإنجيل جاءها الفرح معه (مز ٦٧: ٣ و٤؛ ٩٦: ١١ و١٢). وحين كُرز بالمسيح في السامرة «كان فرح عظيم في تلك المدينة» (أع ٨: ٨). والنعمة المجددة تجعل النفس التي كانت كالقفر تزهر «إزهارا» وتبتهج «ابتهاجا». وكل ثمين في أي قانون نجده في الإنجيل. وكل جمال التعاليم اليهودية انتقل إلى الكنيسة المسيحية كما أوضح الرسول في الرسالة إلى العبرانيين. وكل ما كان مرغوبا في ناموس موسى انتقل إلى أحكام الإنجيل.

ثانيا: مجد الرب أشرق عليها: «يرون مجد الرب». وسوف يعلن الله عن نفسه أكثر من أي وقت مضى في نعمته ومحبته للبشر. وهذا ما يجعل القفر يزهر. وكلما زاد ما نراه- بالإيمان- من مجد الرب، زاد فرحنا وزاد ثمرنا.

ثالثا: تشجيع الضعفاء الخائفين (ع ٣ و٤). لقد كلف أنبياء الله وخدامه- بناء على دعوتهم- أن يشددوا «الأيادي المسترخية»- وأن يعزوا أولئك الذين لم يستطيعوا بعد أن يتخلصوا من خوفهم من الجيش الأشوري، مع التأكيد لهم بأن الله سيعود إليهم الآن في رحمته. وهذا هو ما يرمي إليه الإنجيل.

(١) تشجيع الضعفاء وتثبيت إيمانهم. فهناك كثيرون بين المؤمنين من أصحاب الأيدي المسترخية والركب المرتعشة (لو ٢٢: ٣٢)، فليس المطلوب فقط تحمل الضعفاء، بل عمل كل ما نستطيع لتثبيت إيمانهم (رو ١٥: ١؛ ١تس ٥: ١٤). ومن واجبنا أيضا أن نقوي أنفسنا (عب ١٢: ١٢) وأن ننمي القوة التي وهبها الله لنا.

(٢) بث الحماسة بين أولئك الذين يتسمون بالضعف والخوف، وتشجيعهم: «قولوا لخائفي القلوب» (المتعجلين، لأن هذا معنى الكلمة) ممن يفضلون الهرب عند أول إنذار، والذين في تسرعهم يقولون «إني قد انقطعت» (مز ٣١: ٢٢)، والإنجيل يتضمن ما فيه الكفاية لإزالة هذه المخاوف. والذي يقول لنا «تشددوا» جعل معونتنا تستند إلى كلي القدرة.

رابعا: أعطي تأكيد بقرب مجيء المخلص: «هوذا إلهكم. الانتقام يأتي». سوف يظهر الله من أجلكم ضد أعدائكم، ويعوضكم عن الأذى الذي لحق بكم وعن خسائركم. وأولئك الذين ترتجف قلوبهم من

أجل تابوت الله، والذين ينتابهم القلق على كنيسته في العالم، يستطيعون أن يزيلوا مخاوفهم حين يعرفون أن الله يتولى أمرهما بنفسه.

عدد ٥- ١٠

«حينئذ» حين يأتي إلهكم، ويجيء المسيح، لذا عليكم أن تتوقعوا أمورا عظيمة.

أولا: ستجرى المعجزات في الملكوت سواء في مملكة الطبيعة أو بالنعمة.

(١) تجرى المعجزات في أجسام الناس (ع ٥ و٦): «تتفقح (تنفتح) عيون العمي»، وهذا كثيرا ما عمله الرب يسوع حين كان في العالم بالجسد (مت ٩: ٢٧؛ ١٢: ٢٢؛ ٢٠: ٣٠؛ يو ٩: ٦). وبقوته «آذان الصم تتفتح» أيضا. بكلمة واحدة. «إفثا. أي انفتح» (مر ٧: ٣٤). وكثير من العرج كانوا يشفون ويعودون لاستخدام أرجلهم (أع ٣: ٨)، وكثير من البكم استطاعوا التكلم(مت ٩: ٣٢ و٣٣). وقد أجري المسيح هذه المعجزات لكي يثبت أنه مرسل من الله (يو ٣: ٢)، والواقع أنه هو الله، وهو نفسه الذي سبق في البداية وخلق للإنسان فما، وأعطى الأذن سمعا، والعين بصرا.

(٢) سوف تجرى عجائب عظيمة في نفوس الناس. فبكلمة المسيح وروحه، سوف يبصر العميان روحيا (أع ٢٦: ١٨)، أولئك الذين سدوا آذانهم عن نداءات الله، سوف يستمعون إليها مرحبين، مثل ليدية التي فتح «الرب قلبها لتصغي» (أع ١٦: ١٤). كذلك «الصُم»، الذين لم يكونوا يعرفون كيف يتكلمون مع الله أو عنه، إذ تفتحت بصائرهم فعرفوه، ومن ثم تنفتح شفاههم لحمده وتسبيحه.

ثانيا: سينسكب الروح القدس من الأعالي: وتكون هناك «مياه وأنهار في القفر» (ع ٦)، وهي آخر مكان يتوقع أن توجد فيه، حيث «قد انفجرت في البرية مياه». وقد تحقق هذا حين «حل الروح القدس» على الأمميين «الذين كانوا يسمعون الكلمة» (أع ١٠: ٤٤). وقد قيل عن هذه المياه إنها «انفجرت»، وكانت مفاجأة للأمميين لأنها أخذتهم إلى عالم جديد. وستكون النتيجة المباركة لهذا أنه «يصير السراب أجما» (ع ٧)، وفي «المعطشة» حيث لا ماء ولا ناموس (مز ٦٣: ١) ستكون «ينابيع ماء». فكلمة الإنجيل «نهر سواقيه تفرح مدينة الله» (مز ٤٦: ٤)، «في مسكن الذئاب» التي اختارت أن تسكن في الأرض التي صارت «زفتا مشتعلا» (إش ٣٤: ٩، ١٣)، وسوف تتدفق هذه المياه فتطرد هذه الذئاب وحيث تربض، تكون هناك «دار للقصب والبردي». هكذا كان الحال حينما أقيمت الكنائس المسيحية وازدهرت بشكل عظيم في مدن الوثنيين، والتي ظلت لدهور طويلة مسكنا للذئاب، أو للشيطان بالأحرى، فحين تحولت هذه المدن إلى المسيحية تحولت مساكن الذئاب فيها إلى حقول مثمرة.

ثالثا: سمي هنا طريق الديانة والتقوى «الطريق المقدسة» (ع ٨). وحين يأتي إلهنا ليخلصنا سوف يعين لنا هذا الطريق بواسطة إنجيله، وبشكل لم يسبق أن وصف به. وسوف يكون طريقا محددا «سكة». إنه طريق الملك، طريق ملك الملوك، والذي يمكن أن نتعرض فيه لهجوم ما، إلا أنه لا يمكن لشيء ما أن يوقفنا عن السير فيه. «والطريق المقدسة» هي طريق وصايا الله، إنها «السبل القديمة... الطريق الصالح» (إر ٦: ١٦). «لا يعبر فيها نجس»، سواء لكي ينجسها أو لكي يزعج السائرين فيها. وسوف تكون لأولئك الذين «ميزهم» الله لنفسه (مز ٤: ٣)، وسوف تحجز لهم. سوف «يسلك المفديون فيها» حيث يكونون في منأى عن شر هذا العالم. وعلى الرغم من ضعف امكانيات المؤمن البسيط الذي يختار هذا الطريق لكي يسلك فيه، إلا أنه سيتلقى توجيهات واضحة من كلمة الله وروحه ولذلك فهو «لا يضل». وأولئك السائرون في الطريق الضيق، على الرغم من أن البعض قد يسقط في نقطة ما، وغيرهم قد يسقطون في أخرى، وليس الجميع بنفس القدرة، إلا أنهم يتقابلون أخيرا في نفس النهاية. فروح الحق سوف يقودهم إلى كل الحق اللازم لهم. والطريق إلى السماء هو طريق واضح وسهل. وهو طريق آمن: «لا يكون هناك أسد. وحش مفترس لا يصعد إليها» (ع ٩)، لا يوجد فيها ما يؤذي أو يقتل. والذين يلتزمون بهذا الطريق يكونون في مأمن من الشيطان، هذا الأسد المزمجر. والذين يسيرون في «الطريق المقدسة» لا يعكر صفاء ذهنهم

شيء إذ يعرفون أنه ليس بمقدور أحد أن يضرهم. والذين يسيرون في هذا الطريق يجب أن يعتزلوا كل ما هو نجس ويحمون أنفسهم من «جيل أعوج ملتو».. ليسلكوا مع المفديين الذين يسيرون في هذا الطريق.

رابعا: نهاية هذا الطريق فرح أبدي (ع ١٠). وهنا نجد أخبارا سارة لسكان صهيون: «مفديو الرب يرجعون ويأتون إلى صهيون»، وسوف يدبر لهم الرب مخرجا من عبوديتهم. وينضمون إلى كنيسة الإنجيل، «جبل صهيون»، مدينة الله الحي (عب ١٢: ٢٢). وأولئك الذين بالإيمان يصبحون من مواطني مدينة الله الحي يذهبون في طريقهم فرحين (أع ٨: ٣٩). هم يفرحون في المسيح يسوع، والحزانى يطوبون، لأنهم يتعزون. وحين عاد شعب الله من بابل إلى صهيون رجعوا وهم «يبكون» (إر ٥٠: ٤)، غير أنهم يأتون إلى السماء بترنيمة جديدة لا يستطيع أحد أن يتعلمها (رؤ ١٤: ٣). سوف يكون فرحهم ظاهرا ومرئيا، ولا يعود أمرا سريا بعد، كما كان الحال في هذا العالم، وسوف تُعلن ترنيمتهم لمجد الله. وآمالنا المفرحة ورجاؤنا في الحياة الأبدية يجب أن يجعلنا نسمو على كل أحزان الحياة الحاضرة وأفراحها أيضا.

الأصحاح السادس والثلاثون

يقوم إشعياء النبي في هذا الأصحاح– وفي الأصحاحات الثلاثة التي تليه– بدور المؤرخ. وكثير من النبوات التي وردت في الأصحاحات السابقة تحققت بغزو سنحاريب ليهوذا ومحاصرته أورشليم، والهزيمة المعجزية التي لاقاها هناك، ولذلك وضعت القصة هنا لتؤكد النبوة. ومفتاح النبوة يجب أن نجده من خلال التاريخ، وهنا نراه معلقا على الباب كالمعتاد؛ حتى يكون لنا دخول سهل إليها. والتحقيق الدقيق لهذه النبوة يجب أن يثبت إيمان شعب الله في النبوات الأخرى البعيدة المدى. وسواء أُخذت هذه القصة من سفر الملوك وأضيفت هنا، أم أنها كتبت هنا أولا بمعرفة إشعياء ثم نقلت إلى سفر الملوك، فهذا ليس بيت القصيد. غير أن القصة تكاد تكون واحدة في ٢ ملوك ١٨ و١٩، وهنا، وكذلك موجزها في ٢ أخبار ٣٢.

ونجد في هذا الأصحاح.

أولا: الهجوم الذي شنه ملك أشور على يهوذا (ع ١).

ثانيا: طلبه عقد لقاء مع حزقيا (ع ٢ و٣).

ثالثا: الحديث المجدِّف لقائد الجيش الذي استهدف به تخويف حزقيا حتى يخضع له (ع ٤– ١٠).

رابعا: مناشدته الشعب التخلي عن حزقيا وبالتالي إجباره على التسليم (ع ١١– ٢٠).

خامسا: التقرير الذي قدم لحزقيا بهذا الخصوص (ع ٢١ و٢٢).

عدد ١ – ١٠

قد يوجد أناس جادين في عمل الواجب ومع ذلك تواجههم متاعب ومحن. ولذلك ليس علينا أن نندهش إذا ما حدث أثناء قيامنا بعمل الخير أن يرسل الله لنا الضيقات لكي تحفزنا على عمل الأفضل، وبذل قصارى جهدنا، والسير قدما نحو الكمال. ذلك أن أعداء شعب الله يحاولون هزيمته عن طريق ترويعه وهز ثقته في الله. وهكذا نرى قائد الجيش هنا بجلبة وسخرية يحط من قدر حزقيا ويصفه بأنه عاجز تماما عن تدبير أموره مع إلهه. ولذلك يجب علينا أن نثبت ضد أعداء نفوسنا، ونحافظ على ثباتنا بالتمسك برجائنا في الله. والذين يتخلون عن عبادة الله يحرمون أنفسهم من حمايته. إنه لأمر سهل وشائع جدا لدى الذين يضطهدون الكنيسة، وشعبها، أن يدعوا أنهم يفعلون ذلك بأمر من الله. لقد استطاع هذا القائد أن يقول: «هل بدون الرب صعدت»، مع أنه في واقع الأمر صعد ضد الرب (إش ٣٧: ٢٨).

عدد ١١ – ٢٢

بينما يناقش الرؤساء والمستشارون الأمور العامة، فإنه ليس من العدل الرجوع إلى الشعب، وكذلك فإنه ليس من العدل أيضا إثارة الرعايا ضد حكامهم بتلميحات مغرضة. وكلما تكلمت بصدق مع المتغطرسين ازداد حديثهم شرا. وما كان بالمستطاع أن يقال كلام عادل وجليل أكثر مما قاله وكلاء حزقيا لقائد الجيش: «كلم عبيدك»، غير أن هذه العبارة زادته بغضا وغطرسة. وحين يغري الشيطان الناس على عدم ثقتهم في الله، فإنه يجعلهم يتوهمون أنهم إذا أطاعوه هو فإن ظروفهم سوف تتحسن. وحين يقول لنا العالم والجسد: «اعقدوا معي صلحا واخرجوا إليَّ وكلوا كل واحد من

جفنته وكل واحد من تينته» (ع ١٦) فإنهما يخدعاننا، يعداننا بالحرية مع أنهما سيقوداننا إلى أقصى حالات الرق والعبودية.

ولذلك فمهما كان كلامهم معسولا فلا تصدقوهم، فلا شيء في حد ذاته أكثر حماقة، بل ولا أشد إهانة للإله الحقيقي من تشبيهه بآلهة الوثنيين. هم لا شيء، أما هو فهو «الكائن العظيم»، هم مخلوقات من خيال الناس وعمل أيديهم، أما هو فخالق كل الأشياء. والخطاة المتبجحون مستعدون للاعتقاد بأنهم ماداموا قساة مع أقرانهم من البشر، فإنهم بذلك يكونوا ندا لخالقهم. وعلى الرغم من أن بقايا الإناء الخزفي قد تتشاجر مع بعضها إلا أنها لا يمكن أن تتشاجر مع الفخاري. وقد يكون أحيانا من الفطنة ألا «تجاوب الجاهل حسب حماقته». كان أمر حزقيا هو: «لا تجيبوه» اتركوه لله ليخرسه، لأنكم لا تستطيعون ذلك. وعلى الرغم من أنهم «لم يجيبوا بكلمة» إلا أنهم مزقوا ثيابهم غيرةً على مجد الله وغضبا على احتقار اسمه.

الأصحاح السابع والثلاثون

يتضمن هذا الأصحاح تكرارا للقصة التي سبق أن قرأناها في سفر الملوك فيما يتعلق بسنحاريب. في الأصحاح السابق وجدناه منتصرا ويهدد بالغزو. وفي هذا الأصحاح نقرأ عن سقوطه، فقد سقط أخيرا استجابة للصلاة، تحقيقا لكثير من النبوات التي تضمنتها الأصحاحات السابقة:

أولا: موقف حزقيا الجدير بالثناء من كلمات قائد الجيش البغيضة (ع ١).

ثانيا: الرسالة الطيبة التي بعث بها لإشعياء يطلب صلواته (ع ٢- ٥).

ثالثا: الإجابة المشجعة التي بعث له بها إشعياء من قبل الله، حيث أكد له أن الله سيدافع عنه ضد ملك أشور (ع ٦ و٧).

رابعا: خطاب تعسفي أرسله ملك أشور لحزقيا، يستهدف نفس ما رمى إليه قائد الجيش (ع ٨- ١٣).

خامسا: صلاة حزقيا الخاشعة إلى الله حين تسلم هذه الرسالة (ع ١٤- ٢٠).

سادسا: استجابة الله له عن طريق إشعياء، حيث وعده بأن أموره ستأتي إلى منعطف سار ومبهج (ع ٢١- ٣٥).

سابعا: التحقيق العاجل لهذه النبوة وذلك بدمار جيش سنحاريب (ع ٣٦) واغتياله (ع ٣٧ و٣٨)، (انظر ٢ملوك ١٩).

عدد ١- ٧

أفضل وسيلة لإحباط الخطط الخبيثة التي يدبرها أعداؤنا ضدنا هي اللجؤ إلى الله وعمل واجبنا. لقد استهدف قائد الجيش أن يخيف حزقيا ويبعده عن الرب، غير أن الذي حدث هو العكس. فالريح عوض أن تخلع عن المسافر معطفه، تجعله أشد التصاقا به. وكلما زادت توبيخات القائد لله ازداد حزقيا من إكرام الرب وتمجيده. بعث حزقيا برسله إلى إشعياء يطلب منه أن يصلي من أجله متذكرا كيف أن نبواته كانت تتناول الأحداث الحاضرة. «هذا اليوم يوم شدة وتأديب»، ولذلك يجب أن يكون يوم صلاة «لأن الأجنة دنت إلى المولد ولا قوة على الولادة» ولذلك لابد من الصلاة. وحين تشتد الآلام إلى مداها لتكن صلاتنا في أوج قوتها وحرارتها. والصلاة هي القابلة التي تساعد في ميلاد الرحمة.

«لعل الرب إلهك يسمع...» من يدري فلعله يرجع ويتوب؟ لقد جدف القائد على الله، ولذلك لا يجب أن يخاف حزقيا منه (ع ٦)، فمن المؤكد أن يصدر ضده حكما. وخوف الخطاة ما هو إلا مقدمة لسقوطهم. «فيسمع خبرا» عن دحر جيشه، الأمر الذي يضطر معه إلى الانسحاب إلى أرضه، وهناك سوف يقتل (ع ٧).

عدد ٨- ٢٠

الله، في وعده، ربما يقوينا على تحمل التعييرات في صمت. لقد أجاب الله حزقيا، غير أنه لا يبدو أنه أرسل أية إجابة إلى قائد الجيش، لكنه في هدوء ترك الأمر له. ولذلك «رجع ربشاقي» إلى سيده الملك لتلقي تعليمات جديدة. ويلاحظ أن سنحاريب، دون أي استفزاز يوجه له، أو تحذير يصدر عنه، توجه ليحارب يهوذا، والآن ودون أية مقدمات، خرج الملك الكوشي من مصر ليحاربه (ع ٩). وعلى مثيري المتاعب أن

WWW.DIFA3IAT.COM

يتوقعوا أيضا إثارة المتاعب ضدهم. إنه لأمر سيئ أن تنطق بكبرياء أو تجديف، غير أن الأسوأ أن تكتب ذلك. ما يكتب ينتشر إلى مدى أبعد، ويستمر لمدة أطول، وينجم عنه ضررا أكثر. والنجاحات الكبيرة كثيرا ما تقسي قلوب الخطاة وتدفعهم إلى مزيد من الجرأة.

لم يشك ملوك أشور في قدرتهم على تخريب أرض الله، لأن ملوك «حماة» و«أرفاد» الوثنيين كانوا فريسة سهلة لهم، وتبعا لذلك فإن ملك يهوذا أيضا، هذا المصلح التقي، لابد أن يكون مثلهم.

أخذ حزقيا رسالة سنحاريب ونشرها أمام الرب، ولم يكن يقصد أن يقدم أية شكوى ضده سوى تلك التي قامت على أساس ما كتبه بخط يده. ليتكلم الأمر عن نفسه، ها هو الأمر موضح بالكتابة: «افتح يا رب عينيك وانظر». كان يشجع نفسه بأن إله إسرائيل هو «رب الجنود»، وأنه «وحده» هو الإله «لكل ممالك الأرض»، لأنه خلق السماوات والأرض، ولذلك فهو يستطيع أن يعمل أي شيء، وهو يعمل كل شيء. وحين نخاف من أعتى الخطاة المدمرين، علينا أن نلجأ إلى الله، باعتباره المخلص العظيم.

عدد ٢١ – ٣٨

أولئك الذين يتسلمون رسائل رعب من الناس بكل صبر، فيبعثون برسائل إيمان إلى الله بالصلاة، بمقدورهم أن يتوقعوا وصول رسائل نعمة وسلام من الله لهم من أجل تعزيتهم. أرسل إشعياء إجابة طويلة إلى حزقيا باسم الله ردا على صلاته: «هكذا يقول الرب إله إسرائيل الذي صليت إليه» لتعرف– من أجل تعزيتك– أن صلاتك سمعت. الذين يسيئون إلى شعب الله يسيئون إلى الله نفسه: من عيرت؟ قدوس إسرائيل؟ ومما ضخم من الإهانة التي وجهها سنحاريب إلى الله أنه حمل عبيده على أن يفعلوا مثله: «عن يد عبيدك عيرت السيد». والذين يتباهون بإنجازاتهم يختلسون أعمال العناية الإلهية. لقد قلت: «أنا قد حفرت وشربت مياها»، ولم تعترف بأني «منذ البعيد صنعته» (ع ٢٤– ٢٦).

أكثر الرجال إنجازا ما هم إلا خليقة الله: «منذ الأيام القديمة صورته»، في مشورة أبدية: «أتيت به. فتكون لتخريب مدن محصنة حتى تصير روابي خربة»، ولذلك فقولك أنك أنت صنعت ذلك يعد غطرسة لا تحتمل. كان سنحاريب يتسم بالنشاط والسرعة، هنا وهناك وفي كل مكان، غير أن الله عالم بجلوسه وخروجه (ع ٢٨)، وعلى الرغم من أنه كان عنيدا صعب المراس، إلا أن الله قادر على أن يرده في الطريق الذي جاء منه (ع ٢٩). لقد سمح الله بما اعتزمه سنحاريب ضد يهوذا (إش ١٠: ٦)، غير أنه أبطل خططه هنا. وسوف يتم الدفاع عن أورشليم (ع ٣٥)، ولن يدخلها المحاصرون، بل سيدحرون قبل بدء الحصار (ع ٣٣). ولكن هذا ليس كل ما في الأمر، ذلك أن الله سيرجع إلى شعبه برحمته. وسوف تكون أرضهم مثمرة أكثر من المعتاد، وبذلك يعوضون خسائرهم بشكل مضاعف. وعليهم ألا يعتقدوا أن خراب بلادهم يعفيهم من أن يكون للأرض راحة سبت (السنة السابعة)، وعلى الرغم من أنه لا يتوافر لديهم الآن مخزونهم المعتاد مقدما والخاص بتلك السنة، إلا أنه عليهم أن يحفظوا هذه الوصية، وأن يعتمدوا على الله من ناحية تدبير احتياجاتهم. ولا يمكن الوقوف أمام أحكام الله إذا جاءت بسماح منه.

ذلك أن ملاكا واحدا، وفي ليلة واحدة دحر جميع أفراد جيش عظيم وطرحهم جميعا قتلى على الأرض وذلك حينما كلفه الله بذلك (ع ٣٦). أعظم الرجال لا يستطيعون الوقوف أمام هذه الأحكام. فالملك العظيم، ملك أشور، بدا هزيلا حين اضطر إلى العودة مذعورا لئلا يدمره الملاك الذي دمر جيشه، ومع ذلك فقد قام ابناه– اللذان كانا يجب عليهما حمايته– بتقديمه ذبيحة لإلهه الذي سعى إليه لكي يحميه (ع ٣٧ و٣٨). فالذي خلص في الماضي يخلص الآن وسوف يخلص إلى التمام.

الأصحاح الثامن والثلاثون

يواصل هذا الأصحاح سرد تاريخ حزقيا،

أولا: مرضه، وحكم الموت الذي تلقاه بنفسه (ع ١).

ثانيا: صلاته أثناء مرضه (ع ٢ و٣).

ثالثا: رسالة السلام التي رد بها الله على صلاته، والعلامة التي أعطيت له لتثبيت إيمانه وهي رجوع الشمس عشر درجات (ع ٤– ٨)، وهذا ما سبق أن قرأنا عنه في

www.difa3iat.com

(٢مل ٢٠ وما بعده).

رابعا: شكر حزقيا من أجل شفائه، الأمر الذي لم نقرأ عنه سابقا (ع ٩– ٢٠)، وقد أضيفت هنا الوسيلة التي استخدمت (ع ٢١ و٢٢). وهذا الأصحاح يعد تشجيعا لكل المقيدين بالمرض.

عدد ١ – ٨

ليس عظمة الإنسان أو صلاحه يمكن أن يعفياه من التعرض للإصابة بالمرض ومواجهة الموت. وقد أصاب المرض حزقيا، مع كونه ملك في الأرض ومحبوب من السماء– وكان من المؤكد أن هذا المرض سيقضي عليه ما لم تحدث معجزة، ثم إنه أصيب به وهو في أوج عظمته وشبابه، وفي خضم انتصاراته على جيش أشور المدحور. واستعدادنا للموت لا يعجل به إطلاقا، وإنما يسهل أمره علينا، وأولئك المستعدون لمجابهة الموت هم الجديرين بالحياة: «أمريض أحد بينكم» (يع ٥: ١٣) عليه أن يصلي، فالصلاة ترياق لكل الجروح، الخاصة منها والعامة. فالآلام تدفعنا إلى كلمة الله والصلاة. حين كان حزقيا في تمام صحته صعد إلى بيت الرب ليصلي، وحين أقعده المرض في فراشه وجه «وجهه إلى الحائط» ولعل ذلك كان في اتجاه الهيكل. وستكون شهادة ضمائرنا أننا بنعمة الله سرنا بالأمانة والتواضع أمام الله، سبب تعزية عظيمة لنا حين نواجه الموت وجها لوجه. وعلى الرغم من أننا لا نعتمد على هذا كبرنا الذي نتبرر به أمام الله، إلا إنه يمكن أن يكون دليلا على اعتمادنا على بر الوسيط، يسوع المسيح. لم يطلب حزقيا مكافأة من الله لخدماته العظيمة، ولكنه بكل خشوع يلتمس من الله أن يتذكر كيف سار أمامه بصدق وأمانة: «سرت أمامك بالأمانة وبقلب سليم» أي بقلب مستقيم. ونفس النبي الذي أرسل إلى حزقيا لكي ينذره بالاستعداد للموت، هو ذاته الذي أرسل إليه بوعد لا يقتصر على الشفاء فقط، بل إنه سيعود إلى كامل عافيته ويعيش خمس عشرة سنة. وحين نصلي إلى الله أثناء مرضنا، فإنه على الرغم من أن الله قد لا يرسل لنا إجابة كتلك التي أرسلها إلى حزقيا، إلا أنه إذا كان بروحه القدوس يطلب منا أن نبتهج وألا نحزن، ويؤكد لنا أن خطايانا قد غفرت، وأن نعمته تكفينا، وأنه سواء عشنا أو متنا فنحن له، عندئذ لا يكون هناك مبرر للقول بأن صلاتنا ذهبت هباء. والله يجيبنا حين يزيدنا قوة في داخلنا (مز ١٣٨: ٣) على الرغم من أنها ليست قوة بدنية.

وإذا كان الله يعرف سؤل قلب حزقيال فقد وعده ليس بأنه سيعيش فحسب، بل ويشهد أيضا ازدهار أورشليم طوال حياته (مز ١٢٨: ٥). وإذ أنقذت أورشليم إلا أنها لاتزال في حاجة إلى الدفاع عنها ضد الأشوريين، لقد أعطى الله حزقيا تأكيدات متكررة عن نعمته، ومع ذلك، وكما لو أن هذا كله كان قليلا، فقد أعطيت له علامة كانت تتمثل في رجوع ظل الشمس على الساعة الشمسية (المزولة). والشمس مقياس أمين للزمن، والذي جعل هذه الساعة تدور بمقدوره أن يرجعها للخلف إذا شاء ذلك، لأن أبا الأنوار هو الذي يوجهها ويديرها.

عدد ٩– ٢٢

ترنيمة شكر حزقيا، التي كتبها بإرشاد إلهي بعد شفائه. كان بمقدوره أن يأخذ بعض مزامير داود أبيه، غير أن المناسبة لم تكن عادية، وإذ كان قلبه عامرا بالمشاعر التقوية الخالصة فقد فضل أن يرفعها إلى الله بكلماته هو. إنه أمر طيب أن نكتب مذكرات عن الشدائد التي تواجهنا، وعن حالة قلوبنا وهي تنوء برزئها– أن نحفظ سجلا للأفكار التي راودتنا أثناء مرضنا، ونعبر فيها عن شكرنا لله. وما تركه حزقيا هنا يشكل كتابة رائعة سطرها بمناسبة شفائه، ومع ذلك نجد في ٢أخبار ٣٢: ٢٥ أنه «لم يَرُد حزقيا حسبما أُنعم عليه». وقد نتخيل أن الانطباعات لاتزول أبدا، ومع ذلك يبدو أن هذا ما حدث فعلا. تقديم الشكر أمر طيب، إلا أن حياة الشكر أطيب. وفي كتابته، حيث اشتدت عليه وطأة المرض، وتملكه اليأس من الشفاء (ع ١٠– ١٣) فإنه:

أولا: ذكر لنا ما كان يعتقده عن حياته حين ظن في نفسه أنه ميت لا محالة. ولا ينبغي علينا أن نبالغ في سوء حالتنا، أو نعتقد بأن كل مريض لابد أن يناله الموت سريعا. فالذي يخفض يستطيع أن يرفع. وهكذا نرى داود في بعض الأحيان، حين ينقذ من ضيقة ألمت به، كان يسترجع الاحتمالات الكئيبة التي راودته عن حالته كلما صادفته المتاعب وما قاله حينئذ أثناء

شعورة بالخطر (انظر مزمور ٣١: ٢٢؛ ٧٧: ٧- ٩). كان حزقيا في ذلك الحين في التاسعة والثلاثين من عمره تقريبا، وكان يتطلع إلى أن يعيش لسنوات طويلة وسعيدة. أما هذا المرض الذي داهمه على حين غرة فلا محالة سيقضي عليه «في عز أيامه». وأنه أعدم «بقية» سنيه، ومعهما لن يحرم من مباهج الحياة فقط، بل من كل الفرص التي كان بمقدوره أن يخدم الله وجيله فيها. ونفس الشيء في الآية ١٢: «مسكني قد انقلع وانتقل عني كخيمة الراعي»، فقد طردت منه قسرا إذ هُدم في لحظة. فجسدنا يشبه خيمة الراعي، مسكن ضعيف متواضع بارد، يمكن أن يُهدم في لحظة. ولكنه مجرد انتقال إلى عالم آخر، حيث خيام قيدار التي هدمت، والتي كانت خشنة، كئيبة، بالية، لكنها سوف تقام ثانية في أورشليم الجديدة جميلة كستائر سليمان. وأضاف تشبيها آخر: «لففت كالحائك حياتي».. وليس معنى هذا أنه قطع خيط حياته بيده، بل، إذ أخبر بأنه لابد أن يموت، فقد اضطر أن يلغي كل مشروعاته، «مقاصدي إرث قلبي قد انتزعت» مثلما كان الحال بالنسبة لأيوب أيضا (أي ١٧: ١١). ولقد شُبهت أيامنا بوشيعة النساجين (أي ٧: ٦)، حيث تعبر ثم تعبر بسرعة شديدة، وكل رمية تترك وراءها خيطا، وبعد الانتهاء تقطع هذه الخيوط، وتؤخذ القطعة من على النول وتُعرض على سيدنا، لكي يحكم ما إذا كانت قد نسجت جيدا أم لا، «لينال كل واحد ما كان بالجسد بحسب ما صنع». ولكن مثل النساج، حين يقطع خيوطه، يكون قد أدى عمله، هكذا الرجل الصالح أيضا، حينما تُقطع حياته، تُقطع معها التزاماته ومسئولياته ويستريح من أتعابه. هل قلت «لففت كالحائك حياتي؟» كلا، لأن أيامي ليست في يدي، إنما هي في يد الله، وهو الذي «من النول يقطعني»، وهو الذي يحدد طول القطعة- أي مدة حياتي- وحين تصل إلى هذا الطول يقطعها. لقد ظن أنه في طريقه إلى باب القبر- والقبر أبوابه مفتوحة بصفة دائمة، لأنه لايزال يصرخ.. هاتوا.. هاتوا. وظن أنه قد حرم من عبادة الله وعمل الخير في العالم «قلت لا أرى الرب» (ع ١١)، بحسب ما يعلن عن نفسه في هيكله، «الرب في أرض الأحياء، لا أنظر إنسانا بعد»، لقد اعتقد حزقيا أنه لن يرى بعد الآن رعاياه، كما أنه لن يرى أيضا أصدقاءه. كما أن آلام الموت ستكون حادة جدا وقاسية. ثم استنتج أن الله عن طريق المرض سيكون «كالأسد هكذا يهشم جميع عظامي» (ع ١٣) بألم رهيب. واعتقد أن الصباح التالي هو أقصى ما يمكن أن يتوقعه بالنسبة لبقائه على قيد الحياة في ظل هذا الألم والبؤس. «النهار والليل تفنيني». وهكذا أيضا نحن، حين يصيبنا المرض دائما ما نميل إلى حساب المدة الباقية لنا في الحياة، غير أننا على الرغم من هذا كله نظل غير متأكدين تماما من مدتها. ويجب أن يتركز اهتمامنا بالأكثر على الكيفية التي يمكن أن نصل بها بسلام إلى العالم الآخر وليس التركيز على المدة المحتمل أن نعيشها في هذا العالم.

ثانيا: الشكاوى التي قدمها عندئذ (ع ١٤): «كسنونة مزقزقة هكذا أصيح» أصدر صوتا كالتي تصدره تلك الطيور حينما يعتريها الخوف. ويا له من تغيير ذاك الذي يولده المرض في وقت وجيز. البعض يعتقد أنه يشير بهذا إلى صلاته في محنته. فقد كانت الأنات تقطعها مرارا حتى أنها أصبحت تماثل بالأكثر زقزقة السنونة. هكذا كانت فكرته عن صلواته متواضعة للغاية، ومع ذلك كانت مقبولة لدى الله. وكان يهدر «كحمامة»، في حزن، ولكن في صمت وصبر. كان قد عرف أن الله مستعد أن يجيب صلواته، ولكن ذلك أمر اختبره في أوقات أخرى، أما الآن فقد «ضعفت» عيناه ومن أجل ذلك كان يصلي «يا رب قد تضايقت»، وعلى وشك الغرق، يا رب «كن لي ضامنا». تدخل يا رب بيني وبين أبواب القبر، التي أنا مسرع إليها. وعندما يأتي حكم الموت إلى داخل نفوسنا، فسوف نهلك ما لم تتعهد النعمة الإلهية بحملنا عبر وادي ظل الموت إلى المملكة السمائية على الجانب الآخر منه- ما لم يعمل المسيح كل ما نحتاج إليه والذي ليس بمقدورنا عمله بأنفسنا.

ثالثا: اعترافه بصلاح الله لشفائه وامتنانه نتيجة ذلك: «بماذا أتكلم فإنه قال لي»، لقد أرسل نبيه إليَّ لكي يخبرني بأنني سأشفى وأعيش أيضا مدة خمس عشرة سنة. «وهو قد فعل» ذلك بنفسه. وكان هذا العمل أكيدا كما لو كان قد تحقق بالفعل، لأنه لا تسقط كلمة واحدة من كلامه على الأرض. ومادام الله قد قال، فإنه كان واثقا من تحقيقه (ع ١٦)، أنت

«تشفيني وتحييني»، «أتمشى متمهلا كل سني من أجل مرارة نفسي»، كواحد يشعر بالندم على تذمري أثناء ضيقتي. وبعد أن يخلصني الله سأسير بفرح معه كشخص ذاق كرمه ورأفته. ولذلك سوف يشجع نفسه كما الآخرين أيضا بالاختبارات عن صلاح الله (ع ١٦): «بهذه»، الأمور التي عملتها معي «يحيون»، بنفس القوة والصلاح اللذين بهما شفيت، تحيا أنفس جميع الناس في الحياة. «وبها كل حياة روحي»، التي حفظت بما عمله الله من أجل حفظ حياتي. وقد أقيم من خطر عظيم (ع ١٧): «هوذا للسلامة قد تحولت لي المرارة». ذلك أنه عقب هزيمة سنحاريب اعتراه مرض مفاجئ الأمر الذي نغص عليه حياته، وبدا وكأنه يشعر بكرب الموت- مرارة، مرارة، ولا شيء سوى المر والأفسنتين. كانت هذه هي حالته حين أرسل له الله الخلاص. كان ذلك من محبة الله له «خلَّصني لأنه سر بي» (مز ١٨: ١٩)، والكلمة المستخدمة هنا تشير إلى محبة خالصة للغاية: «فديت من الحفرة حياتي»، هكذا الترجمة في الأصل. وهذا ينطبق على فدائنا بالمسيح، الذي في محبته ورحمته افتدانا. وتعزيتنا لحفظ أجسادنا تتضاعف إذا كان ذلك محبة لنفوسنا- حين يصلح الله البيت بسبب محبته للساكن. وكان ذلك نتيجة مغفرة الخطية: «فانك طرحت وراء ظهرك كل خطاياي»، وبذلك «تعلقت بنفسي من وهدة الهلاك»، وهذا نتيجة محبتك لنفسي. وحين نضع خطايانا أمام وجهنا في توبة صادقة، كما فعل داود حين كانت خطيته أمامه دائما، نجد أن الله يطرحها وراء ظهره. ولو كان مرضه هذا لموته، لوضع نهاية لسلسلة الخدمات التي يعملها من أجل مجد الله، ولصالح الكنيسة، تلك التي ينفذها الآن (ع ١٨). وإذ شُفي من مرضه، عقد العزم ليس على مواصلة هذه الخدمات فقط، بل على الإكثار في حمد الله وخدمته (ع ١٩): «الحي الحي هو يحمدك». ولا يتعين علينا فقط أن نحمده طوال حياتنا، بل «الأب يُعَرِّف البنين حقك»، حتى تعطي الأجيال القادمة المجد لله لأمانته، وذلك بالثقة فيه. ولا ريب أن حزقيا فعل ذلك بنفسه، وعلى الرغم من ذلك لم يمشي منسى ابنه في إثر خطواته. يمكن للآباء أن يعطوا أولادهم عطايا جيده، وتعليم جيد، وقدوة حسنة، كتب جيدة، غير أنهم لا يستطيعون أن يعطوهم النعمة.

رابعا: ونلاحظ درسين في العددين الأخيرين من هذا الأصحاح:

(١) أن مواعيد الله لا يقصد بها أن تبطل الوسائل، بل تحييها وتشجعها. كان حزقيا على ثقة من أنه سيشفى، ومع ذلك قال: «ليأخذوا قرص تين ويضمدوه على الدبل» (ع ٢١). فلا يجب علينا أن نضع الطبيب أو الدواء في مكان الله، بل نستخدمهما في إطار خضوعنا له ولعنايته. فلن يعينك الله ما لم تعن نفسك.

(٢) الغاية الأساسية التي يجب أن نرمي إليها في تمسكنا بالحياة والصحة هي أن نمجد الله، ونعمل الخير، وننمو في المعرفة والنعمة. ولما قصد حزقيا أن يسأل عن العلامة التي تدل على أنه سيشفى قال: «ما هي العلامة أني أصعد إلى بيت الرب» (ع ٢٢) لكي أمجده هناك؟ ولم يقل ما هي العلامة إني أشفى؟

الأصحاح التاسع والثلاثون

القصة التي تضمنها هذا الأصحاح سبق أن قرأناها أيضا في ٢ملوك ٢٠: ١٢- ١٩. وقد تكررت هنا، ليس لأنها فقرة جديرة بالذكر فقط، بل لأنها تنتهي بنبوة عن السبي في بابل، وكما أن الجزء السابق من نبوة هذا السفر كثيرا ما يشير إلى غزو سنحاريب، كذلك فإن الجزء الأخير من هذا السفر يتحدث كثيرا عن سبي اليهود في بابل وخلاصهم.

ونجد هنا:

أولا: كبرياء حزقيا وحماقته في إظهاره كنوزه لسفراء ملك بابل الذين أرسلوا لتهنئته على شفائه (ع ١ و٢).

ثانيا: استجواب إشعياء له واعترافه (ع ٣ و٤).

ثالثا: الحكم الذي صدر ضده بسبب ذلك، وهو أنه ستأتي أيام تُحمل فيها كل كنوزه إلى بابل (ع ٥- ٧).

رابعا: توبة حزقيا وخضوعه لهذا الحكم بكل صبر (ع ٨).

عدد ١ - ٤

تُعلمنا الإنسانية أن نفرح مع أصدقائنا وجيراننا

www.DIFAIAT.com

حين يفرحون، ولاسيما عند شفائهم من المرض. وحين سمع ملك بابل أن حزقيا قد شُفي من مرضه أرسل إليه يهنئه.

وكان أهل بابل يعبدون الشمس، وحين عرفوا أنه بسبب حزقيا رجعت الشمس عشر درجات في يوم كهذا، اعتقدوا أنهم ملزمون بأن يقدموا لحزقيا كل ما يستطيعون من إكرام. ولقد سعى ملك بابل لكسب ود حزقيا ليس لأنه تقي، بل لأنه كان ناجحا مزدهرا، على غرار ما فعله الفلسطينيون حين سعوا لعقد حلف مع إسحق (تك ٢٦: ٢٨). وكان ملك بابل عدوا لملك أشور، ولذلك كان يتودد إلى حزقيا ولاسيما أن أشور ضعفت للغاية بسبب قوة إله حزقيا. كان حزقيا رجلا حكيما وصالحا، غير أنه بعد أن صُنعت معه معجزة تلو أخرى، كان من الصعب عليه أن يحفظ قلبه من الوقوع في مصيدة الكبرياء. وكم كان أمرا سيئا بالنسبة لحزقيا، الذي أكرمه الله بهذه الدرجة، أن يمتلئ غرورا نتيجة الإجلال الذي أبداه نحوه ملك وثني كما لو أن ذلك يزيد من قدره. نحن إذا ما داخلنا الشك بأن خطية الكبرياء الخبيثة والماكرة قد عرفت طريقها إلى قلوبنا، علينا أن نخجل منها كما فعل حزقيا هنا.

عدد ٥ – ٨

لأن الله يحبنا فسوف يحملنا على الاتضاع. لقد بعث برسالة تأديبية إلى حزقيا، بأنه سيذل نتيجة كبرياء قلبه، وسوف يُحكم عليه نتيجة حماقته التي دفعته إلى ذلك. وحين تفاخر حزقيا بكنوزه قيل له إنه سلك مسلك المسافر الأحمق الذي تقابل مع شخص فأراه نقوده وذهبه ثم تبين أنه لص، ومن ثم أغراه على سرقته. ولو كان حزقيا قد عرف أن خلفاء ملك بابل هذا سيكونون بعد ذلك سبب دمار عائلته ومملكته، ما كان قد رحب بسفرائه بهذا الترحيب العظيم، وحين أخبره النبي بأن هذا ما سوف يحدث، لنا أن نتخيل مدى غضبه من نفسه لما عمله. أولئك المولعون بالتحالف مع الأشرار سوف يتحملون عاقبة ذلك، وسوف يندمون. حسب حزقيا نفسه سعيدا بصداقته لبابل، مع أنها كانت أم العهر والوثنية، غير أن بابل التي تخطب الآن ود أورشليم جاءت أيام وهزمتها وقامت بسبي أهلها. ولقد اعتبر حزقيا أن كلمة الرب صالحة وهي التي جعلته يعرف خطيته. وحين أخبر عن العقوبة التي ستنزل به نتيجة إثمه قال: «جيد هو قول الرب الذي تكلمت به».

الأصحاح الأربعون

بهذا الأصحاح يبدأ الجزء الأخير من نبوة هذا السفر، والتي لم تفصل فقط عن الجزء السابق بأصحاحات تاريخية جاءت بينهما، بل إنه تميز عنه في الهدف والأسلوب. فهذا حديث واحد متواصل، ولم يذكر فيه اسم النبي ولو مرة واحدة. أما ما سبق فكان مكونا من أثقال وويلات كثيرة، وأما هذا فيتكون من بركات عديدة. فالمحنة التي كان يئن منها شعب الله والتي سببها له الأشوريون، يتحدث عنها هذا الجزء باعتبارها شيئا مضى وانقضى (إش ٥٢: ٤)، وكذلك السبي في بابل وخلاصهم منه، لقد تم التنبؤ هنا بأحداث أكبر كثيرا وبإسهاب أكثر. وقبل أن يرسل الله شعبه إلى السبي زوده بوعود ثمينة لمساعدتهم في محنتهم، ولنا أن نتخيل كيف أن هذه الوعود كان لها أثر كبير في تخفيف دموعهم على أنهار بابل. غير أنها تتطلع إلى أبعد من ذلك، إلى أمور عظيمة، تتعلق بالمسيح ونعمة الإنجيل. كما لو أنه قصد بها أن تكون كملخص نبوي للعهد الجديد، حيث يبدأ بالعبارة التي بدأ بها الإنجيل وهي «صوت صارخ في البرية» (إش ٤٠: ٣)، ويختتم بنفس ما اختتم به سفر الرؤيا «السماوات الجديدة والأرض الجديدة» (إش ٦٦: ٢٢). وبينما كان النبي يتحدث عن خلاص اليهود، كان يعتمل في نفسه خلاصا أمجد وأعظم.

نجد في هذا الأصحاح:

أولا: أعطيت الأوامر للكرازة والإعلان عن الأخبار السارة الخاصة بالفداء (ع ١ و٢).

ثانيا: قدمت هذه الأخبار السارة بصوت صارخ في البرية، مما يعطي تأكيدا بأن كل العوائق ستزول (ع ٣– ٥)، ستترسخ وتكمل (ع ٦– ٨).

ثالثا: رجاء سار أعطي لشعب الله عن هذا الخلاص (ع ٩– ١١).

رابعا: تعظم سلطان الله وقوته (ع ١٢– ١٧).

خامسا: هكذا تم الانتصار على الأوثان ووبخ عبدة الأوثان على حماقتهم (ع ١٨– ٢٦).

سادسا: توبيخ لشعب الله بسبب خوفهم (ع ٢٧– ٣١).

عدد ١ و٢

صدر التكليف والتعليمات هنا، ليس لهذا النبي وحده، بل لكافة أنبياء الله، ولكل خدام المسيح بأن يعلنوا التعزية لشعب الله. وعليهم التأكد من أنه- على الرغم من كل شيء- فإن الله يحتفظ لهم برحمته. وكان ذلك يعد توجيها بصفة خاصة للأنبياء الذين سيعاصرون السبي، حين كانت أورشليم حطاما، عليهم أن يشجعوا المسبيين ويغرسوا فيهم الرجاء. ويذكر خدام الإنجيل هنا بخدمتهم، إذ أنهم يسعون -بمؤازرة الروح القدس- أن يعزوا المؤمنين ويدخلوا الفرح إلى قلوبهم.

أولا: كلمات معزية موجهة إلى شعب الله بصفة عامة (ع ١). فلقد تلقى الأنبياء تعليمات من إلههم بأنه من واجبهم تعزية شعب الله. فهناك في العالم شعب خاص بالله. ومشيئة الله أن يتعزى شعبه حتى في أسوأ الأوقات. فكلمات الإدانة، كتلك التي وجدناها في الجزء السابق من هذا السفر، يجب أن تتبعها كلمات تعزية، كتلك التي نحن بصددها الآن، لأنه هو الذي يجرح ويعصب.

ثانيا: كلمات معزية موجهة بصفة خاصة لأورشليم: «طيبوا قلب أورشليم» (ع ٢). لا تكلموها سرا، بل «نادوها»، عرفوا القديسين بتعزياتهم، وكذلك عرفوا الخطاة بتعدياتهم، اجعلوا أورشليم تسمع ذلك: «أن جهادها قد كمل». الوقت المحدد لعبوديتها، الحرب قد بلغت نهايتها الآن. فالحياة الإنسانية ما هي إلا جهاد صعب (أي ٧: ١)، وبالأكثر الحياة المسيحية. غير أن الجهاد لن يستمر دوما، فالعمل الشاق سوف يكمل، وحينئذ لن يدخل الجنود الصالحون إلى الراحة فقط، بل سيتيقنون من الحصول على أجرتهم. لقد أُزيل سبب متاعب أورشليم، وبهذا ستتوقف الآثار المدمرة لهذه الضيقات. قل لها أن «إثمها قد عُفي عنه»، وإن الله قد تصالح معها. ولا يمكن أن يقال شيء أكثر تعزية من «يا بني. مغفورة لك خطاياك» حينئذ تنتهي المتاعب في محبة طالما أن الخطية قد غفرت. «أنها قد قبلت من يد الرب» شفاء «كل خطاياها»، بدرجة كافية لأن تفصل بينها وبين أوثانها، والتي كانت عبادتها أعظم خطية أراد الله أن يخلصهم منها عن طريق سبيهم إلى بابل.

وقد تولدت فيهم كراهية أصيلة للوثنية، وكانت علاجا مضاعف القوة لتطهر ذلك الإثم. وأولئك التائبون الحقيقيون قد قبلوا فعلا -في المسيح وآلامه- «من يد الرب ضعفين» عن كل خطاياهم، وذلك لأن الترضية التي عملها المسيح بموته غير محدودة في قيمتها وفاعليتها حتى أنها كانت أكثر من ضعفين لسداد الدين الذي نشأ عن الخطية، لأن الله «لم يشفق على ابنه».

عدد ٣- ٨

إذ جاء الوقت ليعطي الله نعمة لصهيون، فعلى شعب الله أن يكون مستعدا، للنعم التي يريد الله أن يهبها لهم. وذلك بالتوبة والإيمان. ولدينا هنا «صوت صارخ في البرية»، وهذا ما يمكن أن يطبق على أولئك الأنبياء، مع المسبيين، الذين إذ رأوا يوم خلاصهم قد لاح نادوا عليهم بحرارة لكي يستعدوا له غير أنه «يجب» تطبيق هذه العبارة على يوحنا المعمدان، لأنه، على الرغم من أن الله هو المتكلم، إلا أنه كان هو «صوت صارخ في البرية»، ليعد، «طريق الرب»، ليهيئ أذهان الناس لقبول إنجيل المسيح، وذلك بالآتي:

أولا: بالتوبة عن الخطية، الأمر الذي كرز به يوحنا المعمدان لكل اليهودية وأورشليم (مت ٣: ٢، ٥)، وهكذا كان «يهيئ للرب شعبا مستعدا» (لو ١: ١٧). فالله آتٍ في طريق الرحمة، وعلينا أن نستعد له (ع ٣- ٥). وإذا ما طبقنا ذلك على سبيهم، فإن العبارة ستؤخذ على أنها وعد بأنه مهما كانت الصعاب في طريقهم عند عودتهم فإنها ستزال. وهذا الصوت في البرية يعين الممهدين للطريق لكي يقوموا بعملهم. وهذا هو الواجب الذي دعينا إليه، استعدادا لدخول المسيح إلى نفوسنا. وعلينا أن نصبح في إطار روحي يهيئنا لقبول المسيح وإنجيله: «أعدوا طريق الرب»، ولنقمع كل ما من شأنه أن يشكل عقبة أمام دخوله. افسحوا للمسيح مكانا: «قوموا... سبيلا لإلهنا». وأولئك الذين لم يستطيعوا الشعور بالتعزية في المسيح نتيجة قنوطهم وحزنهم هم «الوطاء» الذي يجب أن يرتفع. وأولئك الذين يعاقون عن أن يتعزوا في المسيح لغرورهم وكبريائهم هم الجبال والآكام التي يجب أن تنخفض. وأولئك الذين تحاملوا ضد الكلمة، ضد سبل

الله، هم المعوجون الذين يجب أن يصيروا مستقيمين. ومتى عمل ذلك عندئذ «يُعلن مجد الرب» (ع ٥). وحين يكون المسبيون مستعدين للتحرير، سوف يقوم كورش بإعلان ذلك. وحين قام يوحنا المعمدان بالكرازة بالتوبة لبعض الوقت، فإنه بهذا هيأ للرب شعبا مستعدا (لو ١: ١٧)، بعدئذ سيعلن المسيح نفسه في مجده، حيث يعمل المعجزات، وبنعمته يضمد ويشفي أولئك الذين جرحهم يوحنا بإدانته لهم. وإعلان هذا المجد الإلهي سيكون «نورا للأمم» ويراه كل بشر جميعا، وليس اليهود فقط، لأن العودة من السبي شاع ذكرها بين الأمم المجاورة (مز ١٢٦: ٢).

ثانيا: بالثقة في كلمة الرب وليس في أي مخلوق: باستكمال النبوات والوعود الخاصة بالخلاص، ظهر أن كلمة الله أكيدة. وأنه لا خوف من قوة الإنسان إذا ما تحدت الخلاص، لأنها ستكون عشبا أمام كلمة الرب، وتذبل وتداس بالأقدام.

فالبابليون المتبجحون يشبهون العشب. وحين تواجه قوة الإنسان الخلاص، فلا يجب التعويل عليها لأنها كعشب فحسب. وحين يكون الله على وشك عمل الخلاص لشعبه فإنه سيبعدهم عن الاتكال على البشر، وعن البحث عنه بين الجبال والآكام. وكلمة إلهنا، ومجد الرب الذي سيعلن الآن، الذي هو الإنجيل، والنعمة التي جاءت إلينا معه والتي عملت به فينا، سوف تظل إلى الأبد. ولكي نهيئ طريق الرب يجب أن نكون على قناعة بأن كل البشر عشب، واهن يابس. وعلى هذا فنحن لا نستطيع أن نخلص أنفسنا، وكل جمال المخلوق كزهر الحقل يذبل. ويتعين أن نكون مقتنعين أن كلمة الرب ستعطينا سعادة تبقى إلى الأبد.

عدد ٩- ١١

لقد وعد (ع ٥) أنه سوف «يُعلن مجد الرب».

أولا: كيف سيعلن (ع ٩): ستخطر به البقية التي تركت في صهيون وأورشليم، مساكين الأرض الذين كانوا كرامين ومزارعين، وسوف يقال لهم إن إخوتهم سيعودون إليهم. وسوف يخبر بذلك أيضا المسبيون الذين ينتمون إلى صهيون وأورشليم. ولقد قيل عن صهيون إنها «الساكنة في بنت بابل» (زك ٢: ٧)، وهناك تتلقى الأخبار الخاصة بإعلان كورش الكريم.

سوف يعلن بواسطة صهيون وأورشليم (هذا معنى النص): أي أولئك الذين يبقون هناك، أو الذين كانوا قد عادوا إلى هناك، ليعلنوا ذلك بأعلى صوتهم، ليرفعوا صوتهم «بقوة» ليقولوا إلى مواطني يهوذا ولكل سكان البلاد: «هوذا إلهك». هذا هو إلهنا الذي انتظرناه. وقد تكون هذه إشارة إلى الدعوة التي أرسلت من أورشليم إلى مدن يهوذا، فور أن أقاموا مذبحا، وذلك عقب عودتهم من السبي مباشرة، ليأتوا ويشاركوهم في ذبائحهم (عز ٣: ٢- ٤). ولكن هذا سيتحقق تماما بكرازة الرسل بالإنجيل علانية ودون خوف أو وجل لجميع الأمم بدءا من أورشليم.

ثانيا: ما هو هذا المجد الذي سيعلن: هوذا السيد الرب «بقوة يأتي»، بقوة عظيمة لا يمكن إعاقتها. على الرغم من أنه قد يلقى مقاومة. وسوف يحكم للجميع طبقا لأعمالهم كقاض عادل: «هوذا أجرته معه وعملته قدامه». وهو نفسه يعرف ما عليه أن يعمله. الله هو راعي إسرائيل (مز ٨٠: ١)، والمسيح هو «الراعي» الصالح. وكلمته طعام يتغذى عليها قطيعه، ووصاياه هي المراعي التي يرعون فيها، وخدامه هم مساعدو الراعي. وهو يهتم بالحملان الضعيفة التي لا تستطيع مساعدة نفسها، كما يهتم «بالمرضعات». والراعي الصالح يهتم بصغار المؤمنين بكل حب، بالمتجددين حديثا، بالمؤمنين الضعفاء، والحزانى والمساكين بالروح. هؤلاء هم حملان قطيعه، وسوف يردهم إذا ما ضلوا، أو إذا ما سقطوا كما سوف يجمعهم معا إذا ما تشتتوا، ثم يضمهم إلى نفسه أخيرا في بيته، وكل هذا «بذراعه» التي لن يستطيع أحد أن يخطف منها أحد (يو ١٠: ٢٨). وسوف يقودهم بكل حنان.

عدد ١٢- ١٧

هذه الأعداد تصف عظمة الرب يهوه إله إسرائيل، وقد كتبت لتشجيع شعبه الذين كانوا مسبيين في بابل، لكي ينتظروا الخلاص ويعتمدوا عليه في تحقيقه، ولكي تملأ بخوف مقدس ومخافة الرب أولئك الذين قبلوا أخبار الفداء السارة بيسوع.

أولا: قوته غير محدودة (ع ١٢):

(١) مقدرته واسعة النطاق: انظر إلى قبة السماء الهائلة، إلا أن الله العظيم «بكفه.. قاس السماوات».

وقد «كال بكفه المياه» مياه العالم كلها، بل إنه «كال بالكيل تراب الأرض».

(٢) قوته فائقة: فهو بكل سهولة ينقل الجبال كما ينقل التاجر بضائعه إلى الميزان، فهو يزنها بيده تماما كما لو كان يزنها بميزان.

ثانيا: حكمته لا تستقصى (ع ١٣ و١٤): وكما أنه ما من أحد يستطيع أن يعمل ما عمله الله، فهكذا أيضا ما من أحد يستطيع أن يشير عليه بشيء لم يطرأ له على بال. وحين خلق الله العالم (أي ٢٦: ١٣) لم يوجد من يقدم له أية نصيحة، بل وما احتاج هو إلى مشير لكي يوجهه في رئاسة العالم.

ثالثا: أمم العالم كلها لا شيء أمامه (ع ١٥ و١٧): فكل الأمم العظيمة والقوية، والملوك الأكثر جلالا وعظمة، وأكثر الممالك عددا من ناحية السكان، كذلك الجزائر، كل هذه أمامه «كنقطة من دلو»، و«كغبار الميزان» (حيث لا يؤثر في الوزن ولذلك لا يحسب له حساب)، هكذا أمامه كل تراب الأرض. «كل الأمم كلا شيء قدامه. من العدم والباطل تحسب عنده». فهو يستطيع بسهولة أن يجعلها كلها عدما، كما خلقها في البداية من العدم. كلها «باطل» عنده، وقد استخدمت الكلمة بمعنى خربة وخالية في تكوين ١: ٢. وهذا ما يبين عظم محبة الله للعالم، فمع أن العالم يعد لا شيء قدامه، ومع ذلك، فمن أجل خلاصه «بذل ابنه الوحيد» (يو ٣: ١٦).

رابعا: خدمات الكنيسة لا تستطيع أن تضيف إليه شيئا (ع ١٦): «لبنان ليس كافيا» لوقود المذبح، بل «وحيوانه ليس كافيا لمحرقة» (ع ١٦). فهو يسمو فوق كل البركات والتسبيحات، وكل المحرقات والذبائح.

عدد ١٨ – ٢٦

يوبخ النبي الفئات التالية:

- الذين يصنعون الأصنام ويقولون إنها تشبه الله ثم يقدمون لها فروض الولاء والإجلال.
- الذين يضعون المخلوقات في مكان الله، بل ويخافونها أكثر مما يخافونه، أو يحبونها أكثر مما يحبونه.

وقد جاء هذا التحدي هنا مرتين: «فبمن تشبهون الله؟» (ع ١٨)، وكذلك في آية ٢٥: «فبمن تشبهونني؟» وهذا ما يبين حماقة:

– عمل تماثيل مرئية لذاك الذي لا يرى، والظن بأن الآلهة تبعث الحياة فيها.

– من يساوون بين محبة الله ومحبة المخلوقات، فالمتكبرون يساوون أنفسهم بالله، ومن يحبون المال يجعلونه مساويا لله. ومهما كان الشيء الذي نقدره أو نحبه، أو نخافه، أو نأمل فيه أكثر من الله، فعندئذ نحن نجعل هذا الشيء (المخلوق) متساويا مع الله، وهذه أعظم إهانة لله يمكن ارتكابها. ولكي يوضح حماقة ذلك:

أولا: يصف النبي الأصنام بأنها لا تستحق إلا الاحتقار الشديد (ع ١٩ و٢٠): انظر إلى أفضل أنواعها، التي صُنعت من المعادن المعروفة، ثم صُبت في الشكل الذي يريده لها صاحبه، ثم طُليت بالذهب، أو غطيت برقائق من ذهب حتى إن من يراها يعتقد أنها تمثال ذهبي. إنها مصنوعة لأن الصانع قد صنعها، ولذلك «ليس هو إلها» (هو ٨: ٦). إنه زائف، لأنه ذهب من الخارج فقط، أما من الداخل فهو رصاص أو نحاس، فهل هذه تمثل الآلهة؟ و«الفقير» الذي بصعوبة يحصل على ذبيحة لكي يقدمها قربان للإله الذي ربما يكون قد صنعه، ومن حيث أنه لا يستطيع الحصول على واحد من النحاس أو الحجر فإنه يحصل على واحد مصنوع من الخشب إذ إن ذلك أفضل من لا شيء، وهو «ينتخب خشبا لا يسوس»، يصنع منه تمثاله المنحوت. أما النوع الأفضل، فله سلاسل فضية تثبت على التماثيل، وعلى الرغم من أنه قد لا يكون سوى تمثال خشبي، فيجب العمل على ألا «يتزعزع». كيف أن عبدة الأوثان هؤلاء يشينون عقولهم ومنطقهم، ذلك أنهم بأحلامهم أن الآلهة التي صنعوها (سواء من النحاس، أو الخشب) يجب أن تكون قادرة على تقديم العون لهم. ونرى هنا كيف أن هؤلاء الوثنيين يخجلوننا، نحن الذين لا نعبد سوى الإله الحقيقي الحي وحده؛ بينما ينفقون على أوثانهم بلا حساب، نحن نعتبر ما يُصرف على خدمة إلهنا إنما يضيع هباء.

ثانيا: يصف الله بأنه عظيم بلا حدود، وجدير بأقصى آيات التبجيل والاحترام. ولكي يثبت عظمة الله فقد لجأ إلى:

www.DIFAAIT.com

(١) ما سمعوه عنه بسمع الأذن (ع ٢١): «ألا تعلمون؟» من نور الطبيعة؟ «ألم تُخبروا من البداءة؟» طبقا للتقليد الثابت الذي تسلموه من أجدادهم وأسلافهم؟ «ألم تفهموا؟» أنه دائما ما يعترف منذ تأسيس الأرض أن الله إله عظيم، وهو ملك عظيم يسمو على كل الآلهة؟ إن «أموره غير المنظورة تُرى منذ خلق العالم مدركة بالمصنوعات...» (رو ١: ٢٠). لا يكفي أن تسأل أباك وشيوخك فقط (تث ٣٢: ٧) بل اسأل «عابري السبيل» (أي ٢١: ٢٩) واسأل أول رجل تقابله. فالله يسيطر على كل الخلائق. فالسماء والأرض تحت سلطانه، فهو «الجالس على كرة الأرض» (ع ٢٢). ولا يزال «ينشر السماوات»، وسيفعل ذلك حتى يأتي اليوم الذي يلتفون فيه معا كدرج. وهو ينشرها بسهولة مثلما نجذب نحن ستارة، حيث نفتح هذه الستائر في الصباح ثم نضمها معا (نغلقها) ثانية في الليل. والسماء بالنسبة لهذه الأرض «كخيمة للسكن»، بأنها غطاء مفروش فوق رؤوسنا. والسكان العديدون لهذه الأرض هم في نظره كالجراد الصغير في نظرنا، صغير جدا، ويُسحق بسهولة وإذا كان الجواسيس اعتقدوا أنهم كالجراد في عيون بني عناق (عد ١٣: ٣٣)، فماذا نكون نحن أمام الإله العظيم؟ والجراد لا يعيش سوى فترة بسيطة، ويعيش بإهمال، وليس مثل النملة، وهكذا الحال أيضا بالنسبة لمعظم الرجال. وأولئك الذين يقفون ضده من المؤكد أنهم سيصرعون بواسطة يد الله القوية (ع ٢٣ و٢٤): «لم يُغرسوا بل لم يُزرعوا ولم يتأصل في الأرض ساقهم»، لن يستمروا طويلا في قوة.

(٢) استند إلى ما رأته عيونهم عنه «ارفعوا إلى العلاء عيونكم» (ع ٢٦) لا تحصروا دائما تفكيركم في هذه الأرض، بل تطلعوا إلى العلاء بعض الشيء. انظروا أنوار السماوات المجيدة، تأملوا من الذي خلقها. فما نراه من المخلوقات يجب أن يقودنا إلى الخالق. وعندما رأى الوثنيون جند السماء، لم يتطلعوا إلى أبعد من ذلك، بل عبدوها (تث ٤: ١٩). «من الذي يخرج بعدد جندها»، كما يسحب القائد كتائب جيشه وفرقه، فهو «يدعو كلها بأسماء» (مز ١٤٧: ٤)، و«كونه شديد القدرة لا يفقد أحد»، بل يعمل كل واحد الأمر الذي عُين له.

عدد ٢٧ - ٣١

أولا: يوبخ النبي شعب الله، المسبيين في بابل لعدم إيمانهم بالله وعدم ثقتهم فيه (ع ٢٧): «لماذا تقول يا يعقوب» لنفسك ولمن هم حولك: «قد اختفت طريقي عن الرب؟»

(١) الألقاب التي يطلقها عليهم هنا كافية لخزيهم بسبب عدم ثقتهم: «يا يعقوب»، «يا إسرائيل». وهم يحملون هذه الأسماء- كشعب الله، شعب دخل في عهد معه.

(٢) الأسلوب الذي وبخهم به هو إقناعهم بالحجة والمنطق. وكثير من مخاوفنا الحمقاء ستتلاشى أمام فحص دقيق عن أسبابها.

(٣) تكلموا عن الله كما لو أنه نبذهم.

(٤) الكلمة المحبطة التي رددوها كانت تدل على يأسهم من حالتهم الراهنة. وكانوا قد استخلصوا:

أ. أن الله لن يعيرهم اهتماما: «قد اختفت طريقي عن الرب». فقد ظنوا أن محنتهم والصعاب التي يواجهونها سوف يستعصى معالجتها حتى على الحكمة الإلهية وقوة الله الفائقة.

ب. أن الله لن يستطيع مساعدتهم: «وفات حقي إلهي»، فحالتي لا خلاص منها، حتى إن الله نفسه لن يستطيع إزالة الظلم الذي لحق بي.

ثانيا: ذكرهم بما يكفي لإسكات مخاوفهم وعدم ثقتهم. ولإقناع عبدة الأوثان (ع ٢١)، فقد استند إلى ما عرفوه. فيعقوب (إسرائيل) كانوا شعبا تتوافر لهم المعرفة، وقد حصلوا عليها عن طريق السمع. ومن بين أمور كثيرة فقد سمعوا أن «مرة واحدة تكلم الرب وهاتين الاثنتين... أن العزة لله» (مز ٦٢: ١١). وفي حقيقة الأمر فقد سمعوا ذلك مرات عديدة.

(١) هو نفسه إله قوي: ولابد أن يكون هكذا، لأنه «إله الدهر»، ولذلك فهو لا يضعف ولا يهن. وليس له بداية أو نهاية ولذلك فهو لا يتغير. وهو أيضا «خالق أطراف الأرض». ولذلك فهو ضابط الكل العادل، ولذلك فهو قادر على أن يخلص كنيسته بنفس قدرته التي خلق بها العالم في البداية. «ليس عن فهمه فحص»، بحيث يستطيع أحد أن يهزم مقاصده. وليس بمقدور أحد القول: إن حكمة الله لا تستطيع أن

تصل إلا إلى هذا الحد. «لا يكل ولا يعيا»، وهو يدعم الخليقة كلها، وهو يسيطر على جميع المخلوقات، وله قدرة على أن يخلص كنيسته حينما تخور.

(٢) يعطي قوة لشعبه، ويعينهم على مساعدة أنفسهم. فذاك الإله القوي هو قوة إسرائيل.

أ. يستطيع أن يساعد الضعيف (ع ٢٩).

ب. يساعد من يتطلع إلى معونته، وسوف يساعد أولئك الذين في اتكال متواضع عليه، يساعدون أنفسهم، ويصنع إحسانا لأولئك الذين يبذلون قصارى جهدهم (ع ٣٠ و٣١). «الغلمان» و«الفتيان» أقوياء، غير أنهم ميالون إلى الاعتقاد بأنهم أقوى من حقيقتهم، ولذلك «يعيون ويتعبون» في صراعاتهم وتحت أثقالهم، وسرعان ما يدركون حماقة اتكالهم على أنفسهم. «وأما منتظروا الرب»، فبالإيمان يتكلون عليه ويسلمون أنفسهم لإرشاده، ولذلك سيجدون أن الله لن يخذلهم. وسوف تعطى لهم نعمة تكفيهم. «فيجددون قوة». وسيكون «عضدهم في الغدوات» (إش ٣٣: ٢). وسوف يرتفعون إلى أعلى تجاه الله. ومشاعر التقوى والورع هي أجنحة النسور التي ترتفع بها النفوس التقية (مز ٢٥: ١). سوف يتقدمون للأمام.. نحو السماء. يمشون ويجرون في طريق وصايا الله، مبتهجين ومسرعين.

الأصحاح الحادي والأربعون

قصد بهذا الأصحاح إدانة الوثنيين وتعزية أولئك الذين يعبدون الله بأمانة. وعلى الرغم من أن هذا ربما قصد به، وبصفة أساسية إدانه البابليين، وتعزية الإسرائيليين، إلا أنه مما لا ريب فيه، أنه قصد به أن يكون نصيحة وتشجيعا لنا.

أولا: يبين الله بواسطة النبي حماقة أولئك الذين يعبدون الأوثان (ع ١– ٩).

ثانيا: يشجع الأمناء من شعبه على الثقة فيه (ع ١٠– ٢٠).

ثالثا: تحدي الأوثان (ع ٢١– ٢٩). وعلى ذلك يمكن تلخيص الأصحاح في تلك العبارة التي قالها إيليا: «إن كان الرب هو الله فاتبعوه وإن كان البعل فاتبعوه» (١مل ١٨: ٢١).

عدد ١– ٩

تعد عناية الله لشعبه إسرائيل المتمثلة في تعيين كورش ليخلصهم من أعدائهم دليلا على ارتفاعه على كل الأوثان وعلى قوته القادرة على حماية شعبه:

أولا: تحدٍ عام للذين يعبدون الأوثان: وقد تكرر في آية ٢١: «قدموا دعواكم»، لقد انعقدت المحكمة، وقد أُرسلت النداءات إلى الجزائر. وقد طُلب الالتزام بالصمت (كما هي العادة) حين يُفحص الأمر: «انصتي إليَّ»، ولا تحكموا على شيء قبل الأوان. ولقد أُستدعي الدفاع لكي يُخرج ما في جعبته دفاعا عن الوثنية: «ولتجدد القبائل قوة» في معارضتهم لله. «ليقتربوا» دفاعا وتكريما لأصنامهم، «ثم يتكلموا. لنتقدم معا إلى المحاكمة».

ثانيا: تحدى الله الأصنام بصفة خاصة أن يحققوا لعابديهم ما عمله هو، وسوف يعمله لمن يعبدونه:

(١) وما يجب تأكيده هنا هو الآتي:

أ. أن الرب هو الله وحده: «الأول ومع الآخرين أنا هو» (ع ٤)، وأنه غير محدود، أزلي، لا يتغير، وأنه حكم العالم منذ البداية، وسوف يفعل ذلك حتى نهاية الزمن.

ب. إن «إسرائيل» هو عبده (ع ٨)، الذي سوف يحميه ويستخدمه، والذي تمجد فيه وسوف يتمجد أيضا.

(٢) ولكي يثبت هذا أوضح:

أ. إنه هو الذي دعا إبراهيم، أبا هذه الأمة المحتقرة– لكي يخرج من بلد تعبد الأوثان. وهو الذي أنهضه الله «من المشرق»، والذي قالت عنه الترجمة الآرامية التفسيرية: «مَنْ الذي أحضر إبراهيم علانية من الشرق؟» وللمحافظة على كرامة شعب إسرائيل، كان من الملائم جدا الإشارة إلى جدهم الأكبر، يسمي الرب إسرائيل «نسل إبراهيم خليلي» (ع ٨). وكذلك ليخزي وثنية الكلدانيين كان من اللازم أن يبين كيف استدعى إبراهيم من خدمة آلهة أخرى (يش ٢٤: ٢ و٣) وأيضا لتشجيع المسبيين في بابل على الثقة في الله بأنه سيجد وسيلة لعودتهم إلى بلادهم. كان من المفيد أن يذكرهم كيف دعا أباهم إبراهيم من نفس البلاد إلى هذه الأرض، لكي يعطيها له ميراثا (تك

١٥: ٧). دعي في البر « فآمن إبراهيم بالله فحسب له برا »، وهكذا أصبح أبا لكل الذين بالإيمان بالمسيح جُعلوا « بر الله فيه » (٢كو ٥: ٢١؛ راجع أيضا تك ١٨: ١٩؛ رو ٤ : ٣، ١١). لقد أنهضه الله « من المشرق » من « أور » أولا، وبعد ذلك من « حاران »، التي تقع شرقي كنعان. أنهضه من الإثم وجعله تقيا، ومن شخص مغمور جعله مشهورا. دعاه لخدمته، وليتبعه بإيمان كامل، لأنه خرج « وهو لا يعلم إلى أين يأتي ». ولم يكن يعرف سوى ذاك الذي يتبعه (عب ١١: ٨). نحن جميعا علينا إما أن نخدمه أو نصير موطئا لقدميه. « دفع أمامه أمما »، وقد اعترفت به شعوب كنعان والحثيين بأنه رئيس قوي (تك ٢٣: ٦). « وعلى ملوك سلطه »، الملوك الذين هزمهم لينقذ أخاه لوط (تك ١٤). « جعلهم كالتراب بسيفه وكالقش المنذري بقوسه. طردهم. مَرَّ سالما » أو في سلام تحت الحماية الإلهية.

ب. إنه هو الذي سوف يقيم كورش من الشرق. وقد تم الحديث عن هذا الأمر كأمر حدث فعلا، « أنا قد أنهضته بالنصر » (إش ٤٥: ١٣). « عند رجليه ».. أي يستخدمه كيفما يتراءى له، ويعطيه النصرة على الشعوب التي تعارض رئاسته. وهو بذلك سيرمز إلى المسيح، الذي هو البر نفسه، الذي سيقيمه الله في ملء الزمان ويجعله منتصرا على كل قوى الظلام.

ثالثا: يفضح الله حماقة عبدة الأوثان، الذين بكل عناد يصرون على عبادة آلهتهم « نظرت الجزائر » (ع ٥) ليس فقط ما فعله الله لإبراهيم نفسه، ولكن ما فعله لنسله أيضا، كيف أخرجهم من مصر، « وعلى ملوك سلطه »، « يسمع الشعوب فيرتعدون » (خر ١٥: ١٤- ١٦). « ارتعدت. اقتربت وجاءت »، غير أنه- بدلا من أن يحثوا بعضهم البعض على ترك عبادة الأوثان، ساعد كل منهم الآخر على التمسك بها (ع ٦ و٧). قال كل واحد لأخيه « تشدد »، لنتفق بالإجماع على المحافظة على سمعة آلهتنا. وثمة صانع يشجع آخر على الدخول في حلف للمحافظة على المهنة النبيلة الخاصة بصناعة الآلهة. ولم يلجأوا إلى آلهتهم القديمة طلبا لحمايتهم فقط، بل عملوا « آلهة جديدة » (تث ٣٢: ١٧). ولذلك فإن « النجار » بعد أن أنهى الأعمال الخشبية، « شدد » الصائغ لكي يقوم بعمله من حيث الطلاء بالذهب أو تغطيتها بالرقائق الذهبية، وبعد أن صارت في يد الصائغ « الصاقل بالمطرقة » لكي يصقلها، تعجّل ذاك « الضارب على السندان قائلا عن الإلحام هو جيد ». ولعل هذه كانت العملية الأخيرة بالنسبة للوثن، وبعد ذلك « مكّنه بمسامير » وقال له، ها هو خذه فقد أصبح إلها.

رابعا: يشجع شعبه على الوثوق به (ع ٨ و٩): « وأما أنت يا إسرائيل عبدي ». الوثنيون يضعون أنفسهم تحت حماية هذه الآلهة التي لا قوة لها. والذين يصنعونها هم مثلها، وهكذا يكون أيضا كل من يثق فيها « وأما أنت يا إسرائيل »، فأنتم عبيد سيد أفضل.

هم عبيد الله الذي « اختارهم » ليكونوا شعبا خاصا له. فهم نسل إبراهيم خليله. كان شرفا لإبراهيم أن يُدعى « خليل الله » (يع ٢: ٢٣). ولقد كان شعب إسرائيل محبوبا من أجل أبيهم. فلم ينبذهم بعد، على الرغم من أنهم كثيرا ما أغاظوه، ولكنه لن يتركهم الآن من أجل أبيهم.

عدد ١٠ – ٢٠

إن القصد من هذه الأعداد هو إزالة مخاوف عبيد الله في محنهم وتشجيع إيمانهم. ولعل المقصود منها بالدرجة الأولى دعم إسرائيل الله، في السبي، غير أن كل الذين يعبدون الله بأمانة، وبالصبر والتعزية بما في الكتب يكون لهم « رجاء ». وثمة كلمة تحذير ومشورة وتعزية، تكرر كثيرا جدا « لا تخف »، وكذلك في العددين ١٣ و١٤ « لا تخف ». فإنه لمما يتعارض مع فكر الله أن يكون شعبه جبانا.

أولا: يمكنهم الاعتماد على وجوده معهم كإلههم. « عضدتك بيمين بري »، سرت ويدي في يدك (كما يترجمها البعض) كمرشد لك. وهو يعضدنا في ضعفنا، ويشجعنا، ويمسكنا بيده اليمنى (مز ٧٣: ٢٣). وهو يزيل مخاوفنا: « القائل لك لا تخف ». ولقد كرر ذلك القول كثيرا في كلمته، ولكنه سيذهب إلى أبعد من ذلك، فإنه سوف يهمس بها في قلوبهم بروحه القدوس.

ثانيا: على الرغم من أن أعداءهم قد يكونون الآن مرعبين جدا، إلا أنه سيأتي اليوم الذي فيه يتصدى

الله لهم. هناك من أوغرت صدورهم ضد شعب الله «جميع المغتاظين عليك» (ع ١١)، والذين يحاربونهم (ع ١٢)، ويكرهونهم. لكن لينتظر شعب الله الوقت الذي حدده الله. لأنهم سيقتنعون بغباء محاربتهم شعب الله. «سيخزى ويخجل»، الأمر الذي كان يجب أن يؤدي بهم إلى التوبة، ولكنه على النقيض من ذلك ملأهم غضبا. سوف يدمرون وينتهي أمرهم (ع ١١): «يكون كلا شيء» أمام عدل الله وقوته. وقد تكرر هذا في الآية ١٢.

ثالثا: هم أنفسهم سيصبحون مصدر رعب لأولئك الذين يرعبونهم الآن، وسيصبح النصر حليفهم (ع ١٤– ١٦)، لقد هُزم يعقوب وإسرائيل وأُذلوا. إنه «دودة يعقوب» الصغيرة جدا، والضعيفة، وهكذا لا تستطيع الدفاع عن نفسها، ويداس عليها بالأقدام، واضطرت للزحف إلى داخل الأرض لتحمي نفسها. وملك يعقوب يصف نفسه بأنه «دودة لا إنسان» (مز ٢٢: ٦). وشعب الله يكونون في بعض الأحيان كالدود، ولكنهم لا يكونون مثل الأفاعي كأعدائهم، ليسوا من نسل الحية. لقد نظر الله إلى حالة يعقوب الوضيعة وقال: «لا تخف يا دودة يعقوب»، لا تخف من أن تتعرض للسحق «يا شرذمة إسرائيل» (أنتم قليلو العدد، كما يقول البعض أو ضعفاء، كما يقول آخرون): لا تستسلموا باعتبار أنه لا محالة مقضي عليكم. كيف يقوم يعقوب فإنه صغير؟ ولكن ذكر لنا هنا «أنا أعينك يقول الرب». وإنه مجد لله أن يعين الضعيف، وسوف يعينهم الرب بإعطائهم القدرة على أن يساعدوا أنفسهم وبأن يجعل يعقوب «نورجا». ويجب أن نلاحظ هنا أنه مجرد وسيلة، آلة في يد الله. ولكن إذا ما جعله الله نورجا، فإنه يجعله صالحا للاستعمال «محددا.. ذا أسنان»، أو شوكات حادة، وبعد ذلك فإنه بتوجيه الله وقوته فإنه يدرس «الجبال»، أعلى وأقوى أعدائكم وأكثرهم عنادا. ويواصل التشبيه المجازي (ع ١٦). وبعد أن تدرسهم «تسحقها وتجعل الآكام كالعصافة». وقد تحقق هذا بصفة جزئية في الانتصارات التي حققها اليهود في زمن المكابيين، غير أنه يبدو وأنها تشير إلى المصير النهائي لكل أعداء كنيسة الله الحاقدين. وذلك في انتصارات صليب المسيح على قوى الظلام، «ومن يغلب... فسأعطيه سلطانا على الأمم» (رؤ ٢: ٢٦).

رابعا: ستكون لهم تعزيات كثيرة في الله، وسيتمجد الله كثيرا من خلالهم: «وأنت تبتهج بالرب». «بقدوس إسرائيل تفتخر» وذلك بما عمله من أجلك.

خامسا: إذا ما تطلب الأمر، فإن الله سيصنع لهم ما سبق أن عمله لإسرائيل في مسيرتهم من مصر إلى كنعان (ع ١٧– ١٩). وحين يحتاج المسبيين، سواء في بابل أو في طريق عودتهم من هناك، إلى ماء أو مأوى، فسوف يهتم الله بهم. وعودتهم من بابل كانت ترمز إلى فدائنا بواسطة المسيح. وهكذا فإن هذه الوعود:

(١) قدمت بواسطة إنجيل المسيح.. فهذا الإعلان الإلهي المجيد عن محبته أعطى تأكيدا قويا بأن الله دبر ما يكفي لكل احتياجاتهم واستجابة جميع صلواتهم.

(٢) تنطبق بنعمة المسيح وروحه القدوس على جميع المؤمنين، بأنهم سيتعزون في طريقهم، وسيحظون بسعادة كاملة في النهاية. وقد افترض هنا أن شعب الله، أثناء رحلتهم إلى هذا العالم كانوا دائما يواجهون المحن والمصاعب: «البائسون والمساكين طالبون ماء ولا يوجد». المساكين بالروح جياع وعِطاش إلى البر. ونفس الإنسان تبحث عن الشبع في أي مكان، لكن سرعان ما يصيبه اليأس من وجوده في العالم. وقد جاء الوعد هنا أنه سيرفع عنهم كل أذى: «أنا الرب أستجيب لهم»، سأكون معهم كما كنت دائما في محنهم. وطالما نحن في برية هذا العالم فسوف يكون هذا الوعد بالنسبة لنا تأكيد على وجود الله معنا مثلما كان عمود السحاب والنار لإسرائيل. سيعطيهم ماء عذبا، مثلما سبق وفعل مع إسرائيل، حتى في الأماكن التي لم يكونوا يتوقعونها (ع ١٨): «أفتح على الهضاب أنهارا»، أنهار نعمة وأنهار بهجة ومسرة، «أنهار ماء حي»، الذي قاله عن الروح (يو ٧: ٣٨ و٣٩). فالكرازة بالإنجيل في العالم حولت القفر إلى ينبوع ماء: «أجعل في البرية الأرز» (ع ١٩)، وذلك لكي يعبروا في راحة وبهجة كما يسير الإنسان في بستانه. وهذه الأشجار ستكون لهم مأوى من الحر،

www.difa3iat.com

كما كان عمود السحاب بالنسبة لإسرائيل. وهكذا أيضا يكون المسيح ونعمته بالنسبة للمؤمنين. وحين يقيم الله كنيسته في برية الوثنيين، سوف يطرأ تغيير كبير في صفات الناس كما لو أن الشوك والحسك قد تحول إلى أرز. سوف يرون ويقرون بأن الله هو الذي فعل هذا (ع ٢٠): «لكي ينظروا» ويعرفوا أن هذا التغيير الرائع هو فائق للطبيعة، ولذلك فلابد وأنه جاء من قوة أسمى.

عدد ٢١ - ٢٩

يكرر الرب- من خلال النبي- تحديه للوثنيين: «قدموا دعواكم» (ع ٢١)، «أحضروا حججكم» التي تثبت أن أوثانكم آلهة جديرة بالعبادة.

أولا: تحدي للأوثان بأن تقدم الدليل على معرفتها وقوتها. والفهم والقوة العاملة هي من سمات الإنسان، ومن يدعي أنه إله لابد وأن تتوفر فيه هذه السمات لدرجة الكمال.

(١) إنها لا تستطيع أن تخبرنا بشيء لم تسبق لنا معرفته، لذا فهي تتسم بالجهل التام. ونحن نتحداها أن تخبرنا عن:

أ. أحداث سابقة: «ما هي الأوليات». ما الذي سبق لها أن عملته مما هو جدير بالذكر؟

ب. ما الذي سيحدث، «يخبرونا بما سيعرض» (ع ٢٢)، وتكرر ذلك في آية ٢٣. وما من مخلوق بوسعه أن يخبرنا عن الأمور الآتية بصورة مؤكدة إلا بالوحي الإلهي.

(٢) إنها لا تستطيع أن تعمل شيئا نعجز نحن عن عمله، ذلك أنه لا قوة لها إطلاقا. وما أدينت به هذه الأوثان هو أنها «من لا شيء» (ع ٢٤) وعملها «من العدم»، وهكذا أيضا الضجة التي تثار حولها. وعلى ذلك «رجس هو الذي يختاركم» أو يقدسكم. وربما يكون العبد حرا في اختيار سيده، غير أن الإنسان ليس حرا في اختيار إلهه.

ثانيا: يقدم الله هنا دليلا على أنه الإله الحقيقي، وليس هناك آلهة أخرى سواه.

(١) قوته لا تقاوم: وهذا ما سوف يظهره قريبا في إقامة كورش، الذي هو رمز للمسيح «قد أنهضته من الشمال.. من مشرق الشمس» (ع ٢٥). وكان كورش من ناحية أبيه من «مادي»، ومن ناحية أمه من «الفرس»، وكان جيشه يتكون من الماديين الذين تقع بلادهم شمالي بابل، ومن الفرس الذين تقع بلادهم شرقها. سوف يقيمه الله ويعطيه قوة عظيمة، فيقوم ضد بابل لأهداف شخصية، ولكنه:

أ. سوف «يدعو» باسم الله. وهكذا فعل كورش حين اعترف- في إعلانه الخاص بإطلاق اليهود- أن الرب إله إسرائيل هو الله.

ب. ستنهار كل معارضة أمامه: «يأتي على الولاة كما على الملاط وكخزاف يدوس الطين». والمسيح- كإنسان- أقيم من الشمال، لأن الناصرة تقع في الأجزاء الشمالية من كنعان، وكملاك العهد، صعد من المشرق. عمل من أجل مجد السماء «يدعو باسمي»، وداس على رئيس مملكة الظلام كمن يدوس الطين.

(٢) له رؤية ثاقبة منزهة عن الخطأ: وهذه خاصية تفتقر إليها كل الآلهة الكاذبة المزيفة.

أ. إنه يتحداها وكهنتها وعرافيها أن تثبت معرفتها وألوهيتها (ع ٢٦)

ب. أفرد لنفسه شرف المعرفة والتنبؤ (ع ٢٧). أنا هو الذي «لأورشليم جعلت مبشرا». وهذا ينطبق على عمل الفداء، الذي به أعطانا الرب الأخبار السارة الخاصة بالمصالحة مع الله.

ثالثا: صدر الحكم على أساس هذه المحاكمة:

(١) ليس من بين هذه الأصنام ما تنبأ عن هذا العمل العجيب. وثمة أمم أخرى إلى جانب اليهود حررها كورش من السبي في بابل، ومع ذلك ليس من بينها أي شعب أعطي أية معرفة به مقدما، بواسطة أحد من آلهتهم أو أنبيائهم. وليس من بين آلهة الأمم من بيَّن لمن يعبدونه طريق الخلاص، الذي بيَّنه الله لنا بواسطة المسيح.

(٢) ليس بين الذين يدافعون عن هذه الآلهة من يستطيع أن يقدم لنا مثالا على معرفتها أو قوتها يتضمن دليلا ولو واهيا على أنها آلهة. ولذلك يجب أن تحل الدينونة على هؤلاء المدافعين عنها لأنهم لا يتكلمون.

(٣) لذلك صدر الحكم مطابقا للاتهام الذي وجه ضدهم (ع ٢٤).

www.DIFA3IAT.com

الأصحاح الثاني والأربعون

يبدو أن النبي مازال يعرض للنبوة المتعلقة بالمسيح ومملكته ويتخذ كورش رمزا له.

ونجد هنا:

أولا: نبوة عن مجيء المسيح في تواضع، ومع ذلك في قوة (ع ١- ٤).

ثانيا: عرض لإرساليته التي تسلمها من الآب (ع ٥- ٩).

ثالثا: الفرح الذي سيُقابَل به هذه الأخبار السارة (ع ١٠- ١٢).

رابعا: نجاح الإنجيل، والإطاحة بمملكة الشيطان (ع ١٣- ١٧).

خامسا: رفض اليهود لعدم إيمانهم (ع ١٨- ٢٥).

عدد ١ - ٤

نحن نثق أن هذه الأعداد إنما تتحدث عن المسيح، لأن متى البشير يعلن لنا بكل صراحة أن فيه تحققت هذه النبوة (مت ١٢: ١٧- ٢١).

أولا: ثقة الله الآب فيه:

(١) الله يعترف به: «هوذا عبدي». على الرغم من أنه ابن، غير أنه كوسيط ظهر «آخذا صورة عبد».

(٢) باعتبار أنه هو الذي اختاره: «مختاري...». فالحكمة الأزلية هي التي حددت هذا الاختيار ثم جاهرت به.

(٣) كمن أولاه ثقته: «وضعت روحي عليه»، لكي تمكنه من إتمام مهمته (إش ٦١: ١).

(٤) كمن أولاه عنايته: «هوذا عبدي الذي أعضده». لقد عضده الآب وقواه. كانت مسرته فيه منذ الأزل.

ثانيا: مؤهلاته لإرساليته العظمى: «روح السيد الرب عليَّ» (إش ٦١: ١) لكي يمكنه من الاضطلاع بمهمته.

ثالثا: العمل الذي تعين له: «فيخرج الحق للأمم»، أي ليقيم ديانة في العالم ينضم الأمميون تحت لوائها، ويتمتعون ببركاتها.

رابعا: الوداعة واللطف اللذان يجب أن يتبعهما في إرساليته (ع ٢ و٣). فسوف ينفذ مهمته في صمت. لن تكون ثمة أبواق تصوت أمامه، أو أية حاشية صاخبة تتبعه. ولن يحارب المقاومة التي يلقاها، لكنه بصبر «احتمل من الخطاة مقاومة لنفسه». وملكوته ملكوت روحي ومن ثم فاسلحته ليست جسدية، وليست الأبهة مظهرا له. سوف يكون صبورا مع الأشرار حين يبدأ في سحقهم وبذلك يصبحون كقصبة مرضوضة، ويعطيهم فرصة للتوبة، على الرغم من إساءاتهم البالغة، وكفتيلة مدخنة يتحملهم، كما فعل بالنسبة لأورشليم. وأولئك الذين هم كقصبة تطحنهم الشكوك والمخاوف، مثل «قصبة مرضوضة»، و«فتيلة خامدة»، مثل فتيلة شمعة أوقدت حديثا، والتي تكون قابلة لأن تنطفئ ثانية- حتى هؤلاء لن يحتقرهم. «قصبة مرضوضة لا يقصف»، بل يقويها، حتى تصبح كأرز في ديار إلهنا. «وفتيلة خامدة لا يطفئ» بل يشعلها.

خامسا: الشجاعة والثبات اللذان سوف يتبعهما في مثابرته (ع ٤)، إلى أن استطاع القول «قد أُكمل». لقد أعطى رسله وخدامه قدرة على ألا يفشلوا أو يحبطوا إلى أن يكملوا هم أيضا شهادتهم. «يضع الحق في الأرض». أي يقيم رئاسته في العالم، كنيسة لنفسه وسط الناس، لكي يصلح العالم بقوة إنجيله ونعمته.

عدد ٥- ١٢

أولا: العهد الذي عمله الله مع المسيح والإرسالية التي أعطاها له (ع ٥- ٧).

(١) الألقاب الملكية التي عرَّف الله نفسه بها (ع ٥): هو مصدر كل الكائنات، ومن ثم فهو نبع كل قوة. في العالم العلوي «خالق السماوات وناشرها» (ع ٥) (راجع إشعياء ٤٠: ٢٢). أما في عالمنا هذا، فهو «باسط الأرض» جاعلا منها مسكنا «ونتائجها» إنما تتأتى بقوته. وفي عالم البشر، هو «معطي الشعب عليها نسمة»، وهو يعطي «روحا» للنفس العاقلة مع الملكات والقوى اللازمة لها. وقد ذكرت هذه كمقدمة لعهد الله مع المسيح والمهمة التي أعطيت له لبيان أن عمل الفداء استهدف إعادة الإنسان إلى الولاء الذي يدين به لخالقه.

(٢) تأكيدات الله للمسيح عن وجوده معه (ع ٦). لقد دُعي المسيح من قبل الله، ولم يكن متطفلا

(عب ٥: ٤)، وحين أرسل ملاك من السماء ليقويه في آلامه، كان الآب نفسه معه، وقد تحقق هذا الوعد.

(٣) المقاصد العظيمة لهذه الإرسالية تعطي راحة وعزاء للبشر. فالله، إذ أعطانا المسيح، أعطانا معه كل بركات العهد الجديد. وثمة بركتان عظيمتان جلبهما المسيح معه في إنجيله للأمم وهما نور الكلمة والحرية. فقد أعطي «نورا للأمم». وهو يقدم لنا الهدف بكلمته الممسوحة بروحه، وبعمل روحه في القلب يجهز لنا الوسيلة، فقد أرسل ليبشر المأسورين بالحرية، كما فعل كورش، ليخرج «من الحبس المأسورين»، وليس ليفتح باب السجن فحسب، ويعطيهم إذنا بالخروج، الأمر الذي ما كان كورش يستطيع عمل شيء سواه، بل ليمكنهم من الاستفادة من حريتهم. هذا ما عمله المسيح بنعمته.

ثانيا: التصديق على هذه الهبة وتأكيدها:

(١) سلطان الذي أعطى الوعد (ع ٨): «أنا الرب هذا اسمي». وإذا كان هو الرب الذي يعطي الكيان والميلاد لكل الأشياء، فهو يستطيع إذا أن يعطي الكيان والميلاد لوعده.

(٢) تحقيق الوعود التي قطعها في الماضي بخصوص كنيسته تُعد دليلا على ما يكنه لشعبه من محبة (ع ٩): «هوذا الأوليات قد أتت والحديثات أنا مخبر بها». والآن سأعطيكم وعودا جديدة، وأهبكم نعما جديدة. فقد تمتعتم ببركات العهد القديم بغزارة، والآن أعلن لكم بركات العهد الجديد، وليست هي وعودا بأرض مثمرة وسيادة على جيرانكم، بل هي «بركة روحية في السماويات». و«قبل أن تنبت» بالكرازة بالإنجيل «أعلمكم بها»، مستخدما رمز ومثال الأشياء السابقة.

ثالثا: أنشودة الفرح والحمد التي يجب الترنم بها الآن لمجد الله (ع ١٠): «غنوا للرب أغنية جديدة»، ترنيمة عهد جديد. فإعطاء المسيح «نورا للأمم» (ع ٦) كان أمرا جديدا. وتسبيح نعمة الله سيتغنى به بفرح وشكر، وذلك:

(١) بواسطة أولئك الذين يعيشون في «أقصى الأرض»، في بلدان بعيدة جدا عن أورشليم.

(٢) بواسطة البحارة والتجار، وأولئك «المنحدرون في البحر». ولم يكن اليهود يستخدمون البحر إلا قليلا، وعلى ذلك فإنه إذا ما جاءت ترانيم تسبيح الله بواسطة أولئك المنحدرين في البحر، فلابد وأنها كانت من قبل الأمميين.

(٣) بواسطة «الجزائر وسكانها» (ع ١٠) وكذلك (ع ١٢).

(٤) وبواسطة «البرية ومدنها... الديار التي سكنها قيدار». وهذه تقع شرقي أورشليم، كما أن الجزائر تقع غربها.

(٥) وكذلك «سكان سالع»، وأولئك الساكنون في «رؤوس الجبال».

عدد ١٣ - ١٧

قد تكون هذه الأعداد هي نفسها الأنشودة التي سوف يتغنى بها الأمم، أو نبوة عما سيفعله الله ليفسح المجال لترديد هذه الأنشودة.

أولا: سيظهر في قوته ومجده بشكل لم يحدث من قبل. وهذا ما تم في الكرازة بإنجيله، وفي النجاح الرائع الذي حققته في هدم حصون الشيطان (ع ١٣ و١٤). «صَمَتُّ منذ الدهر»، أما الآن فهو «يخرج» لمهاجمة مملكة الشيطان، وضربها ضربة قاضية، وفي هذا خرج المسيح غالبا ولكي يغلب. وقد سميت خدمة الرسل «حروب»، وكانوا هم جنود يسوع المسيح. وسوف «ينهض غيرته»، سوف يظهر أكثر غيرة عن ذي قبل من أجل اسمه وضد الوثنية. «ويصرخ» في الكرازة بكلمته «كالوالدة أصيح»، ذلك أن خدام المسيح يكرزون كمن يتمخضون «إلى أن يتصور المسيح» في نفوس الشعب (غل ٤: ١٩). وسوف ينتصر بقوة روحه. وكرمز وتشبيه لهذا، وللتمهيد لخلاص اليهود من السبي في بابل، فإن الله سيحطم قوة مضطهديهم «ويقوى» على الإمبراطورية البابلية. وفي إتمام تدمير بابل بواسطة الجيش الفارسي تحت قيادة كورش فإنه سيخرب «الجبال والآكام»، وسيجعل الأرض مستوية ويجفف «كل عشبها». وسوف يقوم فريق من الجيش بتجفيف المستنقعات وتسوية الأراضي المنخفضة، ليفسح الطريق أمام زحف جيشهم. وهكذا، فإنه بعد أن يكرز بالإنجيل، سيكون الطريق أمامه ممهدا.

ثانيا: سيظهر فضله ونعمته، وبالنسبة للذين

يسألون عن الطريق إلى صهيون، فسوف يريهم الطريق ويقودهم إليه (ع ١٦). يقودهم «في طريق لم يعرفوها»، ويعرفهم طريق الحياة والسعادة بالمسيح يسوع الذي هو الطريق. وهكذا في تجديد بولس ضُرب بالعمى أولا، وبعد ذلك أعلن الله عن ابنه، وجعل القشور تسقط عن عينيه. ويجعل الله «الظلمة أمامهم نورا». وسوف يجدون ثمة صعوبات لا تقهر في طريق طاعتهم، غير أن الله سيجعل «المعوجات مستقيمة»، وبذلك يصبح طريقهم سهلا. سوف يتحقق ذلك حين يقود اليهود في عودتهم ثانية من السبي إلى أرضهم.

ثالثا: سيوقع الله كل من يلتصق بالأوثان في حيرة وارتباك (ع ١٧). وسوف يخزى ويخجل البابليون من أنفسهم لأنهم قالوا لتلك التماثيل المسبوكة «أنتُن آلهتنا»، وذلك عندما يرون اليهود الذين احتقروا التماثيل وقد نجوا وخلصوا بواسطة الإله الذي يعبدونه.

عدد ١٨ – ٢٥

بعد أن تحدث إلى المؤمنين اليهود لكي يشجعهم، نراه يتحول الآن إلى غير المؤمنين منهم. وفيهم نجد رمزا لليهود الذين رفضوا المسيح، والذين رفضهم هو بدوره.

أولا: النداء الذي وجهه إلى هذا الشعب (ع ١٨): «أيها الصم اسمعوا»، انصتوا إلى الصوت المفرح، «أيها العمي انظروا لتبصروا» النور البهيج. وهذه الدعوة الموجهة للصم لكي يسمعوا وللعمي لكي يبصروا تشبه الأمر الذي صدر للرجل صاحب اليد اليابسة لكي يمدها، وعلى الرغم من أنه لا يستطيع أن يفعل ذلك لأنها كانت يابسة، غير أنه لو لم يحاول عمل ذلك لما كان قد نال الشفاء.

ثانيا: الصفة التي وصفوا بها (ع ١٩ و٢٠): «من هو أعمى إلا عبدي وأصم كرسولي الذي أرسله؟» وشعب اليهود كانوا من حيث العقيدة عبيدا لله، وكهنتهم وشيوخهم هم رسله (ملا ٢ : ٧)، غير أنهم كانوا صُما وعميانا. وهو يشكو من حماقتهم– فهم عميان، ومن عنادهم– فهم صم، بل إنهم كانوا أسوأ من الوثنيين أنفسهم. فالعمى والصمم الروحي لدى من يعترفون بأنهم عبيد الرب ورسله يكون أسوأ مما لو كانوا من الآخرين. ويواصل النبي كلامه (ع ٢٠) ليصف عمى الأمة اليهودية وعنادها، تماما مثلما وصفها مخلصنا في أيامه (مت ١٣ : ١٤ و١٥).

ثالثا: الاهتمام الذي يوليه الله لكرامة اسمه، على الرغم من عماهم وصممهم. لقد تمت النبوات الخاصة برفض اليهود، وكذلك بقبول الأمميين. «الرب قد سر من أجل بره. يعظم الشريعة ويكرمها» (الإعلان الإلهي بكل أجزائه). والشريعة عظيمة حقا، وما لم يجعلها الناس عظيمة بطاعتهم لها، سوف يجعلها الله عظيمة بمعاقبتهم على عصيانهم لها.

رابعا: الكوارث التي سيجلبها الله على الأمة اليهودية لإصرارهم على بقائهم عميانا وصما (ع ٢٢). «ولكنه شعب منهوب ومسلوب». فغير التائبين والذين لم ينصلحوا في بابل حُكم عليهم بالسبي الدائم. وبسبب خطاياهم سُلبوا من كل ما كانوا يملكون. والبعض منهم «اصطيد في الحفر»، والبعض الآخر «في بيوت الحبوس اختبأوا». هناك يرقدون، ومن المحتمل أنهم هناك يموتون. وقد تحققت هذه النبوة بالكامل في الدمار الأخير الذي لحق بالأمة اليهودية على يد الرومان.

خامسا: النصيحة التي أعطيت لهم لكي ينالوا الخلاص، لأنه على الرغم من أن حالتهم يرثى لها، إلا أنها غير ميئوس منها.

معظمهم كان أصما، لم ينصتوا لصوت كلمة الله. ولذلك سوف يخرج عصاه ليرى من منهم «يسمع هذا» (ع ٢٣). وإذا كانت إحدى الوسائل غير مجدية، فربما تجدي الأخرى. وبمقدورنا جميعا إذا شئنا، أن نسمع صوت الله. وعند سماعنا الكلمة، يجب أن نسمع ما هو آتٍ، وعلينا بصفة خاصة أن نسمع للأبدية. لنعترف بيد الله في ما يصيبنا من متاعب، وأيا كان مَنْ يلحقها بنا، علينا أن ننظر إلى الله باعتباره المحرك الرئيسي (ع ٢٤): «من دفع يعقوب إلى السلب»، «وإسرائيل»، ذلك الشعب الذي اعتاد أن تدلله السماء، وأن تكون له سيطرة على الأرض. من سلمهم «إلى الناهبين»، كما هو حالهم الآن مع

www.DIFA3IAT.com

البابليين والرومان؟ «أليس الرب الذي أخطأنا إليه»، وهنا يضع النبي نفسه في زمرة الخطاة، كما جاء في دانيال ٩: ٧ و٨. ولنر هنا الضرر الذي ينجم عن الخطية، إنها تغيظ الله وتحمله على الغضب من شعبه، وبذلك تشعل لهيبا عاما يحرق الجميع.

الأصحاح الثالث والأربعون

لا يختلف مضمون هذا الأصحاح عن الأصحاح السابق:

أولا: وعود ثمينة قُطعت لشعب الله أثناء محنتهم، عن وجوده معهم لكي يسندهم ويخلصهم (ع ١- ٧).

ثانيا: تحدٍ للأوثان أمام علم الله بكل شيء وقدرته على كل شيء (ع ٨- ١٣).

ثالثا: تشجيع لشعب الله يبعث فيهم الأمل في خلاصهم من السبي في بابل (ع ١٤- ٢١).

رابعا: وسيلة اتبعت لتهيئة شعب الله، بتذكيرهم بخطاياهم علهم يتوبون ويطلبون الرحمة (ع ٢٢- ٢٨).

عدد ١- ٧

لهذا الأصحاح علاقة واضحة بخاتمة الأصحاح السابق. فقد قيل هناك إن يعقوب وإسرائيل لن يسيرا في طرق الله، وهذا ما يحملنا على الاعتقاد بأن الله سوف يتخلى عنهم بسبب ذلك، ولكن الأمر ليس على هذا النحو، لأن الكلمات التالية تقول: «يا يعقوب... يا إسرائيل. لا تخف لأني فديتك... أنت لي». وعلى الرغم من أن بينهم كثيرين عصاة، إلا أن الله سوف يستمر في محبته لشعبه، وسيحفظ متن هذه الأمة من قِبل الرحمة. وإذا كانت الشمس الآن قد أشرقت فجأة من وراء سحابة كثيفة مظلمة، فإن إشراقها يعد مفاجأة تبعث على السرور. والتعبيرات التي تشير إلى نوايا الله الطيبة تجاه شعبه في هذه الأعداد تتحدث عن فيض من العزاء لكل النسل الروحي ليعقوب في ثباته وإسرائيل في صلاته.

أولا: أسباب عناية الله واهتمامه بشعبه: سوف يعتني الله بيعقوب أي إسرائيل على الرغم من أنهم في حالة الخطية التعسة، وذلك للأسباب التالية:

(١) لأنهم «عمله مخلوقين في المسيح يسوع لأعمال صالحة» لكي يسلكوا فيها (أف ٢: ١٠). لقد خلقهم، ولم يعطهم كيانا فحسب، بل جعلهم شعبا، ووحدهم بميثاق عهده.

(٢) لأنهم شعب اقتناء، وقد فداهم. خلصهم أولا من العبودية في أرض مصر، ومن عبوديات أخرى كثيرة وذلك «بمحبته ورأفته» (إش ٦٣: ٩)، فكم بالأحرى يهتم برعاية أولئك الذين فداهم بدم ابنه.

(٣) هم شعبه الخاص، دعاهم بالاسم.

(٤) هو إلههم الذي دخل معهم في عهد (ع ٣). ومن كان الله معهم فيجب ألا يرهبوا أحدا أو شيئا يُوجه ضدهم.

ثانيا: الأمثلة السابقة لعنايته:

(١) لقد دفع الله ثمنا غاليا من أجلهم: «جعلت مصر فديتك». لقد قام الكوشيون بغزوهم أيام آسا، غير أنهم سيبادون ولن يزعجوا إسرائيل. وماذا يكون كوش وسبا، كل حياتهم وكنوزهم إذا ما قورنا بدم المسيح؟

(٢) لقد ثمنهم على هذا الأساس، وكانوا محبوبين منه للغاية (ع ٤).

ثالثا: الأمثلة الأخرى التي سيعطيها الله لهم والتي تدل على عنايته ومحبته:

(١) سيكون معهم أثناء المحن والأخطار (ع ٢).

(٢) سوف يعمل دائما لأن يحقق خير أولاده، وينحي جانبا مصالح وأهداف الآخرين من خارج حظيرته.

(٣) المشتتون منهم في أمم مختلفة يجب أن يجمعهم لكي يشاركوا في البركات التي تعطى للشعب (ع ٥- ٧). فبعض من نسل إسرائيل كانوا مشتتين في جميع البلدان، غير أن هؤلاء الذين حرك الله قلوبهم للذهاب إلى أورشليم يجب أن يُجمعوا من جميع الأنحاء. ولكن من هم نسل إسرائيل الذين سوف يجمعهم معا؟ يقول في آية ٧ إنهم الذين عينهم الله للرحمة. لقد دعوا باسمه. وخلقوا لمجده. والله مع الكنيسة، ولذلك ليس من سبب لأن تخاف، لأنه لن يفقد أحد ممن ينتمون إليها.

عدد ٨- ١٣

يتحدى الله هنا عبدة الأوثان أن يقدموا دليلا يثبت ألوهية آلهتهم الزائفة.

أولا: كل من أصنامهم «الأعمى وله عيون والأصم وله آذان»، والذين يصنعونها ويضعون ثقتهم فيها يكونون مثلها. لهم شكل الرجال وقدراتهم وملكاتهم، لكنهم في واقع الأمر يفتقرون إلى العقل والمنطق، وإلا ما كانوا قد عبدوا آلهة هي من صنع أيديهم.

ثانيا: استدعي شهود الله للظهور، وتقديم الدليل من أجله (ع ١٠): أيها الإسرائيليون، يا كل من «دُعي باسمي»، «أنتم شهودي... وعبدي الذي اخترته»، كان المسيح نفسه هو الذي وصف بهذا الوصف (إش ٤٢ : ١): «عبدي... مختاري».

(١) كل الأنبياء الذين شهدوا للمسيح، وكذلك المسيح نفسه، النبي الأعظم، استدعوا هنا كشهود لله. وشعب الله هم شهود له، ويمكنهم أن يشهدوا من واقع اختبارهم، فيما يختص بقوة نعمته، غير أن المسيح أعطي بصفة خاصة أن يكون شاهدا له لدى الناس، إذ إنه في حضنه منذ الأزل.

(٢) لنر ما هي النقطة التي استدعي هؤلاء الشهود لإثباتها (ع ١٢): «أنتم شهودي يقول الرب».. «أنا أنا الرب». أنا كائن موجود بذاته، مكتفٍ بذاته، أنا الذي يجب عليكم أن تتقوه، وتعبدوه وتثقوا فيه. والواقع أنه منذ القدم (ع ١٣) أي (قبل بدء الزمن، وقبل خلق النور، أي منذ الأزل) «أنا هو»، والأصنام آلهة مصنوعة مصورة أو أنهم «ليسوا بالطبيعة آلهة» (غل ٤ : ٨). لكن الله موجود منذ الأزل، قبل أن يكون هناك أوثان أو وثنيين. فالحق أقدم أياما من الشر، وسيكون له كيان إلى الأبد. «أنا أنا الرب» يهوه العظيم، «الكائن والذي يأتي»، «وليس غيري مخلص» (ع ١١). ومعرفة الله غير محدودة، ومنزهة عن الخطأ، كما هو واضح من نبوات كلمته (ع ١٢): «أنا أخبرت.. وأعلمت» بالذي لابد وأن يأتي.

إن له قدرة غير محدودة ولا يمكن أن تقاوم. وهو يدافع ليس بقوله «أعلمت» فقط، بل أيضا «وخَلّصت» (ع ١٣). وآلهة الوثنيين لم تستطع أن تلهم مؤرخا، فكم بالحري نبي. وقد كان التحدي الذي واجههم به هو «ليقدموا شهودهم»، ليثبتوا– إن استطاعوا– علمهم بكل شيء وقدرتهم على كل شيء.

عدد ١٤- ٢١

أولا: يأخذ الله لنفسه هنا ألقابا مشجعة جدا لشعبه: فهو «الرب فاديكم قدوس إسرائيل» (ع ١٤) وكذلك «قدوسكم» (ع ١٥)، ولذلك سيحقق كل ما خرج من شفتيه لخيرهم. وهو «خالق إسرائيل»، الذي جعلهم شعبا من العدم، وهو ملكهم.

ثانيا: يؤكد لهم أنه سيحطم قوة مقاوميهم (إش ١٤ : ١٧). وسوف يعمل الله على أن يرسل رئيسا إلى بابل ليسبي كل البابليين في سفن يفتخرون بها: «لأجلكم أرسلت إلى بابل وألقيت المغاليق كلها والكلدانيين في سفن ترنمهم» كملجأ لهم بعد أن تسقط المدينة، حيث يحاولون الهرب فيها بواسطة النهر.

ثالثا: ذكرهم بالأمور العظيمة التي عملها لآبائهم حين أخرجهم من أرض مصر (ع ١٦ و١٧). والذي فعل هذا بمقدوره أن يدبر لكم طريقا في البحر حين تعودون من بابل.

رابعا: يعدهم بأنه سيصنع معهم أمورا أعظم من تلك التي عملها قديما. فسوف يرون هذه الأعمال وقد تكررت، بل في الواقع يرون أعظم منها (ع ١٨): «لا تذكروا الأوليات»، حتى لا يبخسوا من قيمة الأمور الحاضرة، كما لو أن الأيام القديمة كانت أفضل من هذه: «هأنذا صانع أمرا جديدا». وأفضل شرح لهذا العدد نجده في إرميا ١٦ : ١٤ و١٥؛ ٢٣ : ٧ و٨. وعلى الرغم من أنه لا يجب نسيان المراحم السابقة، إلا أن المراحم الجديدة يجب أن تذكر بصفة خاصة.

خامسا: ولم يقتصر وعده على أن يخلصهم من بابل، بل يقودهم في أمان وراحة إلى أرضهم (ع ١٩ و٢٠). «أجعل في البرية طريقا في القفر أنهارا». نفس القوة التي جعلت «في البحر طريقا» (ع ١٦) بمقدورها أن تجعل «طريقا في القفر». ويمكنه أن يوجد ماء في أكثر الأراضي جفافا، وبغزارة، ليس فقط «لأسقي شعبي مختاري»، بل أيضا لأجل «حيوان الصحراء الذئاب وبنات النعام» التي من أجل ذلك قيل إنها تمجد الله– وهنا نجد تطلعا، ليس إلى عناية

الله بالأمة اليهودية منذ العودة من بابل إلى مجيء المسيح فقط، بل إلى نعمة الإنجيل، وبخاصة كما أعلنت للعالم الوثني. والخطاة من الوثنيين، الذين كانوا كحيوانات ضارية ومتوحشة مثل الذئاب، أو الغبية منها مثل البوم أو النعام سوف يمجدون الله من أجل نعمته.

سادسا: وهو يرجع كل هذه الوعود إلى أصلها العظيم (ع ٢١): «هذا الشعب جبلته لنفسي»، ولهذا أعمل كل هذا من أجلهم، حتى «يحدث بتسبيحي». والسماء الجديدة والأرض الجديدة، والإنسان الجديد، كلها من عمل يدي الله، وقد شكلت طبقا لإرادته. وكما خلقنا، فهو يطعمنا ويحفظنا ويقودنا.

عدد ٢٢ – ٢٨

ورد هذا الإتهام هنا لتوضيح عدل الله في الدفع بهم إلى السبي. لقد أهملوا الله وابتعدوا عنه، وعلى ذلك كان عدلا منه أن يرفضهم ويدفعهم «إلى اللعن» (ع ٢٨). ويجب أن يعترفوا بهذا قبل أن ينالوا النجاة والخلاص.

أولا: الخطايا التي أدينوا بها هنا:

(١) إغفالهم عمل الخير الذي أمر به الله. ولاحظ كيف جاءت هنا مع عبارة «وأنت لم»، قارن (ع ٢١)، حيث أخبرهم الله بالنعم التي أغدقها عليهم، وتوقعاته العادلة منهم. لكنهم قابلوا نعمه بالجحود والنكران. تركوا الصلاة: «لم تدعني يا يعقوب». وقد اشتهر يعقوب بأنه رجل الصلاة (هو ١٢: ٤). أن نتفاخر باسم يعقوب، ومع ذلك نعيش بلا صلاة معناه أننا نسخر من الله ونخدع أنفسنا. لقد سأموا ديانتهم. تذمروا من نفقات العبادة. كانوا يودون عبادة رخيصة غير مكلفة، وكانوا يرغبون أن يستثنوا من أعمال العبادة المكلفة. «لم تحضر لي شاة محرقتك»، كلا، لم يحضروا الشاة التي طلبها الله كمحرقة (ع ٢٣)، ناهيك عن أنهم لم يحضروا الماشية الأكبر حجما. كانوا يستخدمون «قصبا» (بخور زكي الرائحة) للزيت المقدس، للبخور والعطور، ولكنهم كانوا لا يريدون أن يتحملوا نفقات ذلك (ع ٢٤). والواقع أنهم كانوا لا يريدون تقديم الذبائح (ع ٢٣): «وبذبائحك لم تكرمني»، ومن حيث إن الله هو الذي رسمها فيجب ألا تعد عبئا، ولم يكن هناك من سبب يدعو إلى الشكوى منها: «لم أستخدمك بتقدمة»، لم أجعلها عملا شاقا عليك «ولا أتعبتك بلبان». كانت لهم أعياد كثيرة وأيام طيبة، ولم يكن عليهم أن يحزنوا سوى يوما واحدا من السنة كلها. وفرائض الناموس الطقسي، على الرغم من أنه بمقارنتها بنير المسيح الهين، ذكر أنها صعبة (أع ١٥: ١٠)، إلا أنها إذا ما قورنت بالخدمات التي يؤديها الوثنيون لآلهتهم الزائفة تُعد هينة. فلم يطلب الله منهم أن يقدموا أطفالهم كذبائح، كما كان يفعل الوثنيون مع الإله مولك.

(٢) الخطايا التي حرمها الله. «لكن استخدمتني بخطاياك». وحين نستخدم هبات الله طعاما ووقودا لشهواتنا فإننا نثقل كاهل الله بخطايانا. فلم يستخدمهم الله بتقدمة، لكنهم أتعبوه بخطاياهم. السيد لم يتعب العبيد بأوامره، ولكنهم هم أتعبوه بعصيانهم.

ثانيا: ما الذي يزيد من بشاعة خطيتهم (ع ٢٧).

(١) كانوا أبناء المعصية لأن أباهم «الأول (يقصد آباءهم) أخطأ».

(٢) كان معلّموهم أيضا عصاة، ذلك لأن «وسطاؤك عصوا عليّ»، كانوا يرتكبون خطايا كبيرة ومشينة، ولا ريب أن الشعب تعلم أن يعمل مثلهم.

ثالثا: ما هي علامات غضب الله عليهم بسبب خطاياهم (ع ٢٨): «فدنست رؤساء القدس»، أي الكهنة واللاويين الذين تصدروا خدمة الهيكل بكل فخر، لقد تدنسوا، وجلبوا على أنفسهم الازدراء بأعمالهم المنكرة، ومن ثم دنسهم الله وجعلهم لعنة بالنكبات التي جروها على أنفسهم (ملا ٢: ٩) وكذلك دُمرت كرامة دولتهم أيضا: «ودفعت يعقوب إلى اللعن»، أي يكونون ملعونين ومكروهين وتساء معاملتهم من جميع جيرانهم. «وإسرائيل إلى الشتائم»، أي يحتقرهم أعداؤهم ويهينونهم، وينتصرون عليهم.

رابعا: ما مدى غنى رحمة الله تجاههم على الرغم من خطاياهم (ع ٢٥) «أنا أنا هو الماحي ذنوبك» على الرغم من كل هذا.

(١) هذا الإعلان الكريم الخاص باستعداد الله لأن يغفر الخطايا جاء دونما توقع على الإطلاق.

www.DIFA3IAT.com

وكانت التهمة شنيعة: «أتعبتني بآثامك» (ع ٢٤). وما كان متوقعا هو أن يلي ذلك: أنا أنا هو الذي سيهلككم ولن أثقل على نفسي بعد الآن بالعناية بكم. إلا إنه قال: «أنا أنا هو الماحي ذنوبك»، وكأن إلهنا العظيم يريد أن يعلمنا أن غفران الإساءات هو أفضل طريق لأن نلقي عن كاهلنا عبء القلق بشأنها. وقد عبَّر عن غفران خطايا كل مؤمن تائب بقوله «أنا هو الماحي ذنوبك»، كما تمحى السحابة بواسطة أشعة الشمس (إش ٤٤: ٢٢)، كما يمحى الصك ولا يظهر بعد في حساب المدين (يمحى الحساب من الصك كما لو كان الدين قد دفع، لأنه تم غفرانه على أساس تعهد الضامن بالسداد). و«خطاياك لا أذكرها»، الأمر الذي لن يقلل من محبته المستقبلية. وحين يغفر الله فهو ينسى. وهو لا يفعل ذلك لأي شيء طيب فينا، بل من أجل خاطره هو، ومن أجل مراحمه، وبالأخص جدا من أجل ابنه.

(٢) عبارة «ذَكِّرني فنتحاكم معا» يمكن فهمها على النحو التالي:

أ. كتوبيخ لفريسي متغطرس، يتوقع أن يلقى إحسانا يستحقه، وأنه ليس مدينا للنعمة العظيمة كأن الله يقول: إذا كان لديك أي شيء تقدمه لكي يُغفر لك على أساسه ذكِّرني به.

ب. أو كتوجيه وتشجيع لعشار تائب يستعرض له الوعود التي قطعها لأولئك الذين يتوبون، والترضية (الكفارة) التي صنعها الله لهم. هذا هو الطريق الوحيد، وهو طريق أكيد للسلام.. «اعرفي فقط إثمك» (إر ٣: ١٣).

الأصحاح الرابع والأربعون

يواصل الله، من خلال النبي، في هذا الأصحاح كما في السابق:

أولا: تشجيع شعبه بتأكيده للبركات العظيمة التي يدخرها لهم عند عودتهم من السبي، وهذه ترمز إلى بركات أعظم بكثير في أيام المسيح (ع ١– ٨).

ثانيا: كشف حماقة صانعي الأوثان ومن يعبدونها (ع ٩– ٢٠).

ثالثا: تأكيد الوعود السابق إعطائها لشعبه والمتعلقة بهذه البركات العظيمة، لكي يزيد من توقعاتهم وآمالهم البهيجة (ع ٢١– ٢٨).

عدد ١ – ٨

تضمنت هذه الفقرة حقين عظيمين:

أولا: إن شعب الله شعب سعيد ولاسيما بالنسبة للعهد القائم بينهم وبين الله. وثمة ثلاثة أمور تكمل سعادتهم:

(١) روابط العهد الوثيقة بينهم وبين الله (ع ١ و٢). وقد دعي إسرائيل هنا «يشورون» (أي المستقيم)، لأن هؤلاء الذين مثل نثنائيل هم فقط الإسرائيليون حقا الذين لا غش فيهم. وقد ظهر كل من يعقوب وإسرائيل في صورة بغيضة ومثيرة لغضب الله، غير أن الرحمة تتدخل: «والآن اسمع يا يعقوب عبدي» سنعود صديقين مرة ثانية. وسوف أفعل كل هذا من أجلهم يقول الله (عب ٨: ١٢)، «لأني أكون صفوحا عن آثامهم». والعلاقات التي تربطهم به مشجعة للغاية، ذلك لأنهم:

أ. هم عبيده.

ب. هم مختاروه، وسيلتزم هو باختياره، والذين اختارهم سوف ينعمون بحماية خاصة.

ج. هم مخلوقاته. «صانعك»، ولذلك سيساعدهم في التغلب على كل ما يواجههم من مصاعب ويعاونهم على أداء واجباتهم.

(٢) بركات العهد التي ضمنها لهم، ولذويهم (ع ٣ و٤):

أ. أولئك الذين يدركون احتياجاتهم الروحية، وعدم كفاية المخلوق لتدبيرها، سيجدون حاجتهم وما يزيد عنها في الله: «أسكب ماء على العطشان».

ب. أولئك الذين كالأرض الجرداء اليابسة، سيروون بنعمة الله.

ج. الماء الذي سيسكبه الله هو «روحه» (يو ٧: ٣٩). وهذا هو وعد العهد الجديد العظيم، أن الله الذي أرسل المسيح ورفعه، سوف يرسل روحه لكي يرفعنا نحن، ولكل الذين أعطوا أن يشاركوا في مزايا التبني سيعطيهم الله روح التبني. من خلال ذلك ستزداد الكنيسة زيادة عظيمة، وهكذا ستمتد إلى الأماكن النائية (ع ٤).

www.difa3iat.com

(٣) قبولهم لدورهم في العهد بفرح (ع ٥): كثيرون ممن كانوا في ذلك الحين من خارج أنضموا إليهم، حيث شجعهم ظهور الله المجيد لهم (زك ٨: ٢٣). ولا ريب أن الأمر يتطلع إلى أبعد من ذلك، إلي تجديد الوثنيين. وهؤلاء المتجددون كثيرون ومن مجتمعات وأمم مختلفة، وكلهم يلقون الترحيب من الله (كو ٣: ١١). وكل واحد سيقول عن نفسه «أنا للرب»، إن عشت أو مت أنا له. وسوف يتخذون «اسم يعقوب» لقبا لهم. ويحبون شعب الله كله، ويرغبون أن يشاركوهم أحوالهم في جميع الظروف. وسيفعلون هذا بكل جدية. بعضهم «يكتب بيده للرب»، كمن يعقد العزم على شيء ويمد يده كتعهد بالالتزام به. وكلما أعلنا عهدنا مع الله كان ذلك أفضل لنا (خر ٢٤: ٧).

ثانيا: وكما أن إسرائيل الله شعب سعيد، هكذا أيضا إله إسرائيل إله عظيم، وليس إله سواه. هذا يشكل إرضاء عظيما لكل الذين يثقون فيه (ع ٦- ٨). فالإله الذي نثق فيه سيد بلا منازع وقوته لا تقاوم. هو «الرب»، الكائن بذاته، كلي القدرة، وهو «رب الجنود»، سيد كل السماوات والأرض، الملائكة والناس. هو «ملك إسرائيل وفاديه»، والذين يتخذون الله ملكا لهم، سيكون هو فاديهم. وهو الله منذ الأزل، وسيظل هكذا إلى الأبد. وما لم يكن هناك إله ليخلق، ما كان شيء مما كان، وإذا لم يكن هناك إله ليسند ويقوي لتلاشي الكل إلى العدم. ولا يوجد إله غيره (ع ٦): «لا إله غيري». ولا يوجد إله غير الرب. هو كلي الكفاية، وعلى ذلك ليس ثمة حاجة إلى إله غيره، وشعبه ليس في حاجة إلى أن يرجو إلها آخر. والذين تشرق عليهم الشمس ليسوا في حاجة إلى القمر أو النجوم، أو نور من صنعهم. كما عليهم ألا يخافوا من أي إله آخر. ولا أحد غيره يمكنه التنبؤ بالأشياء الآتية، والتي أعلن الله عنها الآن للعالم بواسطة نبيه قبل أن تحدث بما يزيد عن مائتي سنة (ع ٧).

عدد ٩- ٢٠

قُصد بهذه الفقرة:

◂ تعضيد وإعداد شعب إسرائيل ضد إغراء عبادة الأوثان القوي، وذلك أثناء سبيهم في بابل، ولتوجيه سادتهم وعظمائهم.

◂ إبراؤهم من ميلهم إلى الوثنية، وهي الخطية التي كان من السهل أن تحدق بهم، وإصلاحهم لكي يرجعوا عن الخطية التي أقتيدوا بسببها إلى السبي في بابل. وكما أن عصا الرب نافعة لتنفيذ كلمته، هكذا أيضا كلمة الله نافعة لتفسر لنا سبب استخدام هذه العصا.

◂ لكي يمدهم بشيء يقولونه لمسخريهم من البابليين. فحين أهانوهم وسخروا منهم قائلين: أين إلهكم؟ حينئذ يكون بوسعهم أن يسألوهم بدورهم: ما هي آلهتكم؟

وبغية إقناع الوثنيين، نجد هنا:

أولا: تحدٍ ليبرئوا أنفسهم من أكثر الاتهامات بشاعة (ع ٩- ١١). لقد سخروا ملكاتهم لاختراع التماثيل المنحوتة، وأيديهم لصياغتها، وأسموها «مشتهياتهم». ونحن نقول أنهم يخدعون بعضهم بعضا. و«مشتهياتهم لا تنفع». لأنها لا تمدهم بخير أو تحميهم من شر، فكل أصنامهم «لغير نفع». «من صور إلها؟» مَنْ غير المجنون أو المعتوه يمكنه التفكير في أن يصور إلها؟. «الذين يصورون صنما كلهم باطل»، أنهم أناس ضعاف لا قوة لهم، ومن ثم ليس بمقدورهم أن يصنعوا كائنا يتميز بأنه كلي القدرة.

ثانيا: تقرير خاص عن عملية صُنع إله بكل تفاصيلها:

(١) الأشخاص الذين يُستخدمون في ذلك هم صناع وحرفيون، نفس الأشخاص الذين يمكن استخدامهم في عمل الأدوات العادية مثل العربة أو المحراث. لابد أن يتوافر لديك الحداد «طبع الحديد قدوما وعمل في الفحم»، وهذا عمل شاق. وليس بوسعه أن يجد وقتا لنفسه لكي يأكل أو يشرب، لأنه «لم يشرب ماء وقد تعب» (ع ١٢). فالألواح التي كان عليه أن يغطي بها التمثال، عليه أن يستخدم «المطارق» لذلك. وعليه أن يصنعه بكل دقة، وطبقا للنموذج المعطى له. ثم يأتي دور «النجار»، الذي يبذل كل جهد وعناية بأعمال النجارة (ع ١٣)، فهو يحضر صندوق أدواته، لأنه سيحتاج إلى استعمالها كلها، فنراه وقد «مد الخيط» على قطعة من خشب «بالمخرز يعلمه» في المكان الذي يتعين نشره وقطعه، «يصنعه بالأزاميل»، الأكبر أولا ثم الأصغر «وبالدوارة

يرسمه» بحسب ما يجب أن يكون الشكل والحجم، وبحسب ما يسره.

(٢) الشكل الذي يصاغ فيه هو كشبه رجل، فقير، ضعيف ومصيره الموت، ولكنه أنبل شكل وأفضل صورة ملم بها. «فيصنعه كشبه رجل كجمال إنسان»، غير أنه لا يصلح إطلاقا لأن يمثل مجد الرب. وقد خلع الله كرامة عظيمة على الإنسان، حين خلقه على صورته، غير أن الإنسان أساء إلى الله كثيرا عندما صوره في صورة إنسان. وكل «جمال إنسان» عندما نخلعه على ذلك الروح الأزلي، إنما يعد تشويها له وإقلالا من شأنه. وبعد أن ينتهي العمل في هذا التمثال البديع، يجب أن «يسكن في البيت»، في الهيكل أو المقدس الذي أعد له.

(٣) المادة التي صنع في غالبيته منها هي أحقر من أن يصنعوا منها إلها، إنها جذع شجرة.

أ. فالشجرة نفسها يأتون بها من «أشجار الوعر» حيث تنمو مع أشجار أخرى، لا قيمة لها، أو سمة أفضل مما لجيرانها. كانت «أرزا»، أو «سنديانا»، أو «بلوطا» (ع ١٤). ولعله كان قد قرر استعمالها من قبل لهذا الغرض «واختار لنفسه من أشجار الوعر». وقد يروق له ويتفق مع خياله أن يأخذ «سنوبرا» هو شجر سريع النمو، ربما قد غرسه بنفسه لهذا الغرض، ذاك الذي كان ينميه المطر. يا لها من إهانة يوجهها إلى إله السماء بإقامته إلها يكون منافسا لذاك الذي ينمو على أمطاره، ذلك المطر الذي ينزل على «الأبرار والظالمين».

ب. فروع تلك الشجرة لا تصلح لشيء سوى للوقود، وقد استخدموها لهذا الغرض، وهكذا كان الحال أيضا بالنسبة للأغصان التي قُطعت منه (ع ١٥ و١٦). وليبين أن هذه الشجرة ليست بها أية ميزة تحميها، فإنها قابلة للحرق شأنها في ذلك شأن أية شجرة أخرى، والذي اختارها لم يجدها ذات قيمة تفوق غيرها، ولذلك ألقى جزءا منها في النار كنفاية، ولم ير في ذلك ما يلومه ضميره عليه. وهذه الشجرة تفيده حين يستعملها في المدفأة الموجودة في ردهة منزله. «ويأخذ منه ويتدفأ» (ع ١٥)، وقد استشعر فائدتها «ويقول: بَخْ! قد تدفأت رأيت نارا»، وليس ثمة شك فإن جزء الشجرة هذا الذي استفاد منه كوقود، وهو الاستعمال الذي خصصه الله والطبيعة له، أفاده بأكثر من الجزء الذي صنع منه إلها. فقد نفعه وقودا لمطبخه: «يشوي مشويا ويشبع». ولم يخطئ إذ استخدمه لهذا الغرض. كما استفاد منه أيضا وقودا لمخبزه «يشعل أيضا ويخبز خبزا» على الحرارة الناجمة عن ذلك، وما من أحد يتهمه بأنه ارتكب خطأ.

ج. سوف يُستخدم جزع الشجرة لصنع إله. وكان يمكن استخدامه أيضا لصنع أريكة. وبعد أن يكون عابد الوثن المخبول قد استخدم جزءا من شجرته على هذا النحو في الأغراض العامة، يترك الجزء الآخر ليزداد جفافا: «ثم يصنع إلها فيسجد» له (ع ١٥)، أي أن بقيته قد صنعها إلها صنما لنفسه. يخر له ويسجد ويصلي إليه، ويعتمد عليه وينتظر منه أمورا عظيمة، «ويقول نجني لأنك أنت إلهي».

ثالثا: هنا صدر الحكم على هذا الأمر كله (ع ١٨– ٢٠): وأصبح الإنسان أسوأ من الحيوان الذي يهلك، لأن الحيوان يسلك بحسب الغريزة، غير أن الإنسان لا يتصرف طبقا لما يمليه عليه العقل (ع ١٨). والناس الذين يتصرفون بعقلانية في أمور أخرى نراهم يسلكون بحماقة بالغة في هذا الأمر.

ذلك أنهم يتمردون ضد الناموس العظيم وهو ناموس التفكير السليم (ع ١٩): «وليس له معرفة ولا فهم»، فلا يعمل فكره ومن ثم يقول: «نصفه قد أحرقت بالنار وخبزت أيضا على جمره... أفأصنع بقيته رجسا؟» هل أنا على هذا القدر من الحماقة بحيث أَخُرُّ أمام جزع شجرة– وهو جمال لا حس فيه ولا حياة ولا حول له؟ هؤلاء الوثنيون يخدعون أنفسهم (ع ٢٠): «يرعى رمادا»، فسوف يخيب رجاؤهم مثل الإنسان الذي يتوقع أن يتغذى بتناول الرماد. ارتداد الخطاة عن الله يرجع لأنفسهم وللقلب الشرير غير المؤمن القابع في صدورهم. ليس من بينهم واحد ممن استطاع أن يفكر ويتشكك في الأمر بحيث يقول: «أليس كذب في يميني؟» وبهذا يفكر في خلاص نفسه؟ ومراجعة النفس هي الخطوة الأولى نحو خلاصها.

عدد ٢١ – ٢٨

أولا: الواجب الذي دعي إليه يعقوب وإسرائيل حال كونهم في السبي، حتى يكونوا مؤهلين للنجاة

www.difaiat.com

والخلاص. وأثناء متاعبنا وضيقنا يجب أن ينصب اهتمامنا على كيفية الإفادة منها في حياتنا، وبعد ذلك لنا أن نرجو الخروج منها. وقد أوجز هذا الواجب في كلمتين: «اذكر... ارجع».

(١) «اذكر هذه يا يعقوب». اذكر حماقة عبادة الأوثان، وتذكر أنك «أنت عبدي» ومن ثم لا يجب عليك أن تخدم سادة آخرين.

(٢) «ارجع إليَّ» (ع ٢٢).

ثانيا: الإحسانات التي تأكد يعقوب وإسرائيل من الحصول عليها وهم مايزالون في السبي، والوعود التي قطعت لهم حين يذكرون ويرجعون إلى الله، إنما هي وعود- بمعناها الروحي- لكل الذين يرجعون إلى الله على غرارهم. ونحن عندما نتذكر الله، فسوف يتذكرنا الله، بل إنه هو الذي يتذكرنا أولا.

(١) أسباب إرادة الله الصالحة تجاه شعبه:

أ. إنهم عبيده، ومن ثم له الحق في مخاصمة من يحتجزهم: «أطلق شعبي ليعبدوني».

ب. جعلهم شعبا (ع ٢٤). ومنذ الوهلة الأولى لزيادتهم حتى أصبحوا شعبا كانوا رعيته الخاصة.

ج. سبق له أن فداهم (خلَّصهم) قبل ذلك، ولايزال هو هو لم يتغير. «الرب قد فدى يعقوب»، وهو على وشك أن يفعل ذلك (ع ٢٣)، لقد صمم على عمل ذلك، لأنه الرب فاديهم (ع ٢٤).

د. لقد «تمجد» فيهم (ع ٢٣)، ولذلك هو لايزال مستعدا لعمل الشيء نفسه (يو ١٢: ٢٨).

ه. غفر لهم خطاياهم، التي كانت تشكل العقبة الوحيدة في سبيل خلاصهم (ع ٢٢)، ولذلك سيحطم نير العبودية لأنه محا «كسحابة» خطاياهم. فخطايانا وآثامنا تشبه السحابة التي تفصل بين السماوات والأرض. وحين يغفر الله الخطايا يمحو هذه السحابة الكثيفة، حتى تتاح لنا الشركة معه ثانية.

(٢) الفرح الشامل الذي سيصاحب خلاص شعب الله (ع ٢٣): «ترنمي أيتها السماوات». سوف يكون ثمة داع لفرح وابتهاج الخليقة كلها نتيجة فداء شعب الله. وتم التأكيد على أنه إذا كانت الآن تئن وتتمخض إلا أنها في النهاية ستعتق من العبودية والفساد. وأعظم ما يمكن تأسيسه في العالم هو ملكوت الله (مز ٩٦: ١١- ١٣؛ ٩٨: ٧- ٩). وسوف تتهلل به الملائكة، وسوف تترنم السماوات لأن الرب فعل هذا. وسيكون فرح في السماء حين تتم المصالحة بين الله والإنسان (لو ١٥: ٧). وحتى سكان العالم الوثني سوف يشتركون في هذا الترنيم، كما أنهم سيشاركون في هذه الأفراح.

(٣) المشجعات التي تدعونا لأن نرجو الغلبة السريعة على كل المصاعب والضيقات الهائلة التي تعترض طريق خلاص الكنيسة في الوقت المناسب، لأن هذا ما يقوله الفادي العظيم: «أنا الرب صانع كل شيء»، صنعت كل شيء في البداية ومازلت صانعا، لأن العناية الإلهية ما هي إلا عملية خلق مستمرة.

(٤) الارتباك الذي سوف يحدثه هذا لأنبياء بابل وعرافيها، بدحض معرفتهم وإبطال آياتهم (ع ٢٥). ذلك أن الله إذ يخلص شعبه من السبي في بابل سيكون بذلك «مبطل آيات المخادعين»، كل الأنبياء الكذبة الذين قالوا إنه لايزال أمام مملكة بابل قرون طويلة لاستمرارها، ولن يربك أنبياءهم المدعين فحسب، بل رجال السياسة البارزين منهم أيضا: «مرجع الحكماء إلى الوراء». أولئك الذين تعرفوا على المسيح سوف يكتشفون أن كل معرفتهم السابقة كانت حماقة، وأنهم هم أنفسهم أخذوا «بمكرهم» (١كو ٣: ١٩).

(٥) التأكيد الذي سيعطيه هذا لأقوال الله، التي لم يثق فيها اليهود، والتي احتقرها أعداؤهم، ذلك أن الله «مقيم كلمة عبده ومتمم رأي رسله» (ع ٢٦) الذين أرسلهم مرارا إلى شعبه.

(٦) الإحسانات المحددة التي قصد الله إعطاءها لشعبه، الذين كانوا الآن في السبي (ع ٢٦- ٢٨). لقد افترض هنا أن أورشليم ومدن يهوذا ستظل خربة لبعض الوقت، مهجورة وخالية من السكان،غير أنه وُعد بأنه سيعاد بناؤها وستعمر بسكانها. وقال الله «عن أورشليم ستعمر»، لأنه طالما بقي العالم، يكون لله كنيسة به. وكذلك سيعاد بناء مدن يهوذا. ذلك أن الجيش الأشوري تحت قيادة سنحاريب استولى عليها فقط، وبعدئذ، وإذ هزم ذلك الجيش، عادت دون دمار إلى أصحابها الشرعيين، غير أن الجيش البابلي دمرها، وإذ أخذ السكان إلى السبي تركها خربة وخاوية.

مع ذلك فإن هذا الدمار لن يستمر. فسوف تبنى

WWW.DIFA3IAT.COM

وتقام «خربها»، وقد افترض هنا أن الهيكل أيضا سوف يدمر، ويبقى لفترة من الزمن طعاما، غير أنه تم الوعد بأنه سيوضع أساسه ثانية، ولاريب في أنه سيبنى ثانية عليه.

ومن حيث إن خراب المقدس كان بالنسبة لكل اليهود الأتقياء أكثر نتائج الدمار مدعاة للحزن، فهكذا كانت أيضا إعادة بنائه أكثر النتائج المفرحة للخلاص.

وقد افترض هنا أن صعوبات كثيرة وكبيرة ستعترض طريق هذا الخلاص، لكن الوعد جاء أنه بقوة إلهية سوف تزاح هذه الصعوبات (ع ٢٧): «القائل للجة انشفي»، وقد سبق أن فعل ذلك حين أخرج إسرائيل من مصر، كما سيفعل ذلك أيضا حين يخرجهم من بابل: من أنت أيتها اللجة العظيمة؟ هل تعتقدين أنه بوسعك تعطيل عبورهم وسد طريقهم؟ سوف يصيبك الجفاف وقد تحقق قول الله عن كورش إنه «راعيَّ» (ع ٢٨) حين استولى على بابل بتجفيف نهر الفرات وتفريغه إلى قنوات عديدة وبذلك أمكن لجيشه العبور فيه. وإسرائيل شعبه وغنم مرعاه، هذه الخراف هي الآن وسط ذئاب، فهم في السبي بسبب تعديهم. وهكذا أصبح كورش راعيه الذي استخدمه لإطلاق هؤلاء الخراف. وكان فخرا لكورش أن يقول عنه الله أنه راعيه أكثر مما يقال عنه أنه إمبراطور فارس. الله يستخدم الناس بحسب ما يراه، في الأمور التي من خلالها يخدمون أنفسهم، غير ناظرين إلى أبعد من ذلك، لكن الله يحقق مقاصده من خلالهم.

الأصحاح الخامس والأربعون

سمي كورش في الأصحاح السابق «راعي» الله، وكان يرمز إلى الفادي العظيم.

ونجد في هذا الأصحاح:

أولا: الأمور العظيمة التي سيحققها الله لكورش حتى يطلق سراح شعب الله (ع ١- ٤).

ثانيا: الدليل الذي يقدمه الله بهذا عن قوته الأزلية (ع ٥- ٧).

ثالثا: صلاة من أجل الإسراع بهذا الخلاص (ع ٨).

رابعا: توبيخ لليهود غير المؤمنين (ع ٩ و١٠).

خامسا: تشجيع لليهود المؤمنين، الذين وثقوا في الله واستمروا في صلاتهم في حرارة (ع ١١- ١٥).

سادسا: تحدي لعابدي الأصنام وتعريفهم مصيرهم، والاكتفاء لمن يعبدون الإله الحقيقي وضمان راحتهم وتعزيتهم (ع ١٦- ٢٥).

عدد ١ - ٤

كان كورش من بلاد مادي، وكما يقول البعض، فهو سليل «استياجيز» ملك مادي، فالكتّاب الوثنيون مختلفون فيما يتعلق بأصله. البعض يقول إنه كان في طفولته من المنبوذين، حيث تُرك معرضا للموت حتى أنقذته زوجة أحد الرعاة. مع ذلك يتفق الجميع على أن «كرويسوس» ملك ليديا شن هجوما على بلاده، قام هو بصده، وتابع النجاح الذي حققه ضد كرويسوس بحماس بالغ حتى إنه في وقت قصير استولى على ساردس وأقام نفسه سيدا لمملكة ليديا الغنية والمقاطعات العديدة التي كانت تتبعها في ذلك الحين. وهذا ما جعله عظيما جدا (حيث كان كرويسوس يضرب به المثل في الغنى)، غير أنه لم يشن هجومه الشهير على بابل إلا بعد ذلك بعشر سنوات تقريبا حيث اتحد مع عمه داريوس ومع قوات فارس. وقد أصبحت بابل عندئذ دولة غنية قوية. ويقول البعض إن الأسوار كانت سميكة حتى أن ست مركبات كان يمكنها السير فوقها جنبا إلى جنب. وكان لدى كورش طموح عظيم بأن يجعل من نفسه سيدا لذلك المكان، وقد نجح في ذلك أخيرا. وهنا، وقبل أن يتحقق ذلك بسنوات كثيرة ذكر لنا.

أولا: الأشياء العظيمة التي سيعملها له الله، وأنه سوف يجعل من سلطانه أن يطلق شعبه. ولكي يتحقق ذلك لابد وأن يصبح قاهرا قويا، وملكا غنيا، وسوف تصبح أمما كثيرة معينة له وتساعده بالرجال والمال. لقد دعي كورش هنا «مسيح» الرب، لأن الله عينه لهذه الخدمة العظيمة، وكان في ذلك رمزا للمسيح. لقد تعهد الله أن يمسك بيمينه، كما وضع أليشع يديه على يدي الملك حين كان يجب عليه أن يطلق سهمه ضد أرام (٢مل ١٣: ١٦). وإذ كان ملتزما بهذا التوجيه فإنه:

(١) سوف يوسع غزواته لتشمل بلادا بعيدة جدا ولن يعير التفاتا للمعارضة التي قد تواجهه. فالممالك العامرة بالسكان سوف تخضع له. وسوف يدوس الله «أمامه أمما»، فالحرب حربه، ولذلك فالنصر سيكون من نصيبه. ويسقط أمامه ملوك أقوياء: «وأحقاء ملوك أَحلُّ» سوف تستسلم له مدن عظيمة، وسوف يلهم الله حافظي المدينة أن يفتحوا أمامه الأبواب المزدوجة، لقناعتهم بأنه لا طائل من الوقوف أمامه. وأطول مسيرة وأخطرها ستكون سهلة ممهدة أمامه: «أنا أسير قدامك»، لأفسح لك الطريق، وأقودك إليه. «والهضاب أمهد». ولن تقف في طريقه أية معارضة. فذاك الذي كلفه بهذه المهمة سوف يكسر «مصراعي النحاس» المغلقين أمامه، ويقصف «مغاليق الحديد» التي تشبتهما. وقد تحقق هذا إذا كان ما ذكره هيرودوت حقيقيا عن بابل من أن لها مائة بوابة كلها من النحاس مع أعمدة وعوارض من نفس المعدن.

(٢) سيملأ خزائنه (ع ٣): «وأعطيك ذخائر الظلمة»، وهي كنوز من ذهب وفضة، كانت قد خبئت تحت الأرض. وقد اعترف كورش بفضل الله عليه، ولهذا السبب أطلق المسبيين (عز ١: ٢): «جميع ممالك الأرض دفعها لي الرب إله السماء وهو أوصاني أن أبني له بيتا في أورشليم».

ثانيا: ذكر لنا هنا قصد الله من وراء عمل كل هذه الأشياء لكورش:

(١) «لكي تعرف أني أنا الرب... إله إسرائيل»، لأني دعوتك «باسمك» قبل أن تولد بزمن طويل.

(٢) لكي يطلق سراح شعب الله (ع ٤). تنبأ عنه الله بأنه «راعيه»، على الرغم من أنه لم يكن يعرف ذلك. ولقد دعاه باسمه «كورش»، كما دعاه «مسيحه». ولماذا فعل الله كل ذلك لكورش؟ ليس من أجل كورش نفسه، فتقواه كانت محل شك. والواقع أن «زينوفون» حين عزم أن يصف الفضائل البطولية لرئيس مثالي استخدم اسم كورش، غير أن ثمة مؤرخين آخرين وصفوه بأنه متغطرس، قاس، متعطش للدماء. أما سبب وقوف الرب معه فهو «لأجل عبدي يعقوب». وكان كورش يرمز إلى المسيح، منتصرا على الرئاسات والقوات، واستؤمن على كنوز لا حصر لها، من أجل خدمة عبيد الله ونفعهم. و«إذ صعد إلى العلاء سبى سبيا» سبى أولئك الذين سبق لهم أن سبوا غيرهم، وفتح السجن أمام المقيدين.

عدد ٥ - ١٠

يؤكد الله هنا سلطانه المطلق، وقد أوضح ذلك للعالم في كل الأشياء العظيمة التي عملها لكورش ومن خلاله، ومما تجدر ملاحظته:

أولا: هذا التعليم جاء هنا بأمرين:

(١) إنه لا يوجد إله سواه. وهذا حق جوهري، كفيل بأن يمحو الوثنية من العالم. ونرى كيف أن الله أعلن ذلك للعالم بلغة آمرة وسلطان مهيب: «أنا الرب وليس آخر. لا إله سواي»، فليس آخر كلي الوجود، كلي الكفاية، أزلي، أبدي سواي. «أنا الرب وليس آخر». وقد قيل ذلك هنا لكورش، ليس لإبرائه من خطية أسلافه فحسب، التي هي عبادة الأوثان، بل ليمنعه أيضا من السقوط في خطية بعض سابقيه. ممن حققوا انتصارات وأقاموا ممالك ممتدة ثم أقاموا من أنفسهم آلهة يعبدها الناس. ليذكر كورش أنه مازال إنسانا، وأنه لا يوجد سوى إله واحد.

(٢) إنه رب الكل، ولا يعمل شيء بدونه (ع ٧): «مصور النور وخالق الظلمة صانع السلام (معطي الازدهار) وخالق الشر»، شر العقاب. والنور والظلمة نقيضان، وكل يأخذ دوره في التعاقب اليومي. والسبب في حدوثهما هو ذاك الذي هو مصدر كل شيء. فذاك الذي خلق النور الطبيعي (تك ١: ٣) لايزال يشرق بنور عنايته الإلهية. ذاك الذي حقق السلام منذ البدء بين نواميس الطبيعة المتناحرة، قادر أن يصنع السلام في علاقات البشر. وذاك الذي خلق الظلمة عندما يغيب النور يسمح بظلام غياب عنايته الإلهية.

ثانيا: كيف أُثبت هذا التعليم وأُعلن هنا:

(١) أُثبت بما صنعه الله لكورش: «أنا الرب وليس آخر. لا إله سواي» (ع ٥) «نَطَّقتك وأنت لم تعرفني». وبهذا يبين أن إله إسرائيل يحرك كما يشاء حتى أولئك الغرباء عنه الذين يعبدون آلهة أخرى.

(٢) أُعلن للعالم كافة بكلمة الله، وبعنايته الإلهية، وبشهادة اليهود المتألمين في بابل. لقد أُعلن الخلاص العجيب لشعب الله إلى العالم أجمع، فليس

مثل إله يشورون الذي يركب السماء في معونته (انظر تث ٣٣: ٢٦).

ثالثا: كيف استخدم هذا التعليم وطُبق هنا:

(١) لتعزية أولئك الذين انتظروا بصبر فداء إسرائيل (ع ٨): «اقطري أيتها السماوات من فوق ولينزل الجو برا». البعض يفهم هذه العبارة على أنها صلاة القديسين من أجل الخلاص. لكنني أفضل أن آخذها على أنها أمر الله بخصوص هذا الخلاص، لأنه قيل عنه «فأمر بخلاص يعقوب» (مز ٤٤: ٤). سوف تسهم كل المخلوقات في تنفيذ هذا العمل العظيم. وليس لنا أن نتوقع الخلاص دون تبرير، لأنهما برزا معا، ومعا أوجدهما الله. لقد مات المسيح ليخلصنا من خطايانا، لا لكي نبقى فيها، وجُعل فداء لنا، بأن جُعل لنا برا وقداسة. هذا الفداء العظيم إنما هو من السماء، وإذا ما كانت قلوبنا مفتوحة لقبوله، فإن النتيجة ستكون ثمار البر وخلاصا عظيما.

(٢) توبيخ لأعداء الكنيسة الذين يعارضون هذا الخلاص، أو أصدقائها الذين يئسوا منه (ع ٩): «ويل لمن يخاصم جابله». ويل للبابليين الذين يتحدون الله ويسيئون إليه، ولا يسمحون بإطلاق شعبه. لينتبه المطحونين ولا يخاصموا الله في يأسهم لطول مدة سبيهم. «هل يقول الطين لجابله ماذا تصنع»، لماذا خلقتني على هذا النحو أو ذاك؟ هل نشكك في حكمة الله، أو في قوته، وقد خلقنا نحن أنفسنا بشكل عجيب بواسطتهما؟ أو نقول «ليس له يدان» لذاك الذي خلقنا بيديه، والذي نحن في يديه؟ إنه أمر غير طبيعي بالنسبة للطفل أن ينسب خطأ لوالديه، و«يقول لأبيه ماذا تلد»، أو يقول لأمه: «ماذا تلدين» لماذا لم يحمل بي وُولدت كملاك، بعيدا عن ضعف الطبيعة البشرية وكوارثها؟

عدد ١١ - ١٩

أكد للمسبيين، الذين أسلموا أنفسهم لمشيئة الله، وانتظروا بصبر خلاصهم. إن انتظارهم لن يضيع هباء.

أولا: تم دعوتهم ليتساءلوا عن نتيجة متاعبهم (ع ١١): «اسألوني عن الآتيات»، ارجعوا للأنبياء وانظروا ما يقولون. اسألوا الحارس. ما من الليل؟ اسألوهم إلى متى؟ ليس لنا أن نخاصم خالقنا ونشتكي في غضب، إلا إنه يمكننا أن نصارع معه بالصلاة الصادقة الحارة. اختبروا قوة الصلاة، وكيف يستجيب الله لها: سوف تصرخون وسيقول لكم هأنذا ماذا تريدون أن أفعل لكم؟

ثانيا: تم تشجيعهم على الاعتماد على قوة الله عندما يشعرون بالذل والعجز التام عن مساعدة أنفسهم (ع ١٢). معونتهم «من عند الرب صانع السماوات والأرض».

ثالثا: أخبروا بصفة خاصة بما سيعمله الله من أجلهم، وهذا ما سوف يقودهم إلى توقع الفادي الأعظم الذي كان كورش رمزا له.

(١) ستعلن الحرية لهم (ع ١٣)، وسوف تعلن بواسطة كورش: «أنا قد أنهضته بالنصر»، بمعنى تنفيذا لوعودي. «وكل طرقه أسهل». وثمة أمران يتعين على كورش أن يعملهما لله:

أ. عليه أن يعيد بناء أورشليم، مدينة الله التي كانت وقتئذ حطاما.

ب. عليه إطلاق سراح إسرائيل، شعب الله المسبيين، دون أن يطلب أية فدية. ولقد مُسح المسيح ليصنع للنفوس المسكينة المسبية ما عمله كورش لليهود المسبيين، لينادي «للمسبيين بالعتق» من الظلمة (إش ٦١: ١)، وهو سبي أسوأ من سبي بابل.

(٢) المؤن ستعد لهم: لقد خرجوا فقراء لا يمكنهم تحمل نفقات إعادة استقرارهم، ولذلك وعدوا بأن مصر والأمم الأخرى «إليك يعبرون ولك يكونون» (ع ١٤). ولم يخرجوا بأيدي خاوية من بابل، مثلما لم يخرجوا كذلك من مصر. والذين يفديهم المسيح سوف يغتنون. وأولئك الذين يجعلون وجهتهم إلى صهيون السمائية بمقدورهم أن يعتمدوا على الرب في تحمل التكلفة.

(٣) سيأتي إليهم المتجددون: «السبئيون ذوو القامة إليك يعبرون... بالقيود يمرون ولك يسجدون... قائلين فيك وحدك الله». وقد تحقق ذلك بشكل جزئي حين أصبح «كثيرون من شعوب الأرض» من اليهود (أس ٨: ١٧)، وقالوا «نذهب معكم لأننا

www.difa3iat.com

سمعنا أن الله معكم» (زك ٨: ٢٣)، غير أن هذا سيتحقق بشكل كامل في كنيسة الإنجيل- حين يصبح الوثنيون مطيعين للإيمان بالقول والفعل (رو ١٥: ١٨).

رابعا: تعلموا أن يثقوا بالرب بأكثر مما يستطيعون رؤيته. وقد وضع النبي هذه الكلمة في أفواههم (ع ١٥): «حقا أنت إله محتجب». لقد حجب نفسه حين كان يخرجهم من متاعبهم. خلاص الكنيسة يتم بطريقة سرية، وذلك بروح رب الجنود الذي يعمل في نفوس البشر (زك ٤: ٦)، بآلات ضعيفة لم تكن متوقعة، وأحداث عارضة صغيرة، ولكن في هذا تعزيتنا أنه على الرغم من أن الله يحجب نفسه إلا أننا واثقون أنه إله إسرائيل ومخلصها (انظر أي ٣٥: ١٤).

خامسا: أعلموا بأنهم سينتصرون على كل الأوثان وكل من يعبدون آلهة أخرى (ع ١٦).

سادسا: أكد لهم أن أولئك الذين يتكلون على الله لن يخزوا إطلاقا من وضع ثقتهم فيه (ع ١٧). فسوف يخلصون فيه، لأن اسمه سيكون لهم برجا حصينا. وفضلا عن هذا الخلاص الزمني، عليهم أن يفكروا في ذلك الخلاص الذي يحققه المسيح، الذي هو خلاص الروح، واستردادهم إلى النعيم الأبدي ولن تخلصوا فحسب من «العار والازدراء الأبدي» الذي سيكون من نصيب الوثنيين (دا ١٢: ٢)، بل وسيكون لكم فخر ومجد أبدي. والذين يشعرون بالخزي من خطاياهم عندما يتوبون، لن يخزوا حين يؤمنون بمواعيد الله وقوته.

سابعا: شُجعوا على أن يتمسكوا بالله على الدوام، ولا يتركوه إطلاقا. فالرب الذي نعبده ونثق فيه هو الإله الوحيد الذي يظهر في النورين العظيمين، نور الطبيعة ونور الإعلان الإلهي.

(١) يظهر بنور الطبيعة، لأنه خلق العالم، ومن ثم له الحق في أن يطلب خضوعه له (ع ١٨): «لأنه هكذا قال الرب خالق السماوات هو الله. مصور الأرض وصانعها... أنا الرب وليس آخر». لأنه «على البحار أسسها وعلى الأنهار ثبتها» (مز ٢٤: ٢)، وعلقها «على لا شيء» (أي ٢٦: ٧)، كما خلقها في البداية من لا شيء. وقد هيأها لخدمة الإنسان، الذي اعتزم أن يعطيها له. لم يخلق أي شيء عبثا، لكنه جعل لكل شيء غاية. وإذا أثبت أي شخص أنه خُلق عبثا، فهذا خطؤه هو.

(٢) يظهر بنور الإعلان الإلهي: وكما أن أعمال الله تثبت بالدليل القاطع أنه هو الله وليس سواه، هكذا أيضا كلمته، والإعلان الذي أعلنه عن نفسه وعن فكره وإرادته بواسطة هذا الإعلان. وكل ما قاله الله واضح: «لم أتكلم بالخفاء في مكان من الأرض مظلم». آلهة الوثنين تقدم أقوالها من خلال الكهوف والمغارات، وبصوت أجوف مبهم، وفي تعبيرات غامضة، من خلال «أصحاب التوابع والعرافين المشقشقين والهامسين» (إش ٨: ١٩)، غير أن الله يقدم ناموسه من فوق جبل سيناء، ويقدمه واضحا، مسموعا ومفهوما. فالرؤيا مكتوبة، وجاءت واضحة، حتى يقرأها كل من يلجأ إليها. وإذا بدت غامضة لأحد فلا يلومن إلا نفسه. المسيح يدافع عن نفسه بما قاله الله هنا «وفي الخفاء لم أتكلم بشيء» (يو ١٨: ٢٠). والله في كلمته دعا الناس أن يطلبوه، ولذلك فهو لا ينكر إطلاقا صلوات الإيمان التي يرفعونها. وإذا رأى أنه من غير المناسب أن يعطيهم الشيء المعين الذي صلوا من أجله، فإنه يعطيهم نعمة وتعزية وراحة لنفوسهم بالشكل الذي يراه مناسبا فالصلاة لا تذهب إلى السماء هباء؛ إما أن تأتي باستجابة أو تعزية.

عدد ٢٠- ٢٥

وما ذُكر هنا قُصد به:

أولا: أن يسمعه «الوثنيون»، لكي يعرفهم حماقتهم المتمثلة في عبادة آلهة لا تستطيع مساعدتهم، وإهمالهم الإله الذي يستطيع كل شيء. ليأت «الناجون من الأمم»، وليس اليهود فقط، بل أولئك الذين من أمم أخرى الذين أطلق كورش سراحهم، ليسمعوا ما يقال ضد من يعبدون الأوثان. «الحاملون خشب صنمهم»، على الرغم من أنهم يغشونها بالذهب، ويزينونها، ويتخذون منها إلها، إلا أنها على الرغم من ذلك كله ليست سوى قطعة من خشب. «والمصلون إلى إله لا يخلص». اجمعوهم جميعا، واخبروهم أن القضية العظمى سوف تثار ثانية بين الله والبعل. «أنا الله وليس آخر». ليس آخر يصلح

WWW.DIFA3IAT.COM

لأن يسود. وليس غيري من يستطيع أن يساعد. وكما أنه إله عادل، فإنه هو أيضا المخلص.

ثانيا: تعزية وتشجيع عبيد الله الأمناء أيا كانوا (ع ٢٢). والله يقول لكل شعبه إنه على الرغم مما يبدو من أنهم ضاعوا وأصبحوا في طي النسيان في شتاتهم «التفتوا إليَّ» بالإيمان والصلاة، انظروا إلى ما هو أبعد من الأمور الهامشية، انظروا إليَّ «واخلصوا». حين رُفع المسيح عن الأرض، كما رُفعت الحية النحاسية على خشبة، فسوف يجذب أنظار الجميع إليه. «بذاتي أقسمت».. وليس هناك شيء يقسم به الله أعظم من نفسه، (عب ٦: ١٣)، «خرج من فمي الصدق كلمة» أن من خلق الكل يجب أن يكون رب الكل، وأنه نظرا لأن كل الأشياء مأخوذة منه، فيجب أن تكرس كلها له.

وأكد لنا أن ممالك العالم ستكون مملكته. وهذا ينطبق على سيادة ربنا يسوع (رو ١٤: ١٠ و١١): «إليه يأتي» أناس من أقطار بعيدة لكي يلتمسوا فضله. «ويخزى جميع المغتاظين عليه». البعض سيحل بهم خزي عظيم نتيجة ذلك، وآخرون إلى هلاك لا مفر منه. وسيجد المسبيون اليهود في الرب برا (أي نعمة لتقدس ضيقاتهم وتؤهلهم للخلاص) وقوة لتدعمهم وتمكنهم من العودة. ولنا في الرب يسوع برا يذكينا لمشيئة الله الصالحة من نحونا، وقوة لنبدأ ونواصل عمل الله الصالح فينا. سوف يتبرر شعب اليهود في الرب أمام الناس، ويتمجدون علانية في إلههم. وجميع المؤمنين يعتمدون على المسيح من أجل القوة والبر سوف يبررون فيه، ويتمجدون في ذلك.

الأصحاح السادس والأربعون

يهيئهم الله هنا للخلاص بواسطة النبي، بأن يغرس فيهم كراهية للأصنام وإيمانا واثقا في الله:

أولا: عليهم ألا يخافوا من أوثان بابل (ع ١ و٢)، بل يضعوا ثقتهم في ذلك الإله الذي كثيرا ما سبق وخلصهم وسوف يفعل ذلك الآن (ع ٣ و٤).

ثانيا: يتعين عليهم ألا يفكروا في صنع أصنام لهم (ع ٥– ٧)، بل ليلتفتوا إلى الله وكلمته وليس إلى وثن، عليهم أن يتكلوا على مواعيد الله وقدرته في تحقيقها كلها (ع ٩– ١١). عليهم أن يدركوا أن عدم إيمان الإنسان لن يعطل فعالية كلمة الله (ع ١٢ و١٣).

عدد ١– ٤

أولا: من المؤكد أن الآلهة الزائفة ستخذل من يعبدونها (ع ١ و٢). كان «بيل» و«نبو» من الأوثان الشهيرة في بابل. وكما أن بيل كان ملكا معبودا، هكذا (كما يعتقد البعض) كان نبو نبيا معبودا أيضا، لأن هذا هو معنى كلمة نبو، ولذلك كان بيل ونبو عندهم بمثابة چوبتر أو مارس أو أبوللو لدى الرومان. والله يخبرهم هنا المصير الذي ينتظر هذه الأوثان، فحين يستولي كورش على بابل ستسقط الأوثان. أما بيل ونبو اللذان وضعا في مكانة عالية، فإنهما سوف يجثوان وينحنيان عند أقدام الجنود الذين سوف ينهبون معابدهم. ولأنه توجد كمية كبيرة جدا من الذهب والفضة عليهما فإنهم سوف يحملونها معهم مع بقية ما سلبوه. وقد حُملت البغال بهم وبأوثانهم الأخرى، لكي تُرسل مع الأمتعة الأخرى (إذ يبدو أنهم يعتبرونها ضمن كنوزهم) إلى فارس. «قد انحنت جثت».. وكلها متشابهة، فما هي إلا أشياء متداعية، جاء وقت سقوطها.

ثانيا: الإله الحقيقي لن يخذل من يعبدونه أبدا. لقد صنع منهم شعبا وأعطاهم كيانهم.

«المحمَّلين عليَّ من البطن المحمولين من الرحم»، وكما أن الله شرع منذ وقت مبكر يعمل لهم خيرا فإنه واصل ذلك بصفة مستمرة وحملهم من الرحم حتى يومنا هذا. لقد حملنا على أذرع قوته، وفي حضن محبته ورحمته. ودعمت نعمته حياتنا الروحية بحسب الضرورة وبصفة دائمة كحياتنا الطبيعية وذلك بعنايته الإلهية كنتم «محمَّلين عليَّ من البطن»، أرضعتكم حين كنتم أطفالا، «وإلى الشيخوخة أنا هو» حيث إنه بسبب ضعفكم ستحتاجون إلى مساعدة مثلما كان الحال أثناء طفولتكم. كانت إسرائيل تسرع إلى الشيخوخة، وما يواجهونه هو نتيجة تعدياتهم. غير أن الله لايزال هو إلههم، وسوف يواصل حملهم على الأذرع الأبدية التي حملتهم أيام موسى (تث ٣٣: ٢٧). وسأخرجهم الآن من بابل على أجنحة النسور، كما أخرجهم من مصر في طفولتهم. هذا الوعد الذي

أعطي لإسرائيل في شيخوختها ينطبق على كل مؤمن في شيبته. «وإلى الشيخوخة»، حين تغدون غير لائقين للعمل، حينما يحوطكم الضعف، وربما يبدأ أقاربكم في التبرم منكم، إلا إنني «أنا هو»، نفس ذاك الذي حملكم في البطن كما حملكم منذ الولادة. أنتم تتغيرون، إلا أنني لا أتغير. سوف أحملكم وأساندكم وأؤيدكم، وأخيرا أحملكم إلى بيتكم الأبدي.

عدد ٥- ١٣

أعطي الوعد أيضا بخلاص إسرائيل عن طريق تدمير بابل، وذلك لإقناع الوثنيين والمضطهدين.

أولا: من أجل إقناع أولئك الذين يصنعون الأصنام ويعبدونها، ولاسيما من الإسرائيليين.

(١) تحداهم أن يصوغوا تمثالا يمكن أن يشبهه (ع ٥): «بمن تشبهونني؟» إنها لحماقة أن نمثل روحا أزليا بتمثال لأي مخلوق مهما كان. فما من أحد رأى شبهه، أو استطاع أن يرى وجهه ويعيش.

(٢) كشف حماقة أولئك الذين يصنعون الأصنام ثم يصلون لها (ع ٦ و٧): «الذين يفرغون الذهب من الكيس»، على الرغم من أنهم بذلك يفقرون عائلاتهم وينقصون ممتلكاتهم. «والفضة بالميزان يزنون»، إما كمادة تصاغ منها الأصنام، أو كأجر للصناع. كانوا يهتمون بأصنامهم اهتماما بالغا (ع ٧): «يرفعونه على الكتف. يحملونه ويضعونه في مكانه» وهو في هذا يشبه جثة ميت. يضعونه على قاعدة «ليقف». ويبذلون كل جهد ليربطوه، حتى أنه «من موضعه لا يبرح»، على الرغم من معرفتهم أنه لا يستطيع أن يحرك يدا أو يخطو خطوة واحدة ليقدم لهم أي عون. وبعد أن ينتهي الصائغ من عمل ذاك الذي يسرهم أن يسموه إلها «يخرون ويسجدون» له. وهل من يعرفون الإله الحي الحقيقي يجعلون من أنفسهم حمقى إلى هذا الحد؟!

(٣) تركهم يتدبرون الأمر ثم يحكمون فيه بأنفسهم (ع ٨): «اذكروا هذا»، كيف أن الأصنام لا حس لها ولا تنفع شيئا. «كونوا رجالا». تصرفوا بعقل ولا تخزوا أن تعترفوا بأنكم حمقتم حين عبدتم الأصنام.

(٤) قدم لهم أيضا براهين لا تدحض على أنه الله (ع ٩): «اذكروا الأوليات منذ القديم لأني أنا الله وليس آخر»، ما عمله إله إسرائيل لشعبه في بداياتهم. تذكروا هذه الأشياء، وسوف تعترفون بأني «أنا الله وليس آخر». فهو وحده الله. لأنه هو وحده «مخبر منذ البدء بالأخير» (ع ١٠). وكثير من النبوات التي تضمنتها الأسفار المقدسة لم تتحقق بعد، غير أن تحقيق بعضها في حينه يعد إيذانا بتحقيق البقية في الوقت المناسب. وإتمام هذه النبوة بالذات والتي تتعلق بارتفاع منزلة كورش ودوره في خلاص شعب الله من السبي، قد ذكرت من أجل ترسيخ هذا الحق. فقد رأى الله في مشورته أن يدعو «من المشرق الكاسر»، كورش، والذي (كما يقولون) له أنف مثل منقار الصقر أو النسر، الذي يعتقد البعض أن هذه إشارة إلى النسر الذي اتخذه رمزا له، كما اتخذ بعد ذلك رمزا للرومان، والذي يعتقد أنه هناك ثمة إشارة إليه في متى ٢٤: ٢٨. فقد جاء كورش من الشرق بناء على دعوة الله. فما «قد تكلمت» به على لسان عبيدي الأنبياء، وما تكلمت به هو ما «قضيت». لأنه، على الرغم من أن الله له مقاصد كثيرة لم ترد كلها في النبوات، إلا أنه ليس في النبوات إلا ما هو في مقاصده.

ثانيا: ومن أجل إقناع أولئك الذين يعارضون مشورات الله أعطي تأكيد هنا بأنها ستتحقق في القريب العاجل (ع ١٢ و١٣):

(١) هذا موجه لقساة القلوب، سواء لـ:

أ. البابليون المتغطرسون العنيدون «البعيدين عن البر»، الذين يقولون بأنهم لن يدعوا مسبييهم المضطهدين ينطلقون في سلام، على الرغم من توسلاتهم أو النبوات الإلهية. أو...

ب. اليهود الذين لم يتضعوا، الذين قضوا مدة طويلة في الأتون، غير أنهم لم يخضعوا، والذين- على غرار الإسرائيليين غير المؤمنين والمتذمرين في البرية- يحرمون أنفسهم من إحسانات الله، كما فعل آباؤهم، الذين لم يدخلوا أرض الموعد لعدم الإيمان. هذا ينطبق على الأمة اليهودية حين رفضت إنجيل المسيح، والذين على الرغم من أنهم وهم يسعون «في أثر ناموس البر» لم يدركوا ناموس البر، لأنهم فعلوا ذلك «ليس بالإيمان» (رو ٩: ٣١ و٣٢).

WWW.DIFA3IAT.COM

(٢) ويقول الله هنا إنه مهما كان ما يفكرون فيه، إما في غطرسة وإما في يأس، إلا أنه:

أ. من المؤكد أن يتم الخلاص لشعب الله. وإذا كان الناس لم يعاملوهم بعدل، فإن الله سيفعل ذلك. «وأجعل في صهيون خلاصا»، أي أنه سيجعل أورشليم مكانا آمنا، لكل الذين يسكنون فيها.

ب. سيتم ذلك في وقت قريب جدا.

الأصحاح السابع والأربعون

كان بمقدور الحكمة الأزلية أن ترتب إطلاق إسرائيل من السبي، دون أن يلحق بابل أذى، غير أنه إذا ما قسّوا قلوبهم، ورفضوا إطلاق الشعب، فلا يلوموا إلا أنفسهم، ذلك أن دمارهم سيفسح الطريق أمام إطلاق سراح إسرائيل. وقد ذُكر دمار بابل لتقوية إيمان إسرائيل ورجائهم فيما يتعلق بخلاصهم، وليرمز إلى سقوط عدو كنيسة العهد الجديد البغيض، والذي أشير إليه في سفر الرؤيا بكلمة «بابل».

ونجد في هذا الأصحاح:

أولا: التهديد بالدمار، بأن بابل ستُسوى بالتراب (ع ١ – ٥).

ثانيا: خطاياهم التي أغاظت الله ومن ثم ألحق بهم هذا الدمار:

(١) قسوتهم على شعب الله (ع ٦).

(٢) تكبرهم وثقتهم في قدراتهم الزمنية (ع ٧– ٩).

(٣) احتقارهم الله (ع ١٠).

(٤) استخدامهم السحر واعتمادهم على العِرافة والشعوذة (ع ١١– ١٥).

عدد ١ – ٦

في هذه الأعداد يرسل الله بواسطة النبي رسالة إلى بابل، كرسالة يونان إلى نينوى: جاء وقت دمار بابل. وقد أعطيت الإنذار العادل بأنه بمقدورها عن طريق التوبة تجنب هذا الدمار، وبهذا تطول فترة سلامها.

أولا: مخاصمة الله مع بابل: لقد جعلت الله عدوا لها. لتعرف أن القاضي العادل الذي له النقمة قال (ع ٣): «آخذ نقمة ولا أصالح أحدا»، لا أقابلك بقوة إنسان التي يمكن مقاومتها بسهولة، بل بقوة الله التي لا تقاوم. وليس بعدل البشر الذي يمكن تغييره بالرشوة، بل بعدل الله الذي لا يمكن تحاشيه.

ثانيا: السبب المحدد لهذه المخاصمة: سيدافع الله عن قضية شعبه ضدهم. من المعلوم أن الله أسلم شعبه لأيدي البابليين (ع ٦)، لقد استخدمهم لتأديب أولاده، ومن خلالهم «دنست ميراثي». غير أن البابليين تمادوا في الأمر بأكثر مما يجب، فبعد أن صاروا في قبضتهم، داسوهم بأقدامهم بكل حقارة وخسة «لم تصنعي لهم رحمة» و«على الشيخ ثقلت نيرك جدا» فزدت من آلام المتألمين– فالشيوخ المتقدمون في الأيام، والذين تعدوا سن العمل، ثقلوا النير عليهم.

ثالثا: رعب بابل من هذه المخاصمة: كان لرعبها ما يبرره حين علمت من هو الذي يتخاصم معها (ع ٤): إنه «رب الجنود» الذي تخضع له كل المخلوقات، ولذلك فله السلطان في السماء وعلى الأرض. أيضا هو «قدوس إسرائيل»، الله الذي دخل في عهد معنا. ويمكن أن ينطبق هذا تماما على المسيح، فادينا العظيم، فهو «رب الجنود» و«قدوس إسرائيل».

رابعا: العواقب الوخيمة لهذه المخاصمة على بابل: كانت عذراء جميلة، يخطب ودها كل من حولها، وقد سميت «ناعمة ومترفهة» (ع ١)، و«سيدة الممالك» (ع ٥)، أما الآن فقد تغيرت الصورة. لقد ضاع شرفها، وعليها أن تودع كل كرامتها. فقدت قوتها، وعليها أن تودع كل سلطانها. فلم يعد ثمة «كرسي» (عرش) لك يا «ابنة بابل». فالذين يسيئون استغلال قوتهم أو مكانتهم يثيرون الله فيحرمهم منها، ويدفعهم إلى أن ينزلوا ويجلسوا «على التراب». فقد ولت أيام ترفها ومسراتها: «لا تعودين تدعين ناعمة ومترفهة»، بل ترزحين تحت الخدمة الشاقة، وتعانين العوز والألم. لقد فقدت حريتها، وأصبحت تعاني من العبودية المرة. وحتى أعظم رجال بابل سيلقون من الغزاة نفس المعاملة القاسية التي سبق أن عاملوا بها من هزموهم: «خذي الرحى واطحني» (ع ٢)، ابدئي العمل، الشاق الذي يجعلك تعرفين ومن ثم تطرحين عنك كل لباس للرأس، «شمري الذيل».

فنتيجة لتقلب أطوار أسيادهم وشذوذ طباعهم، كانوا يضطرون إلى الخوض في الماء، «اكشفي الساق.

www.DIFAAAT.com

اعبري الأنهار» وهو ما كان يعتبر إذلالا عظيما! لقد ذهب كل مجدها، وكل ما كان موضع فخرها. وبدلا من المجد حل الهوان والخزي (ع ٣): «تنكشف عورتك وترى مَعاريك»، نفس المعاملة التي كانوا يعاملون بها في العادة أسراهم.

وبدلا من المجد «اجلسي صامتة وادخلي في الظلام» (ع ٥)، سوف تخجل من أن تظهر وجهها «لأنك لا تعودين تدعين سيدة الممالك».

عدد ٧ - ١٥

هنا نرى توبيخ عادل موجه إلى بابل المحكوم عليها بالهلاك، بسبب كبريائها أثناء ازدهارها، وخاصة بالنسبة لتكهنات ومشورات عرافيها ومنجميها.

أولا: وبخ البابليون هنا لكبريائهم وزهوهم، اللذان كانا لسان حال حكومتهم وشعبهم: «القائلة في قلبها أنا وليس غيري» (ع ٨، ١٠). وهذه نفس العبارة التي كثيرا ما قالها الله عن نفسه: «أنا الله وليس آخر»، الأمر الذي يشير إلى كماله غير المحدود الذي لا يقارن، وسيادته التي يتفرد بها.

ثانيا: وبخوا لمحبتهم للترف والتنعم (ع ٨): «المتنعمة الجالسة بالطمأنينة»، والتي لا يقلقها شيء. فالثروة والرخاء غالبا ما ينجم عنهما إغراءات قوية للانغماس في الشهوات، وحيثما يوجد رغد العيش، عادة ما يصاحبها حياة الكسل والخمول.

ثالثا: وبخوا لثقتهم في الجسد والأمور الواهية:

(١) أسباب ثقتهم: اعتقدوا أنهم في أمان، وقد سكنوا أنفسهم في المسرات وحياة الراحة، ولا يحلمون بشيء سوى أن الغد سيكون مثل اليوم وأفضل «لم تضعي هذه في قلبك لم تذكري آخرتها»- لم تفكري فيما قد يحدث لازدهارك، إنه زهرة ذابلة سوف تذوي- وما قد يحدث بسبب إثمهم، وأنه سيكون مرا. «لم تتأمل فيما تؤول إليه» (بحسب ترجمة أخرى).

(٢) أساس شعورهم بالطمأنينة: اتكلوا على شرهم وحكمتهم (ع ١٠). على قوتهم وثروتهم، التي حققوها بالخداع والبطش. ولم يكونوا يشكون في أنهم سيكونون أقوياء جدا على كل أعدائهم، لأنهم لم يكونوا يتورعون عن الكذب والقتل والحنث بالقسم، وعمل أي شيء في سبيل مصلحتهم. وكانت سياستهم وخبثهم التي يسمونها «حكمة» هي مبعث ثقتهم في أنفسهم. غير أن «حكمتك ومعرفتك هما أفتناك».

(٣) مظاهر ثقتهم: ثلاثة أشياء قالت بهما هذه الملكة المتكبرة المتعالية في ثقتها بنفسها:

أ. «إلى الأبد أكون سيدة» (ع ٧). وهكذا قالت بابل العهد الجديد: «أنا جالسة ملكة... ولن أرى حزنا» (رؤ ١٨ : ٧).

ب. «لا أقعد أرملة»، في وحدة وحزن، لن أفقد إطلاقا قوتي وثروتي التي أقبض عليهما بإحكام، ولن تفتقر المملكة أبدا إلى ملك يحميها، ويرتبط بهذه المملكة: «ولا أعرف الثكل» (ع ٨).

ج. «ليس من يراني» حين أخطئ، وعلى ذلك لن يكون هناك من يحاسبني (ع ١٠).

(٤) عقوبة هذه الثقة: سيكون ذلك سبب خرابهم «بالتمام قد أتيا عليك» (الأمرين اللذين كانت تتحدى بهما) وهما «الثكل والترمل» (ع ٩). سوف يقطع رؤساؤك وشعبك، وبذلك لن تكوني بعد حكومة أو أمة. وسوف يكون دمارا مفاجئا وعجيبا: «فيأتي عليك شر» (ع ١١) ولن يتوافر لك وقت أو طريقة للاستعداد له، «تهلكة لا تعرفين بها»، ولذلك لن تعرفي كيف تواجهينها. كانت بابل تدعي لنفسها حكمة ومعرفة عظيمتين (ع ١٠)، ولكن على الرغم من كل معرفتها لم تستطع أن تتنبأ بالدمار الذي كان يهددها، ومع كل حكمتها عجزت عن صده. ولقد وجه لهم في الواقع تحذير مناسب بمعرفة إشعياء وأنبياء آخرون للرب، ينذرونهم بهذا الخراب، غير أنهم استهانوا بالتحذير ولم يبالوا به.

رابعا: وبخوا لاستخدامهم العرافة والسحر والتنجيم: وكانت هذه من بين خطاياهم التي أثارت سخط الله (ع ٩): فيأتي عليك هذه الشرور عقابا لك «مع كثرة سحورك مع وفور رقاك جدا». السحر والعرافة خطية لأنهما يعطيان للشيطان الكرامة الواجبة لله وحده، حيث نتخذ من أعداء الله مرشدين لنا. كانت تلك الأعمال تلقى حماية الحكومة في بابل. لقد وبخوا هنا للعناء العظيم الذي تحملوه فيما يختص بأعمال السحر والعرافة: «تعبت منذ صباك» (ع ١٢). كان لديهم منجموهم، الذين يرون السماء، والذين تحت

ذريعة التنبؤ بالأحداث المستقبلية بهذه الوسيلة، كانوا يتطلعون إلى السماء وينسون الذي خلقها. فلديهم «المعرفون» الذين عن طريق تحركات النجوم، اقترانها أو تقابلها، يقرأون مصير الدول والممالك. وقد وبخوا للعجز التام وعدم كفاءة هؤلاء المدعين في يوم محنتهم. وارتباك العرافين هذا، تحقق حرفيا، لأنه في الليلة التي سقطت فيها بابل، واغتيل بيلشاصر، رأينا كل المنجمين والرائين والعرافين والسحرة قد أخذتهم الحيرة والارتباك بالنسبة للكتابة التي كانت على الحائط والتي كانت تعلن الحكم المميت (دا ٥: ٨- ١٠). وقد وبخوا بسقوط السحرة أنفسهم في الدمار الشامل (ع ١٤): «ها إنهم قد صاروا كالقش» أمام نار آكلة. وإذ أراد الفرس أن يفسحوا المجال لعرافيهم، فقد قطعوا عرافي بابل «أحرقتهم النار. لا ينجون أنفسهم من يد اللهيب». وهؤلاء المنجمون، الذين يمارسون السحر الأسود، كانوا في الواقع تجارهم، ذلك أن العرافة كانت من أفضل الحرف في بابل. ومع ذلك فإنه حين كان يقضي على أحدهم، كان الآخرون يهربون إلى خارج البلاد «كل واحد على وجهه»، ولم يبق من يخلص بابل.

الأصحاح الثامن والأربعون

إذ حاسب الله البابليين في الأصحاح السابق، يأتي في هذا الأصحاح ليبين لبيت يعقوب خطاياهم، وكذلك الرحمة التي يحتفظ بها لهم، حتى إنهم بتوبتهم ورجوعهم يمكنهم أن يهيئوا أنفسهم لهذه الرحمة.

أولا: يتهمهم بالرياء في كل ما هو صالح، والتشبث بكل ما هو شر، ولاسيما في عبادتهم الأوثان (ع ١- ٨).

ثانيا: يؤكد لهم بأن خلاصهم سيتحقق، لكن ليس لاستحقاق فيهم (ع ٩- ١١).

ثالثا: يشجعهم على الاعتماد فقط على قوة الله ووعده بالخلاص (ع ١٢- ١٥).

رابعا: عرفهم أنه كما أنهم بخطيتهم جلبوا على أنفسهم الحكم بالسبي، فهكذا أيضا ستكون نعمة الله وحدها هي التي تمكنهم من الإطلاق من السبي (ع ١٦- ١٩).

خامسا: أعلن تحريرهم من السبي شريطة أن الأشرار لن يستفيدوا من ذلك (ع ٢٠- ٢٢).

عدد ١- ٨

أولا: رياء كثيرين من اليهود في تدينهم وعلاقتهم مع الله:

(١) كيف ارتفع عاليا اعترافهم بالدين، وكيف أظهروا كل صلاح في الوجه مع أن قلوبهم كانت مملوءة خبثا.

أ. كانوا «بيت يعقوب»، كان لهم مكان واسم في الكنيسة المرئية «أحببت يعقوب».

ب. «المدعوين باسم إسرائيل»، اسم مبجل، إسرائيل تعني أمير مع الله، وكانوا يتباهون بأنهم من ذلك العرق الملكي.

ج. «الذين خرجوا من مياه يهوذا»، وكانوا من السبط الملكي، السبط الذي التصق بالله، في الوقت الذي تمرد فيه الآخرون.

د. «الحالفين باسم الرب»، وبهذا اعترفوا بأنه الإله الحقيقي.

هـ. «الذين يذكرون إله إسرائيل» في صلواتهم وتسبيحاتهم.

و. «يُسَمَّون من مدينة القدس».

ز. «ويُسنَدون إلى إله إسرائيل»، ويتباهون بمواعيده وبعهده معهم، «وهم يتوكلون على الرب» (مي ٣: ١١).

(٢) كيف تدنى مستوى تدينهم على الرغم من كل ذلك، فقد كان ذلك كله بلا جدوى. فقلوبهم لم تكن صادقة أو مستقيمة في ادعاءاتهم هذه.

ثانيا: الوسائل التي استخدمها الله ليظلوا ملتصقين به، وليحول بينهم وبين الاتجاه إلى الوثنية. فالوصايا الرائعة الكثيرة التي أعطاها لهم لم تفلح في كبحهم عن الخطية، وعلى ذلك أضاف الله إليها نبوات رائعة، وتدابير إلهية عظيمة، قصد بها كلها إقناعهم بأنه من واجبهم التمسك بالله.

(١) اختصهم بنبوات رائعة (ع ٣): «بالأوليات منذ زمان أخبرت». ولم يحدث شيء ملموس لأمتهم منذ نشأتها لم يسبق التنبؤ به- عبوديتهم في مصر، وخلاصهم منها، وضع أسباطهم في كنعان، وما إلى ذلك. حتى المصائب التي يئنون منها في بابل أعلنها الله لهم منذ البداية (لا ٢٦: ٣١- ٤٥؛ تث ٢٨:

٢٦– ٦٧؛ ٢٩: ٢٨). بل إنه أعلن لهم أيضا عودتهم ثانية إلى الله، وإلى أرضهم (تث ٣٠: ٤– ٢٠؛ لا ٢٦: ٤٤ و٤٥).

(٢) أكرمهم بتدبيرات إلهية عظيمة «قد أنبأتك بحديثات» (ع ٦). لقد أراهم عن طريق الأنبياء المعاصرين لهم أشياء جديدة أوجدها لهم. كانت «مخفيات»، ما كان لهم أن يعرفوها، مثل النبوة الخاصة بكورش، والوقت الذي يطلق فيه سراحهم من بابل على وجه الدقة. هذه الأشياء «الآن خلقت» (ع ٧). ويقول الله، تأملوا كيف أخبركم بها الأنبياء، في الوقت التي كانت أبعد ما تكون عن أذهانكم، ولم يكن لديكم أي مبرر لتتوقعوها (ع ٧ و٨). حيث بدت مستحيلة تماما. لقد أراهم الله أمورا خفية، وعمل لهم أعمالا عظيمة، ومن ثم يقول لهم (ع ٦): «قد سمعت فانظر كلها». لقد سمعت النبوة، فانظر تحقيقها. ألن تعترف بعد هذا أن إلهك كان إلها صالحا معك؟ أعلن ذلك من أجل مجده، ولخزيك.

ثالثا: الأسباب التي من أجلها اتبع الله معهم هذه الوسيلة:

(١) لأنه توقع تفاخرهم بأنفسهم وبأصنامهم: يقول الله «لئلا تقول صنمي قد صنعها» وأمر بها. وأولئك الذين لم يكونوا بمستبيحين حتى ينسبوا النبوة إلى الوثن، كانوا على الرغم من ذلك يتباهون ويدعون أنهم بفراستهم تنبأوا بها.

(٢) لقد اهتم بهم الرب، لأنه كان يعرف عنادهم (ع ٤): «لمعرفتي أنك قاس وعَضَلٌ من حديد عنقك» ولا تميل إلى الخضوع لنير وصايا الله، ولست خاضعا لمشيئة الله، ولست مطيعا لتدبيراته الإلهية. «وجبهتك نحاس»، وأنك أحمق لا تعرف الخجل، بل ستندفع وراء ميول قلبك. لقد أرسل الله أنبياءه لهم، غير أنهم لم يستمعوا لهم، ولا يريدون أن يعرفوا. وكان حقا، أنك «من البطن سميت عاصيا». كانوا منكبين على عبادة الأوثان. لقد تذمروا منذ بداية تحركهم نحو كنعان. «فإني علمت أنك تغدر غدرا».

عدد ٩– ١٥

كان خلاص شعب الله من السبي في بابل أمرا بعيد الاحتمال، حتى أنه كانت ثمة حاجة إلى تشجيع شعب الله لتصديق هذا الأمر. وكان هناك أمران يسببان الإحباط. عدم استحقاقهم لما سوف يصنعه الله معهم، والصعاب العديدة التي تكتنف هذا الأمر.

أولا: الأسباب التي من أجلها سوف يصنع الله لهم هذا الخلاص بالرغم من عدم استحقاقهم (ع ٩– ١١):

(١) حقا كانوا يثيرون غيظ الله بدرجة كبيرة. وكان سبيهم عقابا لإثمهم، غير أن الله يقول: «أبطئ غضبي» (أكبحه أو أخمده). ولماذا يمسك الله عنهم يده على هذا النحو؟ «من أجل اسمي»، لأن هذا الشعب دعي باسمه، وإذا ما قطعوا، فسوف يجدف الأعداء على اسمه. «ومن أجل فخري»، لأن ذلك يؤول إلى مجد رحمته.

(٢) كانوا في واقع الأمر فاسدين سيئي الطباع، غير أن الله سيجعلهم مؤهلين للرحمة التي أعدها لهم: «هأنذا قد نقيتك»، حتى تصبح آنية للكرامة. وهذا يفسر سبب المتاعب التي أوقعهم فيها، وتركهم فيها مدة طويلة. ولم يكن يقصد فنائهم، بل خيرهم، وعلى ذلك قبلهم بالحالة التي هم عليها، حيث تنقوا بصفة جزئية فقط، وليس بشكل كامل. «اخترتك في كور المشقة»، ثم أعددت لكم أشياء عظيمة. وكثيرون رجعوا إلى الله كآنية مختارة، وبدأ فيهم عمل نعمة الله الصالحة في بوتقة الألم، وسوف يخلصهم الله، ليس لأنه مدين لهم بهذا الفضل، بل ليحميهم من التنجس بانتصارات الوثنيين الوقحة، الذين بعد انتصارهم على إسرائيل اعتقدوا أنهم انتصروا على إله إسرائيل. وكم اتخذ موسى من هذا الأمر ذريعة لمناشدة الله من أجل الشعب: يا رب ماذا يقول المصريون؟

ثانيا: هنا دليل على أن الله يستطيع أن يفعل ذلك لهم، على الرغم من أنهم لم يستطيعوا شيئا حيال هذا الأمر، وبدا الأمر كله غير واقعي. فلقد دعوا «حسب قصده»، وقد دعاهم من مصر (هو ١١: ١) والآن دعاهم من بابل. وسوف يخلصهم بقوته. ولذلك، عليهم ألا يخافوا، لأنه هو الله وليس سواه، وهو الإله الأزلي الأبدي (ع ١٢): «أنا هو»، الذي أستطيع أن أعمل ما أريد، وأعمل ما هو أفضل: «أنا الأول وأنا الآخر». فهل هناك بعد ذلك سبب لأن يشكوا في

www.DIFA3IAT.com

خلاصهم طالما «أنا هو» الذي يقوم به؟ إنه الله خالق العالم، والذي فعل ذلك يستطيع أن يعمل أي شيء (ع ١٣)، وإذا كان كف يده اليمنى (بحسب هامش إحدى الترجمات) قد امتدت حتى السماوات، فماذا سيفعل إذًا بذراعه الممدودة؟ وهو الذي يسيطر على جنود الأرض والسماء.. «أنا أدعوهن فيقفن معا» يساعد كل منهما الآخر في خدمة خالقه. فإذا ما كان الله على ذلك سيخلص شعبه، فلن يعدم الوسائل التي يحقق بها هذا الخلاص. «كلكم» يا بيت يعقوب «اجتمعوا كلكم واسمعوا» هذا من أجل تعزيتكم. «مَن منهم أخبر بهذه»، مَنْ مِنْ بين آلهة الوثنين أو عرافيهم «أخبر بهذه»، أو استطاع أن يعلنها؟ (ع ١٤). ما من أحد يستطيع أن يرى ما يراه هو، ومن ثم علينا أن نكون على ثقة من أنه ليس أحد بمقدوره أن يفعل ما يفعله هو. كورش هو الرجل الذي يجب أن يتمم هذا الخلاص. فهو الذي «قد أحبه الرب. يصنع مسرته» (ع ١٤)، وقد أولاه الله هذا الشرف، ليجعله أداة في خلاص شعبه، وهو في هذا يكون رمزا للفادي العظيم، ابن الله الحبيب الذي فيه كانت مسرته. «دعوته».. ولذلك سيساعده. «أتيت به» من بلد بعيد، أتيت به خطوة خطوة، بعيدا عن مقاصده الشخصية. أما كورش فسوف «يصنع مسرته ببابل» «ويكون ذراعه» (جيش كورش، وفيه ذراع الله) على الكلدانيين، لكي يحطمهم (ع ١٤)، لأنه إذا كان الله قد دعاه، فلابد وأن «ينجح طريقه» (ع ١٥).

عدد ١٦ - ٢٢

دعي يعقوب وإسرائيل للاستماع إلى الله وهو يتكلم في النبي ومن خلاله. وليعلم الذين يطلبون الله ويقتربون إليه أن «سر الرب لخائفيه».

أولا: يذكرهم الله بما سبق أن قاله وصنعه لهم في الماضي. كان دائما يتكلم إليهم بكل وضوح «من البدء»، بواسطة موسى وكل الأنبياء: «لم أتكلم... في الخفاء»، لم يعط أقواله الإلهية بطريقة غامضة مبهمة، بل بطريقة يمكن فهمها (حب ٢: ٢). منذ أن جعلوا شعبا لأول مرة «أنا هناك» (أرسل لهم أنبياء، أقام لهم قضاة، وكثيرا ما كان يظهر من أجلهم)، ولذلك هناك سأكون أيضا.

ثانيا: النبي نفسه يؤكد مهمته: «السيد الرب أرسلني وروحه» (ع ١٦).

ثالثا: أرسل لهم الله بواسطة النبي رسالة عظيمة. ومقدمة هذه الرسالة تبعث على الرهبة والتشجيع (ع ١٧): «هكذا يقول الرب»، الإله الأبدي، «فاديك» لأنه القدوس الذي لا يستطيع أن يخدع. نفس الكلمات التي استهل بها الناموس وأضفت عليه سلطانه، قدم بها الوعد، وأعطته مصداقيته.

(١) هنا نرى العمل الرائع الذي تعهد الله بإتمامه فيهم: فالرب فاديهم سيكون أيضا معلمهم: «أنا الرب إلهك معلمك لتنتفع» أي أعرفك ما هو لسلامك. والذي يفديه الله يعلمه، وهؤلاء الذين يقصد الله أن يخلصهم من ضيقاتهم، يعلمهم أولا أن يفيدوا من هذه المحن. و«أمشيك» أي يرشدهم إلى الطريق، في أي «طريق تسلك». ولن ينر عيونهم فحسب، بل يقود خطاهم. وبنعمته يقودهم في طريق الواجب، وبعنايته الإلهية يقودهم في طريق الخلاص.

(٢) هنا إرادة الله الصالحة التي يعلن أنه يدخرها لهم (ع ١٨ و١٩).

أ. وكما حدث عندما أعطاهم ناموسه، كان يتطلع جادا أن يطيعوا (تث ٥: ٢٩): «ليتك أصغيت لوصاياي» (ع ١٨). وهذا ما يؤكد ما سبق وقاله الله بأنه «لا يسر بموت الخطاة».

ب. أكد لهم أنهم لو كانوا قد أطاعوا، لحال ذلك دون سبيهم، ليس ذلك فحسب، بل كان سيزيد ازدهارهم ويديمه: «فكان كنهر سلامك»، أي لكنتم تمتعتم برحمة كثيرة، تتبع إحداهما الأخرى بصفة دائمة، كماء النهر، الذي يبقى دائما. وكرامتهم وعدالة قضيتهم، كانا في جميع الأحوال سيقضيان على كل معارضة بقوة «كلجج البحر». هذا هو الحال الذي كان يجب أن تكون عليه تقواهم، فلا يعترض طريقهم شيء. ولكن إذ أنهم الآن عصاة فقد انقطع تيار تقدمهم، واندحر برهم وتقواهم. وكان من المفترض أن يكون الجيل الصاعد أكثر عددا وازدهارا، غير أنهم الآن أقل عددا، وهذا ما يتضح من العدد القليل من المسبيين العائدين (عز ٢: ٦٤). ومع ذلك يجب المحافظة على كرامة إسرائيل دون مساس: «لا ينقطع ولا يباد اسمه» كما كان حادثا عندئذ في أرض إسرائيل، التي إما أنها

خربة، أو يسكنها الغرباء. «ولايباد اسمه من أمامي». وهذا ما يجب أن يحملنا على الوقوف ضد الخطية (بل يملأنا غضبا) ذلك أنها لم تحرمنا فقط من الأشياء الطيبة التي كنا نتمتع بها، بل حجبت عنا البركات العظيمة التي كان الله يحتفظ لنا بها. وما من شيء كان بمقدوره أن يخلصهم سوى نعمة الله السامية.

(٣) هنا تأكيد على العمل العظيم الذي عزم الله أن يعمله من أجلهم، حتى خلاصهم من السبي. سبق أن أعلن الله- قبل أن يفعل كورش بمدة طويلة- أن كل من يريد، بمقدوره العودة إلى بلاده (ع ٢٠): «نادوا بهذا شيعوه إلى أقصى الأرض». وهذا ما يرمز إلى إعلان الإنجيل للعالم كله. ليعرف الجميع أن الذين قبلهم الله كخاصته هم الذين اشتراهم بثمن غال: «قد فدى الرب عبده يعقوب». والقيود التي فكها الله ربطتهم بالأكثر به. فالذي فدانا له علينا حق لا ريب فيه. والذي ينتوي الله أن يدعوهم للرجوع إليه سيعمل على ألا تعوزهم النفقات الضرورية للرحلة. «لم يعطشوا في القفار» (ع ٢١)، لأنه في كل ترحالهم كانت المياه من الصخرة تعطى لهم. فهو قادر أن يدبر احتياجات شعبه بوسيلة لا يمكن أن يتوقعوها. وهذا يشير إلى ما سبق أن عمله لهم حين أخرجهم من مصر، حيث حدث كل هذا بالفعل. غير أن هذا سيعمل ثانية الآن في عودتهم من بابل. والله يجري عمله بشكل فعال من خلال عنايته العجيبة كما تتم المعجزات. هذا ما ينطبق على كنوز النعمة المذخرة لنا في المسيح يسوع، والتي ينبع منها كل خير لنا كما فعل الماء حين خرج من الصخرة لبني إسرائيل، لأن هذه الصخرة هي المسيح. ولكن (ع ٢٢)، على الرغم من أن أفكار الله هي أفكار سلام، إلا أنه «لا سلام» «للأشرار». لا سلام لهم مع الله أو مع ضمائرهم. إذًا كيف لأعداء الله أن يعرفوا السلام؟

الأصحاح التاسع والأربعون

تحدث الأصحاح السابق عن أمور مجيدة فيما يتعلق بخلاص اليهود من بابل، لكن النبوة كان لها هدف أبعد، وكان لها أن تتحقق بالكامل في خلاص يفوق كل هذه التعبيرات، لأن غرضها الآخر هو فداء العالم بالمسيح يسوع.

ونجد في هذا الأصحاح.

أولا: تعيين المسيح كوسيط، وقد رمز إليه بإشعياء في هذه النبوة (ع ١- ٣).

ثانيا: التأكيد الذي أعطي له بنجاح مهمته بين الأمميين (ع ٤- ٨).

ثالثا: الخلاص الذي سوف يتحقق بواسطته (ع ٩- ١٢).

رابعا: التشجيع الذي يمنحه ذلك للكنيسة المتألمة (ع ١٣- ١٧).

خامسا: إتيان الكثيرين إليها، وإقامة كنيسة بين الأمميين (ع ١٨- ٢٣).

سادسا: التصديق على النبوة الخاصة بإطلاق سراح اليهود من بابل، والتي كانت تشكل رمزا وصورة لكل هذه البركات (ع ٢٤- ٢٦). وإذا ما فهمنا هذا الأصحاح على نحو سليم سنجد أن النبوات الخاصة بخلاص اليهود من بابل إنما تتعلق بنا بأكثر مما كنا نعتقد أو نفكر.

عدد ١ - ٦

أولا: كان الأصحاح السابق موجها إلى بيت يعقوب وشعب إسرائيل (ع ١، ١٢). غير أن هذا الأصحاح موجه للجزائر «والأمم من بعيد»، الذين كانوا «أجنبيين عن رعوية إسرائيل»، وفي مناطق بعيدة جدا. ليسمع هؤلاء. لقد أرسلت أخبار عن الفادي إلى الأمم، وقد استمعوا إلى الإنجيل في الوقت الذي سدَّ اليهود آذانهم عن سماعه.

ثانيا: صانع الفداء العظيم يستمد سلطته من السماء:

(١) لقد عينه الله: «الرب من البطن دعاني» إلى هذه المهمة، «ذكر اسمي» وعينني لأكون المخلص. ذلك أنه بواسطة الملاك دعا اسمه «يسوع» (مخلص) «لأنه يخلص شعبه من خطاياهم» (مت ١: ٢١). وقد قيل هذا عن بعض الأنبياء، ممن كانوا رمزا له (إر ١: ٥). وقد كُرس بولس للرسولية من بطن أمه (غل ١: ١٥).

(٢) هيأه الله لهذه الخدمة. «وجعل فمي كسيف حاد»، كما جعله «سهما مبريا»، أو سهما لامعا، ليحارب حروب الله ضد قوى الظلام، وليقهر إبليس، وإرجاع رعايا الله المتمردين إلى ولائهم،

WWW.DIFA3IAT.COM

بكلمته التي هي «أمضى من كل سيف ذي حدين» (عب ٤: ١٢).

(٣) رفعه الله للخدمة التي حفظه لها: «في ظل يده خبأني»، وهذه العبارة تشير إلى:

أ. الإخفاء: ذلك أن إنجيل المسيح، ودعوة الأمميين إليه، ظلا مخبأين طويلا في ظلال الناموس الطقسي ورموز العهد القديم.

ب. الحماية: كان بيت داود محل رعاية خاصة من قبل العناية الإلهية، بسبب تلك البركة التي كانت فيه، وقد لقى الرب يسوع في طفولته حماية من غضب هيرودس. لقد اعترف به الله وقال له: «أنت عبدي»، أنت «إسرائيل»، أي أمير مع الله. البعض يجعلون الكلمات في عبارتين: «أنت عبدي» (هكذا كان المسيح، إش ٤٢: ١)، «إسرائيل الذي به أتمجد»، الشعب الروحي، المختار، والذي يتمجد الله بخلاصه بواسطة الرب يسوع المسيح.

ثالثا: أكد له بأن سينجح نجاحا عظيما في مهمته:

(١) الإحباطات التي واجهها في بداية مهمته (ع ٤): ثم قلت بقلب يعصره الحزن: «عبثا تعبت باطلا»، فأولئك غير المبالين، والغرباء عن الله مايزالون كما هم: «بسطت يدي إلى شعب معاند ومقاوم». كانت هذه شكوى إشعياء. ونفس الشيء هو ما حمل إرميا على التصميم على ألا يبذل فريدًا من الجهد (إر ٢٠: ٩). وهذه شكوى الكثيرين من الخدام الأمناء، الذين لا يتكاسلون، بل يبذلون الجهد، ولا يبخلون بجهدهم، بل يضحون به وبأنفسهم معه، ومع ذلك، فإن الأمر يبدو وكأنه كله يذهب هباء، فالناس لا ترجع أو تتوب. أما هنا فيبدو أن هذه العبارة تشير إلى عناد اليهود، الذين جال الرب يسوع بينهم يكرز بإنجيل الملكوت، تعب وبذل كل قوته، ومع ذلك رفضه الرؤساء والشعب معا، كما رفضوا تعليمه. ولا يجب على الخدام أن يعتبروه أمرا غريبا أن يتعرضوا للإهانة، ذلك أن السيد نفسه لاقى نفس المعاملة.

(٢) في مواجهة هذه الإحباطات كان يعزي نفسه بإدراكه أنه يعمل من أجل قضية الله: «لكن حقي عند الرب»، الذي هو قاضي الجميع، «وعملي عند إلهي» الذي أنا عبد له. وقد تكون تعزيته هي تعزية جميع الخدام الأمناء حين يرون أن تعبهم لم يحقق سوى نجاحا قليلا. إنهم مع الله ولله، فهم في جانبه، وعاملون معه. إنه يعرف طريقي، وقضائي مع الرب الذي يحدد ما إذا كنت لم أخلص نفسي وتركت دم أولئك الذين هلكوا على رؤوسهم. وعلى الرغم من أن التعب قد يكون باطلا مع أولئك الذين بُذل من أجلهم إلا أنه ليس كذلك بالنسبة للعامل نفسه، إذا كان أمينا، فسوف يبرره الرب ويؤيده، على الرغم من أن الناس ربما يلومونه. والعمل مع الرب، هو الذي يحقق لهم النجاح طبقا لمقاصده، بأسلوبه هو وفي الوقت الذي يختاره.

(٣) تلقى من الله إجابة لاحقة (ع ٥ و٦). فالذين يزمع الله أن يعينهم كخدام له، يقوم بتشكيلهم وإعدادهم في الوقت الذي قد لا يدركون هم أنفسهم أو الآخرون ذلك. وكأن المسيح تعيَّن «عبدا له لإرجاع يعقوب» الذي ابتعد بكل خيانة عن الله. ولذلك فإن أحفاد يعقوب بالجسد، يجب التعامل معهم أولا، باستخدام الوسائل التي تعيدهم ثانية، ولقد أرسل المسيح أولا، وكلمة الخلاص بواسطته، إلى «خراف بيت إسرائيل الضالة». ولكن ماذا لو لم يرجع يعقوب إلى الله على الرغم من ذلك، ولم تنضم إسرائيل إليه؟ في هذه الحالة:

أ. سيتمجد المسيح في عيني الرب. فعلى الرغم من أن قليلين من الأمة اليهودية آمنوا عن طريق كرازة المسيح ومعجزاته، وحمَّله كثيرون العار، إلا أن الله مجَّده، عند عماده، وعند تجليه، وتكلم معه من السماء، وأرسل له ملائكة يخدمونه، بل حول موته المخزي على الصليب إلى عمل مجيد. والأكثر من ذلك كله مجده في قيامته. كان الله قوته في آلامه، ولذلك فإنه على الرغم من جميع المثبطات التي يمكن تصورها، والتي واجهته، إلا أنه لم يفشل أو يحبط. لقد أُرسل ملاك من السماء ليقويه (لو ٢٢: ٤٣). وعلى الرغم من أن الخدام الأمناء لا يرون ثمر عملهم، غير أن الله سيقبلهم، وفي هذا يمجدون حقا.

ب. سيكون الإنجيل ممجدا في عيون العالم، وسوف تقبله الأمم (ع ٦). وقد بدا المسيح كما لو أنه قصد بصفة أساسية «إرجاع يعقوب» (ع ٥). غير أن هذا

أمر صغير نسبيا، ذلك أن نطاقا أكبر من الفائدة قصد له. ولذلك «جعلتك نورا للأمم لتكون خلاصي إلى أقصى الأرض». وقد تعلم سمعان من ذلك أن يسمي المسيح «نور إعلان للأمم» (لو ٢: ٣٢). وتفسير القديس بولس يعد مفتاحا لهذا النص (أع ١٣: ٤٧). ولذلك نراه يقول: اتجهنا إلى الأمم لنكرز لهم بالإنجيل: «لأن هكذا أوصانا الرب. قد أقمتك نورا للأمم». وفي هذا تمجد الفادي حقا. ذلك أن إقامة ملكوته في العالم الوثني، كان مجدا له بأكثر مما لو كان قد أقام كل أسباط يعقوب. وقد تحقق هذا الوعد جزئيا، وسوف يتم تحقيقه بصورة أوسع لاحقا.

عدد ٧ - ١٢

أولا: إذلال المسيح وتمجيده: كان «مهان النفس» (ع ٧)، «محتقر ومخذول من الناس» (إش ٥٣: ٣). فالناس الذين جاء ليخلصهم ويكرمهم، احتقروه وخذلوه. لم يحقروه فحسب، بل أبغضوه. كان «مكروه الأمة»، لقد صرخوا قائلين: «اصلبه اصلبه». وكان «عبد المتسلطين»، يداس عليه، وتساء معاملته ويجلد ويصلب كعبد. ومع ذلك كان هيرودس يرتعد منه ويقول: «هو يوحنا المعمدان». كان النبلاء والرؤساء وقواد المئة يخرون أمامه ساجدين. وكان لمجد ملكوته بين الناس أن عظماء الأرض جاءوا إليه وأعلنوا ولاءهم له. وسيكون هذا انجازا لوعد الله وسوف يعطيه الأمم ميراثا.

ثانيا: البركات التي يحتفظ بها لكل الذين صار لهم المسيح خلاصا: سوف يعترف به الله ويسانده في مهمته (ع ٨). وكم من هجمات عنيفة شنتها قوى الظلام على الرب يسوع، حين كانت ساعتهم، بغية إبعاده عن القيام بمهمته، غير أن وعود الله أن يحفظه من شأنها أن تحفظ مملكته بين الناس، على الرغم من الهجمات التي تتعرض لها من كل جانب.

(١) سيكون ضامنا لمعاهدة السلام بين الله والإنسان: «وأجعلك عهدا للشعب». إذ أن الله «كان في المسيح مصالحا العالم لنفسه» وذاك الذي «لم يشفق على ابنه»، لن يحجم عن عمل أي شيء لنا. لقد أعطي المسيح «عهدا» كما أنه هو الذي «وضع يده على كلينا».

(٢) سوف يصلح تدهور الكنيسة ويبنيها على الصخر. وسوف يعيد «تمليك أملاك البراري». وهذا ما تم بالنسبة لتمليك مدن يهوذا بعد العودة من السبي، وهكذا كانت الديانة في أواخر عصر الأمة اليهودية وضعفها، حيث كانت كأرض تركت كبرية مقفرة، ولكنها عادت لتعطي ثمارا غزيرة للكرازة بالإنجيل.

(٣) سيحرر نفوس الناس من عبودية الخطية والفساد ويحضرهم إلى حرية مجد أولاد الله. سوف يقول «للأسرى» المقيدين تحت سلطان الشيطان «اخرجوا» (ع ٩). والرحمة الغافرة هي إطلاق من لعنة الناموس، والنعمة المجددة هي تحرير من سيادة الخطية، وكلتاهما من المسيح. وهو الذي يقول «اخرجوا»، «والابن» هو الذي يحررنا، وعندئذ نكون بالحقيقة أحرارا. ويقول «للذين في الظلام اظهروا»، لمجد الله ولسعادتهم الشخصية.

(٤) سيهيئ طريقا مريحا للذين يحررهم حتى يصلوا إلى مكان إقامتهم السعيدة (ع ٩- ١١). وتشير هذه الأعداد إلى تدبير عودة اليهود، ولكنها تنطبق أيضا على إرشاد النعمة الإلهية الذي يجب أن يلتزم به جميع إسرائيل الروحي. والعالم يقود أتباعه إلى آبار مشققة لا تضبط ماء، أو جداول تجف صيفا، لكن الله يقود خاصته إلى ينابيع ماء حي. والذين يقودهم الله يجدون طريقا ممهدا (ع ١١): «وأجعل كل جبالي طريقا».

(٥) سيجمعهم معا من كافة الأنحاء، حتى يعودوا جماعة، وحتى يشجعوا بعضهم بعضا. لقد تشتتوا كما أراد أعداؤهم، حتى يحولوا دون تجمعهم. غير أنه حين يأتي الوقت الذي يريده الله لكي يعيدهم معا إلى أرضهم، سوف يحركهم جميعا روح واحد (ع ٢١). فهنا قوم «من بعيد يأتون وهؤلاء من الشمال ومن المغرب وهؤلاء من أرض سينيم». سينيم هي إحدى مدن مصر الرئيسية وتدعى «سين»، ونقرأ عنها في حزقيال ٣٠: ١٥ و١٦.

عدد ١٣ - ١٧

عودة شعب الله، والفداء الأبدي الذي يصنعه المسيح (والذي كان هذا الخلاص رمزا له) سيكون

سبباً عظيما للفرح، ودليلا دامغا على عناية الله بالمؤمنين ومحبته لهم.

أولا: لا شيء أفضل من ذلك يمكن أن يكون مدعاة لترنيمنا وحمدنا وشكرنا لله (ع ١٣). لتترنم السماء ولتبتهج الأرض «ولتشدُ الجبال بالترنم»، لأن الرب «عزى شعبه» الذين كانوا في حزن.

ثانيا: ليس شيئا آخر يستطيع أن يمدنا بالحجج القوية المقنعة لإثبات عناية الله الفائقة التي يوليها لشعبه.

(١) أثارت متاعب شعب الله الشكوك حول عناية الله بهم (ع ١٤): «قالت صهيون قد تركني الرب وسيدي نسيني» قالت ذلك حين كانت في محنة. قال غير المؤمنين بحماقة «الرب قد ترك الأرض» (حز ٨: ١٢). ويقول ضعاف المؤمنين في يأسهم، لقد تخلى الله عن شعبه. غير أنه ليس لدينا أي مبرر للتشكك في وعده ونعمته، أو في عنايته الإلهية وعدله.

(٢) ستقضي انتصارات شعب الله بعد متاعبهم على هذه الشكوك. فلقد ذكر لنا ما سيعمله الله من أجل صهيون (ع ١٧).

أصدقاؤها الذين تخلوا عنها سيجتمعون إليها ثانية: «قد أسرع بنوك». الراجعون إلى الإيمان المسيحي هم أبناء الكنيسة، وسوف يسرعون بالانضمام إليها. أو «أسرع إليك بناؤوك» (بحسب ترجمة أخرى)، الذين يبنون بيوتك وأسوارك ولاسيما هيكلك. أما أعداؤها الذين هددوها فسوف يجبرون على الانسحاب منها. على يد المسيح هُزم رئيس هذا العالم (المخرب العظيم) وأحبطت تماما كل محاولاته. وادعاءات صهيون جميعها لم يكن لها أساس، فالله لم يتركها، ولم ينسها، بل ولن يفعل ذلك. أنتم تعتقدون أني نسيتكم: «هل تنسى المرأة رضيعها؟» فالأم لابد وأن تهتم بطفلها، لأنه قطعة منها، وأصبح جزئا من كيانها، ومع ذلك من المحتمل أن تنسى، لكن الله يقول: «وأنا لا أنساك». فهو يعتني دائما بكنيسته وشعبه (ع ١٦): «هوذا على كفي نقشتك». وهذه إشارة إلى عادة أولئك الذين يربطون خيطا على يدهم أو أصبعهم ليذكرهم بأشياء يخشون نسيانها، أو إلى لبس خاتم أو قلادة تذكارا لصديق عزيز. ووضعه لهم كختم على ذراعه يشير إلى وضعه لهم كختم على قلبه، وأنه مهتم دائما بهم وبمصالحهم. ويضيف قائلا: «أسوارك أمامي دائما»، أسوارك المهدمة، ورغم أن منظرها لا يسر، ستكون دائما محل حبي وتفكيري. رسوم أسوارك التي ستبنى ونموذجها موجودة أمامي، ومن المؤكد أنها ستبنى طبقا لها.

عدد ١٨ - ٢٣

ثمة أمران وعد بإنجازهما بشكل جزئي عند رجوع الشعب من السبي، ولكنهما سيتحققان بشكل تام عند تأسيس الكنيسة المسيحية عن طريق الكرازة بإنجيل المسيح.

أولا: سوف تمتلئ الكنيسة بأعداد كبيرة تنضم إليها. وقد جاء الوعد (ع ١٧) بأن بنيها يسرعون إليها «قد أسرع بنوك».

(١) ستتدفق على الكنيسة جماهير غفيرة من جميع الأنحاء: «ارفعي عينيك حواليك وانظري. كلهم قد اجتمعوا أتوا إليك» (ع ١٨)، وذلك نتيجة الالتصاق بشعب الله. وقد أتوا إلى أورشليم لأنها كانت في ذلك الحين مركز وحدتهم، غير أنه في ظل الإنجيل، تم ذلك بالتحام روحي إلى جسد المسيح السري بإيمان ومحبة.

(٢) والذين ينضمون إلى الكنيسة على هذا النحو لن يكونوا عبئا عليها أو عار لها، بل قوتها وزينتها. «حي أنا يقول الرب إنك تلبسين كلهم كحلي». وحين يكون المنضمون إلى الكنيسة جادين أتقياء ومثاليين في سلوكهم، فإنهم يكونون كالزينة أو الحُلي لها.

(٣) البلاد التي كانت خربة مهجورة و«بلا ساكن» (إش ٥: ٩؛ ٦: ١١). سوف تعمر ثانية بالسكان، والواقع أنها ستضيق بسكانها (ع ١٩): «إن خربك وبراريك وأرض خرابك»، ومع ذلك فإن أرضك التي دمرت ستعود الآن وتمتلئ بالناس إلى درجة أنها ستضيق بسكانها. وهكذا فإن «ملكوت الله» بين الناس، الذي ضُعف وأصبح خاليا من السكان، عاد الآن بسكانه وازدهر بإقامة كنيسة المسيح.

(٤) المتجددون حديثا سوف يزدادون ويتعاظم عددهم جدا. فبعد أن فقدت أورشليم غالبية أولادها

www.DIFA3IAT.com

بالسيف والمجاعة والنفي، ستنمو بها عائلة جديدة، أطفال جدد «بنو ثكلك» (ع ٢٠) مثل «شيث» الذي كان «نسلا آخر عوضا عن هابيل» وسوف يعوض الله خسائر كنيسته ويضمن لنفسه أحفادا يخدمونه فيها، حتى أن الأولاد سوف يشكون من ضيق المكان. أعدادنا تزداد بسرعة كبيرة، «ضيقٌ عليَّ المكان»، كما اشتكى بنو الأنبياء (٢ مل ٦ : ١). غير أنه، على الرغم من صغر المكان، فلايزال هناك كثيرون ممن يرغبون الدخول. وحتى بعد أن أدخل «المساكين والجدع والعرج والعمي» فإنه «يوجد أيضا مكان»، يوجد مكان لمن دخلوا ومكان لمزيد ممن يرغبون (لو ١٤ : ٢١ و٢٢). وستدهش الأم للزيادة التي طرأت على عائلتها (ع ٢١). وستقول: «من ولد لي هؤلاء... وهؤلاء من رباهم؟» جاءوا إليها بكل محبة الأطفال، ومع ذلك لم تتحمل أية أعباء من أجلهم، بل جاءوا إليها كبارا. والكنيسة ليست مزدهرة بصفة دائمة، بل تأتي أوقات تكون فيها مهجورة، قليلة العدد، ومع ذلك فإن مثل هذه الحالة لا تدوم؛ لأن الله قادر أن يقيم من الحجارة أولادا لإبراهيم. وأحيانا يفعل ذلك بطريقة عجيبة للغاية، مثل أن «تولد أمة دفعة واحدة» (إش ٦٦ : ٨).

(٥) سوف يتم ذلك باشتراك الأمم (ع ٢٢). لقد رُفض اليهود، الذين كان من المتوقع أن تبنى الكنيسة بينهم. وسوف يُدعى الأمميون. فالرب سوف يرفع «إلى الأمم» يده، لدعوتهم أو للنداء عليهم، بعد أن ظل طوال اليوم يمد يده لليهود دون جدوى (إش ٦٥ : ٢). سوف «يقيم رايته» للشعوب، أي الكرازة بالإنجيل الأبدي. «فيأتون بأولادك في الأحضان». ويساعدون أبناء صهيون الذين يوجدون بينهم، عند عودتهم إلى وطنهم. ويستطيع الله أن يقيم أصدقاء للإسرائيليين العائدين حتى بين الأمم. هل تسألين «وهؤلاء من رباهم؟» لتعلمي أن هؤلاء ولدوا ونشأوا بين الأمميين غير أنهم أحضروا الآن إلى عائلتك.

ثانيا: سيكون للكنيسة اهتمام بالغ بين الأمم (ع ٢٢ و٢٣). «ويكون الملوك حاضنيك»، ليحملوا أولادك في أحضانهم (مثل موسى، عد ١١ : ١٢)، «وسيداتهم مرضعاتك». لقد تحقق هذا الوعد جزئيا لليهود بعد عودتهم من السبي. فعديد من ملوك فارس أيدوهم وشجعوهم مثل كورش، وداريوس وأحشويروش. أما أستير الملكة، فكانت أمًا حاضنة لليهود الذين بقوا في السبي، وقد عرضت حياتها للخطر لانتشال طفلا من اللهب. أما الكنيسة المسيحية، فبعد فترة سبي طويلة وجدت فترة سعيدة في عهد بعض الملوك والملكات مثل قسطنطين وأمه هيلانة، وبعد ذلك ثيؤدوسيوس وآخرون، ممن احتضنوا الكنيسة وأولوها كل عناية ومحبة ممكنة. والكنيسة في هذا العالم هي كالطفل، وبمقدور الرؤساء والملوك أن يقدموا لها خدمة عظمية. وثمة آخرون ممن يتخذون موقف العداء من الكنيسة، سوف يضطرون إلى الاستسلام. سوف «يسجدون لك ويلحسون غبار رجليك». ويبدو أن الوعد الذي قطع لكنيسة فيلادلفيا قد استعير من هذا (رؤ ٣ : ٩): «هنذا أجعل الذين من مجمع الشيطان... يأتون ويسجدون أمام رجليك».

عدد ٢٤ – ٢٦

أولا: اعترض على الوعد الخاص بتحرير اليهود من السبي، بأنه أمر لا يمكن توقعه (ع ٢٤) ذلك أنهم فريسة في قبضة قوية، ومن ثم فليس هناك احتمال لإنقاذهم بالقوة. كانوا مسبيين بسبب ناموس الله، الذي أساءوا إليه، فكان عدلا أن يسلموا للسبي، وبحسب ناموس الأمم، فإذا أخذوا أسرى حرب، فقد حجزوا في الأسر حسب القانون إلى أن تقدم عنهم فدية أو يتم تبادلهم. وهذا الكلام إما أنه صدر عن الأعداء، لتبرير رفضهم إطلاق سراحهم، وإما عن أصدقاء لارتيابهم أو إمتنانهم: من كان يظن أنه يمكن للفريسة أن «تُسلب من الجبار؟» نعم لقد تم ذلك. وهذا ما ينطبق على فدائنا بواسطة المسيح.

ثانيا: تم الرد على هذا الاعتراض بوعود صريحة: «حتى سبي الجبار يُسلب» رغم أنهم جبابرة، «وغنيمة العاتي تفلت»، رغم أنهم مرعبون، ذلك أنه على الرغم من كل صفاتهم ليس بمقدورهم أن يتحدوا خلاص الله ومشوراته بخصوص هذا الأمر (ع ٢٥). وهنا وعد آخر بأن الله سيجلب دينونات على الظالمين، وهكذا سيحقق الخلاص للمطحونين: «وأنا أخاصم مخاصمك وأخلص أولادك». وسوف يخلص المسبيون بسبي الظالمين، أي، بسبي أولئك الذين سبوا شعب

الله (ع ٢٦): «وأطعم ظالميك لحم أنفسهم ويسكرون بدمهم». سوف يصبح البابليون المتغطرسون فريسة سهلة كل منهم للآخر. ودمارهم الذي بدأ بغزوة خارجية سوف يتم بانقساماتهم الداخلية. فسوف يقومون كل على الآخر ويتقاتلون إلى أن يقضوا بعضهم على بعض. وهنا نرى كيف أن الناس في بعض الأحيان يكونون قساة على أنفسهم وعلى بعضهم بعضا. ولن يتعطشوا إلى الدماء فحسب، بل ويشربونه بلذة كما لو كان خمرا جيدة.

ثالثا: نتيجة خراب بابل: «فيعلم كل بشر أني أنا الرب مخلصك». وسوف يعمل الله على أن يعرف العالم كله، أنه على الرغم مما بدا وكأن إسرائيل قد ضاعت، إلا أن لهم فاديا.

الأصحاح الخمسون

أولا: جميع الذين يرسل لهم الله اتهموا وبحق بأنهم هم الذين جلبوا على أنفسهم المتاعب التي يعانون منها، وقد ظهر أن الله قادر بل ومستعد أن يساعدهم لو كانوا مستعدين للخلاص (ع ١ – ٣).

ثانيا: الذي يرسله الله عليه أن يقدم تفويض الله له (ع ٤)، ويعلن استعداده لتحمل كل الآلام التي سيلقاها في سبيل تنفيذ مهمته (ع ٥ و٦)، وتكون لديه قناعة بأن الله الذي أرسله سوف يسانده ضد كل ما يلقاه من معارضة (ع ٧– ٩).

ثالثا: الرسالة التي بعث بها هي حياة وموت، تعزية للقديسين خائري القوى، ورعبا للخطاة المتكبرين (ع ١٠ و١١) ويبدو أن كل هذه تتضمن إشارة مزدوجة إلى:

(١) اليهود غير المؤمنين في بابل، ولإشعياء النبي.

(٢) لليهود غير المؤمنين الذين عاصروا وجود المسيح بالجسد، الذين بسبب خطيتهم قد رُفضوا، فقد كرز المسيح لهم كثيرا وتحمل منهم أذى كثيرا. ويختتم النبي بنصيحة بضرورة الثقة في الله وليس في أنفسنا.

عدد ١ – ٣

هؤلاء الذين احتجوا بأنهم شعب الله، ومع ذلك يلقون معاملة قاسية، تراهم يميلون إلى الشكوى من الله، غير أنه ردا على تذمراتهم نجد الآتي:

أولا: تم تحديهم بإثبات أن الخصومة بدأت من جانب الله (ع ١). لقد ارتبط بعهد معهم، وكان يسمح للأزواج في ذلك الحين أن يطلقوا زوجاتهم لأي عيب (تث ٢٤: ١؛ مت ١٩: ٧). غير أنه ليس بمقدورهم القول أن الله عاملهم على هذا النحو. حقا أنهم الآن مفصولون عنه، وعاشوا أياما كثيرة بدون أفود، أو مذبح أو ذبيحة، ولكن خطأ من هذا؟ كان أبا لهم، وكان للآباء في ذلك الحين سلطة بيع أولادهم كعبيد لدائنيهم وفاء لديونهم. وحقا بيع اليهود للبابليين في ذلك الحين، وبعد ذلك للرومانيين، ولكن هل باعهم الله سدادا لدين عليه؟ كلا، لأنه لم يكن مدينا لأحد ممن بيع لهم اليهود.

ثانيا: اتهام يبين أنهم هم الذين جلبوا الدمار على أنفسهم: «من أجل آثامكم»، لمحبتكم للخطية وإشباع شهواتكم الشريرة «قد بُعتم». لقد بعتم أنفسكم لعمل الشر، ولذلك باعكم الله ليد أعدائكم (٢أخ ١٢: ٥، ٨). لقد سبي اليهود إلى بابل بسبب عبادة الأصنام، كما رفضوا أخيرا لصلبهم رب المجد. كانت تلك هي الآثام التي بيعوا من أجلها وتم سبيهم.

ثالثا: تأكيد هذا التحدي وهذا الاتهام: جاء الله وقدم لهم نعمته، قدم لهم يد العون إما لمنع المتاعب عنهم، أو لخلاصهم منها، غير أنهم استهانوا به وبنعمته: هل تلقون بالتبعة عليَّ (يقول الله) أخبروني إذًا: «لماذا جئت وليس إنسان. ناديت وليس مجيب» (ع ٢). جاء الله إليهم من خلال عبيده الأنبياء، غير أنه لم يكن «إنسان» ينظر بجدية إلى تحذيراته التي أبلغ بها الأنبياء. فقد «كانوا يهزأون برسل الله... فأصعد عليهم ملك الكلدانيين» (٢أخ ٣٦: ١٦ و١٧). وأخيرا، أرسل لهم ابنه. جاء إلى خاصته لكن خاصته لم تقبله، لم يعرفوا، لأنهم لم يريدوا أن يعرفوا ما هو لسلامهم، ولهذا الإثم تم سبيهم، وترك لهم بيتهم خرابا (مت ٢١: ٤١؛ ٢٣: ٣٧ و٣٨؛ لو ١٩: ٤١ و٤٢).

من الجلي أن ذلك لم يكن نتيجة افتقار الله إلى القوة، لأنه صاحب القوة والقدرة، وكان باستطاعته استعادتهم من موت رهيب كهذا، ولم يكن ذلك بسبب افتقار المسيح إلى القوة لأنه قادر على «أن يخلص أيضا إلى التمام». هل يستطيع هذا الرجل أن يخلصنا؟ بالنسبة

لنفسه لا يستطيع أن يخلص، ولكن (يقول الله): «هل قصرت يدي عن الفداء»، أو هل هما يفتقرا للقوة؟ وهل يمكن لأي حدود أن تقف في وجه كلي القدرة؟ ألا يستطيع ذلك الفادي العظيم أن يفدي؟ والتعبير الذي يستخدمه مخلصنا أحيانا فيما يتعلق بقوة الإيمان وهو «إن من قال لهذا الجبل انتقل وانطرح في البحر ولا يشك في قلبه.... يكون له»، يشابه ما جاء هنا، فإذا كان بمقدور إيمانهم أن يفعل هذا، فلا ريب أن إيمانهم كان يمكن أن يخلصهم أيضا.

عدد ٤ – ٩

بعد أن أثبت ربنا يسوع قدرته على أن يخلص، يبين هنا أنه يرغب أيضا في ذلك. ونحن نفترض أن إشعياء النبي يقول لنفسه شيئا في هذه الأعداد، ليشجع نفسه على مواصلة عمله كنبي، برغم الصعوبات، لا يشك في أن الله سوف يقويه، غير أنه على غرار داود، يتكلم عن نفسه كرمز للمسيح.

أولا: ككارز مقبول: كان إشعياء كنبي، مؤهلا للعمل الذي دعي إليه، ولكن يسوع مسح بالروح فوق أقرانه. ولكي يكون إنسان الله كاملا، كان له:

(١) «لسان المتعلمين» ليعرف كيف يعطي التعليم «لأعرف أن أغيث المعيي بكلمة» (ع ٤). لقد أعطى الله المسيح لسان المتعلمين، من أجل تعزية المتعبين وثقيلي الأحمال بالخطية (مت ١١: ٢٨). وهنا نرى أفضل تدريب للخادم، وهو أن يعرف كيف يعزي الذين ترهقهم ضمائرهم، فيكلمهم بما هو مناسب وواضح لكل نفس بائسة على حدى، والقدرة على عمل ذلك هي هبة من الله.

(٢) أذن المتعلمين، ليتقبل التعليمات: والأنبياء في أشد الحاجة إلى هذا مثل احتياجهم إلى لسان المتعلمين، إذ يجب عليهم أن يسمعوا الكلمة من فم الرب بانتباه، حتى يتكلموا بها كما يجب وبكل دقة (حز ٣: ١٧). ولا يجب أن يتعهد أحد أن يكون معلما ما لم يتعلم هو أولا. فرسل المسيح كانوا تلاميذ أولا. وأولئك الذين يتعلمون عليهم أن يكونوا متنبهين، لأننا بالطبيعة نميل إلى الكسل ونسمع جزئيا ودون مبالاة. وفي حاجة لأن نوقظ «كل صباح» –في الصباح– حين تكون أرواحنا في أوج حيويتها، هنا يكون أنسب وقت للشركة مع الله. «وكان كل الشعب يبكرون إليه (إلى المسيح) في الهيكل ليسمعوه» (لو ٢١: ٣٨). لأنه يبدو أن عظاته كانت في الصباح.

ثانيا: كمتألم صابر (ع ٥ و٦): فذاك الذي يُكلف بتعزية المتعبين، يكون أمامه عملا شاقا لينجزه وطريق شاق يعاني منه. «السيد الرب فتح لي أذنا وأنا لم أعاند. إلى الوراء لم أرتد». فعلى الرغم من أنه تنبأ بما سيعانيه من مصاعب وإحباط، وعلى الرغم من ضرورة تواجده دائما كخادم، ومع أنه كان عليه أن يذل نفسه إلى درجة مهينة، إلا أنه لم يهرب، ولم يفشل، ولم يحبط. سلم نفسه في خضوع «بذلت ظهري للضاربين»، وكذلك «خدي» ليس للضرب فقط بل «للناتفين»، وهذا ما يسبب درجة أكبر من الألم والإهانة. وكذلك «وجهي لم أستر عن العار والبصق». وقد تحمل المسيح كل هذا من أجلنا، وتحمله طوعا لكي يقنعنا برغبته في خلاصنا.

ثالثا: كبطل شجاع (ع ٧– ٩): والفادي مشهور بشجاعته كما باتضاعه وصبره، وعلى الرغم من أنه استسلم، إلا أنه أكثر من منتصر. وما ساند النبي إشعياء كان سندا للمسيح نفسه (ع ٧): «والسيد الرب يعينني»، وكذلك في الآية ٩.

وبعد أن وضع الله على ابنه أن يساعدنا، ساعده هو، وكانت يده على رجل يمينه. «قريب هو الذي يبررني». لا ريب أن إشعياء كان يواجه بالافتراء وتشويه السمعة كالأنبياء الآخرين، ولكنه لم يكن يأبه بذلك عالما أن الله سيقضي على هذا الافتراء «ويخرج مثل النور بره، ولعل ذلك يكون في هذا العالم (مز ٣٧: ٦)، أو في اليوم العظيم، حيث تكون ثمة قيامة للأسماء كما للأجسام، وحيث ينير البار كشمس الصباح. وإذا ما ساعدني الله، وبررني، ووقف إلى جانبي وعضدني «لذلك لا أخجل... وعرفت أني لا أخزى». وفي إطار هذه الثقة نراه يتحدى كل مقاوميه ومعارضيه. الرب يعينني «لذلك جعلت وجهي كالصوان». كان النبي شجاعا في توبيخ الخطية وتحذير الخطاة (حز ٣: ٨ و٩) وفي تأكيد حقيقة نبواته. لقد واصل المسيح عمله كوسيط بثبات تام وعزم لا يلين. «من يخاصمني. لنتوافق»، كمحاربين، أو كالمدعي والمدافع. كثيرون عزموا على مجادلة المسيح، غير أنه أفحمهم. ويقول

النبي هذا نيابة عن الخدام الأمناء كافة، وأولئك الذين يلتصقون بكلمة الله الطاهرة، لا يخافون من يناقضهم. فالحق عظيم ولابد أن يسود. والمسيح يقول هذا باسم جميع المؤمنين. وهو يقول هذا باعتباره بطلهم «من هو الذي يحكم عليَّ؟» لعل النبي كان قد حكم عليه بالموت، لكن من جهة المسيح فنحن واثقون أن حكما بالموت صدر ضده. ومع ذلك بمقدورهما كلاهما أن يقولا: «من هو الذي يحكم؟» لأنه ليس هناك دينونة لمن يبررهم الله. والقضية العادلة للمسيح وأنبيائه سوف تنتصر على كل معارضة. فسوف «يأكلهم العث» في صمت وفي الخفاء فيقضي عليهم.

عدد ١٠ - ١١

وإذ كان للنبي لسان المتعلمين فهو يستعمله هنا. وخلاصة الإنجيل هي: من يؤمن يخلص، على الرغم من أنه لفترة ما سوف يسير في الظلمة، لكن الذي لا يؤمن، فعلى الرغم من أنه قد يسير لفترة ما في نوره فإنه سوف ينتهي إلى الحزن والحسرة.

أولا: التعزية موجهة هنا للقديسين المجربين، وقد شجعوا على الثقة في نعمة الله (ع ١٠). وأولاد الله هم الذين يخافون الرب خوف الأبناء، فيهابون عظمته، ويخشون أن يتسببوا في عدم رضاه. وهم ممن يطيعون صوت خادم الله، ومستعدون لأن يكونوا تحت حكم الرب يسوع في العمل العظيم الخاص بفداء الإنسان. والذين يتقون الله حقا يطيعون صوت المسيح. وليس بالأمر الجديد على أبناء النور وورثته أن يسيروا أحيانا في ظلمة، وألا يكون عندهم لبعض الوقت أي وميض أو لمحة من نور. وذاك الذي هو في الظلمة على هذا النحو «فليتكل على اسم الرب»، وعلى صلاحه وحكمته وقوته، لأن «اسم الرب برج حصين». ومثل هذا الشخص إذا ما سار أمام الله، وهو ما يستطيع عمله على الرغم من أنه يسلك في الظلمات، سوف يجد في الرب كل كفايته. فليتمسك بعلاقة العهد مع الله. ويدعو الله إلهه، كما فعل المسيح وهو على الصليب. حين قال: «إلهي إلهي».

ثانيا: تُحذر الخطاة المتبجحون بألا يتكلوا على أنفسهم (ع ١١): هم من «القادحين نارا» ويسيرون على نورها. هم يعتمدون على برهم، ويوقدون بخورهم بتلك النار (كما فعل ناداب وأبيهو) وليس على نار من السماء. وكما أنهم يتكلون على برهم الذاتي وليس على بر المسيح، هكذا أيضا يقيمون سعادتهم على ممتلكاتهم العالمية، ومسراتهم الدنيوية، وليس على نعمة الله. فالمتع الجسدية ما هي إلا وميض يظهر فترة وجيزة ثم يتلاشى.

لقد قيل لهم بسخرية أن يسلكوا «بنور نارهم». إن من يجدون في العالم عزاءهم ويتكلون على برهم، ستكون المرارة نهايتهم. وطريق الإنسان التقي قد يظهر كئيبا، غير أن نهايته ستكون سلاما ونورا أبديا. فطريق الشرير قد تكون سهلة، غير أن آخرته ستكون ظلاما وموتا.

الأصحاح الحادي والخمسون

قُصد بهذا الأصحاح تشجيع أولئك الذين يتقون الله ويحفظون وصاياه حتى حينما يسلكون في الظلمات وليس لهم نور. وحينما تكون كنيسة الله في محنة يستطيع أصدقاؤها أن يعزوا بعضهم بعضا بهذه الكلمات.

أولا: إن الله الذي أقام كنيسته في البداية من لا شيء، سوف يعمل على ألا تهلك (ع ١- ٣).

ثانيا: إن العدل والخلاص الذي يقصده لكنيسته أمر أكيد وقريب (ع ٤- ٦).

ثالثا: إن مضطهدي الكنيسة ضعفاء (ع ٧ و٨).

رابعا: نفس القوة التي عملت المعجزات سابقا من أجل الكنيسة تعمل الآن لخلاصها (ع ٩- ١١).

خامسا: الله نفسه، خالق العالم، تعهد بخلاص شعبه من محنتهم، وأرسل نبيه ليخبرهم بذلك (ع ١٢- ١٦).

سادسا: إن كانت حالة الكنيسة الآن يرثى لها (ع ١٧- ٢٠)، إلا أن مضطهديها ومقاوميها سيعانون قريبا من نفس هذه الظروف الأليمة (ع ٢١- ٢٣). الفقرات الثلاث الأولى من هذا الأصحاح تستهل بعبارة «اسمعوا... انصتوا... ارفعوا...» وهي موجهة إلى شعب الله الذين دعوا إلى الاستماع والإنصات. أما الفقرتان الأخريان فيبدأن بعبارة «استيقظي استيقظي... انهضي انهضي». في الفقرة الأولى منها (ع ٩) ينادي شعب الله على إلههم لكي يستيقظ ويعينهم، أما في الثانية (ع ١٧) فالله هو الذي ينادي عليهم لكي ينهضوا ويساعدوا أنفسهم.

www.DIFA3IAT.com

عدد ١ – ٣

شعب الله هم «التابعون البر الطالبون الرب»، لأنه في طريق البر وحده يمكننا أن نطلب الرب ويكون لنا رجاء أن نجده. وقد طُلب منهم هنا أن ينظروا إلى الماضي، إلى أصلهم، وصغر بدايتهم: «انظروا إلى الصخر الذي منه قطعتم (العائلة الوثنية في أور الكلدانيين، التي أُخذ منها إبراهيم، وجيل العبيد الذي كان يتكون منه رؤساء وآباء أسباطهم في مصر) وإلى نقرة الجب التي منها حفرتم» كطين حين سواكم الله بشرا. وكم كان صلبا ذلك الصخر الذي منه قطعنا، غير قابلين لأن نُصاغ لشيء نافع، وكم هي بائسة نقرة الجب التي منها حفرنا. فإذا ما أخذنا ما سبق في اعتبارنا، لابد أن ندرك مدى وضاعتنا، ومدى سمو النعمة الإلهية: «انظروا إلى إبراهيم أبيكم» الذي هو أبو جميع المؤمنين الذين يطلبون بر الإيمان كما فعل هو (رو ٤: ١١)، وإلى «سارة التي ولدتكم» والتي أنتن جميعا بناتها طالما أنتن تعملن ما هو صالح. فكروا كيف دعي إبراهيم «وهو واحد»، ومع ذلك «باركته وأكثرته»، وليشجعكم ذلك على الاعتماد على وعد الله. انظروا إلى إبراهيم لتروا ما الذي حصل عليه بثقته في وعد الله، وسيروا على مثاله في اتباع الله بإيمان تام. وقد أكد لهم هنا أن أحزانهم الحالية ستنتهي أخيرا إلى فرح وابتهاج (ع ٣). سوف يجد الله وقتا وطريقة لكي يعزي «صهيون». إنها تعزية كبرى للكنيسة أن تكون نافعة لمجد الله وتصبح كجنته التي يسر بها. سيجعلهم مبتهجين ويعطيهم قلوبا فرحة. فمع ثمار البر «الفرح والابتهاج يوجدان فيها»، ذلك أنه كلما زادت تقوى الإنسان زاد الخير الذي يعمله، وزاد الفرح الذي يتمتع به.

عدد ٤ – ٨

استمرار بر الله وخلاصه:

أولا: هذه التعزية تخص «شعبي» و«أمتي» الذين اخترتهم لنفسي، الذين يعترفون بي وأعترف بهم. إنهم شعبي الذين يعرفون «البر»، وبمقدورهم أن يعطوا حكما صحيحا بين الحق والباطل، وبين الخير والشر. وكما أن لهم عقولا راجحة، فإن لهم قلوبا صالحة، لأن شريعة الله فيهم. وحتى لو كان– أولئك الذين يعرفون البر، وشريعة الله في قلوبهم– في محنة عظيمة، وسيواجهون التوبيخ والاحتقار، فإن الله سوف يعزيهم.

ثانيا: التعزية التي لشعب الله:

(١) سيكرز بإنجيل المسيح للعالم: «لأن شريعة من عندي تخرج»، شريعة الإنجيل، ناموس المسيح، الذي هو ناموس الإيمان (إش ٢: ٣). وهذا هو ناموس الحرية الذي سيحكم العالم به. وسوف يتأصل هذا الناموس في العالم، ليس من أجل صالح اليهود فقط، بل يخرج «نورا للشعوب» أيضا.

(٢) هذه الشريعة ستفتح طريقا ممهدا لبني البشر، حتى يتبرروا ويخلصوا (ع ٥). وليس ثمة خلاص دون بر، وحيثما كان «بر الله» هناك يكون خلاصه.

(٣) هذا البر وهذا الخلاص سيظهران قريبا «قريب بري». وهو قريب من حيث الزمان والمكان (رو ١٠: ٨).

(٤) لن يقتصر بر الإنجيل وخلاصه على الأمة اليهودية وحدها، بل سيمتد إلى الأمم أيضا: «وذراعاي يقضيان للشعوب». والذين لن يخضعوا للأحكام التي تصدر من فم الله ستلحقهم أحكام يده. وهكذا فإن البعض سيحكمون بالإنجيل، غير أن آخرين، أولئك الذين هم من «الجزائر» سوف «يرجونه»، ويطلبون إنجيله، ويرحبون بوصاياه وتعزياته. كان من تعزية شعب الله أن جماهير كثيرة انضمت لهم، وقد قيل عنها «وتنتظر ذراعي»، التي أُستعلنت في المسيح (إش ٥٣: ١).

(٥) هذا البر وهذا الخلاص: «إلى الأبد» يكونان (ع ٨). وكما أنه سينتشر عبر كل شعوب الأرض، فهكذا يستمران عبر كل دهور العالم. فإن السماوات التي نراها فوقنا «كالدخان تضمحل»، وتطوى كالدرج. والأرض «كالثوب تبلى». ولكن عندما تزول السماء والأرض، حيث «يبس العشب ذبل الزهر وأما كلمة إلهنا فتثبت إلى الأبد». والذين تُبنى سعادتهم على بر المسيح وخلاصه سيتعزون بها حين ينتهي الزمن.

ثالثا: وإذا كان بر الله وخلاصه قريبا بالنسبة لهم، فعليهم ألا يخافوا «من تعيير الناس»، أو يرتاعوا «من شتائمهم»، أولئك الذين يطلبون منكم أن ترنموا لهم

www.DIFA3IAT.com

ترانيم صهيون، أو يسألونكم باحتقار: «أين هو إلهكم الآن». والذين لا يستطيعون تحمل كلمة قاسية من أجل المسيح، لن يمكنهم أن يتحملوا الكثير من أجله. ليتنا لا نخشى تعييرات الناس. لأنها ستخرس سريعا (ع ٨): «لأنه كالثوب يأكلهم العث»، «كالصوف (أو الملابس الصوفية) يأكلهم السوس». وسوف يكشف زيف تعييراتهم، وينتصر الحق. فالسحب تشكل قتامة أمام الشمس غير أنها لا تعيق تقدمها.

عدد ٩ - ١٦

أولا: صلاة من أجل أن يظهر الله ويعمل من أجل خلاص شعبه: «استيقظي استيقظي البسي قوة يا ذراع الرب» (ع ٩). وذراع الرب هو المسيح، وقد تشير إلى الله نفسه كما في مزمور ٤٤: ٢٣. ويقال «إن ذراع الرب استيقظت» حينما تمتد وتعمل من أجل شعبه. وليس الله في حاجة إلى أن نذكره أو أن نحفزه، ولكنه يسمح لنا أن نظهر غيرتنا لظهور قوته على هذا النحو لأن ذلك يعود لمجده. والكنيسة ترى أن حالتها سيئة، وأن أعداءها كثيرون وأقوياء لكن أصدقاءها قليلون ضعفاء، وعلى ذلك تعتمد في خلاصها على قوة ذراع الله وحدها.

ثانيا: مناشدة الله تلبية هذه الصلاة.

(١) ناشدوه على أساس الأحداث السابقة والأمور العظيمة التي عملها لأسلافهم. ليت ذراع الرب تظهر من أجلنا. فقد صنعت عجائب ضد المصريين. لقد قطعت «رَهَب» إربا إربا، بوباء رهيب وبكارثة تلو أخرى. كما قطعت فرعون «التنين». وقد عُملت معجزات لإسرائيل. لقد نشفت «البحر» لتجعل «أعماق البحر طريقا لعبور المفديين» (ع ١٠). والاختبارات القديمة تشكل مناشدات جيدة في الصلاة (انظر مز ٨٥: ١- ٦).

(٢) التمسوا وعوده (ع ١١): «ومفديو الرب يرجعون» بمعنى: إنك قلت إنهم سيرجعون، وهذه إشارة إلى (إش ٣٥: ١٠). وحين يتحرر الخطاة من عبودية الخطية إلى حرية مجد أولاد الله، يأتون مرنمين، كالطائر الذي أطلق من قفصه. ونفوس المؤمنين، بعد أن تتخلص من سجن الجسد، تأتي مرنمة إلى صهيون السمائية.

وذاك الذي يحتفظ لنا بمثل هذا الفرح في النهاية، ألن يصنع لنا خلاصا كهذا في وقت حاجتنا إليه؟

ثالثا: الإجابة التي أعطيت في الحال لهذه الصلاة (ع ١٢): «أنا أنا هو معزيكم». لقد صلوا طالبين عمل قوته، فأجابهم بتعزيات نعمته، والإثنان متكافئان. وإذا لم يستجب الله في الحال بقوة يمينه المخلصة، علينا أن نكون شاكرين إذا ما أجابنا كما أجاب على الملاك نفسه: «بكلام طيب وكلام تعزية» (زك ١: ١٣). ونرى هنا مدى تصميم الله على تعزية شعبه. فهو يتولى بنفسه ذلك «أنا أنا..» سأفعل ذلك.

(١) يعزي الخائفين بتوبيخهم: «مَنْ أنتِ حتى تخافي».. ولماذا «تفزع؟» (ع ١٢ و١٣).

أ. حماقة هذه المخاوف: يحط من قدرنا أن نستسلم لها: «مَنْ أنتِ حتى تخافي؟» إنها حماقة أن ينتابك هذا الرعب من إنسان يموت. وهل تخاف من «الإنسان الذي يُجعل كالعشب» وسوف يذوي ويداس بالأقدام أو يلتهم؟ يجب علينا أن ننظر إلى كل إنسان باعتبار أن مصيره الموت. والذين نخشاهم يجب النظر إليهم على أنهم ضعفاء وموتى، وندرك كيف أنها حماقة بالنسبة لعبيد الله الحي أن يخافوا من أناس وضعوا للموت، فهم اليوم موجودين وغدا يذهبون. إنها لحماقة أن نفزع «دائما كل يوم» (ع ١٣). قد يكون الخطر وشيكا بين الحين والآخر، وهنا قد يكون الخوف له ما يبرره، أما أن يكون الإنسان في قلق دائم ويرتعش لأتفه الأمور فهذا معناه أننا نقضي كل حياتنا تحت عبودية الخوف (عب ٢: ١٥). ومن الحماقة الخوف بلا سبب: «تفزع دائما كل يوم من غضب المضايق؟»، وأين غضب المضايق؟ إنه يتلاشى في لحظة، ينتهي الخطر قبل أن تدرك ذلك. فرعون مصر ليس إلا طنينا أجوف، وملك بابل لم يعد له وجود. فما الذي حدث لكل مضطهدي شعب الله الطغاة، الذين كانوا يرعبونهم؟ لقد اندثروا، ولم يعد لهم وجود، وهذا ما سيكون عليه هؤلاء أيضا.

ب. هذه المخاوف تدل على عدم التقوى: «تخافي من إنسان يموت... وتنسي الرب صانعك»، الذي هو أيضا خالق العالم. إن خوفنا المبالغ فيه من البشر معناه أننا نسينا الله. وعندما نقلق أنفسنا بالخوف من إنسان ننسى أن هناك إلها فوقه. وننسى اختباراتنا عن عنايته،

www.DIFA3IAT.com

وتدخله لإنقاذنا أكثر من مرة، وحين نظن أن الظالم قد تهيأ ليدمرنا، ننسى «يهوه يراه»، ننسى تدبيرات الرب، الذي هو عنوان الرحمة في جبل الرب.

(٢) يعزي أولئك الذين في قيود (ع ١٤ و١٥): «سريعا يطلق المنحني» ويعود إلى بلده، الذي نفي منها، واهتمامه هو ألا «يموت في الجب» لا يموت أسيرا، وأنه «لا يعدم خبزه». والبعض يأخذ هذه على أنها غلطته. لقد فقد صبره نتيجة التأخير، ولا يستطيع أن ينتظر الوقت الذي يعينه الله، بل يظن أنه لابد وأن يقضي نحبه في زنزانته ما لم يطلق سراحه فورا. آخرون يقولون إن العبارة يقصد بها مدحه، من ناحية أنه لم يتلكأ حين فتحت الأبواب. وبعد ذلك جاء القول: «وأنا الرب إلهك»، الأمر الذي يفيد أن الله سيعمل لهم ما لم يستطيعوا عمله لأنفسهم. وسوف يجد وسيلة ليسكت العاصفة التي تهددهم، ويأتي بهم إلى الميناء بسلام. «رب الجنود اسمه»، الاسم الذي عرفه به شعبه مدة طويلة.

(٣) يعزي كل شعبه الذين اتكلوا على ما قاله لهم الأنبياء باسم الرب. وحين لم تأت الأعمال الخلاصية التي تحدث عنها الأنبياء سريعا، أو لم تأت بحسب توقعاتهم بدأوا في الانكسار، لكن الله يشجعهم (ع ١٦) بما قاله لرسوله، كما فعل هنا: «قد جعلت أقوالي في فمك.. لغرس السماوات». لقد تعهد الله بتعزية شعبه (ع ١٢)، ولكنه يفعل ذلك عن طريق الأنبياء بواسطة إنجيله. وهم يقولون ما أمرهم أن يقولوه: «جعلت أقوالي» في فمك، وعلى ذلك من يقبلها ويقبلك يقبلني. وروح الله كشف لهم الأقوال التي يجب أن يتكلموا بها (٢بط ١: ٢١؛ ١كو ٢: ١٣). «وبظل يدي سترتك» (كما سبق في إشعياء ٤٩: ٢) وتتحدث هذه العبارة عن الحماية الخاصة ليس للأنبياء فحسب، بل لنبواتهم، وليس للمسيح فقط، بل للمسيحية، ولإنجيل المسيح: «جعلت أقوالي في فمك»، ولم أفعل ذلك لأغرس أمة، أو أقيم مدينة بل «لغرس السماوات وتأسيس الأرض» التي ستكون خليقة جديدة، التي يجب أن تتطلع بعيدا إلى الأمام، إلى العمل العظيم الذي تم عن طريق إنجيل المسيح، وإقامة ديانته المقدسة في العالم. وكما خلق الله العالم بالمسيح في البداءة (عب ١: ٢)، هكذا بواسطته أيضا يقيم عالما جديدا، وسوف يقوم ثانية بغرس السماوات وتأسيس الأرض. وإذ عمت الفوضى الخليقة كلها بسبب الخطية، فلما أزال المسيح خطية العالم وضع كل شيء في نظامه ثانية.

عدد ١٧ - ٢٣

دعوة ليست للقيام من نوم الخطية (ولو أن هذا أيضا أمر ضروري لتهيئتهم للخلاص) بقدر ما هي دعوة للقيام من سبات اليأس. حين كان سكان أورشليم في السبي غلب عليهم إحساسهم بمتاعبهم، حتى إنهم أهملوا تماما كل ما من شأنه أن يعزيهم.

أولا: كانت أورشليم في حمأة البؤس منذ فترة طويلة.

(١) كانت ترقد تحت علامات عدم رضاء الله عنها. فقد وضع في يدها «كأس غضبه». فقد أثارت غضبه ومن ثم جعلها تتذوق ثماره المريرة. وكان كأس غضب الله، بل وسيكون دائما «كأس الترنح» لكل من يوضع في أيديهم. لقد قيل إن «عكرها يمصه، يشربه كل أشرار الأرض» (مز ٧٥: ٨). وحيثما كان هناك كأس للزنا، كما كان في يد أورشليم حين كانت زانية، فسوف يكون هناك كأس للغضب سواء كان ذلك عاجلا أم آجلا.

(٢) لقد خزلها أولئك الذين كان من المفروض فيهم أن يعاونوها في محنتها (ع ١٨)، ولذلك نراها تترنح، وغير ثابتة بالمرة. وكانت لا تعرف ما تقوله أو تعمله، بل بالأحرى، ما الذي يجب قوله أو عمله، وفي هذه الحالة التعيسة لجميع «البنين الذين ولدتهم»، لم يمد أحد منهم يده لمعاونتها على الخروج من محنتها، أو قال لها ما يغريها به فيها. «اثنان هما ملاقياك» (ع ١٩)، ولكي يكتمل خرابك ودمارك، يأتي عليك أيضا «الجوع والسيف»، وبهذا تخرب المدينة ويهلك المواطنون. وهذان الأمران اللذان لحقا بأورشليم يماثلان الأمرين اللذين حاقا ببابل بعد ذلك «الثكل والترمل» (إش ٤٧: ٩)، وهاتان حالتان يرثى لهما ويتطلبان المواساة والتعزية، ومع ذلك، فحين تكون متمردا وأنت في محنة «بمن أعزيك؟» فالذين كان من واجبهم أن يقوموا بتعزيتهم، هم الذين يعذبونهم (ع ٢٠): «قد أعيوا»، واستسلموا لليأس، لم يكن

لديهم صبر يساعدهم على امتلاك نفوسهم، أو أية ثقة في وعد الله. ألقوا بأنفسهم على الأرض بغضب أثناء متاعبهم، وهناك «اضطجعوا في رأس كل زقاق». هناك رقدوا «كالوعل في شبكة»، تحت وطأة القلق والغضب، يكافحون بغية أن يساعدوا أنفسهم، غير أنهم ساروا إلى أسوأ، نتيجة سخطهم وبالغ غضبهم. وأصحاب الروح المتمردة الساخطة لا يتوقفون ليتساءلوا عن سبب خصامه معهم، ولذلك لا ترى فيهم سوى غضبهم من الله.

ثانيا: تم الوعد بأن متاعب أورشليم ستنتهي أخيرا، وتتحول إلى مضطهديها (ع ٢١): «لذلك اسمعي هذا أيتها البائسة... هكذا قال سيدك الرب وإلهك»- الذي بمقدوره أن يعينك- إلهك الذي دخل في عهد معك، والذي تعهد بأن يجعلك سعيدة- هو «إلهك الذي يحاكم لشعبه»، والذي يعتبر ما يعمل ضد شعبه كأنه عمل ضده هو. إنها قضيته هو، لقد تعهدها. ومن ثم سيدافع عنها: «هأنذا قد أخذت من يدك كأس الترنح»، تلك الكأس المريرة سوف تعبر عنك. وقد كان الوعد: «لا تعودين تشربينها في ما بعد». وسوف يحمل مضطهدوهم ومقاوموهم على الشرب من نفس الكأس المرة التي شربوا منها حتى الثمالة (ع ٢٣). وفي هذا نجد بابل العهد الجديد وقد سارت على إثر خطوات ذلك الظالم القديم، حيث تتسلط على ضمائر الناس، وتعرضهم لآلام قاسية، وتجبرهم على اتفاقات خاطئة. وسوف تكون حالة بابل على نفس السوء التي كانت عليه حال أورشليم من قبل. وسوف يلقى من اضطهدوا دانيال في ذات الجب.

الأصحاح الثاني والخمسون

يتناول الجزء الأكبر من هذا الأصحاح نفس موضوع الأصحاح السابق، غير أن الآيات الثلاث الأخيرة تتناول نفس موضوع الأصحاح الذي يليه بخصوص شخص الفادي، اتضاعه ثم ارتفاعه.

أولا: التشجيع الذي أعطي لليهود في السبي لكي يرجوا خلاص الرب لهم بطريقته الخاصة وفي الوقت الذي يراه (ع ١- ٦).

ثانيا: الفرح العظيم الذي سيغمر الخدام والشعب في هذه المناسبة (ع ٧- ١٠).

ثالثا: النداء الذي وجه للذين بقوا في السبي، بالرغم من إعلان العتق (ع ١١ و١٢). فكرة موجزة عن المسيح تم التوسع فيها في الأصحاح التالي (ع ١٣- ١٥).

عدد ١ – ٦

أولا: تشجيع شعب الله على أن يظهروا قوة عزمهم لنوال خلاصهم (ع ١ و٢). ليستيقظوا من قنوطهم، وليتشددوا ويشجع كل منهم الآخر. ليتركوا شكوكهم وريبتهم، ولينظروا إلى فوق لينظروا إلى الوعود، وإلى تدبيرات العناية الإلهية التي كانت تعمل من أجلهم، وليزيدوا من توقعاتهم للأمور العظمية التي ينتظرونها من الله. ليستيقظوا من تبلدهم الحسي. ويؤكد لهم الله هنا على:

(١) إن سبيهم سيؤدي إلى إصلاحهم: «لا يعود يدخلك في ما بعد أغلف ولا نجس» (ع ١)، لن يتمسكوا بعد بعاداتهم الوثنية، أو على الأقل لن يلجأوا إليها. وهكذا تطهرت أورشليم الإنجيل بدم المسيح ونعمة الله، وأصبحت بحق مدينة مقدسة.

(٢) سينقذون من سبيهم، ولن يتعرضوا بعد للغزو ثانية: «لا يعود يدخلك في ما بعد» من هو ضدك من الغلف أو النجسين. وإذا ما تمسكوا بالله، فإن الله سيبعد عنهم الأعداء، وإذا ما عادوا للفساد ثانية، فإن هيكلهم سوف يدنس، وسوف يدمر (كما تم بالفعل فيما بعد على يد الرومان). على أية حال، سوف ينعمون بالسلام لفترة ما. عليهم الاستعداد للفرح: «البسي ثياب جمالك يا أورشليم»، لا تظهري بعد في ثياب الحداد. اسلكوا نهجا جديدا، واظهروا بوجه مبتسم، حيث أن مشهدا جديدا وجميلا يبدأ في الظهور. ليستعدوا من أجل الحرية: «انتفضي من التراب» الذي داس عليكم فيه المتسلطون المتعجرفون (إش ٥١: ٢٣)، أو الذي تمرغتم أنتم فيه أثناء حزنكم. «قومي اجلسي» تخلصي يا أورشليم من كل مظاهر العبودية: «انحلي من ربط عنقك» أكدي حريتك. فالإنجيل يعلن لأولئك الذين كان الخوف يقيدهم، ويجعل من واجبهم أن يتمسكوا بحريتهم. وأولئك الذين كانوا متعبين وثقيلي الأحمال بالخطية،

WWW.DIFA3IAT.COM

والذين وجدوا خلاصهم في المسيح، عليهم أن يحرروا أنفسهم من هذه الربط، لأنه «إن حرركم الابن فبالحقيقة تكونون أحرارا».

ثانيا: الله يتحرك لخلاص شعبه:

(١) البابليون الذين اضطهدوهم لم يعترفوا بالله شأنهم في ذلك شأن سنحاريب (إش ١٠: ٦ و٧): «مجانا بُعتم»، لم تحصلوا على شيء نتيجة ذلك، وهكذا لم آخذ أنا شيئا (ع ٣). لم يشكره البابليون من أجلهم، بل على النقيض من ذلك عيروا اسمه وجدفوا عليه. وعلى هذا، فإنهم وقد أخذوكم منذ فترة طويلة مجانا، سوف يعيدونكم ثانية مجانا: «بلا فضة تفكون»، بحسب ما سبق ووعد به (إش ٤٥: ١٣).

(٢) كثيرا ما كانوا في محنة مماثلة، وكان مما يرثى له أن يتركوا الآن في أيدي المتسلطين عليهم (ع ٤): «إلى مصر نزل شعبي أولا»، بطريقة ودية للإقامة هناك، غير أنهم استعبدوهم، وتسلطوا عليهم بكل قسوة. وبعد ذلك تم خلاصهم. فلماذا لا نصدق أن الله سيخلص شعبه الآن؟ وفي أوقات أخرى «ظلمه أشور» فقد ظلموا شعب الله، مثلما حمل الأسباط العشرة إلى السبي على يد ملك أشور، وبعد ذلك بفترة بسيطة أقام سنحاريب– وهو أيضا من ملوك أشور– من نفسه سيدا لكل مدن يهوذا الحصينة. يطلق على البابليين أيضا «الأشوريين»، ذلك لأن مملكتهم فرعا من الأشوريين، وهم يقمعونهم الآن دون أي سبب.

(٣) أسيئ إلى مجد الله نتيجة الإهانات التي لحقت بشعبه (ع ٥): «فالآن ماذا لي هنا»، ما الذي حصلت عليه نتيجة ذلك؟ «حتى أُخِذ شعبي مجانا؟» كان اليأس قد تملك من المسبيين حتى إنهم لم يستطيعوا تسبيحه: «المتسلطون عليهم يصيحون» (ساخرين) مثلما جعلهم المصريون قديما يتنهدون (خر ٢: ٢٣)، ومع ذلك سمعهم الله، ونزل لكي يخلصهم، كما سبق وأن أخرجهم من العبودية في مصر (خر ٣: ٧ و٨). أما الوطنيون، فإذ كانوا يجدفون ويتباهون أنهم كانوا قساة من نحو الله لأنهم كانوا قساة على شعبه، وتحدوه باعتبار أنه عاجز عن إنقاذهم. يقول الله: سأنزل وأخلصهم لأن المتسلطين عليهم لن يحمدوا الله، ولن يسمحوا لهم بعمل ذلك.

(٤) سيظهر مجده في خلاصهم (ع ٦): «لذلك»، ولأنه هكذا جدف على اسمي، سأقوم، وسوف «يعرف شعبي اسمي» يهوه.

عدد ٧- ١٢

رحيل اليهود من بابل، وتطبيق (ع ٧) على الكرازة بالإنجيل (بواسطة بولس الرسول، رو ١٠: ١٥) يشير بوضوح إلى أن ذلك الخلاص كان رمزا وصورة لفداء البشرية بيسوع المسيح.

أولا: إنه يتحدث عنه كبركة عظيمة يجب قبولها بفرح.

(١) سيقابل أولئك الذين يجلبون أخبار العتق بالترحاب الشديد (ع ٧)، حينما يأتون إلى الجبال المحيطة بأورشليم والمقصود هنا بعض اليهود أنفسهم، الذين ذهبوا في الحال بأنفسهم، أو بعثوا برسلهم إلى أورشليم، لكي يخبروا البقية القليلة التي ظلت هناك بأن إخوتهم سيأتون إليهم قريبا، وكان هذا الإعلان دليلا على ملك الرب في صهيون، لأنهم قالوا لصهيون «قد ملك إلهك». ويجب أن يطبق هذا على الكرازة بالإنجيل، التي تشكل إعلانا للسلام والخلاص. إنها بشارة حقا، تلك الأخبار السارة بالانتصار على أعدائنا الروحيين، والتحرر من قيودنا الروحية. والأخبار السارة هي أن الرب يسوع سيملك. والمسيح نفسه هو أول من جاء بهذه الأخبار (لو ٤: ١٨؛ عب ٢: ٣)، والنص يتحدث عنه: «ما أجمل..» قدميه. ما أجمل قدميه اللتين سمرتا على الصليب، ما أجملهما على جبل الجلجثة.

(٢) مراقبو صهيون سيفرحون (ع ٨). والمراقبون (إش ٦٢: ٦) هم الحراس الذين يقيمهم الله على أسوار أورشليم، ليذكروا اسمه، وليواصلوا الصلاة الحارة له حتى يعود ثانية ويجعل أورشليم ترنيمة في الأرض. وهم يقفون على المرصد في انتظار استجابة صلواتهم (حب ٢: ١)، ولذلك حين جاءت الأخبار كانوا هم أول من علم بها. سوف «يرفعون صوتهم يترنمون معا» ليدعوا الآخرين لمشاركتهم في تسبيحهم. وسوف يرون اتفاقا تاما بين النبوة والحدث، الوعد وإتمامه، سوف يرون كيف ينظر كل إلى الآخر «عينا لعين» ويقتنعون بأن نفس الإله هو الذي قال وهو الذي فعل. وإذا ما

طبقنا هذه أيضا– كالآية السابقة– على أزمنة الإنجيل، سنجده وعدا بانسكاب الروح القدس على الخدام، باعتباره روح الحكمة والإعلان الإلهي، ليقودهم إلى كل الحق، حتى يبصروا عينا لعين، ويتفقوا بالإجماع بالنسبة لهذه الأمور العظيمة المتعلقة بالخلاص. سوف تترنم أماكن صهيون الخربة لأنهم سيتعزون جدا (ع ٩): «ترنمي معا يا خِرَب أورشليم». سيكون فداء أورشليم مصدر فرح كل شعب الله (لو ٢: ٣٨)، وسيتمجد الله لذلك (ع ١٠)، فسوف يشمر «عن ذراع قدسه (حيث يبين قوته ويعلنها) أمام عيون كل الأمم».

ثانيا: حينما تعلن الحرية، ليسرع شعب الله بالخروج من بابل بكل سرعة ممكنة: «اعتزلوا اعتزلوا اخرجوا من هناك» (ع ١١). ذلك أن بابل ليست المكان المناسب للإسرائيليين (عز ١: ٥). وهذه دعوة لكل الذين لايزالون في أسر الخطية والشيطان لكي ينتفعوا بالحرية التي أعلنها لهم المسيح. وعليهم الانتباه بألا يحملوا معهم أيا من نجاسات بابل: «لا تمسوا نجسا»، وليعتمدوا في رحيلهم على وجود الله معهم وحمايته لهم (ع ١٢): «لأنكم لا تخرجون بالعجلة». كان عليهم الخروج بنشاط وليس بسرعة الخائف المتشكك، كما لو كانوا يخشون أن يلاحقهم أحد. وسوف يتيح لهم كورش خروجا مشرفا، وعودة حميدة، ولن يحتاجوا إلى الخروج متسللين: «لأن الرب سائر» أمامهم. سوف يقود الله قافلتهم، وسوف يحفظ أيضا مؤخرتها.

عدد ١٣– ١٥

تشير هذه النبوة التي تبدأ هنا وتستمر حتى نهاية الأصحاح التالي، بكل وضوح إلى الرب يسوع المسيح، وقد فهمها اليهود القدامى على أنها تتحدث عن المسيا، على الرغم من أن البعض يأخذونها على أنها تتحدث عن إرميا. غير أن فيلبس المبشر جعله أمرا لا يحتمل الجدال أن النبي يتحدث عن الرب يسوع وليس عن إنسان آخر (أع ٨: ٣٤ و٣٥).

أولا: أقر الله بأن المسيح مرسل للقيام بمهمته التي تعين لها: «هوذا عبدي» الذي استخدمه، ومن ثم سأرفعه وأقويه. وهو في مهمته يعمل مشيئة أبيه، ويسعى لمجد أبيه، ويخدم مصالح ملكوت أبيه. وهو «يعقل»، لأن «روح الحكمة والفهم» يحل عليه (إش ١١: ٢).

ثانيا: يقدم لمحة وجيزة عن اتضاعه وعن رفعته أيضا. وسوف يندهش منه كثيرون بسبب آلامه. «كان منظره كذا مفسدا أكثر من الرجل» حين ضرب ولطم على خده ووضع أكليل شوك على رأسه ووجهه لم يستر «عن العار والبصق».. كان «رجل أوجاع». لم يكن «حزن مثل حزنه».

ولننظر هنا كم رفعه الله ومجده، وما ذلك سوى لأنه وضع نفسه. وقد استخدمت ثلاث كلمات لهذا (ع ١٣): «يتعالى ويرتقي ويتسامى جدا». فالله سيرفعه، والإنسان سوف يمجده، وسيكون بذلك أعلى من السماوات. وتسعى إليه أمم كثيرة «هكذا ينضح أمما كثيرين»، والدم الذي ينضحه سيعمل في ضمائرهم، لكي يطهرهم، لأن في موته «يكون ينبوعٌ مفتوحا» (زك ١٣: ١). «من أجله يسد ملوك أفواههم»، بمعنَى أنهم لن يفتحوا أفواههم ضده، كما فعلوا في الماضي. فبكل اتضاع وتبجيل سوف يقبلون أقواله ووصاياه. «لأنهم قد أبصروا ما لم يُخبَروا به». فالإنجيل يخرج إلى النور أمورا تثير احترام الملوك والممالك. فسوف يرون ويتأملون مجد الله في وجه المسيح، الأمر الذي لم يسبق أن أخبروا به– «وما لم يسمعوه». لقد خيب المسيح توقعات أولئك الذين كانوا يترقبون مسيا بحسب رغباتهم، مثل اليهود الجسديين، ولكنه فاق تطلعات أولئك الذين كانوا ينتظرون مسيا كما هو موعود به.

الأصحاح الثالث والخمسون

كان الأمران العظيمان اللذان سبق أن شهدا بهما روح المسيح في أنبياء العهد القديم هما: آلام المسيح والمجد الذي يعقبها (١بط ١: ١١). ولم يتم التنبؤ بهذين الأمرين في أي مكان آخر من العهد القديم كما حدث في هذا الأصحاح، بكل هذا الوضوح وهذه الدقة. وهذا الأصحاح مفعم بكنوز المسيح التي لا تستقصى حتى أنه يمكن تسميته بشارة إشعياء الإنجيلي وليس «رؤيا إشعياء».

أولا: عار آلام المسيح– وضاعة الحالة التي ظهر عليها، عظم حزنه، والتحيزات التي حملها كثيرون ضد تعليمه

www.DrARAB.com

(ع ١- ٣).

ثانيا: دحرجة هذه التعبيرات، وضع ختم المجد الأبدي على آلامه. وذلك لأربعة اعتبارات:

(١) إنه في هذا إنما عمل مشيئة أبيه (ع ٤، ٦، ١٠).

(٢) إنه من خلالها صنع كفارة لخطايا الإنسان (ع ٤- ٦، ٨، ١١، ١٢)، فهو لم يتألم من أجل أية خطية صنعها هو (ع ٩).

(٣) إنه تحمل آلامه بصبر لا يقهر (ع ٧).

(٤) إنه سينجح في مهمته، وسوف تنتهي آلامه بمجد أبدي (ع ١٠- ١٢).

عدد ١ - ٣

تنبأ النبي في ختام الأصحاح السابق بالاستقبال الطيب الذي سيستقبل به إنجيل المسيح بين الأمم. أما هنا فهو يتنبأ بدهشة لعدم إيمان اليهود، برغم الإعلانات السابقة التي أعطيت لهم عن مجيء المسيح.

أولا: الاحتقار الذي أبدوه نحو إنجيل المسيح (ع ١). وهذا ينطبق أيضا على النجاح البسيط الذي حققته كرازة التلاميذ بين اليهود والأمميين (رو ١٠: ١٦). قليلون هم الذين صدقوا الأنبياء الذين تحدثوا قبلا عن المسيح، وحين جاء بنفسه لم يتبعه أحد من الرؤساء أو الفريسيين، سوى شخص من هنا، وآخر من هناك من العامة، لكن حين حمل الرسل شهادتهم للعالم كله، آمن البعض في كل مكان، غير أنهم كانوا قليلين نسبيا. ومن بين من يعلنون إيمانهم، حتى في يومنا هذا، فإن قليلين هم الذين يحفظونه في القلب ويخضعون لقوته. لم يدركوا تلك القوة الإلهية التي تلازم الكلمة، وعمل الروح الذي يجعل الكلمة فعالة. ولم يؤمنوا بالإنجيل، لأنهم بتمردهم ضد النور، خسروا نعمة الله.

ثانيا: الاحتقار الذي أظهروه لشخص المسيح بسبب وضاعة مظهره:

(١) الحالة الوضيعة التي خضع لها، وكيف اتضع وأخلى نفسه. لم تكن طريقة دخوله للعالم والشخصية التي ظهر فيها المسيح مقبولة بأي حال من اليهود الذين كان لهم فكرهم الخاص عن المسيا. فقد كانوا يتوقعون أن يكون أسلافه من العظماء والنبلاء. وكان سيأتي من نسل داود، ولكنه جاء من هذه العائلة الملكية الشهيرة بعد أن تدهورت واضمحلت ولم يكن يوسف سوى نجار بسيط. وهذا ما قصد هنا بعبارة «كعرق من أرض يابسة»، أي أنه ولد من عائلة متواضعة، أقامت في الشمال، في الجليل، ومن أسرة كأرض جرداء يابسة، لا يخرج منها شيء أخضر، فلم يكن يتوقع أي شيء عظيم من بلدة ضئيلة الشأن كهذه حتى إنه لم يظن أنه يمكن أن يخرج منها أي شيء صالح. كانوا يتوقعونه أن يدخل في موكب شعبي، ويأتي في عظمة وأبهة وأن يُقبل من الجميع ويعترف به، غير أنه عوض ذلك، كان ينمو أمام الله وليس أمام الناس: «نبت قدامه كفرخ»، في صمت، وغير ملحوظ، كما تنمو البذار «ولا يعلم كيف» (مر ٤: ٢٧). كان من المتوقع أن يتمتع بجمال غير عادي في طلعته وهيئته، بحيث يسحر العين ويجذب القلب ويزيد من توقعات كل من يراه. ولكن هذا ما لم يتوفر فيه، وليس معنى ذلك أنه كان مشوها أو ممسوخا، لكن «لا صورة له ولا جمال»، فلا شيء فيه فوق العادي مما كنا نتوقع أن نجده في إله متجسد. حين ولد موسى كان «جميلا جدا» إلى درجة أنه قد نظر إلى ذلك باعتباره فألا حسنا (أع ٧: ٢٠؛ عب ١١: ٢٣). وحين مسح داود «كان أشقر... حسن المنظر» (١ صم ١٦: ١٢). غير أن ظهور ربنا يسوع في العالم لم يكن فيه أي مجد ظاهر. وقد كرز بإنجيله ليس بكلام الحكمة الإنسانية المقنع بل ببرهان الروح والقوة. توقعوا أنه سيحيا حياة رغدة، متمتعا بكل شيء، ولكنه على النقيض من ذلك كان «رجل أوجاع ومختبر الحزن». وكانت حالته في مواقف كثيرة مليئة بالحزن. لم يكن يعرف الاستقرار، ولم يكن له أين يسند رأسه، وآخرون يدبرون له معيشته، وكان يلقى المعارضة ويواجه الخطر. كما «احتمل من الخطاة مقاومة لنفسه». كان مرهف الحس واختبر مشاعر الحزن؛ فقد كان يتأثر بأحزان الآخرين، ويتعاطف معهم.

(٢) عدم رضا الناس عنه بسبب ذلك كان يتمتع بجمال القداسة وجمال الصلاح، وبشكل يجعله «مشتهى كل الأمم»، غير أن السواد الأعظم من الذين عاش بينهم، لم يروا شيئا من هذا الجمال، لأنه

www.DIFA3IAT.com

كان يرى روحيا. لقد رفض كشخص شرير. «وكمستر عنه وجوهنا محتقر». مخذول كمن حجب الناس عنه وجوههم (بحسب ترجمة أخرى)، ثم إنه كمن حجب وجهه عنا، أخفى مجد عظمته، وستره بحجاب، ولذلك فهو «محتقر فلم نعتد به»؛ لأننا لم نستطع رؤيته من خلال ذلك الحجاب.

عدد ٤ - ٩

أولا: لمحة أخرى عن آلام المسيح: قيل الكثير هنا عن الحالة التي ارتضى بها لنفسه، طائعا حتى موت الصليب:

(١) كانت لديه أحزانه وآلامه. وقد تحملها ولم ينعي حظه، بل إنه لم يتراجع أمامها، أو يخر، لكنه ثابر حتى النهاية، إلى أن قال: «قد أكمل».

(٢) تحمل الضربات والجروح، فقد كان: «مصابا، مضروبا.. ومذلولا». وكان دائما ما يتعرض لتقريع اللسان، حين كانوا يعارضونه، ويتهمونه وبسوء خلقه، وقالوا عنه كل كلمة شريرة. وأخيرا ضرب بالأيدي، الضربة تلو الأخرى.

(٣) جُلد، وليس في حدود القواعد الرحيمة التي يفرضها الناموس اليهودي، الذي لم يكن يسمح بأكثر من أربعين جلدة حتى بالنسبة لأعتى المجرمين، لكنه ضرب طبقا لعادة الرومان. وقد قصد بيلاطس من جلده أن يكون بديلا لصلبه، إلا أنه ثبت أنه كان مقدمة له. لقد جرح في يديه ورجليه وجنبه.

(٤) ظُلم وأسيئ إليه (ع ٧): «ظلم»، ولكن ربنا يسوع حافظ على رباطة جأشه.

(٥) «من الضغطة ومن الدينونة أخذ» (ع ٨). عومل كمجرم، اعتقل وزج به إلى الحبس، وسجن وحوكم، أتهم وأدين.

(٦) «قُطع» بميتة في غير وقتها «من أرض الأحياء»، وجُعل مع الأشرار قبره (لأنه صلب بين لصين كما لو كان أسوأ ثلاثتهم) وبرغم ذلك جعل «مع غني عند موته» لأنه دفن في قبر يمتلكه يوسف وهو مشير مبجل.

ثانيا: شرح لمعنى آلامه: إنه لأمر طبيعي أن نسأل بدهشة، كيف حدث كل ذلك؟ ما الشر الذي ارتكبه؟

لقد حسبه أعداؤه «مضروبا من الله ومذلولا» (ع ٤). ولأنهم كرهوه واضطهدوه فقد ظنوا أن الله أيضا يكرهه. وإنها لحقيقة أنه كان «مضروبا من الله» (ع ٤). (أو كما في ترجمة أخرى. الرب عاقبه وأذله)، ولكن ابن الله، على الرغم من أنه عوقب وأذل، إلا أن ذلك لم يكن يقصد به المعنى الذي فهموه هم.

(١) لم يعمل أي شيء على الإطلاق يستحق من أجله هذه المعاملة القاسية. وفي حين أنه اتهم بأنه يفسد الأمة، ويزرع فيها التمرد والعصيان، إلا أن هذه كلها أباطيل، لأنه «لم يعمل ظلما»، بل كان يجول يصنع خيرا. وفي حين أنه وصف بأنه «مضل»، غير أنه «لم يكن في فمه غش» (ع ٩؛ قارن ١ بطرس ٢: ٢٢). ولم يسئ إلى أحد إطلاقا لا قولا ولا فعلا. بل إن القاضي الذي كان يحاكمه اعترف بأنه لم يجد فيه علة، وقائد المئة الذي نفذ فيه حكم الموت اعترف بأنه حقا كان رجلا بارا.

(٢) على الرغم من أنه ظلم وأذل، إلا أنه «لم يفتح فاه» (ع ٧)، بل ولم يحاول أن يدافع عن نفسه بأنه بريء، بل بكل حريته قدم نفسه ليتألم ويموت من أجلنا. ومما يدرأ عنه عار الصليب أنه خضع له بمحض اختياره وذلك لغايات عظيمة ومقدسة. وكان يستطيع بحكمته أن يتفادى الحكم، وكان بمقدوره أن يقاومه بقوته، غير أنه «كان ينبغي أن المسيح يتألم». «هذه الوصية» قبلها من أبيه، ولذلك «لم يفتح فاه كشاة تساق إلى الذبح». «كنعجة صامتة أمام جازيها فلم يفتح فاه». والواقع أنه كان أمام الجزارين، هكذا لم يفتح فاه، الأمر الذي يشير إلى امتثاله بسرور لمشيئة أبيه. وبهذا تقدسنا، أنه جعل من نفسه، وحياته ذبيحة من أجل خطايانا.

(٣) كان لخيرنا، ونيابة عنا أن يتألم المسيح. وقد تأكدت هذه الحقيقة هنا، بكل وضوح وبشكل تام.

أ. من المؤكد أننا جميعا خطاة أمام الله. فنحن جميعا خطاة أعوزهم مجد الله (ع ٦): «كلنا كغنم ضللنا». وكل إنسان بصفة خاصة يعد متهما بتعديات عديدة.. فقد ضللنا كغنم اعتادت أن تضل، ولكنها لا تعرف أن تجد طريقها للعودة ثانية. وهذه هي سمتنا الحقيقية، فقد دأبنا على الابتعاد عن الله، ولكننا عاجزون تماما عن الرجوع إليه مرة أخرى. لقد ضللنا

www.DIFA3IAT.com

كل واحد إلى طريقه، وبهذا جعلنا مشيئتنا تتعارض مع الله ومشيئته، وهذا هو شر الخطية.

ب. خطايانا هي مصدر أحزاننا وأسقامنا (ع ٤)، أو أمراضنا وجروحنا، بحسب ما يترجمها البعض.

ج. عُين ربنا يسوع لكي يقدم فدية عن خطايانا وقد قام بهذه المهمة فعلا. «والرب وضع عليه إثم جميعنا». ووضع آثامنا على المسيح معناه أنها أبعدت عنا، ولن نقع تحت لعنة الناموس إذا ما خضعنا لنعمة الإنجيل. وقد وضعت خطايانا على المسيح حين جُعل «خطية (ذبيحة خطية)، لأجلنا»، وبذلك أصبح في وضع يستطيع معه أن يريح الذين يأتون إليه وهم يرزحون تحت ثقل الخطية (انظر مزمور ٤٠: ٦- ١٢). وليس بمقدور أحد أن يضع على المسيح خطايانا سوى الله وحده، وذلك لأن الخطية ارتكبت ضده من جهة، ومن جهة أخرى لأن المسيح هو ابنه الذي لم يعمل خطية. إن «إثم جميعنا» هو الذي وضع على المسيح، لأن المسيح جدير ومستحق أن يعطي الخلاص للجميع، وقد قدم هذا الخلاص بشكل جدي للجميع دونما استثناء لأحد سوى الذين يبعدون أنفسهم. لقد وضع الله عليه إثمنا، ولكن هل وافق هو على ذلك؟ نعم، لقد وافق على ذلك، لأن البعض يقولون إن الترجمة الصحيحة للعبارة التالية (ع ٧) أن الأمر تطلب موافقته وهو قد أعلنها.

د. لكي يسدد ما علينا من دين، تحمل العقوبة «لكن أحزاننا حملها وأوجاعنا تحملها» (ع ٤). لقد حمل المسيح خطايانا، وهكذا حمل بالتالي «أحزاننا»، حملها بعيدا عنا، حتى لا يُضغط علينا إطلاقا فوق طاقتنا. «وهو مجروح لأجل معاصينا». وكانت خطايانا هي أكليل الشوك الذي وضع على رأسه، والمسامير التي دقت في يديه ورجليه، والحربة التي طعن بها جنبه. «مسحوق لأجل آثامنا»، وهي السبب الذي مات من أجله. ونفس المعنى نجده في آية ٨: «ضرب من أجل ذنب شعبي»، لقد تلقى الضربة التي كان يجب أن تقع علينا نحن.

هـ. نتيجة ذلك بالنسبة لنا هي سلامنا وشفاؤنا (ع ٥): «تأديب سلامنا عليه». «لأنه هو سلامنا» (أف ٢: ١٤). لقد تحمل المسيح الآلام لكي يريحنا نحن، إذ كان يعرف أنه بواسطته تغفر لنا خطايانا. وبهذا ننال الشفاء، لأننا «بحبره شفينا». والخطية ليست جريمة حكم علينا بالموت بسببها فحسب، بل هي مرض، يؤدي بنا مباشرة إلى موت نفوسنا، الأمر الذي دبر لنا المسيح شفاء منه. بواسطة جروحه اشترى لنا الروح والنعمة للتغلب على فسادنا، الذي يعتبر مرض نفوسنا، ولكي يجعل نفوسنا صحيحة، حتى تصبح لائقة لخدمة الله. لقد تحطمت سيادة الخطية علينا وقد تحصنا ضد مسبب هذا المرض.

و. ونتيجة ذلك بالنسبة للمسيح هي قيامته، لأنه «أسلم من أجل خطايانا وأقيم لأجل تبريرنا»، «بعدما أقيم من الأموات لا يموت أيضا. لا يسود عليه الموت بعد»، لأن المسيح مات وقام وعاش لكي يسود على الأحياء والأموات.

عدد ١٠- ١٢

في الأعداد السابقة شهد النبي لآلام المسيح، أما هنا فيتنبأ عن المجد الذي سيتبع هذه الآلام.

أولا: الخدمة والمعاناة التي صاحبت اتضاع المسيح. تعال وانظر كيف أحبنا، واعرف ما الذي عمله من أجلنا:

(١) خضع لعبوس السماء في وجهه (ع ١٠): «أما الرب فسر بأن يسحقه بالحزن». لقد ظن الناس أن الله ضربه لخطية كبيرة ارتكبها (ع ٤)، وقد تبين الآن أنه كان حقا «مضروبا من الله» غير أن ذلك كان من أجل خطايانا.

(٢) وضع نفسه مكان الخطاة، كتضحية من جانبه «جعل نفسه ذبيحة إثم»، وقد شرح بنفسه هذا (مت ٢٠: ٢٨).: «ليبذل نفسه فدية عن كثيرين»، فنحن لا نستطيع أن نضعه في مكاننا، لكنه هو الذي تطوع وفعل ذلك.

(٣) أخضع نفسه لأجرة خطايانا (ع ١٢): فقد «سكب للموت نفسه»، سكبها كالماء، ولم يعرها اهتماما حين رأى أن الوسيلة الوحيدة المعينة لفدائنا وخلاصنا هي أن يسلم نفسه عنا.

(٤) ارتضى أن يُحسب ضمن الخطاة، ومع ذلك قدم نفسه ليكون شفيعا لهم (ع ١٢). «وأحصي مع أثمة»، ولم يدان كفاعل شر فحسب، بل نفذ فيه حكم الإعدام مع اثنين من أعتى الأشرار وهو في

www.difa3iat.com

وسطهما، كما لو كان أسوأ ثلاثتهم. وطوال حياته أحصي مع أثمة، لأنه اتهم بأنه يكسر السبت، ومحب للعشارين والخطاة. وفي آلامه «شفع في المذنبين»، من أجل الذين لعنوه وصلبوه، لأنه صلى قائلا: «يا أبتاه اغفر لهم» وبهذا أظهر ليس أنه غفر لهم فقط، بل إنه كان يقوم عندئذ بوضع الأساس الذي عليه يستند غفران خطاياهم وخطايا كل الأثمة أيضا. وكانت الصلاة هي لغة دمه الذي كان يصرخ ليس للانتقام بل للرحمة.

ثانيا: النعم والأمجاد المصاحبة لرفعته: لقد أعطي الوعد بالآتي:

(١) أن الفادي سيعطى نسلا يخدمه ويحمل اسمه (مز ٢٢: ٣٠). المؤمنون الحقيقيون هم نسل المسيح، فقد أعطاهم له الآب ليكونوا هكذا (يو ١٧: ٦).

(٢) إنه سيعيش ليرى نسله، ولأنه يحيا فهم أيضا سيحيون، لأنه هو حياتهم.

(٣) سيواصل هو نفسه رعاية شئون أسرته: «تطول أيامه». ولن يوكل المسيح رعاية عائلته إلى أي شخص آخر. «لنمو رياسته وللسلام لا نهاية»، لأنه حي إلى الأبد.

(٤) سيلبي عمله العظيم كل التوقعات: «ومسرة الرب بيده تنجح» فلابد أن تتحقق مقاصد الله دون أن يسقط منها حرفا واحدا.

(٥) سيرى في عمله الرضى التام (ع ١١): «من تعب نفسه يرى ويشبع». وسوف يراه مقدما (يمكن أن تفهم هكذا). ومع توقعه لآلامه سيتوقع أيضا ثمارها. وسوف يراها حين تتحقق في تجدد وخلاص الخطاة البائسين. فالمسيح رأى وسيرى الثمار المباركة للآلام التي تحملتها نفسه في تأسيس وبناء كنيسته، والخلاص الأبدي لكل الذين أعطوا له.

لنعلم أن أعظم بركة تتدفق لنا من موت المسيح هي تبريرنا من الخطية، وبراءتنا من الذنب الذي يمكن أن يهلكنا، وقبولنا أمام الله، وهذه الأمور وحدها هي التي تحقق سعادتنا. المسيح، الذي اشترى لنا تبريرنا، ينعم به علينا، وذلك من خلال شفاعته من أجلنا، وإنجيله الذي كرز به لنا، وروحه القدوس الذي يشهد فينا.

فلقد تبررنا بالإيمان، وبقبولنا المسيح، وعهد النعمة، وبهذه الطريقة تم خلاصنا. والإيمان هو معرفة المسيح، وبدون معرفته لا يمكن أن يكون ثمة إيمان حقيقي. ومعرفة المسيح والإيمان به وهما ما نتبرر بهما، يرتبطان به كابن لله وضامن لنا. فهو نفسه بار ومن بره نحن كلنا أخذنا. ويجب أن نعرفه، ونؤمن به، باعتباره ذاك الذي حمل آثامنا– أنقذنا من السقوط تحت وطأة حملنا عندما حمله هو عنا. ولقد وضح الآب انتصار الابن. بأن جعله بين العظماء ورفعه وأعطاه اسما فوق كل اسم. جاء المسيح إلى مجده بالانتصار. فقد قهر الرؤساء والسلاطين والخطية والشيطان والموت والهاوية، العالم والجسد. هذه هي «القوى» التي جردها من أسلحتها وسلبها. والغنيمة التي اقتسمها هي تلك الجماهير الغفيرة من رعاياه المخلصين الأمناء الذين سيحضرون إليه، لأنه هكذا يترجم البعض العبارة: سأعطيه كثيرين، ويأخذ كثيرين كغنيمة؛ ذلك أن الله يعطيه «الأمم ميراثا» له «وأقاصي الأرض ملكا» له (مز ٢: ٨). والغنيمة التي يقسمها الله للمسيح، هو أيضا يقسمها (نفس الكلمة)، ويوزعها بين أتباعه، لأنه حين «سبى سبيا»، أخذ عطايا حتى يعطي الناس عطايا أيضا.

الأصحاح الرابع والخمسون

موت المسيح هو حياة الكنيسة وكل من ينتمون إليها بصدق، ولذلك كان من المناسب جدا أنه بعد أن تنبأ النبي بآلام المسيح، يعود فيتنبأ بازدهار الكنيسة التي تشكل جزءا من مجده، وعن ارتفاع المسيح الذي كان مكافأة اتضاعه. لقد وعد بأن يرى نسله، وهذا الأصحاح ما هو إلا توضيح لهذا الوعد. ويمكن الإقرار بسهولة أنه يشير بصفة رئيسية إلى خير شعب إسرائيل وازدهاره بعد عودته من السبي في بابل، والذي كان يرمز إلى حرية أولاد الله المجيدة، التي حصلنا عليها في المسيح، غير أنه لا يمكن إنكار أنه يشير أيضا إلى كنيسة الإنجيل، التي سينضم إليها الأمم. والكلمات الأولى التي فهمها الرسول بولس عن أورشليم العهد الجديد (غل ٤: ٢٦ و٢٧)، قد تعد مفتاحا لفهم الأصحاح كله وكذلك الأصحاح الذي يليه. وقد وعدت الكنيسة المسيحية هنا بالآتي:

أولا: على الرغم من أن بداياتها كانت صغيرة فسوف تتوسع بدرجة فائقة بدخول الكثيرين إليها من الوثنيين (ع ١- ٥).

ثانيا: على الرغم مما يبدو أحيانا وكأن الله قد تركها، إلا أنه سيعود إليها بالرحمة (ع ٦- ١٠).

ثالثا: على الرغم من أنها ظلت لفترة ما في حزن وهم، إلا أنها في النهاية لابد وأن ترقى إلى مجد عظيم (ع ١١ و١٢).

رابعا: سوف تسود المعرفة والبر والسلام (ع ١٣ و١٤).

خامسا: إن محاولات النيل من الكنيسة مصيرها الفشل (ع ١٤- ١٧).

عدد ١ – ٥

إذا طبقنا ما سبق على حالة اليهود بعد عودتهم من السبي، فستكون هذه نبوة عن زيادة الشعب بعد أن استقروا في أرضهم. كانت حالة أورشليم مماثلة لحالة زوجة بلا أولاد، أو أرملة بائسة وحيدة، أما الآن فقد جاء الوعد بأن المدينة ستمتلئ ثانية، وتعمر البلاد بسكانها، وسوف يتم إصلاح حكامها، وستعود الممتلكات التي ظلت لسنوات عديدة في أيدي الوثنيين البابليين الذين اغتصبوها جورا، إلى ملاكها الشرعيين. وسوف يعود الله ثانية ويذكرهم. وسوف تنسى تعبيرات سبيهم وقلة عددهم. غير أنه يجب علينا أن نأخذ هذه النبوة باعتبارها تشير إلى كنيسة الله بصفة عامة، وأقصد ملكوت الله بين الناس، مسكن الله في العالم.

أولا: ذُكرت الحالة المتدنية للديانة في العالم قبل المسيحية بفترة طويلة. كانت تشبه «العاقر التي لم تلد»، أو كامرأة بائسة فقدت الزوج والولد. كانت الكنيسة في نطاق صغير، ولم تعط إلا ثمرا قليلا. وكان الوثنيون أقل تدينا من اليهود وكان أولاد الله مثل أولاد عائلة محطمة قل عددها، كانوا «متفرقين» (يو ١١: ٥٢).

ثانيا: شفاؤها من هذه الحالة المتردية عن طريق الكرازة بالإنجيل وإقامة الكنيسة المسيحية:

(١) تجدد الكثيرون وهجروا الأوثان وآمنوا بالإله الحي. وكان هؤلاء هم أولاد الكنيسة الذين ولدوا ثانية، وكانوا شركاء طبيعة إلهية جديدة بكلمة الله. وانضم الكثيرون إلى كنيسة الأمم (حين أقيمت) بأكثر مما حدث بالنسبة للديانة اليهودية في أي وقت من الأوقات. وكان نمو الكنيسة مصدر فرح كل أصدقائها كما أنه شدد أيديهم. وحتى في السماء، بين ملائكة الله، يكون هناك فرح عظيم بخاطئ يتوب، فكم بالحري يكون بالنسبة لأمة بكاملها!

(٢) امتدت حدود الكنيسة بأكثر مما حدث في أي وقت من قبل (ع ٢ و٣).

أ. افترض هنا أن الحالة الحاضرة للكنيسة، تشبه حالة الخيمة، ساكنة في خيام مثل ورثة الموعد القديم (عب ١١: ٩). فالمدينة الباقية، محجوزة لما بعد. والخيمة سرعان ما تخلع وتنقل، ومتى رغب الله، سرعان ما تنصب في مكان آخر.

ب. على الرغم من أنها مجرد خيمة، إلا أننا نراها في بعض الأحيان متنامية بشكل رائع بغض النظر عن كونها خيمة. هكذا كان حالها عند بداية الكرازة بالإنجيل، وكانت مهمة الرسل أن يتلمذوا جميع الأمم، وبذلك تطيل أطنابها، حتى تستوعب المزيد، الأمر الذي سيتطلب معه تقوية أوتادها، حتى تستطيع أن تتحمل امتدادها إلى كل جهة. وكلما زاد أعداء الكنيسة، توجب زيادة حرصها على تقوية نفسها ضد الأخطاء والمفاسد، وتقوية أعمدتها السبعة (أم ٩: ١).

ج. كان من دلائل القوة الإلهية أنها كانت «تنمو وتقوى بشدة» (أع ١٩: ٢٠). لقد انتشر الإنجيل في جميع أنحاء العالم، وكانت هناك كنائس في الشرق والغرب.

(٣) كان في هذا تعزية الكنيسة ومجدها (ع ٤): «لا تخافي لأنك لا تخزين»، كما حدث في الماضي فضاقت رقعتك وقل أبناؤك.

(٤) حدث كل هذا بناء على موقف الله من كنيسته، كزوجها (ع ٥): «لأن بعلك هو صانعك»، وصانع الكنيسة هو الرب يسوع المسيح، الذي جعلها شعبا، وهو فاديها، الذي حررها من السبي، من عبودية الخطية وهي أسوأ أنواع العبودية. وهو الذي زوجها لنفسه: «رب الجنود... قدوس إسرائيل»، وهو نفسه الذي كان يهيمن على شئون مؤمني العهد القديم، وكان وسيط العهد الذي قطع معهم.

عدد ٦- ١٠

المعونة والخلاص اللذان أرسلهما إلى مسبييه في بابل تم التنبؤ بهما هنا كرمز لكافة تعزيات الله المذخرة لكل المؤمنين في عهد النعمة.

أولا: تذكروا المتاعب السابقة، ومراحم الله لشعبه (ع ٦- ٨).

(١) كيف كان شعب الله في حالة يرثى لها: كانوا كامرأة مهجورة، مع كونها «زوجة الصبا»، أو كزوجة مرفوضة ساخطة جدا. وحتى أولئك الذين التصقوا بالله قد يبدو مع ذلك أحيانا أنهم مهجورون. وقد شُرح هذا التشبيه المجازي (ع ٧ و٨). وحين يترك الله شعبه مدة طويلة في المتاعب فإنه يبدو كما لو أنه تخلى عنهم، وهذا ما فسره أعداؤهم (مز ٧١: ١١). لقد تركهم في غضبه وحجب وجهه عنهم (إش ٥٧: ١٧)، ولكن ذلك كان قليلا عليهم، إذا ما قورن بما كانوا يستحقونه. فما ذلك سوى «لحيظة». فكما أنه بطيء الغضب، فإنه سريع الرحمة.

(٢) كم هو رائع أن تعود الرحمة لهم، حين يأتي الله ويعزيهم! وجمع الله لشعبه يرجع إلى رحمته وليس أي استحقاق فيهم، وقد كان ذلك «بمراحم عظيمة» (ع ٧)، «وبإحسان أبدي» (ع ٨).

ثانيا: تطلعوا إلى الأخطار المستقبلية.. ودفاعا عنهم، تبدو مراحم الله ثابتة، وإحسانه أبديا، لأن ذلك كان بمثابة «عهد سلامي».

(١) وهذا العهد ثابت مثل «مياه نوح»، بمعنى أنه كما وعد نوح بالنسبة للطوفان بأنه لن يكون مثله ثانية (ع ٩؛ انظر تكوين ٨: ٢١ و٢٢؛ ٩: ١١). وقد حفظ الله وعده، مع أن العالم كان مثيرا لغضبه للغاية. وهكذا أيضا الحال بالنسبة لعهد النعمة: «هكذا حلفت أن لا أغضب عليكِ» كما في الماضي «ولا أزجركِ» كما فعلت.

(٢) عهد السلام هذا أكثر صلابة من أي جزء من الخليقة المرئية (ع ١٠): «فإن الجبال تزول والآكام تتزعزع» (انظر حبقوق ٣: ٦). فلقد تتزعزع الجبال أحيانا نتيجة الزلازل ومن ثم تتحرك، غير أن وعود الله لا يمكن أن تسقط بسبب أي هزة أيا كانت. فحينها يخذلنا أصدقاؤنا فإن الله لا يمكن أن يتخلى عنا، ولا تتركنا رحمته، هل قام ملوك الأرض ورؤساؤها على الرب؟ سوف يرحلون ويزالون. ولكن رحمة الله لا تنزع من شعبه، لأن الذين أحبهم قد أحبهم إلى المنتهى. «هكذا» فإن العهد لا يتزحزح ولا يتزعزع لأنه لم يقم على استحقاقنا بل على رحمة الله التي هي إلى دور فدور.

عدد ١١- ١٧

وعود ثمينة جدا بأن الله سيواصل محبته لشعبه أثناء متاعبهم، وأيضا سيرفعهم إلى درجة من الازدهار لم يسبق أن تمتعوا بها من قبل. قرأنا في الأصحاح السابق عن اتضاع المسيح ثم رفعته، أما هنا فنقرأ تذلل الكنيسة ثم رفعتها، لأنه إذا ما تألمنا معه، فسنملك أيضا معه.

أولا: الحالة المؤسفة التي كانت عليها الكنيسة (ع ١١): «أيتها الذليلة»، المسكينة، المعوزة «المضطربة»، التي تشبه السفينة التي على وشك أن تبتلعها الأمواج، والتي لا يحدوها أي أمل في الخلاص. هكذا كان حال اليهود في بابل، وبعد ذلك لفترة ما أثناء حكم أنطيوخس. كثيرا ما تكون حالة الكنائس المسيحية والمؤمنين أيضا مثل حالة التلاميذ أثناء العاصفة، كانوا على وشك الهلاك، فأين إيمانهم؟

ثانيا: الحالة المجيدة التي ارتقت إليها الكنيسة نتيجة وعد الله. ليت شعب الله، حين تداهمه المحن يدرك أن الله يعزيه بهذه الأقوال. «في كل ضيقهم تضايق». لقد شجع الله الكنيسة مؤكدا لها الأعمال العظيمة التي سيعملها لها.

(١) الله يعد بما سيؤول إلى جمالها ومجدها:

أ. تم هذا الوعد في إطار تشبيه مجازي بمدينة، لأن الكنيسة هي مدينة الإله الحي، أورشليم السمائية. ففي حين أن أورشليم الآن حطاما، كومة نفايات، إلا أنها ستتجمل وتظهر أكثر بهاء مما كانت عليه فيما مضى. فسوف توضع حجارتها، ليست ثابتة فحسب، بل جميلة رائعة. سوف يزين أساسها «بالياقوت الأزرق» ذلك أن المسيح، هو الأساس الذي وضعه الرسل والأنبياء، هو أثمن من أي شيء آخر. شرفات ذلك البيت، المدينة، أو الهيكل سيكون «ياقوتا» أما الأبواب فستكون «حجارة بهرمانية»، أما التخم (الأسوار، التي تحيط بالدور) فسوف تكون من «حجارة كريمة» (ع

١٢). وإذ تفضل الله وتعهد بأن يبني كنيسته، فإن مجدها (مجد كنيسة العهد الجديد) سيفوق بكثير مجد الهيكل اليهودي، من حيث مواهب ونعم الروح القدس التي هي ثمينة بلا حدود.

ب. أما نواحي جمال الكنيسة ومجدها فهي المعرفة، والقداسة، والمحبة، وصورة الله التي خلق عليها الإنسان، التي تجددت، وعادت إلى عهدها. وتلك هي الياقوت والحجارة البهرمانية والحجارة الكريمة التي سيتجمل بها هيكل الإنجيل، الذي بني على «هذا الأساس» (١كو ٣: ١٢). وتكون الكنيسة في أوج مجدها:

- إذا امتلأت بمعرفة الله (ع ١٣): «وكل بنيك تلاميذ الرب». وسوف يتعلمون على يد أولئك الذين سيعينهم الله، والذين سيكون عملهم تحت توجيهه وبركته. إنه وعدهم بروح الفهم. وقد اقتبسها مخلصنا وأشار بها إلى نعمة الإنجيل (يو ٦: ٤٥).
- حين يعيش أعضاؤها في محبة ووحدة بين بعضهم البعض: «وسلام بنيك كثيرا». وكل الذين من الله، يتعلمون أن يحب بعضهم بعضا (١تس ٤: ٩).
- حين تسود القداسة، لأن هذه قبل كل شيء هي جمال الكنيسة (ع ١٤): «بالبر تثبتين». فإصلاح الأخلاق، واستعادة النقاء، وإقامة العدل الاجتماعي، وسيادة الأمانة والمعاملات الطيبة بين الناس، هي الأسس التي تقوم عليها قوة واستقرار الكنيسة والدولة.

(٢) ومع أن الكنيسة تواجه الآن خطرا، إلا أن الله يعد بحمايتها وأمنها. لن تكون هناك مخاوف من الداخل (ع ١٤): فهي ستثبت «بعيدة عن الظلم»، ليس عن الشر فحسب، بل عن الخوف من الشر. ولن تكون هناك معارك خارجية؛ فمع أنه ستشن المعارك ضدهم إلا أنها كلها لن تنجح (ع ١٥). «فبكل تأكيد سوف يجتمعون عليكِ، ويجب أن تتوقعي ذلك». وطالما هناك شيطان يعيش في جهنم، ويعمل دور المضطهد خارجها، يتعين على شعب الله أن يتوقع أخطارا متكررة، غير أن الله سيقضي عليها. وسوف ينتهي هجومهم بدمارهم: «من اجتمع عليك فإليك يسقط»، أو يستسلمون لك. وبمقدورنا بكل ثقة أن نتكل على الله من جهة سلامة كنيسته. فالحدَّاد الذي يصنع السلاح هو من خليقة الله، وهو الذي أعطاه مهارة العمل في الحديد والنحاس (خر ٣١: ٣ و٤)، ليعمل أدوات مناسبة للأغراض الحربية. إنه «الحداد الذي ينفخ الفحم في النار»، ليجعل الحديد قابلا للطرق، حتى يمكن أن يكتسب صلابة الفولاذ، وهكذا فإنه «يخرج آلة لعمله». فعصر الحديد هو عصر الحرب، غير أن الله خلق «الحداد»، لذلك بمقدوره أن يغل يده، وبذلك يفشل مخطط العدو. ويجب أن يكون لديهم جنود، فالله هو الذي خلق «المهلك ليخرب». والعسكريون يقدرون أنفسهم على أساس رتبهم العسكرية العالية، غير أن الله يكتب عنهم بعبارة «المهلك» الذي «يخرب»، لأن الخراب والدمار هو عملهم. وهم يظنون أن براعتهم وجهدهم وخبرتهم هي التي جعلت منهم جنودا، غير أن الله هو الذي خلقهم، وسوف يحقق مقاصده وأغراضه من خلالهم. ووعد الله يختص بسلامة الكنيسة باعتبارها «ميراث عبيد الرب» (ع ١٧)، و«كل آلة صورت ضدك لا تنجح»، فسوف يثبت أنها لم تكن بالقوة الكافية بحيث تلحق أي ضرر بشعب الله، سوف ترتد إلى وجه من يستخدمها ضدك. وحين لا تنجح آلات الحرب، فهناك ألسنة ترتفع بالاتهام، وسوف تسيء إليهم وتوجه لهم اتهامات باطلة ليشوهوا صورتهم أمام الشعب، ويصبحون مكروهين لدى الحكومة. وهذا هو ما فعله أعداء اليهود، لكي يثيروا سخط ملوك فارس ضدهم (عز ٤: ١٢؛ أس ٣: ٨). غير أنكم تستطيعون أن تسكتوا هذه الألسنة الشريرة المؤذية بأن «تفعلوا الخير» (١بط ٢: ١٥)، وبعمل ما يظهركم لأعدائكم بأنكم لستم على ما وصفتم به: «هذا هو ميراث عبيد الرب». أن عبيد الله هم أولاده. ووعود الله هي «شهاداتك (ميراثهم) إلى الدهر» (مز ١١٩: ١١١).

الأصحاح الخامس والخمسون

نجد في هذا الأصحاح الكثير من عهد النعمة التي قطع معنا في المسيح: «مراحم داود الصادقة»، والتي وعد بها هنا (ع ٣) والتي أشار بها الرسول إلى النعم التي تتدفق علينا نتيجة قيامة المسيح (أع ١٣: ٣٤).

ونجد هنا:

أولا: دعوة كريمة مجانية للجميع لكي يأتوا وينتفعوا

بنعمة الإنجيل (ع ١).

ثانيا: حجج دامغة لتقوية هذه الدعوة (ع ٢– ٤).

ثالثا: وعد بنجاح هذه الدعوة بين الأمم (ع ٥).

رابعا: دعوة إلى التوبة والإصلاح (ع ٦– ٩).

خامسا: المصادقة على كل هذا، بتأكيد فعالية كلمة الله (ع ١٠ و١١). مثال مجدد على تحقيق كل ذلك في عودة اليهود من السبي، وفي هذا دلالة على تحقيق كل هذه المواعيد.

عدد ١ – ٥

أولا: لقد دعينا كلنا للمشاركة في هذا التدبير الذي صنعته نعمة الله للنفوس المسكينة في العهد الجديد.

(١) من الذين دُعوا: «جميعا».. ليس اليهود فقط، بل والأمم أيضا والمساكين، والجدع، والعرج، وكل من يمكن التقاطهم من الطرق والأزقة. على الخدام أن يقدموا رسالة الحياة، ففي زمن الإنجيل يجب إرسال الدعوة إلى الأمم أيضا. ولم يستثن عهد الإنجيل أحدا سوى أولئك الذين يبعدون بأنفسهم.

(٢) ما هي الشروط المطلوبة: يجب أن يعطشوا. فأولئك الذين يشبعون من العالم ومسراته –والذين يعتمدون على بر أعمالهم– هؤلاء لا يعطشون، وليس لديهم شعور بأنهم في حاجة إلى شيء، ولا يشعرون بقلق أو يفعلون شيئا من أجل نفوسهم. أما أولئك الذين يعطشون فهم المدعوون إلى المياه، مثل المتعبين والثقيلي الأحمال الذين دعوا إلى المسيح لكي يريحهم. وحين يعطي الله نعمة، يعطي أولا تعطشا إليها. وحين يعطي التعطش إليها فسوف يعطيها (مز ٨١: ١٠).

(٣) إلى أين دُعوا: «هلموا إلى المياه»، هلموا إلى المسيح، لأنه هو الينبوع المتدفق، وهو الصخرة التي ضربت. هيا إلى الوصايا المقدسة، إلى الجداول التي تفرح مدينة إلهنا، وبالنسبة للذين يؤمنون بالمسيح ستكون الأشياء المشار إليها كالخمر واللبن، التي تنعش إلى أبعد الحدود. تعالوا إلى المياه الشافية، هيا إلى المياه الحية. وقد أشار إليها مخلصنا في يوحنا ٧: ٣٧ «إن عطش أحد فليقبل إليَّ ويشرب».

(٤) ما الذي دعوا إليه:

أ. «تعالوا اشتروا»، لا تقفوا مترددين بالنسبة للشروط، ولا تفكروا ما إذا كنتم توافقون عليها أم لا.

ب. «تعالوا... وكلوا»، اجعلوها ملككم، لأن الذي نأكله يكون لنا أكثر من ذاك الذي نشتريه فحسب.

(٥) ما هي الأشياء التي دعوا لتناولها: «هلموا اشتروا... خمرا ولبنا» وهذه لن تروي ظمأهم فقط (فالماء يمكن أن يفعل ذلك)،لكنها تغذي الجسم وتنعش الروح. المسيح دائما يفوق توقعاتنا. نحن نأتي إلى المياه، ونسعد بها، غير أننا نجد هناك خمرا ولبنا، وهذه كانت من السلع الأساسية لسبط يهوذا. علينا أن نتخلى عن الوحل والماء الآسن الذي لا يعدو أن يكون سُما، حتى يمكننا الحصول على هذا الخمر وهذا اللبن.

(٦) التوزيع المجاني لهذه المؤونة. «اشتروا بلا فضة وبلا ثمن». وشراؤنا بلا ثمن يشير إلى:

أ. المنح المقدمة لنا فائقة القيمة فهي لا تقدر بثمن.

ب. إن ذاك الذي يقدمها لا يحتاج إلى شيء منا، أو أي مقابل نستطيع تقديمه.

ج. إن الأشياء المقدمة سبق شراؤها ودفع ثمنها. لقد اشتراهم ليس بفضة أو ذهب، بل «بدم... المسيح» (١ بط ١: ١٩).

د. إنه سيرحب بنا للانتفاع بمزايا الوعد، ويجب الاعتراف بأنه إذا كان لنا المسيح والسماء، فيجب أن نعرف أننا مدينون إلى الأبد لنعمة الله الغنية.

ثانيا: يُلح علينا بشدة لقبول هذه الدعوة.

(١) إنه يحملنا على الإنصات إلى الله وإلى عروضه: «استمعوا لي استماعا» (ع ٢)، لا تستمعوا فحسب، بل طبقوا ما تسمعونه على أنفسكم (ع ٣): «أميلوا آذانكم»، كما تفعلون بالنسبة للأمور التي تسركم.

(٢) الحجج التي استخدمت لإقناعنا:

أ. الخطأ العظيم الذي نلحقه بأنفسنا إذا ما رفضنا هذه الدعوة: «لماذا تزنون فضة لغير خبز»، في حين إنكم معي تجدون خمرا ولبنا بلا فضة أو ذهب، «لماذا... تعبكم لغير شبع؟» إن أمور هذا العالم ليست

www.DIFAAIT.com

خبزا، ولا هي بالطعام المناسب للروح. فهي «لغير شبع». وأبناء هذا العالم ينفقون أموالهم ويبذلون تعبهم لأمور غير يقينية وغير مشبعة.

ب. النفع الذي نحققه لأنفسنا إذا ما قبلنا هذه الدعوة وامتثلنا لها، إذا ما استمعتم إلى المسيح تأكلون «الطيب»، الطعام الكامل واللذيذ. فكلمة الله الطيبة ووعده، والضمير الصالح، وتعزيات روح الله القدوس، كل هذه تشكل وليمة دائمة لأولئك الذين يخضعون في طاعة، ومن خلال ذلك نضمن لأنفسنا سعادة أبدية: «اسمعوا فتحيا أنفسكم». والله في عظمته يقدم لنا كل هذا: تعالوا إليّ «وأقطع لكم عهدا أبديا»، وهكذا أضع عليكم «مراحم داود الصادقة». وما نجنيه من هذا العهد هو «مراحم داود الصادقة»، المراحم التي وعد بها الله داود (مز ٨٩: ٢٨- ٣٧)، والتي سميت مراحم الله التي وعد بها داود عبده، والتي التمسها سليمان (٢أخ ٦: ٤٢). ويجب أن نفهم أن داود هنا يرمز إلى المسيح. وعهد المحبة هو «كل محبته» لقد اشتراها هو، ومن يديه توزع لنا. فهو وسيط العهد وضامنه. وهذه محبة خالصة لأنه في المسيح كل الوعود فيها النعم والآمين.

ثالثا: لقد وعد بالمسيح لكي يحقق كل المواعيد الأخرى التي لنا (ع ٤). فهو داود ذو المراحم الصادقة التي هي بركة العهد وفائدته. وليس فينا ما يجعلنا نستحق لمثل هذا الفضل، غير أن المسيح هو عطية الله. ونحن لا نعرف كيف نجد طريقنا إلى هذه المياه المروية، غير أن المسيح أعطي أن يكون «رئيسا». فنحن لا نعرف ما عسانا نفعل، ولكنه أعطي ليكون قائدا لنا، لكي يعرفنا ما ينبغي علينا عمله ويعطينا القدرة على أدائه. والمسيح رئيس بوصاياه وقائد بمثاليته، والمطلوب منا هو أن نطيعه ونقتفي إثر خطواته.

رابعا: وإذ عين سيد الوليمة فيتبع ذلك دعوة الضيوف. وسوف يدعى الأمميون إلى هذه الوليمة: «ها أمة لا تعرفها تدعوها» أي، لم يسبق دعوتها أو قبولها كأمتك، وسوف يأتون بناء على هذا النداء: «وأمة لم تعرفك تركض إليك». وسوف يكون هناك حشد من الأمميين المؤمنين بالمسيح، ذاك الذي إذ ارتفع عن الأرض فسوف يجذب الجميع إليه. وهكذا سيتدفق الأمميون نحو المسيح لأنه ابن الله. وسوف يجذبهم الله إليه لأنه قدوس إسرائيل، الأمين في مواعيده، وقد وُعِد أن يمجده بأن يعطيه الأمم ميراثا له.

عدد ٦ – ١٣

لمحة أخرى عن عهد النعمة الذي صار لنا في المسيح يسوع. لا يجب أن يقتصر هذا الإعلان الإلهي عن مقاصد الله الطيبة على اليهود وحدهم أو على الأمميين وحدهم، أو على العهد القديم وحده، أو العهد الجديد وحده، ناهيك عن المسبيين في بابل. فالمبادئ والمواعيد أعطيت للجميع، إلى «العطاش جميعا» الذين يتعطشون إلى السعادة.

أولا: عرض كريم للغفران والسلام والسعادة التامة مقدم للخطاة البائسين، على أساس شروط الإنجيل (ع ٦ و٧).

(١) ليصلوا، ذلك أن صلواتهم سوف تسمع وتستجاب (ع ٦): «اطلبوا الرب ما دام يوجد ادعوه وهو قريب»، ارفعوا إليه صلواتكم، تصالحوا معه، وبعد ذلك صلوا إليه من أجل أي شيء آخر تحتاجونه. فهو الآن يطيل أناته علينا وروحه سيجاهد معنا. ليتنا نستغل الآن المزايا والفرص المتاحة، لأن الآن وقت مقبول.

(٢) ليتهم يتوبون ويتجددون، وسوف تغفر لهم خطاياهم، (ع ٧). وهنا نجد دعوة لغير المتجددين، فهي موجهة إلى «الشرير... ورجل الإثم». إلى الشرير الذي يعيش في خطايا جسيمة ومعروفة، ورجل الإثم الذي يهمل واجباته الواضحة، إليهم أرسلت كلمة هذا الخلاص، وقد أعطيت كل التأكيدات الممكنة بأن الخطاة التائبين سيجدون أن الله يكثر الغفران. وثمة أمران تتضمنهما التوبة:

أ. إنها ترك للخطية وابتعاد عنها. يجب أن يطرأ تغيير على الفكر، ليترك «رجل الإثم أفكاره». وإذا كانت التوبة صادقة، فلابد وأن تضرب في الأعماق، وتغسل القلب من الشر. ويجب علينا تغيير أحكامنا فيما يتعلق بالناس والأشياء، فنطرد المعتقدات الفاسدة ونتخلى عن الادعاءات العقيمة التي يختفي وراءها القلب الذي لم يتقدس بعد.

ب. والتوبة تعني الرجوع «إلى الرب» الذي تذمرنا عليه. إنها العودة إلى الله باعتباره نبع الحياة. من يفعل

www.DIFA3IAT.com

ذلك «يرحمه» الرب. والبؤس هو الباعث للرحمة، ومع الله نجد رحمة كثيرة، فهو «يكثر الغفران»، أي يضاعف غفرانه (هذا هو معني الكلمة) كما نضاعف نحن آثامنا.

ثانيا: التشجيعات التي أعطيت لنا لنقبل هذا العرض، بل نلقي بنفوسنا عليه:

(١) فإذا ما تطلعنا إلى فوق، سنجد مشورات الله عالية وسامية، وأفكاره وطرقه فوق طرقنا وأفكارنا بما لا يقاس (ع ٨ و٩). لقد حث رجل الإثم على أن يترك أفكاره وطرقه (ع ٧) وأن يجعلها متسقة مع أفكار الله «لأن» (كما يقول) «أفكاري ليست أفكاركم ولا طرقكم طرقي». أنتم لا تتطلعون سوى للأشياء الأرضية، لكن أفكاري هي فوق «كما علت السماوات عن الأرض»، وإذا ما أثبتم أن توبتكم خالصة، فسوف تكون أفكاركم هكذا أيضا، ويتعين أن تتجهوا بمشاعركم للأمور التي من فوق. وربما يخشى الخطاة ألا يتصالح الله معهم، لأنهم هم أنفسهم لا يستطيعون أن يتصالحوا مع من أساء إليهم مرارا وتكرارا. لكن يقول الله هنا إن أفكاري بالنسبة لهذا الموضوع ليست أفكاركم، بل هي تعلو عليها «كما علت السماوات عن الأرض». ونحن نظن أن الله يفضل الهجوم، وعازف عن الغفران– أي أنه، إذا غفر مرة، فلن يغفر ثانية. وقد اعتقد بطرس أنه من الصعب أن يغفر «سبع مرات» (مت ١٨: ٢١)، غير أن الله يقابل توبة التائبين برحمة غافرة. نحن نغفر ولا نستطيع أن ننسى، غير أن الله حين يغفر الخطية لا يعود يذكرها بعد.

(٢) وإذا ما نظرنا إلى أسفل إلى هذه الأرض، سنجد أن كلمة الله هناك قوية وفعالة (ع ١٠ و١١). فهو يقول للثلج: كن على الأرض، ويعين الوقت الذي ينزل فيه، والدرجة التي ينزل بها، والمدة التي يمكثها هناك، وهو «يقول للثلج اسقط على الأرض» (أي ٣٧: ٦). ولا يرجع بل يعمل «ما سررت به» فيروي الأرض. وري الأرض إنما يحدث لكي تعطي ثمارها. وبذلك يجعلها «تلد وتنبت»، وهكذا فإنها لا تعطي «خبزا للآكل» وتقدم إعالة للمالك وعائلته فقط، بل «وتعطي زرعا للزارع»، حتى يتوفر له طعام لسنة قادمة. والفلاح لابد وأن يكون زارعا وليس آكلا فقط، وإلا سيرى قريبا نهاية ما عنده: «هكذا تكون كلمتي»، قوية في فم الأنبياء، كما هي في يد العناية الإلهية: «لا ترجع إليَّ فارغة بل تعمل ما سررت به». وهذه المواعيد الخاصة بالرحمة والنعمة ستكون لها نتيجة فعالة حقا في نفوس المؤمنين، من أجل تقديسهم وتعزيتهم، كتأثير المطر على الأرض حيث يجعلها مثمرة. ومجيء المسيح إلى العالم كان كمجيء الندى من السماء (هو ١٤: ٥) لن يكون بلا جدوى.

(٣) وإذا ما نظرنا نظرة خاصة إلى الكنيسة، سنجدكم صنع الله لها، وكم سيصنع أيضا، من أعمال عظيمة (ع ١٢ و١٣): «لأنكم بفرح تخرجون وبسلام تحضرون». وهذا ما يشير إلى:

أ. خلاص اليهود وعودتهم من السبي في بابل. فسوف يتحررون من السبي، ويقادون إلى أرضهم ثانية. وسوف يخرجون «بفرح»، و«بسلام». وسوف يحظون بالود وبالأماني الطيبة من كل البلدان التي يمرون بها. و«الجبال» وسكانها، «تشيد... ترنما». وحين يصلون إلى أرضهم، ستكون مستعدة لأن ترحب بهم.

ب. كما تشير دون ريب إلى أشياء أخرى. هذه تكون «علامة أبدية»، بمعنى:

◂ خلاص اليهود من السبي في بابل سيكون تصديقا على تلك الوعود المتعلقة بأزمنة الإنجيل.

◂ وستكون مقدمة للبركات الموعودة ورمزا لها. ونعمة الإنجيل ستحرر أولئك الذين كانوا في أسر الخطية والشيطان. سوف «يخرجون» ويحضرون «يهتف يعقوب ويفرح إسرائيل». وسوف يحدث تغييرا عظيما في طباع الناس. وأولئك الذين كانوا كالشوك والحسك لا يصلحون لشيء سوى للنار، سوف يصبحون رحماء نافعين كشجر «السرو» و«الآس». وظهور الأشجار المبهجة عوضا عن الأشواك يشير إلى إزالة لعنة الناموس وتقديم بركات الإنجيل. وعهد النعمة هو عهد أبدي، لأن بركاته الحالية تعد علامات لبركات أبدية.

الأصحاح السادس والخمسون

أولا: مهمة مقدسة أنيطت بنا وهي أن نلتزم بواجبنا بكل قلوبنا (ع ١ و٢).

ثانيا: تشجيع عظيم للغرباء الذين يرغبون في الاحتماء تحت لواء هذا العهد (ع ٣– ٨).

ثالثا: إدانة عظيمة لمراقبي إسرائيل الذين أهملوا القيام بواجبهم (ع ٩- ١٢)، والتي يبدو أنها بداية عظة جديدة، في صورة توبيخ، تتواصل في الأصحاحات التالية.

عدد ١ و٢

حين يأتي الرب إلينا برحمته فمن واجبنا أن نقابل ذلك بعمل ما هو واجب علينا.

أولا: يخبرنا الله هنا عن مقاصده الرحيمة تجاهنا (ع ١): «قريب مجيء خلاصي». رُمِزَ إلى الخلاص العظيم الذي بيسوع المسيح بخلاص اليهود في سنحاريب أو من السبي في بابل.

(١) خلاص الإنجيل هو خلاص الرب.

(٢) في ذلك الخلاص يعلن بر الله، الذي يتخذه القديس بولس أساسا لأن يفتخر به (رو ١: ١٧). لقد أعلن الناموس بر الله الذي يقف أمامه كل الخطاة مدانين، غير أن الإنجيل يعلن بر الله الذي يبرر كل المؤمنين.

(٣) رأى قديسو العهد القديم هذا الخلاص قبل مجيئه بمدة طويلة، فقد أخبرهم الأنبياء عن اقترابه.

ثانيا: يخبرنا الله عن توقعاته من جهة واجبنا تجاهه: لا تقولوا إننا نرى الخلاص قريب، فنعيش كما يحلو لنا، لأنه ليس ثمة خطر الآن من فقدانه أو الحرمان منه، لأن هذا معناه تحويل نعمة الله إلى الفجور. بل على النقيض من ذلك، عليك أن تضاعف من حذرك من الخطية مادام الخلاص قريب. وما هو مطلوب هنا لإعدادنا وتأهيلنا للخلاص القريب هو:

(١) وجوب توخي الأمانة والعدل في جميع معاملاتنا: «احفظوا الحق وأجروا العدل»، والله أمين معنا، وعلينا أن نكون أمناء بعضنا من نحو بعض.

(٢) علينا من الناحية الدينية حفظ يوم الرب (ع ٢). فليس من العدل في شيء أن نسلب وقت الله. وتقديس السبت جاء هنا مع كل الواجبات المنصوص عليها في اللوح الأول من الناموس، وثمار محبتنا لله، مثل الحق والعدل ذكرت هنا مع كل وصايا اللوح الثاني، وهي ثمار محبتنا للقريب. وعليهم أن يفرزوا أنفسهم عن الوثنيين بتمييز يوم الرب عن بقية الأيام.

(٣) علينا أن نقطع صلتنا بالخطية: «طوبى للإنسان... الحافظ يده من كل عمل شر»، وعدم إساءته إلى قريبه سواء في جسمه أو ممتلكاته أو سمعته الطيبة- أو بصفة أعم، الذي يبتعد عن أي عمل لا يرضي الله ويؤذي نفسه. وأفضل دليل على قيامنا بحفظ يوم الرب بدقة هو أن نحفظ ضميرنا سليما طوال أيام الأسبوع. وسيبدو كما لو كنا على الجبل مع الله إذا ما أضاءت وجوهنا نتيجة سلوكنا المقدس أمام الناس.

عدد ٣- ٨

يشجع النبي هنا- باسم الله- أولئك الذين يقتربون إلى الله، ولكنهم يئنون تحت مثبطات كثيرة:

- البعض يشعر بالإحباط لإنهم ليسوا من نسل إبراهيم. لقد اقترنوا بالرب، ولكنهم كانوا يرتابون من قبول الله لهم، لأنهم أبناء الغرباء «ابن الغريب». كانوا أمميين غرباء عن عهود الموعد، ولذلك كانوا يخشون ألا يكون لهم قسم أو نصيب في هذا الأمر. «قائلا إفرازا أفرزني الرب من شعبه»، ولن يقبلهم كواحد منهم، أو يسمح لهم بالتمتع بمزاياهم.
- آخرون أحبطوا لأنهم لم يكونوا من آباء إسرائيل.

قال الخصي: «ها أنا شجرة يابسة». اعتقد أنه لا نفع منه لأنه ليس لديه أولاد، وليس من المحتمل أن يرزق بأحد منهم. ومما يزيد الأمر سوءا أن الخصي لا يسمح له بأن يكون من الكهنة (لا ٢١: ٢٠)، أو «يدخل... في جماعة الرب» (تث ٢٣: ١). ولكن الله لن يسمح للخصيان بأن يعتقدوا بأنهم سوف يبعدون من كنيسة الإنجيل، أو من أن يكونوا كهنة روحيين. وكما أن سقوط الحجاب المتوسط، متمثلا في الفرائض، كان من شأنه السماح بدخول الأمميين، فهكذا سمح أيضا بقبول أولئك الذين كانت تحرمهم النجاسات الطقسية. وقد قدمت التشجيعات لكل من:

أولا: أولئك الذين لم يرزقوا أولادا، ومع ذلك فإن لهم شرف أن يكونوا من أبناء الكنيسة والعهد.

(١) ما السمات الطيبة التي تتوافر فيهم: «يحفظون سبوتي» كما عينها لهم. «ويختارون ما يسرني» «ويتمسكون بعهدي». عهد النعمة مقدم لنا في الإنجيل، والتمسك به معناه قبول العرض بتصميم

وبكل إخلاص، لكي نقبل الله كإلهنا، ونسلم أنفسنا لنكون شعبه، ونتمسك به كما يتمسك المذنب بقرون المذبح الذي هرب إليه ليتخذه ملجأ له.

(٢) إذا التزموا بهذه السمات، فعلى الرغم من أنهم لن يقيموا عائلات (ع ٥): «أعطيهم... نُصُبا واسما أفضل». فثمة مكان واسم يتحقق من خلال البنين والبنات، غير أنه يوجد مكان أفضل واسم أفضل يكون للذين هم في عهد مع الله، وهما كافيان لتعويض النقص السابق. والمكان والاسم يشيران إلى الراحة والسمعة الطيبة. وعلى الرغم من أنهم محرومون من الأولاد الذين يضفون على البيت سعادة، إلا أنهم سيعطون نُصُبا واسما. وسوف يعطيهما له في بيته وداخل أسواره، هناك يكون لهم مكان. فعلاقتنا بالله، واهتمامنا بالمسيح، ورجاؤنا في الحياة الأبدية، هي من الأمور التي تعطينا في بيت الله مكانا مباركا، واسما مباركا. سيكون «اسما أبديا لا ينقطع».

ثانيا: لأولئك الذين هم أنفسهم أبناء لآباء أجنبيين:

(١) لقد وعدوا هنا بأنه سيرحب بهم في الكنيسة (ع ٦ و٧). حين يخرج شعب الله إسرائيل من السبي في بابل، ليأتوا بجيرانهم معهم، وسيوجد الله لجميعهم مكانا في بيته. ليعلموا أن أبناء الغرباء سيكون لهم مكان واسم في بيت الله بشرط:

أ. أن يتركوا الآلهة الأخرى.

ب. أن ينضموا إليه كرعايا لملكهم، وجنود لقائدهم يقسمون له قسم الولاء والطاعة.

ج. أن ينضموا إليه كمحبين لمجده: «وليحبوا اسم الرب». فعبادته ومحبته أمران متلازمان، والطاعة المقبولة لديه هي التي تنبع عن المحبة، لأنه هنا تكون «وصاياه ليست ثقيلة». (١يو ٥: ٣). وثمة ثلاثة أشياء وعدوا بها في حالة مجيئهم إلى الله: المساعدة: «آتى بهم إلى جبل قدسي»، لا أكتفي بأن أرحب بهم فقط حين يأتون، بل أشجعهم على ذلك، أعرفهم الطريق، وأقودهم إليه. القبول: «وتكون محرقاتهم وذبائحهم مقبولة على مذبحي»، ولن تكون أقل قبولا لكونها مقدمة منهم وهم أبناء الغرباء. التعزية: لن يقبلوا فحسب، بل هم أنفسهم سيتذوقون متعة هذا القبول «وأفرحهم في بيت صلاتي». وكم من نفس حزينة وجدت فرحها في الصلاة.

(٢) جاء الوعد هنا بأن كثيرين من الأمم سينضمون إلى الكنيسة. «لأن بيتي بيت الصلاة يدعى لكل الشعوب». وفيما يختص بهذا البيت جاء الوعد بالآتي:

أ. لن يكون بيت ذبائح، بل بيت صلاة.

ب. سيكون بيت صلاة، ليس لليهود فقط، بل لكل الشعوب. وقد تحقق هذا حين أقتيد بطرس ليس لإدراك ذلك فقط، بل وأن يخبر العالم بأنه «في كل أمة الذي يتقيه ويصنع البر مقبول عنده» (أع ١٠: ٣٥). وسبق أن أعلن مرارا وتكرارا أن «الأجنبي الذي يقترب يقتل»، غير أنه لم يعد ينظر الآن إلى الأمميين على أنهم أجنبيون وغرباء (أف ٢: ١٩). وقد أشير في الآية ٨ إلى أنه حين يقبل الأمميون فإنهم يندمجون في جسد واحد مع اليهود حتى إنهم (كما قال المسيح في يوحنا ١٠: ١٦) يصبحون «رعية واحدة وراع واحد». وهناك الكثيرون والكثيرون ممن يجب إحضارهم. فالكنيسة جسد متنام، ولنا أن نرجو بأنه سيكون هناك المزيد حتى يكمل جسد المسيح: «ولي خراف أُخَر».

عدد ٩ - ١٢

ينتقل النبي هنا وعلى حين غرة من كلمات التعزية إلى تلك التي للتوبيخ في الثلاثة أصحاحات التالية، ولذلك فإن هذه الأقوال تبدأ عظة جديدة. لقد أكد للشعب أن الله في الوقت المناسب سيخلصهم من السبي. أما الآن فنراه يبين لهم هنا ماذا كانت نتيجة خطاياهم وأعمالهم التي تثير غضب الله.

أولا: أعلنت هنا الأحكام المدمرة (ع ٩). ذلك أن خراف مراعي الله ستتحول إلى خراف للذبح، حتى تقع ضحايا لعدله، ولذلك فقد دعيت «وحوش البر» وجميع «الوحوش التي في الوعر» لتأتي للالتهام. وإذا كانت هذه النبوة تعد بصفة رئيسية إشارة إلى الهجوم الذي شنه البابليون ضدهم، والتهامهم، إلا أنها تشير مع ذلك إلى خراب أورشليم، والأمة اليهودية على أيدي الرومان. فقد أقبلت عليهم الجيوش الرومانية كوحوش الوعر لكي تلتهمهم، والواقع أنهم قضوا على أمتهم وأخذوا بلادهم.

www.DIFA3IAT.com

ثانيا: ذكرت هنا أسباب هذه الدينونة: ذلك أن الرعاة الذين كان من المفترض فيهم أن يكونوا مراقبي القطيع كانوا خائنين ولم يبالوا بالثقة التي أوليت لهم، وبذلك أصبحت الخراف فريسة سهلة للوحوش المفترسة. ولعل هذه إشارة إلى الأنبياء الكذبة الذين كانوا موجودين أيام إشعياء وإرميا وحزقيال، وإلى الكهنة الذين كانوا يعملون من خلالهم. أو لعلها تشير إلى الرؤساء الأشرار، من أبناء يوشيا الذي «عمل الشر في عيني الرب»، والقضاة الأشرار الذين كانوا تحت إمرتهم، الذين خانوا الأمانة التي وضعت على عاتقهم، وزادوا من غضب الرب الشديد بدلا من عمل أي شيء ليصرفوا غضبه. وقد تكون إشارة إلى أولئك الذين كانوا مراقبي الأمة أيام تواجد مخلصنا بالجسد على الأرض، أي رؤساء الكهنة والكتبة، الذين كان ينبغي عليهم إخبار الشعب بمجيء المسيح، ولكنهم عوض ذلك قاوموه. «ويل لك أيتها الأرض» حين يكون مرشدوك على هذا النحو.

(١) كانوا يجهلون واجبهم غير لائقين للتعليم، لأنهم كانوا هم أنفسهم سيئي التعليم: «مراقبوه عمي كلهم» غير صالحين لأن يكونوا مراقبين للشعب. وقد وصف المسيح الفريسيين بأنهم «عميان قادة عميان» (مت ١٥: ١٤). لقد جاءت وحوش البرية للأكل، وكان المراقبون عميانا. كلهم «لا يعرفون» (ع ١٠). «وهم رعاة لا يعرفون الفهم» (ع ١١)، لا يعرفون ما الذي يجب عمله للأغنام.

(٢) وفضلا عن كونهم مراقبين عديمي البصر لا يميزون الخطر، فقد كانوا أيضا «كلهم كلاب بكم»، لا يعطون إنذارا بهذا الخطر. كانوا ينبحون على أنبياء الله، يعقرونهم ويزعجون الغنم، غير أنهم لم يكونوا يقاومون ذئبا أو لصا.

(٣) كانوا من الكسالى: يميلون إلى الراحة «محبو النوم».

(٤) كانوا جشعين نهمين.. «كلاب شرهة لا تعرف الشبع». كل ما يسألون عنه هو ما الذي سيحصلون عليه، وليس ما الذي يعملونه. التفتوا جميعا «إلى طرقهم» كل واحد إلى الربح وتحقيق مصالحه الخاصة، ولا يعيرون أي اعتبار للمصلحة العامة. كان كل منهم يعمل لترويج أفكاره، ويعمل من أجل تقدم جماعته، في حين أن المصالح العامة للشعب أهملت بدرجة كبيرة.

(٥) لم يهتموا إطلاقا بالمبادئ قدر اهتمامهم بسكرهم وعربدتهم (ع ١٢): «هلموا آخذ خمرا ولنشتف مسكرا». كانوا يتوددون إلى الناس لكي يشاركوهم معاقرتهم الخمر، وبذلك كانوا يدعمونهم في طرقهم الشريرة في حين أنه كان يتعين عليهم زجرهم وتوبيخهم. وكيف للناس أن يستشعروا أي أذى من معاقرة الخمر حين يشاركهم في ذلك المراقبون أنفسهم بل ويقودونهم إلى ذلك.

(٦) كانوا واثقين من استمرارية ازدهارهم وترفهم، ولذلك قالوا: «ويكون الغد كهذا اليوم عظيما بل أزيد جدا»، فسوف يكون لدينا الكثير مما ننفقه على شهواتنا مثلما فعلنا اليوم.

الأصحاح السابع والخمسون

يذكر النبي ملاحظاته فيما يتعلق:

أولا: بموت الصالحين (ع ١ و٢).

ثانيا: بتفاقم عبادة الأوثان والزنا الروحي، الأمور التي اتهم اليهود بارتكابها، والدينونات التي جلبوها على أنفسهم بسببها (ع ٣- ١٢).

ثالثا: بعودة الله في رحمته إلى شعبه لوضع نهاية لسبيهم وإعادة ازدهارهم (ع ١٣- ٢١).

عدد ١ و٢

أدان النبي المراقبين لجهلهم وحماقتهم. وهو يبين هنا حماقة الشعب وتبلد شعوره.

أولا: تدبير العناية الإلهية في انتقال الصالحين من هذا العالم، فمن جهة هذا الأمر، يقول أهل العالم، «باد الصديق» إذ أن التقوى لا تعفي أحدا من الموت، ولكن البر يخلص من شوكة الموت، ولكن ليس من ضربته. وغالبا ما يؤول حال هؤلاء المنتقلين إلى الأسوأ إن هم استبقوا. فالشجرة المثمرة تموت بعد إثمارها، أما العقيمة فتترك، فتتلف الأرض.

ثانيا: يستهين العالم بهذه التدبيرات الإلهية: «وليس أحد يضع ذلك في قلبه.. وليس من يفطن». وقليلون هم الذين ينتبهون لذلك باعتباره تحذير للجميع.

ثالثا: سعادة الصديقين في انتقالهم من هذا العالم: «يُضمون.. من وجه الشر». فحين يكون الطوفان على وشك المجيء يستدعون إلى الفلك. فالذين يقفون في الثغرة لصرف غضب الله المعلن لابد أن يؤخذوا أولا قبل أن ينصب هذا الغضب على العالم. وحين يستدعي الله سفراءه فذاك يعد علامة على أن الله ينوي الحرب. الصديقون عند موتهم «يدخل السلام. يستريحون في مضاجعهم». فالذين سلكوا «بالاستقامة» والتزموا بذلك حتى النهاية، سيلقون نهاية سعيدة عند موتهم، وسوف تدخل نفوسهم إلى السلام.

عدد ٣ – ١٢

اتهام خطير –غير أنه عادل– وجه ضد الجيل الشرير الذي أخذ منه الصديقون، الذين لم يكن العالم مستحقا لهم.

أولا: الاسم واللقب اللذين وصما بهما (ع ٣)، لقد استدعوا بوصفهم «بني الساحرة نسل الفاسق والزانية». والخطية التي ارتكبوها هي السحر وعبادة الأوثان، لأنها تشكل ابتعادا عن الله، والتعامل مع الشيطان. كانوا «أولاد المعصية»، يقول النبي «تقدموا إلى هنا»، وسوف اقرأ عليكم مصيركم. «أَمَا أنتم أولاد المعصية نسل الكذب» (ع ٤).

ثانيا: الجرائم المحددة التي كتبت في عريضة الدعوى:

(١) الازدراء بالله وبكلمته: كانوا جيلا من المستهزئين (ع ٤): «بمن تسخرون؟» إنكم تظنون أنكم تدوسون بأقدامكم على الأنبياء المساكين فحسب، غير أنكم في الحقيقة تسلكون ضد الله نفسه، لأنهم يبلغون رسالته. كانوا يلوون شفاههم للأنبياء، ويخرجون لهم اللسان، خلافا لكل القواعد الخاصة بالسلوك المهذب، بل إنهم لم يعاملوا أنبياء الله بحسب ما تقتضيه الكياسة والذوق العام.

(٢) الوثنية: هذه هي الخطية التي اتهم بها شعب اليهود بصفة خاصة، وذلك قبل سبيهم، الذي كان السبب في شفائهم منها. وقد تفاقمت هذه الخطية أيام إشعياء، ويمكننا ملاحظة تفاقم الوثنية بشكل بغيض أيام آحاز (ويعتقد البعض أن ثمة إشارة محددة لذلك هنا) وكذلك في عهد منسى.

أ. كانوا مولعين وشغوفين بأوثانهم، وكانوا يلهبون أنفسهم بعواطفهم الجياشة في عبادتهم لها (١مل ١٨ : ٢٦، ٢٨). وكانوا يعبدون أصنامهم «تحت كل شجرة خضراء» وفي الهواء الطلق، وفي الظل، وكان جمال الأشجار الممتدة يزيدهم افتتانا بأصنامهم التي كانوا يعبدونها هناك.

ب. كانوا يعبدون أصنامهم بهمجية وبربرية وقسوة بالغة، ذلك أنهم كانوا يذبحون أطفالهم، ويقدمونها ذبائح لأوثانهم، «في الأودية تحت شقوق المعاقل»، في أماكن مظلمة ومنعزلة، وهي أنسب الأماكن لأعمال الظلمة هذه.

ج. كانوا نهمين في وثنيتهم:

• كانت لديهم آلهة للأودية، كانوا يعبدونها بجوار المياه (ع ٦): «في حجارة الوادي الملس نصيبك». فإذا ما رأوا حجرا أملس منحوتا، كانوا على استعداد لعبادته. «لتلك سكبت سكيبا وأصعدت تقدمة» كما لو كانت هي التي تعطيكم طعامكم وشرابكم. فهل أخذنا نحن الإله الحقيقي كنصيبنا؟ فلنعبده إذا في طعامنا وشرابنا، فنأكل ونشرب لمجده، وهنا تأتي جملة اعتراضية تعبيرا عن غضبة الله العادلة لشرهم هذا: «أعن هذه أتعزى؟»

• كانت لديهم آلهة للجبال أيضا (ع ٧) «على جبل عال ومرتفع وضعت مضجعك» مضجع أوثانك، أي هيكلهم ومذبحهم، مضجع نجاستك حيث ارتكبت الزنا الروحي. «هناك صعدت لتذبحي ذبيحة».

• وكما أن ذلك لم يكفهم، فصنعوا أيضا أصناما داخل منازلهم. (ع ٨) «وراء الباب والقائمة». وهكذا أقاموا تماثيلهم ليظهروا للناس مدى تعلقهم بها وليذكروا أطفالهم بها، بدلا من شريعة الرب وناموسه. لقد تقسوا في شرهم وذهبوا في جماعات إلى هياكل الأوثان، كما كانوا يفعلون من قبل مع هيكل الله. وكعاهرة وقحة «كشفت» مضجعك، «أوسعت مضجعك»، أي هياكل الأوثان، أكثر من هؤلاء الذين أخذتم عنهم هذه الخطية. (انظر ٢مل ١٦: ١٠) «وقطعت لنفسك عهدا معهم» أي مع الأوثان ومع عابديها لكي تعيشوا أو تموتوا معا. «أحببت مضجعهم»

www.DIFA3IAT.com

أي هيكل الوثن.

◂ خطية أخرى أدينوا بها: اتكالهم على المعونات الأجنبية والدخول في عقود مشتركة مع القوى الوثنية (ع ٩): «سرت إلى الملك» (أو مولك، بالنظر إلى أن هذا الاسم يعني ملكا)، وربما كانت هذه إشارة إلى ملك أشور الذي تودد إليه آحاز، أو ملك بابل، الذي سعى حزقيا وراء سفرائه طالبا تقوية مملكته بالدخول في حلف معهم. وقد ذهبوا «بالدهن» و«الأطياب»، إما لتجميل وجوههم وبذلك يجعلون أنفسهم جديرين بصداقة الملك العظيم، أو لتقديمها إلى أولئك الذين كانوا يخطبون ودهم. وبهذا أحطوا من قدر أنفسهم ووضعوا شرف تاجهم وأمتهم في التراب: «ونزلت حتى إلى الهاوية». لقد حقروا من شأن أنفسهم باستسلامهم إلى جيرانهم الوثنيين واتكالهم عليهم، مع أنه كان لهم إله يستطيعون الذهاب إليه والذي فيه كل الكفاية لهم، فضلا عن كونهم في عهد معه.

ثالثا: تفاقم خطيتهم:

(١) لقد تعبوا من الإحباطات التي واجهوها في طرقهم الرديئة، ومع ذلك لم يقتنعوا بحماقتها (ع ١٠): «بطول أسفارك أعييت»، لقد دأبوا على إيجاد الشبع والسعادة الحقيقية في كل ما هو باطل وزائف: «أصابكم الإعياء من طول المسير» (بحسب ترجمة أخرى)، فالذين يهجرون الطريق الوحيد الصحيح يهيمون بلا نهاية في آلاف الطرق الجانبية، ويفقدون أنفسهم في البدع الكثيرة التي يلجأون إليها.

(٢) على الرغم من اقتناعهم بخطأ الطريق الذي يسلكونه، إلا أنهم وجدوا فيه ملذات حسية، ومكاسب دنيوية، فلم يستطيعوا التخلي عنه: «لذلك لم تضعفي»، ولم تحزني، تماما كأفرايم حين قال (هو ١٢: ٨): «وجدت لنفسي ثروة» فالازدهار في الخطية يعد عائقا هائلا أمام الإيمان وترك الخطية.

(٣) تعاملوا مع الله بأسلوب لا يليق بسبب خطيتهم، لأنهم تظاهروا أن سبب تركهم الله هو كونه إلها مهيبا أكثر من احتمالهم، لذا آثروا أن تكون لهم آلهة بوسعهم أن يكونوا أكثر ألفة معها، غير أن الله يقول: «وممن خشيت وخفت حتى خنت؟» وما الذي سبق أن فعلته لكي أخيفكم وأبعدكم عني؟ ومع ذلك، فمن المؤكد أنهم لم يكونوا يوقرون الله حقا: «وإياي لم تذكري».. لم تذكري شخصي، لا ما قلته ولا ما فعلته، «ولا وضعت في قلبك» كما كنت ستفعلين لو كنت قد خشيتني. لقد تقسوا في خطيتهم نتيجة صبر الله وطول أناته.

رابعا: هنا قرار الله بأن يستدعيهم لمحاسبتهم (ع ١٢): «أنا أخبر ببرك»، الذي تتباهى به، وسوف يرى العالم، وأنت أيضا، لتعرف أن كل أعمالك زائفة. سوف أعلن «أعمالك فلا تفيدك»، ولا تنفعك في شيء.

عدد ١٣ – ١٦

أولا: يبين الله عجز الأصنام والمخلوقات عن معاونة الذين يعبدونها (ع ١٣): «إذ تصرخين» في محنتك وتطلبين المساعدة «فلينقذك جموعك»، أي مجموعة آلهتك، وجيوش القوات المتحالفة التي اتكلت عليها إلى هذا الحد الكبير، دعها تخلصك، لا تتوقعوا منهم الكثير، إذ أن: «الريح تحملهم كلهم»، لقد جعلوا أنفسهم كالعصافة، ولذلك سوف تعصف بهم الريح بعيدا.

ثانيا: بيّن لهم أن فيه وحده كل الكفاية: «أما المتوكل عليَّ» دون سواي، سيكون سعيدا، روحا وجسدا، في هذا العالم، والعالم الآخر. والذين يثقون في عناية الله يسلكون أفضل سبيل لتأمين مصالحهم الزمنية. وسوف يرثون الأرض، أكبر قدر منها بحسب ما هو صالح لهم. والذين يثقون في نعمة الله يسلكون أحسن السبل لتأمين مصالحهم المقدسة. سوف يرثون «جبل قدسي». ويتمتعون بمزايا الكنيسة على الأرض، وفي النهاية يؤتى بهم إلى أفراح السماء، ولن تدفعهم بعيدا أية عواصف، هؤلاء بصفة خاصة هم:

(١) المسبيون، الذين يتكلون على الله، سوف يطلق سراحهم (ع ١٤): «ويقول» (بمعنى الحاملين كلمته، وكل خدام عنايته، في هذا الحدث العظيم سوف يقولون) «أعدوا أعدوا هيئوا الطريق». وحين يأتي الوقت الذي حدده الله لخلاصهم فإن تحقيقه سوف يكون سهلا وتزال كل العوائق. وهذا يشير إلى التدبيرات التي عملها الإنجيل ونعمته لتمهد طريقنا عبر هذا العالم إلى عالم أفضل. لقد شُيد الآن طريق الإيمان، وهو طريق مفتوح للجميع وعلى الخدام الآن

www.difa3iat.com

أن يقودوا الناس إليه.

(٢) منسحق القلب: الذي يثق في الله سوف يحيي روحه (ع ١٥). ويظهر هنا مجد الله ساطعا:

أ. في عظمته وجلاله، فهو «العلي المرتفع ساكن الأبد». هو «العلي المرتفع»، وليس مخلوق مثله، ولا يوجد من يقارن به. ثم إن الكلمات أيضا تشير إلى سيادته وسلطانه على الكل، وحقه الذي لا ينازع في أن يعطي الناموس للكل ويدين الكل. وهو أزلي، ثابت ليس عنده تغيير ولا ظل دوران. والصلاح بلا حدود في طبيعته. اسمه «القدوس»، وكل الذين يرغبون في معرفته يجب أن يعرفوه كإله قدوس «في الموضع المرتفع المقدس أسكن»، وسوف أجعل العالم كله يعرف هذه الحقيقة. فكل من يريد أن يتعامل مع الله يجب أن يخاطبه باعتباره «أبانا الذي في السماوات»، لأنه هناك يسكن. ومع أنه عال على هذا النحو، إلا أنه يقدر المتواضعين، ذاك الذي يركب السماوات باسمه «ياه» يتنازل لكي يهتم بنفسه بأمور «اليتامى.. الأرامل» المساكين (مز ٦٨: ٤ و٥).

ب. في نعمته ورحمته: يشفق ويحنو على «المنسحق والمتواضع»، ولن يهملهم لأنهم مساكين ومحتقرين ومدوسين من الناس. وسوف يحنو على أولئك الذين يتكيفون مع محنتهم ويتقبلون حالتهم. سوف يسكن الله مع هؤلاء، ويغمرهم بكرمه، ويخاطبهم بكلمته وروحه، كما يتكلم الإنسان مع أفراد عائلته. ذاك الذي يسكن في أعلى السماوات، يسكن في أكثر القلوب اتضاعا، وهو يسكن بصدق وإلى الأبد. كما وهو يسر بهؤلاء ويحيي قلوبهم ونفوسهم، سوف يتعامل معهم، ويعمل فيهم بكلمة وروح نعمته.

ج. أما أولئك الذين يخاصمهم، فإنهم إذا ما وثقوا فيه، فإنه سوف يخلصهم ويدخلهم إلى نعمته (ع ١٦): «لأحيي قلب المنسحقين»، لأنه لا يخاصم إلى الأبد. ولا يوجد ثمة وعد بأنه لن يغضب من شعبه أبدا، لأن خطاياهم تغضبه، أو أنه لن يخاصمهم، لأنه ينبغي عليهم أن يتوقعوا تأديبه، غير أنه لا يخاصم إلى الأبد، نعم هو لا يخاصم إلى الأبد. وكما أنه لا يغضب سريعا، فكذلك فهو لا يغضب طويلا. ذلك لأني لو غضبت إلى الأبد فإن «الروح يُغشى عليها أمامي والنسمات التي صنعتها». ومع أن الرب يهتم بالجسد، إلا أن اهتمامه الرئيسي ينصب على نفوس شعبه، حيث لا تغش الروح، أو تفقد جمالها وتعزيتها.

عدد ١٧ - ٢١

جاء الحديث عن شعب إسرائيل مجتمعا في هذه القصة التي تتناول معاملات الله معهم، وكأنه شخص بذاته (ع ١٧ و١٨). غير أنه قُسم إلى نوعيتين، تم التعامل مع كل منهما بشكل مختلف. البعض منهم كأبناء السلام، الذين خوطبوا بالسلام (ع ١٩)، والبعض الآخر، كانوا على النقيض من ذلك، حيث كانوا بعيدين كل البعد عنه (ع ٢٠ و٢١).

أولا: التوبيخات العادلة التي وجهت للشعب بسبب خطاياهم: «من أجل إثم مكسبه غضبت». وكان الطمع خطية تتفاقم. فالذين لم يكونوا يعبدون الأصنام، جرفتهم مع ذلك هذه الوثنية الروحية، لأن هذا هو حال الطمع، حيث يجعل المال إلها (كو ٣: ٥). وعلى الرغم من جشعهم، إلا أنهم كانوا أسخياء فيما يتعلق بخدمة أصنامهم (ع ٦). ويصعب القول ما إذا كان إسرافهم في هذا الشأن، وطمعهم في أية أمور أخرى هو الأكثر إثارة لغضب الله. فالطمع إثم مكروه جدا بالنسبة لإله السماء. ولذلك نراه يعاقب الشعب على الطمع، ويوبخه عليه، من خلال أنبيائه، ويؤدبه بواسطة تدبيراته الإلهية، ويعاقبه بالأشياء التي يولع بها ويشتهيها. وقد حجب الله نفسه عنه حين كان تحت هذه التأديبات. وحين نكون تحت التأديب، فإذا ما أظهر الله نفسه لنا، فإننا قد نتحمل هذا التأديب بشكل أفضل، لكنه إذا ما أخفى نفسه عنا، ولم يخاطبنا بكلمته أو بأنبيائه ولم يوجه إلينا كلمة تعزية، فسوف نكون في غاية البؤس.

ثانيا: عنادهم وعدم قابليتهم للإصلاح تحت هذه التوبيخات: «فذهب عاصيا في طريق قلبه»، في طريق الشر. ونرى هنا كيف أن المحن ذاتها ليست كافية لإصلاح الناس، ما لم تعمل معها نعمة الله.

ثالثا: عودة الله العجيبة إليهم برحمته:

(١) واصل الجزء الأكبر منهم عصيانه، غير أنه كان هناك البعض منهم ممن أحزنهم عصيان الآخرين، ولقد قرر الله ألا يخاصمهم إلى الأبد. هذا هو غنى

رحمة الله ونعمته، اللذان يغلبان الدينونة، ولذلك قال: «رأيت طرقه وسأشفيه». لأنه «حيث كثرت الخطية ازدادت النعمة جدا». فالله سيعطيه أولا نعمة، وبعدئذ، وليس قبل ذلك، يعطيه سلاما. لقد رأيت طريقه وعرفت أنه لن يعود إليَّ ثانية من تلقاء نفسه، ولذلك سأعود أنا إليه.

أ. سوف يشفيه الله من فساده وميوله الشريرة. ولا يوجد مرض روحي متأصل إلا وتستطيع نعمة الله القوية أن تقهره.

ب. «وأقوده»: سوف يقوده الله أيضا. فمع أنه سيواصل عناده مثل شاول الطرسوسي، حيث كان ينفث تهديداته ويقوم بالقتل، غير أن الله سيقوده إلى طريق أفضل، ومن ثم:

ج. سوف يعيد إليه تعزياته التي خسرها، والتي أعده الله لعودتها. فثمة إصلاح عجيب عُمل في المسبيين في بابل، وبعدئذ تم لهم هذا الخلاص العجيب.

(٢) والآن، وكما كان الحال حين أخذوا إلى السبي، كان البعض منهم تينا جيدا، والبعض الآخر رديئا، وطبقا لهذا كان السبي لصالح البعض ولضرر البعض الآخر (إر ٢٤: ٨ و٩). وهكذا فإنه بعد عودتهم من السبي، كان البعض منهم صالحين، والآخرون أردياء، وكان الخلاص يتناسب مع كل فئة.

أ. بالنسبة لمن كانوا أتقياء منهم كانت عودتهم من السبي تشكل سلاما، رمزا للسلام الذي كان عتيدا أن يكرز به الرب يسوع المسيح (ع ١٩): «خالقا ثمر الشفتين». والخلق يكون من العدم، وحين يخلق الله مادة للتسبيح لأولئك المعاندين، فهذا يكون خلق مما هو أسوأ من العدم. ولكي يتم ذلك سوف يعلن السلام: «سلام سلام للبعيد وللقريب». سلام للضمير. وثقة مقدسة وهدوء للعقل، بعد توبيخات الضمير الكثيرة وتأنيب الروح التي عانوها في سبيهم. وحين يتحدث إلينا بسلام، علينا أن نسبحه. وهذا السلام في حد ذاته يوجده الله. إنه ثمرة الشفاة الكارزة والمصلية، إنه ثمر شفاه المسيح (أف ٢: ١٧): «فجاء وبشركم بسلام أنتم البعيدين والقريبين»، أنتم الأمميون وكذلك اليهود، بشركم في الأيام الأخيرة (عب ١: ٢)، كما بشر الجيل الحالي.

ب. بالنسبة للأشرار الذين كانوا بينهم، فعلى الرغم من أنهم قد يعودون مع البقية، إلا أن عودتهم لن تكون سلاما (ع ٢٠). فالشرير، حيثما كان، في بابل أو في أورشليم، يحمل معه أساس شقائه. والشرير الذي لا يُشفى بنعمة الله، لن تشفيه تعزياته. فهم دائما مثل البحر أثناء العاصفة، لأنهم يحملون معهم:

◂ مفاسد لم يتغلبوا عليها. ذلك أنهم لم يشفوا ولم يسيطروا على شهواتهم، فأهواؤهم تجعلهم كالبحر المضطرب.

◂ ضمائر لا تعرف السلام. ذلك أنهم تحت وطأة خوف رهيب وخشية من الإثم والغضب، مثل قايين، الذي سكن دائما في أرض الاضطراب. وهذه حقيقة مؤكدة، تلك التي قالها النبي من قبل (إش ٤٨: ٢٢)، وكررها هنا (ع ٢١): «ليس سلام... للأشرار»، ليست مصالحة مع الله، ماداموا مستمرين في تعدياتهم.

الأصحاح الثامن والخمسون

جددت مهمة النبي لتوبيخ الخطاة في صهيون (ع ١). وكلامه هنا قصد به أن يكون نصيحة وتحذيرا لكل المرائين، ولا يقصد به أهل جيل بعينه. والبعض يأخذ هذا الكلام على أنه قصد به بصفة أساسية الشعب الذي عاصر إشعياء حين قال هذه النبوة (انظر إش ٣٣: ١٤؛ ٢٩: ١٣). آخرون يقولون إن المقصود به هم المسبيون في بابل، ولاسيما الأشرار منهم. لقد ظنوا أن بمقدورهم أن يحتموا وراء الممارسات الخارجية للدين ولاسيما الصوم، الذي واظبوا عليه في بابل، وحتى بعد عودتهم إلى أرضهم (زك ٧: ٣- ١٤).

وهناك من يقولون إن الكلام مقصود به أساسا المراؤون من اليهود، ولاسيما الفريسيون أثناء زمن تواجد مخلصنا بالجسد وقبله، حيث كانوا يتباهون بصومهم، غير أن المسيح (على غرار النبي هنا) بيَّن لهم شرهم (مت ٢٣).

ونلاحظ هنا:

أولا: الاعتراف المقبول بالديانة الذي أظهروه (ع ٢).

ثانيا: التباهي بممارساتهم الدينية، واللوم الذي وجهوه لله لعدم ملاحظته ذلك (ع ٣).

ثالثا: الخطايا التي أدينوا بها والتي أعاقت قبول أصوامهم (ع ٤ و٥).

رابعا: توجيهات صدرت لهم كيف يقدمون صوما

صحيحا (ع ٦ و٧).

خامسا: وعود عظيمة للذين يصومون على نحو ما ذكر (ع ٨– ١٢).

سادسا: الوعود الثمينة المماثلة التي قطعت للذين يحفظون يوم الرب (ع ١٣ و١٤).

عدد ١ و٢

حين وعد ربنا يسوع بأن يرسل المعزي أضاف «ومتى جاء ذاك يبكت»؛ لأن التبكيت يمهد للتعزية. ولقد عين الله هذا النبي لتعزية شعبه (إش ٤٠: ١)، أما هنا فيرسله لتوبيخهم ولكي يعرفهم خطاياهم.

أولا: يجب عليه أن يخبرهم عن مدى حالتهم السيئة (ع ١).

(١) يجب عليه أن يتعامل معهم بأمانة وصراحة. وكونهم من أنهم دعوا «شعب الله» و«بيت يعقوب»، لا تتملقهم، بل عرفهم بتعدياتهم، والخطايا التي يرتكبوها، والتي لا يعترفون بأنها خطايا، وعلى الرغم من إصلاحهم في بعض الأمور، إلا أنهم في أمور أخرى لايزالون على حالتهم السيئة التي كانوا عليها دائما.

(٢) ينبغي عليه أن يرفع صوته، ولا يتراجع، ولا يخشاهم، على الرغم من أنه بذلك سيثير غضبهم عليه، وسوف يشوهون سمعته، إلا أنه مع ذلك عليه ألا يتراجع عن توبيخهم.

ثانيا: ومع كل ذلك، عليه أن يعترف بالمظهر الطيب الذي يظهرون به (ع ٢): «وإياي يطلبون يوما فيوما». دافعوا عن أنفسهم بالقول إنهم لا يرتكبون أية تعديات لأنهم مثابرون في عبادة الله– فماذا يريد منهم أكثر من ذلك؟ ومما يجدر ذكره هنا:

(١) إنه يعترف بهذه الحقيقة. وطالما عمل المراؤون شيئا طيبا فلا يجب أن نحرمهم من إطرائه. ولقد اعترف بأنه لديهم صورة من التقوى:

أ. فهم يذهبون إلى الكنيسة، ويحفظون أوقات الصلاة: «وإياي يطلبون يوما فيوما».

ب. يحبون سماع العظات الجيدة: «ويسرون بمعرفة طرقي»، مثل هيرودس، الذي كان يستمع إلى المعمدان بسرور.

ج. بدا كما لو أنهم يسرون بممارساتهم الدينية: «يسرون بالتقرب إلى الله»، ليس من أجله يتقربون إليه، بل للظروف الطيبة التي تصاحب ذلك من صحبة الأصدقاء، أو الاحتفالات.

د. كانوا دائما يسألون عن واجبهم وبدوا مشتاقين لمعرفته: «يسألونني عن أحكام البر»، أي أحكام التقوى في عبادة الله، وقواعد العدل في معاملتهم مع الناس، وكلا الأمرين هما وصايا تتعلق بالعدل والبر.

هـ. يظهرون أمام العالم كما لو أنهم مصممون على أداء واجبهم: «وإياي يطلبون... كأمة عملت برا ولم تترك قضاء إلهها». وآخرون أخذوهم على هذا النحو، وقد تظاهروا أنفسهم بأنهم هكذا فعلا. وقد يقطع الناس شوطا طويلا في الطريق إلى السماء، ولكنهم لا يصلون إليها، فربما يذهبون إلى جهنم رغم سمعتهم الطيبة. غير أنه:

(٢) يلمح إلى أن هذا أبعد من أن يكون غطاء لخطيتهم، بل إنه في الواقع يفاقم هذه الخطية.

عدد ٣– ٧

أولا: مشاعر الغضب التي حملها هؤلاء المرائون ضد الله (ع ٣): «يقولون لماذا صمنا ولم تنظر؟» وهكذا ساروا في طريق قايين، الذي كان غاضبا من الله، واعتبر عدم قبول تقدمته إهانة بالغة. وكانوا يبالغون في الحديث عن ممارساتهم: «صمنا... ذللنا أنفسنا»، لم نطلب الله يوميا فحسب (ع ٢)، بل خصصنا أوقاتا معينة لمزيد من العبادة. البعض يقولون إن هذه إشارة إلى الصوم السنوي (الذي كان يسمى يوم الكفارة)، وآخرون يقولون إنه إشارة للأصوام العارضة. فقد قال الفريسي (لو ١٨: ١٢): «أصوم مرتين في الأسبوع». واعتقدوا أن الله لابد وأن يلاحظ ذلك ويقدرهم لعباداتهم. واتهموا الله بالظلم والانحياز، وأنه يبدو مصمما على تجاهل تدينهم وبرروا أنفسهم من ناحية تصرفهم هذا بقولهم: «وماذا ننتفع إن التمسناه» (أي ٢١: ١٤ و١٥؛ انظر أيضا ملاخي ٣: ١٤).

ثانيا: السبب الحقيقي لعدم قبول الله لأصوامهم أو استجابته لصلواتهم التي رفعوها أيام صومهم، هو أنهم لم يصوموا على نحو سليم. لقد صاموا فعلا، ولكنهم لم يردوا كل واحد عن طرقه الردية كأهل نينوى «إنكم

في يوم صومكم توجدون مسرة»، أي أنهم يعملون أي شيء يبدو لهم صالحا. يجعلون رغباتهم ناموسا.

(١) كانوا طماعين، خلت الرحمة من قلوبهم كعهدهم دائما: «وبكل أشغالكم تسخرون»، ولا تطلقون عبيدكم طبقا للناموس أو تخففون من قسوة عبوديتهم. تحصلون كل مستحقاتكم، وديونكم (هكذا يترجمها البعض) وتلجأون إلى الشدة والقسوة في انتزاع ما تطلبونه من أولئك المساكين كعادتكم دائما، على الرغم من أن ذلك كان في ختام الصوم السنوي، والذي كان يعلن فيه الإطلاق.

(٢) كانوا مخاصمين،. دائمي الشجار (ع ٤): «ها إنكم للخصومة والنزاع تصومون». وحين كانوا يعلنون صوما، كانوا يتظاهرون أنهم يبحثون عن الخطايا التي تغيظ الله، وتحت هذه الذريعة، كانوا يتهمون بالباطل أشخاصا معينين، مثل نابوت أيام صوم إيزابل. (١مل ٢١: ١٢). وهكذا فإنهم عوض أن يدينوا أنفسهم، وهذا هو عمل الصوم، كانوا يدينون بعضهم بعضا. كانوا «للخصومة والنزاع» يصومون، وبمنافسة تجعلهم يبدون في مظهر حسن يوم الصوم. وبالنظر لاستمرارهم في الخطية على هذا النحو، فإن الله لن يسمح لهم باستغلال هذه المناسبات الجليلة: «لستم تصومون» إطلاقا إذا كنتم تصومون «كما اليوم لتسميع صوتكم في العلاء»، «لا تعودوا تأتون بتقدمة باطلة» (إش ١: ١٣).

ثالثا: تعليمات واضحة بخصوص طبيعة الصوم الحقيقي:

(١) والقصد من الصوم بصفة عامة هو:

أ. لتكريم الله وإرضائه.

ب. من أجل إذلال النفس وإخضاعها. هو يوم «يذلل الإنسان فيه نفسه»، وما لم يعبر عن حزن حقيقي بسبب الخطية، وما لم يساعد على انتصار حقيقي عليها، فلا يعد صوما.

(٢) بناء على ما سبق يجدر بنا أن نسأل في يوم الصوم عما هو مقبول لدى الله، وعما يذلل طبيعتنا الفاسدة.

أ. ذكر لنا هنا من الناحية السلبية الصوم الذي لا يقره الله.

• لا يكفي أن يظهر الإنسان عابسا، ويحني رأسه مثل قصبة جفت وتهشمت، كما يفعل المراؤون، الذين «يغيرون وجوههم لكي يظهروا للناس صائمين» (مت ٦: ١٦) والعشار، الذي أذل قلبه حقا «لا يشاء أن يرفع عينيه نحو السماء» (لو ١٨: ١٣)، غير أنه عندما يكون الأمر مجرد تمثيل، كما هو الحال هنا، فلا عجب أن يقابل بالسخرية، إذ أنه ليس سوى إنسانا «يحني كالأسلة رأسه».

• لا يكفي أن يكفر الإنسان عن الخطية، وأن يخضع الجسد قليلا، في حين أن جسد الخطية لم يمس. «هل تسمي هذا صوما؟» كلا إنه ليس سوى ظل صوم.

ب. أخبرنا هنا ما هو الصوم المقبول عند الله من الناحية الإيجابية: «يوما يذلل الإنسان فيه نفسه» (ع ٥)، بل يجب أن يكون شغلنا الشاغل طوال حياتنا. ولقد طلب منا هنا:

• أن نكون عادلين لأولئك الذين عاملناهم بخشونة (ع ٦): «فك عقد النير»، الربط التي عقدناها بشر، والتي قيدنا بها الآخرين. ليطلق سراح المدان الذي ليس لديه شيئا يسدد به دينه، لنقمع كل عمل من شأنه أن يغيظ الآخرين، ليطلق سراح العبد الذي احتجز عنوة بعد مدة عبوديته. وهكذا نقطع «كل نير»، ولا نطلق من ظلوا تحت النير ظلما فحسب، بل نقطع نير العبودية نفسه.

• أن نحسن إلى كل من يحتاج إلى إحسان (ع ٧). لنسهم في إنقاذ أولئك الذين يقمعهم الآخرون، وأن نحرر الأسرى ونسدد ديون الفقير. هذا إذًا هو الصوم الذي اختاره الله.

> تقديم الطعام للمحتاجين إليه: «أن تكسر للجائع خبزك». ويجب أن يكون خبزك الذي حصلت عليه بأمانة، خبز تعبك. يجب أن نحرم ذواتنا مما يحتاجه الآخر، هذا هو الصوم الحقيقي، أن تشرك الجوعى في طعامك، أن تعطهم أرغفة لا مجرد كسر.

> أن تدبر ملجأ لمن يحتاجه: «أن تدخل المساكين التائهين إلى بيتك». وإذا كانوا يعانون ظلما لا تسدد تكاليف إقامتهم فحسب، بل أدخلهم إلى بيتك– وهذا عمل الخير بشكل أعظم– لا تنس إضافة الغرباء. ذلك أن المسيح نفسه قال: «كنت غريبا فآويتموني».

> أن نقدم كساء لمن يحتاجونه: «إذا رأيت عريانا

أن تكسوه وأن لا تتغاضى عن لحمك». البعض يأخذ هذه العبارة على أنها تشير إلى الأقارب. آخرون يأخذونها بالمعنى العام، كل من يشاركوننا الطبيعة البشرية يجب أن نعتبرهم من لحمنا ودمنا، أو ليس لنا جميعا أب واحد؟

عدد ٨- ١٢

وعد كريم للذين يحفظون الصوم الذي اختاره الرب بأن يعيدوا بوليمة عامرة وفرح كثير وشبع وفير.

أولا: إيضاحات أخرى عن الواجب الذي يتعين عمله (ع ٩ و١٠).

(١) يجب الامتناع عن كل أعمال العنف والغش. «إن نزعت من وسطك» أي من وسط قلبك (هكذا يترجمها البعض)، فلا يجب فقط أن تمتنع عن إلحاق الأذى بآخرين، بل أن تهزم في نفسك كل ميل لذلك، ومن وسط شعبك. فالذين في السلطة يجب أن يجتهدوا ليمنعوا القمع في جميع الجهات الواقعة تحت سلطانهم. فلا يجب عليهم «قطع كل نير» (ع ٦) فحسب، بل يتعين عليهم أن يتركوا «التهديد» به (أف ٦: ٩)، ويجب أيضا أن يمتنعوا عن «الإيماء بالأصبع»، أي الإيماء إلى المساكين والبائسين، وبذا يعرضونهم للمهانة. كما أنه عليهم أن يمتنعوا عن «كلام الإثم»، بل يكون كل كلامهم في إطار من الوفاء والإخلاص.

(٢) يجب أن نكثر من كل عمل خير وصلاح. علينا أن نعطي بسخاء وبسرور، وبدافع حب الخير. يتعين أن ننفق أنفسنا «للجائع» (ع ١٠)، لا أن ننفق مالا وحسب، بل أن نفعل ذلك من القلب وبمحبة خالصة لمن نراهم في بؤس. لتصاحب المشاعر الطيبة العطية، لأن المعطي بسرور يحبه الله، كما يحبه المسكين أيضا. وحين أشبع الرب يسوع الجماهير وشفاهم، كان ذلك بدافع حنانه عليهم. علينا أن نعطي بسخاء وإلى أقصى حد، ليس بهدف الإذلال بل لإشباع «النفس الذليلة».

ثانيا: توضيح مفصل عن البركات والمنافع التي تصحب آداء هذا الواجب.

سوف يفاجئهم الله بعودة رحمته بعد المحنة القاسية، الأمر الذي سيرحبون به بمثل ما يرحبون بنور الصباح بعد ليلة طويلة مظلمة (ع ٨): «حينئذ ينفجر مثل الصبح نورك»، ويشرق في الظلمة نورك. الذين يعملون الخير بسرور، سوف يُعطَون أن يتمتعوا بالخير في سرور، وهذا أيضا «من يد الله» (جا ٢: ٢٤)، والذين ساعدوا الآخرين على الخروج من محنتهم، سوف يساعدهم الله إذا ما تعرضوا للمحن. فالأعمال الطيبة سوف تمتدح، وهذا ما يفهم من عبارة «يسير برك أمامك» كطليعة لك، ليحميك من الأعداء الذين يهاجمونك من الأمام، «ومجد الرب يجمع ساقتك» وذلك ليجمع المنهكين الذين تركوا في الخلف، وحمايتكم من الأعداء الذين يهاجمون مؤخرة الرَّكْب كعماليق. فالصالحون يوفر لهم الله حماية من كل جانب، وحصنهم هو برهم، و«مجد الرب»، الذي قد يُقصد به هنا المسيح. فهو وحده الذي يحمي ظهرنا، ولا نستطيع أن نعتمد إلا عليه وحده من أجل سلامنا حين تلاحقنا خطايانا، وتكون على أهبة الاستعداد لأن تسيطر علينا: «حينئذ تدعو»، في أيام صومكم، التي يجب أن تكون أيام صلاة «فيجيب الرب»، سيعطيكم ما طلبتم في صلواتكم، «تستغيث»، حين تكون في محنة أو يعتريك خوف مباغت «فيقول هأنذا». فحيثما يصلون، سوف يقول لهم الله هأنذا سامع، أنا في وسطكم، فهو قريب منهم في كل أدعيتهم (انظر تثنية ٤: ٧). «يقودك الرب على الدوام». ففيما نحن هنا، في برية هذا العالم، نحن في حاجة إلى إرشاد دائم من السماء. فالرجل الصالح لا يعطيه الله حكمة ومعرفة فقط، بل يعطيه إلى جانب ذلك فرحا، وتراه راضيا في نفسه بشهادة ضميره، ويقينه من نعمة الله. وهذا ما «يشبع.. نفسك»، يملأ قلبك سرورا حتى «في الجدوب»، في جدوب المحنة، وسوف «ينشط عظامك»، وسوف يعطيك مسرة تكون عونا لك كما تعين العظام جسدك «فتصير كجنة ريا»، مثمرة في النعمة «وكنبع مياه لا تنقطع مياهه» سواء في الجفاف أو في الصقيع. كنبع مياه، تراه دائما مليئا بالمياه على الرغم من أنه بصفة مستمرة يرسل جداول عامرة بالمياه. هكذا أيضا الرجل المعطي بسرور تراه يزداد في عمل الخير كما يزداد في كل عمل صالح، ولا ترى هنا ما يعوق سخاءه. وشعبك، ونسلك، سيكونون

www.difa3iat.com

نافعين لجيلهم، كما أنتم نافعون أيضا لجيلكم. فسوف يعملون على أن «تبنى الخرب القديمة» التي ظلت مهجورة مدة طويلة.

وقد تم هذا الوعد، حين قام المسبيون بعد عودتهم بإصلاح مدن يهوذا، وكثير من مدن إسرائيل. وسوف يواصلون ويتمون هذا العمل الذي كان قد بدأ منذ فترة طويلة مضت. سيقيمون «أساسات دور فدور» التي ظلت لسنوات طوال تحت الإنشاء، وقد تحقق هذا بعد أن أعيد العمل في بناء الهيكل بعد أن ظل متوقفا لسنوات عديدة (عز ٥: ٢). وسوف يمتدحهم ويباركهم كل من حولهم: «فيسمونك مرمم الثغرة مرجع المسالك للسكنى»، مسالك آمنة وهادئة حتى إن الناس لن يجدوا صعوبة في بناء بيوتهم على جانبي الطريق. وخلاصة القول، إنهم إذا ما حافظوا على مثل هذه الأعياد كما رسمها الله، سوف يعيدهم ثانية إلى حالة السلام والازدهار التي كانوا يتمتعون بها في الماضي، ولن يكون هناك ما يخيفهم.

عدد ١٣ و١٤

كان حفظ السبت دائما ما يلقى تشديدا كبيرا، وكان هذا أمرا مطلوبا بصفة خاصة من اليهود أثناء سبيهم في بابل، لأنهم بحفظ ذلك اليوم، تكريما للخالق، كانوا يميزون أنفسهم عن أولئك الذين كانوا يعبدون آلهة لم تصنع السماوات أو الأرض (انظر إش ٥٦: ١ و٢).

أولا: كيف كان يقدس يوم السبت (ع ١٣): ولاتزال شريعة السبت ملزمة لنا نحن أيضا بحفظ يوم الرب.

(١) لا يجب عمل شيء من شأنه أن يظهر تحقيرا ليوم الرب. يجب ألا نتوانى عن حفظه، ويجب أن نرد أرجلنا عن عمل مسرتنا في يوم قدسه، أي نحيا كما يحلو لنا، ونعمل كل ما يسرنا في هذا اليوم المقدس، دون سيطرة ضمائرنا وكبحها لنا. علينا إكرام الله وذلك بعدم عمل طرقنا (أي لا نتبع ميولنا) وامتناعنا «عن إيجاد» مسرتنا (أي عدم الانغماس في اللهو والملذات)، بل والواقع أنه مطلوب منا ألا ننفقه في لغو الكلام، لأنه علينا أن نجعل من الديانة شغلنا الشاغل. ومن واجبنا أن نتكلم عن الأمور الإلهية سواء كنا في بيوتنا أو سائرين في الطريق. وعلينا في كل ما نقوله أو نعمله أن نفرق بين هذا اليوم والأيام الأخرى.

(٢) يجب أن يكون حفظنا ليوم الرب «لذة»، وليس مهمة واجبة علينا أو عبئا. ولا يجب الاكتفاء بأن نحسبه «لذة» فحسب، بل ندعوه كذلك. بل يجب أن نشكر الرب من أجله. ويجب أن نحسبه كذلك للآخرين، فندعوهم إلى الحضور والمشاركة في لذته، كذلك لا يجب أن تطرأ على ذهننا أية فكرة نتمنى فيها انقضاء يوم الرب سريعا لنعود إلى مزاولة تجارتنا.

ثانيا: المكافأة الخاصة بتقديس يوم الرب (ع ١٤):

(١) سوف نتعزى نتيجة ذلك، وستكون الأجرة من نفس العمل. إذا دعوت يوم الرب لذة.. «فإنك حينئذ تتلذذ بالرب»، فسوف يظهر نفسه لنا أكثر فأكثر. وإذا ما واصلنا عمل واجبنا بفرح، سنجد منه ما يشبعنا.

(٢) سنيال كرامة: «وأركبك على مرتفعات الأرض»، وهذا لا يشير إلى إيمان عظيم فقط، بل وكرامة عظيمة أيضا. فالذين يكرمون الله ويكرمون يومه، سوف يكرمهم الله. وإذا ما أعطانا الله بنعمته القدرة على أن نسمو على العالم، وأن نطوع العالم لنا ولا نسمح له بأن يكون حجر عثرة أمامنا، هنا سوف يركبنا الله «على مرتفعات الأرض».

(٣) سوف ننال البركات التي تنتج عن ذلك: «وأطعمك ميراث يعقوب أبيك»، أي بكل بركات العهد، وبكل منتجات كنعان الثمينة (والتي كانت رمزا للسماء)، لأن هذه هي ميراث يعقوب.

الأصحاح التاسع والخمسون

في هذا الأصحاح نرى الخطية وقد بدت خاطئة جدا، والنعمة متفاضلة جدا وما ذكر هنا عن الخطاة (ع ٧ و٨) ينطبق على الفساد العام للبشرية (رو ٣: ١٥)، ولذلك فإن ما قيل هنا عن الفادي (ع ٢٠) ينطبق على المسيح (رو ١١: ٢٦).

أولا: تسبب هذا الشعب في إيقاف تيار إحسان الله الذي كان يتدفق عليهم (ع ١– ٨).

www.DIFA3IAT.com

ثانيا: أخبروا بماهية الدينونات التي جلبوها على رؤوسهم (ع ٩- ١١) وما هي الخطايا التي ارتكبوها فأغاظوا الله فأرسل هذه الدينونات عليهم (ع ١٢- ١٥).

ثالثا: جاء الوعد هنا- أنه على الرغم من ذلك، فإن الله سيصنع لهم خلاصا (ع ١٦- ١٩) وسوف يحتفظ لهم برحمته ويهبها لهم (ع ٢٠ و٢١).

عدد ١ - ٨

خطأ أولئك الذين كانوا يتخاصمون مع الله لأنه لم يحقق لهم الخلاص الذي صاموا وصلوا من أجله (إش ٥٨: ٣).

أولا: لم يكن السبب يرجع إلى الله. لأنه لايزال قادرا على المساعدة كما كان دائما، ذلك أن «يد الرب لم تقصر عن أن تخلص» ولم تقل قوته. فالله قادر كما كان شأنه دائما، ويده قوية كعادتها، لم تضعف أو تقصر «هل تقصر يد الرب» (هذا ما قاله الله لموسى، عد ١١: ٢٣)، كلا، لم تقصر، ولن يسمح الله بأن يظن أحد أنها كذلك. فلا طول الزمن، ولا قوة الأعداء، كلا، بل ولا نقص الإمكانات، يمكنها أن تقصر أو تعوق قوة الله. فلايزال مستعدا وراغبا في مد يد العون كما كان حاله دائما، وذلك استجابة للصلاة: «ولم تثقل أذنه عن أن تسمع». وهنا نجد الكثير مما يشار إليه ضمنا بأكثر مما أشير إليه صراحة، فإن أذنه لم تثقل، بل إنه سريع الاستماع أيضا «قبلما يدعون أنا أجيب» (إش ٦٥: ٢٤). وإذا لم تستجب دعواتنا فليس معنى هذا أن الله قد ملَّ السمع، بل لأننا مللنا الصلاة، وليس لأن أذنه قد تثقلت فلم تعد تسمع كلامنا الذي نوجهه إليه، بل لأن آذننا قد تثقلت عن سماعه حين يتحدث إلينا.

ثانيا: لقد ظلوا على طيشهم وأغلقوا بابهم على أنفسهم: «خطاياكم منعت الخير عنكم» (إر ٥: ٢٥).

(١) الضرر الذي ينجم عن الخطية. إنها تعوق مراحم الله، تمثل جدارا فاصلا بيننا وبين الله. فالخطايا «سترت وجهه» عنا (الأمر الذي ينم عن غضبه العظيم، تث ٣١: ١٧). وعواقب الخطية وخيمة للغاية، فهي تفصلنا عن الله، وهي بالتالي تفصلنا عن كل خير، بل تفرزنا أيضا «للشر» (تث ٢٩: ٢١).

(٢) يبين النبي كيف أن خطاياهم كانت كثيرة ومشينة، وهذا يظهر في الاتهام الموجه لهم (إش ٥٨: ١): «أخبر شعبي بتعديهم». وكان عليه أن يبدأ بأفكارهم، لأنه هناك تبدأ كل الخطايا: «أفكارهم أفكار إثم» (ع ٧). وهكذا أيضا تصوراتهم (ع ٤): «قد حبلوا بتعب وولدوا إثما». وعلى الرغم من أن الخطية قد تولد بتعب نتيجة اعتراضات العناية الإلهية وتوبيخات ضمائرهم، فمع ذلك، فإنهم بعد أن يحققوا أغراضهم الشريرة، تراهم ينظرون إليها بفخر وإعزاز كما لو كان طفلا قد ولد في العالم، وهكذا فإن «الشهوة إذا حبلت تلد خطية» (يع ١: ١٥)، وهذا ما سمي «فقسوا بيض أفعى ونسجوا خيوط العنكبوت». وخيوط العنكبوت ضعيفة لا قيمة لها تكنس في لحظة، وهكذا أيضا حال الأفكار التي تطرأ على عقول محبي هذا العالم حين يبنون قلاعا في الهواء. وهم يفقسون بيض أفعى أو الثعبان، والتي هي في حد ذاتها سامة، وتنتج مخلوقات سامة، هذا هو حال أفكار الأشرار الذين يجدون مسرتهم في فعل الشر. «الآكل من بيضهم» (أي الذي يتعامل معهم) «يموت» (أي أنه معرض لأن يلحق به أذى)، «والتي تُكسر تُخرج أفعى» الأمر الذي يؤدي إلى هلاكك. ومن فيض هذا الشر يتكلم لسانهم. أما من ناحية الإنجاز الأكثر فعالية لمؤامرتهم الشريرة فهم يغطونها بكلام معسول (ع ٣): «شفاهكم تكلمت بالكذب»، وكذلك في الآية ٤ «يتكلمون بالكذب»، متظاهرين بالصلاح بينما هم يضمرون الشر. «ولسانكم يلهج بالشر». كانوا مدانين بسفك دم بريء: «لأن أيديكم قد تنجست بالدم» (ع ٣)، فالدم يلوث لأنه يترك صبغة من الذنب لا تمحى من الضمير، ولا يمكن إزالتها سوى بدم الرب يسوع. «أرجلهم إلى الشر تجري وتسرع إلى سفك الدم الذكي». لقد تلوثت أصابعكم بالإثم. إنهم «يتكلون على الباطل» (ع ٤)، فهم يتكلون على مهارتهم في إثراء نفوسهم، وفي خداعهم للآخرين إنما يخدعون أنفسهم. «فعل الظلم في أيديهم» (ع ٦)، بناء على مخططات العنف التي تحملها رؤوسهم، وأفكار القسوة التي تملأ قلوبهم. ولم تتخذ أية خطوة لإصلاح هذه الشرور والانتهاكات. «ليس من يدعو

بالعدل» (ع ٤).

وعندما لا يجرى العدل فاللوم لا يقع على القضاء وحدهم، بل وعلى الشعب أيضا. فالأفراد أيضا عليهم الإسهام في الصالح العام بالكشف عن الشرور الخفية فالحق يعارض، وليس هناك «من يحاكم بالحق»، لم يكن هناك من لديه الشجاعة لكي يواجه الغش المتفشي. «طريق السلام» لم يعرفوه شأنه في ذلك شأن طريق العدل، أي أنهم لم يبحثوا أبدا عن الأمور التي تفضي إلى السلام: «ليس في مسالكهم عدل»، فلا توجد ذرة من العدل في معاملاتهم. والذين يعملون الجور «يتكلون على الباطل» (ع ٤). «خيوطهم» التي ينسجونها بكل مهارة ودأب «لا تصير ثوبا ولا يكتسون بأعمالهم»، سواء كستر أو للزينة (ع ٦). ولا يمكن أن يتحقق ربح نتيجة الخطية، فهكذا سيتضح الأمر حين يعمل حساب المكسب والخسارة. فطرق الإثم «معوجة» (ع ٨)، سوف تربكهم، ولن تأتي بهم إطلاقا إلى نهاية رحلتهم.

عدد ٩- ١٥

الخطية هي أعظم جالب للضرر. ويبدو أن هذا ما قاله الشعب لله كدلالة على خضوعهم واتضاعهم تحت إجراءات عدله.

أولا: يعترفون بأنهم خاصموا الله (ع ٩- ١١).

(١) كانوا في محنة، يقمعهم أعداؤهم، ولم يظهر الله لهم ليدافع عن قضيتهم العادلة ويرفع الضرر عنهم: «ابتعد الحق عنا ولم يدركنا العدل» (ع ٩). وعلى الرغم من أننا واثقون أن الحق إلى جانبنا وأعداؤنا هم المخطئون، إلا أننا مع ذلك لم نراع العدل في معاملتنا بعضنا لبعض، لذلك فقد سمح الله لاعدائنا أن يظلموننا.

(٢) خابت مع الأسف كل توقعاتهم: «ننتظر نورا»، كالذين ينتظرون الصباح، «فإذا ظلام»، «ننتظر عدلا وليس هو» (ع ١١)، نتطلع إلى خلاص، لأن الله (بحسب اعتقادنا) قد وعد به، لقد صلينا وصمنا من أجله، ولكننا «نسير في ظلام دامس».

(٣) صاروا في حيرة (ع ١٠): «نتلمس الحائط كعمي». والذين يحبون الظلمة أكثر من النور سيلقون جزاءهم المناسب.

(٤) تملكهم اليأس: «في الضباب كموتى». وقد شبهت حالة اليهود في بابل بأنهم كالموتى وكالعظام اليابسة (حز ٣٧: ١٢) وتفسير المقارنة هناك (ع ١١) يفسر لنا هذا النص: «يبست عظامنا وهلك رجاؤنا. قد انقطعنا». «نزأر كلنا كدبة»، حزن الآخرون في صمت، وافترس هذا الحزن أرواحهم: «وكحمام هدرا»، كحمام الأودية.

ثانيا: اعترفوا أنهم أغاظوا الله (ع ١٢- ١٥).

(١) اعترفوا بأنهم أخطأوا. نحن شهود على أنفسنا: «وآثامنا نعرفها»، على الرغم من أننا بغباوة حاولنا إخفاءها.

(٢) اعترفوا بشر الخطية: «تعدينا وكذبنا على الرب» (ع ١٣). وعلى هذا الأساس تعد خطايا شعب الله أسوأ من خطايا الآخرين، لأنهم بتعديهم يكذبون «على الرب». لقد أساءوا تمثيله وكسروا بغدر عهدهم معه، وهذا هو كذبهم عليه.

(٣) اعترفوا أنه كان هناك انهيارا أخلاقيا. وأولئك المخادعين لإلههم كانوا غير أوفياء لبعضهم البعض. «تكلمنا بالظلم»، وكان هذا تمردا على الحق. لهجوا «من القلب بكلام الكذب». وكم من كذبة تسرعوا بنطقها لافتقارهم التأمل وإمعان الفكر، لكن كل ما تفوهوا به كان عن عمد وبدافع من الحقد. كانت أكاذيب ومع ذلك قيل إنها نطقت «من القلب»، لأنها كانت تتمشى مع شر القلب، حيث كانت اللغة الطبيعية التي تعبر عنه.

(٤) اعترفوا بأنهم لم يعملوا ما كان من شأنه أن يصلح الأرض ويصحح الخطأ (ع ١٤). فقد «ارتد الحق» الذي كان من المفروض أن يجري كالنهر، وكبحر هادر، فسار في طريق عكسي. فإقامة الحق لم تصبح سوى غطاء للظلم في أبشع أشكاله. «والعدل يقف بعيدا»، بعيدا حتى عن محاكمنا. «الصدق سقط في الشارع والاستقامة لا تستطيع الدخول» في أحاديثنا العادية، ولذلك لا يعرف أحدهم من يصدق، ومن الذي يوليه ثقته.

(٥) اعترفوا بأنه كان ثمة روح عداء سائد نحو أولئك الصالحين: «وصار الصدق معدوما والحائد عن

www.DIFA3IAT.com

الشر يسلب». وبالنسبة لهم كانوا يعتبرونها جريمة ألا يفعل الجميع مثلما يفعلون، ومن لا يشاركهم شرهم كانوا يتخذونه عدوا. وكان «والحائد عن الشر» يعد مجنونا.

(٦) اعترفوا بأن كل هذه الأمور لابد وأن تفضي إلى غضب إله السماء. وعلى الرغم من أنها كانت تعمل في الخفاء، وكانت تغلف بذرائع خادعة، إلا أنه ما كان بمقدورها أن تخفى عن عيني الله القادر على كل شيء. وعلى الرغم من أن الخطية تثير غضبه إلا أنه سرعان ما يتصالح مع الخطاة عند رجوعهم عن طرقهم الشريرة.

عدد ١٦ - ٢١

لقد تفاقمت الخطية في الجزء السابق من الأصحاح، ولكن النعمة زادت جدا في هذه الأعداد.

أولا: لماذا صنع الله الخلاص بالرغم من تعدياتهم: لقد صنع الخلاص من أجل اسمه هو.

(١) لقد عرف ضعفهم وشرهم: «فرأى أنه ليس إنسان» يعمل أي شيء من أجل دعم الديانة والفضيلة بينهم. كانت غالبيتهم من الأشرار، أما الذين لم يكونوا هكذا فكانوا ضعفاء. «ليس شفيع»، لم يكن أحد ليتشفع لدى الله (ع ١٦)، ليس هناك مدافع يقول كلمة طيبة من أجل الذين جعلوا فريسة لأنهم حافظوا على استقامتهم (ع ١٥). اشتكوا من أن الله لم يدافع عنهم (إش ٥٨: ٣)، غير أن الله يشكو من أنهم لم يفعلوا شيئا من أجل أنفسهم.

(٢) سخر قوته وبره من أجلهم، وسوف يخلصهم. وعمل الإصلاح (الذي هو أول وأهم بند للخلاص) سوف يتأتى نتيجة التأثير المباشر لنعمة الله على ضمائر الناس. وحين حرك الله روح كورش، وأخرج شعبه من بابل «لا بالقدرة ولا بالقوة بل بروحي قال رب الجنود»، إذا فإن يده التي لم تقصر أبدا هي التي حققت الخلاص. فالعدل الإلهي الذي حجبوه عنهم بخطاياهم، ظهر في النعمة من أجلهم. وعلى الرغم من أنهم لم يتوقعوا أية نعمة على أساس استحقاقهم، إلا أنه في بره يعاقب أعداء شعبه «ليس لأجل برك.. بل لأجل إثم أولئك الشعوب يطردهم الرب» (تث ٩: ٥). وبالنسبة لخلاصنا الذي تحقق بالمسيح يسوع، فإنه بالنظر إلى أنه ليس ثمة بر فينا، فقد جاء ببر في استحقاق ووساطة ابنه سمي: «البر الذي من الله بالإيمان» (في ٣: ٩)، «لبس البر كدرع».. حافظا كرامته، كما يحفظ الدرع الأعضاء الحيوية للإنسان، ولبس «خوذة الخلاص على رأسه». وحين يكون البر درعه، يكون الخلاص خوذته. وفي إشارة إلى هذا، نجد بين قطع سلاح المسيحي «درع البر»، و«خوذة هي رجاء الخلاص» (أف ٦: ١٤- ١٧؛ ١تس ٥: ٨)، وقد سمي «سلاح الله»، لأنه لبسه أولا، وبهذا هيأه لنا. وبالنظر إلى أنهم كانوا يفتقرون إلى الروح والحماسة التي تدفعهم إلى عمل أي شيء من أجل أنفسهم، فإن الله «لبس ثياب الانتقام كلباس واكتسى بالغيرة كرداء»، وسوف يجري عدله ضد أعداء كنيسته وشعبه ويكون ذلك واضحا.

ثانيا: الخلاص الذي سوف يتحقق بواسطة بر الله نفسه:

(١) سوف يكون هناك خلاص زمني في الوقت الراهن بالنسبة لليهود المسبيين في بابل، أو في أي مكان يعانون فيه من المحنة والسبي. وهذا وعد به (ع ١٨ و١٩) كرمز لأمر آخر. وقد تم الوعد هنا بالآتي:

أ. الله سيحاسب أعداءه وسوف يجازيهم بحسب أعمالهم، سواء بالنسبة لأعداء شعبه الذين من الخارج، أو بالنسبة لأعداء الحق والعدل في الداخل، لأن هؤلاء أيضا من أعداء الله، وسوف يتعامل مع كلتا الفئتين بحسب ما يستحقون، كما جازى أعداءه في الماضي. «يجازي مبغضيه سخطا وأعداءه عقابا»، ولن يتعدى غضبه حدود العدالة. حتى بالنسبة «للجزائر»، التي تقع على مسافة بعيدة جدا، إذا ما ظهروا ضده، فإنه «جزاء يجازي الجزائر»، لأن يده تصيب جميع أعدائه (مز ٢١: ٨) وتصل إليهم سهامه.

ب. وإنه مهما كانت المحاولات التي يقوم بها أعداء شعب الله بعد ذلك لزعزعة سلامه، فسوف تنتهي جميعها إلى الفشل: «عندما يأتي العدو كنهر فنفخة الرب تدفعه».

ج. إن كل هذا سيؤول إلى مجد الله، وتقدم الديانة في العالم (ع ١٩). وقد تحقق ذلك بالتمام في أزمنة

www.DIFA3IAT.com

الإنجيل، حين أتى كثيرون «من المشارق والمغارب» ليشغلوا الأماكن الفارغة التي نجمت عن طرح بني الملكوت «إلى الظلمة الخارجية»، حين أقيمت كنائس في الشرق والغرب (مت ٨: ١١).

(٢) سيكون هناك خلاص أكثر مجدا يتحقق بواسطة المسيح في ملء الزمان. أما الوعدان العظيمان المتعلقان بهذا الخلاص فهما:

أ. إن ابن الله سيأتينا ليكون فادينا (ع ٢٠). ومجيء المسيح كفاد هو ملخص جميع الوعود سواء التي في العهد القديم أو في العهد الجديد، وكان هذا خلاصا في أورشليم، وهو ما كان يتطلع إليه المؤمنون من اليهود (لو ٢: ٣٨). فالمسيح هو الولي الأقرب لنا مثل بوعز، الذي يفدي الإنسان ويفك دين المدين الفقير (انظر راعوث ٤: ١- ٨).

◂ المكان الذي سيظهر فيه ذلك الفادي: «يأتي الفادي إلى صهيون» لأنه هناك، على ذلك الجبل المقدس، سيمسحه الرب ملكا (مز ٢: ٦). وكانت صهيون رمزا لكنيسة الإنجيل.

◂ الناس الذين سيتمتعون بنعمة مجيء الفادي، مدركين أن خلاصهم قريب. «ويأتي الفادي إلى... التائبين عن المعصية في يعقوب»، فلن يأتي إلا لأولئك الذين يرجعون عن إثمهم ويتوبون ويتجددون.

ب. سيأتي روح الله ليقدسنا (ع ٢١). غير أن الوعد قطع لشخص واحد: «روحي الذي عليك»، وهذا الوعد موجه:

◂ إما إلى المسيح باعتباره رأس الكنيسة الذي أخذ لكي يعطي.

◂ وإما إلى الكنيسة، وبذا يكون الوعد باستمرار الكنيسة ودوامها في العالم حتى آخر الزمان، مواكبا للوعد بأن يجعل «إلى الأبد نسله وكرسيه مثل أيام السماوات» (مز ٨٩: ٢٩، ٣٦؛ انظر أيضا مز ٢٢: ٣٠)، «عوضا عن آبائك يكون بنوك»(مز ٤٥: ١٦). سوف يحفظ هذا الوعد «من الآن وإلى الأبد»، بل حتى نهاية العالم. فالروح الذي على المسيح سيستمر في قلوب المؤمنين، وسوف يكون هناك البعض في كل جيل ممن سيعمل فيهم، وسوف يسكن فيهم، وهكذا سيبقى المعزي في الكنيسة إلي الأبد (يو ١٤: ١٦). فسيكون هناك البعض في كل جيل، إذ يؤمنون بقلوبهم بالبر سيعترفون بلسانهم بالخلاص. وقد بنيت الكنيسة على هذه الأسس، وبقيت راسخة وستظل كذلك إلى الأبد، لأن المسيح نفسه هو حجر الزاوية.

الأصحاح الستون

هذا الأصحاح كله يشكل جزءا من عهد الله مع كنيسته. فاستمرارية الكنيسة مدة طويلة، حتى إلى نهاية الدهور كلها، تضمنها الوعد هناك، وهنا جاء الوعد بانتشار الكنيسة بشكل واسع، حتى إلى أقاصي الأرض.

وقد جاء الوعد هنا متضمنا:

أولا: استنارة الكنيسة (ع ١ و٢).

ثانيا: نموها واتساعها (ع ٣- ٨).

ثالثا: الخدمة الرائعة للمؤمنين الجدد نحو الكنيسة (ع ٩- ١٣).

رابعا: الكرامة العظيمة للكنيسة بين الناس (ع ١٤- ١٦).

خامسا: ستنعم الكنيسة بسلام كامل وطمأنينة عظيمة (ع ١٧ و١٨).

سادسا: استمرار مجدها وفرحها إلى الأبد، ذلك لأن كل أعضائها أبرار (ع ١٩- ٢٢). ونجد هنا إشارة ما إلى حالة السلام والرخاء التي كان عليها اليهود بعد عودتهم إلى أرضهم، غير أنه يتطلع إلى أبعد من ذلك، حين يتحقق هذا الوعد بالكامل في ملكوت المسيح، فيتسع هذا الملكوت بدخول الأمم إليه، والبركات الروحية في السماويات بالمسيح يسوع، الذي سيثري بها هذا الملكوت.

عدد ١ – ٨

جاء الوعد هنا بأن هيكل الإنجيل سيكون منيرا وكبيرا جدا.

أولا: سيكون منيرا جدا: «جاء نورك». فبعد أن عاد اليهود من السبي، كان لهم نور وبهجة وفرح وكرامة، وأعطوا حينئذ أن يعرفوا الرب ويفرحوا بصلاحه العظيم.

(١) ما هو هذا النور، ومن أين ينبع: «أما عليك فيشرق الرب» (ع ٢)، «مجد الرب» (ع ١) أشرق عليك. وحين يظهر الله لنا، هنا «يشرق مجد الرب» علينا كنور الصبح. وحين يظهر من أجلنا، هنا يظهر

مجده علينا. وحين أشرق المسيح كشمس البر، حينئذ ظهر مجد الرب علينا «مجدا كما لوحيد من الآب».

(٢) الإحباط الذي يواجهه هذا النور: «الظلمة تغطي الأرض»، غير أنه على الرغم من أنها ظلمة حالكة تغمر الناس، إلا أنه سيكون نور للكنيسة في ذات الوقت.

(٣) ما هو الواجب الذي يدعو إليه إشراق هذا النور: «قومي استنيري». فليس علينا أن نقبل هذا النور، ونستنير به فقط، بل علينا أن نعكس هذا النور. «قومي استنيري» ببريق مأخوذة منه.

ثانيا: سوف يتسع هذا النور ويمتد: بعد أن استقر اليهود في أرضهم، بعد عودتهم من السبي، انضم إليهم كثيرون من شعب الأرض، إلا أنه يجب علينا أن نتطلع إلى ما هو أبعد من ذلك، إلى انضمام الأمم إلى كنيسة الإنجيل، وليس تدافعهم إلى مكان بعينه. فليس هناك الآن مكان يعد مركزا لوحدة الكنيسة، غير أن الوعد ينصب على تدفقهم إلى المسيح، ومجيئهم بالإيمان والرجاء والمحبة إلى تلك العائلة التي سميت منه (أف ٣: ١٥). لقد أتيتم إلى جبل صهيون، مدينة الإله الحي، أورشليم السمائية، التي تعد مفتاحا لهذه النبوة (أف ٢: ١٩).

(١) ما الذي يحمل هذه الجماهير الغفيرة على المجيء إلى الكنيسة: «فتسير الأمم في نورك والملوك في ضياء إشراقك» (ع ٣). هذا النور الذي يعلن لنا الكثير عن الله ومقاصده الصالحة للإنسان، والذي به أنيرت الحياة والخلود، سوف يدعو كل الجادين من البشر إلى المجيء والانضمام إلى الكنيسة. فنقاء المسيحيين الأوائل وطهارتهم، واهتمامهم بالسمائيات، وتحملهم الآلام بصبر، كان بمثابة نور الكنيسة الذي جذب الكثيرين إليها.

(٢) من هي الجماهير التي ستأتي إلى الكنيسة: ستأتي أعداد عظيمة. الأمم (أو الوثنيون) ممن يخلصون. وسوف تتم تلمذة الأمم (مت ٢٨: ١٩). وسوف يأتون من كافة الأنحاء (ع ٤): «ارفعي عينيك حواليك وانظري. قد اجتمعوا كلهم»، «يهود... أتقياء من كل أمة تحت السماء» (أع ٢: ٥). سيأتي بنون وبنات مدركين واجبهم تماما، مصممين على أن يكونوا من عائلتك. والذين يريدون أن يتمتعوا بكرامة ومزايا عائلة المسيح، لابد وأن يخضعوا لنظمها.

(٣) ما الذي سيجلبونه معهم، وما هي الميزة التي تعود على الكنيسة بدخولهم إليها. سيكتب التجار على بضائعهم، وعلى أجرتهم «قدسا للرب» كما في إشعياء ٢٣: ١٨. «وثروة البحر» (السمك واللآلئ) أو ما يستورد عن طريق البحر، «تتحول إليك» ولخدمتك. وثروة التجار الأغنياء ستخصص لأعمال البر والرحمة. «كثرة الجمال» من مديان وحيفا، «تحمل ذهبا ولبانا» سوف تأتي إليك حاملة أغنى السلع من بلادها، ليس من أجل المتاجرة فيها، بل لإكرام الله بها. وقد تحقق هذا جزئيا حينما جاء «مجوس من المشرق» إلى المسيح، وقدموا له هداياهم «ذهبا ولبانا ومرا» (مت ٢: ١١)، وسوف يؤتى بعدد كبير من الذبائح إلى مذبح الله. وعلى الرغم من أن الوثنيين هم الذين سيأتون بها، إلا أنها ستكون مقبولة. كانت قيدار شهيرة بغنمها، وربما أجود الكباش هي التي كانت من نبايوت، هذه سيؤتى بها وتلقى قبولا على مذبح الله. وقد تحقق هذا حين صدر مرسوم داريوس يأمر حكام ما وراء الأنهار بأن يمدوا هيكل أورشليم بحاجته «من الثيران والكباش والخراف محرقة لإله السماء» (عز ٦: ٩).

(٤) كيف سيستمجد الله بازدياد الكنيسة. حينما يأتون بذهبهم ولبانهم فيكون ذلك بغية أن «تبشر بتسابيح الرب» (ع ٦). والكنيسة هي بيت لمجد الله، حيث يعلن مجده لشعبه ويتقبل ولاءهم وإجلالهم الذي يكرمونه به. ولمجد هذا البيت سيأتي الأمميون بتقدماتهم إليه (ع ٧).

(٥) كيف ستتأثر الكنيسة نفسها بهذه الزيادة في عدد أعضائها (ع ٥): «تنظرين وتنيرين». سيكون ثمة مزيج من الخوف والفرح: «ويخفق قلبك»، حيث تأخذهم الريبة من جهة مشروعية الذهاب إلى غير المختونين والأكل معهم. لقد روع هذا الخوف بطرس حتى إنه احتاج إلى رؤيا وصوت من السماء لكي يعيناه على التغلب على هذا الخوف (أع ١٠: ٢٨): «حين يقهر هذا الخوف سيتسع قلبك إلى الدرجة التي تجد فيها مكانا لكل المتجددين الأمميين».

وهؤلاء المتجددون الذين يتدفقون على الكنيسة

www.difa3iat.com

سيحظون بإعجاب كبير (ع ٨): «من هؤلاء الطائرون كسحاب؟» وتجديد النفوس كالسحاب الذي يحلق بأعداد كبيرة، لكن في تجمع عظيم، كما تطير سحابة على أجنحة الريح. سيطيرون «كالحمام إلى بيوتها» على أجنحة الحمام الوديع الذي يطير على ارتفاع منخفض، الأمر الذي يشير إلى البراءة والاتضاع. إنهم يطيرون إلى المسيح، إلى الكنيسة، كما يطير الحمام بالفطرة إلى بيته.

عدد ٩- ١٤

تكررت الوعود التي قطعت للكنيسة بغية تشجيع اليهود عقب عودتهم من السبي، غير أنها تهدف إلى أكثر من ذلك لأجل تشجيع كنيسة الإنجيل وتقدمها.

أولا: سيكون الله كريما متعطفا عليهم. الجميع سيخطبون ودكم. فعلى الرغم من أني «بغضبي ضربتك» حينما كنت في السبي، إلا أنني «برضواني رحمتك»، ولذلك كنت احتفظ لك بكل هذه الرحمة.

ثانيا: سيؤتى بكثيرين إلى الكنيسة، حتى من البلدان النائية (ع ٩): «إن الجزائر تنظرني» وسوف ترحب بالإنجيل. «وسفن ترشيش» ستحمل خدام الكنيسة إلى مناطق بعيدة لكي يكرزوا بالإنجيل. وسوف يعيشون في مناطق نائية حتى إنهم لن يتمكنوا من إحضار قطعانهم معهم، ولذلك حولوها إلى نقود لكي يأتوا «وفضتهم وذهبهم معهم».

ثالثا: سيرحب بكل من يأتي إلى الكنيسة: «وتنفتح أبوابك دائما» (ع ١١)، ليس فقط لأنه لا يوجد ما يحملك على الخوف من أعدائك بل لأنك تتوقعين حضور أصدقاءك. إنه أمر معتاد بالنسبة لنا أن نترك أبوابنا مفتوحة، أو نكلف أحدا بأن يكون على أهبة الاستعداد لفتحها طوال الليل إذا كنا نتوقع عودة مسافر أو حضور ضيف في وقت متأخر. وباب الرحمة مفتوح على الدوام، ليلا ونهارا، وسيُفتح قريبا لأولئك الذين يقرعون.

رابعا: كل الذين ضمتهم الكنيسة سيعملون بطريقة أو بأخرى على خدمتها. وهكذا نجد في (ع ١٠) أن بني «الغريب» الذين لا يعرفونكم ولا يشعرون بود نحوكم، هؤلاء «يبنون أسوارك وملوكهم يخدمونك» في هذه الأمور وفي أمور أخرى، وقد تحقق هذا حين قام ملك فارس وحكام المقاطعات تنفيذا لأمره بمساعدة نحميا في بناء السور حول أورشليم. حتى أولئك الذين لا ينتمون إلى الكنيسة سيكونون حماة لها، ذلك (ع ١٢): «لأن الأمة والمملكة التي لا تخدمك تبيد».

خامسا: سيضاف فيض من الجمال على فروض العبادة المقدسة (ع ١٣): «مجد لبنان إليك يأتي»، ممثلا في أشجار الأرز التي تنمو هناك، كما حدث قديما في عهد سليمان حين قام ببناء الهيكل (٢أخ ٢: ١٦)، ومعها سيؤتى بأنواع أخرى من الأخشاب التي تصلح للنحت. والهيكل مكان مَقدِس الله، لن يُبنى فقط، بل وسيتم تجميله أيضا. فقد زُين «بحجارة حسنة وتحف» (لو ٢١: ٥)، ومع ذلك نجد أن المسيح لم يهتم بذلك، الأمر الذي يجب أن يحملنا على الاعتقاد بأن هذه النبوة تحققت بالكامل في جمال القداسة.

سادسا: ستظهر الكنيسة عظيمة ومبجلة (ع ١٤). ذلك أن شعب اليهود، بعد عودتهم من السبي، أصبحوا شيئا فشيئا أكثر عددا. وقد تحققت هذه النبوة أيضا حين أدرك أعداء الكنيسة- بواسطة نعمة الله- خطأهم: «بنو الذين قهروك»، وإن لم يكن هؤلاء فأبناؤهم سوف يجثون لك، ويطلبون الصفح عن حماقتهم، ويلتمسون فضلك والدخول إلى عائلتك (١صم ٢: ٣٦)، فالمقهورون المساكين من أبناء الكنيسة ستتاح لهم فرصة عمل الخير إلى أولئك الذين عملوا الشر معهم ويخلصون الأحياء منهم ممن سبق أن عذبوهم واحتقروهم. إنه لسعادة الرجل الصالح، بل ويحسب ذلك كرامة له، أن يرحم أولئك الذين لم يرحموه.

عدد ١٥- ٢٢

تم التنبؤ أيضا بالحالة المجيدة والسعيدة للكنيسة، حيث يشير هنا بصفة أساسية إلى الكنيسة المسيحية والتي رمز إليها بوميض السلام الخارجي الذي كان يتمتع به اليهود في بعض الأوقات بعد عودتهم من السبي.

أولا: مقارنة بما كانت عليه في الماضي:

(١) كانت محتقرة، أما الآن فستكون مكرمة (ع ١٥ و١٦). ذلك أن أورشليم كانت منبوذة ومكروهة. أما الآن فستكون « فرح» الأبرار « دور فدور». وإذا ما تأملنا كيف أن تميز أورشليم لم يكن إلا لفترة قصيرة، وكيف أنها كانت بعيدة عن الإطار الواسع لهذا الوعد، فإن هذا لابد وأن يدعونا إلى التطلع إلى تحقيق هذا الوعد في الامتيازات الدائمة لكنيسة الإنجيل، والمزايا والفوائد التي تنفرد بها الديانة المسيحية. فسوف تجد التعضيد والتشجيع من قبل جيرانها، والأمم وملوكها، الذين سيعتنقون المسيحية سيسخرون أنفسهم لصالح الكنيسة: « وترضعين لبن الأمم»، لم يقل تشربين دمهم (لأن ذلك ليس من روح الإنجيل)، « وترضعين ثدي ملوك»، سيكون الملوك بالنسبة لك كآباء يرعونك. وستجد أن إلهها راضيا عنها: « وتعرفين أني أنا الرب مخلصك ووليك»، وسوف تدركين ذلك عن اختبار. لقد عرفوا من قبل أن الرب إلههم، أما الآن فسيعرفون أنه مخلصهم وفاديهم.

(٢) سبق وأن افتقرت، أما الآن فسوف تغتني (ع ١٧). فأولئك الذين اقيموا من التراب، ستمتلئ أكياسهم بنقود ذهبية عوضا عن تلك البرونزية التي كانت بها، وبدلا من الأواني الحديدية في بيوتهم سيمتلكون أوان فضية وهكذا سيزداد المجد الروحي لكنيسة العهد الجديد، ويفوق الازدهار الخارجي والفخامة للاقتصاد اليهودي. فحين تكون لنا المعمودية عوض الختان، وعشاء الرب بدلا من الفصح، وخدمة الإنجيل عوض الكهنوت اللاوي، هنا يكون لدينا ذهب بدلا من الفضة. لقد حولت الخطية الذهب إلى نحاس حين عمل رحبعام دروعا نحاسية بدلا من الدروع الذهبية التي رهنها، غير أنه حين تعود إلينا إحسانات الله، فإنها تحول النحاس ثانية إلى ذهب.

(٣) قهرت على أيدي ملوكها (إش ٥٩: ١٤)، إلا أن كل تلك الضيقات سوف تصلح الآن (ع ١٧): « واجعل وكلاءك سلاما». سيكونون سلاما، أي أنهم سيسعون بإخلاص من أجل خيركم وستنعمون بالسلام عن طريقهم.

(٤) سبق أن أهانها جيرانها، قاموا بغزوها ونهبوها، أما الآن فلن يتكرر ذلك ثانية (ع ١٨): « لا يسمع بعد ظلم في أرضك»، بل سيتمتع كل إنسان بما له في سلام. ولن يكون هناك « خراب أو سحق في تخومك بل تسمين أسوارك خلاصا وأبوابك تسبيحا».

ثانيا: مقارنة بما سيكون عليه حالها: يوجه ختام هذا الأصحاح أنظارنا لكي نتطلع إلى ما هو أبعد من ذلك، إلى مجد وسعادة السماء، التي رمز إليهما وشبهها بحالة الكنيسة المزدهرة على الأرض. وكما ينتقل الأنبياء بسلاسة من بركات الفرائض اليهودية إلى البركات الروحية للكنيسة المسيحية، والتي هي بركات أبدية، فهكذا تراهم أحيانا يرتفعون من الكنيسة المجاهدة إلى الكنيسة المنتصرة، حيث هناك، وهناك فقط، سيصل إلى حد الكمال كل ما وعد به من سلام وفرح ومجد.

(١) سيكون الله الكل في الكل في السعادة التي وعد بها هنا (ع ١٩): « لا تكون لك بعد الشمس نورا». كان الوثنيون يعبدون الشمس والقمر (التي يعتقد البعض إنها أقدم وأفضل أشكال الوثنية وأكثرها قبولا)، بل هذه « لا تكون لك بعد... نورا»، ولن تُعبد بعد، بل سيكون لك الرب نورا دائما في ليل المحنة، كما في نهار الازدهار.

(٢) السعادة الموعود بها هنا لن تعرف التغيير (ع ٢٠): « لا تغيب بعد شمسك»، بل ستكون لك نورا أبديا، ولن تكون شمسك هذه التي تتعرض أحيانا للكسوف، وكثيرا ما تحجبها السحب، ومن المؤكد أنها تغيب وتتركك في الظلام وفي البرد، لكن الرب سيكون شمسا، وهو نفسه أبو الأنوار السمائية « الذي ليس عنده تغيير ولا ظل دوران» (يع ١: ١٧). والتعزيات والأفراح التي في السماء، كذلك الأمجاد التي أعدت للنفس كنور الشمس، وتلك الأمجاد التي أعدت للجسد الممجد أيضا كنور القمر، لن تعرف أقل قدر من التوقف أو الانقطاع « وتكمل أيام نوحك».

(٣) وأولئك الذين سينعمون بهذه السعادة لن يفقدوها أبدا (ع ٢١). وسيكونون « كلهم أبرار» سيملأون أورشليم الجديدة. ونظرا لأن « كلهم أبرار» ولذلك فإنهم « إلى الأبد يرثون الأرض»، لأنه لن يحول بينهم وبين امتلاكها شيء سوى الخطية.

(٤) مجد الكنيسة: سوف يظهرون أنهم «غصن غرسي عمل يدي». وسوف أقبلهم على هذا النحو.
(٥) سوف يظهرون في مجد أعظم ويتمجد الله فيهم أكثر، وذلك إذا ما قارنا ما هم عليه الآن بما كانوا عليه في الماضي (ع ٢٢): «الصغير يصير ألفا والحقير أمة قوية». فالمسبيون الذين عادوا من بابل تكاثر عددهم بشكل يدعو إلى الدهشة، وأصبحوا أمة قوية. كانت الكنيسة المسيحية صغيرة، بل كانت في البداية صغيرة جدا- فعدد أسمائهم كان ذات مرة مائة وعشرين فقط، ومع ذلك صار ألفا. وحين يأتون إلى السماء، ويتذكرون ضآلة بدايتهم فسوف يتعجبون كيف وصلوا هناك. قد يبدو أن هذا الأمر قد تأخر، لكن نظرا لأن الرب هو الذي سيفعل هذا، فإنه «في وقته» يسرع به. ذلك أنه سيتممه في الوقت الذي حددته حكمته، وليس في الوقت الذي تعينه حماقتنا. وهو سيعمله بسرعة، لأنه، على الرغم مما يبدو لنا من بطء، فإنه لن يكون ثمة تواني إذا ما جاء في الوقت الذي عينه الله.

الأصحاح الحادي والستون

أولا: نجد نعمة المسيح فيما رمز إليه عمل إشعياء، الذي كان ينصب على التنبؤ بخلاص اليهود من السبي في بابل (ع ١- ٣).

ثانيا: ونعتقد أننا نجد أمجاد كنيسة المسيح، أمجادها الروحية، التي رمز إليها بازدهار اليهود بعد عودتهم. وقد تضمن الوعد:

(١) إتمام إصلاح خراب الكنيسة (ع ٤).

(٢) إن الذين هم من خارج الكنيسة سوف يكونون نافعين لها (ع ٥).

(٣) ستكون الكنيسة كهنوتا ملوكيا، تعضد بثروات الأمم (ع ٦).

(٤) سوف تنعم بالكرامة والفرح عوض الخزي والحزن (ع ٧).

(٥) سوف تزدهر أحوالها (ع ٨).

(٦) سوف ينعم أسلافها بهذه البركات (ع ٩).

(٧) سوف يكون البر والخلاص هما الأمران الأبديان لأفراح الكنيسة وشكرها (ع ١٠ و١١).

عدد ١- ٣

قدم لنا الرب يسوع- الذي هو أحسن مفسر للأسفار المقدسة- شرحا لهذه الأعداد، حين تلاها في المجمع في الناصرة، مطبقا إياها على نفسه، حيث قال: «اليوم قد تم هذا المكتوب في مسامعكم» (لو ٤: ١٧ و١٨، ٢١). وكما وجه إشعياء لأن يعلن الحرية لليهود في بابل، هكذا المسيح أيضا، المرسل من الله كان عليه أن يعلن يوبيلا أكثر مدعاة للفرح للعالم الضال.

أولا: كان مؤهلا ومعدا لهذا العمل: «روح السيد الرب عليَّ» (ع ١). كان روح الله يحرك الأنبياء في بعض الأوقات، يرشدهم إلى ما يقولونه ويحفزهم إلى قوله. غير أنه استقر على المسيح بصفة دائمة وبلا حدود. وحين شرع المسيح يباشر مهمته النبوية نزل عليه الروح مثل حمامة (مت ٣: ١٦). وقد أعطي هذا الروح لأولئك الذين أرسلهم ليكرزوا بنفس هذه الأخبار السارة، حيث قال لهم بعد أن عرفهم مهمتهم: «اقبلوا الروح القدس».

ثانيا: عُين وكُرس لهذه المهمة: «روح السيد الرب عليَّ لأن الرب مسحني». ولهذا دعي الفادي باسم «المسيح»، ولأن الله إلهه مسحه بدهن الابتهاج أكثر من رفقائه. «أرسلني».

ثالثا: ما هو العمل الذي عُين له والذي كرس له:

(١) كان عليه أن يكون كارزا، ويقوم بمهمة النبي: كان عليه أن يكرز بالأخبار السارة (وهذا هو معنى الإنجيل) ليبشر المساكين، التائبين والمتواضعين والمساكين بالروح، فأخبار الفادي بالنسبة لهم ستكون بالفعل أخبارا سارة.

(٢) وكان شافيا: فقد أُرسل ليعصب «منكسري القلب». فأولئك الذين كُسرت قلوبهم بالخطية، والذين شعروا بمذلة حقيقية لإحساسهم بالإثم وخوفهم من الغضب، قدم لهم إنجيل المسيح ما يريحهم ويسكن مخاوفهم.

(٣) وهو أيضا مخلص: أُرسل كنبي ليكرز، وكاهن ليشفي، وكملك ليذيع إعلانات.

أ. إعلانات سلام لأحبائه: «لأنادي للمسبيين بالعتق» (كما فعل كورش بالنسبة لليهود في السبي)، «وللمأسورين بالإطلاق». ومع أننا- بإثم الخطية-

WWW.DIFA3IAT.COM

واقعين تحت عدالة الله، ومبيعين للخطية، إلا أن المسيح يعرفنا أنه قدم كفارة للعدل الإلهي بالنسبة لذلك الدين، وأن كفارته مقبولة، وإذا ما استندنا إلى ذلك، وسلمنا له أنفسنا وكل ما نملك، فإنه بمقدورنا بالإيمان أن نطلب الغفران، لأنه لا دينونة لنا، ولن تكون. وحيث أنه بسيادة الخطية علينا، نكون مقيدين تحت سلطان الشيطان، فإن المسيح يعرفنا أنه قهر الشيطان، وأتاح لنا نعمة كافية لتعطينا القدرة على التحرر من نير الخطية، ونتخلص من النير الذي حول عنقنا. «والابن» مستعد بروحه أن «يحررنا». هذا هو إعلان الإنجيل، وهو يشبه الهتاف ببوق اليوبيل، الذي يعلن سنة العتق العظيمة (لا ٢٥: ٩، ٤٠)، والتي في إشارة إليها هنا سميت «سنة مقبولة للرب»، لأنها تأتي لنا بالأخبار السارة، والتي لا يمكن إلا أن تكون مقبولة جدا بالنسبة لأولئك الذين يعرفون قدرات نفوسهم واحتياجاتها.

ب. إعلانات حرب ضد أعدائه. فالمسيح يعلن «يوم انتقام لإلهنا».

- حرب على الخطية والشيطان، على الموت وجهنم، وعلى كل قوى الظلام، لكي يدمرها ومن ثم يحقق خلاصنا، وقد انتصر المسيح عليها جميعا في صليبه.
- على بني البشر الذين يرفضون هذه العروض الرائعة.

(٤) سيكون معزيا، ولذلك فهو كارز، وشاف ومخلص، وقد أُرسل ليعزي «كل النائحين» الذين يطلبونه لكي يعزيهم وليس العالم. والبركات التي من صهيون هي بركات روحية، وبذلك فإن النائحين في صهيون، هم نائحون مقدسون، لأنهم يحملون أحزانهم إلى عرش النعمة. ولأمثال هؤلاء، عين المسيح بواسطة إنجيله، وسوف يعطي بروحه (ع ٣) هذه التعزيات التي لن تسندهم في أحزانهم فحسب، بل تحولهم إلى الترنيم والتسبيح. وسوف يعطيهم الآتي:

أ. «جمالا عوضا عن الرماد». سوف يحول أحزانهم إلى فرح بالسرعة والسهولة التي تستطيع بها أن تنقل خطابا، لأنه إذا قال صار.

ب. «دهن فرح» يجعل الوجه مشرقا «عوضا عن النوح» الذي يشوه الوجه ويجعله قبيحا.

ج. «رداء تسبيح»، ذلك الرداء الجميل كالذي كان يلبس في أعياد الشكر، وذلك «عوضا عن الروح اليائسة»- أفراحا علنية عوض النوح سرا.

(٥) سيكون زارعا، لأن الكنيسة هي غرس الله. وكل ما يعمله المسيح من أجلنا فلكي يجعلنا شعب الله، وبطريقة ما نكون نافعين له مثل الأشجار الحية «مغروسين في بيت الرب في ديار إلهنا يزهرون» حتى يستفيد الآخرون أيضا من فضل الله المشرق على شعبه، ونعمته التي تسطع فيهم، وذلك ليسبحوه، وحتى يتمجد في قديسيه إلى الأبد.

عدد ٤ - ٩

قطعت الوعود هنا لليهود الذين كانوا عائدين للتو من السبي والتي ستمتد لتشمل كنيسة الإنجيل والتي من خلال النعمة نالت الخلاص من العبودية الروحية.

أولا: جاء الوعد بأنه سيعاد بناء بيوتهم (ع ٤)، وأن مدنهم سترتفع ثانية من بين الأطلال. فإقامة المسيحية في العالم عالجت قصور التدين الفطري، وأقامت التقوى والأمانة من أطلالها، التي كانت مصدر لوم وتوبيخ للبشرية كلها لأجيال عديدة. والنفس غير المقدسة تشبه مدينة محطمة، غير أنها بقوة إنجيل المسيح ونعمته أعدت لكي تكون مسكنا لله بواسطة الروح القدس.

ثانيا: أولئك الذين كانوا عبيدا، يعملون لأجل ظالميهم، سيكون لهم الآن عبيد يعملون عملهم «ويقف الأجانب ويرعون غنمكم ويكون بنو الغريب حراثيكم وكراميكم» (ع ٥).

ثالثا: سوف يطلق سراحهم ويشتغلون بكرامة (ع ٦)، وفيما «يقف الأجانب ويرعون غنمكم»، تقومون أنتم بحفظ خدمة المقدس، وبدلا من أن تكونوا عبيدا لمن تعملون لديهم فإنكم «تدعون كهنة الرب»، وهذه دعوة سامية ومقدسة. فالذين يحررهم الله يدفعهم للعمل، فهو ينقذهم من يد أعدائهم لكي يعبدوه (لو ١: ٧٤ و٧٥؛ مز ١١٦: ١٦). غير أن عبادته هي حرية كاملة. وكنيسة الإنجيل هي «كهنوت ملوكي» (١بط ٢: ٩).

رابعا: ثروة ومجد المؤمنين من الأمم ستعود بالفائدة على الكنيسة وسمعتها (ع ٦). فأولئك الذين كانوا غرباء سوف يصبحون «رعية مع القديسين».

WWW.DIFA3IAT.COM

(١) «تأكلون ثروة الأمم» التي تقدم لهم بكل كرامة كالتقدمات التي تقدم للمذبح.

(٢) «وعلى مجدهم تتأمرون»، أي تتعظمون بغناهم. ومهما كان مجد الوثنيين قبل إيمانهم، فسوف يؤول إلى سمعة الكنيسة التي انضموا هم أنفسهم إليها، ومهما كان مجدهم بعد إيمانهم- فإن حماستهم الدينية وتحملهم الألم في صبر، وذلك التغيير المبارك الذي أجرته النعمة الإلهية فيهم- سيؤول إلى حد كبير جدا لمجد الله.

خامسا: سينعمون بفيض من التعزية (ع ٧). وهكذا نال اليهود امتيازا بعد عودتهم، فكانوا في عالم جديد، وعرفوا الآن كيف يقدرون حريتهم. وسوف يفرح بالأكثر جدا أولئك الذين أحضرهم المسيح إلى حرية مجد أولاد الله، ولاسيما بعد أن تستكمل امتيازات تبنيهم في قيامة الأجساد في اليوم الأخير.

(١) «يبتهجون بنصيبهم». وعلى الرغم من أن بيوتهم، والهيكل أيضا قد يكون أكثر وضاعة، إلا أنهم سيكونون «في أرضهم»، الأرض المقدسة، أرض عمانوئيل، ومن ثم سوف يبتهجون.

(٢) «بهجة أبدية تكون لهم» وسوف تستمر مدة أطول من فترة سبيهم. ومع ذلك يجب أن نتطلع إلى استكمال هذا الوعد في الفرح الروحي الذي يكون للمؤمنين بالرب، والفرح الأبدي الذي ينتظرونه في السماء.

(٣) ستكون تعويضا مضاعفا لهم، نظير الخزي والمضايقات التي تعرضوا لها في أرض سبيهم: «عوضا عن خزيكم ضعفان.. لذلك يرثون في أرضهم ضعفين»، فضلا عن بركة الله. وسوف يعترف بهم ليس فقط كأبناء الله بل باعتبارهم ابنه البكر (خر ٤: ٢٢) وبذلك يكونون مستحقين لضعفين. وكما أن محنة سبيهم كانت عظيمة جدا حتى إنه قيل عنهم إنهم قبلوا «من يد الرب ضعفين» عن كل خطاياهم (إش ٤٠: ٢)، هكذا أيضا ستكون أفراح عودتهم عظيمة جدا حتى إنهم سيأخذون عوضا عن خزيهم ضعفين. فالتعويض في الحالة الأولى ينطبق على كمال كفارة المسيح، التي تسلم فيها الله «ضعفين» عن كل خطايانا، أما الأخير فيشير إلى كمال أفراح السماء، والتي نتسلم فيها أكثر من ضعفين نظير كل الخدمات والآلام. وتوضح لنا ذلك حالة أيوب، ذلك أنه حين «رد الرب سبي أيوب... وزاد الرب على كل ما كان لأيوب ضعفا».

سادسا: الله سيكون في عهد معهم (ع ٨): «وأجعل أجرتهم أمينة»، والله في عنايته سينظم أمورهم بما فيه الأفضل لهم. وكمبرر لهذا الوعد وللوعد السابق له، وردت هذه العبارة في الجزء الأول من العدد: «لأني أنا الرب محب العدل». فهو يحب أن يجري العدل بين الناس، سواء بين القضاة والرعايا، أو بين الجيران بعضهم مع بعض، ولذلك فهو يمقت الظلم. وما لم يعمل الناس العدل، فهو يحب أن يجري العدل بنفسه بأن يعوض المظلومين ويعاقب الظالمين. والخدمات الطقسية في الحقيقة لن تكفر إطلاقا عن انتهاك المبادئ الأخلاقية، بل ولن يبرر أية سرقة يقوم بها الإنسان إذا ما قال: «لقد كانت من أجل المحرقات» أو هي قربان- إنها عطية.

سابعا: سوف يعطي الرب نسلهم بركة (ع ٩): «نسلهم» (أولاد أولئك الأشخاص الذين هم مباركو الرب الآن، أو أحفاد الكنيسة) سوف «يخبر عن الرب الجيل الآتي» (مز ٢٢: ٣٠).

(١) «ويُعرف بين الأمم نسلهم»، سوف يميزون أنفسهم، ولاسيما بتلك المحبة الأخوية التي بواسطتها سيعرف كل الناس أنهم تلاميذ المسيح. سوف يمجدهم الله، بأن يجعلهم بركة جيلهم وأدوات مجده.

(٢) سوف يعود مجد هذا إلى الله، لأن كل من يراهم سيرى الكثير من نعمة الله فيهم، حتى إنهم «يعرفونهم أنهم نسل باركه الرب».

عدد ١٠- ١١

نتعلم من هنا أن نفرح فرحا مقدسا، لمجد الله:

(١) في بداية هذا العمل الطيب، أي حين تتسربل الكنيسة بالبر و«الخلاص» (ع ١٠). وفي هذا «فرحا أفرح بالرب». وأول ترنيمة للإنجيل تبدأ هكذا «تعظم نفسي الرب. وتبتهج روحي بالله مخلصي» (لو ١: ٤٦ و٤٧). فالخلاص الذي صنعه الله لليهود، وهذا الإصلاح الذي ظهر بين الناس، جعلهم يظهرون بشكل مجيد كما لو كانوا قد لبسوا ثياب الكرامة. لقد

www.difa3iat.com

كسى المسيح كنيسته بخلاص أبدي، وذلك بأن ألبسها البر والقداسة. ونلاحظ كيف أن هذين الأمرين وردا معا، والذين سيكتسون بثياب الخلاص بعدئذ، هم، وهم وحدهم الذين لبسوا رداء البر الآن. فهكذا يكون جمال نعمة الله في أولئك الذين لبسوا رداء البر.

(٢) في تقدم واستمرارية هذا العمل الطيب (ع ١١). وهو ليس كيوم انتصار، الذي يكون عظيما للوقت الحاضر، ولكنه سرعان ما ينتهي. والكنيسة تبتهج إذ تدرك أن هذه البركات التي لا تقدر سوف تتواصل في الأجيال المستقبلية وتمتد إلى مناطق بعيدة. وسوف تنطلق لأجيال قادمة مثل ثمر الأرض الذي ينتج كل سنة. «وكما أن الجنة تنبت مزروعاتها هكذا السيد الرب ينبت برا وتسبيحا»، وذلك بفضل عهد النعمة. وعلى الرغم من أنه أحيانا يكون الفصل شتاء بالنسبة للكنيسة، حيث تبدو هذه البركات وكأنها قد جفت ولم تعد تظهر، إلا أن أصلها ثابت، وسوف يأتي وقت الربيع، حيث تزدهر ثانية. وسوف تنتشر إلى مسافات بعيدة وتنبت «أمام كل الأمم».

الأصحاح الثاني والستون

كان عمل الأنبياء يتضمن الكرازة والصلاة:

أولا: يقرر النبي على أن يواظب دائما على هذا العمل (ع ١).

ثانيا: لقد عينه الله كما عين آخرين من أنبيائه من أجل تشجيع شعبه عندما تأخر خلاصهم (ع ٦ و٧).

ثالثا: الوعود الخاصة بالأمور المجيدة التي سيعملها الله لليهود إثر عودتهم من السبي، وللكنيسة المسيحية حين تقام في العالم:

(١) ستكون الكنيسة مكرمة في أعين العالم (ع ٢).

(٢) سوف يتضح أنها عزيزة جدا لدى الله، غالية ومكرمة في نظره (ع ٣- ٥).

(٣) سوف تنعم بخير وفير (ع ٨ و٩).

(٤) سوف تعتق من السبي وتنمو ثانية وتصبح أمة عظيمة لها حظوة خاصة لدى السماء (ع ١٠- ١٢).

عدد ١ – ٥

أولا: ما الذي سيصنعه من أجل الكنيسة: كان نبيا، ورائيا، ومتحدثا: «لا أسكت... لا أهدأ».

(١) ما الذي كان النبي مصرا عليه: كان مصرا على ألا يهدأ- سوف يواصل كرازته بكل حماسة، وسوف يواصل صلواته الحارة.

(٢) ما سبب هذا التصميم؟ «من أجل صهيون... ومن أجل أورشليم»، وليس من أجل أية مصلحة خاصة به شخصيا، بل من أجل الكنيسة، لأنه كان يكنُّ محبة خاصة واهتماما فائقا بصهيون إذ كانت مقربة إلى قلبه. إنها صهيون الله وأورشليم الله، ولذلك فهي عزيزة عليه لأنها هكذا على الله.

(٣) أصر على مواصلة لجاجته، حتى يتحقق الوعد ببر الكنيسة وخلاصها، والذي أعطي في الأصحاح السابق. وسوف تواصل نبواته الحديث عن هذه الأشياء، وسوف تكون في كل جيل بقية تواصل الصلاة من أجلها. وعندئذ «يخرج برها كضياء وخلاصها كمصباح يتقد»، وهو نور ليس للعيون فقط، بل للأقدام أيضا، ولسبل أولئك الذين كانوا قبلا «جالسين في الظلمة وظلال الموت».

ثانيا: ما الذي سيصنعه الله لكنيسته:

(١) سوف تنال استحسان الجميع: فحين يخرج ذلك البر، الذي هو خلاصها ومجدها وفخرها، فسوف يخرج «كضياء»، وسوف تراه «الأمم»، بل وحتى كل الملوك سيرون مجدك وبرك، ويحبونهما (ع ٢).

(٢) ستكون جديرة بالإعجاب والاستحسان، فالله هو نبع الكرامة ومنه يتأتى مجد الكنيسة: «وتسمين باسم جديد»، وكل من حولك ستتولد فيهم أفكار جديدة عنك، وسوف يعطيها الله اسمين:

أ. يسميها إكليله: «وتكونين إكليل جمال بيد الرب»، ليس على رأسه (كما لو كان يضيف أي كرامة أو سلطة، كما تفعل الأكاليل لأولئك الذين يتوجون بها) بل بيده، كبهاء وجمال له. «وتكونين إكليل جمال» و«تاجا ملكيا»، في أيدي إلهك الصالح.

ب. سيسميها زوجته (ع ٤ و٥). وهذا يعد شرفا عظيما إذا ما أخذنا في الاعتبار كيف أنها كانت منبوذة ومتروكة. فقد كانت في فترة السبي تدعى «مهجورة» وأرضها «موحشة»، كامرأة طلقت في خزي، أو أرملة منسحقة القلب لا تتعزى. كانت هذه هي حالة الديانة

www.DIFA3IAT.com

في العالم قبل الكرازة بالإنجيل. وعوضا عن اسمين للخزي.. «مهجورة» و«موحشة»، سوف تدعى باسمين للكرامة. ستدعى «حفصيبة» ومعناها «مسرتي بها»، وهذا اسم مناسب لزوجة. ذلك أن الله في نعمته عمل هذا في كنيسته من أجل مسرته، إذ تطهرت وانصلحت ورجعت إليه. كما ستدعى «بعولة» أي ذات بعل (متزوجة) بعد أن كانت مهجورة. وسيرتبط أولادها بكل قلوبهم بأرض موطنهم. «يتزوجك بنوك»، أي أنهم يعيشون معك ويسعدون بك. فحين كانوا في بابل، بدا وكأنهم ارتبطوا بتلك الأرض (إر ٢٩: ٥- ٧)، أما الآن فسوف يعودون ويمتلكون أرضهم «كما يتزوج الشاب عذراء». وإلهها سيسر بكنيسته: «وكفرح العريس بالعروس يفرح به إلهك».

عدد ٦- ٩

ثمة أمران وعدت بهما أورشليم هنا:

أولا: فيض من وسائل النعمة- فيض من الكرازة الجيدة والصلاة (ع ٦ و٧). وقد اتخذت التدبيرات لتحقيق الآتي:

(١) حتى يقوم الخدام بواجبهم كحراس. «على أسوارك... أقمت حراسا لا يسكتون كل النهار وكل الليل على الدوام». عليهم أن ينتهزوا كل فرصة لتحذير الخطاة في وقت مناسب أو غير مناسب، وعليهم ألا يخونوا إطلاقا رسالة المسيح بصمت الجبناء. عليهم ألا يسكتوا أمام عرش النعمة: «يا ذاكري الرب لا تسكتوا».

(٢) حتى يقوم الشعب بواجبهم: عليهم ألا يظنوا في كفاية صلاة الحراس من أجلهم، بل عليهم أن يصلوا من أجل أنفسهم. فشعب الله المؤمن يجب أن يكون شعبا مصليا، ينبغي أن يكون مفعما بحب الصلاة من أجل المنفعة العامة.

ثانيا: فيض من الأشياء الصالحة الأخرى (ع ٨)، كان القمح مأكلا لأعدائهم. وهذا ما كان يمثل ظلما مزدوجا، فهم أنفسهم كانوا يفتقرون إلى ما هو ضروري لحفظ حياتهم، في حين أن أعداءهم كانوا يقتاتون به. وقيل إن الله هو الذي أعطى غلتهم لأعدائهم كعقوبة عادلة لإساءتهم استعمال الوفرة التي أعطاها لهم. والخمر التي تعبوا من أجلها، يشربها الغرباء لإشباع شهواتهم. ولكننا نرى هنا الشبع العظيم والخير الوفير اللذين سيتوافران لهما من جديد (ع ٩): «بل يأكله الذين جنوه ويسبحون الرب». علينا أن نجمع ما يعطينا الله، بكل جهد وعناية، ويجب أن نأكله بحرية وفرح. وعلينا أن نخدمه بالفيض الذي توفر لنا، ونستخدمه لأعمال البر والخير. نأكله ونشربه «في ديار» قدسه، حيث المذبح والكاهن والفقير، يجب أن يكون لكل نصيبه. لقد «حلف الرب بيمينه وبذراع عزته» بأنه سيفعل ذلك من أجل شعبه. إنها لتعزية عظيمة لأولئك الذين يقيمون رجاءهم على وعد الله أن يتيقنوا من «أن ما وعد به هو قادر أن يفعله أيضا» (رو ٤: ٢١).

عدد ١٠- ١٢

هذه الفقرة، كمثيلاتها التي ذكرت آنفا، تشير إلى خلاص اليهود من السبي في بابل، وإلى الخلاص العظيم الذي صنعه يسوع المسيح، وإعلان نعمة الإنجيل والحرية بواسطته.

(١) سيمهد الطريق لهذا الخلاص (ع ١٠). وسوف تفتح أبواب بابل، وسوف يهيأ الطريق من بابل إلى أرض إسرائيل، وتمد الجسور وتبنى عبر أماكن مستنقعات موحلة، وسوف تجمع الأحجار من الأماكن الوعرة الصخرية. وهكذا أُرسل يوحنا المعمدان ليعد «طريق الرب» (مت ٣: ٣).

(٢) سيذاع خبر هذا الخلاص (ع ١١ و١٢). وسوف يُعلن للمسبيين بأنهم معتوقون. ويقال لصهيون من أجل تعزيتها: «هوذا مخلصك آت»، ومعنى هذا أنهم سيدعون «شعبا مقدسا مفديي الرب». «وأجرته معه» (عمله معه بحسب ترجمة أخرى)، وسوف يعمل فيهم وعليهم، ويسميهم شعبا مقدسا، تم شفاؤهم من ميلهم للوثنية، وتكرسوا لله وحده «وجزاؤه أمامه»، الخلاص الذي صنعه لهم، وسوف يدعوهم «مفديي الرب»، وسوف تدعى أورشليم عندئذ: «المطلوبة المدينة غير المهجورة». سوف يسعى الناس إليها ويزورونها كما في الماضي بل وأكثر. وبعد أن سميت أورشليم «المدينة المقدسة»، دعيت كذلك «المطلوبة»، لأن القداسة تفضي إلى الاحترام. غير أنه إذا أعلن هذا

«إلى أقصى الأرض» فلابد وأنها تتضمن إشارة إلى إنجيل المسيح. وقد أعلن بصفة مباشرة للكنيسة، غير أن صداه وصل لكل أمة: «هوذا مخلصك آت». والمسيح ليس هو المخلص فحسب، بل هو الخلاص نفسه. وسوف يدعى المسيحيون «قديسين» (١كو ١: ٢) الشعب المقدس، لأنهم سيسمون «مفديي الرب»

الأصحاح الثالث والستون

أولا: مجيء الرب إلى شعبه بطرق الرحمة والخلاص، وهذا ما يجب أن يضم إلى نهاية الأصحاح السابق حيث قيل لصهيون: «هوذا مخلصك آت»، لأن هذا الأصحاح يبين كيف يأتي (ع ١- ٦).

ثانيا: يقابله شعب الله بالولاء له، وهذا الجزء من الأصحاح يستمر حتى نهاية الأصحاح التالي:

(١) اعتراف عظيم بالنعم الفائقة التي أفاء بها الله عليهم وعرفانهم بها (ع ٧).

(٢) عظم هذه النعم (ع ٨)، وعنايته الرحيمة بهم (ع ٩)، وعدم استحقاقهم (ع ١٠)، ومراحم الرب السابقة (ع ١١- ١٤).

(٣) صلاة من قلب منسحق لكي يتحنن الله عليهم في محنتهم الراهنة ويشملهم برحمته (ع ١٥)، علاقتهم به (ع ١٦)، رغبتهم نحوه (ع ١٧)، غطرسة أعدائهم (ع ١٨ و١٩).

عدد ١ - ٦

نصر مجيد تحقق على أعداء إسرائيل بواسطة عناية الله. وقد جاء هذا النصر على الأدوميين الذين سبق أن تهللوا لدمار أورشليم على يد الكلدانيين (مز ١٣٧: ٧)، هؤلاء الذين أبادوا كل من لاذوا بالفرار من عدوهم وهربوا إليهم (عو ١٢ و١٣)، والذين من أجل ذلك تمت محاسبتهم بعد نهاية السبي. ومع ذلك فقد وضح هذا الانتصار الذي تحقق على أدوم كمثال أو نموذج للانتصارات المماثلة التي تحققت على أمم أخرى كانت من أعداء إسرائيل. غير أن هذا لم يكن كل ما في الأمر: فقد كان ذلك نصرا تحقق بفضل نعمة الله في المسيح على أعدائنا الروحيين. وقد وجد «وهو متسربل بثوب مغموس بدم ويدعى اسمه كلمة الله» (رؤ ١٩: ١٣). ونجد في تصوير هذا الانتصار:

أولا: سؤال يتسم بالاستحسان وجه إلى المنتصر (ع ١ و٢)، وجهته الكنيسة، أو وجهه النبي باسم الكنيسة. فهو يرى بطلا قويا عائدا في انتصار بعد معركة دموية، وكان جريئا حتى أنه وجه له سؤالين:

(١) من هو؟ لاحظ أنه آتٍ من بلاد أدوم، في زي مجيد بالنسبة لجندي حيث كان مخضبا بالدماء والتراب. ولاحظ أنه لم يأت كشخص خائف أو متعب، بل وصف بأنه «البهي بملابسه المتعظم بكثرة قوته». والسؤال: «من ذا الآتي؟» قد يعني: هل لنا أنت أو لأعدائنا؟

(٢) السؤال الثاني هو: «ما بال لباسك محمر؟» ما هو العمل الشاق الذي كنت منخرطا فيه، حتى رجعت منه حاملا علامات الكدح والخطر؟ وهل من الممكن لمن له هذه العظمة أن ينخرط في عمل العبيد «كدائس المعصرة؟»

ثانيا: رده الجدير بالإعجاب على هذا السؤال:

(١) إنه يخبر عن نفسه: «أنا المتكلم بالبر العظيم للخلاص». إنه المخلص وهو يتكلم «بالبر» ولذلك فهو يفي بكل كلمة تخرج من فيه. وهو «العظيم للخلاص»، القادر على أن يحقق الفداء الموعود به.

(٢) يوضح كيف سيظهر على هذا النحو (ع ٣): «قد دست المعصرة وحدي».

أ. حقق النصر بقوته وحده (ع ٣). غير أن شعبه، الذين سينالون هذا الخلاص كانوا ضعفاء لا قوة لهم، يتملكهم اليأس واللامبالاة والفتور (ع ٥): «فنظرت ولم يكن معين وتحيرت إذ لم يكن عاضد»، لم يكن هناك من لديه شجاعة لينضم إلى كورش ضد ظالميه، ولذلك «خلصت لي ذراعي»، ليس بقوة أو قدرة مخلوقة، بل بروح رب الجنود بذراعي، فالرب يستطيع تقديم العون حين تنسد سبل العون ولا يكون ثمة منقذ، لأن هذا هو الوقت المناسب للإنقاذ. ولكن هذا ينطبق تماما على انتصارات المسيح على أعدائنا الروحيين، والتي حققها بمعركة واحدة. لقد داس المعصرة وحده، وانتصر على الرياسات والسلاطين «أشهرهم جهارا ظافرا بهم فيه» (كو ٢: ١٥). وحين دخل المعركة مع قوات الظلمة «تركه التلاميذ كلهم وهربوا».

ب. قام بهذه الحرب بدافع من حماسته. لقد صنع الله الخلاص لليهود المقهورين لأنه كان في غضب شديد من البابليين الظالمين، نتيجة وثنيتهم وغطرستهم وقسوتهم، والمظالم التي ألحقوها بشعبه. وصنع ربنا يسوع خلاصنا بدافع من حماسته لمجد أبيه ومن أجل سعادة البشر، ولغضبه المقدس من جراة هجمات الشيطان ضدهما. ذلك أنه كانت لديه غيرة ضد أعدائه وأعداء شعبه: «لأن يوم النقمة في قلبي» (ع ٤). كانت لديه حماسة من أجل شعبه، ومن أجل كل الذين أراد أن يمنحهم الخلاص العتيد: «وسنة مفديي قد أتت»، وهي السنة المعينة لخلاصهم. وكم كان سعيدا وهو يتحدث عن شعبه، كانوا «مفدييه»، كانوا خاصته المحببين إليه، وعلى الرغم من أن خلاصهم لم يكن قد تحقق بعد، إلا أنه يسميهم «مفدييه»، لأنه كان من المؤكد تماما أن يتمم الخلاص، ومن ثم اعتبره كما لو أنه قد تم بالفعل.

ج. سيحقق نصرا كاملا عليهم جميعا، وكان قد تم عمل الكثير فعلا، لأنه يظهر الآن «بثياب حمر». وفي دمار القوى المعادية للمسيحية نواجه بكثير من سفك الدماء (رؤ ١٤: ٢٠؛ ١٩: ١٣)، ومع ذلك، وطبقا للغة النبوة، يجب اتخاذها بمعنى روحي، ولا ريب أن هذا ما ينطبق على المعنى هنا أيضا.

عدد ٧ - ١٤

يعبر النبي هنا عن اعترافه وشكره لمعاملات الله لكنيسته منذ البداية، قبل أن يأتي في ختام هذا الأصحاح وفي الأصحاح التالي كحارس على الأسوار، حيث يصلي إلى الله بحماسة لشفقته عليها في حالتها الراهنة التي يرثى لها.

أولا: هنا اعتراف عام بصلاح الله دائما نحوهم (ع ٧). وهو يذكر «إحسانات الرب»، ومحبته، وكم هي وفيرة ينابيع الرحمة الإلهية، حتى إنه يتحدث عنها بصيغة منتهى الجموع- «إحسانات». وهو يذكر «تسابيح الرب حسب كل ما كافأنا به الرب» أي الاقرارات المعترفة بمراحمه. وهو يتحدث عن الصلاح الذي من الله: «كل ما كافأنا به الرب»، فيما يتعلق بحياتنا وبالصلاح الذي يصنعه معنا في أمورنا الشخصية؛ وكذلك العائلية. علينا أن نبارك الرب على إحساناته التي يتمتع بها الآخرون وكذلك التي نتمتع نحن أيضا بها. والله يعمل الصلاح لأنه هو صالح، وما يسبغه علينا ينبغي أن نرجعه إلى أصله، إنه «حسب مراحمه» وليس حسب استحقاقنا «وحسب كثرة إحساناته».

ثانيا: خطوات مراحم الله نحو إسرائيل منذ أن أصبحت أمة، بعد أن أخرجهم من مصر وأخذهم في عهد معه: «حقا إنهم شعبي بنون لا يخونون»، فلن يخونوا الله في عهودهم. ولذلك «فصار لهم مخلصا» وأخرجهم من العبودية في مصر، مرات كثيرة منذ أن أصبح مخلصهم. أما السبب الذي حمله على أن يصنع لهم خلاصا فهو «محبته ورأفته». وقد تم التعبير عن هذا هنا بهذا القول العجيب: «في كل ضيقهم تضايق»، إلى هذا الحد كان يتعاطف معهم، لدرجة أن الأذى الذي يلحق بهم يعتبره وكأنه لحق به هو. ولقد حركه صراخهم (خر ٣: ٧)، كما لو كان قد تألم لألمهم: «شاول شاول لماذا تضطهدني؟» «لأنه لا يُذِل من قلبه» (مرا ٣: ٣٣)، ولكنهم إذا ما تذللوا فإنه يتضايق «في كل ضيقهم» مثل الوالدين الحقيقيين حينما يمرض ابن لهما. وهناك ترجمة أخرى لهذه العبارة: «في كل ضيقهم» لم يكن ثمة ضيق أي أنه على الرغم من أنهم كانوا في محنة عظيمة إلا أن الله غيرها لصالحهم، وقد خفف الله وطأتها ومكنهم من تحملها ومواجهتها بصورة عجيبة، حتى أنها انتهت إلى ما فيه خيرهم، وكأنها لم تكن في واقع الأمر محنة. ومتاعب القديسين ليست بضيقات، بل هي علاج، والقديسون يعطون القدرة على وصفها بأنها «خفيفة»، وأنها للحظات عابرة، إذ يتطلعون إلى السماء باعتبارها الكل في الكل، وبذلك لا تهزهم هذه المحن، فأعظم ملاك في السماء، لا ينظر إليه أنه أعظم من أن يرسل في مثل هذه المهمة. وهكذا فقد قيل إن ملائكة الأطفال الصغار ينظرون وجه أبينا الذي في السماوات، (انظر متى ١٨: ١٠). غير أن «ملاك حضرته» يجب أن يفهم أن المقصود به هو يسوع المسيح، الكلمة الأزلي، الملاك الذي تحدث عنه الله مع موسى (خر ٢٣: ٢٠ و٢١)، والذي يجب على إسرائيل أن تسمع له. وهو «ملاك العهد»، الذي أرسله الله إلى العالم (ملا ٣: ١). ملاك وجه الله

WWW.DIFA3IAT.COM

لأنه «صورة الله غير المنظور»، ومجد الله يشرق في وجه المسيح. فذاك الذي كان مزمعا أن يصنع خلاصا أبديا صنع معهم خلاصا زمنيا. وهو لم يخلصهم من العبودية فحسب، بل «فكهم ورفعهم وحملهم كل الأيام القديمة» فقد وقف إلى جانبهم في الحروب التي شنوها على الأمم، وبالرغم من عنادهم وتمردهم فقد احتملهم (أع ١٣: ١٨)، «ولكنهم تمردوا». تمردوا على ولائهم لله وحملوا السلاح ضده: «تمردوا وأحزنوا روح قدسه» وذلك بعدم إيمانهم وتذمرهم. وتمرد أولاد الله غير الشاكرين ضد الله أمر يحزن روحه القدوس. وهذا يحمله على أن يسحب حمايته. فذاك الذي كان أعظم صديق لهم «فتحول لهم عدوا وهو حاربهم»، بدينونة تلو الأخرى، سواء في البرية، وكذلك بعد إقامتهم في كنعان. فالخطية تجعل الله عدوا، وتقود إلى غضب ذاك الذي كله محبة وحنان. والخطاة عن عمد يفقدونه كصديق. وهذا ما يشير بصفة خاصة إلى تلك الكوارث التي وقعت عليهم نتيجة سبيهم في بابل بسبب ممارساتهم الوثنية وخطاياهم الأخرى. «ثم ذكر الأيام القديمة» (ع ١١).

(١) يمكن أن تفهم هذه على أن المقصود بها هو الشعب أو الله.

أ. قد نفهم أن قائلها هو الشعب. فإسرائيل (الذي يجيء الحديث عنه بصيغة المفرد) «ذكر الأيام القديمة»، كان يقول في فكره أين كل عجائبه التي أخبرنا بها آباؤنا، «أين الذي أصعدهم من البحر (من مصر)؟» أليس بمقدوره أن يصعدنا من بابل؟ أين السيد الرب إله إيليا؟ أين إله آبائنا؟ كان آباؤهم شعبا مثيرا للغيظ، ومع ذلك وجدوه إلها غافرا، ولماذا لا يجدونه هكذا إذا ما رجعوا إليه؟ إنهم يستخدمون هذا كمناشدة لله في الصلاة من أجل عودتهم من السبي، مثلما ذكر في إشعياء ٥١: ٩ و١٠.

ب. قد نأخذ العبارة على أن قائلها هو الله، وهو يذكر نفسه بالأيام القديمة، بعهده مع إبراهيم (لا ٢٦: ٤٢): «لماذا لا أعمل لهم الآن مثلما فعلت مع آبائهم الذين كانوا غير مستحقين مثلهم تماما؟» ولعله قال: لقد خلصتهم في الماضي، لكنهم جلبوا على أنفسهم المتاعب: «لذلك لا أعود أخلصكم» (قض ١٠: ١٣). غير أن الرحمة تحول الحجة إلى طريق آخر: «سبق أن خلصتهم وعلى هذا سأخلصهم الآن».

(٢) وأيا كان المعنى الذي نأخذ به هذه العبارة، سواء كانت الشعب الذي يناشد الله، أو كانت لله نفسه، فإنها تعيد إلى الأذهان ما فعله الله لشعبه على يد موسى ولاسيما حين أصعدهم من البحر الأحمر. لقد قادهم الله بيمين موسى (بحسب ترجمة أخرى ع ١٢). حيث جعل له «ذراع مجده». فلم يكن موسى الذي هو قادهم، بل وما كان موسى هو الذي أطعمهم (انظر يوحنا ٦: ٣٢)، بل الله على يد موسى. كان الله هو صاحب القطيع، ولكن موسى كان راعيا تحت إمرته، تمرس على الكدح والصبر ومن ثم أصبح مهيأ للقيام بهذه العناية الرعوية، وذلك لأنه تدرب على أن «يرعى غنم يثرون حميه». وكان في هذا يرمز إلى المسيح الراعي الصالح، الذي وضع نفسه من أجل خرافه. لقد «جعل في وسطهم روح قدسه»، فليست عنايته فقط بل نعمته أيضا عملت من أجلهم. لقد مكنهم من عبور البحر الأحمر بسلام «شق المياه قدامهم» (ع ١٢)، ولذلك فلم توفر لهم ممرا فحسب، بل وحماية أيضا إذ كانت كالجدار على كلا الجانبين. «سيَّرهم في اللجج. كفرس في البرية» (ع ١٣). وإذا جعل الله لنا سبيلا، فهو يجعله سهلا ممهدا. وقد أوصلهم بسلام إلى مكان راحة: «كبهائم تنزل إلى وطاء»، بعناية وحرص، ولذلك «روح الرب أراحهم». وكم من مرة أثناء مسيرتهم دبر لهم أمكنة لإراحتهم (ع ١٤)، وأخيرا جعلهم يستريحون في كنعان، وهكذا أراحهم روح الله حسب الوعد. وقد فعل الله ذلك بذراع مجيده «ذراع مجده»، أو ذراع قوته المجيدة (بحسب ترجمة أخرى).

عدد ١٥ - ١٩

تحمل هذه الصلاة التي تستمر حتى نهاية الأصحاح التالي، في طياتها الإخلاص، واللجاجة والالتماس لله. وقد أختصت بفترة السبي. وكما كانت لهم وعود، فهكذا أيضا كانت لهم صلواتهم المعدة لهم لاستخدامها في وقت الحاجة. وبعض المفسرين الأكفاء يعتقدون أن هذه الصلاة تتطلع إلى أبعد من ذلك، وأنها تعبر عن شكاوى اليهود من رفض الله لهم في الآونة الأخيرة والدمار الذي لحقهم على

أيدي الرومان.

أولا: الالتماس الذي رفعوه إلى الله: «تطلع من السماوات وانظر من مسكن قدسك ومجدك» (ع ١٥). وقداسة الله هي مجده. والسماء مسكنه، وعرش مجده (ع ١٧): «ارجع»، غيِّر نهجك تجاهنا، ارجع برحمتك ودعنا نتمتع بحضورك المجيد بيننا. وشعب الله لا يخشى شيئا قدر خشيته من رحيله عنهم، ولا يرغبون أمرا أكثر من أن يرجع إليهم.

ثانيا: الشكاوى التي تقدموا بها إلى الله:

(١) تخليه عنهم وتركهم لأنفسهم، ولم تخلصهم نعمة الله (ع ١٧). وهذه عبارة غريبة: «لماذا أضللتنا يا رب عن طرقك. قسيت قلوبنا عن مخافتك». البعض يقولون إن هذا كلام الفئة المجدفة العاقة، ذلك أنه حين وبخهم الأنبياء عن خطأ طرقهم، فإنهم بوقاحة بالغة ألقوا على الله تبعة خطيتهم، جعلوه السبب فيها. غير أني أفضل أن آخذها على أنها كلام أولئك الذين كانوا يرثون عدم إيمان شعبهم وعدم توبتهم، وهم لا يتهمون الله بأنه سبب شرهم، بل يشكون حالهم إليه. لقد اعترفوا بأنهم ضلوا عن طرق الرب، وأن قلوبهم تقست عن مخافته، وأن هذا هو سبب أخطائهم. وكلمة «مخافتك» ربما يقصد بها عبادة الله الحقة. وهذا هو ما يشكون منه باعتباره بؤسهم ومحنتهم الكبيرة وهو أن الله نتيجة خطاياهم سمح «بأن يضلوا عن طرقه»، وبعدل حجب عنهم نعمته، وبذلك «قسيت» قلوبهم عن مخافته. وحين تساءلوا: «لماذا فعلت هذا؟»، لم يكونوا ينسبون إليه أي خطأ، بل كانوا يتأسفون على ذلك باعتباره حكما قاسيا. لقد سمح الله بأن يضلوا عن طرقه، وأن تتقسى قلوبهم. بحكم عادل (ع ١٠). ذلك أن متاعبهم أبعدت الكثيرين منهم عن الله، وجعلتهم يتحاملون عن عبادته، وكانت محنهم هي التجارب التي وقعوا فيها، وكانت بالنسبة لكثيرين منهم متاعب لا يمكن التغلب عليها.

(٢) أنهم سلموا لأعدائهم (ع ١٨): «مضايقونا داسوا مقدسك» لم يشكوا من أن مضايقيهم داسوا بيوتهم ومدنهم بل من أنهم داسوا مقدس الله، لأن هذا كان يشكل إهانة مباشرة لله، وقد سلبوا من التعزيات التي كانوا يقدرونها أعظم تقدير.

ثالثا: توسلاتهم من أجل الرحمة والخلاص:

(١) التمسوا رحمته وشفقته اللتين اعتاد أن يعامل بهما شعبه (ع ١٥). وأعظم الحجج التي تساق في الصلاة هي تلك المأخوذة من الله نفسه، فلا يمكن أن تفتر الغيرة الإلهية الحكيمة والعادلة بلا حدود، ولا لتلك القوة الإلهية السرمدية أن تضعف. فهل الله، ذاك الذي يذكر دائما بأنه رحيم، قد نسي ذلك الآن؟ فهل من غضبه حجب رحمته؟ إن هذا ما لا يمكن أبدا.

(٢) استندوا إلى علاقة الله بهم كأبيهم (ع ١٦): إن مراحمك لم تحجب لأنها مراحم أب. ومهما كان الأمر فإن الله صالح لأنه أبونا. وإن كان الأب بعد موته «يكرم بنوه ولا يعلم» (أي ١٤ : ٢١)، لكنك «أنت يا رب أبونا» (آباؤنا بالجسد يمكن أن يقولوا عن أنفسهم إنهم محبون إلى الأبد، غير أنهم لا يعيشون إلى الأبد، إن الله وحده هو الأب السرمدي، الذي يعرفنا دائما ولا يبتعد عنا أبدا)، ولذلك أنت «ولينا منذ الأبد اسمك»، الاسم الذي نعرفك به ونعترف بك به. فنحن فاسدون منحلون حتى إن إبراهيم وإسرائيل لم يعترفا بنا كأولادهما، ومع ذلك نسرع إليك باعتبارك أبانا. لقد تخلى إبراهيم عن ابنه اسماعيل، ولم يورث يعقوب ابنه رأوبين ولعن شمعون ولاوي، غير أن أبانا السماوي، الذي يغفر الخطية لأنه «الله لا إنسان» (هو ١١ : ٩).

(٣) استندوا إلى أنه ربهم: «من أجل عبيدك»، وأية خدمة بمقدورنا عملها فأنت مستحق لها، ولذلك لا ينبغي أن نخدم ملوكا غرباء ونعبد آلهة غريبة: «ارجع من أجل عبيدك أسباط ميراثك» فنحن لسنا عبيدك فحسب، بل نزلاء عندك. فهل تسمح بعد ذلك أن نهان؟

(٤) استندوا إلى أنهم لم يتمتعوا بأرض الموعد ومزايا المقدس إلا لفترة وجيزة (ع ١٨): «إلى قليل امتلك شعب قدسك». ومن إبراهيم إلى داود لم يكن سوى أربعة عشر جيلا، ومن داود حتى السبي لم يكن سوى أربعة عشر جيلا أخرى (مت ١ : ١٧)، وهذه ليست سوى فترة قليلة بمقارنتها بوعد إعطاء «أرض كنعان ملكا أبديا» (تك ١٧ : ٨).

www.difaiat.com

(٥) استندوا إلى أن الذين استولوا على أرضهم هم غرباء لا يعرفون الله: «لم تحكم عليهم»، بل ولم يعرفوا على الإطلاق طاعتك، فهل يسمح الله لأولئك الذين ليست لهم أية علاقة به، أن يدوسوا على أولئك الذين يربطهم به عهد؟

الأصحاح الرابع والستون

تتواصل في هذا الأصحاح تلك الصلاة الحارة:

أولا: يصلون لكي يظهر الله بطريقة رائعة ضد أعدائه وأعدائهم (ع ١ و٢).

ثانيا: ناشدوا الله على أساس ما سبق أن عمله، وما هو مستعد دائما أن يعمله لشعبه (ع ٣- ٥).

ثالثا: اعترفوا بأنهم يستحقون الضيقات التي يعانونها الآن (ع ٦ و٧).

رابعا: التمسوا رحمة الله كأب وأخضعوا أنفسهم لسيادته (ع ٨).

خامسا: كانوا يصلون بحرارة من أجل مغفرة خطاياهم ولكي يصرف الله غضبه عنهم (ع ٩- ١٢).

عدد ١ - ٥

تتضمن هذه الفقرة:

أولا: التماسهم أن يظهر الله لهم بشكل عجيب (ع ١ و٢). وحين يصنع الله خلاصا غير عادي لشعبه، يقال إنه «يشرق»، لكي يظهر قوته، فهكذا هنا أيضا يصلون من أجل أن «يشق السماوات وينزل». وهذا ينطبق على المجيء الثاني للمسيح، حين ينزل الرب نفسه من السماء بهتاف. وهم يرجون أن «من حضرتك تتزلزل الجبال»، وأن نار غضبك تذيب أشد الجبال صلابة وتصهرها مثل المعدن في البوتقة. لتدع الأمور تصل إلى الغليان لكي تحدث ثورة مجيدة لصالح الكنيسة: «كما... تجعل النار المياه تغلي». وهم يودون أن تؤول هذه الأمور إلى مجد الله: «لتعرف أعداءك اسمك»، فليس لأصدقائك فقط، بل لخصومك أيضا. حتى يعرفون «فيرتعدون». واسم الله ما لم يكن برجا حصينا لنا، بمقدورنا أن نهرع إليه وننجو، سيكون حصنا في مواجهتنا، لا نستطيع أن نبلغه لكي نكون في أمان.

ثانيا: ناشدوه على أساس أنه سبق أن صنع العجائب لشعبه.

(١) استندوا إلى ما سبق أن عمله لشعبه إسرائيل حين أخرجهم من مصر (ع ٣): «حين صنعت مخاوف (الضربات التي ضرب بها مصر) لم ننتظرها». ثم إنه نزل على جبل سيناء برعب عظيم حتى أن هذا الجبل والجبال المجاورة «قفزت مثل الكباش» (مز ١١٤: ٤). والبعض يأخذ هذه العبارة على أنها إشارة إلى هزيمة جيش سنحاريب القوي، الذي كان مثالا يدعو إلى الدهشة عن القدرة الإلهية مثلما يحدث عند ذوبان الصخور والجبال.

(٢) ناشدوه على أساس التدبيرات التي صنعها من أجل سلامة وسعادة شعبه:

أ. كانت هذه التدبيرات الإلهية وفيرة جدا (ع ٤). لم يسمع الإنسان أو ير ما يصنع الله «لمن ينتظره». إن هذا من صلاح الله «فما أعظم جودك الذي ذخرته لخائفيك. وفعلته للمتكلين عليك» (مز ٣١: ١٩). الكثير من ذلك الجود أخفي في عصور سابقة. فلم يعرفوه، لأن غنى المسيح الذي لا يستقصى كان مخفيا في الله، أخفي عن الحكماء والفهماء، غير أنه في الدهور الأخيرة أعلنها لنا الإنجيل، هكذا يطبق الرسول بولس هذا (١كو ٢: ٩)، لأنه اتبع ذلك في ١ كورنثوس ٢: ١٠ بقوله: «فأعلنه الله لنا نحن بروحه». فذاك الذي لم يسمعه الناس «منذ الأزل» سوف يسمعونه قبل انتهاء الدهور. ولا يمكن أن يفهم تماما بواسطة الفكر البشري، لأنه أمر روحي، وسوف يفوق كل توقعاتنا إلى حد كبير. وحتى السلام الراهن الذي ينعم به المؤمنون، وسعادتهم المستقبلية سوف تفوق كل عقل (في ٤: ٧). ويجب أن نستدل من أعمال نعمة الله الكريمة، وكذلك من أعمال قوته العجيبة، ومن صلاحه، ومن الأمور العظيمة التي يعملها أنه ليس مثله إله.

ب. هذه التدبيرات دائما حاضرة (ع ٥): «تلاقي الفرح الصانع البر»، تقابله بالخير، بذاك الخير الذي أعددته له (ع ٤)، ولا تنسى «الذين يذكرونك في طرقك». ويا لها من شركة رائعة تلك القائمة بين إله كريم ونفس تقية! ولذلك علينا أن نبتهج في عمل واجبنا، ويجب أن يفرح «الصانع البر»، يجب أن تفرح

نفوسنا في الرب ونرنم أثناء عملنا. وهذا ما يشير إلى الصداقة والشركة والألفة التي يسمح الله بأن تقوم بينه وبين شعبه. سوف يلاقي الصانعين البر ببركات كثيرة، وهو يكون كريما مع أولئك الذين يخدمونه. فهو يقابل شعبه التائب بالمغفرة، مثلما قابل الوالد الابن الضال بعد عودته (لو ١٥: ٢٠). وهو يجيب شعبه المصلي بالسلام فيما هم يتكلمون (إش ٦٥: ٢٤).

(٣) يستندون إلى عدم تغير نعمة الله وثبات وعده: «ها أنت سخطت إذ أخطأنا»، وكنا تحت علامات غضبك، ولكن «في طرقك»، طرق الرحمة التي ذكرناك فيها، في هذه أنت «إلى الأبد» أو أنك مستمر في طرق الرحمة. وباستمراريته في العهد يقوم رجاؤنا في الخلاص، لأن خلاصنا يقوم على أساس أنه عهد أبدي.

عدد ٦- ١٢

مراثي إشعياء- خراب أورشليم على أيدي البابليين وخطية إسرائيل التي جلبت هذا الخراب.

أولا: يعترف شعب الله أثناء محنته بخطاياهم وينوحون عليها. وها هم الآن تحت التوبيخات الإلهية بسبب الخطية فليس أمامهم ما يرتكنون إليه سوى رحمة الله.

(١) كان هناك فساد أخلاقي عام بينهم (ع ٦): «وقد صرنا كلنا كنجس» كشخص غطى البرص جسمه، ومن ثم توجب إبعاده عن المحلة. «وكثوب عِدَّة كل أعمال برنا». أفضل من فينا هم على هذا النحو، كلنا فاسدون ونجسون. وهكذا أيضا حال أفضل أعمالنا. ولم يقتصر الأمر على فساد أخلاقي عام، بل ابتعاد عام عن ممارسة العبادة.

(٢) كان ثمة فتور عام في العبادة بينهم (ع ٧)، وقد أهملت الصلاة بشكل ما: «وليس من يدعو باسمك»، لم يطلبك أحد لتصلح شأننا بنعمتك، أو يطلب رحمتك لكي تخلصنا وتبعد عنا الدينونات التي جلبتها علينا خطايانا. فحتى إن وجد من يدعو باسمك، فإنه يفعل ذلك بلا مبالاة: «ليس من.. ينتبه ليتمسك بك». فأن تصلي يعني أن تمسك بالله، وبالإيمان نتمسك بمواعيد الله التي قطعها معنا بدافع من مشيئته الصالحة. أن نتمسك به ليس كما يمسك المصارع بمن يصارعه، لكن على غرار البحّار الذي يثبت المركب على الشاطئ بخطافه كما لو كان يريد جذب الشاطئ إليه، غير أنه في الحقيقة يشد نفسه إلى الشاطئ، وهكذا فنحن نصلي ليس لكي نملي على الله ما يدور في أذهاننا، بل لكي نخضع نفوسنا لفكره. وأولئك الذين يريدون أن يتمسكوا بالله في الصلاة عليهم أن يدربوا أنفسهم على ذلك، ويجب إخضاع كل ما فينا لهذا الواجب (وكل ما فينا قليل جدا)، فيجب أن يكون ذهننا متيقظا، وعواطفنا مشتعلة.

ثانيا: اعترفوا بأن متاعبهم هي ثمار ونتاج خطاياهم وغضب الله: «صرنا كلنا كنجس»، ولذلك «ذبلنا كورقة» (ع ٦)، ولم نذبل ونفقد جمالنا فحسب، بل سقطنا وقل عددنا (هذا هو معنى الكلمة): ومثل أوراق الشجر في الخريف، يذوي تمسكنا بالديانة، ونجف ونفقد حيويتنا، وبعدئذ «آثامنا كريح تحملنا» وتسرع بنا إلى السبي، ونصبح كالعصافة التي تذريها الريح (مز ١: ٣ و٤).

ثالثا: يذكرون العلاقة التي تربطهم بالله كإلههم، ويتذللون له على أساسها (ع ٨): «والآن يا رب أنت أبونا». فعلى الرغم من حماقتنا وإهمالنا، وعلى الرغم من حالتنا الردية واحتقار أعدائنا لنا، إلا أنه برغم ذلك: «أنت أبونا»، ولذلك نرجع إليك تائبين. الله هو أبوهم، هو الذي أعطاهم كيانهم، وشكلهم شعبا، وعملهم على الشكل الذي يروق له: «نحن الطين وأنت جابلنا»، وعلى هذا فلنا أمل، أنك كما خلقتنا أولا، تعيد خلقنا من جديد، وتصلح أحوالنا، على الرغم من أننا غيرنا وشوهنا أنفسنا: «صرنا كلنا كنجس»، ولكننا «كلنا عمل يديك»، وعلى ذلك «لا تتخل» عنا (مز ١٣٨: ٨). «شعبك كلنا»، «ألا يسأل شعب إلهه» (إش ٨: ١٩)، نحن لك فخلصنا (مز ١١٩: ٩٤).

رابعا: طلبوا من الله بلجاجة أن يصرف عنهم غضبه ويغفر لهم خطاياهم (ع ٩). صلوا لكي يتصالح الله معهم، فحينئذ فقط سوف يشعرون بارتياح سواء استمرت المحنة أم زالت: «لا تسخط كل السخط»، بل ليسكن غضبك بحلم الأب وصفحه ومحبته.

خامسا: كانت حالتهم يرثى لها:

(١) فبيوتهم كانت حطاما (ع ١٠)، مدن يهوذا

دمرها البابليون ونفوا سكانها. «مدن قدسك صارت برية»، وقد سميت مدن يهوذا «مدن قدسك» لأن الشعب كان بالنسبة لله مملكة كهنة، ولذلك ناحوا لخرابها. حتى «صهيون صارت برية»، مدينة داود نفسها أصبحت خربا، و«أورشليم» التي كانت جميلة أصبحت موضع احتقار وخزي الأرض كلها، تلك المدينة النبيلة أصبحت كوما من النفايات.

(٢) بيت الله أصبح حطاما (ع ١١). وما أحزنهم أكثر من أي شيء آخر هو أن «بيت قدسنا... قد صار حريق نار»، كان «بيت قدسنا وجمالنا»، وقداسته كانت في أعينهم أعظم جمال، وبناء على ذلك كان تدنيسه أشد الأمور قسوة بين كل الدمار الذي لحق بهم. كان المكان «حيث سبحك آباؤنا» بذبائحهم وترانيمهم، فيا لها من كارثة أن يصير هذا ترابا ورمادا بعد أن كان على مر أجيال عديدة موضع فخر أمتهم. «كل مشتهياتنا صارت خرابا»، كل الأشياء التي كانوا يستخدمونها في عبادة الله، وليس أثاث الهيكل فقط، المذابح والمائدة، بل السبوت وكل أعيادهم المجيدة أيضا، والتي اعتادوا أن يحتفلوا بها بفرح ومسرة.

سادسا: اختتموا صلاتهم بالتحاجج مع الله بكل خشوع بشأن محنتهم الراهنة (ع ١٢): «ألأجل هذه تتجلد يا رب؟» حين تعرضنا للإساءة لم نحرك ساكنا لأن الانتقام ليس من شأننا. وحين يساء إلى الله في كرامته فمن العدل أن نتوقع أن يتكلم الله دفاعا عن ذلك، ولكن شعبه لا يملي عليه ما يقوله، غير أن صلاتهم كانت «اللهم لا تصمت» (مز ٨٣: ١) تكلم من أجل إدانة أعدائك، وتحدث من أجل تعزية وراحة شعبك. فهل «تسخط كل السخط» علينا؟ سبق أن قال الله إنه «لا يحاكم إلى الأبد»، ومن ثم فإن شعبه يعتمد على ألا تبلغ بلاياهم مداها، ولا تكون أبدية، بل «خفيفة» وإلى لحيظة.

الأصحاح الخامس والستون

هنا يأتي ختام هذه النبوة الإنجيلية، التي يوجهنا الأصحاحان الأخيران منها إلى التطلع بعيدا إلى الأمام، إلى سموات جديدة وأرض جديدة، العالم الجديد الذي سيحققه التدبير الخاص بالإنجيل. ولماذا يبدو سخيفا أن يتحدث النبي هنا عما شهد له كل الأنبياء (١بط ١: ١٠ و١١). فرفض اليهود ودعوة الأمم كثيرا ما ذكرا في العهد الجديد كأمر سبق أن تنبأ به وتحدث عنه الأنبياء (أع ١٠: ٣٤؛ ١٣: ٤٠؛ رو ١٦: ٢٦).

ونجد في هذا الأصحاح:

أولا: ترحيب الأمميين بدعوة الإنجيل (ع ١).

ثانيا: رفض اليهود لعنادهم وعدم إيمانهم (ع ٢- ٧)،

ثالثا: خلاص بقية بالإتيان بهم إلى كنيسة الإنجيل (ع ٨- ١٠).

رابعا: دينونات الله التي ستتبع اليهود المرفوضين (ع ١١- ١٦).

خامسا: البركات المحفوظة للكنيسة المسيحية (ع ١٧- ٢٥). غير أن هذه الأمور تم التنبؤ بها هنا في التشبيه بالاختلاف الذي سيحدثه الله بين بعض اليهود بعد سبيهم، وبين أولئك الذين خافوا الله وأولئك الذين لم يفعلوا.

عدد ١ – ٧

أخبرنا بولس الرسول ما هو الحدث الذي أشير إليه، وأقصد دعوة الأمميين ورفض اليهود، وذلك بواسطة الكرازة بالإنجيل (رو ١٠: ٢٠ و٢١). وهو يلاحظ أن إشعياء تحدث بجسارة حين أبلغ اليهود بهذا الأمر، الذين اعتبروا هذا إهانة عظيمة لأمتهم.

أولا: تم التنبؤ هنا بأن الأمميين، الذين كانوا بعيدين جدا، يجب أن يؤتى بهم (ع ١). ويترجم بولس هذه العبارة على النحو التالي: «وجدت من الذين لم يطلبوني وصرت ظاهرا للذين لم يسألوا عني».

(١) أولئك الذين كانوا مدة طويلة بلا إله في العالم سوف يشرعون الآن في طلبه، ومن لم يسألوا: أين هو الله خالقي؟ سوف يبدأون في ذلك الآن. نرى هنا مدى سعادة الله وهو يتحدث عمن بدأوا في السعي ورائه لأنه يكون فرح عظيم في السماء بالخطاة الذين يتوبون.

(٢) سوف يقابل الله صلواتهم ببركاته: «وجدت من الذين لم يطلبوني». وهذه المعرفة السعيدة وهذا التفاهم الذي تم بين الله والأمم بدأ من جانبه هو؛ بالرغم من أنه وجد فيما بعد لمن يطلبونه (أم ٨:

١٧)، إلا أنه في الأول وجد من الذين لم يطلبوه، لذلك «نحن نحبه لأنه هو أحبنا أولا».

(٣) أعطى الله فرصة ليستعلن لأولئك الذين لم يسبق لهم أن آمنوا بأية ديانة: «قلت هأنذا هأنذا لأمة لم تُسمَّ باسمي» كما كان عليه حال اليهود لأجيال عديدة. وقد قال المسيح: هأنذا، انظروا إليَّ بعين الإيمان: انظروا إليَّ واخلصوا.

ثانيا: تم التنبؤ هنا أن اليهود، الذين كانوا منذ زمن طويل شعبا قريبا من الله، سوف ينبذون ويبعدون (ع ٢). والرسول بولس يطبق هذا على اليهود المعاصرين له: «أما من جهة إسرائيل فيقول طول النهار بسطت يدي إلى شعب معاند ومقاوم»

(١) كيف نال اليهود حظوة لدى النعمة الإلهية. فالله نفسه، بواسطة أنبيائه، وبواسطة ابنه، ومن خلال رسله: «بسط يديه إليهم»، كمن يحاججهم ويعاتبهم. وحين صلب المسيح بسط يديه ومدهما وكأنه يتهيأ للترحيب بالخطاة العائدين. لقد انتظر لفيض كرمه، ولم يمل الانتظار، حتى أولئك الذين جاءوا «في الساعة الحادية عشرة» لم يرفضهم.

(٢) استهانوا بالدعوة، دعوا لوليمة العرس، غير أنهم لم يأتوا، «فرفضوا مشورة الله من جهة أنفسهم». وسوف يعرف العالم أن الله كان محقا في رفضهم. كانوا شعب صلب الرقبة، فهم يصرون على عمل ما يرونه بغض النظر عما إذا كان صوابا أم خطأ.

لقد عرفهم الله أفكاره، وقصده ومشيئته، لكنهم ساروا «وراء» أفكارهم، يعملون ما يعتقدون أنه الأفضل. كان هذا هو المأخذ الذي أغضب الله منهم– لقد أحزنوه، أغاظوا روحه القدوس، كما لو كانوا يتآمرون كيف يجعلونه عدوا لهم. ولقد تحدث النبي بوجه خاص عن «آثامهم وآثام» آبائهم باعتبارها هي التي دفعت الله إلى نبذهم (ع ٧). أما أشهر الخطايا التي أغاظ بها آباؤهم الرب فهي الوثنية. وهي أيضا الخطية التي دفعت بهم إلى السبي، وعلى الرغم من أن فترة السبي شفتهم تماما من ممارساتهم الوثنية، إلا أنه حينما دمرت هذه الأمة بشكل نهائي، فإن هذه أخذت في الحسبان ضدهم. ولعله كان هناك كثيرون، بعد السبي بمدة طويلة ممن تزوجوا بنساء أجنبيات، إلا أنهم لم يتعبدوا لآلهة وثنية. لقد هجروا هيكل الله، وكانوا يذبحون «في الجنات» أو «في المدافن» ويفعلون ذلك بحسب طرقهم، لأنهم لم يحبوا وصايا الله. لقد هجروا مذبح الله، وكانوا يبخرون «على الآجر»، على مذابح من صنعهم بالمقارنة بالمذبح الذهبي الذي عينه الله لهم: كانوا يلجأون إلى العرافة أو استشارة الموتى، ومن يفعل ذلك كان «يجلس في القبور ويبيت في المدافن». وانتهكوا ناموس الله بالنسبة لطعامهم وتجاهلوا الفرق بين الطاهر والنجس قبل أن يبطل الإنجيل كل هذا. كان الشعب «يأكل لحم الخنزير وفي آنيته مرق لحوم نجسه». واللحم الممنوع سمي «مكروه»، والذين يقربونه يوصفون بأنهم يدنسون أنفسهم (انظر لاويين ١١: ٤٢ و٤٣). ولعل الأمر هنا جاء رمزيا ليشير إلى كل الملذات المحرمة. ولكن أولئك الذين يتباهون ويجازفون باقتحام حدود الخطية معرضون لخطر الوقوع في أعماقها. وإثم اليهود في زمن وجود مخلصنا بالجسد كان يتمثل في كبريائهم وريائهم، خطية الكتبة والفريسيين التي شجبها المسيح بويلات كثيرة (ع ٥) «يقول قف عندك»، استمر مع أصحابك، ولكن «لا تدن مني» لئلا تدنسني: «لا تدن مني لأني أقدس منك». «هؤلاء دخان في أنفي» مثل الدخان الذي لا يتأتى من نار متقدة، هذا الذي سرعان ما يلمع ويصبح مسرا، بل من نار خشب مبتل، تظل «متقدة كل النهار»، ولكنها ليست سوى دخان. والدليل ضدهم واضح: «ها قد كتب أمامي». فسوف تأتي «آثام آبائهم» ضدهم، وليس فقط آثامهم (عز ٩: ١٣): «آثامكم وآثام آبائكم معا» والتي كل منها تزيد بشاعة عن الأخرى، سوف تكال «في حضنهم».

عدد ٨– ١٠

هذا ما فسره بولس (رو ١١: ١– ٥)، حيث أنه بسبب رفض اليهود، ثار السؤال: «ألعل الله رفض شعبه» ولكنه أجاب: «حاشا... حصلت بقية حسب اختيار النعمة». ذلك أن بعض اليهود سيعتنقون الإيمان بالمسيح، وسوف ينضمون إلى الكنيسة، وهكذا يخلصون. وقد قال لنا مخلصنا إنه «لأجل المختارين» تقصر أيام دمار اليهود، ويوضع حد لها (مت ٢٤: ٢٢).

أولا: وضح هذا الكلام هنا بمقارنة (ع ٨). حين تذبل الكرمة حتى يبدو أنه لا يوجد «سلاف»– أي

عصارة- أو حياة بها، ويميل الكرام إلى قطعها، إلا أنه إذا ما وجد بها عصارة، قليلة جدا ولو في عنقود واحد، هنا يقول قائل: «لا تهلكه لأن فيه بركة»، هناك حياة في الجذر. وأحيانا ما يتغاضى الله عن مدن وأمم بأكملها من أجل قلة قليلة.

ثانيا: ممن سوف تؤلف هذه القلة الناجية:

(١) هم ممن يعبدون الله: «لأجل عبيدي» (ع ٨)، «وتسكن عبيدي هناك» (ع ٩). فعبيد الله الأمناء يخدمون جيلهم.

(٢) هم ممن يطلبون الله، ويجعلون ذلك شغلهم الشاغل.

ثالثا: لمحة عن الرحمة التي يذخرها الله لهم: سوف تكون للبقية إقامة سعيدة في أرضهم: باعتبارهم من نسل يعقوب، وهؤلاء يرمزون إلى بقية يعقوب ممن سينضمون إلى كنيسة المسيح بالإيمان. وسوف يكونون ورثة «لجبالي»، الجبال المقدسة التي شيدت عليها أورشليم والهيكل. وسوف تكون لهم مراع خضراء لغنمهم (ع ١٠)، ذلك أن «شارون» و«وادي عخور» سيمتلآن ثانية بالغنم. وسوف يستعيدون ملكية الأرض كلها. ووصايا الإنجيل وأحكامه هي الحقول والوديان التي «يدخل ويخرج ويجد مرعى» فيها كل خراف المسيح. وهناك تربض (مز ٢٣: ٢)، كما تفعل قطعان إسرائيل في «وادي عخور» (هو ٢: ١٥).

عدد ١١- ١٦

الحالة المتباينة للأبرار والأشرار، لليهود الذين آمنوا، وأولئك الذين يصرون على عدم إيمانهم.

أولا: المصير المرعب الذي ينتظر أولئك الذين يصرون على وثنيتهم بعد الخلاص من السبي في بابل، وعلى عدم إيمانهم بعد الكرازة بإنجيل المسيح.

(١) لقد هدد هنا بهذا المصير: «فإني أعينكم للسيف»، كما تعين الخراف للذبح، ولن يكون مفر: «وتجثون كلكم للذبح» (ع ١٢).

(٢) الخطايا التي جلبت عليهم السيف:

أ. الوثنية هي الخطية القديمة (ع ١١): أنتم الذين عوض أن تعبدوني كشعبي، أصبحتم الذين «تركوا الرب» ابتعدوا عنه ليعبدوا ألهتهم، «ونسوا جبل قدسي» لكي يوقدوا بخورا على جبال أوثانهم (ع ٧)، لقد تركوا الإله الحقيقي وحده. «رتبوا للسعد الأكبر مائدة»، وهذه عبادة أوثان، و«للسعد الأصغر خمرا ممزوجة».

ب. عدم الإيمان كان خطية اليهود اللاحقين (ع ١٢): «دعوت فلم تجيبوا»، الأمر الذي يشير إلى نفس الرفض (ع ٢)، وهذا ينطبق على أولئك الذين رفضوا الإنجيل. لقد نادى ربنا يسوع نفسه.. «وقف يسوع ونادى» (يو ٧: ٣٧)، لكنهم لم يجيبوا. وليس بالأمر الغريب على أولئك الذين لم يقتنعوا باختيار الأفضل، أن يستمروا في اختيارهم للشر.

ثانيا: هول هذا المصير، وذلك إذا ما أخذنا في الاعتبار حالة أولئك الذين تابوا وآمنوا، وبركة أولئك الذين يعبدون الله، والحالة المرعبة لأولئك الذين يتمردون عليه وقد وضعتا إحداهما بالتقابل مع الأخرى حتى توضح كل منهما حقيقة الأخرى بكل جلاء (ع ١٣- ١٦). وسوف يضاعف من حزن أولئك الذين يهلكون أن يروا سعادة عبيد الله، خاصة عندما يتذكرون أنه كان بمقدورهم أن يشاركوهم هذه السعادة لولا حماقتهم وجريهم وراء الخطية. والفرق بين حالتيهما تكمن في أمرين:

(١) من جهة التعزية والشبع: لن يفتقر عبيد الله شيئا مما هو لصالحهم. أما أولئك الذين باعوا أنفسهم للعالم، فسوف يجوعون ويعطشون، ويكونون دائما فارغين، دائما يشتهون، ليس الخبز، الذي يتخم لكنه لا يعطي الاكتفاء والرضى. وعبيد الله «يفرحون» ويترنمون لفرح قلوبهم. والسماء ستكون عالم الفرح الأبدي لكل الذين يزرعون بالدموع. غير أنه، على صعيد آخر، أولئك الذين يتركون الرب سيحرمون أنفسهم من كل فرح حقيقي، لأنهم «يخزون»، لثقتهم الباطلة واتكالهم على برهم الذاتي وآمالهم الزائفة.

(٢) من ناحية الكرامة والسمعة (ع ١٥ و١٦): «ذكر الصديق للبركة واسم الأشرار ينخر». واسم الوثنيين سيكون «لعنة لمختاري» (لمختاري الله) أي كتحذير لهم. واسم مختاري الله سيكون بركة: «ويسمى عبيده اسما آخر». وأبناء الموعد سيدعون «مسيحيين»، وتحت ذلك الاسم ستضمن لهم كل وعود العهد الجديد ومزاياه. فالاسم الآخر لن يقتصر على أمة دون أخرى، ولكن معه تحل بركة على الأرض في كل العالم.

www.DIFAIAT.com

فسوف يكون لله عبيد من كل الأمم، وسوف يباركون أنفسهم «بإله الحق». ويمجدون الله في صلواتهم وفي أقسامهم. هذا جزء من الإكرام الذي يجب أن نوليه لله؛ إذ يجب أن نسعد أنفسنا فيه، أي، يكون لدينا ما يكفي لسعادتنا، فلا نرغب في المزيد. وأهل العالم يسعدون أنفسهم بكثرة ما لديهم من خيرات العالم (مز ٤٩: ١٨؛ لو ١٢: ١٩) غير أن عبيد الله يباركون أنفسهم فيه، باعتبار أنه إله قادر على أن يدبر لهم كل احتياجاتهم، وسوف يمجدونه باعتباره «إله الحق» (الإله الأمين، هكذا معنى الكلمة)، والبعض يأخذون هذه العبارة على أنها تشير إلى المسيح، الذي «فيه النعم وفيه الأمين». بالنسبة لكل المواعيد (٢ كو ١: ٢٠)، وسوف يمجدونه باعتباره الذي يجري هذا التغيير المبارك، الذي جعلهم ينسون كل متاعبهم السابقة، حيث ابتلعت ذكراها في تعزياتهم الراهنة.

عدد ١٧ – ٢٥

وإذا كانت هذه المواعيد قد تحققت بشكل جزئي حين استقر اليهود– بعد عودتهم من السبي– في أمن وسلام في أراضيهم، وأحضروا إلى عالم جديد، إلا أن استكمالها النهائي سيتحقق في كنيسة الإنجيل، في النعم والتعزيات التي للمؤمنين في المسيح ومن المسيح، إلا أنه علينا أن نتطلع إلى هذه السماء الجديدة والأرض الجديدة. ذلك أنه في الإنجيل «الأشياء العتيقة قد مضت. هوذا الكل قد صار جديدا»، وبواسطته «إن كان أحد في المسيح فهو خليقة جديدة» (٢كو ٥: ١٧). إنه تغيير عظيم وبهيج ذاك الذي وصف هنا.(ع ١٦): «الضيقات الأولي قد نسيت»، ولكن التغيير هنا ارتفع أكثر فأكثر: «فلا تُذكَر الأولى ولا تخطر على بال». حين تصالح الله معنا، الأمر الذي أعطانا سموات جديدة، تصالحت معنا المخلوقات أيضا، الأمر الذي أعطانا أرضا جديدة.

أولا: سوف تكون أفراحا جديدة. وكل أصدقاء الكنيسة، وكل من ينتمون إليها سوف يبتهجون (ع ١٨): «بل افرحوا وابتهجوا إلى الأبد في ما أنا خالق لأني هأنذا خالق أورشليم بهجة وشعبها فرحا». ولن تبتهج الكنيسة فحسب، بل ستكون مصدر فرح أيضا. ذلك أن ازدهار الكنيسة سيكون سبب فرح لله نفسه، الذي يفرح بنجاح عبيده (ع ١٩): «فأبتهج بأورشليم وأفرح بشعبي» لأنه «في كل ضيقهم تضايق». ولن تكون هناك نهاية لهذا الفرح: «ولا يُسمع بعد فيها صوت بكاء ولا صوت صراخ». ولكن ذلك سيتحقق بشكل كامل في السماء، فهناك «يمسح الله كل دمعة».

ثانيا: ستكون هناك حياة جديدة (ع ٢٠). الموت المفاجئ نتيجة السيف أو المرض لن يُعرف بعد (ع ١٩). والمؤمنون بالمسيح سيقنعون بحياتهم على الرغم من أنها قد تكون قصيرة جدا على الأرض وحتى الصبي «يموت ابن مئة سنة»، لأنه سيقوم ثانية في ملء الزمان، سيقوم إلى حياة أبدية. أما بالنسبة للشيخ فجاء الوعد بأنه «يكمل أيامه»، بثمار البر التي سيأتونها في شيخوختهم. فالشيخ الحكيم الصالح والنافع يمكن أن يقال عنه بحق أنه «كمل أيامه». أما الشيوخ الذين تعلقت قلوبهم بمحبة العالم فلن يكملوا أيامهم إطلاقا. ذلك أن غير المؤمنين لن يشبعوا في حياتهم ولن يشعروا بالسعادة فيها، على الرغم من أنها قد تكون طويلة جدا. «والخاطئ»، على الرغم من أنه قد يعيش حتى يصبح «ابن مئة سنة»، فسوف «يُلعَن»، وما حياته الطويلة إلا حياة انتظار لتنفيذ حكم الإعدام. ولذلك فالأمر لا يرتبط بطول حياتنا على الأرض أو بقصرها، بل ما يهم هو هل نحيا حياة القديسين أم حياة الخطاة؟

ثالثا: سيكون هناك تمتع جديد بتعزيات الحياة. ففي حين أنها كانت في الماضي محفوفة بالمخاطر ويكتنفها الغموض، إلا أنها ستكون الآن على النقيض من ذلك أنهم: «يبنون بيوتا ويسكنون فيها ويغرسون كروما ويأكلون أثمارها» (ع ٢١ و٢٢). ولن يقتحم الغرباء مساكنهم ليطردوهم، مثلما حدث في بعض الأحيان في الماضي: «ويستعمل مختاري عمل أيديهم»، لقد حصلوا عليها بأمانة، وسوف تبقى طويلا، إنها «عمل أيديهم»، الذي تعبوا فيه، وليس «خبز الكسل» ولا «خبز الكذب». وإذا ما عشنا لنتمتع بها طويلا، فسوف يكون ذلك هبة العناية الإلهية، لأنه وعد بهذا الصدد: «كأيام شجرة أيام شعبي»، كأيام «البلوطة» (إش ٦: ١٣)، التي على الرغم من أنها تفقد أوراقها كل شتاء غير أنها تستمر لسنوات طويلة. مثل أيام «شجرة الحياة» (بحسب الترجمة السبعينية).

WWW.DIFA3IAT.COM

رابعا: سوف يقوم جيل جديد بدلا منهم ليرثوا هذه البركات ويتمتعوا بها (ع ٢٣): «لا يتعبون باطلا»، لأنهم لن يتمتعوا بـ«عمل أيديهم» هم أنفسهم فحسب، بل سيتركوه أيضا لمنفعة أولئك الذين يأتون بعدهم. فالله سوف يجعل أولادهم سبب تعزية لهم، فسوف يكون لهم فرح عند رؤيتهم يسيرون في الحق. وسيجعل الأوقات الآتية أوقات عزاء لأولادهم.

خامسا: سوف يكون ثمة علاقة طيبة بينهم وبين إلههم (ع ٢٤): «قبلما يدعون أنا أجيب». وسوف ينتظر الله صلاتهم وسوف يكافئها ببركات صلاحه. فوالد الابن الضال خرج للقائه عند عودته. واستعداد الله لسماع الصلاة يظهر في عهد نعمة الإنجيل بأكثر مما عليه الحال في عهد الناموس.

سادسا: ستكون هناك علاقة طيبة بينهم وبين جيرانهم (ع ٢٥): «الذئب والحمل يرعيان معا». وعلى الرغم من أن شعب الله كحملان وسط ذئاب، إلا أنه لن يصيبهم أحد بسوء، لأن الله لن يكتفي بأن يكسر شوكة أعدائهم كما حدث في الماضي، بل سيغير قلوبهم وأمزجتهم بنعمته. ذلك أن بولس، الذي كان يضطهد التلاميذ (ولكونه من سبط بنيامين فهو «ذئب يفترس» (تك ٤٩: ٢٧) إلا أنه حين انضم إليهم وأصبح واحدا منهم هنا كان «الذئب والحمل يرعيان معا». سوف يتغير الناس: «فالأسد» لن يكون مفترسا فيما بعد، بل «يأكل التبن كالبقر» وسوف يعرف قانيه، ومعلف قانيه، مثل الثور. فحين تعمل نعمة الله تحول الذين يعيشون على السلب والنهب، بهدف إثراء أنفسهم فحسب، صوابا كان أم خطأ- تحملهم على العيش بأمانة- وحين يكف السارقون عن السرقة، وعلى العكس يعملون بأيديهم ما هو صواب- هنا تكون هذه النبوة قد تحققت، وهنا «الأسد يأكل التبن كالبقر». سوف يُقيد الشيطان، وكذلك التنين: «أما الحية فالتراب طعامها». ذلك العدو الرهيب الذي أتخم نفسه بدم القديسين الثمين، والذين بتحريضه تم اضطهادهم، بل إنه نتيجة غوايته حمل الخطاة على أن يهلكوا نفوسهم الثمينة إلى الأبد، أما الآن فسوف يكون «التراب طعامها» وذلك طبقا للحكم الصادر ضدها: «على بطنك تسعين وترابا تأكلين» (تك ٣: ١٤). سوف يحكم المسيح كملك صهيون حتى يخضع كل أعداء ملكوته تحت قدميه.

الأصحاح السادس والستون

العدد الأول من هذا الأصحاح طبقه إستفانوس على بطلان الهيكل بعد تأسيس الكنيسة المسيحية (أع ٧: ٤٩ و٥٠)، الأمر الذي قد يكون مفتاحا لهذا الأصحاح كله.

أولا: احتقار الله للخدمات الطقسية بالمقارنة مع الواجبات الأخلاقية (ع ١- ٤).

ثانيا: الخلاص الذي سوف يصنعه الله لشعبه في الوقت المناسب حين يخلصهم من أيدي مضطهديهم (ع ٥)، متكلما بالرعب على هؤلاء الذين يضطهدونهم (ع ٦)، أما بالنسبة للمضطهدين فسوف يصنع لهم خلاصا سريعا وكاملا (ع ٧- ٩)، واستقرارا سعيدا (ع ١٠ و١١)، ثم انضمام الأمم لهم (ع ١٢- ١٤).

ثالثا: انتقام الله الرهيب من أعداء كنيسته وشعبه (ع ١٥- ١٨).

رابعا: التأسيس السعيد للكنيسة على أسس عريضة وأكيدة (ع ١٩- ٢٤). ولنا أن نتوقع أنه لابد للنبي الإنجيلي، في ختام نبوته أن يتطلع إلى المستقبل البعيد، إلى اليوم الأخير، وأيام الأبدية.

عدد ١ - ٤

أولا: احتقار الهيكل بالمقارنة بنفس ثمينة (ع ١ و٢). لقد تنبأ الأنبياء والمسيح بخراب الهيكل، وبأن الله سيتركه وبعد ذلك سرعان ما يدمر. وبعد أن دمره البابليون سرعان ما استعاد مكانته وعادت ممارسة العبادات الطقسية معه، إلا أن دمار الرومان له كان أبديا، وأبطل معه الناموس الطقسي. والسماء هي عرش مجد الله. والأرض موطئ قدميه، حيث يقف ويدير كل شئونها طبقا لمشيئته. وإذا كان لدى الله مثل هذا العرش المنير، وهذا المكان الهائل لموطئ قدميه، إذا: «أين البيت» الذي يبنونه لله، الذي يمكن أن يكون مسكنا لمجده، أو أين يكون «مكان» راحته: وما هو الرضى الذي يمكن أن يشعر به الإله الأزلي في بيت صنعته يد البشر؟ فهو إن طلب بيتا ليسكن فيه، لكان قد صنعه لنفسه حين خلق العالم،

www.DIFAAT.com

إنه ليس في حاجة إلى هيكل مصنوع بأيدي بشر. ولن يعيره اهتماما مقارنة بقلب تائب متواضع. ذلك أن له سموات وأرض من صنعه، وهيكل من صنع الإنسان، ولكنه يتغاضى عن ذلك كله، إذ أنه يتطلع بنعمته إلى المسكين بالروح، والمتواضع، والجاد، الذي ينكر ذاته، ويذلل نفسه، وقلبه منسحق ونادم حقا على الخطية، تائبا عنها، فالله متلهف إلى غفرانها. ومثل هذا القلب هو هيكل حي لله، فهو يسكن هناك، وهذا هو مكان راحته، وهو مثل السماوات والأرض، عرشه وموطئ قدميه.

ثانيا: الذبائح لا يعتد بها حين تقدم من أيدي الأثمة: «ذبيحة الأشرار» ليست غير مقبولة فحسب، بل هي «مكرهة الرب» (أم ١٥ : ٨)، وهذا ما وضح بالتفصيل في عددي ٣ و٤. فاليهود الجسديون، بعد عودتهم من السبي، أهملوا للغاية عبادة الله، فقد قربوا «الأعمى ذبيحة» وكذلك «الأعرج والسقيم» (ملا ١ : ٨، ١٣)، وهذا ما جعل عبادتهم مكرهة لله. و«من يذبح ثورا» لنفسه فيرحب به، أما الذي يفعل ذلك ليقدمه لمذبح الله، فهو يشبه «قاتل إنسان». ومن يفعل ذلك فهو في الواقع يهمل ذبيحة المسيح. «من يذبح شاة»، فإذا كانت معيبة وليست أفضل ما عنده، فإنه بذلك يسيء إلى الله بدلا من أن يسره. وهو يشبه «ناحر كلب»، وهو مخلوق نجس في عين الناموس، ولم يكن مسموح إطلاقا أن يؤتى بثمن كلب إلى الخزانة (تث ٢٣ : ١٨) و«من يصعد تقدمة» أو «سكيبا» ينظر إليه كمن «يصعد دم خنزير»، وهو حيوان لا يجب أكله أو لمسه و«مرقه» نجس (إش ٦٥ : ٤) فكم بالحري دمه! «من أحرق لبانا» فهو بهذا يظهر احتقارا لبخور شفاعة المسيح، فهو مثل «مبارك وثنا». فشرهم جعل ذبائحهم مكرهة للرب. «هم اختاروا طرقهم»، طرق قلوبهم الشريرة «وبمكرهاتهم سرت أنفسهم». كانوا فاسقين منحلين، اختاروا طريق الخطية بدلا من طريق وصايا الله، وهذا ما جعل ذبائحهم بغيضة لدى الله (إش ١ : ١١ – ١٥). لقد سدوا آذانهم عن سماع كل تحذيرات العدل الإلهي، وكل عروض النعمة الإلهية. «اختاروا طرقهم»، ولذلك يقول الله: «فأنا أيضا أختار مصائبهم». لقد «اختاروا»، والآن «أنا أيضا أختار»، لقد اختاروا ما راقهم من جهتي، وأنا الآن أختار ما أسر به من جهتهم. سوف يجعل من خطيتهم عقابا لهم، وأوهامهم ستسرع بهم إلى هلاكهم.

عدد ٥ – ١٤

بعد أن أعلن النبي أحكام الله ضد هذا الشعب المرائي، الذي سخر من كلمة الله، نراه يحول كلامه هنا إلى «المرتعدون من كلامه» وذلك لكي يعزيهم ويشجعهم. سوف لا تشملهم الدينونات الآتية على أمتهم غير المؤمنة. كلمة الله تحتفظ بتعزيات لأولئك الذين بتذلل حقيقي بسبب الخطية مستعدون لقبولها. فهناك هؤلاء الذين حين تكلم الله «فلم يسمعوا»، غير أنه إذا ما ارتعد القلب «من كلامه» سوف تنفتح الأذن له.

أولا: سوف يدافع الله عن قضيتهم العادلة والتي أسيء إليها من قبل مضطهديهم (ع ٥): «قال إخوتكم الذين أبغضوكم.... ليتمجد الرب»؛ فيظهر لفرحكم. كان الرسل يهودا بحسب المولد، ولكن حتى في مدن الأمميين كان اليهود الذين يقابلونهم من أشد أعدائهم مرارة وحقدا عليهم، وكان يحرضون الأمميين ضدهم. فإخوتهم الذين كان يجب أن يحبوهم ويشجعوهم من أجل عملهم، كانوا يبغضونهم ويطردونهم من مجامعهم. وقد شرح مخلصنا هذا، ويبدو أنه أشار إلى ذلك بقوله في يوحنا ١٦ : ٢: «سيخرجونكم من المجامع بل تأتي ساعة فيها يظن كل من يقتلكم أنه يقدم خدمة لله». ولقد تشددوا ضد هذه الاضطهادات: ليصمد إيمانكم وصبركم لفترة قليلة أخرى، فإن كان أعداؤكم يبغضونكم ويضطهدونكم، وإخوتكم يكرهونكم ويطردونكم، لكن أباكم السماوي يحبكم، وسوف يظهر لكم في الوقت الذي لا يجرؤ غيره أن يفعل ذلك. وقد تحقق هذا، حين تحدث يسوع عن قرب خراب أورشليم، كان اليهود «يغشى عليهم» من الخوف، أما تلاميذ المسيح الذين كانوا مبغضين منهم ومضطهدين «فانتصبوا ورفعوا رؤوسهم لأن نجاتهم تقترب» (انظر لوقا ٢١ : ٢٦، ٢٨).

ثانيا: ظهور الله من أجلهم سيصاحبه ضجيج هائل في العالم (ع ٦): «صوت ضجيج من المدينة صوت من الهيكل». البعض يعتبرون هذه إشارة إلى صوت أحباء الكنيسة، وآخرون يقولون إنه صوت

www.DIFA3IAT.com

أعدائها النائحين، حيث يهربون في يأس إلى الهيكل للاحتماء به. وهذه الأصوات ما هي إلا صدى لـ «صوت الرب مجازيا أعداءه». قد سمع صوت اضطراب في المدينة وفي الهيكل، حين استولى الرومان على أورشليم بعد حصار طويل. والبعض يعتقد أن هذه النبوة قد تحققت في الانذارات التي كانت قبل خراب أورشليم والتي تحدث عنها يوسيفوس في كتابه «تاريخ حروب اليهود»، حيث قال إن أبواب الهيكل انفتحت فجأة وبعنف شديد من تلقاء نفسها، وسمع الكهنة صوت حركة أو انتقال في قدس الأقداس وبعد ذلك سمعوا صوتا يقول: «هيا نخرج من هنا». وبعد ذلك بوقت ما، قام شخص اسمه يسوع بار حنان وأخذ يطوف البلدة جيئة وذهابا، في عيد المظال، وهو يصرخ بصوته: «صوت من الشرق، صوت من الغرب، صوت من الأربع الرياح، صوت ضد أورشليم والهيكل، صوت ضد كل هذا الشعب».

ثالثا: سوف يقيم الله لنفسه كنيسة في العالم «قبل أن يأخذها الطلق ولدت» (ع ٧). وهذا يطبق على خلاص اليهود من السبي في بابل، الذي تم بسهولة وهدوء، دون أية متاعب أو معارك. والطفل الذي ولد كان موضع فرح، ومع ذلك لم تتعب الأم إطلاقا في ولادته: «قبل أن يأخذها الطلق ولدت». وهذا أمر لم تكن له سابقة على الإطلاق، باستثناء القصة التي روتها القابلات المصريات عن النساء اليهوديات (خر ١: ١٩) حين قلن أنهن «قويات يلدن قبل أن تأتيهن القابلة»، ولكن هل تعطي الأرض ثمارها في يوم واحد؟ كلا، إن الأمر يتطلب عدة أسابيع في الربيع ليتجدد وجه الأرض. «هل تمخض بلاد في يوم واحد»، «أو تولد أمة دفعة واحدة؟» فالله لا يفعل شيئا بشكل مفاجئ، إلا أنه في هذه الحالة التي نحن بصددها «مخضت صهيون بل ولدت بنيها». فلم يكد يصدر إعلان كورش إلا وأسرع المسبيون في طريق عودتهم إلى أرضهم. ولقد أعطي السبب (ع ٩): إنه عمل الرب. لأنه إذا «أمخض» لكي يعد شعبه للخلاص، فسوف يوَلِد، إتماما للخلاص. وحين يكون كل شيء معدا، ألن أعطي القوة حينئذ على الولادة. فهل يعطي الله البشرية وكل نوعيات الكائنات الحية أن تتوالد وتتكاثر وتملأ الأرض، ويمنع ذلك عن صهيون؟ ألن يجعلها مثمرة ويبارك نسلها لتملأ الكنيسة؟ وكل هذا كان تصويرا يرمز لإقامة الكنيسة المسيحية في العالم، وملء هذه العائلة بالأولاد الذين يسمون باسم يسوع المسيح. وحين انسكب الروح القدس، تجددت جماهير غفيرة في وقت قصير، ودون معاناة. وكان نجاح الإنجيل مذهلا. وفي نفس اليوم الذي انسكب فيه الروح القدس انضم «ثلاثة آلاف نفس» إلى الكنيسة وكانت كلمة الله تنمو وتتقوى.

رابعا: سوف تتحول أحزانهم الحاضرة قريبا إلى أفراح كثيرة (ع ١٠ و١١). وأحباء الكنيسة كما أنهم يحبونها، فإنهم يحزنون معها ومن أجلها أيضا. ولهؤلاء جاء القول لتشجيعهم: «افرحوا معها»، وأقول لكم افرحوا. سوف يكون لدى أورشليم سببا لأن تفرح وتبتهج، فسوف تنتهي أيام حزنها. وأنتم الذين حزنتم من أجلها أثناء حزنها لا يسعكم إلا أن تفرحوا معها في أفراحها. علينا أن نتغذى ونشبع «من ثدي تعزياتها»، فكلمة الله، وعهد النعمة (ولاسيما الوعود الخاصة بهذا العهد)، وأوامر الله ووصاياه، وكل فرص الحديث معه، هي الثدي الذي تطلبه الكنيسة وتسميه «ثدي تعزياتها». علينا أن نبتهج بصلتنا بالله وشركتنا معه. وأيا كان مجد الكنيسة، فهو «مجدنا وفرحنا»، ولاسيما طهارتها ووحدتها ونموها.

خامسا: وذاك الذي يوجه لهم هذه الدعوة للفرح سيعطيهم سببا ورغبة في ذلك (ع ١٢- ١٤): «هأنذا أدير عليها سلاما (أي كل الخير) كنهر» يجري بصفة دائمة. فالإنجيل يجلب معه قوته، في أي مكان يقبل فيه، وأيضا سلام يسير «كنهر»، حيث يمد النفوس بكل صلاح ويجعلها مثمرة، مثلما يفعل النهر بالأراضي التي يخترقها. ويأتيهم «مجد الأمم كسيل جارف». سوف يتمجد الله في الكل، وهذا ما يجب أن يكون مدعاة فرحنا أكثر من أي شيء آخر (ع ١٤): «وتعرف يد الرب عند عبيده»، وفي نفس الوقت «يحنق على أعدائه». سوف تعلن رحمة الله وكذلك عدله. ولن يعطيهم الله فقط سببا لفرحهم بل إنه أيضا يعزي قلوبهم. وسوف تكون بلادهم كمرضعتهم الحنون: «على الأيدي تحملون»، تحملكم على ذراعيها كما يحمل الأطفال الصغار، «وعلى الركبتين تدللون». فالراعي العظيم «بذراعه يجمع الحملان وفي حضنه

www.DIFA3IAT.com

يحملها»، وهذا بالأحرى ما يجب أن يعمله الرعاة الأقل منه، حتى لا يفشلون. والله نفسه سيكون معزيهم القوي: «كإنسان تعزيه أمه» حين يكون مريضا أو حزينا «هكذا أعزيكم أنا»، لا بالبراهين المنطقية العقلانية التي يستعملها الأب الحصيف فحسب، بل بعواطف الأم الرقيقة ومحبتها الفياضة. سوف يلمسون النتائج المباركة لهذه التعزية في نفوسهم (ع ١٣). لقد تحقق هذا الفرح العظيم الذي شعر به تلاميذ المسيح لنجاح إرساليتهم. وقد قال لهم المسيح (يو ١٦: ٢٢): «فتفرح قلوبكم ولا ينزع أحد فرحكم منكم». «وعظامكم» التي جفت وذبلت سوف تستعيد قوتها ونشاطها «وتزهو... كالعشب».

عدد ١٥ - ٢٤

هذه الأعداد لها جانبها المظلم بالنسبة لأعداء ملكوت الله، وجانبها المشرق بالنسبة لرعاياه المؤمنين الأوفياء. ولعلها تشير إلى اليهود وهم مسبيون في بابل، الذين كره البعض منهم الإصلاح، ولذلك ستدمرهم الكارثة (إر ٢٤: ٩)، وآخرون أرسلوا هناك من أجل خيرهم، وفي الوقت المناسب سينجون. غير أنه مما لاشك فيه أن النبوة تتطلع إلى أبعد من ذلك، إلى الدينونة التي جاء المسيح من أجلها مرة، وسوف يأتي ثانية.

أولا: سوف يظهر المسيح من أجل خزي كل الذين وقفوا ضده. وسوف يظهر أحيانا في دينونات زمنية. فاليهود الذين أصروا على عدم الإيمان قطعوا «بالنار» و«بسيفه». فسوف يعاقب عندئذ «كل بشر»، وإذا كان سيفه هو الذي قطعوا به، فسوف يسمون «قتلى الرب». سوف يواجه الوثنيين بصفة خاصة في يوم غضبه (ع ١٧)، ولعل البعض ممن رجعوا من بابل كانوا «يقدسون ويطهرون أنفسهم في الجنات»، أثناء ممارستهم طقوسهم الوثنية «وراء واحد» أو كما نترجمها «وراء شجرة في الوسط»، وراء «أهاد» أو «إهود» وهو أحد الأوثان الذي يكرمونه بأكل «لحم الخنزير والرجس»، مثل الجرذان أو ما إلى ذلك. غير أن النبوة قد تكون إشارة إلى كل الدينونات التي سيلحقها الله بالخطاة الذين كرسوا أنفسهم للعالم والجسد. «يفنون معا». والله يعرف ما يفعله كل إنسان، ودوافعه التي تحركه أيضا.

ثانيا: سوف يظهر لفرح وتعزية كل المخلصين له في إقامته لملكوت النعمة، فهم أبكار ملكوت المجد. وسيأتي الوقت الذي يجمع فيه «كل الأمم والألسنة فيأتون ويرون» مجده في وجه يسوع المسيح (ع ١٨). وهذا تحقق حين بشرت جميع الأمم، وقد أعطيت موهبة التكلم بألسنة لهذا الغرض. والكنيسة إلى ذلك الحين كانت قاصرة على أمة واحدة، وكان الله يُعبد بلسان واحد فقط.

(١) البعض من الأمة اليهودية سوف يميزون عن ذويهم بنعمة الله، ويعينون للخلاص: ولن «أجعل فيهم آية» لتجمعهم فحسب، بل سيكون هناك في وسطهم من أميزهم بعلامة خاصة. على الرغم من أنهم أمة فاسدة منحلة، إلا أن الله سيفرز من بينهم قلة، ستكون أمينة له، وسوف يعترف بهم الله بأن يضع عليهم سمة خاصة (حز ٩: ٤). فخراف المسيح معروفون ولهم سمتهم.

(٢) والذين يميزون على هذا النحو سوف يكلفون ويرسلون «إلى الأمم»، التي ذكرت أسماء كثيرة منها في هذه الفقرة. ترشيش، فول، لود إلخ. من غير الواضح ما هي البلاد المقصودة هنا. و«ترشيش» في كيليكية. و«فول» هي اسم أحد ملوك أشور، ولعل جزءا من هذه البلاد كان يطلق عليه هذا الاسم. «لود» من المفترض أن تكون هي «ليديا»، وهي أمة محاربة تتكون من الرماة (إر ٤٦: ٩). ويعتقد البعض أن «توبال» هي إيطاليا أو أسبانيا، أما سكان الجزائر فهم من نسل «يافث» (تك ١٠: ٥)، ولعلهم المشار إليهم بعبارة «الجزائر البعيدة». ولم يكن الله معروفا إلا في يهوذا فقط. أما بقية البلدان فكانت تجلس في الظلمة، لم تسمع الصوت المفرح، ولم تر النور البهيج. إنه لأمر يؤسف له أن يكون أي من أبناء البشر على هذا البعد من الله خالقهم بحيث لا يسمعون اسمه أو يرون مجده. وهؤلاء الذين أرسلوا إلى الأمم سيذهبون في مهمة من أجل الله، «فيخبرون بمجدي بين الأمم». فاليهود الذين يشتتون بين الأمم سيعلنون مجد العناية الإلهية بأمتهم بصفة دائمة. والبعض من الأمم يتمسكون «بذيل رجل يهودي قائلين نذهب معكم لأننا سمعنا أن الله معكم» (زك ٨: ٢٣).

WWW.DIFA3IAT.COM

(٣) هكذا سيتجدد الكثيرون (ع ٢٠): «ويحضرون كل إخوتكم (لأنه يجب الاعتراف بالمؤمنين وقبولهم كإخوة)،... تقدمة للرب». البعض سيأتون «على خيل»، لأنهم سيأتون من بعيد. والبعض «بمركبات»، والمرضى والمسنون والأطفال سوف يحضرون «بهوادج» أما الشبان فعلى ظهور «بغال وهجن». ولا يهمهم تحمل أية مشقات أو نفقات في سبيل الوصول إلى أورشليم. وسوف يأتون إلى أورشليم- ليس كما اعتادوا أن يأتوها في الماضي، لكي يقدموا الذبائح، بل ليكونوا هم أنفسهم «تقدمة للرب»، الأمر الذي يجب أن يؤخذ بمعنى روحي، أو ليقدموا لله «ذبيحة حية» (رو ١٢: ١)، وسوف يؤتى بهم «كما يحضر بنو إسرائيل تقدمة في إناء طاهر»، حيث يحرصون تماما على أن يكونوا مقدسين، طاهرين من الخطية، مكرسين لله. ولقد قيل عن المؤمنين من الأمم (أع ١٥: ٩) إنه «طهر بالإيمان قلوبهم». ويقول الرسل عن كل المؤمنين الحقيقيين إنهم قد أتوا «إلى جبل صهيون.. أورشليم السماوية» (عب ١٢: ٢٢)، الأمر الذي يفسر هذه الفقرة، ويوضح أن معنى كل هذا الموكب هو أنهم سيؤتى بهم جميعا إلى الكنيسة بنعمة الله، وبكل حرص كما لو كانوا راكبين مركبات وهوادج.

(٤) ستقام خدمة للإنجيل في الكنيسة (ع ٢١): «وأتخذ أيضا منهم» (من المؤمنين الأمميين) «كهنة ولاويين»، ليخدموا في الأمور المقدسة. إلى ذلك الحين لم يكن الكهنة واللاويون يؤخذون إلا من بين اليهود، ومن سبط بعينه، غير أنه في أزمنة الإنجيل، سيتخذ الله من الأمميين المتجددين من يقومون بالخدمة، لتعليم الشعب، ليكونوا وكلاء سرائر الله كما كان الحال بالنسبة للاويين في ظل الناموس، وليكونوا رعاة ومعلمين (أو أساقفة) للمواظبة على «الصلاة وخدمة الكلمة»، وشمامسة لخدمة الموائد، مثل اللاويين، للعناية بالأمور الخارجية المتعلقة ببيت الله (في ١: ١؛ أع ٦: ٢- ٤). وكان الرسل جميعا من اليهود وهكذا كان السبعون تلميذا، وأعظم رسول للأمم كان نفسه عبرانيا من العبرانيين، ولكن عندما أقيمت الكنائس بين الأمم كان لديهم خدام من بينهم شيوخ «في كل كنيسة» (أع ١٤: ٢٣؛ تي ١: ٥).

ويقول الله «أتخذ أيضا منهم». وعمل الله في الأساس هو أن يختار خداما وذلك بتأهيلهم وبث محبة الخدمة فيهم، وكذلك بإعطائهم إرساليتهم.

(٥) وإذ تمت إقامة الكنيسة والخدمة على هذا النحو، سوف يُحفظ هذا النظام على تعاقب الأجيال (ع ٢٢)، وملكوت المسيح سيكون عالما جديدا (إش ٦٥: ١٧): «الأشياء العتيقة قد مضت. هوذا الكل قد صار جديدا» (٢كو ٥: ١٧)، فالعهد القديم قد تنحى جانبا، وأقيم عهد النعمة (عب ٨: ١٣). وقد أعطيت وصايا جديدة تتعلق بالسماء والأرض، كما أعطيت وعود جديدة تتعلق بهما، وهذان الأمران كلاهما يشكلان العهد الجديد، وسوف يكون هذا تغييرا دائما، إلى عالم جديد سيظل جديدا على الدوام. فتدبير الإنجيل سوف يستمر إلى نهاية الزمن. وسيحفظ في النسل الذي سوف يخدم المسيح: «يثبت نسلكم»، وفيهم «اسمكم»، وكلما انصرم جيل يأتي آخر. وأبواب الجحيم، على الرغم من أنها ستحارب الكنيسة، إلا أنها لن تقوى عليها ولن «يبلي قديسي العلي».

(٦) وعبادة الله الجماعية في التجمعات الدينية سوف يحضرها كل الذين أحضروا «تقدمة للرب» (ع ٢٠). وقد وصف هذا بتعبيرات تناسب تدبير العهد القديم، لكي يتضح أنه على الرغم من وجوب إبطال الناموس الطقسي، وإنهاء خدمة الهيكل، إلا أن عبادة الله يجب أن تستمر كما كانت في الماضي. إلى ذلك الحين، لم يكن يصعد للظهور أمام الله سوى اليهود فقط، وكانوا ملزمين بالحضور ثلاث مرات فحسب كل سنة، ولا يلزم بذلك سوى الذكور فقط. أما الآن فكل إنسان أمميا كان أم يهوديا، النساء كما الرجال، كل واحد يجب أن «يأتي يسجد أمام» الله، وفي محضره، ولو أن ذلك ليس في هيكل أورشليم، بل في الاجتماعات المنتشرة في جميع أنحاء العالم، التي ستصبح بالنسبة لهم مثلما كانت خيمة الاجتماع بالنسبة لليهود. سوف يكتب الله فيهم اسمه، وعلى الرغم من أن اثنين أو ثلاثة فقط يجتمعون معا، فإنه سيكون في وسطهم ويباركهم. وليس ثمة حاجة إلى مكان واحد بعينه، كما كان الحال بالنسبة للهيكل قديما. فالمسيح هو هيكلنا، الذي بالإيمان يتقابل فيه كل المؤمنين. غير أنه من المناسب أن يكون هناك

موعد معين ومحدد، تقام فيه الخدمة دائما، وبهذا تكون ثمة علامة على الشركة الروحية القائمة بين كل الاجتماعات المسيحية بالإيمان كالرجاء والمحبة المقدسة. وحين يقدس يوم الرب كل أسبوع، ويحتفل بعشاء الرب، ويتم حضور هاتين الخدمتين كما يجب، هنا نكون قد حافظنا على الأهلة والسبوت المسيحية.

(٧) يجب أن يزداد شعورهم بالشكر تجاه نعمة الله المميزة لهم بتأملهم الهلاك الذي لحق بأولئك الذين أصروا على التمسك بشرهم (ع ٢٤). فالأشرار هم «الذين عصوا» على الله، لم يكسروا وصاياه فحسب، بل نقضوا العهد معه. ويمكن أن يقصد بذلك وبصفة خاصة اليهود الذين رفضوا إنجيل المسيح. ولقد شبه بؤسهم بمنظر ميدان القتال وقد غطته « جثث الناس» الذي قتلوا، « ويكونون رذالة لكل ذي جسد»، ولا أحد يرغب في الاقتراب منهم. لقد تحقق ذلك في خراب أورشليم والأمة اليهودية على أيدي الرومان. ويمكن أن يشير أيضا إلى الدينونات الروحية التي حلت باليهود غير المؤمنين، التي تطلع إليها بولس (رو ١١ : ٨- ٣٦). سوف تتضح أفراح المباركين وأمجادهم حين يرون أنفسهم كجمرات انتشلت من ذلك الجحيم.

WWW.DIFA3IAT.COM

إرميا

فيما يختص بالنبي إرميا نلاحظ الآتي:

أولا: إنه بدأ صبيا، ومن ثم استطاع القول بناء على اختباره الشخصي: «جيد للرجل أن يحمل النير في صباه» (مرا ٣: ٢٧).

ويلاحظ چيروم أن إشعياء، الذي كان أكبر من إرميا سنا، قد مس الله شفتيه بجمرة من نار؛ لينتزع إثمه (إش ٦: ٧) غير أنه حين لمس الله فم إرميا، لم يذكر أن ذلك كان من أجل نزع إثمه (إر ١: ٩)؛ ذلك لأنه كان صبيا غضا.

ثانيا: إنه استمر نبيا مدة طويلة يقدرها البعض بخمسين سنة، وآخرون بأكثر من أربعين. بدأ في السنة الثالثة عشرة من حكم الملك الصالح يوشيا غير أنه استمر كنبي خلال حكم كل الملوك الأشرار الذين أعقبوا يوشيا.

ثالثا: كان نبيا موبخا، أرسل باسم الله ليخبر يعقوب بخطاياهم وليحذرهم من دينونة الله. يقول النقاد إنه من أجل ذلك جاء أسلوبه أكثر سهولة وأكثر خشونة وأقل صقلا من أسلوب إشعياء وبعض الأنبياء الآخرين. والمعاملة الصريحة هي الأسلوب الأمثل حين نتعامل مع الخطاة لنقودهم إلى التوبة.

رابعا: كان نبيا باكيا، وكان يعرف بهذه الصفة بشكل عام، وليس ذلك مرده فقط أنه كتب «مراثي إرميا» فحسب، بل إنه كان شاهدا حزينا لخطايا شعبه.

خامسا: كان نبيا متألما، اضطهد من قبل شعبه بأكثر مما اضطهد من أي جهة أخرى، الأمر الذي سنعرفه من قصة هذا السفر، ذلك أنه عاش وكرز قبل دمار اليهود مباشرة على أيدي البابليين، حيث كانت طباعهم على ما يبدو مثلما كانت عليه قبل دمارهم على أيدي الرومانيين حين «قتلوا الرب يسوع وأنبياءهم واضطهدونا نحن. وهم غير مرضين لله وأضداد لجميع الناس.. ولكن قد أدركهم الغضب إلى النهاية» (١ تس ٢: ١٥ و١٦). وآخر ما نقرأه عنه هو أن المتبقين من اليهود أرغموه على أن يصحبهم إلى مصر، في حين أن التقليد السائد بين اليهود والمسيحيين أنه مات شهيدا. ويقول «هوتنجر» نقلا عن «المكين" وهو مؤرخ عربي، إنه إذ واصل عمله النبوي في مصر ضد المصريين والأمر الأخرى تم رجمه حتى الموت، وبعد ذلك بزمن طويل حين دخل الإسكندر مصر، أخذ عظام إرميا حيث كانت مدفونة في مكان مغمور ضئيل الشأن، وحملها إلى الأسكندرية ودفنها هناك. ونبوات هذا السفر التي تضمنتها الأصحاحات التسعة عشر الأولى منه يبدو أنها كانت عناوين العظات التي وعظها كتوبيخ عام على الخطية، وبعد ذلك أخذت تتجه بالأكثر نحو أخذ صبغة خاصة حيث كانت تمتزج بتاريخ عصره، ولكنها لم تأت بحسب التسلسل الزمني.

فمع التهديدات جاءت وعود عظيمة بالرحمة للتائبين، وبخلاص اليهود من سبيهم، وبعضها جاء يتضمن إشارة صريحة إلى ملكوت المسيح. وقد ذكر أيضا عن إرميا في ٢ مكابيين ٢: ٤ أنه حينما دمر البابليون أورشليم، قام– بإرشاد من الله– بأخذ التابوت، ومذبح البخور وحملها إلى جبل نبو وأودعها في مغارة هناك بعد أن سد فتحتها، غير أن بعضا ممن تبعوه وظنوا أنهم عرفوا المكان، لم يستطيعوا أن يعثروا عليه. وقد لامهم على محاولتهم البحث عنه، وأخبرهم أن المكان يجب أن يظل غير معروف إلى الوقت الذي يجمع الله فيه شعبه ثانية.

الأصحاح الأول

أولا: العنوان العام للسفر، مع زمن خدمة إرميا للشعب (ع ١ – ٣).

ثانيا: دعوة إرميا للعمل النبوي وقد كلف بمهمة كبيرة، والرد على اعتراضه المتواضع. (ع ٤ – ١٠).

ثالثا: الرؤيا الخاصة بقضيب اللوز وتلك التي رأى فيها «قدرا منفوخة»، الأمر الذي يشير إلى قرب دمار يهوذا وأورشليم على يد البابليين (ع ١١ – ١٦).

رابعا: تشجيع النبي على الاستمرار في عمله دون خوف (ع ١٧ – ١٩).

عدد ١ – ٣

سلسلة نسب إرميا النبي والتسلسل الزمني لنبواته: كان «بن حلقيا» وهو «من الكهنة الذين في عناثوث». وكلمة إرميا تعني: الذي أقامه الرب. كان من الكهنة، لذلك أعطي سلطانا، وعين لتعليم الشعب، ولكن إلى جانب ذلك أقامه الله نبيا لهم، كان حزقيال أيضا من الكهنة. مما يدل على مدى إعزاز الله لكرامة الكهنوت، التي قد احتجبت مع الأسف في وقت ما نتيجة خطاياهم ودينونات الله ضدهم. كان إرميا من بين كهنة عناثوث، وهي مدينة للكهنة، وكانت تقع على بعد ثلاثة أميال من أورشليم، وكان بها بيت أبياثار (١مل ٢: ٢٦). وقد بدأ يتنبأ في السنة الثالثة عشرة من ملك يوشيا (ع ٢)، الذي بدأ في السنة الثانية عشرة من ملكه عملية إصلاح، وانخرط بكل أمانة لتطهير يهوذا وأورشليم من «المرتفعات والسواري والتماثيل والمسبوكات» (٢أخ ٣٤: ٣). وكان من المناسب جدا أن يقام هذا النبي الشاب ليساعد الملك الشاب في ذلك العمل المبارك. كان من المتوقع مع تكاتف جهودهما.. هذا النبي وهذا الملك (مثلما كان الأمر في حالة عزرا، عز ٥: ١ و٢)، وكلاهما في سن الشباب، أن يتم ذلك الإصلاح حتى يمنع دمار العبادة والأمة، إلا أن الأمر جاء على النقيض من ذلك تماما. ذلك أنه في السنة الثامنة عشرة من حكم يوشيا كانت لا تزال هناك بقايا كثيرة جدا من الوثنية لم تكن قد أُزيلت بعد، لأنه ماذا بوسع أحسن الملوك والأنبياء أن يعملوا لشعب يكره الإصلاح؟ ولذلك واصل إرميا تنبوءاته بالدينونات التي ستحل بهم. كان يمكن ليوشيا وإرميا أن يشفيا الشعب، لكنهم رفضوا ذلك. لقد واصل عمله النبوي خلال حكم يهوياقيم وصدقيا، اللذين ملك كل منهما إحدى عشرة سنة. وقد واصل عمله هذا «إلى سبي أورشليم» (ع ٣). بل وواصل نبوءاته بعد ذلك (إر ٤٠: ١). والمدة من السنة الثالثة عشرة ليوشيا إلى السبي تبلغ أربعين سنة. في تلك المدة تحمل الله شرورهم وفي النهاية أقسم في غضبه ألا يستمروا في راحته.

عدد ٤ – ١٠

أولا: تعيين إرميا المبكر لعمل نبي (ع ٤ و٥): «فكانت كلمة الرب» إليه:

(١) جعله الله «نبيا للشعوب»، اليهودية بالدرجة الأولى، ولكن أيضا للأمم الأخرى المجاورة، الذين كان عليه أن يرسل لهم كلمة (إر ٢٧: ٢ و٣)، والذين يجب عليه أن يسقهم من كأس غضب الرب (إر ٢٥: ١٧). وهو لا يزال في كتاباته، نبيا للشعوب، وذلك ليخبرهم ما هي الدينونات التي ستحل بهم بسبب شرورهم كأمة انحرفت عن عبادة الله.

(٢) قصد الله في مشوراته الأزلية، أن يكون نبيا:

www.DIFA3IAT.com

لقد كلف بهذه المهمة تنفيذا لقصد الله من جهته، وذلك حتى قبل أن يولد: «عرفتك... قدستك»، أي أنني عقدت العزم على أن تكون نبيا وكرستك لهذا العمل. وما قصده الله للناس دائما يدعوهم له. فالموهبة المعطاة من الله هي التي تصنع النبي وليس التعليم فقط.

ثانيا: رفضه باتضاع هذه الوظيفة المبجلة (ع ٦): «آه يا سيد الرب إني لا أعرف أن أتكلم» إلى العظماء والشعوب كما يتطلب واجب الأنبياء، لا أستطيع أن أتكلم بطلاقة، وليس بمقدوري الكلام بأي سلطان «لأني ولد»، وسوف يحتقرونني لصغر سني. يليق بنا حين تكون لدينا مهمة يجب آداؤها من أجل الله أن نخاف لئلا نسيء التصرف حيالها، وأن تفشل نتيجة ضعفنا.

ثالثا: تأكيد الله له بأنه سيسانده ويعينه في عمله.

(١) إنه ولد، ولكنه على الرغم من ذلك سيكون نبيا (ع ٧). لديك أوامر الله، ولا تسمح لصغر سنك أن يكون عائقا يمنعك من طاعتها. «إلى كل من أرسلك إليه تذهب وتتكلم بكل ما آمرك به». كان الله غاضبا من موسى على الرغم من اعتذاراته بكل تواضع (خر ٤: ١٤)، بينما تسلَّم صموئيل رسالة من الله لعالي الكاهن، فيما كان لا يزال طفلا. بمقدور الله، حين يشاء، أن يجعل من الأطفال أنبياء «من أفواه الأطفال والرضع أسست حمدا».

(٢) عليه ألا يعارض حتى وإن لاقى مقاومة كثيرة. ذلك أن الله سيحميه (ع ٨): «لا تخف من وجوههم»، على الرغم من أنهم كبار، ومن ثم يظنون أنهم بمقدورهم أن يتحدوك. أنت تتكلم باسم ملك الملوك، وبسلطان منه. والذين لديهم رسائل من الله يريدون تسليمها للناس عليهم ألا يخافوهم (حز ٣: ٩).

(٣) سوف يمكّنه الله من الكلام كشخص يعرف الله جيدا (ع ٩). وإذ أصبحت له الآن رؤيا عن المجد الإلهي، لذلك «مد الرب يده» ولمس فمه، وبهذه اللمسة فتح فمه. لم يكتف الله بأن وضع المعرفة في عقله بل جعل كلامه في فمه لأن هناك أقوالا يعلمها «الروح القدس» (١كو ٢: ١٣)، ويتعين عليه أن يتكلم بحسب السلطان المعطى له من الله (ع ١٠): «قد وكلتك هذا اليوم على الشعوب وعلى الممالك». وهذا يبدو أمرا عظيما جدا، ومع ذلك كان إرميا لا يزال كاهنا فقيرا، وهو لم يقم على الممالك باعتباره ملكا يحكمها بسيفه، بل كنبي يحكمها بكلمة الله. لقد وكل إرميا «على الشعوب»، ليس ليطلب منها الجزية، بل «لتقلع وتهدم». عليه أن يحاول إصلاح الشعوب ليقلع ويهدم الوثنية والشرور من بينهم، ويقضي على العادات والأعراف الشريرة التي تأصلت فيهم منذ أمد بعيد، وليهدم مملكة الخطية حتى يمكن للديانة والفضيلة أن تبنى «وتغرس» بينهم. عليه أن يضع أمامهم الحياة والموت، الخير والشر (انظر إر ١٨: ٧ – ١٠). وينبغي أن يؤكد للذين يصرون على المضي في شرهم أنهم سيقلعون ويهدمون، أما الذين يتوبون فسوف يبنون ويغرسون.

عدد ١١ – ١٩

أولا: في رؤيا يعطي الله إرميا فكرة عن المهمة الرئيسية التي سيقوم بها، وهي التنبؤ بدمار يهوذا وأورشليم على أيدي البابليين بسبب خطاياهم ولا سيما وثنيتهم.

(١) أن الشعب يسير بسرعة نحو الهلاك، وأن الهلاك بدوره يسرع الخطى نحوه: سأله: «ماذا أنت راء يا إرميا؟» انظر إلى ما حولك، وقل ماذا ترى. أنت راء قضيب... الأمر يشير إلى محنة وعقاب، قضيب تأديب معلق فوقنا، وهو «قضيب لوز»، وهو من أول الأشجار التي تزهر بسرعة في الربيع، في حين أن الأشجار الأخرى لا تكاد تظهر أوراقها (وهي في العبرية تسمى الشجرة المتسرعة). وقد فسر الله هذا الأمر في العبارة التالية (ع ١٢): «أحسنت الرؤية». لقد امتدحه الله على دقة ملاحظته. فعلى الرغم من أنها كانت أول مرة يرى فيها رؤيا، إلا أنه أدرك أن ما رآه هو «قضيب لوز». لقد رأيت «قضيب لوز»، وهذا ما يعني أنني «ساهر على كلمتي لأجريها». وسوف يتنبأ إرميا بأمور سوف يعيش ليرى أنها تحققت.

(٢) أعلمه من أين يأتي الدمار الذي اعتزمه:

وسئل إرميا للمرة الثانية: «ماذا أنت راء»، وقد رأى «قِدرا منفوخة» (ع ١٣)، ويمثل أورشليم ويهوذا وقد عمتهما الفوضى والاضطراب العظيم مثل الماء وهو يغلي، وذلك نتيجة الهجوم الذي شنه الجيش البابلي ضدهم. مثل الماء أثناء غليانه حيث نراه يتبخر ويتناقص. ثم إن وجه الموقد الذي كان القدر يغلي فوقه كان «من جهة الشمال» لأنه من هناك كانت ستأتي النار والوقود التي ستجعل القدر «منفوخة» على هذا النحو. وقد فسرت الرؤيا في العدد ١٤. فقد سبق أن خططت هذا عدالة الله منذ أمد بعيد، ومنذ زمن بعيد كان الشعب يستحق هذا المصير نتيجة خطيته، ومع ذلك فإن طول أناة الله حملته على أن يصبر عليهم طويلا، ولقد اعتزم الأعداء عمل ذلك غير أن الله أوقفهم، أما الآن، فلقد أطلق الله يد الأعداء لكي «ينفتح الشر»، وسوف تهب هذه العاصفة «من الشمال» الذي من المألوف أن تأتي منه الرياح الطيبة (انظر أي ٣٧: ٢٢). أحيانا تأتي أعتى العواصف من حيث كنا نأمل طقسا لطيفا. وقد شُرح هذا أيضا في (ع ١٥): «لأني هأنذا داع كل عشائر ممالك الشمال يقول الرب». فكل الممالك الشمالية سوف تتحد تحت لواء نبوخذنصر، وتشترك معه في هذه الحملة. وسوف تطاع نداءات الله، يأتي أولئك الذين يدعوهم. ويحتل قادة القوات– الخاصة بأمم مختلفة– مواقعهم لمواصلة حصار أورشليم ومدن يهوذا الأخرى.

(٣) يخبره الله صراحة عن سبب كل تلك الدينونات، أنها بسبب خطية أورشليم ومدن يهوذا: «وأقيم دعواي على كل شرهم» (ع ١٦). لأنهم تركوا الله «وبخروا لآلهة أخرى»، آلهة جديدة، وآلهة غريبة، وكلها آلهة زائفة. كان إرميا صغيرا، ولعله لم يكن يعرف الوثنية البغيضة التي أتهم بها أولاد شعبه، ولكن الله يخبره بأنه عليه أن يكون هو مقتنعا بعدالة الحكم الذي كان عليه أن يصدره ضدهم باسم الله.

ثانيا: الله يشجع إرميا، وقد أولاه ثقة عظيمة. لقد أرسل إرميا كالمنادي في الحرب لكي يعطي إنذارا بدينونات الله قبل وقوعها، لعل ذلك يوقظ الخطاة للتوبة، وبذلك الله «يصرف غضبه». بهذه الثقة كلف إرميا بأن يقوم بتلك المهمة. عليه أن يسرع بها «قم وكلمهم...»، في وقت مناسب وغير مناسب «بكل ما آمرك به». عليه أن يكون شجاعا: «لا ترتع من وجوههم» (على غرار آية ٨).

(١) عليه أن يكون أمينا في أمرين:

أ. عليه أن يتكلم بكل ما يؤمر به: «كلمهم بكل ما آمرك به»، وألا يخفي شيئا خشية إغضابهم، وأن يعلن لهم كل مشورة الله.

ب. عليه ألا يهمس بذلك في إحدى الزوايا لقلة من الأصدقاء، بل أن يظهر «لملوك يهوذا» إذ كانوا ملوكا أشرارا. وليس عليه أن يستثني «كهنتها»، على الرغم من أنه هو نفسه من الكهنة ويهمه حفظ كرامة الكهنوت، أيضا يظهر «لشعب الأرض»– على الرغم من أنهم شعبه– طالما كانوا ضد الرب.

(٢) هنا سببان لماذا يجب عليه أن يقوم بذلك:

أ. يخاف من غضب الله إذا لم يكن أمينا لمهمته: «لا ترتع من وجوههم» فتترك وظيفتك، أو تتراجع عن القيام بواجبك «لئلا أريعك أمامهم». مخافة الله أحسن ترياق ضد الخوف من البشر. فمن الأفضل أن يكون العالم كله أعداء لنا، ولا يكون الله لنا كذلك.

ب. لأنه ليس من داع يدعوه للخوف من غضب الناس مادام هو أمينا (ع ١٨). فهذا النبي– الذي هو في الوقت ذاته غلام صغير– جعلته قوة الله كمدينة حصينة، محصنة بأعمدة من حديد ومحاطة بأسوار من نحاس، عليه أن يهاجم العدو بتوبيخات وتهديدات، عليه أن يرعبهم. فقد قاموا ضده من كل جانب، الملوك والرؤساء يهاجمونه بسلطانهم، وأيضا الكهنة و«شعب الأرض» يطلقون عليه سهامهم، بل ويشوهون سمعته ويتقولون عليه، غير أنه سوف يصمد ويكون الشكيمة التي تكبحهم (ع ١٩): «فيحاربونك ولا يقدرون عليك لأني أنا معك يقول الرب لأنقذك».

الأصحاح الثاني

من المحتمل أن يكون هذا الأصحاح هو عظة إرميا الأولى بعد تعيينه، وهي عظة عاطفية واعدة للغاية. وليس عليه أن يقول «لا أعرف أن أتكلم لأني ولد»، لأنه ما دام الله قد لمس فمه وجعل كلامه فيه، فلن يستطع أحد أن يتكلم أفضل منه. والهدف من هذا الأصحاح هو أن يبين لشعب الله آثامهم عن طريق التوبيخ والإقناع عساهم

يتوبون. والخطية التي اتهموا بها بصفة خاصة هي الوثنية. وقد قيل لهم:

أولا: إن هذا يعد نكرانا لأفضال الله (ع ١ – ٨).

ثانيا: لم تكن ثمة سابقة بأن يغير شعب إلهه (ع ٩ – ١٣).

ثالثا: بهذا جلبوا على أنفسهم الهلاك (ع ١٤ – ١٩).

رابعا: كسروا عهودهم وانحرفوا عن بداياتهم الطيبة (ع ٢٠ و٢١).

خامسا: وإن إثمهم بلغ الحد الذي لا يمكن معه مسامحتهم (ع ٢٢ و٢٣، ٣٥).

سادسا: لقد أصروا بكل عناد على التمسك بإثمهم (ع ٢٣، ٢٥، ٣٣، ٣٦).

سابعا: جلبوا على أنفسهم الخزي بوثنيتهم، وسوف يخزون أيضا حينما يكتشفون أن أصنامهم عاجزة عن مساعدتهم (ع ٢٦– ٢٩، ٣٧).

ثامنا: إنهم لم يقتنعوا ويقبلوا الإصلاح نتيجة توبيخات العناية الإلهية (ع ٣٠).

تاسعا: إنهم تمادوا في احتقار الله (ع ٣١ و٣٢).

عاشرا: إنهم مزجوا وثنيتهم بأبشع الجرائم، وسفك دم الأبرياء المساكين (ع ٣٤).

عدد ١ – ٨

أولا: صدر أمر لإرميا بأن يحمل رسالة من الله إلى سكان أورشليم. ليت كل خادم يقارن بعناية ما سوف يقوله بكلمة الله ليتبين ما إذا كان كلامه ينسجم معها، حتى يكون بوسعه ليس فقط القول «الرب أرسلني»، بل أرسلني لأقول هذا. كان عليه أن يذهب من عناثوث حيث يعيش في عزلة لطيفة، وفي دراسة الناموس، لكي يذهب إلى أورشليم، تلك المدينة الصاخبة وينادي في أذنهم. ناد بصوت عال لكي يسمعك الجميع. اذهب بالقرب منهم «وناد» في أذن أولئك الذين سدوا آذانهم.

ثانيا: الرسالة التي أمر أن يسلمها. عليه أن يوبخهم على فظاعة نكرانهم فضل الله وهجرانهم له، على الرغم من عطفه عليهم منذ القدم.

(١) يذكرهم الله هنا بالنعم التي منحها لهم، حينما أصبحوا شعبا لأول مرة (ع ٢): «قد ذكرتُ لكِ». أريدك أن تتذكري ذلك لصالحك. إني لا أستطيع أن أنسى «غيرة صباك محبة خطبتك». يفهم من هذا ولائهم لله، الذي لم يكن ليذكر لولا أن الله سر بأن يذكره، لأنه على الرغم من أنه كان قدرا قليلا من المحبة، إلا أن الله تقبله بسرور. فحين آمنوا بالرب وصدقوا عبده موسى، وحين رنموا ترنيمة سبح لله عند البحر الأحمر، وحين قالوا عند سفح جبل سيناء «بأن كل ما تكلم به الرب نفعل» ونطيعه، كان ذلك غيرة صباهم محبة خطبتهم. وحينما بدوا متلهفين جدا على الله قال: حقا هم شعبي، وسيكونون أمناء لي، وأولادا لن يكذبوا. لقد ظهرت غيرة صباهم في أمرين:

أ. كانوا يتبعون توجيهات عمود السحاب والنار في البرية: لمدة أربعين سنة اتبعوا الله في البرية، واتكلوا عليه في تدبير احتياجاتهم، مع أنها كانت أرضا «غير مزروعة». وقد تقبل الله منهم ذلك قبولا حسنا. هكذا المسيح الذي على الرغم من أنه كثيرا ما كان يؤنب تلاميذه، إلا أنه امتدحهم عند رحيله لاستمرارهم معه (لو ٢٢: ٢٨).

ب. لأنهم أقاموا خيمة الاجتماع في وسطهم: «إسرائيل قدس للرب». هكذا بدأوا «بالروح»، ويذكرهم الله بذلك، لعلهم يخجلون إذ انتهوا «في الجسد». وقد تفهم الغيرة على أنها إشارة إلى عطف الله عليهم، الأمر الذي تحدث عنه بعد ذلك باستفاضة. «لما كان إسرائيل غلاما أحببته» (هو ١١: ١).

◄ خصصهم الله لنفسه. كانوا «أوائل غلته»، أول شعب أقامه لنفسه في العالم، غير أن المحصول الكامل كان سيجمع من بين الأمميين.

◄ وإذ قد تزوجهم، فقد ناصر قضيتهم، وعادى أعداءهم (خر ٢٣: ٢٢). أي شعب يلحق أذى بشعب الله فإنه بذلك يعرض نفسه للهلاك، وبصفة خاصة أولئك الذين يحاولون إفسادهم وإبعادهم حتى لا يكونوا «قدس للرب»، لننظر معركته مع المديانيين في «أمر فغور» (عد ٢٥: ١٧ و١٨).

◄ أخرجهم من مصر «بذراع رفيعة ومخاوف عظيمة» (تث ٤: ٣٤)، ومع ذلك بيد حانية وشفقة عظيمة قادهم عبر برية واسعة موحشة (ع ٦). لقد ساروا في الوادي الذي يكاد يكون مظلما مدة أربعين

سنة، ولكن الله كان معهم بل إنه رتب لهم مائدة (مز ٢٣: ٤ و٥)، وأعطاهم خبزا من الغمام وماء من الصخرة. وكل شعب الله ينبغي عليهم أن يعترفوا بالتزاماتهم قبله لكي يعبروا سالمين في برية هذا العالم التي ليست أقل خطرا بالنسبة للنفس كما كانت تلك بالنسبة للجسد.

◄ وأخيرا مكنهم من الاستقرار في كنعان (ع ٧): «وأتيت بكم إلى أرض بساتين». وقد أكلوا بالفعل «ثمرها وخيرها»، وأتيت بكم إلى أرض كرمل (هذا معنى الكلمة)، وكانت كرمل مكانا خصيبا بدرجة غير عادية، وكانت كنعان كحقل عظيم كثير الإثمار (تث ٨: ٧).

◄ أعطاهم الله وسائل المعرفة والنعمة والشركة معه، وهذا ما يلمح إليه (ع ٨).

(٢) وبخهم على جحودهم (ع ٤):

أ. تحداهم أن يذكروا مثالا واحدا كان فيه غير عادل وغير رؤوف نحوهم لقد عرض عليهم الأمر صراحة بأن يذكروا سببا واحدا لبعدهم عنه (ع ٥): «ماذا وجد في آباؤكم من جور»، وماذا وجدتم أنتم؟ هل وجدتم الله سيدا قاسيا؟ أنتم الذين تركتم فرائض الله، هل بمقدوركم القول أنكم تركتموها لأنها كانت عبئا ثقيلا. أما الإحباطات التي واجهتكم فأسبابها ترجع إليكم وليس إلى الله. فنير وصاياه هين، وفي حفظها مكافأة عظيمة. وعلى الرغم من أنه يبتلينا إلا أنه لا يظلمنا، بل نحن نظلم أنفسنا بطرقنا الردية.

ب. على الرغم من ذلك يتهمهم بأنهم كانوا ظالمين وقساة بالنسبة له: «ابتعدوا عني». «وساروا وراء الباطل». فمع الوثنية مارسوا كل نوعيات الشر. وحين دخلوا الأرض الطيبة التي أعطاها لهم الله نجسوها (ع ٧)، وذلك بأن نجسوا أنفسهم. كانت أرض الله، أرض مقدسة، أرض عمانوئيل، ولكنهم جعلوها «رجسا». وبعد أن ابتعدوا عن الله لم تراودهم فكرة العودة إليه ثانية. فلم يطلبه الشعب أو الكهنة، ولم يعبروا عن أية رغبة لاستعادة رضائه. لم يسأل الشعب «أين هو الرب» (ع ٦)، و«الكهنة لم يقولوا أين هو الرب» (ع ٨). فأولئك الذين كان من واجبهم أن يعلموا الشعب معرفة الله، لم يبالوا هم أنفسهم بالحصول على معرفته. والكتبة الذين هم «أهل الشريعة» لم يعرفوا الله ولا مشيئته، والرعاة، الذين كان من واجبهم حفظ القطيع من الزلل، كانوا هم القادة في ارتكاب المعصية: «عصوا عليَّ». ومدعو النبوة «تنبأوا ببعل» لتحدي أنبياء الرب.

عدد ٩ - ١٣

يبين النبي تقلباتهم وحماقتهم التي لا نظير لها (ع ٩): «لذلك أخاصمكم بعد». قبل أن يعاقب الله الخطاة يوجه لهم الاتهامات؛ بغية تحفيزهم على التوبة. أما الآن فهو يوجه الاتهامات ضد أولئك الذين يصرون على السير وراء الباطل بحسب ما سار عليه آباؤهم، وكذلك ضد بني بنيهم، بمعنى كل أولئك ساروا على نهجهم في كل عصر.

أولا: بين لهم أنهم يتصرفون على النقيض من العادة المتبعة في كل الأمم. فقد كان جيرانهم أكثر أمانة وتمسكا بآلهتهم الزائفة على عكس ما كانوا عليه حيال إلههم الحقيقي. عليهم أن ينتظروا في «جزائر كتيم»، اليونان، والجزر الأوروبية والبلدان التي كانت أكثر أدبا وعلما، ولينظروا إلى «قيدار»، وفي كل هذه البلدان لن يجدوا أمة «بدلت» إلهها، بل إن توقيرها لآلهتها عظيما لدرجة أنه على الرغم من أنها آلهة من خشب وحجر، لم يكونوا ليغيروها بآلهة أخرى من فضة وذهب بل ولا حتى بالإله الحي الحقيقي. الله هنا لا يمتدحهم. ولكنه يذكر ذلك لتوبيخ إسرائيل، الذين رغم أنهم الشعب الوحيد الذي لم يكن لديه أي مبرر لتغيير إلهه، إلا أنهم كانوا الشعب الوحيد الذي فعل ذلك. فحماسة الوثنيين وثباتهم يجب أن تكون مدعاة خزي للمسيحيين لفتورهم وعدم ثباتهم.

ثانيا: أوضح لهم أنهم يتصرفون ضد العقل والمنطق، وأنهم تغيروا إلى الأسوأ وعقدوا صفقة خاسرة.

(١) لقد ابتعدوا عن الله الذي جعلهم شعبا مجيدا حقا، لأن مجده كثيرا ما كان يظهر في خيمة الاجتماع.

(٢) تعلقوا بآلهة لن تفيدهم شيئا، آلهة «لا تنفع» من يعبدونها. ولقد نادى السماوات نفسها لكي تدهش من خطية وحماقة أولئك الذين ارتدوا عن الله (ع

١٢ و١٣): «ابهتي أيتها السماوات من هذا». ومعنى هذا أن سلوك هذا الشعب تجاه الله كان:

أ. يدعو إلى الدهشة والحيرة: أي أناس من المفترض أن يكون لديهم عقل يمكن أن تصدر عنهم هذه الحماقة البالغة.

ب. مثل ذلك السلوك يجب علينا أن نواجهه بغضب مقدس باعتباره سلوكا شريرا، ويشكل إهانة بالغة لخالقنا. «شعبي» الذي علمته «عمل شرّين»، نكران الجميل، والحماقة، ولقد كان تصرفهم يتعارض مع واجبهم ومصالحهم. «تركوني أنا ينبوع المياه الحية» الذي كانوا يجدون فيه مددا دائما وغزيرا. فالله هو «ينبوع الحياة» بالنسبة لهم (مز ٣٦: ٩). فيه كل الكفاية من النعمة والقوة، وكل ينابيعنا فيه. كان بالنسبة لنا «ينبوع المياه الحية» التي تتدفق دائما وإلى الأبد، في عطايا نعمته غشوا أنفسهم. تركوا مراحمهم من أجل مجد زائف لا ينفع. ولقد تحملوا متاعب كثيرة «لينقروا لأنفسهم أبارا» وثبت أنها آبار «مشققة» ولذلك «لا تضبط ماء». وحين أرادوا أن يروا ظمأهم لم يجدوا إلا وحلا وطينا ورواسب قذرة لبحيرة راكدة. هكذا حال الأوثان بالنسبة لمن يعبدونها. وإذا جعلنا وثنا من أي مخلوق سواء كان الثروة أو المتعة أو المجد، وإذا جعلناه مصدر فرحنا ومحبتنا، سنجده بئرا نتعب كثيرا جدا في حفرها ثم نكتشف إنها لا تستطيع أن تعطينا سوى القليل من المياة الراكدة. فهي بئر مشققة، تتصدع في الجو الحار وتفقد مياهها في الوقت الذي نكون فيه في أمس الحاجة إليه (أي ٦: ١٥) ليتنا لهذا نتعلق بالرب لأن «كلام الحياة الأبدية» عنده.

عدد ١٤ - ١٩

حماقة ابتعادهم عن الله كلفتهم كثيرا، وكان ذلك سبب كل المآسي التي ترزح تحتها بلادهم.

أولا: جيرانهم الذين كانوا من ألد أعدائهم سادوا عليهم:

(١) استعبدوا وفقدوا حريتهم (ع ١٤): «أعبدٌ إسرائيل؟» كلا، «إسرائيل ابني البكر» (خر ٤: ٢٢)، إنهم أبناء وورثة، نسل إبراهيم. وقد وجدوا للسيادة وليس للعبودية، فلماذا إذا صارت حريته «غنيمة؟» لماذا إذا يهدد كعبد، وكأنه ولد عبدا؟ لماذا يجعل نفسه عبدا لشهواته، ولأوثانه، عبدا لما «لا ينفع؟» (ع ١١)، يا له أمر غريب أن يباع حق البكورية من أجل أكلة عدس، وأن يدنس مثل هذا التاج ويلقى به في الوحل. الرؤساء استعبدوا رعاياهم، والسادة استعبدوا خدمهم (إر ٣٤: ١١). وبذلك جعلوا أمتهم ذليلة بائسة. فالرؤساء والقوات من جيرانهم اقتحموا بلادهم واتخذوا البعض منهم عبيدا حتى وهم داخل بلادهم، وربما بيع البعض منهم عبيدا للبلدان الأجنبية. «من أجل آثامكم قد بُعتم» (إش ٥٠: ١). قد نطبق ذلك من الناحية الروحية. هل الإنسان عبد؟ وهل ولد في عبودية؟ كلا، ليس الأمر كذلك. فلماذا إذا صار «غنيمة»؟ السبب يرجع إلى أنه باع حريته واستعبد لشهواته وأهوائه المختلفة.

(٢) افتقروا وفقدوا ثروتهم. لقد أحضرهم الله إلى أرض خصيبة (ع ٧)، غير أن جميع جيرانهم افترسوها «زمجرت عليه الأشبال أطلقت صوتها» (ع ١٥). أحيانا عن طريق عدو قوي واحد، وأحيانا عدو آخر، بل وأحيانا يتحدون في حلف ويهاجمونهم وينتصرون عليهم. ويسلبون ثمار أرضهم ويجعلون أرضهم «خربة» ويحرقون مدنهم.

(٣) عوملوا معاملة سيئة وضربوا وأهينوا من الجميع «وبنو نوف وتحفنيس» (ع ١٦)، لم يكونوا مشهورين بالقوة أو الشجاعة العسكرية، ولكنهم «شجوا هامتك». كم كانت يهوذا ترزح تحت المصائب أخيرا أثناء حكم منسى (هذا يتضح مما جاء في ٢أخبار ٣٣: ١١).

(٤) كل هذا جاء وليد خطيتهم (ع ١٧): «أما صنعت هذا بنفسك؟» بخطية تحالفهم مع الأمم، واتباع عاداتهم الوثنية، جعلوا أنفسهم محتقرين: «إذ تركت الرب إلهك حينما كان مسيرك في الطريق».

ثانيا: جيرانهم، الذين كانوا يدعون أنهم أصدقاؤهم، لم يساعدوهم، وهذا أيضا مرجعه لخطيتهم.. أنهم:

(١) تطلعوا إلى مصر وأشور طلبا للعون، ولكن دون جدوى (ع ١٨): «والآن ما لك وطريق مصر؟» أنت ترغبين شرب «مياه شيحور»، أي نهر النيل. إنك تعتمدي على الوعود الرائعة التي يقطعونها لك. وفي

أوقات أخرى تذهبين إلى «أشور»، حيث تسرعين لجلب مجندين من هناك، وتعتقدين أنك تشبعي نفسك بشرب «مياه شيحور وما لك وطريق أشور؟» ما الذي تجنيه بلجوئك إليهما؟ فلن ينفعك بشيء، وما اعتبرته نهرا لن يكون سوى بئر مشققة.

(٢) هذا أيضا بسبب خطيتهم «يوبخك شرك» (ع ١٩). وهنا يكون من المستحيل عليهم أن ينقذوك «فأعلمي وانظري أن تركك الرب إلهك شر ومر»، لأن هذا هو الذي جعل أعداءك أعداء حقا، وجعل أصدقاءك عُقمّاء لا ينفعونك بشيء. والخطية هي الابتعاد عن الرب باعتباره إلهنا، إنها تجعل النفس غريبة عن الله. وسبب الخطية هو أن خشيته ليست فينا. والخطية شر ليس فيها أي خير. وهي «مر»، وأجرتها الموت، والموت مر. والخطية في حد ذاتها شريرة ومرة، ولذلك فهي تعمل مباشرة لتجعلنا بائسين: «يوبخك شرك وعصيانك يؤدبك»، ولابد من أن العقوبة ستتبع الخطية حتى يقال إن الخطية نفسها تعاقبكم. إن شركم سيدينكم وتخرس ألسنتكم إلى الأبد وسوف تضطرون إلى الاعتراف بأن «الرب هو البار».

عدد ٢٠ - ٢٨

أولا: الخطية ذاتها- الوثنية.

(١) كانوا يترددون على أمكنة عبادة الأوثان «على كل أكمة عالية وتحت كل شجرة خضراء» (ع ٢٠)، في المرتفعات وفي كل بستان «أنت اضطجعت زانية». المقصود الزنا الروحي، وعادة ما يصاحبه زنى جسدي.

(٢) صنعوا أصناما لأنفسهم ثم عبدوها (ع ٢٦ و٢٧). لم يفعل ذلك الناس العاديون فقط، بل حتى الملوك والرؤساء والكهنة والأنبياء، كل هؤلاء كانوا من الغباء بحيث يقولون للعود «أنت أبي» (أي أنت إلهي وخالقي، الذي أنا مدين بطاعته وأتكل عليه)، كما يقولون للحجر (صنم مصنوع من الحجر) «أنت ولدتني»، وعلى ذلك احمني. فهل هناك إهانة أشنع من هذه يمكن أن يوجهها الإنسان إلى الله أبينا الذي خلقنا؟ وحين جعلوا الأصنام موضوع عبادتهم ظنوا في بادئ الأمر أنها تعطي الحياة بواسطة قوة أو روح سمائية، غير أن هذه الفكرة تلاشت شيئا فشيئا. لقد تصوروا أن الوثن أبوهم، ومن ثم عبدوه لهذا السبب.

(٣) لقد أكثروا من تلك الآلهة القذرة بدون حدود «لأنه على عدد مدنك صارت آلهتك يا يهوذا» (ع ٢٨). بل ولم يستطيعوا الاتفاق على عبادة نفس الإله؛ لذلك اتخذت كل مدينة إلها خاصا بها.

ثانيا: الدليل على هذا: تظاهروا أنهم سيبرأون أنفسهم من هذا الإثم، فقد قاموا بغسل أنفسهم «بنطرون» وأكثروا استخدام الأشنان (الصابون)، (ع ٢٢)، وتظاهروا بأنهم لم يعاملوا هذه الأوثان كآلهة، بل كشياطين، أو أنهم لم يكونوا يقدمون لها التكريم الخاص بالآلهة، بل مجرد احترام عادي، وبهذا سعوا لتفادي دينونة كلمة الله. وقالوا: «لم أتنجس. وراء بعليم لم أذهب» (ع ٢٣). لأنهم كانوا يفعلون ذلك سرا وفي الظلام (حز ٨: ١٢)، ولقد ظنوا أنه لا يمكن أن يثبت هذا ضدهم. كيف تنكرون هذه الحقيقة وتقولون: «وراء بعليم لم أذهب»، «فقد نقش إثمك أمامي» (أو: فإن لطخة إثمك تظل ماثلة أمامي). فعلى الرغم من محاولتك إزالتها، كما يحاول القتلة أن يزيلوا لطخة دم الشخص الذي قتلوه من على ملابسهم، إلا أنها مع ذلك لا تُزال إطلاقا. «انظري طريقك في الوادي» (كانوا يعبدون الأوثان ليس على المرتفعات فحسب، بل في الوديان أيضا- إش ٥٧: ٥ و٦)، «في الوادي مقابل بيت فغور» كما في ترجمات أخرى، (تث ٣٤: ٦؛ عد ٢٥: ٣)، غير أنه إذا كانت تعني واديا معينا فمن المؤكد أنه «وادي ابن هنوم»، لأنه كان المكان الذي يذبحون فيه أطفالهم ويقدمونها لمولك، وقد شهد ذلك المكان ضدهم أكثر من أي مكان آخر.

ثالثا: تفاقم هذه الخطية التي اتهموا بها.

(١) عمل الله أمورا عظيمة من أجلهم ومع ذلك تمردوا عليه وثاروا ضده «لأنه منذ القديم كسرت نيرك وقطعت قيودك» (ع ٢٠). تلك القيود التي قطعها الله كان يجب أن تربطهم به إلى الأبد.

(٢) قطعوا على أنفسهم وعدا حسنا، ولكنهم لم يفوا بوعودهم: «قلت لا أتعبد» أي لن أرتكب إثما.

(٣) انحطوا بدرجة مشينة عن الحالة التي كانوا

www.DIFA3AT.com

عليها عندما دعوا كشعب لأول مرة (ع ٢٠): «قد غرستك كرمة سورق»، لقد «عبد إسرائيل الرب كل أيام يشوع وكل أيام الشيوخ الذين طالت أيامهم بعد يشوع» (يش ٢٤: ٣١). «وقام بعدهم جيل آخر لم يعرف الرب ولا العمل الذي عمل لإسرائيل» (قض ٢: ١٠)، ولذلك كانوا يصيرون من سيىء إلى أسوأ إلى أن أصبحوا «سروغ جفنة غريبة».

(٤) كانوا مفرطين في حماستهم لعبادة الأوثان، وما أمكن إرجاعهم عنها سواء بكلمة الله أو بعنايته الإلهية. وقد شبهوا بـ «ناقة خفيفة ضبعة في طرقها» (ع ٢٣) وكذلك بـ «أتان الفراء قد تعودت البرية» (ع ٢٤)، لم تروض بالعمل ولذلك أصبحت شهوانية للغاية «في شهوة نفسها تستنشق الريح. عند ضبعها من يردها؟» مَنْ ذا الذي يستطيع أن يردها عما تشتهيه؟ «كل طالبيها لا يعيون»، ينتظرونها حتى تكبر ما فيه الكفاية، ثم «يجدونها» لا تستطيع أن تتجنبهم. والشهوة المتلهفة أمر بهيمي فظ، والذين لا يمكن أن يتحولوا عنها يعتبرون من الحيوانات المفترسة. ولا يجب النظر إليهم كمخلوقات عادية. والوثنية ما هي إلا ثمل عاطفي غريب. انضم أفرايم إلى عبادة الأوثان، دعوه وحده. سيأتي الوقت حيث يُستأنس فيه من كان أشد وحشية، فحين يتعرضون للمحن والكرب، هنا ستنفتح آذانهم للتهذيب.

(٥) كانوا معاندين في خطيتهم، ولم يفلح شيء في إرجاعهم، لذلك لا يمكن إصلاحهم (ع ٢٥)، ومن المؤكد أن عنادهم سيدفعهم إلى عبودية مرة، حيث يجبرون على الرحيل حفاة الأقدام، ويحرمون من الماء النقي، حتى تجف حلوقهم من العطش. والذين يعبدون آلهة غريبة، ويتبعون طرقا غريبة للعبادة سوف يلقى بهم أسرى في يد ملك غريب في أرض غريبة. لقد قالوا لأولئك الذين حاولوا إغرائهم على التوبة والإصلاح: «باطل. لا».. لا تتوقعوا منا إطلاقا أن نتخلص من أوثاننا، ذلك «لأني قد أحببت الغرباء ووراءهم أذهب». لكن لا يجب أن نيأس من رحمة الله، بل نؤمن أنها كافية لمغفرة خطايانا، رغم شناعتها. إذا تبنا والتمسنا هذه الرحمة، فلا يتعين علينا أن نيأس من رحمة الله، بل نؤمن بأنها قادرة على أن تقهر فسادنا، على الرغم من فداحتها، وذلك إذا ما صلينا من أجل هذه النعمة وانتفعنا بها. ولا يجب على الإنسان أن يقول أبدا «باطل. لا» طالما أنه على هذا الجانب من جهنم.

(٦) لقد جلبوا الخزي على أنفسهم بابتعادهم عن ذاك الذي كان بمقدوره مساعدتهم (ع ٢٦ – ٢٨). «كخزي السارق إذا وجد» وأوقعت عليه العقوبة «هكذا خزي بيت إسرائيل»، وليس الخزي المصاحب للتوبة عن الخطية التي اتهموا بها، بل خزي جزائي للإحباط الذي واجههم في هذه الخطية. في ازدهارهم أعطوا ظهورهم لله، غير أنه في وقت شدتهم لن يجدوا سكينة إلا في التماس وجهه، هنا «يقولون قم وخلصنا». لقد عرفوا طريق التوبة أنه على هذا النحو فقط، ولكي يخزوا فإنهم يرسلون «إلى الآلهة» التي اختاروها (قض ١٠: ١٤). لقد صرخوا إلى الله «قم وخلصنا»، ويقول الله عن الأوثان: دعوها تأتي وتخلصكم لأنه ليس لكم الحق في أن تتوقعوا ذلك الخلاص مني.

عدد ٢٩ – ٣٧

أولا: حقيقة الاتهام كانت واضحة لا تقبل النقض (ع ٢٩): «لماذا تخاصمونني؟» «كلكم عصيتموني» كلكم دون استثناء، فلماذا إذا تجادلونني لخلافي معكم؟

ثانيا: لقد أوضحها بقوة بالنظر إلى عدم قبولهم الإصلاح ونكرانهم الجميل. كانوا تحت توبيخات إلهية متباينة. وقصد الله من وراء ذلك أن يقودهم إلى التوبة، ولكن ذلك كان بلا جدوى. لم توقظ ضمائرهم، ولم تلن قلوبهم. «لم يقبلوا تأديبا»، لم يتحسنوا نتيجة هذا التأديب. «لم يقبلوا تأديبا»، ولذلك «لباطل» ضربوا. لم يتأثروا بكلمة الله التي أرسلت لهم على فم عبيده الأنبياء، قتلوا الرسل بسبب الرسالة التي يحملونها: «أكل سيفكم أنبياءكم كأسد مهلك» (ع ٣١)، «أنتم أيها الجيل انظروا كلمة الرب» (يتكلم برقة)، لا تكتفوا بسماعها فحسب. وكما طلب منا أن نسمع «للقضيب» (مي ٦: ٩)، لأن ذلك كان له صوته، هكذا أمرنا أن ننظر «كلمة الرب»، لأن لها رؤياها وآراءها. فقد كُتبت كما لو كانت بشعاع من نور الشمس، حتى يستطيع أن يقرأها من يجري:

«هل صرت برية لإسرائيل أو أرض ظلام دامس؟» إن خدمة الله لم تكن مملة أو غير مربحة. لقد قاد الله شعبه في بعض الأحيان عبر «برية» و«أرض ظلام»، ولكنه هو نفسه كان لهم في ذلك الحين كل ما يحتاجونه، ولذلك أطعمهم المن وقادهم بعمود النار، وبذلك أصبحت لهم حقلا مثمرا، وأرض نور. وقد تمادوا في وقاحتهم وغطرستهم. وقالوا «قد شردنا لا نجيء إليك بعد». إنه لمن الحماقة بالنسبة لنا، نحن المتسولون، أن نقول: «قد شردنا»، أي إننا أغنياء، ولن نجيء إلى الله ثانية.

ثالثا: يلقي بتبعة كل شرورهم على نسيانهم الله (ع ٣٢): «أما شعبي فقد نسيني»، تجنبوا كل الأشياء التي قد تذكرهم بالله. وقد أهملوه «أياما بلا عدد»، وأبعدوه زمانا طويلا عن فكرهم. وكم يوما مرت في حياتنا دون أن نتذكر الله كما يجب. من الذي يستطيع أن يحصي هذه الأيام العقيمة؟ لم يولوه الاعتبار الذي توليه النساء لملابسهن الرائعة: «هل تنسى عذارء زينتها أو عروس مناطقها؟» كلا، بل هن دائما وأبدا يفكرن فيها ويتحدثن عنها.

رابعا: يبين لهم التأثير السيىء الذي كان لخطاياهم على الآخرين (ع ٣٣) «لماذا تحسنين طريقك لتطلبي المحبة». ونجد هنا إشارة إلى النساء العاهرات اللواتي تحاولن جذب أنظار الرجال بنظراتهن العابثة وملابسهن الخليعة مثل إيزابل التي كانت تطلي عينيها وترتب شعرها. وبهذا كن تجذبن جيرانهن إلى علاقات خاطئة «لذلك علمت الشريرات أيضا طرقك» الخاصة بمزج فرائض الله بعاداتهن الوثنية. وأولئك اللواتي ستواجهن حسابا عسيرا هن اللواتي باشتراكهن في أعمال الظلمة غير المثمرة، يزدن من شر الأشرار وبشكل لم يكونوا ليصلوا إليه أبدا.

خامسا: اتهمهم بجريمة القتل (ع ٣٤): «في أذيالك وجد دم نفوس المساكين الأزكياء». والإشارة هنا إلى الأطفال الذين كانوا يقدمون كذبائح لمولك، أو قد تؤخذ بصفة عامة كإشارة إلى كل الدم البريء الذي سفكه منسى «حتى ملأ أورشليم» (٢مل ٢١: ١٦).

سادسا: رفض التماسهم «لم أخطئ» (ع ٣٥). «هأنذا أحاكمك لأنك قلت لم أخطئ»، وأحاسبك على أخطائك.

استنتجوا أن الله سرعان ما يسقط قراره ويرتد «غضبه» عنهم. وهذا ما يدعوا إلى الغيظ، وسوف يقنعهم الله أن غضبه عادل، ولن يوقف خلافه معهم، وعوض أن يبرروا أنفسهم، عليهم أن يحاكموا ويدينوا أنفسهم.

سابعا: وبخهم بقسوة على الإحباطات المخزية التي صادفتهم، حين أولوا المخلوقات ثقتهم، في الوقت الذي اتخذوا فيه الله عدوا (ع ٣٦ و٣٧). وكان نوعا من الوثنية الروحية أنهم اتكلوا على ذراع بشر، وابتعدت قلوبهم عن الرب «لماذا تركضين لتبدلي طريقك؟» فالذين يجعلون الله رجاءهم، ويسيرون في اتكال دائم عليه ليسوا في حاجة إلى أن يركضوا لتبديل طريقهم، لأن نفوسهم قد تعود إليه، وتستريح فيه باعتباره راحتها. لقد وضعوا أولا ثقتهم في أشور، وحين ثبت أنها قصبة مرضوضة، اتكلوا على مصر، وثبت أنها لم تكن أفضل. «من مصر أيضا تخزين»، وهي التي تتكلون عليها الآن، كما سبق أن «خزيت من أشور» التي سببت لهم المتاعب عوض أن تساعدهم (٢أخ ٢٨: ٢٠). وسوف يعود سفراؤكم أو مبعوثوكم من مصر في خزي، أو «من هنا أيضا تخرجين»، أي يذهبون إلى السبي في أرض غريبة «يداك على رأسك». فمصر، التي تتكلون عليها، لن تستطيع أن تمنع السبي أو تنقذكم منه. وكما أنه لا توجد مشورة أو حكمة يمكن أن تتغلب على الرب، كذلك لا توجد مشورة أو حكمة يمكن أن تنجح بدونه.

الأصحاح الثالث

نجد في هذا الأصحاح دعوات كريمة للعودة والتوبة، على الرغم من كثرة استفزازاتهم التي ذكرت هنا، لتبين كيف أنه كلما زادت الخطية تعاظمت النعمة. ونجد هنا:

أولا: وضح أيضا مدى الشر الذي كانوا عليه وكيف أن الله مع ذلك كان مستعدا لقبولهم في نعمته إذا ما تابوا (ع ١ – ٥).

ثانيا: عقوق يهوذا (ع ٦ – ١١).

ثالثا: تشجيعات عظيمة للذين شردوا لكي يعودوا ويتوبوا،

ووعود بالرحمة العظيمة التي يحتفظ بها الله لهم (ع ١٢ – ١٩).

رابعا: جدد الاتهام ضدهم بسبب ارتدادهم عن الله وكررت الدعوة وأضيفت هنا الكلمات التي ينتفعون بها لدى عودتهم إلى الله (ع ٢٠ – ٢٥).

عدد ١ – ٥

تفتح هذه الأعداد باب الرجاء، فالله يجرح لكي يعصب.

أولا: كيف كان هذا الشعب شريرا إذ يرتد عن الله ويزني ضده. فأن يسمحوا بإله غريب بينهم يعد شرا كبيرا، ولكنهم لم يكونوا يشبعون من شهوة العبادة الباطلة: «فقد زنيت بأصحاب كثيرين» (ع ١). كانوا يبحثون عن فرص لوثنيتهم وأرسلوا يستفسرون عن آلهة جديدة: «في الطرقات جلست لهم كأعرابي في البرية» كالبائع المتجول (كما يفسرها البعض) الذي يتودد إلى الزبائن. وهم لم ينجسوا أنفسهم فحسب بل نجسوا «الأرض» «نجست الأرض بزناك وبشرك» (ع ٢)، ذلك أنها أصبحت خطية قومية. ومع ذلك (ع ٣): «وجبهة امرأة زانية كانت لك»، كان لك وجه وقح صفيق. «أبيت أن تخجلي». فالخجل هو لون الفضيلة، أو على الأقل المتبقي منها، فالمثل يقول: الذين لا يخجلون ليس لهم رجاء.

ثانيا: كيف أن الله أدبهم بلطف بسبب خطاياهم. فلم يتعد عقابه سوى أن «امتنع الغيث» لجزء واحد من السنة فقط.

ثالثا: كيف كان من حق الله وعدله ألا يقبلهم ثانية على الإطلاق، طبقا لقانون الطلاق المعروف (ع ١). يقولون في تثنية ٢٤: ٤ إذا طلقت امرأة مرة، واتخذت زوجا آخر فإن «زوجها الأول» لا يستطيع أن يأخذها ثانية زوجة له، ذلك أن التساهل دون قيد في رابطة الزواج سيكون تدنيسا رهيبا لتلك الفريضة «ألا تتنجس تلك الأرض نجاسة».

رابعا: كيف أنه برحمته دعاهم للعودة إليه: على الرغم من أنكم كنتم أشرارا «لكن ارجعي إليَّ» (ع ١). لم يقيد الله نفسه بالنواميس التي صنعها لنا، وليس هو سريع الغضب والامتعاض مثل الإنسان، بل سيكون طيبا مع إسرائيل بأكثر مما يكون عليه حال زوج مجروح من زوجته الزانية. بل هو بكل عطف يوجههم إلى ما يقولونه له (ع ٤): «ألست من الآن تدعينني»، أما وقد أصبحتم تدركون خطاياكم (ع ٢) وتتألمون بسببها (ع ٣)، ألن تتركوها وترجعوا إلي قائلين: «أذهب وأرجع إلى رجلي الأول لأنه حينئذ كان خير لي من الآن» (هو ٢: ٧). وهو يتوقع ادعاءهم بصلتهم بالله بأنه إلههم: «تدعينني يا أبي أليف صباي أنت؟» من المؤكد أنهم سيرجعون إليه كأب، لكي يلتمسوا الصفح عن سلوكهم العاق نحوه. وربما تؤخذ العبارة بمعنى عام: باعتبارك «أبي» فأنت «أليف صباي». والصبي يحتاج إلى صديق. وفي رجوعنا إلى الله علينا أن نتذكر بكل شكر أنه كان «أليف» صبانا من ناحية تعزيتنا، أما بعدئذ فسوف يكون صديقنا من ناحية قيامنا بما هو واجب علينا.

عدد ٦ – ١١

تاريخ هذه العظة هو «في أيام يوشيا»، الذي شرع في عمل إصلاح مبارك قد تحمس له، غير أن الشعب لم يخلصوا له. وقد تمت المقارنة هنا بين حالة كل من مملكتي إسرائيل ويهوذا، الأسباط العشرة الذين تمردوا على عرش داود وهيكل أورشليم، «والسبطين» اللذين التصقا بهما.

أولا: فقرة موجزة عن أورشليم، الأسباط العشرة، سميت «العاصية إسرائيل»، لأن هذه المملكة أسست في البداية وهي في حالة ارتداد عن الوصايا الإلهية سواء من الناحية الدينية أو المدنية. «انطلقت إلى كل جبل عال وإلى كل شجرة خضراء وزنت هناك» (ع ٦)، أي أنهم عبدوا آلهة أخرى في المرتفعات والبساتين. وقد دعاهم الله من خلال أنبيائه بل وشجعهم على التوبة والإصلاح (ع ٧): «بعدما فعلت كل هذه» الأمر الذي كان يجب أن أتخلى عنها بسببه، غير أنني قلت لها «ارجعي إليَّ». لقد أرسل الله أنبياءه بينهم يدعونهم إلى الرجوع إليه، وأن يعبدوه وحده، ولم يصر كثيرا على رجوعهم إلى بيت داود، بل يشدد على رجوعهم إلى بيت هارون. لم نقرأ إطلاقا أن إيليا، ذلك المصلح الكبير قد ذكر إطلاقا عودتهم إلى بيت داود. وعلى الرغم من هذا، أصروا

على الاستمرار في وثنيتهم: «فلم ترجع»، فرأى الله ذلك (ع ٧ و٨). ولذلك سلمهم إلى أيدي أعدائهم (ع ٨)، وعندما «رأيت» عندئذ أن «العاصية إسرائيل» قد زنت فطلقتها «وأعطيتها كتاب طلاقها». لقد شتت كل مجامعهم ومدارس الأنبياء ونفى أي ادعاء كاذب بعلاقتهم بالعهد الذي قطع مع آبائهم.

ثانيا: حالة يهوذا، مملكة السبطين. دعيت «الخائنة يهوذا أختها»، وهي أخت لأنها انحدرت من نفس الأصل المشترك، إبراهيم ويعقوب، غير أن إسرائيل وصفت بأنها «العاصية»، وهكذا دعيت يهوذا «الخائنة» لأنه على الرغم من أنها ادعت بأنها ملتصقة بالرب حين ارتدت إسرائيل (تمسكت بالملوك والكهنة الذين عينهم الله)، إلا أنه ثبت أنها خائنة. وسبي إسرائيل قصد به أن يكون تحذيرا ليهوذا، لكنه لم يأت بالنتيجة المرجوة. لقد اعتقدت يهوذا أنها آمنة ما دام عندها اللاويون ليكونوا كهنتها، وأبناء داود ليكونوا ملوكها. لقد «نجست الأرض» وجعلتها مكرهة لله «إذ زنت مع الحجر ومع الشجر» أي مع أرخص الأوثان، تلك المصنوعة من «خشب وحجر». وأثناء حكم منسى وآمون، عمَّ الفساد البلاد كلها. لقد اختبرهم الله، هل سيكونون صالحين في ظلال حكم صالح، غير أن ميولهم الشريرة لم تتغير: لم يرجعوا إليَّ بكل قلوبهم.. «بل بالكذب» (ع ١٠). ولقد ذهب يوشيا إلى أبعد مما ذهب إليه أفضل من سبقوه فيما يتعلق بمحاربة الوثنية، فقد «رجع إلى الرب بكل قلبه وكل نفسه وكل قوته» (٢مل ٢٣: ٢٥). وقد أجبر الشعب على الإذعان الظاهري (٢أخ ٣٤: ٣٢؛ ٣٥: ١٧)، ولكنهم لم يكونوا مخلصين في ذلك، ولم تكن «قلوبهم مع الله». ولهذا السبب قال الله في ذلك الوقت بعينه: «إني أنزع يهوذا أيضا من أمامي كما نزعت إسرائيل» (٢مل ٢٣: ٢٧). لا أقبل تدينا دون إخلاص.

ثالثا: قورنت حالة هاتين المملكتين الشقيقتين، ومن بين الاثنتين كانت يهوذا هي الأسوأ (ع ١١). هذا التبرير النسبي لن يفيد إسرائيل، لأنه ماذا يفيدنا القول بأننا أقل سوءا من الآخرين، ما دمنا نحن لسنا صالحين حقا؟ وكانت يهوذا أسوأ من إسرائيل من ناحيتين:

(١) كان المتوقع من يهوذا أكثر مما كان متوقعا من إسرائيل. لقد شوهت يهوذا الشهادة الأكثر قداسة، وزيفت الوعد الأكثر تبجيلا بأكثر مما فعلت إسرائيل.

(٢) كان ينبغي على يهوذا أن تتعظ من دمار إسرائيل وأن يكون ذلك تحذيرا لها، غير أن ذلك ما لم تفعله.

عدد ١٢ - ١٩

هناك الكثير من الإنجيل في هذه الأعداد. لقد وجه النبي إلى أن ينادي «بهذه الكلمات نحو الشمال»، لأنها دعوة لإسرائيل المرتدة، الأسباط العشرة الذين تم سبيهم في أشور التي تقع شمالي أورشليم. عليه اتخاذ هذا الطريق لتوبيخ رجال يهوذا لعنادهم ورفضهم الاستجابة للنداء الذي وجه إليهم. «فالعاصية إسرائيل» سوف تقبل الرحمة وتنتفع بها بأسرع مما هو الحال بالنسبة «للخائنة يهوذا». ولعل إعلان هذه الرسالة تجاه الشمال يمتد إلى الأمام لتشمل الكرازة باسمه «بالتوبة ومغفرة الخطايا لجميع الأمم مبتدأ من أورشليم» (لو ٢٤: ٤٧).

أولا: هنا دعوة مقدمة «للعاصية إسرائيل»، وللوثنيين العصاة فيهم لكي يرجعوا إلى الله، وهو الإله الذي تمردوا عليه (ع ١٢): «ارجعي أيتها العاصية إسرائيل»، ثم في آية ١٤ «ارجعوا أيها البنون العصاة». ارجعوا إلى الطريق الصحيح الذي انحرفتم عنه. لقد تم تشجيعهم على العودة. لقد أغضبتم الله، ولكن ارجعوا إليَّ «لا أوقع غضبي بكم». وقد أرشدوا إلى الطريقة التي يعودون بها (ع ١٣): «اعرفي فقط إثمك»، اعترفي بخطأك، واحملي خزي إثمك، وأعط المجد لله. إنه لمما يضاعف من دينونة الخطاة أن شروط الغفران جاءت بسيطة إلى هذا الحد، ومع ذلك لم يستغلوها. «لو قال لك النبي أمرا عظيما أما كنت تعمله؟» (٢مل ٥: ١٣)، فكم بالحري إذا قال لك «اعرفي فقط إثمك». وينبغي علينا الاعتراف بخطايانا الفعلية: «أنك إلى الرب إلهك أذنبت»، لقد أسأت إليه وأهنته. يجب علينا الاعتراف بكثرة آثامنا «وفرقت طرقك للغرباء»، تركضين هنا وهناك سعيا وراء آلهتك «تحت كل شجرة خضراء». لم تصغي لصوتي، اعترفي بهذا، وليخجلك هذا الأمر أكثر من أي شيء آخر.

ثانيا: نجد هنا وعودا ثمينة قطعت للأبناء المرتدين

شريطة عودتهم، وهي وعود تحققت بشكل جزئي في عودة اليهود من السبي، غير أن النبوة ستتحقق بالكامل في كنيسة الإنجيل حين يتم جمع أولاد الله المتفرقين. ارجعوا، لأنه على الرغم من أنكم عصاة، إلا أنكم أبناء، وعلى الرغم من أنكم كزوجة زانية، إلا أنكم زوجة، لأني «سدت عليكم» (ع ١٤) ولن أنكر هذه العلاقة. وهكذا يتذكر الله العهد الذي قطعه مع آبائهم (لا ٢٦: ٤٢).

(١) وعد أن يجمعهم معا من الجهات التي تفرقوا وتشتتوا فيها (يو ١١: ٥٢): «فآخذكم واحدا من المدينة واثنين من العشيرة وآتي بكم إلى صهيون» (ع ١٤)، ومن بين الكثيرين الذين ارتدوا عن الله لم يرجع منهم إلا قليلون «واحدا من المدينة واثنين من العشيرة»، ومن بين هذه القلة، وعلى الرغم من تشتتها فإنه لن يُفقد واحد منها. وعلى الرغم من أنهم قد يكونون «واحدا من المدينة» فإن الله سيفتقد هذا الواحد. إن مختاري الله، المشتتين في جميع أنحاء العالم، سوف يؤتى بهم إلى كنيسة الإنجيل، التي هي جبل صهيون، أورشليم السمائية، ذلك الجبل المقدس الذي سيملك عليه المسيح.

(٢) وعد بأنه سيقيم عليهم أولئك الذين سيكونون من كل ناحية بركة لهم (ع ١٥): «وأعطيكم رعاة حسب قلبي».

أ. حينما تجمع كنيسته يجب أن تكون خاضعة للنظام: «وآتي بكم إلى صهيون» لتخضعوا للنظام، سآتي بكم ليس كحيوانات مفترسة، بل كحملان تحت إرشاد راعيها: «وأعطيكم رعاة» أي قضاة وخدام.

ب. إنه لأمر طيب بالنسبة للشعب حين يكون رعاتهم حسب قلب الله، الذي سيجعل مشيئته قاعدة لهم في كل أعمالهم، حيث سيحكمون له، وعندما يكون لديهم القدرة، سيحكمون مثله.

ج. والرعاة الذين هم بحسب قلب الله هم الذين يطعمون القطيع ولا يسلبونه، ويرعونه «بالمعرفة والفهم». والذين ليسوا هم رعاة فقط بل معلمين أيضا عليهم أن يطعموهم بكلمة الله القادرة أن تحكمهم للخلاص.

(٣) يعدهم بأنه لن تكون ثمة حاجة بعد لتابوت العهد، الذي كان رمزا لوجود الله بينهم، وأن هذا سوف يلغى (ع ١٦): «ويكون إذ تكثرون وتثمرون في الأرض»، وحين يقام ملكوت المسيح «لا يقولون بعد تابوت عهد الرب» لأنه ستتوافر لهم طريقة نقية روحية للعبادة، بها سيبطل الناموس الطقسي كله، لأن المسيح الذي هو حقيقة كل هذه الرموز، والموضح لنا في أقوال العهد الجديد وتعاليمه المقدسة، سيكون هو بالنسبة لنا عوض كل هذه الأمور. غير أنه في هيكل الإنجيل، المسيح هو تابوت العهد، وهو عرش النعمة، والحضور الروحي لله في فرائضه هو ما يجب علينا توقعه الآن. وثمة تعبيرات كثيرة استخدمت هنا فيما يتعلق بإبطال التابوت، «لا يخطر على بال ولا يذكرونه ولا يتعهدونه ولا يصنع بعد» «والذي يسجدون له فبالروح والحق ينبغي أن يسجدوا» (يو ٤: ٢٤).

(٤) يعد بأن كنيسة الإنجيل، التي سميت هنا أورشليم ستأخذ مكانتها البارزة (ع ١٧). وثمة أمران يجعلانها شهيرة:

أ. وجود الله بصفة خاصة وسيادته عليها. وسوف تسمى «كرسي الرب»، كرسي مجده، كرسي رياسته، وكرسي نعمته.

ب. دخول الأمم إليها: «ويجتمع إليها كل الأمم إلى اسم الرب» إلى «كرسي الرب» الذي يقام هناك.

(٥) يعد بأن الكنيسة ستشهد إصلاحا عظيما: «ولا يذهبون بعد وراء عناد قلبهم الشرير». لن يعيشوا بحسب رغباتهم، بل بحسب القواعد، وطبقا لمشيئة الله. ونرى هنا ما يؤدي إلى الخطية- «عناد قلبهم الشرير» فالخطية تتبع ذلك العناد، حيث تتحكم فينا الأهواء والنزوات، ولكن نعمة الله المجددة، تبعدنا عن السير وراء أهوائنا وتأتي بنا لأن نحكم بواسطة الديانة والمنطق الصحيح.

(٦) سوف تتحد يهوذا وإسرائيل في جسد واحد سعيد (ع ١٨). هكذا كانوا عند عودتهم من السبي وإقامتهم في أرض كنعان. وهذا الاندماج بين إسرائيل ويهوذا في كنعان كان يشير مسبقا إلى اتحاد اليهود والأمميين في كنيسة المسيح، حيث تم القضاء على كل العداوات واصبحوا «رعية واحدة وراع واحد».

ثالثا: صعوبات في طريق كل هذه المراحم:

(١) يقول الله إنه يسره أن يفعل ذلك من أجلكم. لأن الله لا يعطي نعمة مرغما، ولو أننا غير

www.DIFA3IAT.com

مستحقين إطلاقا لأفضاله، فليس فينا من يستحقها. فنحن المزدرى وغير الموجود، الذين لا قيمة لنا ولا استحقاق، والذين كثيرا ما نغيظ الله، كيف نعامل كالأبناء. والذين يعاملهم الله كالبنين سوف يعطيهم «أرضا شهية»، التي هي أرض كنعان. وكانت ترمز إلى السماء، حيث توجد السعادة الأبدية. وكيف يتوقع مكانا في «الأرض الشهية» ذاك الذي كثيرا ما احتقرها (مز ١٠٦: ٢٤) وهو غير لائق لها؟

(٢) وقد أجاب هو نفسه على هذا السؤال: «وقلت: تدعينني يا أبي». والله نفسه يجيب بالفعل على كل الاعتراضات. فسوف يعامل الذين يتوبون معاملة الأبناء، ويعطيهم «روح التبني» لكي يعلمهم أن يصرخوا «يا أبا الآب» (غل ٤: ٦). «قلت: تدعينني يا أبي» فسوف ترجعون إليَّ، وتسلمون أنفسكم إليَّ كأب، وهذا ما يؤهلكم لنعمتي. سوف يضع خشيته في قلوبهم، حتى لا يرجعون من ورائه إطلاقا، بل يتمسكون به إلى النهاية.

عدد ٢٠ - ٢٥

أولا: الاتهام الموجه لإسرائيل لخيانتهم وابتعادهم عن الله (ع ٢٠). لقد ارتبطوا مع الله بعهد زواج، لكنهم كسروا العهد، «هكذا خنتموني يا بيت إسرائيل».

ثانيا: اعترافهم بصحة هذا الاتهام (ع ٢١). ذلك أنه حين وبخهم الله بسبب ارتدادهم، كان هناك البعض ممن سُمع صوتهم وهم يبكون: «سُمع صوت على الهضاب بكاء تضرعات»، حيث ذللوا أنفسهم أمام إله آبائهم «لأنهم عوجوا طريقهم. نسوا الرب إلههم». فالخطية هي اعوجاج إلى طرق ردية. ونسيان الرب إلهنا أساس كل خطية فإذا ما تذكر الناس الله، لن يقعوا في الخطية.

ثالثا: الدعوة التي يوجهها لهم الله لكي يرجعوا إليه (ع ٢٢): «ارجعوا أيها البنون العصاة». وهو في محبته وعطفه يسميهم بنين، وعلى الرغم من أنهم بنون عصاة، إلا أنهم مع ذلك «بنوه»، الذين على الرغم من أنه يؤدبهم غير أنه لن يتبرأ منهم. فالله يصبر على أمثال هؤلاء الأبناء، وهكذا يجب أن يكون عليه حال الوالدين مع أبنائهم. فحين اتهموا بارتكاب الخطية (ع ٢١)، تمت دعوتهم للرجوع بالتوبة، كما يدعو المسيح إليه «المتعبين والثقيلي الأحمال». وكان الوعد للذين يعودون «فأشفي عصيانكم». والله يشفي عصياننا برحمته الغافرة، وسلامه الذي يبعث الطمأنينة، ونعمته المجددة.

رابعا: الإجابة السريعة التي قابلوا بها هذه الدعوة. وكانت هذه كصدى لدعوة الله، كالصوت الذي يعود من الجدران المتشققة، هكذا كانت هذه الإجابة من القلوب المحطمة. يقول الله: «ارجعوا». وقد أجابوا: «ها قد أتينا إليك».. فقد كانت إجابة سريعة.

(١) أتوا وقد كرسوا أنفسهم لله باعتباره إلههم: «أنت الرب إلهنا». لقد كانت خطيتنا وحماقتنا أننا ابتعدنا عنك.

(٢) أتوا طالبين العون من الله وحده: «حقا باطلة هي الآكام ثروة الجبال». لقد عبدوا أوثانهم على الجبال والآكام (ع ٦)، أما الآن فلن تكون لهم علاقة بها. ولذلك:

(٣) أتوا معتمدين على الله فقط باعتباره إلههم: «حقا بالرب إلهنا خلاص إسرائيل». وهذا ما ينطبق على الخلاص العظيم من الخطية، والذي صنعه المسيح يسوع لنا، هذا هو «خلاص الرب»، خلاصه العظيم.

(٤) أتوا معترفين ببر الله في متاعبهم وقد حكموا على أنفسهم لخطاياهم (ع ٢٤ و٢٥). فقد نسبوا كل المحن التي حلت بهم إلى أوثانهم: «وقد أكل الخزي تعب آبائنا». فالذين تابوا حقا تعلموا أن يطلقوا على الخطية «موتا وهلاكا». فقد أكلت كل الأشياء الطيبة التي تعب آباؤنا من أجلها وتركوها لنا، ولقد عرفنا «منذ صبانا» أن وثنيتنا كانت وراء خراب ازدهارنا. ومن بين تعب آبائهم الذي يذكرونه بصفة خاصة «غنمهم وبقرهم بنيهم وبناتهم». تحملوا خزي خطيتهم وحماقتهم «نضطجع في خزينا» (ع ٢٥) لأننا ما عدنا نحتمله: «ويغطينا خجلنا»، أي خجل عقابنا وخجل توبتنا. ونحن خطاة بالمولد: «أخطأنا نحن وآباؤنا». وقد «أخطأنا... منذ صبانا»، وواصلنا في الخطية، أخطأنا «إلى هذا اليوم»، على الرغم من الدعوات الكثيرة التي وجهت لنا للتوبة والرجوع عن

خطايانا. «ولم نسمع لصوت الرب إلهنا» الذي بعد أن أخطأنا كان يدعونا إلى التوبة. وكل هذا يبدو أنه لغة أولئك الذين هم من «بيت إسرائيل» الذين يتوبون (ع ٢٠)، لغة الأسباط العشرة، سواء من كانوا منهم في السبي، أم أولئك الذين بقوا في أرضهم، وقد ذكر النبي توبتهم ليوبخ رجال يهوذا ويدفعهم إلى تنافس مقدس.

الأصحاح الرابع

يبدو أن العددين الأولين من هذا الأصحاح كانا من الأفضل ضمهما للأصحاح السابق، لأنهما موجهان لإسرائيل، الأسباط العشرة، تشجعهم على أن يتمسكوا بما عزموا عليه (ع ١ و٢). أما بقية الأصحاح فيخص يهوذا وأورشليم.

أولا: تم دعوتهم للتوبة والإصلاح (ع ٣ و٤).

ثانيا: حذروا من زحف نبوخذنصر وقواته ضدهما (ع ٥ - ١٨).

ثالثا: لكي يؤثر فيهم بالأكثر نرى النبي نفسه ينوح بمرارة ويتعاطف مع شعبه في المحن التي لحقت بهم نتيجة ذلك.

عدد ١ و٢

حين دعا الله إسرائيل المرتدة إلى الرجوع (إر ٣: ٢٢) أجابوا على الفور: «ها قد أتينا»، هنا يضع الله ملاحظات على إجابتهم.

أولا: هل قلت: أنا راجع؟ إذا عليكم أن ترجعوا إليَّ وتعطوا الموضوع حق قدره. ارجعوا إلى العبادة المقررة لإله إسرائيل. عليكم أن تتركوا الخطية تماما، ولا تحتفظوا بأي أثر من بقايا الوثنية: انزع «مكرهاتك من أمامي». فوسائل عبادتهم الوثنية لم تكن واضحة فقط بل وبشكل بغيض في نظر الله. ويجب أن تنزع من أمامه، لأنها تشكل استفزازا للعينين الطاهرتين لمجد الله. عليهم ألا يعودوا ثانية للخطية (هذا هو معنى العبارة عند البعض)«فلا تتيه»، حيث يترجمونها «وكففت عن الضلال». وعليهم أن يعطوا لله المجد المستحق لاسمه (ع ٢)، وسوف تحلف «حي هو الرب». فوجوده سيكون أقدس حقيقة عندك.

ثانيا: شجعهم على التمسك بما عزموا عليه: «إن رجعت»، أي حين ترجع من سبيك إلى أرضك بحسب الوعد القديم (تث ٤: ٢٩؛ ٣٠: ٢). فسوف يكون بركة للآخرين، لأن عودتهم إلى الله ثانية ستكون سبيلا لمجيء آخرين إليه ممن لم يسبق لهم أن عرفوه أبدا (انظر إش ٦٥: ١٦). وسوف يباركون أنفسهم بإله «الحق» وليس بالآلهة الزائفة «وبه يفتخرون». وسوف يكون الله مجدهم.

عدد ٣ و٤

يحول النبي كلامه هنا، باسم الله، لكي يخاطب الناس الذين كان يعيش في وسطهم. ولقد سمعنا الكلمات التي أعلنها «نحو الشمال» (إر ٣: ١٢). لأجل تعزية أولئك الذين كانوا في السبي في ذلك الحين، وهيا نرى الآن ما يقوله «لرجال يهوذا ولأورشليم»، الذين كانوا في ازدهار الآن، من أجل إقناعهم وإيقاظهم من غفوتهم. وهو في هذين العددين يحضهم على التوبة والإصلاح، لكي يمنع الدينونات المدمرة التي كانت على وشك أن تنزل عليهم.

أولا: الواجبات المطلوبة منهم:

(١) عليهم أن يعملوا بالنسبة لقلوبهم ما يفعلونه بأرضهم التي يتوقعون منها أن تجلب لهم الخير، عليهم أن يحرثوها (ع ٣): «احرثوا لأنفسكم حرثا» حتى «لا تزرعوا في الأشواك»، حتى لا يكون تعبكم باطلا مثلما كان الحال معكم منذ فترة طويلة. هيئوا أنفسكم بشكل لائق لتقبل رحمة الله، وانزعوا منكم كل ما من شأنه أن يمنع نعمة الله عنكم، وهنا لكم أن تتوقعوا نوال نعمة الله وأن تنجحوا في محاولاتكم الرامية إلى نفعكم. فالقلب غير المقتنع وغير المتواضع يشبه الأرض غير المحروثة، المهجورة، والمليئة بالحصى والحجارة. وهذه أرض لا يرجى منها خيرا، فهي بلا سور، وغير مثمرة، مليئة بالشوك والحسك، وهما الناتج الطبيعي للقلب الفاسد، والذي ما لم تجدده النعمة، فسوف يذهب هباء ما يسقط عليه من مطر ومن أشعة الشمس (عب ٦: ٧ و٨). فيجب علينا أن نحرث هذه الأرض غير المحروثة. علينا أن نفحص قلوبنا، علينا أن نقتلع جذور هذه المفاسد، والتي هي- كالأشواك- تخنق كل محاولاتنا للإصلاح.

www.DIFA3IAT.com

(٢) يجب أن يولوا نفوسهم نفس الاهتمام الذي أولوه لأجسادهم حين دخلوا في عهد مع الله (ع ٤): «اختتنوا للرب وانزعوا غرل قلوبكم» اقمعوا الجسد وشهواته. لا تتباهوا بختان الجسد، لأنه ليس سوى علامة، ولن يفيد شيئا، بدون الأمر الذي يرمز إليه. إنه علامة تكريس. اعملوا بإخلاص، ما الذي عملتموه بالقول بختانكم، كرسوا أنفسكم للرب.

ثانيا: الخطر الذي يتهددهم. توبوا وأصلحوا من شأنكم «لئلا يخرج كنار غيظي». وغضب الله هو ما يجب أن نخشاه أكثر من أي شيء آخر.إن «شر» أعمالنا هو الذي يشعل نار غضب الله علينا. وتأملنا الخطر الوشيك يجب أن يوقظنا لكي نقدس أنفسنا «لمجد الله»، ولنتأكد من أننا تقدسنا بنعمته.

عدد ٥- ١٨

من عادة الله أن يحذر قبل أن يجرح. والله في هذه الأعداد يحذر اليهود من الخراب العام الذي سيحيق بهم قريبا نتيجة غزو أجنبي. وهذا ما يجب إعلانه في كل مدن يهوذا وشوارع أورشليم، حتى يسمع الجميع، ومن ثم إما أن يتوبوا، أو يتركوا بدون عذر.

أولا: أعلنت الحرب، وتم التحذير بزحف العدو. لقد جاء الإعلان الآن، وبواسطة النبي، قبل أن يتم الغزو بعدة سنوات (ع ٥ و٦) يجب أن يضرب «بالبوق»، وأن ترفع «الراية»، ويجب أن يستدعى الشعب لكي يجتمعوا، وليدخلوا «صهيون»، إما لحراستها، أو ربما كانوا يتوقعون الاحتماء بها. يجب جمع الفرق وتجنيد كل القوات. فأولئك الذين هم لائقون للخدمة عليهم أن يهرعوا إلى «المدن الحصينة» ليقيموا بها حامية عسكرية، أما الضعفاء فعليهم أن «يحتموا» وألا «يقفوا»، عليهم الهرب لحماية أنفسهم دونما أي تأخير.

ثانيا: وصل رسول يحمل خبر زحف ملك بابل وجيشه. وقد وصف العدو هنا بالتعبيرات التالية:

(١) «قد صعد الأسد من غابته»، وذلك بعد أن جاع ليبحث عن فريسته (ع ٧). والحيوانات الضعيفة تملكها الفزع، وبذلك أصبحت له فريسة سهلة. ونبوخذنصر، هذا الأسد المرعب الذي يمزق عدوه إربا والذي وصف بأنه «مهلك الأمم»، «زحف» الآن تجاه أرض يهوذا، «مهلك الأمم» سيكون «مهلك» اليهود أيضا، حين جعلوا أنفسهم مثل الأمميين بسبب وثنيتهم. لقد «خرج من مكانه»، خرج من بابل: واتجه نحو هذه الأرض، «تخرب مدنك فلا ساكن»، ستزرع بالعشب كحقل (بحسب ترجمة أخرى).

(٢) إنه مثل «ريح لافحة» (ع ١١)، تتلف ثمار الأرض وتذويها، كتلك التي تهب «من الشمال»، ريح بغيضة مفسدة. سوف تحيط بهم أينما ذهبوا. إنها «ريح لافحة من الهضاب في البرية» تضرب قمم الجبال، وتحمل كل ما يصادفها في السهل. وسوف تأتي بكل قوتها «نحو بنت شعبي»، الذين نشأوا مترفهين. وسوف تقبل عليهم هذه الريح العاتية «لا للتذرية ولا للتنقية»، بل هي «ريح أشد» (ع ١٢). وهذه «تأتي لي»، ستأتي بتفويض من الله، وسوف تنجز ما أرسلها من أجله.

(٣) شُبه العدو بالسحاب والزوبعة من ناحية السرعة (ع ١٣). سوف يزحف الجيش البابلي «كسحاب»، تدفعه الريح. «أسرع من النسور خيله» وذلك حين ينقضون على فريستهم.

(٤) أيضا كحراس حقل أو من يحرسونه (ع ١٥- ١٧). ذلك أن «صوتا يخبر من دان»، وهي أبعد مدن كنعان حيث تقع في أقصى الشمال. وقد تلقوا الأخبار وأوصلوها إلى أورشليم. ما هي الأخبار؟ «اذكروا للأمم»، مدن الأسباط العشرة، حتى يتدبروا ما يلزم لسلامتهم، ولكن «أسمعوا على أورشليم»، دعهم يعرفون «المحاصرون آتون من أرض بعيدة»، جنود لا يتركون أية فرصة لعمل الأذى. وهم مقبلون بأقصى سرعة «فيطلقون على مدن يهوذا صوتهم». و«كحارسي حقل» يحيطون بها لكي يخرجوا منها الجميع، هكذا سيحاصرون مدن يهوذا إلى أن تستسلم. «ويحدقون بك ويحاصرونك من كل جهة» (لو ١٩: ٤٣).

ثالثا: السبب المؤسف لهذه الدينونة.

(١) أخطأوا ضد الله، وكانوا هم سبب هذه الدينونة: «لأنها تمردت عليَّ يقول الرب» (ع ١٧). اقتحم البابليون بلادهم، وخطيتهم هي التي فتحت الثغرة التي دخلوا منها: «طريقك وأعمالك صنعت هذه لك» (ع ١٨). الخطية هي سبب كل متاعبنا.

(٢) غضب الله عليهم بسبب خطيتهم. إن حمو غضب الرب هو الذي جعل جيش البابليين على هذه الدرجة من الشراسة (ع ٨).

(٣) في غضبه العادل حكم عليهم بهذه العقوبة: «الآن أنا أيضا أحاكمهم» (ع ١٢).

رابعا: نتائج هذه الدينونة التي يؤسف لها. الشعب الذي كان من المفروض فيه أن يحارب سوف يمتلكه اليأس ولن يبذل أية محاولة للوقوف في وجه العدو «من أجل ذلك تنطقوا بمسوح. الطموا وولولوا» (ع ٨). فبدلا من امتشاق السيف سيتنطقون بمسوح. وفيما كان العدو بعد على مسافة منهم، فإنهم سيستسلمون ويصيحون: «ويل لنا لأننا قد أخربنا» (ع ١٣). كانت يهوذا وإسرائيل مشهورتين برجالهما البواسل، ولكن، ها هي نتيجة الخطية: فإنها إذ تحرم الناس من ثقتهم في الله، فإنها تحرمهم أيضا من شجاعتهم مع الناس. في ذلك اليوم سيفقد الملك شجاعته، وكذلك حكمته. وسوف يتمكن اليأس من رؤسائه ومستشاريه كما تملك منه أيضا. وكان من عمل الكهنة أن يشجعوا الشعب، كان عليهم أن يقولوا: «لا تخافوا ولا ترتعدوا» (تث ٢٠: ٢ و٣). أما الآن فالكهنة أنفسهم يتحيرون ويتملكهم الفزع، وعلى ذلك لن يستطيعوا تشجيع الشعب وشحذ همته. ويتنبأ مخلصنا بأنه في الخراب الأخير لأورشليم بأن الناس يغشى عليهم من الخوف (لو ٢١: ٢٦).

خامسا: شكوى النبي لأن الشعب قد خدع (ع ١٠)، وقد جاء التعبير عن ذلك بشكل غريب: «آه يا سيد الرب حقا إنك خداعا خادعت هذا الشعب.. قائلا يكون لكم سلام». ونحن على ثقة من أن الله لا يخدع أحدا، إلا أنه:

(١) خدع الشعب نفسه إذ تصرفوا على أساس الوعود التي قطعها الله لهم دون أن يهتموا إطلاقا بالشروط التي قامت عليها تلك الوعود، وبعد ذلك اشتكوا بكل شر من أن الله خدعهم.

(٢) خدعهم الأنبياء الكذبة بوعود السلام، التي كلموهم عنها باسم الله (إر ٢٣: ١٧؛ ٢٧: ٩).

(٣) سمح الله للأنبياء الكذبة بأن يخدعوهم، وأن يخدع الشعب بكلامهم، حيث سلم الطرفين معا لأوهام قوية ليعاقبهم «لأنهم لم يقبلوا محبة الحق».

(٤) قد تؤخذ العبارة كأنها سؤال: أحقا «إنك خداعا خادعت هذا الشعب؟» ومن الجلي أنهم خدعوا بدرجة كبيرة، لأنهم توقعوا أن يكون لهم «سلام»، في حين أنه «قد بلغ السيف النفس». فهل الله هو الذي خدعهم، كلا، لأنه كثيرا ما حذرهم من دينوناته، غير أن أنبياءهم هم الذين خدعوهم، ونادوا بالسلام لأولئك الذين لم يعدهم إله السماوات بالسلام. إنه لمما يرثى له أن نرى الناس يقبلون التملق على حساب هلاكهم، يمنون أنفسهم بالسلام في حين أن طبول الحرب تدق على الأبواب.

سادسا: محاولة النبي تخليصهم من الخداع.

(١) بين لهم جرحهم. فقد يكتشفون عقابهم في خطيتهم (ع ١٨): «هذا شرك. فإنه مرٌ». يتولد عنه حزن أليم «قد بلغ قلبك»، «وقد بلغ السيف النفس» (ع ١٠).

(٢) عرفهم العلاج (ع ١٤): «اغسلي من الشر قلبك يا أورشليم لكي تُخلَّصي». وهو يقصد بأورشليم كل واحد من سكانها، لأن لكل واحد قلبه. فالإصلاح الشخصي هو الذي يجب أن يساعد على الإصلاح العام، لذا كل واحد يجب أن يرجع عن طريق شره، وأن يغسل «من الشر» قلبه. والإصلاح أمر لازم تماما للخلاص. وليس من إصلاح مخلص إلا الإصلاح الذي يمس القلب. ولن يكون هناك إصلاح فعال للأخلاق دون إصلاح للفكر. وهو يحاججهم في الجزء الأخير من آية ١٤ بقوله: «إلى متى تبيت في وسطك أفكارك الباطلة؟» أفكار الإثم والشر، هذه هي الأفكار الشريرة التي هي جرثومة القلب الشرير التي تخرج منه كل الشرور الأخرى (مت ١٥: ١٩). البعض يأخذ الأفكار الباطلة هنا على أن المقصود بها هو الأعذار التافهة التي يرفضون بها توبيخات الكلمة ونداءاتها، ويدعمون ما هم فيه من شر.

عدد ١٩ - ٣١

يشعر النبي هنا بألم فظيع، ويصرخ كمن هو في عذاب أليم، وقد عبر عن ذلك بتعبيرات تدعو إلى الشفقة حتى إنها تذيب قلب الحجر: «أحشائي أحشائي. توجعني جدران قلبي». والرجل الصالح، في

WWW.DIFA3IAT.COM

مثل هذا العالم الشرير لا يمكنه إلا أن يكون «رجل أوجاع». «يئن فيَّ قلبي» لاضطراب حالتي النفسية، «لا أستطيع السكوت». ولم يكن حزنه لسبب يخصه، أو لمحنة في عائلته، ولكن ذلك كان لحزنه على الشعب بصفة عامة، إن كل آلامه النفسية هذه بسبب الحالة التي يرى عليها شعبه.

أولا: تمكنت منهم الخطية ولن يقبلوا الإصلاح (ع ٢٢) «شعبي أحمق. إياي لم يعرفوا». كانت هذه كلمات الله نفسه. والله يدعوهم شعبه، على الرغم من حماقتهم. لقد رفضوا الله، ولكن الله لم يرفضهم (رو ١١: ١). إنهم «حكماء في عمل الشر»، يدبرون الشر ضد المسالمين في الأرض، حكماء في إشباع شهواتهم الشريرة، حكماء في إخفائها، وتبريرها. «ولعمل الصالح ما يفهمون»، لا يعملون ذهنهم في هذه الناحية.

ثانيا: حالتهم بائسة جدا، ولا يمكن إنقاذهم.

(١) إنه يصرخ عاليا لأنه سمع «صوت البوق وهتاف الحرب». رأى «الراية»، وهذه كلها إنذارات الحرب (ع ١٩، ٢١). رأى ذلك بروح النبوة. لقد سمعتها «نفسه» من أقوال الله، كما لو كان قد سمعها بأذنيه الجسدية. وعلى الرغم من أنه تنبأ بهذه الكارثة، إلا أنه كان أبعد ما يكون عن الرغبة في مجيء هذا اليوم الرهيب. لقد بذل كل جهد لكي يبث فيهم خوفا مقدسا حتى يمكن أن يمنع الدينونة بتوبة صادقة تجيء في الوقت المناسب.

(٢) الخراب الذي تم التنبؤ به هنا.

أ. خراب سريع ومباغت. «بكسر على كسر» أي بكارثة في أعقاب كارثة. فقد نزع موت يوشيا بوابة الفيضان، فبعد ذلك بثلاثة شهور أصبح ابنه وخليفته يوآحاز موضع ازدراء ملك مصر، وبعد ذلك بسنتين أو ثلاث سنوات حاصر نبوخذنصر أورشليم واستولى عليها، ومنذ ذلك الحين أخذ يوالي الهجمات على أرض يهوذا، إلى أن أكمل الخراب بدمار أورشليم: «بغتة خربت» خيامهم، وشققهم «في لحظة». وكان قد خرب الأرض أولا. والرعاة وكل من كانوا يعيشون في خيام نهبوا بسرعة، ولذلك نجد الركابيين الذين كانوا يسكنون الخيام قد انسحبوا إلى أورشليم عند أول ظهور جيش البابليين (إر ٣٥: ١١).

ب. استمرت هذه الحرب، لعناد الشعب، وعدم خضوعهم لملك بابل، وانتهزوا كل فرصة للتمرد عليه. وهذا ما كان مثار شكوى (ع ٢١): «حتى متى أرى الراية؟» هل سيهلك السيف إلى الأبد؟

ج. «قد خربت كل الأرض»، أو سلبت (ع ٢٠)، هكذا كانت في البداية، وفي النهاية أصبحت فوضى عارمة. فالأرض «خربة وخالية» (ع ٢٣)، كما كانت في البداية (تك ١: ٢)، مشوشة ومقفرة، الكلمات التي استخدمت هناك، وهذا ما ينطبق على أرض يهوذا. و«السماوات فلا نور لها». هذه إشارة إلى الظلمة التي كانت على وجه الغمر (تك ١: ٢). فلم تكن الأرض فقط هي التي خذلتهم بل أعلنت السماء غضبها عليهم، فمع محنتهم أحاط بهم الظلام، لأنهم عجزوا عن الرؤية نتيجة بليتهم. فدخان بيوتهم ومدنهم التي أحدقها العدو، كان من شأنه أن حجب الشمس، ولذلك رأوا «السماوات فلا نور لها». وقد تؤخذ العبارة على أنها تشبيه مجازي: «فالأرض» (أي عامة الناس) تعرضت للخراب والاضطراب، «والسماوات» (أي الرؤساء والحكام) لا نور لهم، أي كانوا يفتقرون إلى الحكمة، واخفقوا في أن يكونوا مرشدين لهم: «الجبال.. ترتجف وكل الآكام تقلقلت» (ع ٢٤). «ودُكت الجبال الدهرية» (حب ٣: ٦). فالجبال التي عبدوا عليها أوثانهم ارتجفت، كما لو كانت قد أحست بإثم الشعب، وتقلقلت الآكام كما لو أنها قد شعرت براحة لتخلصها من عبء «الأمة الخاطئة» (إش ١: ٤). «نظرت» إلى المدن «وإذا لا إنسان» آراه، «وكل طيور السماء» التي اعتادت أن تغرد بين الأغصان، لم نكن نراها بعد أو نسمعها. وأرض يهوذا أصبحت مثل خراب سدوم (انظر تث ٢٩: ٢٣). «نظرت وإذا البستان برية». والمدن أيضا، بواباتها وأسوارها أصبحت حطاما وسويت بالأرض. وأولئك الذين لا ينظرون إلى أبعد من الأسباب الثانوية، يعزون ذلك إلى سيادة الغزاة وغضبهم، غير أن النبي، الذي ينظر إلى العلة الأولى يقول إن ذلك «من وجه الرب». فالأمة سيعمها الخراب تماما: «خرابا تكون كل الأرض»، تخرب الأرض الزراعية والمراعي (ع ٢٧): «من صوت الفارس ورامي القوس كل المدينة هاربة».

وبدلا من أن يعرضوا أنفسهم لغضبة الأعداء «دخلوا الغابات وصعدوا على الصخور»، و«كل المدن متروكة». وهذه فكرة كئيبة عن الخراب الوشيك، غير أنه في وسط كل هذه التهديدات تأتي كلمة واحدة معزية (ع ٢٧): «ولكنني لا أفنيها»– لأن الله سيحتفظ لنفسه ببقية. سوف يعاد بناء أورشليم، وتعمر الأرض. وهذه كانت لتعزية الذين يرتجفون من كلمة الله.

د. كانت حالتهم ميئوسا منها ولا علاج لها. فلن يساعدهم الله، ولذلك أخبرهم بصراحة (ع ٢٨). لن يتوبوا، ولن يكفوا عن خطاياهم (إر ٢: ٢٥)، ولذلك لن يندم الله ولن يرجع عن دينونته. ولن يستطيعوا أن يساعدوا أنفسهم (ع ٣٠ و٣١). ولقد منوا أنفسهم بأنهم سيجدون وسيلة ما. غير أن النبي يقول لهم، إنهم عندما يأتون إلى ذلك لن يجدوا إلا حيرة وارتباكا بالغين. فسوف يحتقرهم حلفاؤهم الذين اعتمدوا عليهم. وهو يشبه أورشليم بأنها عاهرة تخلى عنها كل الفاسقين الذين كانوا يخطبون ودها. لقد عملت كل ما في وسعها لتبدو مهمة بين الأمم، كحليف له قيمته. وكانت تتودد إليهم من خلال سفرائها. «لبست قرمزا»، كما لو كانت غنية، ثم «تزينت بزينة من ذهب»، كما لو كانت خزائنها لا تزال عامرة.. و«كحلت بالإثمد» عينيها، وظهرت بأفضل مظهر ممكن في محنتها الحالية غير أن هذه الزينة، على الرغم من أنها تجمل الوجه في الوقت الحاضر، إلا أنها في الواقع تدمره، وتتلف الجلد، وتشققه وتجعله خشن الملمس. على كل حال «فباطلا تحسنين ذاتك»، فكل جيرانك يعرفون الدمار الذي لحق بك. وسيسلبك البابليون كل قرمزك وجواهرك. ويبدو أننا هنا بصدد إلماحة إلى إيزابل، التي اعتقدت بأن ظهورها بمظهر رائع وجميل يمكنها أن تتحدى مصيرها، ولكن بدون جدوى (٢ مل ٩: ٣٠، ٣٣). سيجدون متاعبهم مثل الضيق الذي تلاقيه الماخضة، والذي لا يمكنها تفاديه: «صوت ابنة صهيون تزفر»، ويصل صدى أنينها إلى صيحات انتصار الجيش البابلي (ع ١٥). وإذ رفض جيران صهيون أن يعطفوا عليها نجدها «تزفر» (تأخذ نفسا عميقا)، و«تبسط يديها» تطلب العون.

الأصحاح الخامس

جاء هذا الأصحاح وقد امتزجت به التوبيخات بسبب الخطية والتهديدات بالدينونة، ولعل التوبيخات على الخطية تكون أكثر فعالية وتقودهم إلى التوبة.

أولا: الخطايا التي اتهموا بارتكابها: الظلم (ع ١)، الرياء في الديانة (ع ٢)، عدم قبولهم الإصلاح (ع ٣)، الفساد والفسوق بالنسبة للفقراء والأغنياء على حد سواء (ع ٤ و٥)، الزنا والوثنية (ع ٧ و٨) خيانتهم في الابتعاد عن الله (ع ١١)، تحديهم له (ع ١٢ و١٣)، ووراء كل هذا افتقارهم إلى خشية الله (ع ٢٠ – ٢٤). ولقد اتهموا في نهاية الأصحاح بالظلم والقهر (ع ٢٦– ٢٨)، لكي يفسدوا الأمة (ع ٣٠ و٣١).

ثانيا: الدينونات التي هدد بها رهيبة للغاية. فسوف يدفع عدو غريب للقيام عليهم (ع ١٥– ١٧)، وسوف يقوم بسبيهم (ع ١٩)، ويحرمهم من كل الخيرات (ع ٢٥)، وعلى الرغم من ذلك:

ثالثا: نجد تلميحا، ذكر مرتين، بأن الله لن يفنيهم (ع ١٠، ١٨). وكان هذا هدف إرميا وقصده من كرازته في الجزء الأخير من حكم يوشيا، وبداية حكم يهوياقيم.

عدد ١ – ٩

أولا: تحدٍ بأن يقدموا إنسانا واحدا أمينا في أورشليم (ع ١). لقد أصبحت أورشليم مثل العالم القديم «إذ كان كل بشر قد أفسد طريقه على الأرض». طوفوا في شوارع أورشليم... فتشوا في ساحتها حيث يقيمون أسواقهم، «هل تجدون إنسانا أو يوجد عامل بالعدل طالب الحق». «الصدق سقط في الشارع» (إش ٥٩: ١٤). لو كان هناك عشرة رجال أبرار في سدوم، لو كان واحد في كل ألف، أو من عشرة آلاف في أورشليم، لخلصت. ماذا تظنون في أولئك الذين هم في أورشليم الذين يواصلون التمسك بديانتهم، هل كانت إسرائيل ستفلت من العقاب بسببهم؟ كلا، إنهم ليسوا أمناء في تدينهم (ع ٢): «وإن قالوا حي هو الرب»، ولا يحلفون إلا باسمه «فإنهم يحلفون بالكذب».

ثانيا: شكوى النبي إلى الله من تصلب هذا الشعب. ولقد احتكم الله إلى عيونهم (ع ١)، غير أن النبي هنا يحتكم إلى عينيه هو (ع ٣): «يا رب أليست عيناك على الحق»، ألا ترى كل إنسان منهم

على حقيقته؟ لقد «صلبوا وجوههم أكثر من الصخر»، «ضربتهم»، أدبتهم بقسوة وأبوا التأديب. لم يؤثر فيهم التأديب، ولم يرجعهم إلى الصواب.

ثالثا: كان الاختبار للأغنياء والفقراء، وقد ظهر شر الفئتين معا.

(١) كان الفقراء جهلة. وجد كثيرين «أبوا الرجوع» عن طرقهم الشريرة، ممن كان يريد أن يصنع لهم عذرا «إنما هم مساكين. قد جهلوا» (ع ٤). لم تتح لهم على الإطلاق فرصة تعليم جيد، بل ولا تتوافر لهم الآن وسائل التعليم. فالجهل السائد هو السبب المؤسف لكثرة الشر والإثم. هناك فقراء الشيطان، وكذلك فقراء الله، الذين على الرغم من فقرهم لكنهم «يعرفون طريق الرب» لكي يسيروا ويعملوا واجبهم، دون أن يكونوا متعلمين، ولكنهم جهلة بإرادتهم.

(٢) كان الأغنياء سفهاء متغطرسين «أنطلق إلى العظماء» (ع ٥)، لأعرف ما إذا كانوا يقبلون على كلمة الله ويتقبلون مشيئته. غير أنه على الرغم من أنهم عرفوا «طريق الرب قضاء إلههم» إلا أنهم كانوا متصلبين بحيث لم يخضعوا لأحكامه: «أما هم فقد كسروا النير جميعا وقطعوا الربط». اعتقدوا أنهم أكبر من أن يؤدبوا، حتى لو كان ذلك بمعرفة الله نفسه. فالفقراء ضعفاء، والأغنياء متصلبين، وعلى هذا فما من أحد منهم عمل واجبه.

رابعا: ذكرت بعض الخطايا المعينة التي ارتكبوها. فكثيرون ارتدوا عن الله وتكاثر عددهم وأصبحوا أكثر صفاقة (ع ٦). وبزناهم الروحي أعطوا للأوثان المجد المستحق لله وحده. «وحلفوا لهم» (كما يترجمها البعض)، انضموا إليهم ودخلوا في عهد معهم. زناهم الجسدي: تركوا الله وعبدوا الأوثان. أولئك الذين أهانوه تركوا ليهينوا أنفسهم وعائلاتهم. لقد «زنوا» دون شعور بالخزي أو الخوف من العقاب، ذلك أنهم «في بيت زانية تزاحموا»، ولم يخجلوا من رؤيتهم بعضهم بعضا. لقد تمادوا في شهواتهم حتى أصبحوا كالحيوانات «صاروا حصنا معلوفة سائبة. صهلوا كل واحد على امرأة صاحبه» (ع ٨).

خامسا: غضب الله عليهم بسبب الفساد الذي شاع في أرضهم. سوف يقتحم عدو غريب أرضهم، وستصبح كما لو كان قد اكتسحها وسيطر عليها تماما «الأسد من الوعر» أو «ذئب» من البرية، الذي يأتي في المساء، حين يتملكه الجوع، وهنا يكون شرسا ونهما للغاية، أو بواسطة «النمر» الذي يتسم بالسرعة والقوة. سوف «يكمن» العدو «حول مدنهم»، حتى يصبح السكان في تلك الورطة المؤلمة. إذا بقوا فيها، سوف يهلكون جوعا، وإذا ما خرجوا سوف يطعنون؛ ذلك أن العدو يفترس «كل من خرج منها». وكل هذا العمل الدموي جاء «لأن ذنوبهم كثرت». فالخطية هي التي تؤدي إلى الذبح: «كيف أصفح لك عن هذه؟» هل بمقدورك أن تتصور أن الله الذي طهارته غير محدودة يتغاضى عن هذه النجاسة البغيضة؟ ألا «تنتقم نفسي من أمة كهذه» (ع ٩). وليس معنى هذا أن الذين ارتكبوا هذه الخطايا لم يجدوا رحمة لدى الله (لأن منسى الملك نفسه رُحِم)، ولذلك فإنه لن يكون لمجد الله أن يسمح لأمة بأن ترتكب آثاما دون أن تعطى لها علامات واضحة عن غضبه.

عدد ١٠ - ١٩

أولا: خطية هذا الشعب تؤدي به إلى الهلاك (ع ١٠)، فعلى الرغم من أن «بيت إسرائيل وبيت يهوذا» في خلاف مع بعضهما البعض، إلا أنهم اتفقوا من ناحية إنهم «جحدوا الرب». تركوا عبادته، وأصبحوا مرائين. تحدوا أحكام الله وتهديداته التي أرسلها على فم أنبيائه (ع ١٢ و١٣). فكثيرون هلكوا لاعتقادهم أن الله لن يكون حازما: «ولا نرى سيفا ولا جوعا». لقد حذرهم الأنبياء بما فيه الكفاية ولكنهم قابلوا التحذير بالسخرية: «إنهم يقولون هذا، لأن هذه مهنتهم. إن ما يقولونه ليس من أقوال الله، بل من خيالاتهم المريضة». وقاموا بتهديدات الأنبياء: «والأنبياء يصيرون ريحا... هكذا يُصنَع بهم». هل يخيفوننا بالمجاعة؟ ليأكلوا خبز البلية. هل يحدثوننا عن السيف؟ ليهلكوا بالسيف (إر ٢: ٣٠).

ثانيا: معاقبة هذا الشعب بسبب خطاياه. يحول الله كلامه إلى إرميا النبي، الذي اتخذوا من كلامه مزاحا: «هأنذ جاعل كلامي في فمك نارا وهذا الشعب حطبا

فتأكلهم». فالخطاة يحولون أنفسهم إلى وقود عن طريق الخطية. سوف يسلط عليهم العدو. الله سيعطيه تفويض بذلك «اصعدوا على أسوارها» (ع ١٠)، دوسوا عليهم بأقدامكم، والأسوار الحجرية ستصبح أسوارا من طين أمام المهمة الإلهية. «انزعوا أفنانها»، ولا تتركوا المدن الحصينة إلا وقد صارت مفتوحة «لأنها ليست للرب». وهو لن يحميهم أو يكون حصنا لهم. والعمل الرهيب الذي سيأتيه هؤلاء الغزاة تم وصفه هنا «هأنذا أجلب عليكم أمة من بُعدٍ يا بيت إسرائيل» (ع ١٥). وقد وصفت أمة البابليين هنا بأنها أمة بعيدة «أمة من بُعدٍ»، ومع ذلك ستطول إقامتهم وسيكافأ الجنود بسخاء على هذا الزحف الطويل. «أمة قوية أمة منذ القديم»، يتباهون بأصالتهم ومن ثم يكونون أشد غطرسة. «أمة لا تعرف لسانها» ذلك أنهم يتكلمون اللغة السريانية. واختلاف اللغة سيشكل صعوبة من ناحية المفاوضات معهم من أجل السلام. لن يخزنوا شيئا بل «يأكلون حصادك» في الحقل، «وخبزك» في البيت، «الذي يأكله بنوك وبناتك»، و«يأكلون غنمك وبقرك»، التي منها تقدم ذبائح لأصنامك، ولن يتركوا لك ثمار «جفنتك وتينك». وسوف يهلكون «مدنك الحصينة التي أنت متكل عليها» لتكون حماية للبلاد.

ثالثا: إلماحة إلى الرحمة التي لا يزال الله يحتفظ بها لهم. لقد كلف العدو بأن يهدم ويخرب، غير أنه مطلوب منه ألا يفنيها (ع ١٠). «وأيضا في تلك الأيام»، على الرغم من كآبتها، «لا أفنيكم». وإذا كان الله لن يفنيهم، فلن يستطيع العدو ذلك.

رابعا: تبرير الله في كل هذه الإجراءات. كما أنه سيظهر رحمته لعدم إهلاكهم على نحو تام، فسوف يظهر بره إذ كان قريبا من عمل ذلك (ع ١٩)، فسوف يسأل الشعب: «لماذا صنع الرب إلهنا بنا كل هذه»، كما لو أنه لم يكن هناك سبب كاف للقيام بهذا العمل ضد هذه الأمة الخاطئة. وكان عليه أن يخبرهم بأن الله فعل ذلك معهم بسبب ما عملوه ضده، وسيطالعون خطيتهم في العقاب الذي يحل بهم. هل نسوا كيف تركوا الله وعبدوا «آلهة غريبة» في أرضهم، وعلى ذلك أليس عدلا أن يجعلهم الله يستعبدون لأعدائهم «في أرض غريبة» (انظر تثنية ٢٨: ٤٧ و٤٨).

عدد ٢٠ - ٢٤

بعد أن وبخهم النبي، أرسل إليهم هنا في مهمة أخرى، عليه أن يعلنها «في يهوذا»، لكي يحثهم على خشية الله.

أولا: يشكو من الغباء المشين لهذا الشعب. ذلك أنهم «الشعب الجاهل والعديم الفهم»، لأنهم إذ لم يفهموا فكر الله على الرغم من أنه أعلنه لهم بكل وضوح من خلال أنبيائه، وتدبيراته الإلهية (ع ٢١): «لهم أعين ولا يبصرون. لهم آذان ولا يسمعون». لهم ملكات ذهنية ولكنهم لا يستعملونها كما ينبغي. كانوا متصلبين الرأي لا يميلون إلى الخضوع لأحكام الناموس الإلهي (ع ٢٣): «وصار لهذا الشعب قلب عاص ومتمرد». والانحياز الفاسد للمشيئة هو الذي يبطل الفهم. وسمة هذا الشعب هي السمة الحقيقية لكل الشعوب إلى أن تعمل نعمة الله فيها تغييرا. فنحن حمقى بطيئو الفهم، لنا «قلب عاص ومتمرد»، ونحن لا نتمرد عليه نتيجة مقت متأصل لكل ما هو صالح فحسب، بل نتمرد نتيجة ميل قوي لكل ما هو شر.

ثانيا: أسند هذا إلى افتقارهم إلى خشية الله. وحين وجدهم بغير فهم سألهم: «أإياي لا تخشون يقول الرب أو لا ترتعدون من وجهي» (ع ٢٢). وحين وجد أن الشعب «عصوا ومضوا»، أضاف هذا القول كسبب لارتدادهم «ولم يقولوا بقلوبهم لنخف الرب إلهنا» (ع ٢٤). ولذلك تراودهم الأفكار الشريرة، لأنهم لن يسمحوا أو يقبلوا أية أفكار طيبة.

ثالثا: اقترح بعض الأشياء التي تحملنا على الخوف المقدس من الله.

(١) يجب أن نخشى الله وعظمته (ع ٢٢)، وهنا نجد مثالا: لقد وضع للبحر تخومه. وعلى الرغم من أن المد والجزر يضرب بقوة مرتين في اليوم، وأنه لو فاض سيغرق العالم، وعلى الرغم من أنه أثناء العاصفة تضرب الأمواج المتلاطمة الشاطئ بقوة هائلة، إلا أنها تنحسر، ولا تحدث ضررا، وذلك من صنع الرب، ولو لم يكن الأمر شائعا لكان عجيبا «في أعيننا»؛ أن جدارا من الرمال ستكون أكثر فعالية من جدار النحاس من ناحية القدرة على صد الأمواج العاتية، لكي يعلمنا أن «الجواب اللين يصرف الغضب»، ويهدئ غيظا

www.difa3iat.com

محتدما، في حين أن الكلمات الأليمة، مثل الصخور الصلبة لا ينجم عنها سوى إثارة السخط والغضب. لقد وضعت تلك التخم بواسطة «فريضة أبدية»، وهي تعود بنا إلى خلق العالم حين فصل الله بين المياه واليابسة (تك ١: ٩ و١٠؛ أي ٣٨: ٨ – ١١؛ مز ١٠٤: ٦ – ٩). إنها «فريضة أبدية»، نتيجتها قائمة حتى الآن، وسوف تستمر إلى أن يتلاشى الزمن. وهذا سبب وجيه يحملنا على أن نخشى الله، لأننا نرى أنه إله يسود على كل شيء.

(٢) يجب أن نفزع إلى الرب وإلى جوده (هو ٣: ٥). «لنخف الرب إلهنا»، الذي يجب علينا عبادته، لأنه دائما يصنع معنا صلاحا: فهو يعطينا «المطر المبكر والمتأخر في وقته»، فيعطي المطر المبكر قبل الحصاد بوقت قليل، والأخير بعد موسم البذار بوقت بسيط، وهو بهذا «يحفظ لنا أسابيع الحصاد المفروضة». ولذلك يتعين علينا، في بركات الحصاد- أن نعترف بفضل الله وقوته وصلاحه وأمانته، لأن الكل من عنده. وهذا سبب كاف يدعونا إلى خشيته، وهو أن نحتفظ بمحبته لنا.

عدد ٢٥ – ٣١

أولا: يبين لهم النبي الضرر الذي لحق بهم نتيجة خطاياهم: «خطاياكم منعت الخير عنكم»، في حين أن الله كان على استعداد لأن يهبه لكم. الذي جعل السماء نحاسا والأرض حديدا.

ثانيا: عرفهم مدى بشاعة خطاياهم. فحين تركوا عبادة الإله الحقيقي، ضاعت بينهم حتى الأمانة الأدبية: «لأنه وجد في شعبي أشرار» (ع ٢٦)، وتظهر بشاعة الخطية بالأكثر لأنهم في عداد شعب الله. فقد «وجد» (أي أمسك) في ذات فعل شرهم. وكما أن الصيادين ينصبون فخاخا، هكذا هم أيضا «ينصبون أشراكا يمسكون الناس»، ويتخذون من هذا الأمر رياضة. وكانوا يخترعون طرقا لأذية الناس الطيبين (فقد كرهوهم لصلاحهم)، وخاصة أولئك الذين بأمانة وبخوهم (إش ٢٩: ٢١)، أو بالنسبة لمن كانوا يحسدونهم على أملاكهم، وهكذا وضعت إيزابل شركا لنابوت من أجل كرمه. وقد كانوا زائفين خائنين «مثل قفص ملآن طيورا» (ع ٢٧) وطعاما يسمنون بها أنفسهم، هكذا أيضا «بيوتهم ملآنة مكرا»، مليئة بالثروة التي حصلوا عليها من ممارسات كلها غش واحتيال. فهم يسعون بقدر الإمكان إلى التحايل على كل من يتعامل معهم. «تجاوزوا في أمور الشر» (ع ٢٨). والذين يلجأون إلى الخداع بذريعة القانون والعدل يفوق ضررهم ضرر الأشرار (ع ٢٦) الذين يستخدمون القوة والعنف صراحة. وقد ازدهروا نتيجة هذه الممارسات الشريرة ولذلك تحجرت فيهم قلوبهم «من أجل ذلك عظموا واستغنوا» وتراهم لطفاء معسولي اللسان، يبدون بمظهر جميل وسعيد، ويحظون بإعجاب الجميع. لقد نجحوا في طريق الشر (ولم يتعرضوا للمتاعب كالآخرين، بحسب ترجمة أخرى)، وهذا ما كنا نتوقعه بالنسبة للأشرار. فحين تسلموا زمام السلطة، لم يعملوا بها خيرا «لم يقضوا في الدعوى دعوى اليتيم.. وبحق المساكين لم يقضوا»، ومع ذلك «قد نجحوا»، ولم يصنع معهم الله حسب حماقتهم. وعلى هذا فإنه من المؤكد أن أمور هذا العالم ليست أفضل الأمور، لأننا كثيرا ما نرى أسوأ الناس وقد حظوا بمعظمها، ومع ذلك فليس لنا أن نعتقد أن الله يوافق على ممارساتهم. كلا، لأنه إن كان الله لا يعجل بمجازاتهم على أعمالهم الشريرة، إلا أنه لابد وأن يجازيهم. كان هناك فساد عام (ع ٣٠ و٣١): «صار في الأرض دهش وقشعريرة»، ذلك أن فساد هذا الشعب، الذي ميزه الله وأعطاه أسباب التقدم كان أمرا مذهلا، أمرا رهيبا وممقوتا. فالقادة خدعوا الشعب و«الأنبياء يتنبأون بالكذب». ولم تهاجم الديانة بشكل خطير، بأكثر مما كان الهجوم من قبل الكهنة وبذريعة الإعلان الإلهي. «والكهنة تحكم على أيديهم» (يتصرفون بمقتضى أحكامهم) مستندين إلى العظمة والثروة والكسل والترف. وكان الشعب راضيا تماما على أن يخدع على هذا النحو. ويقول الله إنهم «شعبي»، وكان يتعين عليهم أن يشهدوا ضد شر كهنتهم وأنبيائهم، لكن «شعبي هكذا أحب». أحبوا أن يكون لهم الحبل على الغارب، وأحبوا كثيرا قادتهم الذين لا يكبحون شهواتهم الرديئة.

ثالثا: عرفهم بالعواقب الوخيمة التي ستأتي نتيجة ذلك: «أفلأجل هذه لا أعاقب.. أمة كهذه؟» هنا تنتصر الدينونة على الرحمة «أفلاجل هذه لا أعاقب». نحن

www.DIFA3IAT.com

متأكدون أن الحكمة الأزلية تعرف كيف توفق بين الأمرين. «أو لا تنتقم نفسي؟» نعم، لا ريب في هذا، إذا لم يتب الخطاة. «وماذا تعملون في آخرتها؟» والذين يسيرون في طرق شريرة يجب أن يدركوا لو أن هذه ستؤدي بهم إلى خطايا أكبر وهلاك شامل.

الأصحاح السادس

في هذا الأصحاح كما في سابقه، نجد الآتي:

أولا: نبوءة عن قيام جيش بابل بغزو أرض يهوذا وحصار أورشليم (ع ١– ٦)، وسلبهم للبلاد (ع ٩)، والفزع الذي ينجم عن ذلك (ع ٢٢– ٢٦).

ثانيا: فقرة عن خطايا يهوذا وأورشليم التي أغاظت الله فأصدر حكمه بهذا الدمار. ظلمهم (ع ٧)، احتقارهم كلمة الله (ع ١٠– ١٢)، انغماسهم في الأمور الدنيوية (ع ١٣)، خيانة أنبيائهم (ع ١٤)، تماديهم في الخطية (ع ١٥)، عنادهم ورفضهم التوبيخات (ع ١٨ و١٩) الأمر الذي جعل ذبائحهم غير مقبولة لديه (ع ٢٠)، والتي من أجلها سلمهم للهلاك (ع ٢١)، غير أنه امتحنهم أولا (ع ٢٧) ثم رفضهم لعدم قابليتهم للإصلاح (ع ٢٨– ٣٠).

ثالثا: نصحهم الله في وسط كل هذا ولكن بلا طائل (ع ٨، ١٦ و١٧).

عدد ١ – ٨

أولا: تهديد بالدينونة ضد يهوذا وأورشليم. لم تر المدينة أية «سحب مُنذرة»، بل رأت كل شيء آمنا وهادئا، غير أن النبي أخبرهم بأنه في القريب العاجل سيتم غزو البلاد بواسطة قوة أجنبية «من الشمال»، وسوف ينجم عن هذا خراب شامل، وقد تم التنبؤ هنا بالآتي:

(١) الإنذار سيكون عاليا ورهيبا. وهذا تمثل في سبط «بني بنيامين» (ع ١) والذي يقع فيه جزء من أورشليم، طلب منهم هنا أن يهربوا إلى الريف من أجل سلامتهم، لأن المدينة (التي اعتقد في بادئ الأمر أنه يستحسن الهرب إليها، إر ٤: ٥ و٦) سوف تشكل في القريب العاجل خطرا عليهم. لقد طلب منهم أن ينذروا أهل الريف، وأن يعملوا كل ما في وسعهم من أجل سلامتهم: «أضربوا بالبوق في تقوع» وهي مدينة تقع على بعد اثني عشر ميلا شمالي أورشليم. «ارفعوا علم نار» (إشعال نار على تلة للتحذير) «على بيت هكاريم» (بيت الكروم)، والتي تقع على تلة بين أورشليم وتقوع. ربما قال ذلك على سبيل السخرية: بعد أن تكونوا قد بذلتم كل ما في طاقتكم، سيأتي خراب عظيم، لأنه من العبث مناوأة أحكام الله.

(٢) الهجمة ضدهم ستكون رهيبة. ذلك أن «ابنة صهيون» التي تشن الهجمة عليها، تدعى «الجميلة اللطيفة» (ع ٢)، وإذ لم تتعود على الصعاب، فإنها ستكون أقل قدرة على مقاومة العدو، أو تحمل الدمار. لقد قارن القادة وجيوشهم «بالرعاة وقطعانهم» (ع ٣)، من جهة الأعداد الكبيرة التي سيأتون بها، ومن جهة تبعيتهم لقادتهم كما تتبع الخراف الرعاة. وكما يسيطر الرعاة بكل سهولة على الحقل المفتوح أمامهم، الذي لا يمتلكه أحد، حيث «ينصبون عندهم خياما»، وسرعان ما يلتهم القطيع العشب عن بكرة أبيه، هكذا وبكل سهولة سيقتحم الجيش البابلي أرض يهوذا ويختارون لأنفسهم البقعة التي تروق لهم، وفي وقت قصير يلتهمونها كلها. وسوف يكلفهم الله بعمل هذا الدمار؛ ذلك أنه هو الذي قال «قدسوا عليها حربا» «لأنه هكذا قال رب الجنود اقطعوا أشجارا أقيموا حول أورشليم مترسة. هي المدينة المعاقبة» (ع ٦) وأنه قد حان وقت عقابها. لقد عقدوا العزم على أن يكونوا في غاية النشاط. «قوموا فنصعد في الليل» حتى لا نصعد في حر النهار، (ع ٥) «قوموا فنصعد في الليل»، على الرغم من أن ذلك في الظلام. «قوموا فنصعد»، ونهدم قصورها ونتملك ما فيها من ثروة.

ثانيا: سبب هذه الدينونة هو شرهم، وقد جلبوها على أنفسهم، وعليهم أن يتحملوا عاقبتها. لقد ظُلموا لأنهم كانوا ظالمين، لقد كانوا قساة في تعاملهم بعضهم مع بعض، كل بدوره كلما سنحت له الفرصة أن يكون في مركز السلطة أو الموقع الأفضل. أما الآن فسوف يأتي العدو ويتعامل بالقسوة معهم جميعا. لقد أصبحت الخطية أمرا طبيعيا عندهم (ع ٧): «تنبع هي شرها» خبثا وأذى «كما تنبع العين مياهها» بغزارة وبصفة مستمرة. صرختها صعدت أمام الله مثلما كان الحال بالنسبة لسدوم: «أمامي دائما مرض وضرب».

www.DIFA3IAT.com

وهي شكاوي أولئك الذين يجدون أنهم ضربوا ظلما في أجسادهم أو في نفوسهم، في ممتلكاتهم أو في سمعتهم. إن الأب المشترك لجميع البشرية ينظر هذا ويرفضه، وسوف ينتقم- إن عاجلا أم آجلا- لكل الشر والمظالم التي يصنعها الإنسان لأخيه الإنسان.

ثالثا: كيف نمنع هذه الدينونة: «تأدبي يا أورشليم» (ع ٨). تقبلوا التعليمات المعطاة لكم في ناموس الله وبواسطة أنبيائه، كونوا حكماء من أجل نفوسكم «لئلا تجفوك نفسي». وهذا ما يشير إلى محبة الله واهتمامه بهم، كانت نفسه متعلقة بهم، ولا يمكن أن تفصلنا عن محبته شيء سوى الخطية. وإله الرحمة يكره أن يبتعد حتى عن شعب يغيظه، وهو يتحمس لهم ويريديهم أن يأتوا إليه بتوبة صادقة وإصلاح لحياتهم حتى يحولوا دون وصول الأمور إلى هذه النتيجة.

عدد ٩- ١٧

أولا: تم التهديد هنا بخراب يهوذا وأورشليم. سبق أن عرفنا السرعة التي زحف بها الجيش البابلي (ع ٤ و٥)، أما هنا فنحن بصدد الفوضى والدمار. والجيش لا يشبع في تعطشه للثروة. «تعليلا يعللون كجفنة بقية إسرائيل»، كالذي صمم على ألا يترك شيئا وراءه، وهو يمد يده «كقاطف»، لكي يجمع المزيد. ولعل الناس إذ كانوا لا يشبعون من الربح (ع ١٣) لم يراعوا ناموس الله الذي يحرم عليهم ألا يلتقطوا نثار كرمهم (لا ١٩: ١٠) أما الآن فهم أنفسهم سوف «يعللون». وسوف يهلك الأطفال في الكارثة التي جاءت نتيجة خطايا آبائهم. والهلاك سوف يطول «الشبان معا»، في اجتماعاتهم الصاخبة، سوف يقضي عليهم معا. «الرجل والمرأة يؤخذان كلاهما والشيخ مع الممتلئ أياما»، فالموت لم يسهم بشيء بالنسبة لسلامتهم كما لم تسهم حياتهم بشيء بالنسبة لخدمتهم. «وتتحول بيوتهم إلى آخرين» (ع ١٢). ويبرر النبي نفسه بالنسبة لكرازته الرهيبة هذه (ع ١١): «فامتلأت من غيظ الرب». فهو لا يسر بالتهديد، ولكنه لم يستطع التراجع، ولم يتمكن من التزام الصمت، ذلك أنه امتلأ من روح رب الجنود حتى إنه لم يستطع إلا أن يتكلم. «من النبي إلى الكاهن كل واحد يعمل بالكذب»، ولم يخبروا الناس بأخطائهم والخطر المحدق بهم، كان يجب عليهم أن يكونوا أطباءهم، غير أنهم قتلوا مرضاهم بإعطائهم كل ما يرغبونه، وتملقوهم بأنهم ليسوا في خطر (ع ١٤). «ويشفون كسر بنت شعبي على عثم»، يعالجون كسور خطايا الناس بالمهدئات، ويعطونهم مسكنات للألم، في حين أن المرض كان ينتشر في الأعضاء الحيوية. كانوا يقولون «سلام سلام»، كل شيء سيكون على ما يرام، في حين أنه «لا سلام»، لأنهم استمروا في وقاحتهم وشرورهم. وهؤلاء الذين يتملقوننا في خطايانا يجب أن نعتبرهم أصدقاءنا الكذبة (أي أسوأ أعدائنا وأخطرهم).

ثانيا: خطية يهوذا وأورشليم التي أغاظت الله فعاقبهم بهذا الخراب.

(١) لم يكونوا بأي حال يطيقون أن يخبرهم أحد بالخطر المحدق بهم. ولقد أمر الله النبي بأن يحذرهم من الدينونة الوشيكة (ع ١٠)، ولكن النبي يقول: «من أكلمهم وأنذرهم؟» لا يمكن أن أكلمهم «فيسمعوا. ها إن أذنهم غلفاء». «إن كلمة الرب صارت لهم عارا» وكذلك توبيخاته وتهديداته. وهذه التوبيخات التي اعتبروها عارا من المؤكد أنها ستتحول إلى ويلات.

(٢) كانت أفكارهم مشغولة بالعالم ومحبته (ع ١٣): «لأنهم من صغيرهم إلى كبيرهم كل واحد مولع بالربح»، كانوا لا يشبعون من الربح القبيح، وهذا ما حملهم على الظلم والقهر (ع ٦ و٧). الأمر الذي قسى قلوبهم بالنسبة لكلمة الله وأنبيائه.

(٣) لم يكونوا يستنكفون من شيء. تقست قلوبهم حتى إنهم «لم يخزوا خزيا ولم يعرفوا الخجل»، وهكذا اتسموا بالصفاقة والوقاحة، ولذلك صمموا على أن يتحدوا الله نفسه. وأولئك الذين لا يستسلمون للتوبة في ندم لن ينجوا من الهلاك التام: «لذلك يسقطون بين الساقطين»، وسوف تأخذهم الرعدة، لأنهم لا يستحون. فالذين يرتكبون الخطية ولا يستحون هم الآن في شر، وسوف يدفعون ثمن ذلك في وقت قريب. لقد تقسوا في بداية الأمر وما كانوا يستحون، وبعد ذلك تقسوا إلى درجة لم يستطيعوا معها أن يستحوا. لقد فقدوا السمة الطيبة الوحيدة التي كانت تتوافق مع كثيرين من الأشرار وهي الخجل من ارتكاب المعصية.

www.difa3iat.com

ثالثا: النصيحة الطيبة التي كثيرا ما أعطيت لهم دون جدوى. كثيرا ما قال الله لهم: «قفوا على الطرق وانظروا». كان يريدهم أن يعملوا مثلما يفعل المسافرون الذين يهتمون بمعرفة الطريق السليم الذي يوصلهم إلى نهاية رحلتهم، ولذلك يستفسرون عنه. ليت الناس يكونون حكماء من أجل نفوسهم: «اسأل القرون الأولى وتأكد مباحث آبائهم» (أي ٨: ٨)، «اسأل أباك.. وشيوخك» (تث ٣٢: ٧)، وسوف تجد أن طريق التقوى كان دائما هو الطريق الذي يقبله الله ويباركه، والذي نجح فيه الناس. اسألوا عن «السبل القديمة»، الطرق التي سلكها الآباء، إبراهيم وإسحق ويعقوب، وكما تأملون في ميراث المواعيد التي أعطيت لهم، فسيروا إذا في إثر خطواتهم. «اسألوا عن السبل القديمة أين هو الطريق الصالح». غير أنه يوجد «طريق القدم الذي داسه رجال الإثم» (أي ٢٢: ١٥). وحين نسأل عن السبل القديمة، علينا أن نجد فقط «الطريق الصالح».

ويلاحظ أن طريق الديانة والتقوى هو طريق صالح قديم، وهو الطريق الذي سار فيه كل القديسين في جميع العصور. وحين تعرفوا ما هو الطريق الصالح «سيروا فيه» وثابروا على ذلك. البعض يأخذ هذه النصيحة على أنها أعطيت لهم بشأن النضال بين الأنبياء الصادقين والأنبياء الكذبة.

يقول الله: «قفوا على الطرق وانظروا واسألوا» أي منها يتفق مع الكلمة المكتوبة والطرق المعتادة للعناية الإلهية، وأي منها يوجهك للطريق الصالح، وتصرف على ضوء ذلك. «سيروا» في الطريق الصالح وسوف تتمتعون بالله وبأنفسكم، وسوف يؤدي بكم إلى الراحة الحقيقية. وسوف تجد مكافأة سخية في نهاية رحلتك. «ولكنهم قالوا لا نسير فيه» ولن ننكر على أنفسنا رغباتنا حتى نتمكن من أن «نسير فيه». ولأنهم لم يريدوا أن يمتثلوا للمنطق السليم فإن الله بدينونات خفيفة يهدد بدينونات أكبر، ويرسل أنبياءه لكي يخيفهم وذلك بأن يعرفهم بالخطر الذي يحدق بهم (ع ١٧): «وأقمت عليكم رقباء». «اصغوا لصوت البوق»، كان هذا قرار أغنيتهم. ذلك أن الله في عنايته الإلهية، «ينفخ في البوق» (زك ٩: ١٤)، والرقباء يسمعونه (إر ٤: ١٩) ويطلبون من آخرين أن يسمعوه أيضا. ولكنكم قلتم «لا نصغي»، ولن نعير الأمر اهتماما، وعلى الأنبياء ألا يتعبوا أنفسهم ويتعبونا معهم.

عدد ١٨ - ٣٠

أولا: يشهد الله العالم كله على عدالة ما اتخذه من إجراءات ضد يهوذا وأورشليم (ع ١٨ و١٩): «لذلك اسمعوا يا أيها الشعوب واعرفي أيتها الجماعة»، يا عظماء الأمم لاحظوا الآن يهوذا وأورشليم، سوف تدهشون من أني «جالب شرا على هذا الشعب» الذي هو في عهد معي. لماذا تصرف الله على هذا النحو بالنسبة لهذه الأرض؟ اعرفوا إذًا أن الشر الذي لحق بهم إنما كان «ثمر أفكارهم». لقد خططوا لتقوية أنفسهم بدخولهم في حلف مع الغرباء، وهم بهذا أضعفوا أنفسهم وعرضوها للخطر. وهذا ما كان سوى عقاب عادل لعصيانهم وتمردهم. وقد كان ذلك «لأنهم لم يصغوا لكلامي وشريعتي رفضوها» ولذلك ليس بوسعكم القول إنهم قد ظلموا على أي نحو كان.

ثانيا: رفض الله حجتهم التي أصروا فيها على أن خدمتهم كافية للتكفير عن خطاياهم. وهذه حجة تافهة (ع ٢٠): «لماذا يأتي لي اللبان من شبا وقصب الذريرة من أرض بعيدة»، لكي يوقد كعطر على المذبح الذهبي؟ «محرقاتكم غير مقبولة وذبائحكم لا تلذ لي؟» فالذبائح والبخور عينا لتوجيههما إلى وسيط، ولتدعم إيمانهم به. وحين استعملا هذا الاستعمال الحسن كانا مقبولين، وكان الله يحترمهما والذين يقدمونها. غير أنها حين قدمت بهدف شراء رخصة للاستمرار في الخطية، دون أن يكون الهدف إرضاء الله، فإنها كانت تستفزه.

ثالثا: تنبأ عن الخراب. لقد انتوى الله خرابهم لأنهم كرهوا الإصلاح (ع ٢١): «هأنذا جاعل لهذا الشعب معثرات»، ليس للسقوط في الخطية، بل في المتاعب. والله يفشل كل الطرق التي اتبعوها من أجل سلامتهم. فجماعات العدو كانت تشكل عثرات لهم. «فيعثر بها الآباء والأبناء معا»، فلا الآباء بحكمتهم ولا الأبناء بقوتهم يستطيعون تفاديها. وسوف يتخذ من البابليين أدوات لتنفيذ ذلك. فبابل التي كانت

www.DIFA3IAT.com

تقع على مسافة بعيدة تجاه الشمال، وبعض البلدان الخاضعة لملك بابل سوف تستخدم كأدوات لهذا الغرض (ع ٢٢ و٢٣). إنها «أمة عظيمة»، شعب مولع بالحرب. أمة «تمسك القوس والرمح»، وتجيد استعمالهما. «وعلى خيل تركب»، ولذلك يتحركون بأقصى سرعة، وفي المعركة يهاجمون بعنف. أمة «قاسية لا ترحم. صوتها كالبحر يعج. وعلى خيل تركب مصطفة... لمحاربتك يا ابنة صهيون».

رابعا: يصف الذعر الذي يتملك يهوذا وأورشليم حين اقترب هذا الجيش الرهيب (ع ٢٤- ٢٦): «سمعنا خبرها. ارتخت أيدينا»، ولسنا بحالة تسمح لنا بأية مقاومة، «أمسكنا ضيق ووجع كالماخض» والشعور بالإثم يثبط همم الرجال عند حلول المتاعب. لقد التزموا بيوتهم، فهم يفضلون الموت بها في هدوء ولا يلجأون إلى القتال أو الهرب. وهم يقولون كل واحد للآخر: «لا تخرجوا إلى الحقل وفي الطريق لا تمشوا»، فإن فعلتم ذلك فأنتم هالكون لا محالة «لأن سيف العدو خوف من كل جهة». ويدعوهم النبي إلى النوح: «يا ابنة شعبي»، اسمعوا إلهكم وهو يدعوكم إلى النوح: لا تلبسوا المسوح ليوم واحد فقط، ولا تضعوا الرماد فقط على رؤوسكم، بل «تمرغي في الرماد. نوح وحيد اصنعي لنفسك».

خامسا: لقد عُين النبي قاضيا على هذا الشعب الذي يقف الآن للمحاكمة: «قد جعلتك برجا في شعبي حصنا لتعرف وتمتحن طريقهم». وهكذا يشهد الله النبي نفسه عليهم، ليلاحظ بنفسه لكي يقتنع اقتناعا راسخا بإجراءات الله التي اتخذها ضدهم. وسوف يكتشف أنهم «كلهم عصاة متمردون» (ع ٢٨)، بل وأسوأ المتمردين. فهم «ساعون في الوشاية» يغتابون بعضهم بعضا. «هم نحاس وحديد»، من المعادن الشائعة. كانوا قبلا فضة وذهبا، ولكنهم تفسخوا. وكما أنهم «كلهم عصاة» هكذا أيضا «كلهم مُفسِدون»، لا يألون جهدا في إفساد الآخرين. وكان من العبث التفكير في إصلاحهم، ذلك أنه استخدمت وسائل عديدة لذلك ولكنها لم تؤد إلى نتيجة (ع ٢٩ و٣٠). وقد شبههم بمعدن خام الذي من المفترض أن يكون فيه بعض من معدن جيد، ولذلك وضع في البوتقة ليتنقى، غير أنه ثبت أن كله شوائب. لقد استخدم الله أنبياءه وبعنايته استخدم وسائل لتنقية هذا الشعب، غير أن كل ذلك انتهى إلى لا شيء. وبسلسلة من النكبات، ظلوا في نار مستمرة، ولكن ذلك لم يأت بأية نتيجة. لقد احتفظ بالمنفاخ إلى جوار النار، «احترق المنفاخ من النار فني الرصاص. باطلا صاغ الصائغ»، ضاع المجهود، ذلك أن «الأشرار لا يُفرزون»، ولم يهتم أحد بأن يطرد من وسطهم أولئك الذين إذ هم فاسدون كانوا يمثلون خطرا بالنسبة لإفساد الآخرين.وقد صدر الحكم ضدهم (ع ٣٠): «فضة مرفوضة يدعون»، لا فائدة منها ولا قيمة لها، فهم يلمعون وكأن بهم بعض الفضة، غير أنه لا يوجد شيء صالح بينهم، و«الرب قد رفضهم». والله لا يسر بموت الخطاة أو هلاكهم. ولا يرفضهم إلا بعد أن يستنفذ كل الوسائل الممكنة لإصلاحهم، ولا يتخلى عنهم كشوائب إلا بعد أن يتبين أنهم «فضة مرفوضة».

الأصحاح السابع

بعد أن وبخ النبي الشعب على خطاياهم باسم الرب نجده،

أولا: بيَّن لهم عدم نفع الحجة بأن هيكل الله في وسطهم وأنهم يداومون على حضور العبادة (ع ١- ١١).

ثانيا: ذكَّرهم بخراب شيلوه، وتنبأ بأنه هكذا أيضا سيكون خراب أورشليم (ع ١٢- ١٦).

ثالثا: ذكر النبي ممارساتهم الوثنية المقيتة (ع ١٧- ٢٠).

رابعا: وضع أمام الشعب المبدأ الهام وهو أن الطاعة أفضل من الذبيحة (١صم ١٥: ٢٢)، وأن الله لن يقبل ذبائح أولئك الذين يصرون على عصيانهم (ع ٢١- ٢٨).

خامسا: هدد بخراب الأرض بسبب وثنيتهم وشرهم (ع ٢٩- ٣٤).

عدد ١ - ١٥

بهذه الأعداد تبدأ عظة أخرى سوف تتواصل في الأصحاحين التاليين، وذلك لإقناعهم على أن يتوبوا.

أولا: الأوامر التي أعطيت للنبي: «الكلمة التي صارت إلى إرميا من قبل الرب» (ع ١).

(١) أين يجب الكرازة بها: «في باب بيت الرب» الذي يدخلون منه إلى الدار الخارجية. وفي ذلك إهانة للكهنة، ويعرض النبي لغضبهم، غير أنه لا يجب عليه أن يخشى إنسان.

(٢) لمن يجب الكرازة بها: إلى «جميع يهوذا الداخلين في هذه الأبواب» ليسجدوا للرب، ولعل ذلك كان في أحد الأعياد الثلاثة، حين كان من المفروض على كل الذكور أن يظهروا، ولا يظهروا أمامه فارغين.

ثانيا: مضمون العظة نفسها وما ترمي إليه. لقد قيلت باسم «رب الجنود إله إسرائيل» الذي يحكم العالم، ولكنه في عهد مع شعبه. ويقول لهم النبي هنا الآتي:

(١) ما هو كلام الله الحقيقي. بإيجاز، إذا ما تابوا ورجعوا إلى الله، سوف يعيد سلامهم، ويرفع عنهم المظالم، ويعود إليهم برحمته (ع ٣): «أصلحوا طرقكم وأعمالكم». ولقد بين لهم الله أين وكيف يجب عليهم الإصلاح، ووعدهم بقبولهم: «فأسكنكم في هذا الموضع» في هدوء وسلام، وتتوقف كل التهديدات الخاصة بطردكم. ويجب عليهم أن يصلحوا طرقهم «إصلاحا»، ويجب أن يكون الإصلاح شاملا، ودائما، ثابتا لا يتزعزع. وعليهم أن يتمسكوا بالأمانة والعدل في كل معاملاتهم. والذين هم في السلطة يجب أن يجروا «عدلا» فيما بينهم، ودون محاباة. وعليهم ألا يظلموا «الغريب واليتيم والأرملة»، وألا يحموا الظالمين. ويجب ألا يسفكوا «دما زكيا»، وألا يدنسوا به «هذا الموضع» والأرض التي يسكنونها. وعليهم التمسك بشدة بعبادة الإله الحقيقي وحده: «ولم تسيروا وراء آلهة أخرى»، لا تتوقوا إليهم. واشرعوا في عمل الإصلاح بكل قوة «أسكنكم في هذا الموضع»، هذا الهيكل سيستمر ملجأ لكم، ويظل المكان الذي تلتقون فيه مع الله ومع بعضكم بعضا، ولن تطردوا أبدا سواء من بيت الله أو من بيوتكم. وسوف يتمتعون بذلك بواسطة عهد وليس بواسطة العناية، بل بواسطة وعد. ولن يزعجهم أحد «إلى الأبد»، ولا شيء يمكنه أن يطيح بكم سوى الخطية.

وبهذا ضمن ميراث أبدي في كنعان السمائية لكل الذين يعيشون في البر والتقوى.

(٢) ما هو كلام الكذب الذي يقولون به في قلوبهم والذي يتعين عليهم ألا يصدقوه. فقد حذرهم قائلا «لا تتكلوا على كلام الكذب» (ع ٤). لقد أخبرتكم بالكيفية التي تكونون بها آمنين وسعداء، ولا تخدعوا أنفسكم بأنه بمقدوركم أن تكونوا هكذا بأية وسيلة خلاف ذلك. ولكن انظروا، فمن الجلي أنكم تتكلون «على كلام الكذب»، على الرغم مما قيل لكم، فإنكم «متكلون على كلام الكذب الذي لا ينفع». والكلام الكذب الذي قالوه هو «هيكل الرب هيكل الرب هيكل الرب هو». إنه يسكن هنا، هنا نتقابل ثلاث مرات في السنة لنتقدم له ولاءنا كملكنا الذي في قصره. لقد اعتقدوا أن هذا كاف لأمنهم. وحين أخبرهم الأنبياء عن مدى خطاياهم، فكل ما فعلوه هو لجوءهم إلى الهيكل. كان ذلك نفاق عصرهم، وكانوا يرددون تلك العبارة في كل المناسبات. من مظاهر «صورة التقوى» لأولئك الذين هم غرباء وأعداء عن قوتها التفاخر والثقة بالنفس. ومن عادة الذين هم بعيدون عن الله أن يتباهوا كثيرا بقربهم من جبل قدسه (صف ٣: ١١). فلو عرفوا أي شيء عن «هيكل الرب» أو «رب الهيكل» لعرفوا أن الاستناد إلى ذلك كعذر لخطيتهم إنما هو أمر أبعد ما يكون عن العقل والمنطق. فالله قدوس، غير أن هذه الذريعة تجعله نموذجا للخطية (ع ٩ و١٠).

فحين ترتكبون أسوأ ما يمكن ارتكابه ضد الله، هل يكون لكم بعد ذلك وجه لتقفوا أمام الله «في هذا البيت الذي دعي» باسمه عليه، لتقفوا أمامه متضرعين تتوقعون رحمته ؟ إن هذا يماثل قولكم: «قد أُنقذنا، حتى تعملوا كل هذه الرجاسات». والبعض يفسرون هذا القول على هذا النحو: أنتم تظهرون أمام الله بذبائحكم وتقدماتكم ثم تقولون قد أُنقذنا، لقد غُفر لنا إثمنا، في حين أن هذه كلها لكي تخدعوا الناس حتى يمكنكم وبسهولة أكثر أن «تعملوا كل هذه الرجاسات». «هل صار هذا البيت الذي دعي باسمي عليه (والذي هو علامة لملكوت الله، والذي أقيم لمقاومة ملكوت الخطية والشيطان) مغارة لصوص في أعينكم؟» هل تظنون أنه بُني ليكون ملاذا للأشرار؟

www.DIFA3IAT.com

فعلى الرغم من أن قرون المذبح كانت ملجأ للذي يقتل دون عمد، إلا أنها ليست كذلك بالنسبة للقاتل عمدا (خر ٢١: ١٤؛ ١مل ٢: ٢٩): «هأنذا أيضا قد رأيت يقول الرب»، رأيت الإثم الحقيقي من خلال التقوى الزائفة. وقد بين لهم عدم كفاية هذه الحجة في حالة شيلوه. فمن المؤكد أن شيلوه دمرت، على الرغم من وجود مقدس الله بها، حين دنست هذا المقدس بشرها (ع ١٢): «لكن اذهبوا إلى موضعي الذي في شيلوه الذي أسكنت فيه اسمي أولا» فهناك أقيمت خيمة الاجتماع (يش ١٨: ١)، ولكن الذين قاموا على خدمة الخيمة هناك دنسوا أنفسهم والآخرين، ومنهم جاء «شر شعبي إسرائيل» وماذا كانت نتيجة ذلك؟ هل تمت حمايتها لوجود خيمة الاجتماع بها؟ لقد رفضها الله (مز ٧٨: ٦٠)، وأرسل تابوته في السبي، وقطع بيت عالي الذي كان يترأس الخدمة هناك. تذكروا امرأة لوط، تذكروا شيلوه والسبع كنائس التي في آسيا، واعلموا أن التابوت والمنارة من الأشياء التي يمكن نقلها (رؤ ٢: ٥؛ مت ٢١: ٤٣). فقد كانت أورشليم خاطئة الآن مثلما كان عليه حال شيلوه (ع ١٣): «من أجل عملكم هذه الأعمال»، ولا تستطيعون إنكار ذلك. لقد تكلم الله «فلم تسمعوا»، لم يهتموا إطلاقا. «ودعوتكم فلم تجيبوا»، لم يأبهوا بدعوته. وسوف يحل الشقاء على أورشليم قريبا، مثلما كان عليه حال شيلوه من قبلها. لذلك «أصنع بالبيت.. كما صنعت بشيلوه» (ع ١٤) أدمره وأجعله خربا. «هذا البيت» (يقول الله): «الذي دعي باسمي عليه»، والذي تعتقدون أنه لهذا السبب سأقوم بحمايته. سبق أن تملق رجال شيلوه أنفسهم، ولكنهم في واقع الحال خدعوها. ذكر سابقة أخرى في آية ١٥، وهي خراب مملكة الأسباط العشرة، الذين كانوا من نسل إبراهيم، ومع ذلك كانت وثنيتهم سببا في طرحهم واستئصالهم.

عدد ١٦ – ٢٠

لن يحول الهيكل والصلاة فيه دون وقوع الدينونة السابق الإنذار بها. ولكن كانت هناك شفاعة النبي من أجلهم، فصلواته ستنفعهم بأكثر مما تنفعهم حججهم، وهكذا حجب العون عن أولئك الذين فقدوا اهتمامهم بصلوات خدام الله وشعبه.

أولا: الله يأمر النبي بألا يصلي من أجلهم (ع ١٦): لقد صدر الأمر: «فلا تصل لأجل هذا الشعب»، أي لا تصل من أجل منع الدينونة التي هددوا بها، لقد ارتكبوا خطية تفضي إلى الموت، ولذلك لا تصل من أجل حياتهم بل من أجل حياة نفوسهم (١يو ٥: ١٦). فأنبياء الله رجال صلاة. لقد تنبأ إرميا بخراب يهوذا وأورشليم، ومع ذلك صلى من أجل حفظهما. وحتى عندما نهدد الخطاة بالهلاك علينا أن نصلي من أجل خلاصهم، لكي يرجعوا ويحيوا. لقد اضطهد إرميا، ووبخ، ومع ذلك صلى من أجلهم. وأنبياء الله المصلون يهتمون بالسماء اهتماما عظيما. الذين يهملون كرازة الخدام الصالحين لا يجب عليهم أن يتوقعوا الإفادة من صلواتهم. إذا لم تستمع لنا حين ننقل لك كلام الله، فإن الله لن يستمع لنا حين نتكلم معه من أجلكم.

ثانيا: أعطاه سببا لهذا المنع.

(١) لقد صمموا على المضي في تمردهم على الله (ع ١٧): «أما ترى ماذا يعملون»، علانية وأمام الجميع، دون خجل أو خشية «في مدن يهوذا وفي شوارع أورشليم؟» وهذا ما يستشف منه أن الخطية كانت واضحة وأن الخطاة كانوا يقترفون شرهم حتى في وجود النبي. لقد رأى ما فعلوه، وعلى الرغم من ذلك عملوه، وكانت إهانة لذاك الذي كان النبي مرسلا من قبله. لقد قدموا فروض ولائهم الوثنية «لملكة السماوات»، (القمر)، سواء كان ذلك لصنم أو للأصل، أو لكليهما. ولعلهم كانوا يعبدونها تحت اسم «عشتاروث» (إر ٤٤: ١٧، ١٩). لقد عُبد المخلوق دون الخالق، والعطية بدلا من المعطي. ومع «ملكة السماوات» عبدوا «آلهة أخرى»، لأن الذين يتركون الإله الحقيقي يتيهون إلى ما لا نهاية، وراء الآلهة الكاذبة. ولهذه الآلهة التي من صنعهم يقربون «كعكا» كتقدمة، ويسكبون «سكائب»، «الأبناء يلتقطون حطبا والآباء يوقدون النار والنساء يعجن العجين» بأيديهن. ليتنا نتخذ درسا حتى من هذا المثل السيىء، وذلك في عبادتنا لله.

أ. نكرم الرب من مالنا، باعتبار أن كل ما لدينا

هو من عنده، ونأكل ونشرب لمجد ذاك الذي منه طعامنا وشرابنا.

ب. ليتنا لا نتجنب أصعب الخدمات التي يمكن أن تؤول إلى مجد الله، لأنه ما من أحد يوقد نارا على مذبح الله ويذهب عمله هباء.

ج. لنستخدم أبناءنا في عمل شيء فيما يختص بحفظ الممارسات الدينية. ولكن ما هي الرغبة المباشرة لهذه الوثنية: «لكي يغيظوني»، ولا يمكن أن يستهدفوا بها شيئا آخر. هل ذلك لأنه تسهل إغاظتي؟ وهل هذا من عملهم؟ إنهم سيتحملون تبعة ذلك. «أفإياي يغيظون؟» هل هو حقد موجه ضد الله، إنه لحقد عقيم، لأنه لا يمكن أن يضر الله في شيء، بل سيضرهم.

(٢) الله مُصر على أن ينفذ دينونته ضدهم، ولن يتراجع نتيجة صلوات النبي (ع ٢٠): «لذلك هكذا قال السيد الرب. ها غضبي وغيظي ينسكبان على هذا الموضع». وسوف يصيب ذلك الناس والبهائم، على غرار ضربات مصر، وسوف يدمر «شجر الحقل... ثمر الأرض» الذي أعدوه للبعل، و«كعكا لملكة السماوات». ولن يكون ثمة تمييز. «فيتقدان ولا ينطفئان»، ولن تنفع الصلوات والدموع بالنسبة لهذه الحالة.

عدد ٢١ – ٢٨

وبعد أن بين الله للشعب أن الهيكل لن يحميهم ماداموا قد دنسوه بشرهم، يعود ويعرفهم الآن أن ذبائحهم لن تكفر عن آثامهم ما داموا يواصلون عصيانهم. وقد تحدث عن عبادتهم الطقسية (ع ٢١): «ضموا محرقاتكم إلى ذبائحكم»، ضموا مختلف أنواع الذبائح، حولوا محرقاتكم إلى ذبائح سلامة، ثم «كلوا لحما»، ولكن عليكم ألا تتوقعوا أية فائدة أخرى منها خلاف ذلك. احتفظوا بذبائحكم لأنفسكم، قدموها على موائدكم، لأنها ليست مقبولة بأي حال على مذبح الله.

أولا: بيِّن لهم أن الطاعة هي الشيء الوحيد المطلوب منهم (ع ٢٢ و٢٣). وهو يرجع إلى العهد الأصلي الذي على أساسه أصبحوا أمة لأول مرة، حين أخرجوا من مصر. لقد جعلهم الله لنفسه «مملكة كهنة»، وليس ذلك لكي يستمتع بذبائحهم، مثل الشياطين، التي يتعبد لها الوثنيون (تث ٣٢: ٣٨). «لأني لم أكلم آباءكم ولا أوصيتهم... من جهة محرقة وذبيحة». فمبادئ الناموس الأخلاقي أعطيت قبل الفرائض الطقسية، التي أعطيت بعد ذلك اختبارا لطاعتهم. وقد بدأ الناموس اللاوي بهذا: إذ «قرب إنسان منكم قربانا للرب....»، عليه أن يفعل.. (لا ١: ٢؛ ٢: ١) وكان القصد منه هو تنظيم تقديم الذبائح وليس طلبها. وشرط كونهم شعب الله خاصته هو (خر ١٩: ٥) «إن سمعتم لصوتي...» ركزوا على واجبات الديانة الطبيعية، نفذوا الوصايا الإيجابية على أساس مبدأ الطاعة، «فأكون لكم إلها وأنتم تكونون لي شعبا». ليكن سلوككم منظما «وسيروا» في الإطار الذي حددته لكم «في كل الطريق الذي أوصيكم به ليحسن إليكم». والطلب هنا منطقي للغاية، وهو أننا يجب أن نسير وفق توجيه الحكمة الأزلية. فالذي خلقنا له الحق في أن يأمرنا، والذي أعطانا وجودنا من حقه أن يعطينا الناموس.

ثانيا: عرفهم بأن العصيان هو الأمر الوحيد الذي يغضبه منهم.

(١) وضعوا مشيئتهم في تحد مع مشيئة الله: «فلم يسمعوا» إلى الله أو إلى ناموسه، «ولم يميلوا أذنهم» لطاعته، ناهيك عن عقدهم العزم ألا يتجاوبوا معه. «بل ساروا في مشورات وعناد قلبهم الشرير».

(٢) «وأعطوا القفا»، حين تحدثوا في تعيين رئيس، والعودة إلى مصر ثانية، ولم يعطوا «الوجه» تحت قيادة الله. لقد وعدوا حسنا: «كل ما تكلم به الرب نفعل»، ولكنهم ارتدوا إلى طريق الخطية، وأصبحوا أسوأ مما كانوا عليه في أي وقت من الأوقات.

(٣) وعندما أرسل لهم الله عن طريق أنبيائه، كانوا أيضا لا يزالون عصاة. وكان لله عبيد بينهم في كل عصر، لكي يخبروهم بخطاياهم: «أرسلت إليكم.. مبكرا كل يوم» (انظر أيضا ع ١٣). ولكنهم لم يسمعوا للأنبياء كما لم يسمعوا للناموس (ع ٢٦). فممارساتهم وأخلاقهم لم تتغير. لقد تغيروا إلى الأسوأ وليس إلى الأفضل «أساءوا أكثر من آبائهم». ويستطيع إرميا نفسه أن يشهد ضدهم (ع ٢٧): «فتكلمهم بكل هذه الكلمات ولا يسمعون لك»، ولا

يعيرونك اهتماما. فإما لا يجيبونك إطلاقا، أو يجيبونك بالعصيان، ولا يجيبون دعوتك. ويتعين على النبي أن يذهب إليهم ويخبرهم (ع ٢٨): «فتقول لهم هذه هي الأمة التي لم تسمع لصوت الرب إلهها». وهم مشهورون بعنادهم، يقدمون ذبائح للرب، ولكنهم لا يخضعون لأحكامه. لا يقبلون تعليم كلمته ولا تأديب عصاه، فلا هذا ولا ذاك يصلحهم ويردهم إلى طريق الصواب. وهم خائنون سواء بالنسبة لله أو بالنسبة للإنسان.

عدد ٢٩ – ٣٤

أولا: صرخة عالية للحزن والبكاء. فأورشليم التي كانت مدينة بهيجة، عليها الآن أن ترفع «على الهضاب مرثاة» (ع ٢٩) هناك حيث عبدوا أوثانهم. وكعلامة على الحزن والعبودية يجب على أورشليم الآن أن تجز شعرها وتطرحه، والقول مشابه لما يعمل بشعر النذير، والتي كانت دلالة وعلامة على تكريسهم لله. كانت أورشليم مدينة نذيرة لله، أما الآن فينبغي أن تجز شعرها، يجب أن يحط من قدرها، وتفصل عن الله، كما سبق أن عزلت له. لقد جاء الوقت بالنسبة لأولئك الذين فقدوا قداستهم أن يطرحوا فرحهم جانبا.

ثانيا: سبب كاف أعطي لهذا الحزن البالغ:

(١) بدت خطية أورشليم هنا شنيعة للغاية (ع ٣٠): «لأن بني يهوذا قد عملوا الشر في عينيَّ»، لقد أهانونني علانية. وفيما يلي أمران اتهموا بهما:

◂ كانوا وقحين أمام الله وتحدوه: «وضعوا مكرهاتهم في البيت الذي دعي باسمي»، في نفس دور الهيكل «لينجسوه»، كما لو كانوا يصالحون بين السماء وجهنم، بين الله والبعل.

◂ «بنوا مرتفعات توفة» حيث أقيم تمثال مولك، «في وادي ابن هنوم» المتاخم لأورشليم، «ليحرقوا بنيهم وبناتهم بالنار»، لتكريم هذه الأوثان، أو لاسترضائها، والتي لم تكن آلهة بل شياطين. ومن المؤكد أنها كانت دينونة عادلة، لأنهم بدلوا مجد الله بشبه حيوان، أن سلمهم الله لمثل هذه النزعات الشريرة التي جعلتهم أسوأ من الحيوانات. ويقول الله عن هذا العمل «لم آمر به». فلم يخطر على باله إطلاقا أن يقدم له الأطفال كذبائح، ومع ذلك تركوا عبادته وعبدوا تلك الآلهة التي بينت أنها بحق أعداء البشرية.

(٢) دمار أورشليم معناه بؤس عام (ع ٢٩): «الرب قد رفض ورذل جيل رجزه». والخطية تغير من كانوا جيل محبة الله وتجعلهم جيل رجزه (غضبه). وسوف يرفض الله أولئك الذين بعدم توبتهم يجعلون أنفسهم «آنية... مهيأة للهلاك». الحق أقول لكم، أنا لا أعرفكم. سوف ينتصر الموت عليهم (ع ٣٢ و٣٣): «ولا يسمى بعد توفة.. بل وادي القتل»، لأنه هناك سيقتل الكثيرون، حين يسقطون في أيدي المحاصرين أثناء محاولتهم الهرب. ووادي توفة هذا هو المكان الذي ذبحوا فيه بعض أطفالهم وقدموا الآخرين لمولك، وهناك يجب أن يسقطوا ضحايا للعدل الإلهي. كانت توفة في السابق مقبرة، أو مكانا لحرق جثث الموتى من الجيوش المعتدية، وسوف يحولها الله مقبرة لهم. وسوف تكون المذبحة رهيبة حتى إن وادي توفة الفسيح لن يكفي للمقتولين، وفي النهاية لن يتبقى فيه عدد كاف من الأحياء ليقوموا بدفن الموتى، ولذلك «تصير جثث هذا الشعب أكلا لطيور السماء ولوحوش الأرض». وسوف يهرب الفرح منهم (ع ٣٤): «وأبطل.. صوت الطرب وصوت الفرح». وكان التهديد هنا بأنه لن يكون ثمة ما يفرحهم. لن يكون هناك فرح للزواج، ولا مرح، لأنه لن تكون هناك أية زيجات. بل ولن تكون هناك أفراح الحصاد «لأن الأرض تصير خرابا»، غير مزروعة وغير مستصلحة. وتعم الكآبة مدن يهوذا، وكذلك شوارع أورشليم.

الأصحاح الثامن

يواصل النبي في هذا الأصحاح تبرير الخراب الذي سيرسله الله على هذا الشعب.

أولا: يصف الدينونة بأنها رهيبة حتى أنهم سيطلبون الموت (ع ١– ٣).

ثانيا: حماقة هذا الشعب البالغة وعصيانهم جلب عليهم ذلك الخراب (ع ٤– ١٢).

ثالثا: يصف الارتباك والذعر اللذين سيعمان الأرض (ع ١٣– ١٧).

رابعا: النبي نفسه تأثر بشكل بالغ (ع ١٨– ٢٢).

عدد ١ - ٣

هذه الأعداد تتضمن أيضا وصفا للدمار العظيم الذي يحدثه الجيش البابلي بالأرض.

أولا: لن يكون الموت- كعهده دائما- راحة للموتى، ذلك أن رماد الموتى، وحتى الملوك والرؤساء سوف يعبث به، ويبدد «عند فم الهاوية» (مز ١٤١ : ٧). وقد كان التهديد في ختام الأصحاح السابق أن المقتولين لن يدفنوا، غير أننا نجد هنا أن قبور الذين دفنوا قد عبث بها الأعداء بشراسة، الذين من طمعهم كانوا يأملون أن يجدوا بها كنزا، ولذلك كانوا «يخرجون عظام ملوك يهوذا وعظام رؤسائه». وكرامة قبورهم لم تستطع أن تحميهم. وكذلك أخرجت عظام الكهنة والأنبياء وبعثرت. والأمم الهمجية كانت في بعض الأحيان تقوم بمثل تلك الأعمال الغبية غير الإنسانية بالنسبة لمن تهزمهم. والعظام، بعد أن تخرج من القبور، كانت تبعثر على وجه الأرض باحتقار. «ويبسطونها للشمس وللقمر ولكل جنود السماوات التي أحبوها والتي عبدوها» (ع ٢). وأمام أنوار السماء هذه، والتي كانوا يتوددون إليها، كانوا يطرحون جثث الموتى ويتركونها للتعفن.

ثانيا: سيكون الموت الآن بخلاف ما كان عليه في السابق في أي وقت من الأوقات. سوف يشتهيه الأحياء ليس لأي شيء محبب فيه؛ لكن لأن كل شيء في هذا العالم سيكون بغيضا، وكل التطلعات كئيبة حتى إنه «يُختار الموت على الحياة» (ع ٣)، وليس ذلك نتيجة رجاء في السعادة في الحياة الأخرى، بل نتيجة اليأس من أية راحة في هذه الحياة. وهناك «البقية الباقية.. في كل الأماكن» التي طردوا إليها نتيجة دينونات الله، البعض أسرى في بلاد أعدائهم، وهناك متسولون في بلدان جيرانهم، وآخرون لاجئون ومشردون في أوطانهم.

عدد ٤ - ١٢

أمر النبي هنا أن يوضح لهذا الشعب حماقة عدم توبتهم. وقد وصفوا هنا كأناس عديمي الفهم، لم يتعقلوا على الرغم من كل الوسائل التي اتبعتها معهم الحكمة الإلهية لكي تعيدهم إلى رشدهم.

أولا: لن يخضعوا لما يمليه عليهم العقل والمنطق. ولن يهتموا بما يخص نفوسهم مثلما يهتمون بكل فطنة بالشئون الأخرى. «هلم نتحاجج يقول الرب» (ع ٤ و٥): «هل يسقطون ولا يقومون؟» إذا حدث وسقط الناس على الأرض، ووقعوا في الطين ألا يقومون ثانية وبأسرع ما يكون؟ «أو يرتد أحد» عن الطريق الصحيح ؟ فأكثر المسافرين حرصا يمكن أن يخطئ طريقه، ولكنه، حالما يدرك ذلك، ألا «يرجع؟» هذا ما يفعله الناس في الأمور الأخرى، «فلماذا ارتد هذا الشعب في أورشليم ارتدادا دائما؟» فلماذا إذا، حين يسقطون في الخطية، لا يسرعون ويقومون ثانية عن طريق التوبة؟ لماذا حين أدركوا أنهم أخطأوا الطريق لا يعودون ويصححون خطأهم وينصلحون. الخطية هي «ارتداد»، إنها رجوع عن الطريق الصحيح، وليس إلى ممر جانبي، بل في ممر عكسي، ارتداد عن الطريق المؤدي إلى الحياة إلى ذاك الذي يؤدي إلى الدمار. والخاطئ لا يظل تائها إلى ما لا نهاية، بل يواصل في الطريق العكسي حتى الهلاك. والمجرب يأتي بالناس إلى الخطية، ويثبتهم في طريقها، وهم أنفسهم يساهمون في سبيهم. «تمسكوا بالمكر». والأعذار التي يعللون بها خطاياهم كلها غش وخداع، ومع ذلك يخدعون، ومن ثم «أبوا أن يرجعوا».

ثانيا: لن يسمعوا لما يمليه عليهم الضمير، الذي هو الحجة التي تنعكس علينا وعلى أعمالنا (ع ٦). لقد أصغي ليرى الأثر الذي تركه وعظه عليهم، وقد أصغى الله نفسه، باعتبار أنه لا يريد موت الخطاة، والذي يسره سماع أي شيء يؤدي إلى التوبة. ولكن توقعاته ذهبت أدراج الرياح: «بغير المستقيم يتكلمون»، لا كما كنت أتوقع. ولم يجد الله أية توبة عن شرهم الجماعي، والتي إن حدثت كان من الممكن أن تسهم في إفراغ مكيال ذنبهم الجماعي. ولم يحاولوا أن يتخذوا حتى الخطوة الأولى في طريق التوبة، ولم يقل أحد منهم «ماذا عملت؟» بل أصروا على المضي في خطاياهم: «كل واحد رجع إلى مسراه كفرس ثائر في الحرب»، واحتقروا التأديب.

ثالثا: لن يمتثلوا لما تفرضه عليهم العناية الإلهية، أو يفهموا صوت الله فيها (ع ٧)، ولم يعوا معنى لرحمة أو لمحنة. ولم يدروا كيف يتجاوبون مع النعمة

التي أتاحها الله لهم حين أرسل لهم أنبياءه، أو كيف يستفيدون من التوبيخات حين صرخ صوته في المدينة. فالمخلوقات البسيطة، مثل «اللقلق في السماوات يعرف ميعاده»، وهكذا الحال أيضا بالنسبة لطيور أخرى مثل «اليمامة والسنونة المزقزقة». فهذه الطيور بالغريزة الطبيعية تغير مكان إقامتها، حين تتغير حالة الطقس، حيث تأتي حين يقبل الربيع، وتذهب حينما يقترب الشتاء، ولعلها تقصد الطقس الأكثر دفئا.

رابعا: لن يمتثلوا لما تمليه الكلمة المكتوبة. هم يقولون «نحن حكماء»، ولكن «كيف تقولون» ذلك (ع ٨). وهم يظنون أنهم حكماء لأن «شريعة الرب» معهم، عندهم سفر الشريعة ومفسروها (تث ٤: ٦). ولكن ذرائعهم كلها لا أساس لها برغم كل ذلك. فماداموا لا يحسنون استخدام الشريعة، فكأنها ليست موجودة لديهم. ذلك أن «قلم الكتبة»- أي أولئك الذين كانوا أول من كتب الناموس، والذين كتبوا تفاسير له- «حولها» إلى الكذب، غير أنه يمكن القول بأنه كان هناك بعض الحكماء بينهم. وكان الرد على ذلك (ع ٩): «خزي الحكماء»، أنهم لم يستغلوا حكمتهم على نحو أفضل، وعاشوا بما يليق بها. لقد «ارتاعوا وأخذوا» ذلك أن كل حكمتهم لم تنفع في إبعادهم عن السبل التي تفضي إلى هلاكهم. لقد تحدثوا عن حكمتهم، ولكنهم «رفضوا كلمة الرب». فمدعو الحكمة الذين قالوا: «نحن حكماء وشريعة الرب معنا» ما كانوا سوى الكهنة والأنبياء الكذبة، الذين يتناولهم النبي هنا بكل صراحة. وسوف تدمر عائلاتهم وممتلكاتهم (ع ١٠): «لذلك أعطي نساءهم لآخرين»، حين أخذوا إلى السبي، «وحقولهم» سوف يستولى عليها العدو المنتصر، ويعطيها «لمالكين» جدد. وعلى الرغم من كل ادعاءاتهم بالحكمة والقداسة فسوف «يسقطون بين الساقطين في وقت معاقبتهم» (ع ١٢)، عندما يفحص شر الأرض ويتضح أنه كان لهم فيه النصيب الأكبر. وهو يقدم سببا لكل هذه الدينونات (ع ١٠- ١٢). كانوا شرهين بالنسبة لثروة هذا العالم «كهنتها يعلمون بالأجرة وأنبياؤها يعرفون بالفضة» (مي ٣: ١١)، «كل واحد يعمل بالكذب» ينظرون إلى اتجاه ويجدفون نحو الاتجاه الآخر. ولا يعرف الوفاء بينهم. كانوا يتملقون الناس في خطاياهم، تظاهروا بأنهم أطباء الأمة غير أنهم لم يكونوا يعرفون استخدام العلاجات الصحيحة. كانوا «يشفون كسر بنت شعبي على عثم»، يقتلون المريض بالمسكنات، يهدئون مخاوفهم بقولهم «سلام سلام»، كل شيء على خير ما يرام، ليس ثمة خطر. «ولم يعرفوا الخجل»، ومات فيهم كل إحساس بالفضيلة والشرف.

عدد ١٣- ٢٢

أولا: الله ينذر بتدمير الشعب الخاطئ. لقد تحملهم طويلا، ولكنهم لا يزالون يثيرون الغيظ أكثر فأكثر. وسوف تنزع منهم كل أسباب الراحة (ع ١٣): «لا عنب في الجفنة». وقد فسر هذا القول في العبارة الأخيرة: «وأعطيتهم ما يزول عنهم». فالبركات التي يساء إليها تنزع، وكان عدلا من الله أن يصادرها. «هأنذا مرسل عليكم حيات أفاعي»، الجيش البابلي، الذي يماثل الحيات السامة. «لا ترقى» بالموسيقى. فهذه حيات من طبيعة أخرى، مثل الصل الأصم الذي يسد أذنه لكي لا يستمع إلى صوت الحواة الراقين.

ثانيا: اليأس يتملك الشعب تحت وطأة هذه الكوارث. فهؤلاء الذين كانوا لا يعرفون الخوف، أصبحوا الآن لا يعرفون الرجاء، حين ألمت بهم الكوارث، وأصبحوا في حالة لا تسمح لهم بمواجهتها أو تحملها (ع ١٤): «لماذا نحن جلوس. اجتمعوا فلندخل إلى المدن الحصينة». وعلى الرغم من أنه لم يكن أمامهم سوى أن يتوقعوا أنهم سيهلكون هناك في نهاية المطاف، إلا أن ذلك لن يكون بسرعة كما هو الحال في الريف، وعلى ذلك: «فلندخل إلى المدن الحصينة ونصمت هناك».

(١) كانوا يدركون أن الله غاضب عليهم: «لأن الرب إلهنا قد أصمتنا وأسقانا ماء العلقم»، «سقيتنا خمر الترنح». فما الفائدة من الصراع ضد مصيرنا إذا كان الله نفسه هو الذي يحاربنا. ويبدو أنهم يتعاركون مع الله كما لو أنه تعامل معهم بقسوة من ناحية أنه لم يسمح لهم بالدفاع عن أنفسهم. وأخيرا بدأوا يدركون أن يد الله وراء الكوارث التي ألمت بهم، ويعترفون بأنهم قد أغاظوه.

(٢) كانوا يدركون أنه من المحتمل أن يكون العدو

أشد مما يمكنهم أن يواجهوه (ع ١٦): «من دان سُمعت حمحمة خيله»، وخبر قوة الخيالة سرعان ما انتشر في كل مكان، ومن ثم «عند صوت صهيل جياده ارتجفت كل الأرض»، «فأتوا» وما من مقاومة تواجههم «فأتوا وأكلوا الأرض».

(٣) خاب أملهم من ناحية توقعهم الخلاص: «انتظرنا السلام ولم يكن خير»، فلم تصلنا أخبار سارة من الخارج، انتظرنا «زمان الشفاء» والازدهار لأمتنا، «وإذا رعب»، وإنذارات الحرب. لقد قال أنبياؤهم الكذبة «سلام سلام». ولكن الخلاص لم يأت رغم طول انتظاره (ع ٢٠): «مضى الحصاد انتهى الصيف» أي مضى زمن طويل. فالحصاد والصيف أجزاء من السنة، ولذلك فالمعنى هو: تمر سنة تلو أخرى، وحملة تلو أخرى، ومع ذلك فأمورنا سيئة كما هي، ولم يأت خلاص: «ونحن لم نخلص»، فصل العمل قد ولى؛ فقد مضى الصيف والحصاد، وجاء شتاء بارد كئيب. ظلوا على حالهم، وضعوا مزلاجا على بابهم، ولكنهم لم يخلصوا لأنهم لم يكونوا مستعدين للخلاص.

(٤) لقد خدعوا من نفس الأشياء التي اعتقدوا أنها ستحقق لهم سلامهم (ع ١٩): «هوذا صوت استغاثة بنت شعبي من أرض بعيدة»، بسبب العدو الغريب الذي أتى من بلاد بعيدة لكي يمتلك أرضنا. «ألعل الرب ليس في صهيون أو ملكها ليس فيها؟». أما الأمران اللذان اعتمدوا عليهما تماما فهما:

أ. أن لديهم هيكل الله، وعلامات وجوده بينهم بصفة خاصة.

ب. أن لديهم عرش بيت داود «ألعل.. ملكها (ملك صهيون) ليس فيها؟» ألن يقوم إله صهيون بحماية ملك صهيون ومملكته؟ هذا الاحتجاج العنيف وجهوه إلى الله، ولذلك أجابهم على وجه السرعة: «لماذا أغاظوني بمنحوتاتهم؟»

ثالثا: المزيد من مراثي إرميا. كان شاهد عيان على الخراب الذي ألم ببلاده: «قلبي فيَّ سقيم» (ع ١٨)، «مَنْ مفرج عني الحزن؟»، فكل محاولة لإزالة الحزن لا يكون من شأنها إلا استفحاله. وأحيانا ما يكون الحزن من النوع الذي كلما أردت كبته ازداد اشتعالا. ولعل هذه هي حالة الرجال الذين هم على درجة كبيرة من الصلاح، مثل حالة النبي هنا، والتي رفضت نفسه أن تتعزى. ولذلك يقول (ع ٢١): «من أجل سحق بنت شعبي انسحقت»، فبسبب خطيتهم، والمآسي التي جلبوها على أنفسهم «حزنت»، وأخذت اتصرف كالحزانى و«أخذتني دهشة»، ولذلك لا أعرف الطريق الذي أسلكه. فالروح الكريم سيكون روحا عاما، روحا رقيقا، روح حزن. تنبأ إرميا بخراب أورشليم، وعلى الرغم من أنهم تشككوا في صدق نبوءته، إلا أنه لم يفرح حين جاءهم دليل صحتها، حيث كان يفضل خير بلاده على سمعته الشخصية. وكم كانت آماله بسيطة (ع ٢٢): «أليس بلسان في جلعاد». ألا يوجد دواء مناسب لمملكة مريضة تحتضر؟ «أم ليس هناك طبيب؟» ألا توجد يد أمينة بارعة تستخدم الدواء؟ ويمكن فهم هذا العدد على أنه يلقي اللوم عليهم وحدهم فيما يتعلق بعدم قابلية مرضهم للشفاء. ويتعين الإجابة على السؤال بالإثبات: «أليس بلسان في جلعاد أم ليس هناك طبيب؟» نعم، من المؤكد أنه يوجد، فالله قادر على أن يساعدهم ويشفيهم. وكانت جلعاد تقع في أرضهم، ولا تبعد كثيرا عنهم فلديهم شريعة الله وأنبيائه، وبواسطتها، كان يجب أن يحملوا على التوبة، وهنا كان يمكن ألا يتعرضوا للخراب. كان لديهم رؤساء وكهنة، والذين كان من عملهم إصلاح الأمة وتضميد جراحها. «فلماذا لم تعصب؟» من المؤكد أن ذلك لم يكن لنقص البلسان أو الطبيب، بل لأنهم لم يسمحوا باستخدام الدواء أو وسائل العلاج. كان الطبيب والدواء جاهزين، غير أن المريض كان عنيدا ولم يلتزم بأحكام العلاج.

الأصحاح التاسع

يواصل النبي في هذا الأصحاح توبيخ الخطية بكل أمانة ويهدد بدينونات الله التي ستنجم عنها، ومع ذلك يعبر عن هذه الشدائد التي تأتي بسببها.

أولا: يعبر عن حزنه الشديد على البؤس الذي حط بيهوذا وأورشليم، وكراهيته لخطيتهم (ع ١- ١١).

ثانيا: يبرر الله بالنسبة للخراب الذي عاقبهم به (ع ٩- ١٦).

ثالثا: يدعو الآخرين ليندبوا هذه الحالة المفجعة (ع

www.difa3iat.com

١٧- ٢٢).

رابعا: عرفهم بحماقتهم وغطرستهم إذا اتكلوا على قوتهم وحكمتهم، أو أي شيء آخر ما عدا الله (ع ٢٣- ٢٦).

عدد ١ - ١١

كلف النبي بأن يتنبأ عن الخراب ويشير إلى الخطية. وما قاله عنهما صدر من القلب، ومن المعتقد أنه وصل القلب.

أولا: استسلم للحزن لما أصاب شعبه من محن.

(١) حزن لسفك الدماء والذين قتلوا (ع ١): «يا ليت رأسي ماء وعيني ينبوع دموع» ترسل فيضا من الدموع الغزيرة كما تطلبت المناسبة ذلك. ونفس الكلمة في العبرية تعني «العين» و«الينبوع» كما لو أن عيوننا في أرض الأحزان هذه جعلت للبكاء وليس للرؤية. ومادامت قلوبنا ينابيع للخطية، فمن المناسب أن تكون عيوننا ينابيع للدموع. غير أن حزن إرميا هنا إنما هو على الشعب كله، ذلك أنه يبكي «نهارا وليلا قتلى» بنت شعبه، الأعداد الكثيرة من مواطنيه ممن سقطوا بحد السيف في الحرب. وحين نسمع عن القتلى الكثيرين الذين يسقطون في المعارك الكبيرة، يجب أن نتأثر كثيرا لذلك، لأنه أيا كان من سقطوا، فإنهم من نفس طبيعتنا البشرية، وأن هناك أرواحا كثيرة قد فقدت هي عزيزة عليهم كما أن أرواحنا عزيزة علينا.

(٢) حزن لخراب البلاد. ليس من أجل المدن والقرى فحسب بل «على الجبال (التلال المثمرة التي تعمر بها يهوذا) أرفع بكاء ومرثاة»، «وعلى مراعي البرية»، التي اعتادت أن تزخر بها قطعان المواشي ولكنها الآن خرابا، وكل شيء أصبح يبدو كئيبا حيث لم يعد «يسمع صوت الماشية». فالحرب المدمرة إذا ما اشتعلت نيرانها في بلد ما لا يمكن إلا أن تكون مصدر حزن لكل النفوس الرقيقة، لأنها مأساة دمرت المسرح الذي كانت تمثل عليه.

ثانيا: استسلم للعزلة. وفيما كان كل جيرانه يهرعون إلى المدن الحصينة (إر ٤: ٥ و٦) كان هو يخطط لأن يعتزل في مكان ما في البرية، كراهية منه لخطية شعبه (ع ٢): «يا ليت لي في البرية مبيت مسافرين»، كتلك التي نجدها في صحراء العربية للمسافرين «فأترك شعبي وأنطلق من عندهم». ولا يجب أن ننطلق من العالم، رغم شره، قبل أواننا. فإذا لم يكن بوسعه أن يعمل خيرا للجميع، فإنه يستطيع أن يفعل ذلك للبعض. غير أن ما جعله يسأم حياته هو رؤيته لهم وهم يسيئون إلى الله ويدمرون أنفسهم. وإرميا وهو في بيت الله يتمنى لو كان في برية.

(١) لم يكن يفكر في تركهم لأنهم في محنة، بل لشرهم. كانوا نجسين: «لأنهم جميعا زناة»، أي أن معظمهم كذلك (إر ٥: ٨). كانوا كذبة. فالذين لم يكونوا أمناء لله، لا يمكن أن يكونوا أمناء بعضهم لبعض. هم يذهبون إلى الكنيسة، والمحكمة، والبورصة، وما هم إلا «جماعة خائنين». هناك يغشون عن عمد ولقصد شرير لأنهم (ع ٣): «يمدون ألسنتهم كقسيهم للكذب» بكل براعة. فقد ارتبط لسانهم بالكذب كما يرتبط السهم بوتره. ولكنهم «لا للحق قووا في الأرض». وكانوا سيؤدون خدمة عظيمة لو استغلوا في سبيل الحق ما يجيدونه من فن وما يتمتعون به من عزيمة، غير أنهم لن يفعلوا ذلك. وأولئك الذين هم أمناء للحق تراهم بواسل لا تخيفهم المعارضة. وسوف يأتي اليوم الذي نسأل فيه، ليس عن عداوتنا ومقاومتنا للحق، بل عن جبننا في الدفاع عنه. وهم يغشون إخوتهم (لأن كل أخ هو مخادع). ويعقوب معناه «يحل محل آخر بالغدر»، وهي الكلمة المستخدمة هنا. اذهب إلى أية جماعة ولن تجد بينهم أي شيء من الإخلاص أو الأمانة المشتركة. وما من رجل يرى أنه ملتزم بأن يكون شاكرا أو وفيا. «وكل صاحب يسعى في الوشاية»، ولا يهتمون بما يقوله كل منهم للآخر عن طريق الكذب، وحيثما ذهبت الوشاية يتبعونها. «علموا ألسنتهم التكلم بالكذب. وتعبوا في الافتراء». لقد أتعبتهم ممارسة الخطية، غير أنهم لم يسأموها. وهم يزدادون سوءا (ع ٣): «خرجوا من شر إلى شر»، من إحدى درجات الشر إلى الأخرى. فما من أحد يصل إلى ذروة الرذيلة في الحال. فقد بدأوا بالمراوغة، وأخيرا وصلوا إلى الكذب الخالص.

(٢) بيّن لهم النبي ما اعتزمه الله بصددهم. لقد وصم الله خطيتهم. ولذلك قال «مسكنك في وسط المكر» وكل من هم حولك أدمنوه، ولذلك عليك

أن تحترس. وقد تم التوسع في هذا الاتهام (ع ٨). «يمدون ألسنتهم كقسيهم» (ع ٣)، حيث يخططون للأذى. أما هنا فقيل: «لسانهم سهم قتال»، لذلك «يتكلم بالغش»، فقد كان لسانهم أداة موت بالنسبة لكثيرين. كل واحد «بفمه يكلم صاحبه بسلام»، وفي نفس الوقت «يضع له كمينا»، كما قبّل يوآب أبنير حين كان على وشك أن يقتله. فالكلمات المعسولة إذا ما قيلت دون نية طيبة، تصبح جديرة بالازدراء، غير أنه حين تكون ستارا لمقاصد شريرة، تكون بغيضة. قد نحاول تعليم الخطاة معرفة الرب الصالحة، لكنهم لن يتعلموا، وأي صلاح يمكن توقعه حينما لا تتواجد معرفة الله؟ (هو ٤: ١). لقد اعتزم الله هلاكهم (ع ٧، ٩، ١١). فالذين لن يعرفوا الله باعتباره معطي الشريعة، سيعرفونه باعتباره القاضي الذي يحاكمهم. والبعض منهم سينقون (ع ٧). ولأنهم على هذا الفساد «هأنذا أنقيهم وأمتحنهم». وسوف أتأكد من أن بوتقة المحن ستنقيهم من خبثهم، وأنهم سيشكلون من جديد في قالب أفضل، ولن يدعوا «فضة مرفوضة» إلا إذا كانت الصياغة باطلة (إر ٦: ٢٩ و٣٠). وهو يتكلم كشخص لم يطاوعه قلبه أن يسلمهم للهلاك إلا بعد أن يجرب معهم كل السبل الممكنة لحملهم على التوبة. أما الباقون فسيهلكون (ع ٩): «أفما أعاقبهم على هذه؟» فالغش والكذب من الخطايا التي يكرهها الله، والتي سيحاسب عليها. لقد صدر الحكم، وصدر القرار (ع ١١) «وأجعل أورشليم رجما»، ولن تصلح لشيء سوى أن تكون مأوى بنات آوى، «ومدن يهوذا أجعلها خرابا».

عدد ١٢ – ٢٢

ثمة أمران ينتويهما النبي في هذه الفقرة فيما يتعلق بالخراب الآتي على يهوذا وأورشليم:

◄ أن يقنع الشعب بعدالة الله، من ناحية أنهم جلبوا ذلك على أنفسهم نتيجة خطيتهم.

◄ يحرك مشاعر الناس ويحملهم على توقع الخراب الرهيب الشامل لعل ذلك يوقظ ضمائرهم ويحملهم على التوبة والإصلاح.

أولا: يطلب من الحكماء أن يعرفوا الناس بعدالة الإجراءات التي يتخذها الله على الرغم مما قد يبدو لهم أنها صارمة (ع ١٢): «من هو الإنسان الحكيم» أو من النبي «الذي كلمه فم الرب؟» أنتم تتباهون بحكمتكم، وبالأنبياء الذين بينكم، هاتوا من بينهم واحد، وسوف يدرك على التو أن هناك أسبابا قوية لغضب الله على هذا الشعب. هل سأل هؤلاء الحكماء «لماذا بادت الأرض؟».. الأرض التي كان يهتم بها الله، أما الآن فقد أصبحت الأرض التي تخلى عنها. لماذا فعل الرب هذا بهذه الأرض؟ والله يقدم هنا ردا شافيا:

(١) الاتهام الذي وجه ضدهم، والذي ثبت أنهم مذنبون فعلا (ع ١٣ و١٤).

أ. نكصوا ولاءهم لسيدهم الحقيقي. لقد ترك الله أرضهم بسبب «تركهم» شريعته، ولم «يسمعوا» لصوته، «ولم يسلكوا بها».

ب. دخلوا في خدمة من نهبوهم، فلم يكتفوا بأنهم ابتعدوا عن طاعة ملكهم، بل حملوا السلاح ضده. لقد ساروا بحسب مشيئتهم الخاصة، مشيئة الجسد والعقل البشري وذلك بالتعارض مع مشيئة الله: «سلكوا وراء عناد قلوبهم»، وكانوا يفعلون ما يحلو لهم، مهما تعارض مع أحكام الله أو مع ضمائرهم. ساروا «وراء البعليم»، والكلمة في صيغة الجمع فقد كان لديهم الكثيرون منها: بعل فغور، بعل بريث، بعل هذه المدينة، وبعل المدينة الأخرى، كان لديهم سادة كثيرون (بعليم) «التي علمهم إياها آباؤهم» أن يعبدوها، لكن إله آبائهم كان يقول بتحريمها مرارا وتكرارا. وهذا هو السبب في أن «بادت الأرض».

(٢) الحكم الذي صدر ضد المتمردين الآثمين يجب الآن تنفيذه: «لذلك هكذا قال رب الجنود إله إسرائيل» (ع ١٥ و١٦)، ومَنْ ذا الذي يستطيع أن يرده؟ كل ما في بلادهم من خيرات سوف تسمم وتمرر: «هأنذا أطعم هذا الشعب أفسنتينا» (عشب اسمه «خانق الذئب» يعرف بأنه بغيض بسبب الغثيان)، «وأسقيهم ماء العلقم» (نبات «الشوكران»، أو عشب آخر سام). وكل شيء حولهم سيكون رعبا لهم. و«ألعن بركاتكم» (ملا ٢: ٢). وتشتتهم في بلاد غريبة سيكون فيه دمارهم (ع ١٦): «وأبددهم في أمم لم يعرفوها». وسوف يفقدون أنفسهم حيث فقدوا فضيلتهم «في أمم لم يعرفوها»، لقد انتهكوا الحق الذي هو الرابطة التي تربط المجتمع والتجارة، ولذلك كان

www.difa3iat.com

عدلا أن يصيروا ترابا وأن يتبددوا «في أمم لم يعرفوها». والآن نعرف لماذا هلكت الأرض؟ كل هذا الخراب جاء عقابا على أعمالهم الشريرة.

ثانيا: يستدعي النادبات لتندبن هذه الكوارث المحزنة التي لحقت أو ستلحق بهم، حتى تستعد الأمة لها: «هكذا قال رب الجنود. تأملوا وادعوا النادبات» (ع ١٧). وهنا عمل للنادبات الزائفات «وأرسلوا إلى الحكيمات» منهن، أي أمهرهن ممن يستخدمن في الجنازات لتعويض الافتقار إلى نادبات حقيقيات. دع هؤلاء «يرفعن علينا مرثاة» (ع ١٨). أو بالأحرى فإن هذه العبارة تشير إلى غباء هذا الشعب المستحكم، الذي لم يأخذ أحكام الله بالجدية الواجبة. لقد أرسل الله أنبياءه النادبين إليهم، ولكن كلمته في أفواههم لم يكن لها تأثير على إيمانهم، ولذلك بدلا من أن يذهبوا للضحك على هلاكهم، لتأت النادبات. وهنا عمل للنادبات الحقيقيات؛ لأن المشهد الحاضر مأساوي للغاية (ع ١٩): «صوت رثاية سمع من صهيون». البعض يقول إن هذا صوت ما تردده النادبات، بل بالأحرى صداه، ردده أولئك الذين تأثرت مشاعرهم نتيجة ندبهن. وقد كان من المألوف سماع صوت الفرح والتسبيح في صهيون، فيما كان الناس متمسكين بالله. غير أن الخطية غيرت هذه النغمة، إنها الآن «صوت رثاية». «خزينا جدا لأننا تركنا الأرض» (أجبرهم العدو على ذلك)، ولم يقولوا إن ذلك لأننا تركنا الرب إذ انجرفنا وراء شهواتنا، بل قالوا «لأنهم هدموا مساكننا»، ولم يقولوا لأن الله طرحنا بعيدا. وهكذا نرى القلوب غير المتواضعة ترثي لنكبتها، وليس إثمهم الذي كان مردها. وأولئك الذين «قذفتهم» الأرض، (كما فعلت بالكنعانيين من قبلهم، وعن حق لأنهم ساروا على نهجهم، لا ١٨: ٢٨) يشكون من أنهم طردوا إلى المدينة، غير أنه بعد فترة، فإن أولئك الذين هم في المدينة، وهم معهم، سوف يطردون إلى هناك أيضا: «بل اسمعن أيتها النساء كلمة الرب» (ع ٢٠)، لتسمعها النساء، لأن الرجال لن يعيروها انتباها، ولن يسمعوها بصبر. والأنبياء يكونون سعداء بالكرازة في جماعة من النساء ممن ترتجفن لدى سماع كلمة الله. ولتعلم النسوة بناتهن «الرثاية»، ولتعلمن بعضهن بعضا «الندب»، وهذا ما يستشف منه أن المتاعب ستنتشر على نطاق واسع، وتذهب من بيت إلى بيت. والدينونة التي تم التهديد بها هنا قصد أن تبدو رهيبة. أعداد غفيرة سيذبحون (ع ٢١). وسوف يخرج الموت منتصرا، ولن يفلت أحد من قبضته. بل ولن يهاجم الأكواخ فحسب، بل «دخل قصورنا». والذين يذبحون يتركون دون أن يدفنهم أحد (ع ٢٢).

عدد ٢٣ - ٢٦

كان النبي يحاول أن يحمل هذا الشعب إلى خوف مقدس من الله ودينوناته، ولكنهم ما يزالون يلجأون إلى الذرائع المؤسفة. يعللون بها عنادهم. ولذلك عمد هنا أن يطردهم من ملاجئ الكذب هذه.

أولا: حينما أخبروا عن حتمية الدينونة دافعوا عن أنفسهم بسياساتهم وقوتهم، والتي إلى جانب ثروتهم ومكانتهم اعتقدوا أنها ستجعل مدينتهم منيعة. وردا على ذلك بيَّن لهم حماقة اتكالهم على مثل هذه الأشياء، في حين أنه ليس لهم إله هم في عهد معه (ع ٢٣ و٢٤): «لا يفتخرن الحكيم بحكمته» كما لو أنه يستطيع الاستناد إليها في إيجاد مخرج أو آخر. ولكن إذا خذلت إنسانا سياسته، واعتقد أنه يستطيع تحقيق هدفه بالقوة وبفضل شجاعته. عليه أن يعرف أنه لا ينبغي أن «يفتخر الجبار بجبروته»، لأنه ليس القوي دائما هو الذي يكسب المعركة. فقد ثبت أن الصبي داود كان أشد قدرة من العملاق جليات. وكل القوى البشرية لا تعد شيئا بدون الله، وأسوأ من عدمها إذا استخدمت ضد الله. ولكن ألا يمكن أن تكون «ثروة الغني مدينته الحصينة؟» (فالمال يحل كل المشاكل). كلا، «ولا يفتخر الغني بغناه»، كما لو أنه بمقدورهم أن يكونوا ندا للبابليين لأنه عندهم حكماء ينصحونهم بشأن الحرب، ورجال أشداء يحاربون معاركهم، وأثرياء يتحملون تكاليف الحرب. إن تعزيتنا الوحيدة في المتاعب هي أن نكون قد عملنا ما هو واجب علينا. فالذين «أبوا» أن يعرفوا الرب (ع ٦) سيفتخرون باطلا بحكمتهم وثروتهم، أما الذين يعرفون الله، بذكاء، والذين يدركون على نحو صحيح أنه هو «الرب» لهم أن يفتخروا بهذا، وسوف يكون ذلك مصدر فرحهم في يوم الشر. وثقتنا الوحيدة أثناء الشدة هي أنه ما دمنا من خلال نعمة الله عملنا واجبنا إلى حد ما،

www.DIFA3IAT.com

سنجد في الله كل كفايتنا. بل بهذا نفتخر، أنه حيثما كنا فنحن نعرف الله الذي هو «الصانع رحمة وقضاء وعدلا في الأرض»، والذي هو عادل لكل خلائقه، رؤوف بكل أولاده، وسوف يحميهم ويعولهم. والإله الذي بكل أمانة تناغموا معه تماما على هذا النحو، ويمكنهم بكل فرح أن يثقوا فيه، في أكثر الأوقات شدة. غير أن النبي يشير إلى أن معظم هؤلاء الناس لم يهتموا بهذا إطلاقا.

ثانيا: وحين أخبروا كيف أن خطاياهم تثير غضب الله دافعوا باطلا بعهد ختانهم. وليس من شك أنهم شعب الله، ذلك أنهم يحملون في جلدهم علامة أولاده. وعلى هذا رد النبي بأن الله يعاقب كل الأشرار دونما فرق بين المختونين وغير المختونين (ع ٢٥ و٢٦). ولقد عاشوا في شركة مع الأمم من غير المختونين وبذلك فقدوا ميزة هذه الخصوصية. وقاضي الأرض كلها قاض نزيه لن يحقق أحد أفضلية أمام منصته نتيجة أية امتيازات خارجية. وإدانة الخطاة غير التائبين الذين اعتمدوا ستكون بكل تأكيد مثل دينونة الخطاة غير التائبين ممن لم يعتمدوا. وأولئك الذين هم من «الساكنين في البرية» من المفترض أنهم من القيداريين ومن ممالك حاصور وهذا ما نستخلصه مما جاء في إرميا ٤٩: ٢٨ – ٣٢. والبعض يظن أنهم دعوا هكذا لأنهم سكنوا في الواقع في ركن من العالم، وآخرون يقولون إن ذلك مرده أنهم كانوا «مقصوصي الشعر مستديرا». وأيا كان السبب فإنهم لم يكونوا مختونين في الجسد، وقد صنف اليهود معهم لأن «كل بيت إسرائيل غلف القلوب»، لهم العلامة، ولكن لم يكن فيهم الأمر الذي يعتد به (إر ٤: ٤).

الأصحاح العاشر

النبوءة التي يتضمنها هذا الأصحاح مزدوجة الإشارة:

أولا: فهي تشير إلى أولئك الذين أبعدوا إلى أرض البابليين، والذين كانوا معروفين بوثنيتهم وخرافاتهم، وقد حذروا هنا ألا يتبعوا سبل الوثنيين (ع ١ و٢) لأن تنجيمهم ووثنيتهم ما هي إلا تفاهات (ع ٣ – ٥)، وعبدة الأوثان متوحشون (ع ٨ و٩). وهذا ما سيظهر يوم عقابهم (ع ١٤ و١٥). ولقد نصحوا أيضا بالتمسك بقوة بإله إسرائيل، لأنه ليس إله مثله (ع ٦ و٧). فهو الإله الحقيقي وهو الذي يحكم العالم (ع ١٠ – ١٣)، وشعبه سعيد به (ع ١٦).

ثانيا: إشارة إلى أولئك الذين بقوا في أرضهم. حُذروا ضد ثقتهم في أنفسهم (ع ١٧ و١٨)، وبأن عدوا أجنبيا سيسلطه الله عليهم بسبب خطيتهم (ع ٢٠ – ٢٢). والنبي يتأسى لهذه الكارثة (ع ١٩)، ويصلي من أجل أن يخفف الله من وطأتها (ع ٢٣ –٢٥).

عدد ١ – ١٦

يسلح النبي إرميا هنا الشعب ضد عادات الأمم الوثنية، وأنهم إذا ما اقتنعوا بكلمة الله ورجعوا إلى صوابهم فإنه يرد عصا التأديب عنهم، وذلك «كُتب لأجل تعليمنا».

أولا: مطالبة شعب الله بكل جدية ألا يتمشوا مع عادات الأمم. لتسمع إسرائيل الكلمة التي تكلم بها الرب: «لا تتعلموا طريق الأمم»، لا تقبلوه، ولا تختلفوا بشأنه. لا تسمحوا لأي من عاداتهم أن تتسرب إليكم، ولا تدعوها تختلط بديانتكم. كان طريق الأمم هو عبادة جنود السماء: الشمس والقمر والنجوم، حيث خلعوا عليها كرامات إلهية، وكانوا ينتظرون منها بركات إلهية. والله يقول لشعبه «من آيات السماوات لا ترتعبوا»، وألا يبجلوا النجوم على اعتبار أنها آلهة، وألا يخيفوا أنفسهم بأية تكهنات قائمة على أساسها. عليهم ألا يخافوا إلا من إله السماوات، وهنا لن يرتعبوا «من آيات السماوات»، لأن النجوم في مسالكها لا تحارب كل من كان في سلام مع الله.

ثانيا: أسباب قوية لتنفيذ هذا التكليف.

(١) طريق الأمم منافٍ للعقل، ويدان بحسب المنطق السليم (ع ٣). وفرائض الأمم وأحكامها كلها بطل. فقد قدر البابليون أنفسهم على أساس حكمتهم، والتي بها يظنون أنهم يسمون على كل جيرانهم، ولكن النبي يبين هنا أنهم، وكل الآخرين ممن يعبدون الأوثان ويتوقعون منها مساعدتهم لا منطق لهم وتفكيرهم عقيم. لنتأمل ما هو الوثن الذي يعبد. لقد كان في الأساس «شجرة يقطعونها من الوعر». ويقوم «نجار» بصنعه، حيث يسويها وينشرها ويشكلها، (انظر إشعياء ٤٤: ١٢– ١٧). غير أنه، على الرغم

www.difa3iat.com

من ذلك كله ما هو إلا جذع شجرة، يناسب أن يصنع عمودا لبوابة أفضل من أي شيء آخر. غير أنهم لكي يخفوا الخشب «بالفضة والذهب يزينونها وبالمسامير والمطارق يشددونها فلا تتحرك» أو تسقط أو تسرق (ع ٤). والتمثال يكون مستقيما بما فيه الكفاية حيث يقوم النجار بما عليه من هذه الناحية، ويبدو التمثال أمامك فخيما، ويقف أمامك كما لو كان سيتكلم معك، غير أنه لا يستطيع أن يتكلم، بل وليس بمقدوره أن يتخذ خطوة واحدة لمعاونتك. وإذا كان لابد أن تتحرك من مكانها، فيتحتم الأمر أن «تُحمل حملا لأنها لا تمشي» ولا تخافوا أن تغضب منكم «لأنها لا تضر» ولا تخشوا من أن تخسروا عطفها، لأنه «ولا فيها أن تصنع خيرا». والأصنام التي من ذهب وفضة لا تستحق العبادة شأنها في ذلك شأن تلك المصنوعة من الخشب. ذلك أنه «أدب أباطيل هو الخشب» (ع ٨). فهي تعلم الأكاذيب، أكاذيب عن الله. إنه «أدب أباطيل هو الخشب». تستخدم مهارة فائقة، ويبذل جهد كبير في صنعها. ولا يستخدم في صنع هذه حرفيون عاديون كما هو الحال بالنسبة للآلهة الخشبية (ع ٣)، بل هؤلاء عمال مهرة، هم صناع مهرة الذين يصنعونها، فالحرفي يجب أن يقوم بدوره بعد أن ينهي «الصائغ» مهمته. وحتي يقدم التبجيل لهذه الآلهة على غرار ما يقدم للملوك يجعلون لباسها من «أسمانجوني وأرجوان»، وهذه ألوان الثياب الملوكية (ع ٩). ولكن ماذا يكون الوثن بعد أن يصنع، وبعد أن يبذلوا فيه أقصى ما يستطيعون؟ (ع ١٤). إنه «كذب»، ذلك أنه ليس ما يدعي أن يكونه. فإنهم يعبدون هذه الأوثان كالآلهة التي تعطينا نفسا وحياة وحسا، في حين أنها هي نفسها لا حياة ولا حس فيها. فالصنم لا نفس فيه «ولا روح فيه»، ولا يعطي حياة كما يفترض فيه بأي روح إلهي أو قوة إلهية، بل وليس لها «روح البهيمة... تنزل إلى أسفل». «هي باطلة صنعة الأضاليل» (ع ١٥). ذلك أنها مخلوقات خيال تملكته الأضاليل. والوثنيون الذين يعبدون هذه الأصنام (ع ٨): «بلدوا وحمقوا معا». وعلى الرغم من أنهم في أعمال الخليقة لا يستطيعون إلا أن يروا القوة الأبدية وألوهية الخالق، لكنهم «حمقوا في أفكارهم وأظلم قلبهم الغبي.. لم يستحسنوا أن يبقوا الله في معرفتهم» (رو ١ : ٢١، ٢٨).

(٢) وإله إسرائيل هو الإله الحي الحقيقي وحده، وإقامة أي إله آخر لينافسه تعد أبشع إهانة يمكن توجيهها له. وهنا يتحول النبي من الكلام باحتقار بالغ عن آلهة الوثنيين للحديث بأعظم إجلال وتوقير عن إله إسرائيل (ع ٦ و٧). فماذا يكون مجد الإنسان الذي اخترع فنا نافعا أو أسس مملكة مزدهرة (كانت هذه هي الأسس الكافية لأن تجعل الإنسان مستحقا لأن يرفع إلى مرتبة الألوهية عند الوثنيين) إذا ما قورن بمجد ذاك الذي هو خالق العالم «وجابل روح الإنسان في داخله؟» وماذا يكون مجد أعظم ملك أو رئيس إذا ما قيس بمجد ذاك الذي «مملكته على الكل تسود؟» ونراه يعترف قائلا : «يا رب عظيم أنت» (ع ٦) بلا حدود «عظيم اسمك في الجبروت». وليس بيت إسرائيل فقط الذي هو ملزم بعبادة الرب يهوه العظيم باعتباره «إله إسرائيل»، بل إن كل شعوب الأرض ملتزمة بعبادة ذاك الذي هو «ملك الشعوب». فهذا حقيقة واضحة بقدر ما أن زيف الأوثان واضح (ع ١٠). فهي صنعة أيدي الناس وإله الحق هو إله حقا. هو «إله حي». هو الحياة نفسها، له حياة في ذاته، وهو مصدر حياة الخلائق كلها. آلهة الوثنيين مصنوعة من أشياء هالكة، غير أن إلهنا هو إله حي إلى الأبد. فهو «ملك أبدي»، ملك الأبدية. وعلى الرغم من أن الشعوب تجتمع معا، إلا أنها ستكون عاجزة تماما عن المقاومة «ولا تطيق الأمم غضبه». وهو إله تكون الطبيعة دائما تحت أمره (ع ١٢ و١٣). وإذا ما رجعنا للوراء سنجد أن العالم كله مدين له بأصله باعتباره العلة الأولى. بل كان هناك قول شائع بين اليونانيين: «الذي يدعي أنه إله آخر عليه أولا أن يخلق عالما آخر». لقد خلقنا الله، كما خلق كل شيء. «والأرض» تضم في باطنها كنوزا قيمة، وثمارا أكثر قيمة على سطحها. ولكن الأرض وما فيها وما عليها هو صانعها «بقوته» ولا يمكن إلا لقوة غير محدودة أن تبسط السماوات بغير عمد. والجزء المسكون من الأرض هيىء بدرجة عجيبة لنفع الإنسان وفائدته، فهو «مؤسس المسكونة بحكمته وبفهمه بسط السماوات» وبشكل عجيب وجه حركة الأجرام السمائية بحيث تكون لفائدة هذا العالم الأدنى. وهذه «تُحدث بمجد الله» (مز ١٩ : ١)، وتجبرنا على إعلان ذلك، وألا

نعطي المجد للسموات التي هي مدينة لمن خلقها. وإذا ما نظرنا إلى فوق، نرى أن عنايته الإلهية هي خلق مستمر (ع ١٣): «إذا أعطى قولا تكون كثرة مياه في السماوات» ثم تصب على الأرض. «ويصعد السحاب من أقاصي الأرض». والأرض كلها تبجل السحب لأن الأرض كلها تتقبل بركات المطر. وهكذا نجد أن الرطوبة في الكون، مثل النقود في المملكة، والدم في جسم الإنسان، تراها دائما في دورة من أجل خير الجميع. وليس هناك أي نوع من الطقس إلا ويقدم لنا دليلا ومثالا عن حكمة الخالق العظيم وقوته. وهذا الإله هو الإله الذي في عهد مع إسرائيل. ولذلك على بيت إسرائيل أن يتعلقوا به، وألا يتركوه لكي يعبدوا الأوثان، لأنه (ع ١٦): «ليس كهذه نصيب يعقوب»، «لأنه ليس كصخرنا صخرهم» (تث ٣٢: ٣١). وإذا استكفينا بالله كنصيبنا، سيفرح بنا فرحا عظيما كشعبه، الذي يعترف به على أنه «قضيب ميراثه»، يسكن هو معهم، وهم يعبدونه ويبجلونه. إنما تعزية تجل عن الوصف بالنسبة لشعب الله كله أن إلههم هو «مصور الجميع».

(٣) بعد أن قارن النبي هكذا بين آلهة الوثنيين وإله إسرائيل، يذكر مصير كل هؤلاء المدَّعين، ويوجه اليهود باسم الله، بأن يقولوا هذا لعبدة الأوثان (ع ١١): «هكذا تقولون لهم. الآلهة التي لم تصنع السماوات والأرض تبيد». كان المسيحيون الأوائل حين يطلب منهم عبادة مثل ذلك الإله يقولون «دعه يخلق عالما ومن ثم يكون إلهي». وحين يأتي الله لمحاسبة الوثنيين سيجعلهم يملون أوثانهم، ويكونون مسرورين للتخلص منها. في ذلك اليوم يطوحونها «للجرذان والخفافيش» (إش ٢: ٢٠).

عدد ١٧ - ٢٥

أولا: يهدد النبي، باسم الله، بدمار وشيك يحل بيهوذا وأورشليم (ع ١٧ و١٨). واليهود الذين استمروا في أرضهم، بعد أن أخذ البعض إلى السبي، كانوا واثقين جدا في أنفسهم، ظنوا أنهم سكان قلعة حصينة، كانت أرضهم هي حصنهم، وكانت منيعة، غير أنه يجب أن يستعدوا للذهاب وراء إخوتهم، وأن يحزموا حوائجهم توقعا لذلك: «اجمعي من الأرض حزمك»، قلصوا من شئونكم إلى أقل حد ممكن. ولا تتركوا ما عندكم مبعثرا، لأن البابليين سيفاجئونكم ثانية فسوف يكونون أداة لتنفيذ الحكم الذي أصدره الله ضدكم (ع ١٨): «هأنذا رام من مقلاع سكان الأرض». إلى تلك الآونة كانوا يجتثون، ولكن عددا قليلا في كل مرة، ولكنهم سيرمون هذه المرة كما يرمى الحجر من المقلاع. سوف يلقون بعنف وإلى مسافة بعيدة، وفي فترة وجيزة. ثم أضاف: «وأضيق عليهم لكي يشعروا». وحيثما ذهبوا سوف تتملكهم على الدوام حيرة ومحنة، حتى يشعروا بما لم يصدقوه لقد أخبروا أن خطيتهم ستكون سبب هلاكهم، ولكنهم الآن سيكتشفون بأنفسهم هذه الحقيقة.

ثانيا: يرفع مرثاة حزينة عن الكوارث التي ستصيب الناس: (ع ١٩): «ويل لي من أجل سحقي». البعض يأخذ هذه العبارة على أنها مرثاة النبي، ليس على حاله، بل عن المصائب والدمار الذي سيأتي على بلاده. غير أنها يمكن أن تفهم على أن قائلها هو الشعب، الذي اعتبر كهيئة واحدة ومن ثم تكلم في صيغة المفرد. ولقد وضع النبي على لسانهم الكلام الذي يجب أن يقولوه، سواء فعلوا ذلك أو لم يفعلوا، وسوف يتوافر لديهم سبب ليقولوه «ويل لي من أجل سحقي»، ليس من أجل ما أخشاه، بل من أجل ما أشعر به. بل وما كان هذا ألما هينا، بل ضربة «عديمة الشفاء». فما الداعي لأن أشكو؟ «إنما هذه مصيبة فأحتملها» بقدر استطاعتي. وهذا صبر المرغم، وليس صبرا ناتجا عن مبدأ. والقول بأن هذه مصيبة «فأحتملها» لأني لا أستطيع شيئا حيالها ينم عن الافتقار إلى أفكار طيبة عن الله، والتي يجب أن تكون لدينا دائما حتى في أوقات شدائدنا، ولا يكفي القول أن الله يستطيع بل ويفعل ما يريده، بل «ليفعل الله ما يسره» لقد خربت البلاد (ع ٢٠): «خيمتي خربت» فأورشليم، رغم أنها مدينة قوية، إلا أنه ثبت الآن ضعفها: لقد حلت حكومتهم، وتقطعت أوصال دولتهم. خربت عبادتهم، وسقطت كل أعمدتها. وكان الخراب عاما شمل الدين والدولة، الريف والمدينة، ولم يكن هناك من يصلحون هذا الدمار. «بنيَّ خرجوا عني وليسوا»، البعض فر هاربا والبعض الآخر قتل، وآخرون أخذوا للسبي، ولذلك «ليسوا» موجودين. «وليس من يبسط

بعد خيمتي»، لا يوجد أحد من أبنائي ليقدم لي أية خدمة. أما الحكام فلم يتخذوا أية إجراءات سليمة لإعادة إقامة دولتهم المحطمة (ع ٢١): «الرعاة بلدوا». فحين دمرت خيام الرعاة (ع ٢٠)، كان على الرعاة أن يعتنوا بها، ولكنهم كانوا رعاة ممن يتسمون بالحمق. أما ملوكهم ورؤسائهم فلم يكن لديهم أي اعتبار للمصلحة العامة. أما الكهنة، رعاة خيمة الله، فقد اسهموا بدرجة عظيمة في دمار الديانة، ولكنهم لم يسهموا بشيء في إصلاحها. فلا هم اعترفوا بالدينونة، ولا توقعوا للخلاص أن يأتي من يده «من أجل ذلك لم ينجحوا». ولن تنجح أية محاولات يبذلونها من أجل السلامة العامة. ولا يجب أن يتوقع النجاح الذين لا يستندون على الله في كل طرقهم بالإيمان والصلاة. كان لخبر زحف العدو وقعا رهيبا (ع ٢٢): «هوذا صوت خبر» وهو الخبر الذي كانوا يتهامسون به أولا في الخارج لأنه كان يفتقر إلى التأكيد. ولقد ثبتت الآن صحته بكل جلاء: «واضطراب عظيم من أرض الشمال»، وكان يهدد بأن يجعل «مدن يهوذا خرابا مأوى بنات آوى»، ذلك أن الجميع يجب أن يتوقعوا بأن يكونوا فريسة لنهم الجيش البابلي وضراوته.

ثالثا: تحول إلى الله، ووجه له كلامه، إذ لم يجد فائدة تذكر من كلامه مع الشعب.

(١) يعترف النبي هنا بسيادة العناية الإلهية وسلطانها (ع ٢٣). فليس بمقدورنا أن نفعل ما يحلو لنا، لأننا تحت التوجيه الإلهي، وكثيرا ما يتحكم فينا الحدث فيأتي مغايرا تماما لكل توقعاتنا. والبعض يقول إن طريق الجيش البابلي لم يحددوه هم بأنفسهم فمن ثم لم يتعدوا ما قد حدده الله لهم، الذي بمقدوره أن يضع حدا لتلك الأمواج العالية ويقول لها: «لن تتعدي تخومك».

(٢) يحاول النبي تهدئة غضب الله من غضبه حتى لا يحل بشعبه إسرائيل (ع ٢٤). وهو هنا لا يتحدث عن نفسه فقط، بل نيابة عن شعبه: «أدبني يا رب ولكن بالحق (ليس بأكثر مما يلزم لطرد الحماقة الكامنة في قلوبنا) لا بغضبك»، ليكن بدافع من محبتك، ومن أجل صلاحنا، وليس من أجل أن «تفنينا»، بل لترجعنا إليك. لا تجعله طبقا لاستحقاق خطايانا، بل طبقا لمقاصد نعمتك. ولا تستطيع الصلاة بإيمان طالبين ألا تؤدبنا أبدا، فيما نحن نشعر بأننا في حاجة إلى التأديب الذي نستحقه، ونعرف أن الذي يحبه الرب يؤدبه.

(٣) يستمطر غضب الله ضد مضطهدي إسرائيل (ع ٢٥): «اسكب غضبك على الأمم التي لم تعرفك». ولم تأت هذه الصلاة بدافع من روح البغضة والانتقام. بل هي مناشدته لعدله. كما لو أنه قال: نحن يا رب شعب يثير غيظك، ولكن أليست هناك شعوب أخرى تثير غيظك بأكثر منا؟ نحن أولادك، وقد نتوقع منك تأديبا أبويا، غير أن أولئك أعداؤك ويجب أن ينصب غضبك عليهم وليس علينا. فالأمم غريبة عن الله، وهي قانعة أن تكون كذلك. فهذه الأمم «لم تعرفك» وليست لديها رغبة في ذلك. وهم يعيشون بلا صلاة، وليس فيهم شيء من الديانة، كما أنها «لم تدع باسمك»، بل إنهم يضطهدون شعبك. فقد «أكلوا يعقوب» بنفس الشراهة التي يأكل بها الجوعى طعامهم. فقد «أكلوه وأفنوه وأخربوا مسكنه».

الأصحاح الحادي عشر

أولا: يذكر الله الشعب– من خلال النبي– بالعهد الذي قطعه لآبائهم (ع ١ – ٧).

ثانيا: اتهمهم أنهم بكل عناد رفضوا أن يطيعوه (ع ٨ – ١٠).

ثالثا: هدد بخرابهم الشامل عقابا لعصيانهم (ع ١١، ١٣)، وعرفهم أن أوثانهم لن تخلصهم (ع ١٢)، وأن أنبياءهم لا يجب أن يصلوا من أجلهم (ع ١٤)، يبرر إجراءاته بأنهم هم الذين جلبوا على أنفسهم كل هذا الأذى (ع ١٥– ١٧).

رابعا: نجد هنا إشارة إلى مؤامرة ضد إرميا قام بها مواطنوه، أهالي عناثوث، وقد أخبره الله بها (ع ١٨ و١٩)، صلاته ضدهم (ع ٢٠)، ونبوءة عن دينونة الله ضدهم (ع ٢١– ٢٣).

عدد ١ – ١٠

يقدم النبي اتهاما ضد اليهود لإصرارهم على عصيان أوامر سيدهم العادل.

أولا: لقد أمرهم الله أن يكلموا «رجال يهوذا»

WWW.DIFASIAT.COM

(ع ١ و٢). وقد جاء الأمر في صيغة الجمع لأن ما قاله لإرميا هو نفس ما كلف به كل عبيده الأنبياء. وليس من بينهم من قال شيئا بخلاف ما قاله موسى في الناموس، وعلى ذلك عليهم أن يوجهوا الناس إلى ذلك: «اسمعوا كلام هذا العهد»، وليحكمكم بأحكامه. وعلى إرميا الآن أن يعلن هذا «في مدن يهوذا وفي شوارع أورشليم»، حتى يسمع الجميع، لأن الكلام يخصهم كلهم. وعندئذ، حين تقارنون أنفسكم مع العهد ستعرفون سريعا ما هو موقفكم منه.

ثانيا: فتح الميثاق الذي أقيمت على أساسه أمتهم، والذي بمقتضاه يحتفظون بمزاياهم. لقد نسوا مغزاه، وعاشوا كما لو كانوا يحسبون بأنه بمقدورهم أن يعملوا كل ما يحلو لهم، ومع ذلك يكون لهم ما وعد الله به، أو كما لو كانوا يظنون أن مراعاتهم للأمور الطقسية هي كل ما يطلبه الله منهم. ومن ثم بيَّن لهم أن الأمر الذي يشدد عليه الله هو أن يسمعوا له ويطيعوه وهذا «أفضل من الذبيحة». فقد قال «اسمعوا» (ع ٤) وكذلك في آية ٧. اعترفوا أن الله سيد لكم. «اعملوا به حسب كل ما آمركم به». ركزوا على الواجبات الأخلاقية بصفة خاصة، ولا ترتكنوا على الأمور الطقسية فحسب. اسمعوا «كلام هذا العهد» واعملوا به. كان هذا هو العهد الأساسي بين الله وبينهم حين جعلهم شعبا لأول مرة. كان هذا هو ما أمر به آباءهم يوم أخرجهم من أرض مصر (ع ٤)، وهكذا أيضا (ع ٧). لقد خلصهم من عبودية المصريين، والتي كانت عبودية كاملة، لكي يأخذهم في عبادته، التي هي الحرية الكاملة (لو ١: ٧٤ و٧٥). وقد جعل هذا شرط العلاقة بينهم وبين الله: «فتكونوا لي شعبا وأنا أكون لكم إلها»، سأعترف بكم أنكم خاصتي، ويمكنكم أن تلجأوا إليَّ كإلهكم. وقد أعطيت لهم أرض كنعان ليملكوها على هذا الأساس: «لأقيم الحلف الذي حلفت لآبائكم أن أعطيهم أرضا تفيض لبنا وعسلا» (ع ٥)، «ملعون الإنسان الذي لا يسمع كلام هذا العهد» وعلى الرغم من أن اللعن يحل على شخص واحد في حالة عدم طاعته، فكم بالحري إذا كانت الأمة كلها من العصاة. ولئلا ينسوا هذا العهد، كان الله بين آونة وأخرى يذكرهم به بواسطة عبيده الأنبياء. وقد تمت الموافقة على هذا العهد (ع ٥): «فأجبت وقلت آمين يا رب»، وكانت هذه كلمات النبي، وإما أنه كان يعبر بها على قبوله هو نفسه للعهد ورغبته في الاستفادة بمزاياه، وإما عن موافقة شعبه عليه. «فأجبت (باسم الشعب)... آمين».

ثالثا: اتهمهم بكسر العهد، إلى حد أنهم خسروا ميثاقهم (ع ٨). «فلم يسمعوا ولم يميلوا أذنهم بل سلكوا كل واحد في عناد قلبه الشرير»(إر ٧: ٢٤)، كل واحد عمل ما يروقه، وبحسب ما تقوده إليه أهواؤه، سواء كان صوابا أم خطأ، مشروعا أو غير مشروع، سواء كان ذلك في عبادتهم أم في محادثاتهم. فما الذي كان بوسعهم أن يتوقعوه والحال كهذا سوى أن تحل عليهم لعنة العهد؟ وما زاد من ارتدادهم عن الله سوءا أن الأمر كان عاما، كما لو كانوا قد اتفقوا على ذلك (ع ٩ و١٠). لقد رأى إرميا بنفسه أن هناك كثيرين ممن يعيشون في حالة عصيان صريح لوصايا الله، ولكن الرب أخبره أن الأمر أسوأ مما يعتقد: «توجد فتنة» للإطاحة. هناك اتحاد ضد الله والديانة، مؤامرة خطيرة على سيادة الله وإحلالها بالآلهة المزيفة. وقد استهدفوا الإطاحة بالإعلان الإلهي، وأغروا الناس على ألا يسمعوا أو يطيعوا أقوال الله. والمنطق البشري سيكون إلههم، وهذا سيكون نورا في إلههم، الذي يعتبرونه قاضيا لا يخطئ، وإله هذه الأمة أو أمة أخرى يكون إلههم، وهكذا وتحت قناعات عديدة يكونون في نفس الحلف المعادي «للرب ومسيحه». ذلك أنه «توجد فتنة بين رجال يهوذا وسكان أورشليم». وهؤلاء الذين هم من هذا الجيل، يبدو أنهم متآمرون مع الجيل السابق، لمواصلة الحرب من جيل إلى جيل ضد الديانة. يهوذا وإسرائيل، مملكة الأسباط العشرة، ومملكة السبطين، واللتان كثيرا ما كانتا تحملان السلاح ضد بعضهما، كانتا على الرغم من ذلك في مؤامرة لنقض العهد الذي قطعه الله «مع آبائهم»، حتى مع رؤساء الأسباط الاثني عشر. ولقد بدأ الفتنة بيت إسرائيل، غير أنه سرعان ما انضم بيت يهوذا إلى هذه المؤامرة.

عدد ١١ - ١٧

تتضمن هذه الفقرة كثيرا من غضب الله. «هأنذا جالب عليهم شرا» (ع ١١)، شر العقوبة مقابل شر الخطية.

أولا: لن يستطيعوا أن يخلصوا أنفسهم. «لا يستطيعون أن يخرجوا منه» بأي حال من الأحوال.

ثانيا: إلههم لن يساعدهم. «ويصرخون إليَّ فلا أسمع لهم». لأنه سبق أن قال بكل وضوح أن الذي «يحول أذنه عن سماع الشريعة» كما فعلوا هم، إذ إنهم «لم يسمعوا» (ع ٨) فإنه حتى صلاته ستكون بغيضة أمامه.

ثالثا: أوثانهم لن تنفعهم (ع ١٢). «ويصرخون إلى الآلهة التي يبخرون لها فلن تخلصهم». والله هو وحده فقط الصديق الذي هو خلاصنا أيضا في وقت الشدة ولو كان بمقدور الأوثان أن تقدم أي عون حقيقي لمن يعبدونها، لفعلت ذلك لهذا الشعب الذي بعدد مدنه صارت آلهته (ع ١٣)، والواقع «بعدد شوارع أورشليم» وضعوا «مذابح».

رابعا: صلاة إرميا لن تنفعهم (ع ١٤)؛ لأن الله لن يشجع الأنبياء على الصلاة من أجلهم، وليس للشعب برمته، بل للبقية الباقية منهم، وليصلوا من أجل خلاصهم الأبدي، وليس من أجل الخلاص من دينونات زمنية.

خامسا: ما يدَّعونه من تدين لن ينفعهم بأي حال (ع ١٥). ذات مرة كان لهم مكان في «بيت الله» وكانت لهم شركة في مذبحه، وأكلوا لحم ذبائح سلامتهم التي قدموها، والتي سميت هنا «اللحم المقدس». كانوا يقولون لأنفسهم ما الضرر الذي يمكن أن يلحق بأولئك الذين هم أحباء الله، والذين هم تحت حماية بيته؟ حتى وهم مرتبطين بشرورهم كانوا يبتهجون ويسبحون. ولكن ثقتهم هذه ستخونهم، لأنهم هم أنفسهم خسروا تلك المزايا. لقد عملوا «فظائع كثيرة»، وعبدوا آلهة كثيرة، وعلى هذا فإن هيكل الله لن «يخلصهم». ولن يقدم لهم مذبح الله ما يبغون «اللحم المقدس قد عبر عنك»، أي أنه ستنتهي ذبائحكم قريبا حين يدمر الهيكل الذي هو موضع فخركم، فأين سيكون اللحم المقدس بعدئذ؟ إن القلب المقدس يكون تعزية لنا حين يعبر عنا اللحم المقدس؛ لأن النعمة الداخلية ستعوض نقص وسائل النعمة الخارجية. ولكن، ويل لنا إذا صاحب عبور اللحم المقدس عنا، عبور الروح القدس أيضا.

سادسا: لن تنفعهم مراحم الله السابقة (ع ١٦ و١٧). لقد دعا الله إسرائيل «زيتونة خضراء ذات ثمر جميل»، وجعلهم هكذا، وقد غرسها (ع ١٧) جعلهم شعبا، وأعطاهم كل المزايا الممكنة ليجعلهم شعبا مثمرا مزدهرا، وكم كان ناموسهم طيبا، وكم كانت أرضهم طيبة. فقد غرسهم زيتونة خضراء، ذات ثمر جميل، ولكنهم تفسخوا وصاروا «زيتونة برية» (رو ١١: ١٧). ذلك أن «بيت إسرائيل وبيت يهوذا» صنعوا الشر، فقد أغاظوا الله «بتبخيرهم للبعل»، وبذلك أقاموا وسطاء آخرين إلى جانب المسيح المنتظر. وذاك الذي غرس هذه الزيتونة الخضراء، وتوقع أن تعطيه ثمرا، وجدها عقيمة وقد أصبحت زيتونة برية، ومن ثم «أوقد نارا عليها» ليحرقها في موقعها، وإذ وجدها «بلا ثمر ميتة مضاعفا، مقتلعة» (يه ١٢). فقد قطعت وألقيت في النار. أما «أغصانها» المرتفعة المتعالية «فانكسرت»، أي قطع الرؤساء والكهنة معا. وهكذا ثبت أن الشر الذي صُنع ضد الله إنما «صنعوه ضد أنفسهم».

عدد ١٨ – ٢٣

يذكر النبي في كتاباته الكثير عن نفسه، فالأزمنة التي عاصرها كانت عامرة بالمتاعب. ونرى هنا بداية أحزانه، والتي سببها له أهل مدينته عناثوث، مدينة الكهنة.

أولا: مؤامرتهم ضده (ع ١٩): «ولم أعلم أنهم فكروا عليَّ أفكارا»، لقد اتفقوا معا وأخذوا يفكرون في الطريقة التي يمكنهم بها القضاء على حياته. لقد قالوا عنه: «لنهلك الشجرة بثمرها». وهذا تعبير مجازي معناه «هيا نستأصله تماما»، أو بالأحرى نقضي على النبي والنبوءة، هيا نقتل النبي ونقضي على النبوة. لنسيء إلى سمعته وبذلك نفسد ونحقر نبوءاته. ومضطهدو أنبياء الله لا يسعون إلا إلى الحياة الثمينة ليهلكوها. لقد فكروا في أن يقضوا على حياته، ولكنه عاش إلى ما بعد أكثر أعدائه. أرادوا أن يدمروا ذكراه، غير أن ذكراه باقية حتى اليوم، وستبقى أبد الدهر.

ثانيا: المعلومات التي أعطاها له الله بالنسبة لهذه المؤامرة. لم يكن هو نفسه يدري عنها شيئا، فلقد أخفوها بكل براعة، فلقد جاء إلى عناثوث وهو لا يخشى شيئا «كخروف داجن» يعتقد أنه يساق دائما

إلى الحقل، في حين أنه «يساق إلى الذبح». لم يكن بين إرميا والموت سوى خطوة واحدة، غير أن الله كشف له مؤامرتهم بخصوص قتله، وذلك بحلم أو في رؤيا أو بتأثير على روحه، حتى ينقذ نفسه، مثلما فعل ملك إسرائيل بعد الإنذار الذي وجهه له أليشع (٢مل ٦: ١٠). هكذا عرف إرميا بتلك المؤامرة. «والرب» عرفه، وأراه أفعالهم. وهنا نرى مدى العناية التي يوليها الله لأنبيائه. لأنه لا يسمح لأحد أن يضرهم، وكل غضب أعدائهم لا يمكنه القضاء عليهم حتى يتموا شهادتهم.

ثالثا: التجاؤه إلى الله عند هذه النقطة (ع ٢٠). فحين يعاملنا الناس بظلم علينا أن نلتجئ إلى ذاك الذي يدافع عن الأبرياء الذين تعرضوا للأذى ويقف ضد المؤذيين. فعدالة الله التي تشكل رعبا للأشرار ما هي إلا تعزية للأبرار. كان يعرف سلامة قلب إرميا، وكان يعلم شر قلوبهم، على الرغم من أنهم دائما يخفونه بكل مهارة. ويطلب إرميا من الله أن ينزل بهم دينونته: «دعني أرى انتقامك منهم»، أي أقم العدل بيني وبينهم بالطريقة التي تراها. والبعض يقولون إن هناك لمسة من الضعف البشري في هذه الصلاة، ذلك أن المسيح علمنا شيئا مختلفا تماما عن ذلك، سواء من ناحية المبدأ أو النمط، وهو أن نصلي من أجل الذين يضطهدوننا. يحول إرميا موضوعه بالكامل إلى حكم الله: «لأني لك كشفت دعواي». فحين نظلم، لنا إله نحول له أمرنا، وقد عقدنا العزم على أن نتقبل حكمه المحدد في هذا الأمر، ولا نملي عليه ما يفعله بل نتقبله شاكرين.

رابعا: الحكم ضد مضطهديه «أهل عناثوث». وما كان سيفيده شيئا لو أنه لجأ إلى محاكم أورشليم، ذلك أن الكهنة هناك كانوا سينحازون إلى كهنة عناثوث، لذلك سوف يتناول الله الأمر بنفسه، ونحن على ثقة من أن حكمه سيأتي مطابقا للحق. كانوا يطلبون حياة النبي، لأنهم منعوه من التنبؤ حتى لا يقتلوه، فقد كانوا مصممين إما على إسكاته أو الإجهاز عليه. والأمر الذي كان يغيظهم هو أنه كان يتنبأ «باسم الرب». كما أنه لا يتنبأ بأمور مُحببة كتلك التي اعتادوا الحديث عنها. ومنع خدام الله الأمناء من الكلام يعد أمرا رديا وكأنه حكم عليهم بالموت. وكان من المألوف القول إنه «لا يمكن أن يهلك نبي خارجا عن أورشليم»، لأن هناك يعقد المجلس العظيم، غير أن أهل عناثوث كانوا حانقين للغاية على إرميا، حتى أنهم قرروا أن يكون موته على أيديهم. والحكم الذي صدر ضدهم بسبب هذه الجريمة هو: «هكذا قال رب الجنود. هأنذا أعاقبهم» سوف أجري هذا بالنسبة لهم (هذا هو معنى الكلمة): «يموت الشبان بالسيف»، على الرغم من أنهم كانوا كهنة، «ويموت بنوهم وبناتهم بالجوع». لقد كانوا يطلبون حياة إرميا، كانوا يريدون أن يقطعوه «من أرض الأحياء فلا يذكر بعد اسمه»، ولذلك قال الله «ولا تكون لهم بقية».

الأصحاح الثاني عشر

أولا: النجاح الذي يحققه الأشرار في ممارساتهم الشريرة (ع ١ و٢)، ومناشدته الله من أجل سلامته (ع ٣) مع صلاة بأن يقضي الله على الشر (ع ٣ و٤).

ثانيا: توبيخ الله للنبي لاضطرابه وخوفه (ع ٥ و٦).

ثالثا: رثاء محزن لحالة شعب الله التي يرثى لها (ع ٧ - ١٣).

رابعا: إشارة إلى رحمة الله لشعبه، وذلك في إطار تحذير بغضبه على جيرانهم، ولكن مع وعد بأنهم لو انضموا أخيرا إلى شعب الله فسوف يصبحون شركاء لهم في امتيازاتهم (ع ١٤- ١٧).

عدد ١ - ٦

لم يكن يساور النبي شك في أنه من مصلحة الآخرين أن يعرفوا ما دار بينه وبين الله، ولذلك يذكر لنا هنا:

أولا: الحرية التي تمتع بها في أن يناقش الله، بكل خشوع، فيما يتعلق بأحكامه (ع ١). كان بصدد أن يعرض على الله دعواه «أخاصمك»، ولم يكن غرضه ذكر أية أخطاء بالنسبة لما يجريه الله من أحداث، بل ليسأل عن معناها. ليس من حقنا أن نجادل خالقنا، ولكن يمكننا أن نسأله تفسيرا. وحين لا نفهم معنى التدبيرات الإلهية، إلا أنه على الرغم من ذلك علينا أن نتمسك بأفكار صالحة عن الله، وأن نكون على

يقين من أنه لم ولن يلحق أي ظلم بأي من مخلوقاته. وحين يصعب علينا فهم بعض أعمال عنايته، علينا أن نرجع إلى الحقائق العامة باعتبارها مبادئنا الأولى ونلتزم بها، مهما صعب علينا فهم التدبيرات الإلهية لأن الله صالح (انظر مزمور ٧٣: ١).

ثانيا: ما الذي أعثره في تدبيرات العناية الإلهية. خطط الأشرار ومشروعاتهم تبدو ناجحة: « لماذا تنجح طريق الأشرار»، فهم ينجزون مخططاتهم البغيضة. والمقصود هنا بالدرجة الأولى هم المراؤون كما يبدو من (ع ٢)، الذين يخادعون ويتركون بداياتهم الأولى، ويتعاملون في منأى عن الأمانة، ومع ذلك «أطمأن كل الغادرين». ويبين النبي أن الله كان متساهلا معهم، حين غرسهم في أرض طيبة، تفيض لبنا وعسلا «غرستهم»، والواقع أنك «استأصلت الأمم وغرستهم» (مز ٤٤: ٢). «فأصلوا»، ويبدو أن ازدهارهم تأكد واستقر. لقد حاباهم الله، على الرغم من أنهم تعاملوا معه بخيانة. «أنت قريب في فمهم وبعيد من كُلاهم». فعلى الرغم من أنهم لا يبالون بالتفكير في الله، ولا يكنون له أية مشاعر مخلصة، مع ذلك من السهل عليهم أن يتكلموا عنه في إطار من الجدية. فالتقوى بمجرد الكلام فقط ليست بالأمر الصعب؛ لأن اسم الله يتردد دائما على لسانهم، ويتحدثون بالكلام الذي ينم عن التقوى، إلا أنهم لا يتقون الله في قلوبهم.

ثالثا: التعزية التي يشعر بها حين يلجأ إلى الله فيما يتعلق بأمانته (ع ٣): «وأنت يا رب عرفتني». كان الله يعرف أن إرميا ليس مخادعا ولا نبيا كاذبا، وعلى ذلك، فإن الذين أساءوا إليه لم يكونوا يعرفونه (١كو ٢: ٨). قلوبنا تنم عنا، فتكون صالحة أو ردية طبقا لموقفها تجاه الله.

رابعا: يصلي من أجل أن يتحول الله ضد هؤلاء الناس الأشرار، ولا يدعهم ينجحون دائما على الرغم من أنهم ازدهروا لفترة طويلة. ليأت عليهم حكمك لكي «يفرزهم»، ويقصيهم عن هذا المرعى الغني ويجعلهم « كغنم للذبح»، حتى يبدو ازدهارهم الذي استمر طويلا وكأنه «افرزهم كغنم للذبح وخصصهم ليوم القتل» (انظر هوشع ٤: ١٦). لقد سمح لهم الله بالازدهار حتى إنه بغطرستهم وانغماسهم في شهواتهم يملأون كيل إثمهم، وبذلك يتأهلون للخراب. « حتى متى تنوح الأرض... من شر الساكنين فيها؟» هل يزدهر يا رب أولئك الذين يدمرون كل ما هو حولهم؟ «وييبس عشب كل الحقل». لقد هلكت البهائم. وكان هذا نتيجة قحط استمر فترة طويلة عند نهاية حكم يوشيا وبداية حكم يهوياقيم (إر ٣: ٣؛ ٨: ١٣؛ ٩: ١٠، ١٢؛ إر ١٤). فلماذا تتحول هذه الأرض المثمرة إلى أرض عقيمة «من شر الساكنين فيها؟» ولذلك يصلي النبي من أجل أن يموت هؤلاء الأشرار بسبب خطيتهم، وحتى لا تعاني الأمة كلها بسببها. «قالوا لا يرى آخرتنا»، وهذه العبارة قد تعني:

(١) الله نفسه لن يرى. فهو لا يعرف الأسلوب الذي ننتهجه، وماذا ستكون آخرته. أو:

(٢) لن يرى إرميا آخرتنا. كانوا يعتبرونه نبيا كاذبا.

خامسا: يعرفنا الإجابة التي رد بها الله على شكاواه (ع ٥ و٦). وأمام الخدام دروس يتعلمونها ودروس يعلمونها للآخرين، وعليهم أن يسمعوا صوت الله ويكرزون به لأنفسهم. لقد اشتكى إرميا من شر أهل عناثوث، ومن الازدهار الذي يحققونه. ويبدو أن هذه إجابة لتلك الشكوى.

(١) سلم بأن له ما يحمله على الشكوى (ع ٦): «لأن إخوتك أنفسهم– كهنة عناثوث– «وبيت أبيك قد غادروك هم أيضا». وبدعوى الصداقة أساءوا إليك بأقصى ما في استطاعتهم «هم أيضا نادوا وراءك بصوت عال». أثاروا الرعاع ضدك، وحاولوا أن يعطوهم فكرة سيئة عنك تجعلهم يبغضونك. وهم في الواقع من لا تستطيع أن تأتمنهم «إذا كلموك بالخير». يظهرون أنهم أصدقاؤك غير أنهم في واقع الأمر أعداؤك.

(٢) أخبر أنه تحامل على غدر مواطنيه أكثر من اللازم. قيل له إنهم «أتعبوه» لأنه وثق «في أرض السلام» (ع ٥). كان مما يحزنه للغاية أن يكرهه أهله ويسيئون إليه على هذا النحو. وكان هذا ما يزعجه من الناحية النفسية. أصابه الإحباط في عمله نتيجة ذلك، وبدأ يمل التنبؤ، وفكر في التخلي عن هذه المهمة. ولم يدرك أن هذا لم يكن سوى بداية أحزانه، وأن أشد التجارب لا زالت تنتظره، وفي حين أنه كان

يتعين عليه، بصبره على تحمل هذه المشكلة أن يهيىء نفسه لتحمل ما هو أصعب منها، إلا أنه نتيجة قلقه جعل نفسه غير مؤهل لما ينتظره: «إن جريت مع المشاة فأتعبوك»، انهكوك تماما، «فكيف تباري الخيل؟» وإذا كان الأذى الذي ألحقه به أهل عناثوث له مثل هذا التأثير عليه، فماذا عساه يفعل حين يستغل الحكام ورؤساء الكهنة في أورشليم سلطانهم لإلحاق الأذى به (إر ٢٠: ٢؛ ٣٢: ٢). وإذا كان قد تعب على هذا النحو من السرعة «في أرض السلام»، حيث كان الخطر قليلا فكيف يعمل «في كبرياء الأردن»، حين يحطم هذا النهر كل جسوره ويخيف حتى الأسود فتهرب من مخابئها؟ (إر ٤٩: ١٩). كيف لنا أن نحافظ على استقامتنا وسلامنا حين نأتي إلى المناطق الوعرة؟ إذا يجب أن تُثبت إيماننا وصمودنا في التجارب الصغيرة الراهنة، نحتفظ برباطة جأشنا، ونتمسك بالوعود وعيوننا على الجعالة، وهكذا نركض لكي ننال.

عدد ٧- ١٣

صدر الحكم هنا بهلاك الشعب اليهودي.

أولا: إنها كلمة رهيبة تلك التي يقولها الله هنا (ع ٧): «قد تركت بيتي» الهيكل (قصره)، لقد دنسوه، وبذلك أجبروه على أن يتركه: «رفضت ميراثي»، ولن أبالي به بعد ذلك. ولو كانوا قد سلكوا السلوك الصحيح، لكان قد جعلهم على أحسن صورة؛ لأنهم مثل «حبيبة» نفسه. ولكنهم أغاظوه فمن ثم دفعهم «ليد» أعدائهم. لقد انحطوا أصبحوا مثل الحيوانات المفترسة التي لا يحبها أحد، بل يتجنبها الجميع (ع ٨): «صار لي ميراثي كأسد في الوعر». أنهم يزأرون ضد الله «بصوتهم»، وذلك من خلال التهديدات التي يوجهونها لأنبيائه الذين يحدثونهم باسمه. إنهم يجدفون على اسمه، ويعارضون سلطانه، ويتحدون عدالته وبذلك زمجروا عليه كأسد في غابة. فهؤلاء الذين كانوا «غنم مرعاه» أصبحوا برابرة متوحشين، ولا يسيطر عليهم أحد مثل الأسود في الوعر، «من أجل ذلك أبغضته»، لأنه ماذا يسر إله المحبة في شعب أصبح كالأسود التي تزأر والوحوش الثائرة، والتي تضايق كل من هم حولها ؟ لقد أصبحوا مثل «الجوارح»، التي لا تستحق مكانا في بيت الله، حيث لم يكن يسمح للحيوانات المتوحشة، والطيور الجارحة أن تقدم كذبائح (ع ٩): «جارحة ضبع ميراثي لي» (كطير جارح سريع الانقضاض على الفريسة صار شعبي لي)، وبسبب نزاعاتهم غير الطبيعية أصبحوا ميدانا لصراع الديوك. أو «كجارحة ضبع»، حيث تغطيها دماء ذبيحتها. «الجوارح حواليه عليه». البعض قال أن الأمة الإسرائيلية شبهت بجارحة ضبع بسبب خلط العادات الخرافية للوثنيين بالفرائض الإلهية لعبادة الله. لقد كانوا مغرمين بديانة متعددة الألوان.

ثانيا: سوف يهاجمهم الأعداء ويدمرونهم. مثلما تنقض الطيور الجارحة على فريستها. تلك الطيور كثيرا ما تحدث جلبة حين ترى طيرا ذا لون غريب غير عادي. وشعب الله- بين أهل هذا العالم- كأناس يتعجب منهم، غير أنهم جعلوا من أنفسهم «جارحة ضبع» بحماقتهم. «الجوارح حواليه عليه» لأن الله تخلى عنه. والدمار الشامل للأرض على أيدي البابليين جاء الحديث عنه هنا كأمر وقع بالفعل، فقد كان وشيكا جدا. ولقد تحدث الله عنه كأمر لا يسره مثل موت الخطاة.

(١) لنلاحظ هنا كيف أنه يتحدث عن هذه الأرض بكل محبة رغم خطيتها، وذلك لأنه يتذكر عهده: «كرمي... نصيبي... نصيبي المشتهى» (ع ١٠). ونلاحظ أن الله يحب كنيسته ويهتم بها رغم أخطائها الكثيرة.

(٢) نلمس هنا كيف يتكلم بشفقة بالغة عن الخراب الذي سيحيق بهذه الأرض: «رعاة كثيرون (القادة البابليون الذين نصبوا أنفسهم سادة للبلاد والتهموها مع جيوشها بكل السهولة التي يلتهم بها الناهبون وقطعانهم ثمار الأرض التي تتاح لهم) أفسدوا كرمي». فتلك التي كانت أرضا طيبة حولوها إلى «برية خربة». وقد تم ذلك بسيف الحرب «على جميع الروابي في البرية أتى الناهبون» أي الجيش البابلي، فقد جعلوا أنفسهم سادة لكل الحصون (ع ١٢). «لأن سيفا للرب يأكل من أقصى الأرض إلى أقصى الأرض»، فقد انتشر جيش الغزاة في كل بقعة، ولذلك «ليس سلام لأحد».

(٣) ونرى هنا من أين جاء كل هذا البلاء.

www.DIFA3IAT.com

«لأن سيفا للرب يأكل» (ع ١٢). وطالما ظل شعب الله متمسكا به يظل السيف سيف الرب، وهذا ما نراه ممثلا في جدعون، غير أنه حينما يبتعدون عنه فإن سيف المخربين يصبح سيف الرب وهذا ما نراه في البابليين. وكان ذلك «من حمو غضب الرب» (ع ١٣). ذلك أن خطيتهم جعلت من الله عدوا لهم (ع ١١). «خربت كل الأرض» غير أن السكان أغبياء متبلدي الحس، حتى إنه «لا أحد يضع في قلبه». لم يولولوا ويتذللوا إلى الله في حين أن الأرض كانت تخزيهم.

(٤) «زرعوا حنطة»، أي أنهم سيتحملون مشاقا كثيرة من أجل أمنهم، ولكن كل جهودهم ستذهب سدى؛ ذلك لأنهم «حصدوا شوكا»، ويقصد بذلك إغاظتهم. «خزوا من غلاتكم»، خزوا لأنهم اعتمدوا كثيرا جدا على استعداداتهم للحرب. والمال عصب الحرب، واعتقدوا أن لديهم الكثير من المال، ولكنهم سيخزون منه، لأن فضتهم وذهبهم لن تنفعهم في يوم غضب الرب.

عدد ١٤ - ١٧

نجد هنا رسالة لكل أولئك الذين كانوا يؤذون شعب الله بطريقة أو بأخرى.

أولا: ما سبب النزاع بينهم وبين الله. كانوا جيرانه «الأشرار» (ع ١٤). جيران أشرار لهيكله، وما ارتكبوه ضد الهيكل اعتبره الله كأنه ارتكب ضده هو. هؤلاء الجيران الأشرار كانوا من الموآبيين، والعمونيين والأراميين، والأدوميين والمصريين الذين كانوا جيرانا أشرارا لإسرائيل، حيث كانوا يساعدون على إفسادهم وإبعادهم عن الله، وقد ساعدوا الآن على خرابهم وانضموا إلى البابليين ضدهم. أما الذي يتهمهم به الله فهو أنهم «يلمسون الميراث الذي أورثته لشعبي إسرائيل». لقد دنسوا ما أعطاه لشعبه الخاص، وحولوه لاستعمالهم. فالذي قال «لا تمسوا مسحائي» قال أيضا: «لا تلمسوا ميراثهم».

ثانيا: ما الذي سيتخذه حيالهم. سيكسر شوكتهم التي أذلوا بها شعبه «وأقتلع بيت يهوذا من وسطهم». فلقد سبوا شعب الله، أو حينما هرعوا إليهم للاحتماء بهم، أخذوهم أسرى. ولكن الله يقتلعهم، فسوف يجبرهم بروحه على الخروج، ويجبر مسخريهم على أن يسمحوا لهم بالعودة، مثلما اقتلع إسرائيل من مصر. وسوف يجلب عليهم نفس المصائب التي كانوا أداة لجلبها على شعبه: «هأنذا أقتلعهم عن أرضهم». لقد بدأت الدينونة في بيت الله، ولكنها لم تنته هناك.

ثالثا: الرحمة التي يحتفظ بها الرب لمن ينضم إليه منهم ويصبح ضمن شعبه (ع ١٥ و١٦). لقد جذبوا شعب الله ليشاركهم في عبادة الأوثان. أما إذا جُذبوا الآن بواسطة الشعب العائد لكي يشتركوا معه في عبادة الإله الحي الحقيقي، فسوف يكونون على نفس المستوى مع شعب إسرائيل. وقد تحقق هذا بشكل جزئي، بعد العودة من السبي، حيث أن كثيرين من الشعوب التي كانت من الجيران الأشرار لإسرائيل أصبحوا من اليهود، وسوف يتحقق ذلك بشكل تام في تحويل الأمم إلى الإيمان بالمسيح. «ويكون بعد اقتلاعي إياهم»- عقابا لهم على خطاياهم- «أني أرجع فأرحمهم».

(١) وسوف يرحمهم الله دائما، ولكن «إذا تعلموا علما طرق شعبي». وهناك طرق صالحة بصفة خاصة «طرق» شعب الله. فطرق القداسة، والاهتمام بالسمائيات، طرق المحبة والسلام، طرق الصلاة وتقديس يوم الرب، والاهتمام الدائم بحضور الفرائض الإلهية- هذه وما يماثلها هي «طرق» شعب الله. وعليهم أن يتعلموا القول «حي هو الرب» (أن يعترفوا به، ويعبدوه، وأن يلتزموا بحكمه) «كما علموا شعبي أن يحلفوا ببعل». وعلينا ألا نيأس من توبة أسوأ الناس، حتى ولا من أولئك الذين كانوا أداة لانحراف وفساد آخرين، بل إنه يمكن دفعهم إلى التوبة، وإذا ما تم لهم ذلك سيجدون رحمة. وتوبة المخدوعين قد يثبت أنها مناسبة سعيدة لتوبة المخادعين. فأولئك الذين يسقطون معا في الحفرة أحيانا يخرجون منها معا.

(٢) حين يعودون إلى الله، ويعود الله إليهم (ع ١٥): «وأردهم كل واحد إلى ميراثه». وسوف يصبحون مؤهلين للبركات الروحية لإسرائيل. «أنهم يُبنَون في وسط شعبي». سوف يكون لهم اسم ومكان في بيت الرب، حيث سيكون هناك دار للأمميين يعترف بهم

في وسطهم. «وإن لم يسمعوا فإني أقتلع تلك الأمة اقتلاعا وأبيدها»، سواء كانت عائلة أو شخصا معينا، هكذا «يقول الرب».

الأصحاح الثالث عشر

لا يزال النبي يحاول أن ينهض هذا الشعب العنيد إلى التوبة، وقد طلب منه أن يقول لهم:

أولا: باستخدام منطقة من كتان قد تلفت كعلامة على أن افتخارهم سيبطل (ع ١– ١١).

ثانيا: باستخدام الزق الممتلئ خمرا، كعلامة على أن مستشاريهم سوف يهلكون (ع ١٢– ١٤).

ثالثا: وعلى ضوء ذلك عليه أن يدعوهم إلى التوبة والاتضاع (ع ١٥– ٢١).

رابعا: عليه أن يقنعهم أنه بسبب عنادهم طالت دينونات الله على هذا النحو (ع ٢٢– ٢٧).

عدد ١– ١١

أولا: علامة، تمثلت في إفساد منطقة من كتان، قام النبي بارتدائها لبعض الوقت، وذلك بإخفائها في شق صخرة على مقربة من نهر الفرات. كان عليه أن يضع منطقة من جلد على حقويه لفترة ما (ع ١ و٢). يعتقد البعض أنه لبسها تحت ملابسه، لأنه قيل «تلتصق المنطقة بحقوي الإنسان» (ع ١١). إلا أنه يبدو أنه كان عليه أن يلبسها فوق ملابسه، ولعلها كانت حزاما جميلا، كالذي يرتديه الضابط. على ألا يدخلها «في الماء»، حتى تكون أقل قابلية للتلف. والنبي، على غرار يوحنا المعمدان، لم يكن من بين الذين يرتدون الثياب الفاخرة، ومن ثم كان أمرا غريبا أن يراه الناس وقد وضع منطقة من كتان. وبعد أن ارتدى هذه المنطقة الكتانية مدة من الزمن، كان عليه أن يذهب ويطمرها «في شق صخر» (ع ٤) على مقربة من النهر، حيث تكون هذه الأرض رطبة حين يرتفع الماء، وحين ينخفض تعود للجفاف ثانية، وبهذه الطريقة ستتلف المنطقة سريعا. وبعد عدة سنوات، سيجدها وقد تلفت، وأصبحت خرقا بالية لا تصلح بعد لشيء (ع ٧). ويبدو أنه من الصعوبة تخيل أنه يجب إرسال النبي في رحلتين طويلتين إلى نهر الفرات. ولهذا السبب يميل كثيرون إلى الاعتقاد أن الرحلة، على الأقل، كانت في الرؤيا فقط، وأن تفسير هذه العلاقة لم يعط سوى للنبي نفسه (ع ٨)، وليس للشعب.

ثانيا: الأمر الذي تشير إليه هذه العلاقة (ع ٩ – ١١).

(١) كان شعب إسرائيل أمام الله مثل هذه المنطقة من ناحيتين:

أ. أخذهم في عهد وشركة معه: لأنه كما تلتصق المنطقة بحقوي الإنسان هكذا ألصقهم بنفسه وذلك بالناموس الذي أعطاه لهم، والأنبياء الذين أرسلهم والنعم التي فاض بها عليهم.

ب. حين أخذهم «ليكونوا» له «شعبا»، كان ذلك ليكون له «اسما وفخرا ومجدا»، كما تكون المنطقة زينة للإنسان ولاسيما مثلما كانت المنطقة الرائعة الخاصة بأفود رئيس الكهنة «للمجد والبهاء».

(٢) ابتعدوا عنه بسبب وثنيتهم وآثامهم، دفنوا أنفسهم في الأرض، بل وفي أرض غريبة، واختلطوا بالأمميين، ومن ثم تلفوا وفسدوا حتى أصبحوا لا يصلحون لشيء. لم يريدوا أن يلتصقوا بالله بل إن الشعب كان «يسير وراء آلهة أخرى ليعبدها ويسجد لها»، لقد شغفوا بآلهة الوثنيين التي تقع جهة نهر الفرات، ولذلك فسدوا تماما بالنسبة لعبادة إلههم وأصبحوا «كهذه المنطقة التي لا تصلح لشيء» فسدوا مثلها.

(٣) سيفصلهم الله عنه بدينونات، ويرسلهم للسبي، ويشوه كل جمالهم حتى يصيروا مثل المنطقة التي فسدت وأصبحت خرقا بالية، أصبحوا شعبا لا قيمة له. وبنفس الطريقة يفسد الله «كبرياء يهوذا وكبرياء أورشليم العظيمة». وهو يتحدث عن «كبرياء يهوذا» (الشعب الريفي كان فخورا بأرضه الطيبة)، ولكن بالنسبة لكبرياء «أورشليم العظيمة»، فهناك كان الهيكل والقصر الملكي، ولذلك كان مواطنوها أكثر كبرياء. ولابد أن يسقط المتكبرون لأن الله يقاومهم. وحتى الهيكل، حين أصبح فخر أورشليم، تدمر وأصبح أطلالا.

www.difa3iat.com

عدد ١٢ - ٢١

أولا: تم التهديد بدينونة ضد هذا الشعب (ع ١٢): «هكذا قال الرب إله إسرائيل. كل زق يمتلئ خمرا»، فأولئك الذين نتيجة خطاياهم جعلوا أنفسهم «آنية غضب مهيأة للهلاك» سوف يمتلئون بغضب الله كما يمتلئ الزق خمرا، وسوف يصبحون سريعي الانكسار مثل زق الخمر، وعلى غرار الزقاق العتيقة التي يضعون فيها خمرا جديدا، فإنها تنشق وتتلف، هكذا سيكون حالهم (مت ٩: ١٧). وسوف تمتلئ رؤوسهم بالخمر مثل الزق، لأن العبارة فسرت على هذا النحو (ع ١٣) سيمتلئون «سكرا» (قارن إش ٥١: ١٧). وإذ لم يفهموا المعنى الذي استهدفه النبي بهذا القول، سخروا منه قائلين: «أما نعرف معرفة أن كل زق يمتلئ خمرا؟» ولعلهم كانوا سريعي الغضب من النبي لأنهم أخذوا هذه العبارة على أنها تلميح إلى سكرهم، ولعلها كانت تلمح إلى ذلك بشكل جزئي. حسنا قال النبي، سوف تمتلئ زقوقكم خمرا، ولكن ليست الخمر التي تريدونها. وما كان يعنيه هو:

(١) سوف يصابون بدوار كالسكارى. وكان من اللائق أن يشبه الرجل السكران بزجاجة أو زق ممتلئ بالخمر، لأنه عندما يمتلئ بالخمر فإن فطنته، وحكمته وفضيلته، وكل ما هو حسن ستجده خارجا. والله يحذرهم (ع ١٣) بأنهم سيمتلئون «سكرا»، سوف يضطربون في قراراتهم، وسوف يتلعثمون ويترنحون. وسوف يعرضون أنفسهم لاحتقار كل من هم حولهم. «كل سكان هذه الأرض... وكل سكان أورشليم» كانوا مثلهم. وكل من يحكم الله عليه بالدمار يتركهم مترنحين.

(٢) وإذ يتملكهم الطيش، تراهم يؤذون أنفسهم، وأيضا يؤذي كل واحد منهم الآخر (ع ١٤): «وأحطمهم الواحد على أخيه». وما يساعد على تحطيمهم ليس طياشة سكرهم فحسب، بل ونزاعات السكارى التي تنشب بينهم. وإذ صدر هذا الحكم ضدهم، يقول الله: «لا أشفق ولا أترأف ولا أرحم من إهلاكهم»، لأنهم لن يسمحوا لشفقة أو رأفة أو رحمة أن تحفظهم من تحطيم أنفسهم، (انظر حبقوق ٢: ١٥ و١٦).

ثانيا: نصيحة طيبة لو عملوا بها تمنع خرابهم. وهي بإيجاز: «فتواضعوا تحت يد الله القوية». وهذا هو ما عناه الله بقوله لهم «لا تتعظموا» (ع ١٥). وكانت هذه إحدى الخطايا التي تشاجر الله معهم من أجلها (ع ٩). «لا تتعظموا» حين يكلمكم الله من خلال أنبيائه ولا تعتقدوا في أنفسكم أنكم أعظم من أن تحتاجوا إلى تعليم. لا تحتقروا الآخرين.

(١) «أعطوا الرب إلهكم مجدا» وليس لأصنامكم. أعطوه مجدا باعترافكم بخطاياكم، وقبولكم للعقوبة المستحقة لإثمكم (ع ١٦). أعطوه مجدا بالتوبة الصادقة والإصلاح، وعندئذ، وليس قبل ذلك، نبدأ الحياة لهدف طيب. اعملوا هذا بسرعة «قبل أن يجعل ظلاما»، قبل أن ينفذ عليكم دينوناته التي لن يكون لكم منها مهربا. بل إن محاولاتهم الهرب ستعجل دمارهم: فحين يسيرون بأقصى سرعة ممكنة «على جبال العتمة» سوف «تعثر» أرجلهم. يُلاحَظ أن أولئك الذين يحسبون أن بمقدورهم أن يتجنبوا دينونات الله سيجدون طريقهم مسدودا، وسوف تخيب آمالهم في تحسن أوضاعهم: «فتنتظرون نورا» للعزاء والراحة، لكنه «يجعله ظل موت ويجعله ظلاما دامسا»- مثلما حدث في مصر حينما استمر فرعون في قساوة قلبه، فكان هناك ظلام يغطي الأرض.

(٢) يجب أن يتضعوا، وامتيازات الملك والملكة لا تعفيها من هذا الأمر (ع ١٨): «قل للملك وللملكة» على الرغم من عظمتهما إلا أنه عليهما أن يتضعا بالتوبة الحقيقية، وبذلك يعطيان مجدا لله ومثالا طيبا لرعاياهما. فحين تؤخذان إلى السبي، أين ستكون إذا عظمة الملكية وكل الأوسمة؟

ثالثا: دعمت هذه النصيحة ببعض الحجج:

(١) سيكون مصدر حزن النبي البالغ «إن لم تسمعوا»، ولم تطيعوا الكلمة وواصلتم عنادكم «فإن نفسي تبكي في أماكن مستترة». سوف يحزنه أن يرى عدم توبتهم عن خطاياهم: «نفسي تبكي.. من أجل الكبرياء»، من أجل تعاليكم وعنادكم، وغروركم الكاذب. ويجب أن نحزن من أجل خطايا الآخرين. وعلينا أن نحزن من أجل ما لا نستطيع إصلاحه، نحزن بالأكثر لعجزنا عن إصلاحه.

(٢) سيكون ذلك سبب دمارهم الذي لا مفر منه (ع ١٩ - ٢١). «أغلقت مدن الجنوب». البعض يرى هذه إشارة إلى مدن مصر، التي تقع جنوبي يهوذا، سوف تخذلهم الأماكن التي توقعوا منها العون والتي تقع هناك، وسيجدون الطريق إليها مغلقا. «سبيت يهوذا كلها». وهكذا كان الحال في السبي الأخير على عهد صدقيا، وذلك لعدم توبتهم. وكان العدو الآن على أهبة الاستعداد للقيام بذلك (ع ٢٠): «ارفعوا أعينكم وانظروا المقبلين من الشمال»، من أرض البابليين، انظروا السرعة التي يتقدمون بها، ومدى الوحشية التي تبدو عليهم. ومن هذه الناحية يخاطب الملك أو بالأحرى يخاطب المدينة أو الدولة (لأن الضمائر جاءت مؤنثة).

ماذا تفعلين الآن بالنسبة للشعب الذي أقمت عليه والذي من المفروض أن تحميه؟ «أين القطيع الذي أعطي لكِ غنم مجدك؟» كيف يتسنى لهم الهروب من هذه الذئاب الضارية؟ أرباب العائلات الذين يهملون أولادهم ويتركونهم ليهلكوا نتيجة الافتقار إلى التعليم الصحيح، والخدام الذين يهملون شعبهم، عليهم اعتبار أن الله يوجه لهم هذا السؤال: «أين القطيع الذي أعطي لك» لتطعمه، أين «غنم مجدك؟» «ماذا تقولين حين» تنقلب عليك هذه الأمم الأخرى؟ (ع ٢١). لن تستطيعي أن تقولي شيئا سوى أن الله عادل في كل ما جلبه عليك. كيف تتحملين كل هذه المتاعب الوشيكة؟

«أما تأخذك الأوجاع كامرأة ماخض؟» سوف تزداد حدة الأوجاع؛ لأنه لن يكون هناك ابن ليولد.

عدد ٢٢ - ٢٧

أولا: تم التهديد بالدمار كما في السابق، وبأن اليهود سيذهبون إلى السبي، ويئنون تحت وطأة بؤس العوز والعبودية، يتسولون ويجردون من ملابسهم «هُتك ذيلاك»؛ وذلك لعدم وجود ملابس علوية لسترها (ع ٢٢). هكذا تعودوا معاملة أسرى الحرب، عندما يقودونهم إلى السبي «عراة وحفاة» (إش ٢٠: ٤). وإذ يسبون إلى بلاد غريبة سوف يبددون «كقش يعبر مع ريح البرية» (ع ٢٤). وسوف تنزع عنهم كل زينتهم ويعرضون للخزي كالعاهرات (ع ٢٦).

ثانيا: سؤال أثاره الشعب عن سبب بليتهم (ع ٢٢): «وإن قلت في قلبك لماذا أصابتني هذه». لم يقدروا أن يروا أنهم فعلوا شيئا يمكن أن يغيظ الله بحق، حتى يغضب عليهم على هذا النحو.

ثالثا: يتبرر الله حين يتكلم، وسوف يلزمنا بأن نبرره، ولذلك نراه يضع خطايا الآثمين مرتبة أمامهم.

(١) كان ذلك بسبب عظم إثمهم (ع ٢٢). فالله لا ينتهز الفرصة ويتصيد أخطاءهم البسيطة، فالخطايا التي يعاقبهم عليها الآن هي خطايا شنيعة في طبيعتها. «لأجل كثرة آثامك؟» (يمكن أن تترجم هكذا): خطايا من كل نوعية، وكثيرا ما تكون مكررة. والبعض يعتقد أن الخطر الذي نتعرض له بسبب كثرة خطايانا الصغيرة أكثر من ذاك الذي نتعرض له نتيجة خطايانا الشنيعة.

(٢) بسبب عنادهم في الخطية (ع ٢٣). «هل يغير الكوشي جلده»، الذي هو أسود بالطبيعة، «أو النمر رقطة» الذي نسج في الجلد؟ إنه مستحيل من الناحية الأدبية إصلاح هذا الشعب وتقويمه. لقد تعلموا عمل الشر، لقد نشأوا على ذلك. لقد يئس أنبياؤهم من حملهم على عمل الصلاح بأي شكل كان. فالذين استمرأوا عمل الخطية منذ فترة طويلة لم يعودوا يشعرون بدواعي الخوف والخجل، لقد ماتت ضمائرهم، وتأصلت فيهم عادة عمل الخطية. وما الخطية إلا سواد الروح وتشويهها. غير أن هناك نعمة إلهية قادرة على تغيير جلد الكوشي، ولن تخذل هذه النعمة كل من يشعرون أنهم في حاجة إليها ويسعون إليها بكل جدية.

(٣) وبسبب خيانتهم وانصرافهم عن إله الحق (ع ٢٥): «هذه قرعتك» أن تطرد، «النصيب المكيل لكِ من عندي»، العقوبة التي خصصت لك كما بمقياس، «لأنكِ نسيتني» والنعم التي أفضت بها عليك، لقد نسيت هذه. ونسياننا الله هو أساس كل خطية، كما أن تذكر الله خالقنا في وقت مبكر يعد البداية السعيدة الواعدة لحياة مقدسة.

(٤) بسبب وثنيتهم، فهذه من بين كل الخطايا أكثر إغاظة لإله غيور. لقد تعرضوا لكارثة مهينة (ع

www.DIFA3IAT.com

٢٦) لأنهم ارتكبوا إثما مخزيا ومع ذلك لم يحسوا بالخزي (ع ٢٧): «فسقكِ» (رغبتك المفرطة للآلهة الغريبة) بل «ورذالة زناكِ» تلهفك على عبادة الأوثان «على الآكام في الحقل»، على المرتفعات. وهذا سبب الويل الذي أعلن ضدك «يا أورشليم».

رابعا: هنا حوار ودي معهم بخصوص هذا الأمر برمته. فطالما كانت هناك حياة وجد الأمل، ولذلك نراه لا يزال يحاور معهم بغية حفزهم على التوبة (ع ٢٧). «حتى متى بعد»، «لا تطهرين؟» ونجد هنا مثالا لنعمة الله العجيبة وذلك في رغبته توبة الخطاة وتجددهم، ويفكر فيهم طوال الوقت إلى أن يتوبوا، غير أن ذلك يعد في ذات الوقت مثالا على الحماقة العجيبة للخطاة، الذين ينبذون النعمة من وقت لآخر على الرغم من أنهم في مسيس الحاجة إليها. ولم يقولوا إنهم لن يطهروا أبدا، بل لم يأت الوقت بعد.

الأصحاح الرابع عشر

كان هذا الأصحاح بمناسبة قحط عظيم. وقد وقعت هذه الدينونة في الجزء الأخير من نهاية حكم يهوياقيم. وقد ذكرت هذه الكارثة من قبل عدة مرات، غير أنها ذكرت في هذا الأصحاح على نحو من التفصيل.

أولا: وصف كئيب للكارثة (ع ١ – ٦).

ثانيا: صلاة لله لكي يضع حدا لها (ع ٧ – ٩).

ثالثا: تهديد شديد بأن الله سيواصل خصامه لأنهم يواصلون آثامهم (ع ١٠ – ١٢).

رابعا: النبي يدافع عن الشعب ويلقي بالتبعية على الأنبياء الكذبة (ع ١٣ – ١٦).

خامسا: توجيهات صدرت للنبي، عوض أن يتشفع لهم، عليه أن يرثي لهم (١٧ – ٢٢).

عدد ١ – ٩

أولا: لغة الطبيعة وهي ترثي الدمار حينما كانت السماء كالنحاس لا تعطي مطرا، كانت الأرض كالحديد لا تعطي ثمرا، وكان الحزن والارتباك عاما. وكان شعب الأرض يبكون جميعا. «ناحت يهوذا» (ع ٢) ليس من أجل الخطية، ولكن بسبب امتناع المطر. «وأبوابها ذبلت حزنت»، ظهرت شاحبة هزيلة، لنقص الاحتياجات الضرورية للحياة، وخوفا من دينونة أخرى. وأبوابها (أي مدنها) بدت الآن حزينة، وكان السكان يرحلون إلى بلدان أخرى ليبحثوا عن عيشهم. «حزنت إلى الأرض»، لقد ذهبوا متوشحين السواد كالحزانى، وافترشوا الأرض كالمتسولين. وكانوا يتساقطون على الأرض من الوهن. «وصعد عويل أورشليم» أي من المواطنين، (لأن الحقل يخدم المدينة)، أو من أناس من جميع أنحاء البلاد وقد تقابلوا للصلاة من أجل المطر. ولكني أخشى أنه كان بالأحرى عويل متاعبهم وليس عويل صلاتهم. شعر عظماء الأرض بهذه الدينونة (ع ٣): «وأشرافهم أرسلوا أصاغرهم للماء»، ولكنهم لم يجدوا: «رجعوا بآنيتهم فارغة». فالأجباب جفت بسبب عدم نزول المطر، وعندئذ فإن أسيادهم «خزوا وخجلوا». وكان الفلاح أول من تأثر بهذه الكارثة (ع ٤): «خزي الفلاحون» لأن الأرض كانت قد تصلبت لظمئها حتى أن المحراث لم يكن يستطيع شيئا حيالها. ولقد خجلوا من بقائهم دون عمل. هنا نرى مدى اعتماد الفلاحين المباشر على أعمال العناية الإلهية، لأنه ليس بمقدورهم الحرث أو الزرع برجاء، ما لم يرو الله أتلامها (انظر مزمور ٦٥: ١٠). وحتى الوحوش كان يرثى لحالها (ع ٥ و٦). لقد أخطأ يهوذا وأورشليم، ولكن ما الذي فعلته الإيلة والفراء؟ والإيلة بصفة خاصة رقيقة تجاه صغارها، ومع ذلك، وعلى النقيض من طبيعتها، تركت صغارها وهم في أمس الحاجة إليها لتبحث عن العشب في مكان آخر، ومادامت لم تجد شيئا فقد «تركت» صغارها، لعجزها عن إرضاعهم. ولم تحزن الإيلة كثيرا لأنها لم تجد عشبا لنفسها بقدر ما حزنت لذلك من أجل صغارها، الأمر الذي يخزي أولئك الذين ينفقون على شهواتهم ما كان يجب إنفاقه على عائلاتهم. والإنسان يجب أن يحزن حتى من أجل الفراء لأن «الهضاب» الجرداء أصبحت الآن شديدة الحرارة بالنسبة لها، حتى إنها صعدت إلى أعلى الأماكن التي استطاعت أن تصل إليها حيث الهواء بارد باعتدال، وكانت «تستنشق الريح مثل بنات آوى»، وهي من الحيوانات التي تلهث دائما لكي تتنفس. «كلت عيونها» وهكذا أيضا قوتها «لأنه ليس عشب».

ثانيا: هناك نجد لغة النعمة، التي تحزن للخطية،

وتشكو الكارثة إلى الله. ولم يكن الناس شغوفين بالصلاة، لكن النبي هنا يصلي من أجلهم، وبذلك يحفزهم على الصلاة من أجل أنفسهم (ع ٧ - ٩) وفي هذه الصلاة:

(١) تم الاعتراف بالخطية في اتضاع. وإذ كنا نتشاجر مع الله باعتباره يعاملنا بظلم أو بدون شفقة بجلب النوائب علينا، فإن آثامنا تشهد بأننا نظلم الله بهذا: «لأن معاصينا كثرت»، وكانت شنيعة لا تغفر لأنها ارتكبت يا الله ضدك.

(٢) تم التماس الرحمة بكل حماسة: «وإن تكن آثامنا تشهد علينا يا رب فاعمل لأجل اسمك». وكما يليق بأولئك الذين يتوبون ويلتمسون فقد أحالوا الأمر إلى الله: افعل بنا كل ما يحسن في عينيك (قض ١٠: ١٥). ليس فينا ما يزكينا، ولكن فيك كل ما هو طيب. وثمة التماس آخر في هذه الصلاة (ع ٩): «لا تتركنا»، لا تحرمنا من فضلك وجودك.

(٣) استندوا بشكل عاطفي على علاقتهم بالله وما يتوقعونه منه (ع ٨ و٩). نظروا إليه باعتبار أن هناك ما يبرر قيامه بخلاصهم. فكثيرا ما انتصرت فيه الرحمة على العدل. والله شجع شعبه على أن يضعوا رجاءهم فيه، وذلك لأنه كثيرا ما أطلق على نفسه «إله إسرائيل»، «صخرة إسرائيل»، «قدوس إسرائيل»، وجعل من نفسه «رجاء إسرائيل». وقد ناشدوه قائلين «وأنت في وسطنا»، ولدينا الدلالات الخاصة لوجودك معنا، هيكلك، تابوت عهدك، أقوالك، ثم إننا «دُعينا باسمك»، شعب الله، ولذلك نأمل ألا تتركنا. نحن خاصتك، خلصنا. لقد أحزنهم التفكير في أنه لا يظهر ليخلصهم. ماذا سيقول المصريون؟ سوف يقولون إن رجاء إسرائيل ومخلصهم لم يبال بهم، لقد أصبح «كغريب في الأرض»، لا يشغل باله بأمورها. وهيكله الذي دعاه «راحتي إلى الأبد» لم يعد كذلك، بل هو فيه «كمسافر يميل ليبيت» مجرد ليلة واحدة في خان. وقد قال الأعداء ذات مرة: «لأن الرب لم يقدر أن يدخل هذا الشعب إلى الأرض التي حلف لهم، قتلهم في القفر» (عد ١٤: ١٦)، ومن ثم سيقول الآن: لقد خانته إما حكمته أو قوته، فإما أنه «كإنسان قد تحير» (مع أن له عقل إنسان، إلا أنه مع ذلك كان في غاية الارتباك لا يدري ماذا يفعل)، أو «كجبار» وكونه إنسان، لذا فإن قوته محدودة. وأي من هذين الرأيين يشكل توبيخا غير مقبول للكمالات الإلهية، وعلى ذلك، فلماذا نجد الله- الذي نحن واثقون من أنه في وسطنا- وقد أصبح «كغريب؟» فلماذا يبدو الله القادر على كل شيء وكأنه يريد أن يخلص ولكنه لا يستطيع؟

عدد ١٠ - ١٦

الحوار بين الله ونبيه في هذا الأصحاح يبدو وكأنه مثل ذاك الذي وقع بين صاحب الكرم والكرام بسبب شجرة التين العقيمة التي لا تعطي ثمرا (لو ١٣: ٧). فعدالة المالك تقضي بأنه يجب قطعها، ولكن رحمة الكرام تتشفع من أجل إعطاء مهلة وعدم تنفيذ هذا الأمر.

أولا: الله يرفض هذا الالتماس. وهذا ما يقوله بالنسبة «لهذا الشعب»، ولم يقل «شعبي»، لأنهم كسروا العهد معه. حقا إنهم دعوا باسمه، لكنهم أخطأوا، أغاظوا الله فتركهم. والله يخبره هنا أنهم لا يستحقون المغفرة. لقد اعترف النبي أن معاصيهم كثرت، ومع ذلك هناك أمل لهم لو عادوا. ولكن «هذا الشعب» لم يظهر أي ميل للرجوع، ذلك أنهم «أحبوا أن يجولوا»، كانت معاصيهم موضع سرورهم، وهي التي يجب أن تكون موضوع خزيهم. ولم يكن تجوالهم وليد الحاجة؛ ذلك أنه يفقدهم نعمة الله. لم يقبلوا التحذير ولذلك «لم يمنعوا أرجلهم». وهذا هو ما يحاسبهم الله عليه الآن. فحين أمسك عنهم المطر من السماء كان «يذكر إثمهم ويعاقب خطاياهم» والتي بسببها تحولت أرضهم المثمرة إلى أرض جرداء قاحلة. وعلى الرغم من أنهم لجأوا إلى الصوم والصلاة والمحرقات والتقدمات فإن الرب لم يقبلها (ع ١٠). (لا يسر بها، هذا هو معنى الكلمة). وعلى الرغم من أنهم «يصومون» (ع ١٢)، وما يعنيه هذا من تعبير صحيح عن التوبة والإصلاح، وعلى الرغم من أنهم «يصعدون محرقة وتقدمة»، والتي كان الهدف منها أن تكون تعبيرا عن الإيمان بالوسيط، وعلى الرغم من أن صلواتهم رفعت من خلال الوسائل التي كانت تقبل في العادة، لكن لأنها لم تصدر من قلوب تائبة متجددة.. قلوب لا تزال تحب الزيغان بعيدا عن الرب،

فلذلك يقول الله «لا أسمع صراخهم... لا أقبلهم»، لن يقبلهم كأشخاص أو يقبل ممارساتهم. لقد خسروا كل الفوائد التي كان من الممكن أن تتحقق نتيجة صلوات النبي من أجلهم لأنهم لم يأبهوا بكرازته. وهذا هو معنى المنع المتكرر الذي صدر للنبي (ع ١١): «لا تصل لأجل هذا الشعب للخير»، كما جاء سابقا في إرميا ٧: ١٦؛ ١١: ١٤. ولكن هذا لم يمنع الله من أن يعبر عن نيته الطيبة نحوهم، غير أنه عرفهم ألا يتوقعوا أية نتيجة طيبة منها طالما أن الشعب «يحول أذنه عن سماع الشريعة». وكان من نتيجة ذلك قوله: «أنا أفنيهم» (ع ١٢).

ثانيا: قدم النبي مناشدة أخرى كعذر لعناد الشعب. فالأنبياء الذين تظاهروا بأن لديهم مهمة من السماء خدعوهم، وتملقوهم بالتأكيد على السلام (ع ١٣). وتكلم عن ذلك بأسى: «آه أيها السيد الرب»، هناك من قالوا لهم باسمك: «لا ترون سيفا ولا يكون لكم جوع». قالوا ذلك كأنه كلام من لدنك: «سلاما ثابتا أعطيكم في هذا الموضع». أما أنا فقلت لهم عكس ذلك، ولكن واحدا يقف ضد كثيرين، ولذلك ارجوك أيها السيد الرب أن تشفق عليهم وترحمهم لأن رؤساءهم جروهم إلى الخطأ. كان من المحتمل قبول هذا العذر لو لم يكونوا قد حذروا من قبل بأن يأخذوا حذرهم من الأنبياء الكذبة.

ثالثا: لم يكتف الله برفض هذا الالتماس، بل أدان القادة العميان وأتباعهم العميان بأن يسقطوا في الحفرة. وقد استنكر المداهنة (ع ١٤). «بالكذب يتنبأ الأنبياء». وليسوا مكلفين من قبل الله بأن يتنبأوا بأي شكل كان: «لم أرسلهم ولا أمرتهم ولا كلمتهم». فأولئك الذين يعارضون بأفكارهم كلمة الله التي تحدث بها بالفعل، يسيرون في «مكر قلوبهم» وسوف يكون في ذلك هلاكهم. ولقد أصدر حكمه على الأنبياء الكذبة (ع ١٥) الذين لن يكون ثمة سلام بالنسبة لهم. لقد تعهدوا للناس بأنه «لا يكون سيف ولا جوع في هذه الأرض»، غير أنهم هم أنفسهم يفنون «بالسيف والجوع»، كما أن «الشعب الذي يتنبأون له» بالكذب، والذي يسمح لنفسه بأن يخدع هكذا «يكون مطروحا.. من جرى الجوع والسيف» (ع ١٦). وسوف تطرح جثثهم «في شوارع أورشليم»، وليس من يدفنهم. وبهذا يكون الله قد سكب «عليهم شرهم»، أي العقوبة التي يستحقونها جزاء شرهم.

عدد ١٧ - ٢٢

الحالة التي يرثى لها ليهوذا وأورشليم في ذلك الحين شكلت موضوع مرثاة النبي هنا (ع ١٧ و١٨) وصلاته من أجلهم (ع ١٩)، وهذه الأخيرة، وكذلك الأولى، كانت بتوجيه إلهي، «وتقول لهم هذه الكلمة» (ع ١٧) هذه العبارة تشير إلى الشفاعة وكذلك الرثاء، ويعد ذلك إلغاء التوجيهات التي صدرت للنبي بألا يصلي من أجلهم (ع ١١).

أولا: يقف النبي وهو يبكي على أطلال بلده. ولا يتعين على إرميا أن يقول ذلك لنفسه فقط، بل يقوله لهم أيضا: «لتذرف عيناي دموعا» (ع ١٧). وبهذا يجب أن يعرفهم بأنه تنبأ بمجيء «السيف»، ونوع آخر من المجاعة سيحل بالمدينة بسبب شدة الحصار. ويتكلم النبي كما لو أنه قد سبق ورأى النكبات المصاحبة لهجمة الجيش البابلي ضدهم: «العذراء بنت شعبي سحقت سحقا عظيما بضربة موجعة جدا»، أكثر إيلاما من أية ضربة أخرى سبق لها أن تحملتها، لأنه (ع ١٨) في «الحقل» ترى «القتلى بالسيف» كثيرين، وفي «المدينة» يموت كثيرون بسبب الجوع. «النبي والكاهن»، الأنبياء الكذبة الذين تملقوهم بأكاذيبهم، والكهنة الأشرار الذين اضطهدوا الأنبياء الحقيقيين، تم طردهم، فإما أنهم أخذوا إلى السبي، أو أنهم كانوا لاجئين ومشردين في أي مكان وجدوا فيه مأوى «في الأرض ولا يعرفان شيئا» (يذهبان إلى أرض لا يعرفانها). البعض يفهم هذه العبارة على أنها تتحدث عن الأنبياء الحقيقيين: حزقيال ودانيال، اللذين سبيا إلى بابل مع الآخرين. وعينا النبي يجب أن تذرف «دموعا ليلا ونهارا» لعل الشعب يقتنع بهذا، ليس من ناحية أن هذا اليوم التعيس لابد آتٍ، بل إنه كان يسعده أن يأتي لهم برسائل السلام، لو كانت السماء قد سمحت له أن يفعل ذلك.

ثانيا: وقف يتشفع من أجلهم. كان هناك البعض ممن يشاركونه في صلواته، ويصدقون عليها بقولهم آمين.

(١) بكل تواضع كان يجادل مع الله من أجل قضيتهم (ع ١٩). خابت توقعاتهم من إلههم، كانوا يعتقدون أنه ضمن يهوذا كخاصته، أما الآن فيبدو أنه رفض «يهوذا رفضا». ظنوا أن صهيون محبوبة، أما الآن فقد كرهت نفسه صهيون، بل كره حتى العبادات التي يمارسونها. وقد أخفقت كل تطلعاتهم الأخرى: لقد «ضربوا» وتضاعفت جروحهم، «ولا شفاء» لهم، انتظروا «السلام» لأنه عادة ما يعقب العاصفة هدوء. تطلعوا إلى «زمان الشفاء»، ولكنهم لم يحصلوا حتى على وقت يستردون فيه أنفاسهم. «فإذا رعب» على الباب الذي كانوا يأملون أن يدخل منه السلام، لكن ألن تذكر يا الله في النهاية رحمة أثناء الغضب؟

(٢) تاب واعترف بالخطية، وكان الواجب عليهم جميعا أن يحذوا حذوه، غير أن قليلين هم الذين فعلوا ذلك (ع ٢٠): «قد عرفنا يا رب شرنا»، شر أرضنا المتزايد، وكذلك «إثم آبائنا» الذي قلدناه. «قد عرفنا»، ونقر بأننا، «قد أخطأنا إليك»، ولذلك فأنت عادل في كل ما حاق بنا، ولكن، بالنظر إلى أننا اعترفنا بخطايانا، فنحن نأمل أن نجدك أمينا وعادلا بأن تغفر لنا خطايانا.

(٣) استنكر غضب الله، وبالإيمان ناشده على أساس وعده (ع ٢١). وكان التماسه «لا ترفض» شعبك، وعلى الرغم من أنك ضربتنا، لكن لا ترفضنا، وعلى الرغم من أن يدك تحولت ضدنا، لكن لا تجعل قلبك هكذا، ولا تحول فكرك عنا. اعترفوا بأن الله قد يبغضهم ويكون له حق في ذلك، ومع ذلك يصلون: «لا ترفض لأجل اسمك»، اسمك الذي دُعي علينا، والذي ندعوه ونرجوه. كما رجوه على أساس كرامة بيته: «لا ترفض»، حتى، «لا تهن كرسي مجدك». نحن نستحق الخزي ولكن لا تسمح لخراب الهيكل أن يعطي فرصة للأمم لتوبيخ ذاك الذي كانت تقدم له العبادة فيه. قد نكون واثقين من أن الله لا يهين كرسي مجده على الأرض. وقد كانت لديهم الجرأة في أن يذكروه بكل تواضع: «اذكر. لا تنقض عهدك معنا».

(٤) أعلن اتكاله على الله من أجل رحمة المطر (ع ٢٢). ولن يرجو على الإطلاق أوثان الأمم. «هل يوجد في أباطيل الأمم من يمطر؟» وفي وقت قحط عظيم في إسرائيل، نجد أنه على الرغم من أن إسرائيل كافة رفعوا صلواتهم للبعل أيام اخآب، إلا أنه لم يستطع أن ينقذهم، لأن الله وحده الذي أجاب بالنار هو أيضا الذي بمقدوره أن يجيب بالماء. «هل تعطي السماوات وابلا؟» كلا، ليس بدون أوامر من إله السماوات، لأنه هو الذي لديه مفتاح السحاب، وهو يفتح طاقات السماء ويروي الأرض. ولذلك فكل تطلعاتهم تتجه إليه. «أما أنت هو الرب إلهنا» الذي نرجو منه العون، والذي يجب أن نلجأ إليه. «لأنك أنت صنعت كل هذه»، أنت الذي أعطيتها وجودها، ولذلك تضع لها الناموس، ويأتمر الجميع بأمرك. سوف نطلب «من الرب المطر» (زك ١٠: ١). ونحن نثق في أنه سيعطيه لنا في الوقت المناسب.

الأصحاح الخامس عشر

أولا: يقر الله هنا الحكم الذي صدر ضد الشعب، على الرغم من صلوات النبي (ع ١ – ٩).

ثانيا: النبي نفسه، على الرغم من الرضاء الذي كان يشعر به لشركته مع الله، إلا أنه لا يزال يجد نفسه قلقا مثبط الهمة.

(١) يشكو إلى الله من معركته المستمرة مع مضطهديه (ع ١٠).

(٢) يؤكد له الله أنه سيلقى حماية خاصة، على الرغم من الخراب العام الذي يوشك أن يحل بالأرض (ع ١١ – ١٤).

(٣) يحتكم إلى الله بشأن إخلاصه في القيام بوظيفته النبوية (ع ١٥ – ١٨).

(٤) أعطي تأكيدا جديدا بأنه إذا استمر في أمانته، فإن الله سيواصل عنايته به، ويواصل نعمته عليه (ع ١٩ – ٢١).

عدد ١ – ٩

لا نكاد نجد في أي مكان تعبيرات انفعالية كهذه بالنسبة للغضب الإلهي ضد شعب مثير للغضب بأكثر مما نجد في هذه الأعداد.

صلى النبي من أجلهم بحرارة، ووجد البعض ممن انضموا إليه، ومع ذلك لم يحصل على إبطال الحكم، أو على الأقل تخفيفه.

www.DIFA3IAT.com

أولا: ماذا كانت الخطية التي صدر على أساسها هذا الحكم الصارم. كان ذلك بسبب منسى، بشأن ما عمله في أورشليم (ع ٤). أما الذي عمله فقد أُخبرنا به، وأنه بسببه تم دمار أورشليم (٢مل ٢٤: ٣ و٤). كان ذلك بسبب وثنيته وكذلك «لأجل الدم البريء الذي سفكه.. ولم يشأ الرب أن يغفر». وكذلك بالنظر إلى عدم توبتهم الراهنة. وقد وصفت خطيتهم (ع ٦): «أنت تركتني»، تركت عبادتي وواجبك نحوي. «إلى الوراء سرت» وأصبحت عكس ما هو مفروض منك. وقد وصف عدم توبتهم (ع ٧): «لم يرجعوا عن طرقهم»، لم يرجعوا عن طرق قلوبهم إلى طرق وصايا الله. فثمة رحمة لأولئك الذين ضلوا الطريق إذا ما رجعوا إلى الله، ولكن، ما النعمة التي يمكن أن يتوقعها أولئك الذين يصرون على ارتدادهم عن الله؟

ثانيا: ما هو الحكم ؟ إنه الهلاك.

(١) لقد تخلى الله نفسه عنهم: «لا تكون نفسي نحو هذا الشعب». ولم يكن ذلك في ثورة غضب، بل في سخط عادل ومقدس أنه قال: «اطرحهم من أمامي فيخرجوا»، لأنني لن أوليهم اهتمامي بعد ذلك.

(٢) لن يقبل أية شفاعة من أجلهم (ع ١): «وإن وقف موسى وصموئيل أمامي» بالصلاة أو الذبيحة لمصالحتي معهم، فلن يلتفت قلبي إليهم.

(٣) حكم عليهم جميعا بدينونة تهلكهم بشكل أو بآخر. فحين يطرحهم الله من أمامه، فإلى أين يخرجون (ع ٢): «الذين للموت فإلى الموت والذين للسيف فإلى السيف». إنه اختيار كذاك الذي عرض على داود، وبذلك «ضاق به الأمر جدا» (٢صم ٢٤: ١٤). وقد ذكر السبي أخيرا، ويعتقد البعض أن ذلك لأنه أقسى هذه الأحكام، لأنه يشكل استمرارية لنكباتهم. دينونة «السيف» (ع ٣) تكررت مرة أخرى، وكانت في أول مجموعة من المهالك الأخرى. أما بالنسبة للذين يهربون من السيف، فسوف يقطعون بالوبأ، أو بالجوع، أو السبي، ولذلك فإن الذين يسقطون بالسيف سيقطعون بانتقام إلهي. وستكون هناك «الكلاب للسحب» في المدينة، «وطيور السماء ووحوش الأرض للأكل والإهلاك». وإذا كان هناك من يعتقدون أنه بمقدورهم تجنب العدالة: «أدفعهم للقلق في كل ممالك الأرض» (ع ٤)، على غرار قايين الذي أصبح «تائها وهاربا في الأرض».

(٤) يسقطون دون أن ينقذهم أحد. وسوف يكون الله ضدهم «فأمد يدي عليك»، وهذه ضربة متعمدة، ستجرح جرحا عميقا. «مللت من الندامة» (ع ٦)، وذلك لعدم إخلاصهم في إعلان توبتهم فإنهم استنفذوا حتى الصبر غير المحدود. ولذلك لن يمنحهم أي عفو بعد ذلك. تطردهم بلادهم، «وأذريهم بمذراة في أبواب الأرض»، داخل مدنهم، أو في مدن كل الأمم التي حولهم، (ع ٧) سوف «أثكل»، ولن يكون لهم ثمة رجاء في أن الجيل التالي سوف يتذكر أمورهم، لأني «أبيد شعبي». وقد أشير إلى نبوخذنصر هنا بعبارة «ناهبا في الظهيرة»، وليس لصا في منتصف الليل يخاف من أن يكتشف، بل كناهب يقتحم ويدمر دون وجل. جلبت على أم الشبان «مُهلكا» (هكذا يترجمها البعض)، لأنه حينما غزا نبوخذنصر يهوذا لأول مرة لم يكن سوى شابا في أول سنة من حكمه. ونحن نترجمها: جلبت عليهم، حتى على أم الشبان مُهلكا، أي على أورشليم، المدينة الأم، التي كانت لها عائلة كبيرة من الشبان. «أوقعت عليها (على أورشليم) بغتة رعدة ورعبات». وهذا وصف لمذبحة رهيبة. فالزوجات حرمن من أزواجهن: «كثرت لي أراملهم أكثر من رمل البحار». وعلى الرغم من أن الأزواج يقطعون بسيف عدالته، إلا أن زوجاتهم المسكينات جمعن في أذرع رحمته، حيث اتخذ من ضمن ألقاب جلالته «إله الأرامل». ولقد حرم الآباء من أولادهم. وحين ذبح الأولاد، فالأم «أسلمت نفسها» لأن حياتها كانت مرتبطة بهم «غربت شمسها إذ بعد نهار». البعض يقول أن هذه الأم الذابلة هي أورشليم الحزينة على موت سكانها والتي كانت مثل أي أم مسكينة تنوح على أولادها.

(٥) سوف يسقطون دون أن يشفق عليهم أحد (ع ٥): «فمن يشفق عليك يا أورشليم؟» بعد أن طرحك الله من أمامه، فلن تلقي شفقة لا من أعدائك ولا من أصدقائك لقد دمرت نفسك يا إسرائيل.

عدد ١٠ – ١٤

عاد إرميا الآن من عمله الجهاري وانسحب

إلى خلوته، وتتحدث هذه الفقرة عما دار بينه وبين إلهه.

أولا: تذمر النبي على الله من المعوقات الكثيرة التي صادفته في عمله (ع ١٠).

(١) واجه كثيرا من المناقضة والمعارضة. «إنسان خصام وإنسان نزاع لكل الأرض». كان في شجار مع المدينة والريف، وقد بذلوا كل ما في وسعهم في مقاومته. «كان رجل سلام، ومع ذلك كان إنسان خصام»، لم يكن يسعى للخصام، بل كان يقاوم من كثيرين، كان محبا للسلام، غير أنه حين يتكلم كانوا يجنحون إلى الحرب. أما السبب الحقيقي لمشاجراتهم معه فيرجع إلى أمانته لله ورغبته في خلاص نفوسهم. لقد بين لهم خطاياهم التي كانت تعمل على هلاكهم، وعرفهم كيف يتجنبون هذا الهلاك، ومع ذلك أخذوا منه موقف العداء. وإنجيل السلام يسبب الانقسام (مت ١٠: ٣٤ و٣٥؛ لو ١٢: ٤٩، ٥١). وهذا ما كان يسبب قلق إرميا. ولذلك صاح قائلا: «ويل لي يا أمي لأنك ولدتني»، وهو غاضب لأنها ولدته «إنسان خصام». وقصد بهذه العبارة أن تكون مرثاة لحالته. فحتى أولئك الذين هم أكثر الناس جنوحا إلى السلام كثيرا ما يجدون الخصام يحوطهم. ومع ذلك، إذا لم يتيسر لنا العيش في سلام مع جيراننا، فلا يجب أن يزعجنا هذا إلى حد يفقدنا سلام عقولنا، ويملأنا غيظا.

(٢) واجه قدرا كبيرا من الازدراء والتوبيخ. وصموه بأنه رجل ينزع إلى الشقاق ويزرع الخصومات والفتنة. وكان من المفروض أن يباركوه، ويباركوا الله من أجله، غير أنهم على النقيض من ذلك لعنوا رسوله، وبذلوا كل ما في مقدورهم ليجعلوه بغيضا. غير أن الإنسان يميل إلى الشك بأنه لابد وأن إرميا عمل ما أغاظهم: «لم أقرض ولا أقرضوني». ونجد هنا تلميحا إلى أن من يتعامل كثيرا في مشاريع هذا العالم كثيرا ما يتورط في خصام ونزاع. وكان من حصافة إرميا أنه إذ دُعي ليكون نبيا أنه لم «يرتبك بأعمال الحياة» حتى لا يتيح فرصة للشك في أنه يسعى لأية مزايا دنيوية في هذا العالم. لم يكن يقرض مالا، لأنه لم يكن مرابيا، ولم يكن يقترض لأنه لم يكن تاجرا. ونعرف مما جاء في إرميا ١٦: ٢ أنه لم يكن له زوجة ولا ولد. ومع ذلك كان يواجه خزيا من الجميع بسبب شر ذاك الزمان.

ثانيا: رد الله على هذه الشكوى:

(١) عليه أن يواجه العاصفة وأخيرا سيهدأ بالا (ع ١١). لو لم أعتن بك لا أعد أمينا على الإطلاق، وإني بكل تأكيد «أحلك للخير»، وبقية أيامك ستكون أكثر تعزية من تلك التي شهدتها حتى الآن «ستكون نهايتك طيبة» هكذا جاءت الترجمة الآرامية. ويبدو أن إرميا كان قلقا لخوفه من المشاركة في الدينونات العامة التي تنبأ بمجيئها. فإذا كان أصدقائي على هذا النحو من الإساءة إليّ فماذا سيكون عليه الحال بالنسبة لأعدائي؟ لكن الله يطيب نفسه بهذا الوعد: «إني أجعل العدو يتضرع إليك في وقت الشر»، حين ينتشر الدمار في كل ما هو حولك. وقد تحقق هذا الوعد، حينما استولى نبوخذراصر على المدينة وأمر قائد الحرس بأن يحسن معاملة إرميا، وأن يعطي له كل ما يريده أو يطلبه (إر ٣٩: ١١ و١٢). أما العبارة التالية: «هل يكسر الحديد الحديد الذي من الشمال والنحاس» (ع ١٢) إذ ما قورنت بالوعد الذي قطعه الله لإرميا (إر١: ١٨) بأنه سيجعله «عمود حديد وأسوار نحاس»، فيبدو أن القصد منها هو طمأنته. فقد كانوا دائما في شجار معه، وكانوا أشداء كالحديد، غير أن إرميا إذ كان مسلحا بقوة وشجاعة من الأعالي يكون بالنسبة لهم كالحديد الذي من الشمال، الذي هو بالطبيعة أقوى، وكالصلب الذي يكتسب صلابة بالمهارة، ولذلك لن يقووا عليه، قارن هذا مع ما جاء في زكريا ٢: ٦؛ ٣: ٨ و٩.

(٢) يؤكد له الله أن أعداءه ومضطهديه سوف يفقدون في العاصفة (ع ١٣ و١٤). ويحول الله كلامه هنا من النبي إلى الشعب. وكذلك يمكن أن يطبق عليهم ما جاء في آية ١٢: «هل يكسر الحديد الحديد الذي من الشمال؟» هل سيكون بمقدور شجاعتهم وقوتهم، وكل الجهود العظيمة والقوية التي يتخذونها أن تصمد أمام مشورة الله أو أمام جيش البابليين، الذي لا يلين ولا يقهر مثل الحديد الذي من الشمال. ولذلك عليهم أن يسمعوا المصير الذي ينتظرهم «ثروتك وخزائنك أدفعها للنهب بلا ثمن». كان النبي فقيرا، ولم يكن لديه شيء يخسره لا ثروة

ولا خزائن، ولذلك سيحسن العدو معاملته. أما الناس الذين كانت لديهم أموال كثيرة وأرض واسعة سوف يغتالون نظير ما عندهم. وجميع أجزاء البلاد، حتى تلك التي تقع على مسافة بعيدة جدا قد أسهمت في الإثم القومي، وسوف تحاسب كلها الآن: «وأعبرك مع أعدائك، (الذين في نصرتهم يقودونك) في أرض لم تعرفها»، وعلى هذا عليهم ألا يتوقعوا أن يجدوا فيها راحة.

عدد ١٥ - ٢١

أولا: خطاب النبي بكل خشوع إلى الله: «أنت يا رب عرفت»، أنت تعلم إخلاصي، الذي يصر الناس على عدم الاعتراف به، أنت تعرف محنتي التي يزدري الناس ملاحظتها.

(١) يصلي النبي (ع ١٥) من أجل:

أ. أن يتأمل الله حالته ويهتم به: «اذكرني»، افتكر بي للخير.

ب. وأن يعطيه الله قوة وعزاء: «وتعهدني».

ج. وأن يدافع عنه: «وانتقم لي من مضطهدي»، أو بالأحرى أحمني من مضطهدي. وفضلا عن ذلك فإن الرجل الطيب لن يرغب في أن ينتقم له الله. لتعمل يا إلهي شيئا يقنع العالم بأن إرميا رجل بار، وأن الإله الذي يعبده إله بار.

د. وأن يتراءف معه: «لا تأخذني» بضربة مباغتة، بل «بطول أناتك» اجعل أيامي طويلة. وعلى الرغم من أنه في غضبه اشتكى من مولده (ع ١٠)، إلا أنه هنا يطلب ألا يعجل بموته، لأن الحياة حلوة بطبيعتها، وحياة الإنسان النافع حلوة بعمل النعمة فيها.

(٢) يناشد الله رحمة وخلاصا من أعدائه ومضطهديه والذين يشوهون سمعته.

أ. إن كرامة الله لها علاقة بهذا الموضوع: «اعرف احتمالي العار لأجلك».. اجعل هذا أمرا معلوما. إذا كنا نتحمل الأذى لعملنا الخير، ويقال عنا كل شر من أجل البر، فلنا أن نأمل أن الله سيدافع عنا بابنه (ع ١٦): «لأني دعيت باسمك يا رب إله الجنود».

ب. إن كلمة الله التي استخدمت من أجل الكرازة بها للآخرين، قد اختبرها هو في نفسه، ولذلك كانت له نعمة الروح القدس لتؤهله لقبول النعمة الإلهية ومواهب الروح القدس. ولذلك استطاع إرميا القول: «وجد كلامك» ولم أتذوقه فقط بل «فأكلته»، قبلته كله، كان بالنسبة لي ما يمثله الطعام للجوعان. لقد طُلب من النبي أن يأكل السفر الصغير، أو الدَرج (حز ٢: ٨؛ رؤ ١٠: ٩)، «فأكلته»، ومعنى ذلك في العبارة التالية «للفرح ولبهجة قلبي»، ولا يمكن لشيء أن يكون مقبولا أكثر من كلام الله. ويفهم من هذا:

◂ الرسالة نفسها والتي يتعين عليه أن يبلغها. فعلى الرغم من أنه كان مطلوبا منه أن يتنبأ عن الخراب الذي سيحل بالبلاد التي كانت عزيزة عليه، وأن خرابها سيكون له تأثير عميق عليه، إلا أن كل العواطف الطبيعية تركن جانبا في الحماسة من أجل مجد الله، بل وحتى رسالات الغضب هذه، فلكونها من قبل الله، كانت مقبولة عنده. ثم إنه ابتهج في البداية أيضا على أمل أن يقبل الناس التحذير ومن ثم يمنعون الدينونة. وإما:

◂ عن المهمة التي تلقاها لإيصال هذه الرسالة. فعلى الرغم من أن العمل الذي دعي إليه لم يكن يصاحبه أي نفع دنيوي، بل على النقيض من ذلك كان يعرضه للازدراء والاضطهاد، إلا أنه كان يعتبر أن طعامه وشرابه أن يعمل مشيئة الذي أرسله (يو ٤: ٣٤)، أو:

◂ عن الوعد الذي قطعه الله له بأن يساعده ويعترف به في عمله (إر ١: ٨).

ج. أنه سخر نفسه لواجبات وظيفته بكل جدية وإنكار الذات على الرغم من أنه في الفترة الأخيرة لم يكن يشعر برضاء كاف فيما يتعلق بذلك (ع ١٧). «جلست وحدي»، أي أمضى وقتا كثيرا في صومعته لأن «يد الرب كانت شديدة» عليه لتسانده في عمله (حز ٣: ١٤)، «لأنك قد ملأتني غضبا»، برسالات الغضب هذه ضد هذا الشعب بحيث جعلتني دائما أميل إلى الكآبة. كانت شكواه تنصب على أنه لم يعد يجد سرورا في عمله. كان في بداية الأمر بهجة لقلبه، أما في الآونة الأخيرة فقد جعله مكتئبا، ولذلك لم يكن له ما يحمله على الجلوس «في محفل المازحين». ولذلك جلس وحده، وهو في غيظ من عناد الشعب، والنجاح القليل الذي حققته جهوده التي بذلها بينهم.

د. ألقى بنفسه على شفقة الله ووعده في مجادلة عاطفية غاضبة (ع ١٨): «لماذا كان وجعي دائما»، ولم يعمل شيء لتخفيف وطأته؟ فهل الله الذي وعدني بحضوره سيكون لي «مثل مياه غير دائمة»، كلا، أنا أعرف لن تكون كذلك. «ليس الله إنسانا فيكذب»، وينبوع الحياة لن يكون إطلاقا بالنسبة لشعبه «مثل مياه غير دائمة».

ثانيا: رد الله الكريم على هذا الكلام (ع ١٩- ٢١).

(١) ما الذي يطلبه الله منه هنا. سوف يعترف به الله، ولكن:

أ. عليه أن يستعيد رباطة جأشه. وأن يرضى عن عمله. عليه أن يرجع، عليه أن يتخلص من الأفكار والمشاعر التي تعبر عن عدم الرضا وعدم الثقة، وألا يستسلم لها.

ب. عليه أن يعقد العزم على أن يكون أمينا في عمله. وعلى الرغم من أنه لا يوجد سبب إطلاقا لاتهام إرميا بعدم الأمانة، وأن الله يعرف أنه مخلص في قلبه، إلا أن الله وجد أنه من المناسب أن يوجه له هذا التحذير. «إذا أخرجت الثمين من المرذول». فالأبرار هم «الثمين» لأنهم دائما متواضعون ومساكين، والأشرار هم «المرذول» لأنهم دائما أغنياء وعظماء. وهؤلاء مختلطون في كنائسنا، الحنطة مع الزوان في نفس الأرض ولا نستطيع التفريق بينهما بالاسم، بل يجب أن يتم ذلك على أساس طبيعة كل منهما، ويجب أن نعطي لكل نصيبه، التعزية للقديسين «الثمين»، والرعب للخطاة الأشرار «المرذول»، دع هؤلاء الناس «يرجعون إليك وأنت لا ترجع إليهم»، أي أن عليه أن يبذل كل ما في وسعه في كرازته لكي يحضر الناس إلى فكر الله. أما أولئك الذين ابتعدوا عنه، عليهم أن يرجعوا «إليك»، وبعد إعادة التفكير، يستسلمون لشروطك، ولكن «أنت لا ترجع إليهم». لا تمتدحهم، أو تفكر في تسهيل الأمر عليهم، بأكثر مما فعلت كلمة الله.

(٢) ما الذي يعده به الله هنا، إذا ما أثبت جدارته:

أ. سيشعره الله بالسكينة ويهدئ من اضطراب روحه الذي يعاني منه حاليا: «إن رجعت أرجعك»، أرد نفسك (كما في مزمور ٢٣: ٣).

ب. يستخدمه الله كنبي: «فتقف أمامي»، لتتلقى مني التعليمات، كما يتلقاها العبد من سيده، «فمثل فمي تكون»، لكي توصل رسائلي للشعب، كما يكون السفير متكلما باسم الرئيس الذي أرسله.

ج. سيعطى قوة وشجاعة لمواجهة الصعاب العديدة التي تقابله في عمله، ولن تخذله نفسه كما هو حاله الآن (ع ٢٠): «وأجعلك لهذا الشعب سور نحاس حصينا»، تضربه العواصف وتدقه بعنف غير أنها لا تقوى عليه. «وأنت لا ترجع إليهم» في إذعان خاطئ مهما كان، وعندئذ عليك أن تتكل على الله لكي يسلحك بنعمته بقرارات مقدسة. لا تكن جبانا، وسوف يجعلك الله مقداما. سبق أن اشتكى من أنه «إنسان خصام». توقع أن تكون هكذا (يقول الله): «فيحاربونك ولا يقدرون عليك».

د. سيكون الله مخلصه القوي: «لأني معك لأخلصك» فالذين يكون الله معهم، يكون لهم مخلصا يتمتع بالحكمة والقوة الكافيتين للتعامل مع أكثر الأعداء رعبا وقوة (ع ٢١). فثمة أشياء كثيرة تبدو مخيفة للغاية ومع ذلك يثبت أنها لا تضر الإنسان الصالح بأي شكل كان.

الأصحاح السادس عشر

أولا: عظم الكارثة التي ستحيق بالأمة اليهودية صورت بالنواهي التي صدرت للنبي بألا يقيم لنفسه بيتا (ع ١ -٤)، أو يدخل بيت النوح (ع ٥ – ٧)، أو إلى بيت الوليمة (ع ٨ و٩).

ثانيا: ولقد تبرر الله في هذه الإجراءات الصارمة التي اتخذها ضدهم وذلك لشرهم العظيم (ع ١٠ – ١٣).

ثالثا: أعطيت إلماحة إلى أن هناك رحمة مذخرة (ع ١٤ و١٥).

رابعا: أعطيت بعض الآمال في أن عقوبة الخطية سينتج عنها إصلاح الخطاة (ع ١٦ – ٢١).

عدد ١ – ٩

النبي هنا يعد علامة للشعب. لن يعتبروا ما قاله، ولذلك لنختبر ما إذا كانوا سيولون اعتبارا لما يعمله.

www.DIFA3IAT.com

عليه أن يتصرف كما يليق بشخص يتوقع أن الخراب يحل ببلاده في القريب العاجل. وقد تنبأ بهذا، غير أن عليه أن يبين أنه هو نفسه مقتنع بحقيقة ذلك، فقد منع من الزواج والحزن على الموتى والفرح.

أولا: يتعين على إرميا ألا يتزوج، أو يفكر في أن تكون له عائلة (ع ٢). وكان اليهود يقدرون الزواج المبكر والنسل الكثير. غير أنه ينبغي على إرميا أن يعيش كأعزب. ويبدو أن هذا الإجراء كان ينصح باتباعه في أوقات الأزمات أو «الضيق الحاضر» (١ كو ٧: ٢٦). والأمر على هذا النحو يعد جزءا من الكارثة. وحين نرى مثل هذه الأوقات وشيكة فإنه من الحكمة بالنسبة للجميع، ولاسيما الأنبياء، أن ينأوا بأنفسهم عن الانشغال بتلك الأمور التي إن كانت تخص المقربين إليهم فسوف تشكل لهم عبئا وتولد فيهم الخوف والحزن. والسبب الذي أعطي هنا لذلك هو أن «البنين... البنات... أمهاتهم... آبائهم... بأمراض يموتون» (ع ٣ و٤). والذين لهم زوجات وأطفال سيشكلون لهم عوائق حتى إنهم لن يستطيعوا الهرب من هذه الميتات. فموت كل طفل، والظروف المحيطة بهذا الموت ستشكل موتا جديدا للوالدين. وألا يكون للإنسان أطفال أفضل من أن ينجبهم ويربيهم «للقاتل» (هو ٩: ١٣ و١٤) كما أن ذلك أحسن من أن يراهم يحيون ويموتون في بؤس. وقد منع ندب الموتى ودفنهم: «لا يندبون»، بل يحملون بعيدا. كما لو أن العالم كله قد سئمهم، والواقع أنهم «لا يدفنون»، وإنما يتركون مهملين في العراء «بل يكونون دمنة على وجه الأرض»، ليس مذدرين فحسب، بل وممقوتين أيضا. سوف «يفنون»، البعض «بالسيف» والبعض الآخر بواسطة «الجوع»، «وتكون جثثهم أكلا لطيور السماء ولوحوش الأرض».

ثانيا: لا يجب على إرميا أن يدخل «بيت النوح» عند موت أحد من جيرانه أو أقاربه (ع ٥). جرت العادة على مواساة أولئك الذين يموت أقاربهم، أن يندبوهم ويخمشون أنفسهم ويجعلون قرعة من أجلهم، وكان هذا تعبيرا عن الحزن، ولو أن ذلك محرم طبقا للناموس (تث ١٤: ١). وقد اعتادوا أن يندبوا «ليعزوهم عن ميت»، كما فعل اليهود مع مرثا ومريم، وكان عملا وديا أن «يسقونهم كأس التعزية»، لكي ينعشوهم بغية تقوية روحهم المعنوية. إن الذين فقدوا والديهم، لهم أصدقاء يهتمون بهم. إنه لأمر طيب أن تذهب «إلى بيت النوح». ولقد اعتاد إرميا النبي أن يزداد في الأعمال الصالحة التي من هذه النوعية. غير أن الله أمر الآن ألا يندب موت أصدقائه. إن حزنه لخراب بلده بصفة عامة يجب أن يطغى على حزنه من أجل أية ميتات خاصة. فالناس سيموتون كثيرا جدا حتى إنهم لن يجدوا وقتا، ولا مكانا ولا ميلا للطقوس التي اعتادوها عند موت أحد. فالكل سيكونون نادبين في ذلك الحين، ولن يكون هناك معزون، وسيجد كل واحد أن يكفيه أن يتحمل عبئه، لأني (ع ٥): «نزعت سلامي من هذا الشعب». ووضعت نهاية لازدهارهم، وحرمتهم من الصحة والثروة والسكينة والأصدقاء، ومن كل شيء كان بمقدورهم أن يعزوا به أنفسهم ويعزوا بعضهم بعضا. وأي بركة تنعم بها هي من الرب، وهي عطية منه، وإذا أعطى هو الهدوء فمنذا الذي يستطيع أن يثير المتاعب؟ غير أنه إذا لم نحسن استخدام بركته فبمقدوره أن يسحبها، بل إنه يفعل ذلك. وهنا نقول وداعا لكل ما هو طيب. وكل شيء يصبح عدما إذا حجب الله عنا عطفه ومحبته ورحمته.

ثالثا: لا يجب على إرميا أن يدخل بيت المرح بقدر ما هو ممنوع عليه من أن يدخل بيت النوح (ع ٨)، فسوف يأتي الله عليهم بدينونته، ولقد حان الوقت الذي ينبغي عليهم فيه أن «يتضعوا»، وعلى الخدام أن يكونوا مثالا لإنكار الذات. لقد تعجب أصدقاؤه من عدم مقابلته لهم كعادته في بيت الوليمة. ولكنه جعلهم يعرفون بأن ذلك يعد إشارة إلى أن كل ولائمهم ستنتهي في القريب العاجل (ع ٩): «هأنذا مبطل... صوت الفرح». ولن يكون لكم ما تقيمون من أجله الولائم، أو ما تفرحون به، بل ستحيطكم الكوارث التي تفسد فرحتكم وتلقي عليها بظلال من الكآبة. والله بمقدوره أن يجد الوسائل التي يروض بها أكثر الناس مرحا. وسوف يتم ذلك في «هذا الموضع»، في أورشليم، التي اعتادت أن تكون «المدينة المبتهجة»، وقد حسبت أن أفراحها محفوظة لها. وسوف يتم ذلك «أمام أعينكم»، تحت نظركم، لتغيظكم أنتم الذين تظهرون الآن في غطرسة بالغة وفرح عظيم. لقد أخمدوا صوت الحمد والتسبيح

بآثامهم ووثنيتهم، ولذلك كان عدلا أن يسكت الله بينهم «صوت الطرب وصوت الفرح». لم يسمع صوت أنبياء الله، ولم يكن له اعتبار بينهم، وعلى هذا فلن يسمع بينهم بعد «صوت العريس وصوت العروس»، والترانيم التي كانت تنشد تكريما للعرس (انظر إرميا ٧: ٣٤).

عدد ١٠ – ١٣

الأسباب التي دعت الله أن ينزل بهم هذه الدينونات (ع ١٠): «ما هي خطيتنا؟» ما هي الجريمة التي ارتكبناها– إذا كنا فعلنا ذلك حقا– والتي تتناسب مع مثل هذا الحكم؟ وبدلا من أن يتضعوا ويدينوا أنفسهم، صمموا على تبرير أنفسهم. لحوا إلى أن الله ظلمهم بإعلانه هذا الشر ضدهم. فهل سألوا النبي لماذا غضب الله عليهم على هذا النحو؟ فالله البار لا يمكن أن يغضب «بدون سبب»، بل وبلا سبب قوي، غير أنه ينبغي عليه أن يخبرهم بصفة خاصة عن هذا السبب، لعلهم يتضعون على الأقل وليتبرر الله. لقد تفقد الله فيهم آثام آبائهم (ع ١١): «من أجل أن آباءكم قد تركوني.. وشريعتي لم يحفظوها». لقد تجاهلوا الوصايا الإلهية «وذهبوا وراء آلهة أخرى»، عبادتها أكثر بهجة وأبهة، وإذا هم مغرمون بالتغيير والحداثة فإنهم «عبدوها وسجدوا لها»، وهذه هي الخطية التي قال عنها الله في الوصية الثانية إنه يفتقد «ذنوب الآباء في الأبناء» الذين يمارسون هذه العادات الوثنية. كذلك حاسبهم الله على آثامهم الشخصية (ع ١٢): لقد ارتكبتم نفس الخطية التي ارتكبها آباؤكم، وأصبحتم مستحقين العقوبة التي كانت مؤجلة في أيامهم لأنكم «وأنتم أسأتم في عملكم أكثر من آبائكم» ولو كنتم استفدتم من تأجيل الحكم الذي استفاد منه آباؤكم، وقادكم صبر الله عليكم إلى التوبة، لأنقذتم من الدينونة، ولتحول تأجيل الحكم إلى عفو عام. ولكنهم كانوا في الخطية أكثر من آبائهم عنادا ووقاحة. لقد جعلوا الجلبة تصاحب أهواءهم حتى تطغى على صوت ضمائرهم. وليس من عجب أن الله اتخذ هذا القرار (ع ١٣): «فأطردكم من هذه الأرض»، أرض النور، وادي الرؤيا– إلى بلد بعيدة «أرض لم تعرفوها أنتم ولا آباؤكم». وثمة أمران سيجعلان حالتهم بائسة هناك، وكلاهما يتعلق بالنفس:

أ. إنه لمن سعادة النفس أن تعبد الله، ولكن «فتعبدون هناك آلهة أخرى نهارا وليلا» وربما تجبرون على ذلك بواسطة نظار عملكم، وحينما تجبرون على عبادة الأوثان، تسأمون هذه العبادة بقدر ما كنتم مغرمين بها قبلا حينما كانت محرمة عليكم بأوامر ملوككم الأتقياء.

ب. من سعادة النفس أن تعطى بعض العلامات على شفقة الله ومحبته، غير أنكم ستطردون إلى أرض غريبة «حيث لا أعطيكم نعمة».

عدد ١٤– ٢١

ثمة مزيج من الرحمة والدينونة في هذه الأعداد، ويبدو أن بعضها يتطلع إلى أزمنة الإنجيل.

أولا: من المؤكد أن الله سينفذ دينونة ضدهم بسبب عبادتهم الأوثان. ولقد صدر القرار. فالله يرى كل آثامهم (ع ١٧). وكما أن علمه بكل شيء يدينهم، كذلك يدينهم عدله: «وأعاقب أولا إثمهم وخطيتهم ضعفين»، ليس ضعف ما يستحقون بل ضعف ما كانوا يتوقعون. أما الخطية التي يخاصمهم الله بسببها هي أنهم «دنسوا أرضي» (أرض الله) بوثنيتهم. والأوثان ما هي إلا «جثث مكرهاتهم ورجاساتهم». والله يكرهها، وينبغي علينا أيضا أن نكرهها. وسوف يثير ضدهم أدوات غضبه، فيطردونهم من أرضهم، طبقا للحكم الذي صدر ضدهم (ع ١٦): «هأنذا أرسل إلى جرافين كثيرين... إلى كثيرين من القانصين»، ويقصد بهذا الجيش البابلي، الذي ستكون له طرقه في اصطيادهم بالخداع مثل صيادي السمك، وبالقوة مثل صيادي الوحوش. وسوف يجدونهم أينما اختفوا، «عن كل جبل وعن كل أكمة ومن شقوق الصخور». وسوف يكون من شأن سبيهم في بابل أن يذوقوا عبودية أشد مرارة من تلك التي قاسوها في مصر، رؤساء عملهم يكونون أكثر قسوة، وحياتهم أشد مرارة، حتى أن خلاصهم من السبي في بابل سيجد منهم ترحيبا أكثر مما كان عليه الحال بالنسبة لخروجهم من مصر. ذلك أن عبوديتهم في مصر جاءت تدريجيا، أما تلك التي في بابل فجاءتهم في الحال، وبكل ما صاحبهما من

www.DIFA3IAT.com

ظروف أليمة رهيبة. في مصر كانت لهم بلدة أرض جاسان خاصة بهم، ولكن لم يكن الأمر كذلك في بابل. استخدموا في مصر كعبيد نافعين، أما في بابل فكانوا أسرى مبغوضين. وهذه الدينونات لها دلالاتها، فحين يؤدبهم الله فهو يعلمهم. وبهذه العصا يعنفهم الله (ع ٢٠): «هل يصنع الإنسان لنفسه آلهة؟» وسوف يعرفهم الله بالدينونات التي ينفذها. «ذلك هأنذا أعرفهم هذه المرة»، هذه المرة فقط، «أعرفهم يدي»، إلى أي مدى تستطيع أن تمتد، وكيف أنها تستطيع أن تجرح بعمق.

ثانيا: مع ذلك يذخر لهم من رحمته. لقد قيل بشيء من القسوة (ع ١٣) إن الله سيطردهم إلى أرض غريبة، ولكن تلى ذلك مباشرة كلمات تعزية.

(١) «ها أيام تأتي»، الأيام السعيدة، حين تجمعهم ثانية نفس اليد التي شتتتهم (ع ١٤ و١٥). لقد طردوا، ولكنهم لم يبادوا، ولم ينبذوا. «فأرجعهم إلى أرضهم» وأسكنهم هناك. أما العبارات التالية فيمكن أن تفهم على أنها وعد، فسوف يستدعي الله صيادين وقناصين، الماديين والفارسيين، سيجدونهم في البلاد التي تشتتوا إليها، ثم يرسلونهم إلى بلادهم.

(٢) خلاصهم من السبي في بابل يجب أن تفوق ذكراه ذكرى خلاصهم من مصر. والرحمة الجديدة ستكون مدهشة للغاية ومرحبا بها، حتى إنها ستطمس ذكرى الأول. فإخراج إسرائيل من مصر تم بالقوة والقدرة، أما خروجهم هذه المرة فكان بروح رب الجنود (انظر زكريا ٤: ٦). في هذه كانت هناك رحمة غافرة، لأن السبي في بابل كان يتضمن في ذاته عقوبات عن الخطية بأكثر مما كان عليه الحال بالنسبة للعبودية في مصر.

(٣) خلاصهم من السبي سوف يصاحبه إصلاح مبارك، وسوف يعودون بعد أن يكون قد تم شفاؤهم من ميولهم الوثنية. لقد دنسوا أرضهم «بجثث مكرهاتهم» (ع ١٨). ولكن بعد أن يعانوا بسبب عملهم هذا سوف يأتون ويتذللون أمام الله (ع ١٩– ٢١). وسوف يحملون على العودة إليه بسرعة نتيجة توبة الأمميين: «إليك تأتي الأمم من أطراف الأرض»، ألن نأتي نحن أيضا؟ ويعزي النبي نفسه على هذا الرجاء: «يا رب عزي وحصني»، لقد ارتحت الآن لأنك أعطيتني أن أتوقع مجيء أعداد غفيرة إليك «من أطراف الأرض» سواء من اليهود التائبين أو من الأمم الراجعين إليك. لقد كانوا يتعذبون نتيجة خطايا أسلافهم «إنما ورث آباؤنا كذبا وأباطيل وما لا منفعة فيه». لقد أدركنا الآن أننا خدعنا في عبادتهم الوثنية، التي لم توف بما وعدت، ولذلك، ما هي العلاقة التي تربطنا بها بعد الآن؟ سوف يقنعون أنفسهم بالخروج من وثنيتهم. والإصلاح الذي من المحتمل أن يدوم ويستمر هو الذي ينتج عن قناعة قومية بالحماقة الكبرى الموجودة في الخطية (ع ٢٠). وبهذا سيعطون مجدا لله، أنهم توصلوا إلى معرفة اسمه بما عرفوه من أعمال قوته (ع ٢١). وليس شيء سوى اليد القوية للنعمة الإلهية، التي تعرف بالاختبار، يمكنه أن يقودنا إلى أن نعرف اسم الله على نحو صحيح وكما أعلن لنا.

(٤) خلاصهم من السبي سيكون رمزا وتشبيها للخلاص العظيم الذي سيصنعه المسيح «ليجمع أبناء الله المتفرقين إلى واحد».

الأصحاح السابع عشر

أولا: الله يدين اليهود بخطية الوثنية ويحكم عليهم بالسبي نتيجة ذلك (ع ١ – ٤).

ثانيا: يبين لهم حماقة الاتكال على كل ما هو جسدي (ع ٥ – ١١).

ثالثا: لجوء النبي إلى الله بسبب حقد أعدائه عليه، حيث يسلم نفسه للحماية الإلهية، ويرجو الله أن يدافع عنه (ع ١٢ – ١٨).

رابعا: يحذر الله الشعب، عن طريق النبي، بأن يحفظوا السبت، مؤكدا لهم، أنهم إذا فعلوا ذلك سيطيل لهم فترة تمتعهم بالهدوء (ع ١٩ – ٢٧).

عدد ١ – ٤

تساءل الشعب (إر ١٦: ١٠): «فما هو ذنبنا وما هي خطيتنا التي أخطأناها؟»

أولا: أثبت الاتهام تماما على المساجين من ناحية الخطأ وحقيقته. ولا يستطيعون القول «غير مذنب» لأن خطاياهم مسجلة في ضمائرهم، وهي جلية وواضحة أمام الله (ع ١ و٢). وهي مكتوبة أمامه بحروف تقرأ

WWW.DIFA3IAT.COM

بغاية السهولة وبكل وضوح ولا يمكن محوها (تث ٣٢: ٣٤). وهي هنا «مكتوبة بقلم من حديد برأس من الماس»، وما كُتب على هذا النحو لن يمحوه الزمن. ولا يمكن أن تُنسى خطية الخطاة إلا بالغفران. وهي «منقوشة على لوح قلبهم»، وما نقش على القلب لا يمحى. ولسنا في حاجة إلى الذهاب إلى أبعد من ذلك لإثبات التهمة فتكفي «قرون» مذابحهم التي رش عليها دم ذبائحهم الوثنية. وسوف يشهد عليهم جيرانهم، حتى أولادهم سيذكرون مذابحهم وسواريهم التي أخذهم والدوهم إليها في صغرهم (ع ٢). وانحياز عقولهم تجاه أوثانهم لا يزال قويا كما كان، ولم تدفعهم كلمة الله أو تأديباته لكي يقللوا من افتتانهم بها. وهي مكتوبة «على قرون» مذابحهم لأنهم سلموا أسماءهم لأوثانهم وقيدوا أنفسهم بها كما بربط.

ثانيا: وإذ أثبت الاتهام على هذا النحو، فقد تأكد الحكم وتمت المصادقة عليه (ع ٣ و٤). وسوف تعطى خزائنهم لأيدي غرباء. وأورشليم هي جبل الله في الحقل، وقد بنيت على تل وسط السهل. «كل خزائن» هذه المدينة الثرية سيعطيها الله «للنهب»، و«جبلي» (هكذا كانت كل الأرض، مز ٧٨: ٥٤؛ تث ١١: ١١) حولتموه إلى «مرتفعات»، إذ عبدتم أصنامكم على «آكام مرتفعة» (ع ٢)، والآن «أجعل ثروتك، كل خزائنك للنهب، ومرتفعاتك للخطية في كل تخومك». سوف يحملون على التخلي عن ميراثهم، ويؤخذون للسبي في أرض غريبة (ع ٤). الخطية تعمل على قطع راحتنا وتحرمنا من التمتع بما أعطاه الله لنا. إلا أنه لمح بأنه عند توبتهم سيستردون كل ذلك ثانية. أما بالنسبة للوقت الحاضر فقد «أضرمتم نارا بغضبي» تتقد بشدة حتى تبدو وكأنها ستظل كذلك «إلى الأبد».

عدد ٥ - ١١

وعظة النبي لم تكن برمتها نبوية، بل جاء بعضها عمليا.

أولا: بشأن الإحباط والضيق اللذين لابد وأن يلما بأولئك الذين يعتمدون على ذراع البشر بالنسبة لنجاحهم وخلاصهم حين يقعون في ضيقات (ع ٥ و٦). «ملعون (يا لتعاسة) الرجل الذي يتكل على الإنسان»، لأنه يتكل على قصبة مرضوضة. والخطية التي شجبت هنا هي خطية «الذي يتكل على الإنسان ويجعل البشر ذراعه». الذراع الذي نعمل به والذي نتكل عليه في حمايتنا. فالله هو «عضد» شعبه. أما الشر العظيم في هذه الخطية هي أنها تبعد القلب الشرير غير المؤمن عن عبادة الإله الحي. والذين يتكلون على البشر يقتربون إلى الله بأفواههم لكن قلوبهم مبتعدة عنه حقا. والتعلق بالوعاء أو الصهريج معناه ترك الينبوع، ومن ثم أصبح أمرا يثير الغيظ. والذي يتكل على الإنسان يخدع نفسه (ع ٦) لأنه يكون «مثل العرعر في البادية»، وهي شجيرة تافهة نتاج أرض قاحلة، تراها واهنة لا فائدة منها ولا قيمة لها، وسوف يفقد كل سبل راحته، وسوف يذوي وتوهن عزيمته ويداس من كل من هم حوله. «ولا يرى إذا جاء الخير»، ولا يشارك فيه، وحين تتحسن الأوقات، لا تتحسن بالنسبة له، ولكنه «يسكن الحَرَّة في البرية»، وفيما يجمع الآخرون الحصاد، لا يكون لديه هو ما يجمعه. والذين يتكلون على برهم الذاتي، ويظنون أنه يمكنهم النجاح دون حاجة إلى نعمة المسيح، يجعلون الإنسان متكلهم، ولا يمكن لنفوسهم أن تنجح،، فهم لا يستطيعون أن ينتجوا ثمار العبادة المقبولة لله، أو يجنوا ثمار البركات المخلصة منه، يسكنون في أرض مجدبة.

ثانيا: بشأن الرضا الوفير الذي يتمتع به أولئك الذين كان الرب متكلهم، الذين يعيشون بالإيمان ويتكلون على محبته في أشد الأوقات صعوبة (ع ٧ و٨). وواجبنا هو أن نتكل «على الرب»، ونجعل من نعمته الخير الذي ننتظره، ومن قوته السند الذي نستند إليه. والذي يفعل ذلك يكون «كشجرة مغروسة على مياه»، شجرة ممتازة، أوليت عناية عظيمة لكي توضع في أحسن تربة. ويكون كشجرة «تمد أصولها»، راسخة ثابتة، وتنشرها «على نهر»، حيث تسحب من هناك كثيرا من حيويتها. والذين يجعلون الله رجاءهم يكونون في راحة، ويتمتعون بطمأنينة دائمة وراحة بال. والشجرة التي تغرس على هذا النحو، وتروى بهذا الشكل «لا ترى إذا جاء الحر»، ولا يصيبها أي ضرر من حرارة الصيف المحرقة، لأنها تترطب من جذورها

www.difa3iat.com

التي أُمنت تماما ضد القحط. وسوف يزدهرون مثل شجرة «ورقها أخضر»، ولا تذبل أوراقها، سيشعرون ببهجة في أنفسهم، ويكون منظرهم جميلا في عيون الآخرين. سيكونون راسخين في سلام ورضاء داخلي. «وفي سنة القحط» لا يخافون، حين لا يكون ثمة مطر لأنه كما أن الشجرة لها جذور في داخلها، هكذا يكون لها رطوبتها. ولا يجب أن يتملكنا القلق إذا ما انكسر خزان، مادام لنا المنبع. والذين يتكلون على الله، وبالإيمان يستمدون منه قوة ونعمة لا يكفون «عن الإثمار».

ثالثا: فيما يختص بخداع قلب الإنسان، والفحص الذي يتعرض له دائما من قبل الله (ع ٩ و١٠). إنه لمن الحماقة الاتكال على ذراع بشر، ليس لأنه ضعيف فحسب، بل زائف ومخادع. ونحن نعتقد أننا نتكل على الله مع أننا في الواقع لسنا كذلك، وهذا ما يتضح من أن آمالنا ومخاوفنا ترتفع وتنخفض طبقا للظروف التي نواجهها من نجاح أو فشل. هناك شر في قلوبنا نحن لا نشعر به ولا نشك في وجوده. ذلك أن «القلب»، (ضمير الإنسان)، في حالة فساده وسقوطه «أخدع من كل شيء». وهو يسمي الشر خيرا والخير شرا، وهو يضفي على الأمور ألوانا زائفة. وحين يقول الناس في قلوبهم إنه لا يوجد إله، أو أنه لا يرانا، فإنه في هذا وفي آلاف الحالات المماثلة، يكون القلب مخادعا. يكون الحال سيئا إذا ما كان الضمير الذي من واجبه أن يصحح أخطاء الملكات العقلية الأخرى، يكون هو نفسه أساس الزيف، وزعيم الخداع. ليس بمقدورنا أن نعرف حقيقة قلوبنا، ولا ما الذي ستفعله في ساعة التجربة (فلم يعرف ذلك حزقيا ولا بطرس). وعلى هذا فلا نستطيع بالأحرى أن نعرف قلوب الآخرين، أو نتكل عليها. وأيا كان الشر الذي في القلب الله يراه: «أنا الرب فاحص القلب». وهذا الحكم الذي يقوله عن القلب هو أنه يعطي كل واحد حسب طرقه حسب ثمر أعماله.

رابعا: بخصوص اللعنة التي تحل على الثروة التي تجمع عن طريق الظلم (ع ١١): «محصل الغنى بغير حق» على الرغم من أنه قد يجعل ذلك متكله، إلا أنه لن يحصل منه على الفرح إطلاقا. ومن يجمع ثروته عن طريق البطل واللسان الكاذب قد يمتدح نفسه لنجاحه، ويقول «أنا غني»، غير أنها ستؤخذ منه، أو يؤخذ هو منها. أما من يحصل على النعمة «في آخرته» يكون حكيما، وسيسعد بها في مماته وإلى الأبدية (أم ١٩: ٢٠)، غير أن الذين يرهنون سعادتهم على ثروات العالم سيندمون على حماقتهم بعد أن يكون الوقت قد فات. وهذا يشبه «حجلة تحضن ما لم تبض». فالغني يبذل طاقة عظيمة لكي ينشئ ضيعة كبيرة، ويحتضنها، ولكنه لا يحصل منها على أي عزاء أو شبع.

عدد ١٢ - ١٨

يعود النبي إلى تأملاته الخاصة وحده مع الله.

أولا: يعترف بفضل الله العظيم على شعبه بإقامته ديانة إلهية معلنة بينهم، وإكرامهم بوصاياه الإلهية (ع ١٢): «كرسي مجد مرتفع من الابتداء هو موضع مقدسنا». فالهيكل في أورشليم حيث أعلن الله حضوره الخاص، حيث يقدم الشعب ولاءهم لمليكهم، وحيث يهرعون إليه في وقت الشدة، كان «موضع» مقدسهم. وكان عرش القداسة، وعرش الله. وقد دعيت أورشليم «مدينة الملك العظيم»، ولم تدع مدينة ملك إسرائيل فحسب، بل ملك الأرض كلها، ولذلك كان حقا أن تعد المدينة الملكية للعالم. وكان ذلك «من الابتداء» (انظر ٢أخبار ٩: ٢٦). ويذكر إرميا هذا هنا، إما كمناشدة لله يلتمس بها رحمته بأرضهم، أو لبيان شناعة خطية شعبه بتركهم الله على الرغم من أن مجده كان بينهم.

ثانيا: يعترف ببر الله في تركه لهلاك أولئك الذين تذمروا على ولائهم له (ع ١٣). وهو يتكلم إلى الله مؤيدا عدالة دينونته: «أيها الرب رجاء إسرائيل»، الذين يلتصقون بك، و«كل الذين يتركونك يخزون». (اخزهم، كما يترجمها البعض)، وعلى ذلك فهذه عبارة يلتمس بها نعمته، لكي يخزوا ويتوبوا: «كل الذين يتركونني» (كما يترجمها البعض).. يتركون كلمة الله التي كرزت بها، اتركهم أنت يا الله، كما أن الذين عادوا إلى الله قيل إنهم عادوا إلى النبي (إر ١٥: ١٩). «الحائدون عني في التراب يُكتَبون». سوف يمحون سريعا، كما هو الحال بالنسبة لما هو مكتوب في التراب. لقد تركوا الرب ينبوع المياه الحية (أي ينابيع المياه) من أجل آبار مشققة.

ثالثا: وهو يصلي إلى الله لكي يمنحه رحمة شافية مخلصة. «اشفني يا رب... خلصني» (ع ١٤). لقد جرح في الروح لأسباب عديدة. فقد كان وبصفة دائمة معرضا لكراهية غير معقولة من الناس. ولكي يدعم هذا الالتماس نراه يرجو الله قائلا: «اشفني يا رب فأشفى». إذا ما ساندنا الله سوف نعيش، وإذا ما حمانا نكون آمنين. «إنك أنت تسبحتي» (كما في ترجمة أخرى) «أشفني»، خلصني، ويكون المجد لك.

رابعا: يشكو من خيانة الشعب الذي يكرز له ووقاحته البالغة. لقد أبلغهم برسالة الله بكل أمانة، فما الإجابة التي تلقاها ليبلغها للذي أرسله؟ «هم يقولون لي أين هي كلمة الرب. لتأت» (ع ١٥، انظر إشعياء ٥: ١٩). كانوا يسخرون من النبي سخرية شديدة. وينكرون صدق ما قاله: إذا كانت «هي كلمة الرب» تلك التي تكلمنا بها «لتأت»، لماذا لم تتحقق؟ لقد تحدوا ما قاله. ليفعل إلهك العظيم أقصى ما يستطيع، ليأت علينا كل ما قاله، لن يضيرنا من ذلك شيء، فالأسد ليس بالشراسة التي صور بها (انظر عاموس ٥: ١٨).

خامسا: يشهد الله عن قيامه بأداء الواجب الذي دعي إليه بكل أمانة (ع ١٦). لقد استمر ثابتا في أداء عمله. أما وظيفته، فعوض أن تكون حماية لنا، عرضته للاحتقار والأذى. ومع ذلك نراه يقول: «فلم أعتزل عن أن أكون راعيا وراءك»، لم أترك عملي. هكذا كان إرميا راعيا أمينا، فعلى الرغم من أنه لاقى إحباطا ومتاعب لم يصادفها أي إنسان، لكنه لم يهرب مثلما فعل يونان، ولم يرغب إعفاءه من القيام بأية مهمة في خدمة الله. بل وظل على محبته للشعب. وعلى الرغم من إساءاتهم البالغة له، كان متعاطفا معهم: «ولا اشتهيت يوم البلية». فيوم تحقق نبواته سيكون بالفعل يوم بلية لأورشليم، ولذلك تمنى لو لم يأت هذا اليوم إطلاقا. والله لا يحب موت الخطاة، ولذلك يجب على خدامه أن يكونوا مثله، بل بالأحرى أن يعودوا فتحيا نفوسهم. ولقد التزم إرميا بالتعليمات التي أخذها. وعلى الرغم من أنه كان بمقدوره أن ينال حظوة لدى الشعب لو لم يكن شديدا في توبيخه لهم، إلا إنه بلغ رسالته بكل أمانة.

سادسا: بكل تواضع، توسل إلى الله أن يؤيده ويحميه ويواصل معه بفرح في عمله الذي دعاه بكل وضوح إليه. وهو هنا يرغب في أمرين:

(١) أن يجد تعزية في خدمة الله الذي أرسله (ع ١٧): «لا تكن لي رعبا». وهو يستند إلى قوله: «أنت ملجأي»، ولذلك لن يخيفه أي شيء آخر. اتكالي عليك، ومن ثم «لا تكن لي رعبا».

(٢) أن يعطى شجاعة في تعامله مع الشعب الذي أرسل إليه (ع ١٨). فالذين كان يتعين أن يقبلوه ويشجعوه كانوا يضطهدونه. ولذلك قال: «ليخز طاردي» (ليخزوا من عنادهم، وإلا ستحيق بهم أخيرا الدينونات التي حذروا منها). «ولا أخز أنا»، لا تجعلني ارتعب من تهديداتهم حتى لا أخون الثقة التي وضعت فيَّ. أما بالنسبة لمضطهديه فقد صلى من أجلهم قائلا: «اجلب عليهم يوم الشر»، على أمل أن ذلك ربما يحول دون جلبه على الشعب.

عدد ١٩ – ٢٧

هذه الأعداد تشكل عظة بشأن تقديس السبت. وهذه الرسالة الخاصة بالسبت ربما أرسلت أيام يوشيا من أجل تقدم الإصلاح الذي بدأه. ويجب أن يعلن أولا عند «باب بني الشعب، الذي يدخل منه ملوك يهوذا ويخرجون منه» (ع ١٩). ويجب أن يخبروا بواجبهم أولا، لأنه إن لم يقدس السبت سوف يحاسب على ذلك «ملوك يهوذا». لأنه من المؤكد أنهم في هذه الحالة سيكونون مقصرين في واجبهم. وعليه أيضا أن يكرز بذلك عند كل «أبواب أورشليم» الأخرى. لأنه أمر بالغ الأهمية على المستوى العام ويجب أن يحاط الجميع علما بالأمر.

أولا: كيف يقدس السبت، وما هي شريعته (ع ٢١ و٢٢). يجب عليهم أن يستريحوا من أعمالهم الدنيوية يوم السبت. ولا ينبغي أن يحملوا «حملا» إلى داخل المدينة أو إلى خارجها. فحمولات القمح الخاصة بالفلاحين لا يجب حملها إلى الداخل، ولا يحمل السماد إلى خارجها، وهذا ما ينطبق أيضا على شئون التجار والتجارة. ولا يجب أن ترى في الشوارع والطرق أية خيول محملة، أو عربات أو شاحنات، ولا

ينبغي أن يكد الحمالون في ذلك اليوم، أو يحضر العبيد شيئا من المؤن أو الوقود. إنه يوم راحة، ولا يجب أن يحول إلى يوم تعب إلا في حالة الضرورة القصوى. «قدسوا يوم السبت»، أي قدسه لمجد الله، واقضه في خدمته وعبادته. ويجب تأجيل الأعمال العالمية في ذلك اليوم، حتى نركز على ذلك العمل الذي يتطلب ويستحق الإنسان بكليته: «تحفظوا»، لأنه سيكون هلاكك إذا سلبت الله حقه في ذلك الجزء من الوقت الذي خصصه لنفسه. لا تدع النفس تثقل بهموم هذا العالم في السبوت. وهذا ليس أمرا جديدا يفرض عليكم، ولكن «كما أمرت آباءكم».

ثانيا: كيف دنس السبت (ع ٢٣): لقد طولب آباؤكم أن يقدسوا السبت، «فلم يسمعوا... بل قسوا أعناقهم» ضد هذه الوصية وضد الوصايا الأخرى التي أعطيت لهم. وحين يهمل السبت سوف تتدهور كل العبادات الأخرى.

ثالثا: ما البركات التي يحتفظ بها الله لهم لو أطاعوا وقدسوا السبت (ع ٢٤– ٢٦). سيزدهر البلاط: فالملوك على التعاقب، و«رؤساء جالسون» على كرسي الحكم، سوف يدخلون في أبهة عظيمة وعلى خيل «في أبواب هذه المدينة»، أي أبواب أورشليم. سوف تذهر المدينة (أورشليم)، «المدينة المقدسة» سوف «تسكن... إلى الأبد»، ولن تخرب أو تخلى من سكانها، بحسب ما سبق أن هددوا به. سوف تزدهر البلاد: «مدن يهوذا... أرض بنيامين» سوف تعمر بأعداد غفيرة من السكان، يزدادون بأعداد كبيرة ويعيشون في سلام. وسوف تزدهر العبادة: «ذبائح وتقدمات ولبان... ذبائح شكر»، سوف يؤتى بها «إلى بيت الرب». والشعب يزدهر حقا إذا ازدهرت الديانة بينهم، نتيجة تقديس السبت، فإذا حفظ هذا الفرع من الديانة، ستحفظ فروع أخرى لها، غير أنه، إذا أهمل حفظ السبت، ستضيع العبادة سواء في الخرافات أو في تدنيس المقدسات. فروافد الديانة ككل تجري إما عميقة أو ضحلة، وهذا يعتمد على ضفاف السبت، هل يتم حفظها أم إهمالها.

رابعا: ما هي الدينونات التي يجب أن يتوقعوا أن تحل عليهم إذا ما أصروا على تدنيس السبت (ع ٢٧): «ولكن إن لم تسمعوا لي لتقدسوا يوم السبت»، تقفلوا الأبواب أيام السبوت، حتى يمنع دخول أي شيء غير ضروري، أو خروج أي شيء في ذلك اليوم– وإذا كسرتم سياج الناموس الإلهي، ووضعتم ذلك اليوم على قدر المساواة مع الأيام الأخرى، فأعلموا أن الله سوف يشعل «نارا في أبواب» مدينتكم. وعن حق تحرق تلك الأبواب التي لا تستعمل كما يجب من ناحية أن تغلق في وجه الخطية، وتحفظ الشعب في الداخل لكي يعملوا واجبهم.

الأصحاح الثامن عشر

أولا: طرق الله في معاملته مع الأمم والممالك (ع ١ – ٦). فإذا ما هدد بدمارهم، إلا أنه إذا ما تابوا سيعود إليهم في رحمته، وعندما يتجه نحوهم برحمته، فلا شيء سوى خطيتهم يوقف تدفق نعمته (ع ٧ – ١٠).

ثانيا: توضيح خاص بحماقة رجال يهوذا وأورشليم في تركهم إلههم لعبادة الأوثان (ع ١١ – ١٧).

ثالثا: شكوى النبي إلى الله من شر أعدائه وحقدهم وعدم عرفانهم، وصلواته ضدهم (ع ١٨ – ٢٣).

عدد ١ – ١٠

أُرسل النبي هنا إلى «بيت الفخاري»، ليس ليلقي عظة، بل ليعد واحدة، أو ليأخذ بالأحرى عظة تم إعدادها: «انزل إلى بيت الفخاري»، وراقبه كيف يقوم بعمله، وهناك بهمسات خافته «أُسمعك كلامي». هناك تتسلم رسالة لكي توصلها بعد ذلك للشعب. وعلى هذا ذهب النبي إلى بيت الفخاري (ع ٣) وراقبه وهو يعمل «على الدولاب». وحين تبين أن قطعة من الفخار كان يعتزم تشكيلها في شكل ما فوجدها إما صلبة أكثر من اللازم، أو بها حصى، أو فسدت «بيد الفخاري»، هنا قام بتحويلها إلى شكل آخر «كما حسن في» عينيه. ويمكن للخدام أن يحسنوا استعمال كلامهم عن أعمال هذه الحياة وشئونها إذا ما تعلموا أن يتكلموا على هذا النحو بمزيد من الوضوح والألفة مع الناس عن الأمور المختصة بالله، وتفسير المقارنات الكتابية. وفيما كان إرميا ينظر بكل اهتمام إلى عمل الفخاري، دفع الله إلى ذهنه هذين

www.difa3iat.com

الحقين العظيمين، اللذين يجب أن يكرز بهما إلى «بيت إسرائيل»:

أولا: الله له السلطان الذي لا يبارى والقدرة التي لا تقاوم لكي يصيغ الممالك والأمم ويشكلها بحسب ما يراه لخدمة مقاصده. «أما أستطيع أن أصنع بكم كهذا الفخاري» (ع ٦). وله حق واضح في سيادته علينا بأكثر مما للفخاري بالنسبة للفخار، لأن الفخاري يعطيه شكله فحسب، في حين أننا نأخذ مادتنا وشكلنا من الله– وهذا ما يشير إلى أن لله سيادة علينا لا يطعن فيها أحد. وسوف تكون حماقة من جانبنا أن نعارض هذا، مثلما تكون حماقة من الفخار (الطين) أن يتشاجر مع الفخاري. إنه أمر في غاية البساطة بالنسبة لله في أن يصنع بنا ما يحلو في عينيه. فمجرد لفة من اليد، أو من الدولاب تغير شكل الفخار تماما، فتعمله إناء، أو تهدمه ثم تعيد عمله. هكذا أيضا أوقاتنا في يد الله. وقد جاء الحديث هنا عن الأمم. وهذا ما نجد له تفسيرا في أيوب ١٢: ٢٣؛ مزمور ١٠٧: ٣٣ – ٣٤، قارن أيوب ٣٤: ٢٩. إذا فسدت آنية الفخاري بالنسبة لاستخدام ما، فإنها تستعمل لآخر، وأولئك الذين لا يكونون آنية رحمة، يكونون آنية عدل. لقد شكلنا الله من الطين (أي ٣٣: ٦). ونحن لا نزال كالطين في يد الله (إش ٦٤: ٨).

ثانيا: إنه، يشكلنا وفق عدالته وصلاحه، ويوزع نعمه بحسب ما يراه كسيد، ولكنه لا يعاقب إطلاقا دون وجه حق. وبالنسبة للدينونة فيجب أن نكون على يقين من إنها بسبب خطايانا– والتوبة العامة يمكنها أن توقف زحف الدينونة (ع ٧ و٨): إذا ما تكلم الله «على أمة وعلى مملكة بالقلع»، سواء بالنسبة لأسوارها التي تحميها، وبساتينها التي تثريها، حيث يهدم تحصيناتها وبذلك يهدمها، كما يهدم الكرم أو كما تهدم المدينة، في هذه الحالة، إذا تابت «تلك الأمة» عن خطاياها وأصلحت حياتها، ورجع كل واحد عن طرقه الشريرة وعاد إلى الله، فإن الله يعود إليهم برحمته. إنها حق لا ريب فيه، أن التحول بإخلاص عن شر الخطية سيكون مانعا فعالا من شر العقوبة، ويمكن لله أن يقيم الشعب التائب من حطامهم بنفس القدرة التي يستطيع بها الفخاري أن يعيد عمل الآنية الفخارية التي فسدت في يده. وعندما يأتينا الله بطرق الرحمة، فلن يعوق تقدم تلك الرحمة شيء سوى الخطية (ع ٩ و١٠). والخطية هي سبب الغضب العظيم بين الله وأي شعب، فهي تفقده فوائد وعوده وتتلف فاعلية صلواته، وتعطل مقاصد الله الطيبة نحو هذا الشعب (هو ٧: ١).

عدد ١١ – ١٧

تطبيق ما جاء في الأعداد السابقة على اليهود.

أولا: «هكذا قال الرب، هأنذا مصدر عليكم شرا وقاصد عليكم قصدا». أعمال الله في كل عملياتها تتجه لإهلاككم.

ثانيا: دعاهم أن يقابلوه بالتوبة والإصلاح وبهذا يمنعوا إجراءاته الأخرى ضدهم: «فارجعوا كل واحد عن طريقه الرديء»، وبهذه الطريقة يمكن أن يرجع الله عن الشر الذي انتوى أن يعمله معكم، وأن هذا التدبير الذي بدا وكأنه تشكل كآنية على الدولاب ضدكم، يمكن أن يطرح في الحال إلى شكل جديد. والنتيجة ستكون في صالحكم.

ثالثا: تنبأ بعنادهم ورفضهم الأحمق (ع ١٢) «فقالوا باطل». فنحن قد نيأس حتى من خلاصنا، لأننا مصرون على أن «نسعى وراء أفكارنا». وليس من فائدة تعود من قول الأنبياء أي كلام آخر لنا، لأن «كل واحد يعمل حسب عناد قلبه الرديء»، ولن يقيده الناموس الإلهي. وهم يسمون الحياة، كما يحلو لهم، بأنها حياة الحرية، مع أنه عندما يكون الإنسان عبدا لشهواته، فإنه يكون مقيدا بأسوأ أنواع العبودية.

رابعا: وبخهم بقسوة على حماقة عنادهم الشريرة، وكراهيتهم للإصلاح (ع ١٣): «اسألوا بين الأمم»، حتى بين أولئك الذين ليست لديهم ميزة الإعلان الإلهي، حيث ليس لديهم أقوال إلهية ولا أنبياء «من سمع كهذه؟» فحين حذر أهل نينوى على هذا النحو، رجعوا عن طرقهم الشريرة. غير أن «عذراء إسرائيل» تتحدى التوبة، مهما قال لها ضميرها، أو العناية الإلهية بعكس ذلك، ومن ثم «ما يقشعر منه جدا عملت عذراء إسرائيل». كان يتعين أن تحفظ نفسها طاهرة عفيفة لله، الذي زوجها لنفسه، لكنها تغربت عنه، وترفض العودة إليه. والإصرار على عدم التوبة هو أبشع

www.DIFA3IAT.com

نوعيات قتل النفس. وهذا هو «ما يقشعر منه جدا».

خامسا: وقد بيّن حماقتهم في أمرين:

(١) في طبيعة الخطية نفسها: لقد تركوا الله من أجل الأوثان (ع ١٤ و١٥): «هل يخلو صخر حقلي من ثلج لبنان. أو هل تنشف المياه المنفجرة الباردة الجارية» في حرارة الصيف؟ حين يظمأ الناس بسبب الحرارة والجفاف، ثم يتقابلون مع نهيرات من المياه الباردة المنعشة، لابد وأن ينتفعوا منها. وفي هامش إحدى الترجمات قرأ العدد السابق هكذا: هل المسافر على الطريق يترك حقولي، التي هي سهلة ومستوية من أجل صخرة، جامدة صلبة، أو من أجل «ثلج لبنان» الذي إذ يكون في كتل كبيرة يجعل الطريق غير قابل للعبور؟ أو هل تترك المياه الجارية من أجل المياه الباردة الغريبة؟، «لأن شعبي قد نسيني» (ع ١٥)، تركوا «ينبوع المياه الحية» لينقروا «آبارا مشققة». «بخروا للباطل»، للأوثان التي تتظاهر بعكس ما هي عليه في حقيقتها، بل ولا تستطيع أن تعمل ما ينتظر منها. تركوا «السبل القديمة» التي عينها الناموس الإلهي، والتي سار فيها جميع القديسين، إنه الطريق السليم الذي يوصلهم إلى نهاية رحلتهم آمنين. غير أنه، حينما نصحوا أن يلتزموا بالسبل القديمة القويمة، قالوا بكل إصرار إنهم لن يفعلوا ذلك (إر ٦: ١٦). لقد اختاروا مسالك جانبية، ساروا «في طريق غير مسهل»، وليس في الطريق العام.. طريق الملك. هكذا كان طريق الوثنية.

(٢) في العواقب الوخيمة لها: النتيجة المباشرة لتلك الخطية هي خراب الأرض: «لتجعل أرضهم خرابا»، وبالتالي يجلبون على أنفسهم البؤس. و«كل مار فيها يدهش وينغض رأسه»، والبعض يدهشون، وآخرون يرثون لها، وهناك من يشمتون لخراب بلد كانت «فخر كل الأراضي»، ومتابعة لخرابهم، وجاء التهديد (ع ١٧) «كريح شرقية» شديدة وعنيفة «أبددهم». أما الذي يكمل بؤسهم فهو أني «أريهم القفا لا الوجه في يوم مصيبتهم». وبمقدورنا أن نتحمل الكوارث التي تصادفنا بكل سهولة إذا نظر الله تجاهنا، واظهر رضاءه عنا، أما إذا أعطانا «القفا»، وإذا أظهر غضبه علينا، وإذا تركنا لأنفسنا، فنحن لا محالة هالكون.

عدد ١٨ - ٢٣

يعرض النبي هنا شئونه الخاصة من أجل تعليمنا:

أولا: الوسائل الشائعة لدى المضطهدين، أعداء إرميا (ع ١٨).

(١) يجتمعون للتشاور معا فيما يجب عمله ضده، لكي ينتقموا منه بسبب ما قاله لهم، ولكي يسدوا فمه بالنسبة للمستقبل. «فقالوا هلم فنفكر على إرميا أفكارا»، ليس ضد شخصه فحسب، بل ضد الكلام الذي قاله لهم.

(٢) في ذلك تظاهر بغيرة شديدة على العبادة، التي قالوا إنها معرضة للخطر إذا ما ترك إرميا يعظ على النحو الذي ينتهجه. وقالوا: «هلم» نخرسه ونحطمه، «لأن الشريعة لا تبيد عن الكاهن» (ع ١٨)، «شريعة الحق كانت في فيه» (ملا ٢: ٦)، وهناك سنطلبها، وعمل الفرائض في أيديهم، ولن ينزع منهم هذا الأمر أو ذاك. وقد لمحوا هنا إلى أمرين:

أ. إن إرميا لا يمكن أن يكون نبيا حقيقيا، وما هو إلا مدع، لأنه لم يكن مكلفا من قبل الكهنة أو يتفق في الرأي مع الأنبياء الآخرين.

ب. موضوع نبواته لا يمكن أن تكون من الله، لأنها تتناول أحيانا الأنبياء والكهنة (إر ٥: ٣١)، وهو يخدع الشعب (إر ١٤: ١٤). وسبق أن تنبأ بأنهم يعدمون قلوبهم ويتحيرون ويتعجبون (إر ٤: ٩)، وأن الحكماء يخزون ويرتاعون (إر ٨: ٩ و١٠)، وأن الكهنة والأنبياء سيمتلئون سكرا (إر ١٣: ١٣).

(٣) اتفقوا على بذل كل ما في وسعهم للقضاء على سمعته: «هلم فنضربه باللسان».

(٤) ليضعوا مثالا للآخرين، فقد أصروا على ألا يهتموا لأي شيء قاله. «ولكل كلامه لا نصغِ»، لأنه أيا كان ما قاله، صوابا أو خطأ فإنهم سيعتبرونه كلامه هو وليس كلام الله.

(٥) عقدوا العزم على القضاء عليه والتخلص منه، لكي يسكتوه تماما (ع ٢٣): «كل مشورتهم عليَّ للموت»، هم يسعون وراء حياتي الثمينة.

ثانيا: وسيلة نجاة المضطهدين. بمقدورنا أن نرى هذا في السبيل الذي سلكه إرميا. لقد التجأ في الحال

إلى الله بالصلاة.

(١) سلم نفسه وقضيته ليد الله (ع ١٩). فهم لن يسمعوا لأي كلمة يقولها، ولن يستمعوا لشكاواه، ولا يبالون بما يضايقه، ولكنه قال: «أصغ لي يا رب».. اسمع صوت خصومي، وانظر إلى ضجيجهم وصخبهم، وكيف أن كل ما يقولونه شرير وزائف، لتحكم عليهم من كلامهم، لتقع «ألسنتهم على أنفسهم».

(٢) يشكو من شر جحودهم عليه (ع ٢٠): «هل يجازى عن خير بشر»، وهل يمر الشر بدون عقاب؟ ألن تعوضني خيرا عن هذا الشر؟ «لأنهم حفروا حفرة لنفسي»، لقد استهدفوا أن يقضوا على حياته بطريقة شريرة جبانة وفي سرية تامة «حفروا حفرة» له، ولم يكن حولها سور (مز ١١٩: ٨٥). ولكن كم كان الخير الذي صنعه لهم عظيما: «اذكر وقوفي أمامك لأتكلم عنهم بالخير»، كان يتشفع لدى الله من أجلهم. غير أنه لم يكن بالأمر الغريب بالنسبة لأولئك الذين نسوا إلههم ألا يعرفوا أفضل أصدقائهم. كان هذا الأمر يحزنه جدا، كما كان الحال كذلك أيضا بالنسبة لداود (مز ٣٥: ١٣؛ ١٠٩: ٤) ومقابل صداقتي اتهموني. هكذا يتعامل الخطاة مع الشفيع الأعظم، يصلبونه من جديد، ويتكلمون ضده على الأرض في الوقت الذي يتشفع دمه من أجلهم في السماء. كانت تعزية للنبي أنه في الوقت الذي كانوا فيه على هذا النحو من البغضة ضده، كان ضميره يشهد له بأنه عمل واجبه نحوهم.

(٣) استمطر عليهم دينونات الله، ليس بدافع الانتقام بل لغضبه على شرهم (ع ٢١- ٢٣). وقد صلى:

أ. أن تجوع عائلاتهم لنقص الخبز.

ب. أن يقطعوا بسيف الحرب.

ج. أن تأخذهم ويلات الحرب ورعبه على حين غرة، حتى تتناسب عقوبتهم مع خطيتهم (ع ٢٢).

د. أن يتم التعامل معهم بما تستحقه هذه الخطية، التي لم تكن تغتفر.

هـ. أن يكون في غضب الله عليهم هلاكهم: «ليكونوا متعثرين أمامك». وهذا لم يكتب لكي نقلده. فإرميا كان نبيا، وبدافع من روح النبوة، إذ كان يعرف بالخراب الذي من المحتم أن يحل بمضطهديه، رفع هذه الصلاة التي لا يحق لنا أن نرفع مثلها، فقد علمنا سيدنا، بحسب وصيته ومثاله قائلا: «باركوا لاعنيكم. أحسنوا إلى مبغضيكم».

الأصحاح التاسع عشر

يتناول هذا الأصحاح نفس الموضوع المحزن الذي طرقته الأصحاحات السابقة- الدمار الوشيك المزمع أن يحل على يهوذا وأورشليم بسبب خطاياهم.

أولا: يجب أن يضع لهم خطاياهم بالترتيب أمامهم (ع ٤ و٥).

ثانيا: عليه أن يصف الدينونات المعينة التي ستنزل عليهم بسرعة (ع ٦- ٩).

ثالثا: عليه أن يفعل ذلك في وادي توفة، في احتفال كبير (ع ٢ و٣).

رابعا: عليه أن يستدعي جماعة من الشيوخ معا ليكونوا شهودا على ذلك (ع ١).

خامسا: وعليه أن يؤكد ذلك بعلامة، وهي كسر إبريق من الفخار، الأمر الذي يشير إلى أنهم سيكسرون إلى قطع مثل آنية الفخاري (ع ١٠ - ١٣).

سادسا: بعد أن يفعل هذا في وادي توفة عليه أن يصادق على ذلك في دار الهيكل (ع ١٤ و١٥).

عدد ١ - ٩

أُرسل النبي هنا ليبلغ رسالة كثيرا ما سبق له أن أبلغها.

أولا: عليه أن يأخذ من الشيوخ ورؤساء الشعب من الهيكل والدولة ليحضروا ويكونوا شهودا على ما يقوله: «من شيوخ الشعب ومن شيوخ الكهنة». وعلى الرغم من أن معظم الشيوخ كانوا ساخطين عليه، إلا أنه من المحتمل أنه كانت هناك قلة منهم ممن كانوا ينظرون إليه باعتباره نبيا للرب، وسوف يحترمون رؤياه السمائية.

ثانيا: ينبغي عليه الذهاب إلى وادي ابن هنوم، ويسلم هذه الرسالة هناك، لأن «كلمة الرب» ليست مرتبطة بمكان محدد، فالعظة يمكن إلقاؤها في وادي

توفة، كما يمكن إلقاؤها أيضا عند باب الهيكل. لقد كرز المسيح من على جبل، ومن فوق سفينة. ولكن هذه العظة يجب أن تلقى في وادي ابن هنوم:

(١) لأنه هناك قاموا بأشر ممارساتهم الوثنية، حيث قدموا أولادهم محرقات لمولك. ولعل رؤيتهم لذلك المكان تذكرهم بما فعلوه.

(٢) لأنه هناك يجب أن يعانوا أقسى نكباتهم. كان ذلك المكان هو المزبلة العامة للمدينة، ليروا أي منظر كئيب ستصبح عليه هذه المدينة الرائعة حينما تصبح مثل وادي توفة تماما. وقد أمره الله أن «ناد هناك بالكلمات التي أكلمك بها» حين تذهب إلى هناك. الرسائل التي يبعث بها الله لا يكشف عنها عادة للأنبياء قبل أن يحين موعد إبلاغها.

ثالثا: عليه أن يصدر إعلانا عاما بأن هلاكا شاملا سيحل قريبا بيهوذا وأورشليم (ع ٣). «اسمعوا كلمة الرب». على الرغم من أنها كلمة رهيبة، لكن يجب على كل من الحكام والمحكومين يجب أن يستمعوا إليها. فالملك ومستشاروه يجب أن يسمعوا كلمة ملك الملوك، فمهما بلغوا من علو المكانة إلا أنه أعلى منهم. كذلك «سكان أورشليم» يجب عليهم أن يسمعوا أيضا ما الذي يريد الله أن يقوله لهم. فكل من الرؤساء والشعب كأمة اشتركوا في الإثم معا، لذلك يجب أن يتفقوا في التوبة معا، وإلا سيحل عليهم جميعا الدمار الشامل. دمار بيت عالي الذي وصف في ١ صموئيل ٣: ١، ودمار أورشليم الذي وصف في ٢ ملوك ٢١: ١٢.

رابعا: عليه أن يخبرهم بكل وضوح ما هي خطاياهم (ع ٤ و٥). اتهموا بالارتداد عن الله «تركوني» وأساءوا استغلال مزايا الهيكل المرئي الذي كان موضع كرامتهم– «وأنكروا هذا الموضع وبخروا فيه لآلهة أخرى». اتهمهم بحبهم وعبادتهم «لآلهة أخرى لم يعرفوها هم ولا آباؤهم». اتخذوها آلهة لهم بطريقة عشوائية، لأنهم كانوا مغرمين بالحداثة والتغيير، ولقد فضلوها لأن الأنماط الجديدة في الديانة وفي الأمور الأخرى كانت ترضي رغباتهم. ثم إنهم اتهموا أيضا بالقتل، القتل العمد، وبشكل بغيض: «وملأوا هذا الموضع من دم الأزكياء». كما لو أن الوثنية والقتل إذا ارتكبوا على حدة، لم يكونا كافيين في شرهما، ولذلك جمعوا بينهما في جريمة واحدة مركبة، وهي حرق أولادهم في نار البعل (ع ٥).

خامسا: عليه أن يقنعهم بعظم الخراب المزمع أن يحل بهم. ويتعين أن يخبرهم أن «وادي ابن هنوم» هذا سيكون له اسم جديد هو «وادي القتل» (ع ٦)؛ لأن كثيرين «يسقطون بالسيف» هناك (ع ٧)، وذلك إما في خروجهم لمهاجمة من يحاصرونهم فيدحروا، أو في محاولة هروبهم فيقبض عليهم. أما بالنسبة لأولئك الذين يبقون داخل المدينة ولن يستسلموا لمن يحاصرونهم فسوف يهلكون نتيجة نقص الطعام– بعد أن يأكلوا «لحم بنيهم ولحم بناتهم» وذلك «في الحصار والضيق الذي يضايقهم به أعداؤهم». أخيرا ستدمر المدينة برمتها. فالمكان الذي جعلته القداسة «فرح كل الأرض» أصبح خزي وعار الأرض كلها.

سادسا: عليه أن يؤكد لهم أن كل محاولاتهم منع أو تجنب ذلك الهلاك لن تكون مجدية ولن تفلح طالما أنهم مستمرون في عدم التوبة وعدم الإصلاح (ع ٧): «وأنقض مشورة يهوذا وأورشليم في هذا الموضع». فليس هناك من يستطيع الهروب من عدالة الله سوى عن طريق الهروب إلى رحمته.

عدد ١٠ – ١٥

دعمت هنا الرسالة التي سلمت في الأعداد السابقة:

أولا: بعلامة ظاهرة: كان على النبي أن يأخذ معه «إبريق فخاري» (ع ١)، وبعد أن يبلغ رسالته يقوم بكسر «الإبريق» (ع ١٠). لقد شبه هذا الشعب في الأصحاح السابق بطين الفخاري، الذي يمكن أن يفسد بسهولة أثناء العمل. وقد يقول البعض إن هذا قد انتهى أمره بالنسبة لنا لقد صنعنا واكتسبنا صلابة منذ أمد بعيد، لكن على الرغم من أنكم قد تكونون هكذا فعلا، إلا أنه يقول: إن آنية الفخاري يمكن أن تكسر في يد أي إنسان مثلما تلفت الآنية في يد الفخاري حين كانت لا تزال طينا لينا، بل وحالتها من هذه الناحية تكون أسوأ لأن الآنية فيما كانت لا تزال طينا لينا، فإنها على الرغم من أنها فسدت إلا أنه يمكن

تشكيلها ثانية، غير أنه بعد أن اكتسبت صلابة، لا يمكن جمعها ثانية في حالة كسرها. التعليم بالرموز كان يستعمل في العصور القديمة.

(١) وكما أن الوعاء انكسر بسهولة ودون إمكانية استعادته ثانية، هكذا سيكسر الجيش البابلي «يهوذا وأورشليم» (ع ١١). لقد اعتمدوا كثيرا على صلابتهم وثبات شجاعتهم، الأمر الذي اعتقدوا أنه أكسبهم صلابة مثل وعاء من نحاس، ولكن النبي يبين لهم أن كل ما فعلوه لم يعطهم إلا صلابة أناء من الطين، والذي، على الرغم من صلابته تجده هشا، يكسر بسهولة أكثر من ذاك الذي ليس صلبا مثله. الله الذي صنعهم قرر أن يهلكهم: «هكذا أكسر هذا الشعب وهذه المدينة»، أحطمهم قطعا قطعا «كما يُكسر وعاء الفخاري»، مصير الأمم (مز ٢: ٩؛ رؤ ٢: ٢٧)، أما الآن فمصير أورشليم (إش ٣٠: ١٤). ثم إن «وعاء الفخاري»، إذا ما كسر «لا يمكن جبره»، ولا يمكن إصلاحه. هكذا ستخرب أورشليم تماما ولا يمكن ليد أن تصلحها إلا يد ذاك الذي كسرها. لكن إذا رجعوا إليه فإنه يشفي على الرغم من أنه كسرهم.

(٢) ذلك عُمل في توفة، للإشارة إلى أمرين:

أ. «في توفة يدفنون حتى لا يكون موضع للدفن» (ع ١١).

ب. «وأجعل هذه المدينة مثل توفة» (ع ١٢). وكما أنهم ملأوا وادي توفة بالقتلى الذين قدموهم ذبائح لأوثانهم، فهكذا سيملأ الله أيضا المدينة كلها بالقتلى الذين يسقطون ذبائح لعدل الله. فجثث الموتى، وقذارة المدينة الأخرى حملت إلى هناك وكانوا يحتفظون بنار توقد بصفة مستمرة لحرقها. كان مكانا مقيتا للناظرين، وبلغة أيام وجود المخلص بالجسد كان يسمى جهنم، إشارة إلى وادي ابن هنوم. «وتكون بيوت أورشليم وبيوت ملوك يهوذا كموضع توفة نجسة»، (ع ١٣)؛ بسبب الممارسات الوثنية التي ارتكبت هناك. وأسطح منازلهم المسطحة كان الاتقياء يستخدمونها كأماكن تصلح للصلاة (أع ١٠: ٩)، واستخدمها الوثنيون كمرتفعات قدموا منها ذبائح لآلهة أخرى ولاسيما «لكل جند السماء» الشمس والقمر والنجوم. ونقرأ عن أولئك «الساجدين على السطوح لجند السماء» (صف ١: ٥). تلك الخطية التي كانت تمارس على أسطح البيوت جلبت لعنة على البيت.

ثانيا: باعترافه وتصديقه على ما قاله «في دار بيت الرب» (ع ١٤ و١٥)، عاد النبي من توفة إلى الهيكل الذي كان قائما على تل مطل على هذا الوادي، وهناك أكد ما سبق وقاله في وادي توفة.

(١) تحقيق النبوات من خلال الدينونة التي تم التهديد بها. كان الشعب يخدعون أنفسهم بمظنة أن التهديد لم يكن يرمي إلا إلى إخافتهم، غير أن النبي يقول لهم إنهم إنما يخدعون أنفسهم: «هكذا قال رب الجنود»، القادر على أن ينفذ ما يقوله: «هأنذا جالب على هذه المدينة وعلى كل قراها كل الشر الذي تكلمت به عليها». وسوف يظهر الله مخوفا رهيبا ضد الخطية والخطاة على النحو الذي جاء في الأسفار المقدسة.

(٢) احتقار النبوات كان الخطية التي اتهموا بها هنا. «لأنهم صلبوا رقابهم فلم يسمعوا لكلامي».

الأصحاح العشرون

هذا التعامل الصريح، لو لم يقنع الناس ويحملهم على الاتضاع، فإنه سيغيظهم ويثير غضبهم:

أولا: اضطهد فحشور إرميا لإلقائه هذه العظة (ع ١ و٢).

ثانيا: ثم تهديد فحشور لقيامه بذلك، وتأكد الكلام الذي كرز به إرميا (ع ٣– ٦).

ثالثا: اشتكى إرميا إلى الله بخصوص هذا الأمر (ع ٧ – ١٠)،كان يشجع نفسه بالله، ويقدم له شكواه، ولا يشك في أنه رغم كل الظروف سيلهج بتسبيحه (ع ١١– ١٣)، ومع ذلك فإنه في غضبه لعن يوم مولده (ع ١٤– ١٨)، الأمر الذي يبين أنه كان إنسانا تحت الآلام مثلنا.

عدد ١ – ٦

أولا: غضب فحشور على إرميا دون وجه حق، ونتائج هذا الغضب (ع ١ و٢). كان فحشور كاهنا، لذلك كان من واجبه حماية إرميا، الذي كان كاهنا مثله، بل وبالأكثر لأنه كان كاهنا للرب، وكان يجب على الكهنة أن يراعوا مصالحه. لكن هذا الكاهن كان من الظالمين. كان فحشور بن إمير، أي أنه كان في

www.DIFA3IAT.com

القرعة السادسة عشرة، حيث كان إمير أبا حين أقيمت هذه القرعة لأول مرة بواسطة داود (١أخ ٢٤: ١٤). وهكذا فإن فحشور هذا ميز بينه وبين شخص آخر يحمل نفس الاسم جاء ذكره في إرميا ٢١: ١، والذي كان في القرعة الخامسة. وفحشور هذا هو «ناظر أول في بيت الرب»، ولعله شغل هذه الوظيفة لفترة قصيرة، والقرعة التي كان يترأسها كانت في الخدمة. لقد كان هذا من ألد أعداء إرميا. ليس بمقدورنا افتراض أن فحشور كان واحدا من بين الذين صاحبوا إرميا إلى وادي توفة لسماعه يتنبأ، ولكن، حين أتى إلى دار بيت الرب (ع ١)، سمع أن «إرميا يتنبأ بهذه الكلمات»، ولم يستطع تحمل أن يتجرأ إرميا ويكرز في دار بيت الرب، «وهو ناظر أول» فيه، دون أن يحصل على إذن منه. وإذ أثير سخطه الشديد على إرميا فإنه:

(١) «ضرب فحشور إرميا»، وذلك خلافا للناموس، لأنه كان يجب استشارة رئيس الكهنة، وكذلك الكهنة، ليفحصوا إرميا أن كان يستحق الضرب أم لا. ولكن هذه القواعد تم إغفالها على اعتبار أنها مجرد شكليات، وسواء كان إرميا على صواب أم على خطأ، يجب القضاء عليه.

(٢) «جعله في المقطرة». وقد بقي هناك طوال الليل، وفي مكان عام أيضا «في باب بنيامين الأعلى الذي عند باب بيت الرب»، ولعلها بوابة تقع بين المدينة والهيكل. وكان يقصد فحشور بذلك أن يعاقبه ويعرضه للاحتقار، حتى لا يعبأ به أحد إذا ما تنبأ بالفعل.

ثانيا: غضب الله العادل ضد فحشور. «وكان في الغد أن فحشور أخرج إرميا من المقطرة» (ع ٣). وكان لدى إرميا رسالة من الله لفحشور. وحين أخرجه من المقطرة، وضع الله كلمة في فم النبي، لتوقظ ضمير فحشور، إذا كان عنده ضمير.

(١) هل أراد أن يعزز مركزه بإخراسه شخصا أخبره عن أخطائه، ومن المحتمل أن يهدد سمعته لدى الناس. ولكنه لن يسمح له بتحقيق هذا الهدف، لأنه:

أ. على الرغم من سكوت النبي، فإن ضمير فحشور سيؤنبه دائما. لتأكيد ذلك سيعطى اسم «مجور مسابيب» أي الرعب من كل ناحية، أو الخوف من كل جانب. ويبدو أنه قول مأثور، يشير إلى رجل يائس، خائف من كل شيء. «الشرير يهرب ولا طارد» في خوف عظيم حيث لا يكون ثمة خوف. هكذا سيكون حال فحشور (ع ٤): «هأنذا اجعلك خوفا لنفسك»، وخيالك سيخلق لك قلقا مستديما. وأولئك الذين يرفضون أن يسمعوا عن أخطائهم من أنبياء الله، سوف يجبرون على سماعها من ضمائرهم، التي توبخهم من داخل صدورهم: «هأنذا أجعلك خوفا... لكل محبيك»، ستظهر أمام كل أصحابك وقد تملكك رعب عظيم حتى إنهم سيختارون أن يبتعدوا عنك ويتركوك في عذابك.

ب. سيتخلى عنه كل أصدقائه. سيجعله الله يعيش في بؤس، مثل قايين في أرض القلق، وفي رعب دائم حتى إنه أينما ذهب يثار سؤال: ما الذي يحمل هذا الرجل على أن يكون في رعب دائم؟ وستكون الإجابة: إن يد الله عليه لوضعه إرميا في المقطرة. وأصحابه الذين من المفروض فيهم أن يساعدوه فسوف يسقطون «بسيف أعدائهم» وعيناه تنظران.

ج. سيكتشف أن الغضب الإلهي في انتظاره (ع ٦)، ثم إنه وعائلته يذهبون «في السبي»، بل «وتأتي إلى بابل»، حيث يموت مسبيا ويدفن في قيوده هو وكل محبيه. هذا هو المصير الذي ينتظره فحشور.

(٢) هل كان يرمي إلى تهدئة الناس، ومنع الخراب الذي يتنبأ به إرميا، وبتدمير سمعته يسقط كلامه إلى الأرض؟ يبدو من آية ٦ أنه أقام من نفسه نبيا وقال للشعب أنه سيكون لهم سلام. لقد تنبأ «لهم بالكذب»، وبالنظر إلى أن نبوءة إرميا كانت تتعارض مع أقواله فمن ثم وقف ضده وعاداه. ولكن هل يستطيع أن يحقق ما يصبو إليه؟ لقد التزم إرميا ولم يتراجع عما قاله ضد يهوذا وأورشليم.

أ. سوف تخرب المدينة (ع ٤): «وأدفع كل يهوذا ليد ملك بابل». لقد كانت مدينة الله، ولكنه سيغير الآن اسمها إلى مدينة نبوخذراصر، الذي سوف يكون سيدا للبلاد ويحكم أهلها كما يحلو له، ولن يفلت أحد منه.

ب. سوف تخرب المدينة أيضا (ع ٥). سوف يستولى ملك بابل على كل ما هو ثمين فيها وينقله إلى بابل. سوف يستولى على مخازنهم العسكرية (سميت هنا «ثروة هذه المدينة») ويستخدمها ضدهم.

وسوف يأخذ كل سلعهم وبضائعهم والتي أشار إليها هنا بكلمة «كل تعبها». سوف يسلب بيوتهم الرائعة ويأخذ أثاثاتها والتي دعيت هنا «مثمناتها»، ويأخذ مجوهرات التاج «وكل خزائن ملوك يهوذا».

عدد ٧ - ١٣

كان إرميا هنا، بحسب ضعف الجسد، يتألم في داخل نفسه بشكل غريب. ويبدو من هذه الأعداد- وبمناسبة الأذى البالغ الذي ألحقه فحشور به- أنه كانت ثمة معركة تدور في نفسه بين فضائله ومفاسده.

أولا: هنا عرض حزين للأذى الذي لحق به، وهو يشكو من أنه:

(١) تعرض للاستهزاء والسخرية: كانوا يسخرون من أي شيء يقوله أو يعمله (ع ٧ و٨): «صرت للضحك كل النهار كل واحد استهزأ بي». وما الذي عرضه للاحتقار والاستهزاء به على هذا النحو؟ لم يكن ذلك إلا نتيجة قيامه بمهمته بأمانة وغيرة (ع ٨). لم يستطيعوا أن يجدوا شيئا للسخرية منه سوى كرازته، «كلمة الرب صارت لي للعار». ولقد سخروا منه لأمرين:

أ. «كلما تكلمت صرخت». كان دائما واعظا حماسيا مثيرا، ومنذ أن شرع يتكلم باسم الله فكان دائما يتكلم بحماسة: «كلما تكلمت صرخت»، ولم أكن أخشى شيئا. والوعاظ المفعمون بالحيوية تراهم موضع احتقار المستمعين الكسالى غير المؤمنين.

ب. موضوع كرازته. «ناديت ظلم واغتصاب». أثبت أنهم يلجأون للظلم والاغتصاب في معاملتهم بعضهم بعضا، ولذلك تنبأ بظلم واغتصاب يحيقان بهم عقابا لهم، وبالنسبة للشق الأول سخروا منه باعتباره كلاما غير صحيح، أما بالنسبة للشق الثاني فباعتباره أنه يدل على السذاجة المفرطة. كان هذا أمرا سيئا بالفعل، ولكنه اشتكى من أمور أخرى.

(٢) أنهم كانوا يتآمرون ضده ويدبرون لهلاكه، فلم يكتفوا بالسخرية منه كرجل ضعيف، بل وبخ وقدم كرجل شرير يشكل خطرا على الدولة (ع ١٠). غير أنه كان هناك من يتصرف بمزيد من الخبث.

أ. تكلموا عليه بالسوء في غيابه «لأني سمعت» بصفة غير مباشرة «مذمة من كثيرين. خوف من كل جانب» (من ماجور مسابيب كثيرين، كما يترجمها البعض) أي من رجال كثيرين من أمثال فحشور كانوا يصورون إرميا باعتباره رجلا يزرع الخوف والغيرة من كل ناحية في أذهان الشعب، وبذلك يشعرون بالقلق من الحكومة وينزعون إلى التمرد. وهنا نرى كيف دبر أعداء إرميا هذا الأمر: «اشتكوا، فنشتكي عليه». ليبلغ عن أي شر ننسبه له بحيث تعتبره الحكومة أمرا بغيضا، وعلى الرغم من زيفه، فسوف نؤيده، وننشره بين الشعب ونبالغ فيه.

ب. كانوا يتملقونه في وجوده، حتى يستخلصوا منه شيئا يقيمون على أساسه اتهامهم، تماما مثلما فعل الجواسيس الذين أتوا إلى المسيح (لو ٢٠: ٢٠؛ ١١: ٥٣ و٥٤). إذا ما عاملناه بلطف، نستطيع أن نتملقه ليقول بعضا من كلمات الخيانة، وعندئذ «نقدر عليه وننتقم منه» لإخبارنا عن أخطائنا، وتهديده لنا بدينونة الله.

ثانيا: وهنا إشارة إلى التجربة التي تعرض لها في محنته هذه.

(١) جرب بأن يخاصم الله لجعله نبيا، لقد بدأ ذلك بقوله (ع ٧): «قد أقنعتني يا رب فاقتنعت». وهذه لغة تنم عن جهل إرميا وضعفه. كان يعرف كيف اضطهد الأنبياء الذين كانوا قبله، ولم يكن لديه أي داع لأن يتوقع معاملة أفضل. وسبق أن قال له الله بكل وضوح أن ملوك يهوذا ورؤسائها وكهنتها وشعب الأرض يحاربونك (إر ١: ١٨ و١٩). وهكذا أخبر المسيح أيضا تلاميذه عن المقاومة التي سيواجهونها لكي لا يعثروا (يو ١٦: ١ و٢). غير أن العبارة يمكن أن تترجم على هذا النحو «لقد أغريتني بالقبول، فقبلت». وهذا ما يتفق بالأكثر مع ما جاء بعد ذلك. لم يكن إرميا راغبا في القيام بالمهمة النبوية، وقد اعتذر بأنه صغير السن، وغير لائق لهذه الخدمة، لكن الله رفض حججه وعرفه إلى من يجب أن يذهب (إر ١: ٦ و٧). وهو يقول: الآن يا سيد، بالنظر إلى أنك فرضت عليَّ هذه الوظيفة، فلماذا لم تقف إلى جانبي فيها؟ ولو كنت أنا الذي اندفعت إليها لاستحققت أن أكون موضع هذه السخرية، ولكن لماذا أواجهها في حين أنك أنت الذي دفعت بي إليها؟

(٢) أغري على أن يترك عمله لأنه هو نفسه قابل كثيرا من المصاعب بسببه من جهة، ومن جهة أخرى لأن الذين أرسل إليهم عوض أن ينصلحوا وتتحسن أحوالهم، استشاطوا منه غضبا وازدادوا سوءا.

ثالثا: إشارة إلى تمسكه بعمله بكل أمانة، واتكاله بكل فرح على الله رغم كل شيء.

(١) وجد نعمة الله قوية فيه بحيث تسانده في عمله. وإذا كنت قد تسرعت «فقلت لا أذكره ولا أنطق بعد باسمه»، وما كان في قلبي مما كان يجب عليَّ أن أبلغه فسوف أكتمه ولن أكلم به أحدا. ولكن سرعان ما اكتشفت أنه «كان في قلبي كنار محرقة محصورة في عظامي»، كانت تلتهب في داخلي، وكان لابد من إخراجها إلى خارج لأنه يستحيل كتمانها، وعندما «صَمَتَ صمتا، سكت عن الخير، فتحرك وجعي. حَمي قلبي في جوفي»، «أتكلم فأفرج. أفتح شفتي وأجيب» (مز ٣٩: ٢ و٣؛ أي ٣٢: ٢٠). سرعان ما سئم إرميا من تحمل عبء الكرازة، ولكنه لم يستطع أن يتراجع، ولا شيء يؤلم الخدام الأمناء قدر إجبارهم على السكوت، ولا شيء يرعبهم أكثر من أن يسكتوا هم أنفسهم، لكن سرعان أن تنتصر قناعتهم فيقول كل منهم: لأنه «ويل لي إن كنت لا أبشر»، مهما كان الثمن (١كو ٩: ١٦).

(٢) أكد له بأن الله سيكون معه، الأمر الذي فيه الكفاية لدحر كل محاولات أعدائه (ع ١١): لقد قالوا «فنقدر عليه»، ولكني متأكد من أنه «يعثر مضطهدي ولا يقدرون»، وأستطيع أن أتحداهم لأن «الرب معي» لكي يحاربهم عوضا عني (رو٨: ٣١). إنه معي ليساعدني على تحمل أعبائي. إنه معي ليجعل الكلمة التي أكرز بها تحقق مقاصده منها. إنه معي ليبث الرعب فيهم، وبذلك أتغلب عليهم. أعتى أعدائنا وأكثرهم رعبا والذين يقفون ضدنا يبدون كالمزدرى حين نرى الرب يظهر من أجلنا «كجبار قدير» (ع ١١) (راجع نحميا ٤: ١٤). يتكلم إرميا الآن بيقين عظيم: وإذا كان الرب معي «كجبار قدير. من أجل ذلك يعثر مضطهدي»، وعلى ذلك، وحين يلاحقونني لن يتغلبوا علي (مز ٢٧: ٢)، وعندئذ سيجدون أنهم «خزوا جدا» لحقدهم العاجز ومحاولاتهم غير المثمرة.

(٣) يناشد الله ضدهم باعتباره قاضيا عادلا، ويصلي من أجل أن يدين الله أعداء رسالته (ع ١٢). ذاك الذي يختبر الأبرار هو نفسه الذي يختبر الأشرار، لأنه «ناظر الكلى والقلب» ومن ثم يستطيع أن يصدر حكما صائبا لا يخطئ على أقوالهم وأفعالهم. «لك كشفت دعواي».. ولا يعرف الله دعواه تمام المعرفة فحسب، بل ويعرف كل استحقاقاتها. لكن الدعوى التي نستودعها الله يجب أن نكشفها أمامه.. إنه يعرفها، ولكنه يرغب أن يعرفها منا، وهو يريدنا أن نكون محددين في كشفها، لا لكي نؤثر عليه، بل لنتأثر نحن.

(٤) يبتهج كثيرا في الله ويسبحه، وهو على ثقة تامة في أن الله سيعمل من أجل خلاصه (ع ١٣). وفي اختبار فرح نراه يحفز نفسه وآخرين لأن يعطوا مجدا لله: «رنموا للرب سبحوا الرب». وهنا نجد تغييرا عظيما حدث له منذ أن بدأ هذا الحديث، فقد تلاشت السحب، ولم يعد يجد ما يشكو منه، وتحولت شكاواه إلى شكر. لقد كانت الممارسة الحية للإيمان وراء هذا التغيير السعيد، الذي حول آهاته إلى ترانيم وارتعاشاته إلى انتصارات. لقد نجاني قبل ذلك حين كنت في محنة، وفي هذه الأيام نجاني من يد فحشور، «وهو ينجي» (٢كو ١: ١٠). ويخلص نفسي من الخطية التي أنا في خطر الوقوع فيها فيما أواجه الاضطهاد على هذا النحو.

عدد ١٤ – ١٨

ما معنى هذا؟ هل «من الفم الواحد تخرج بركة ولعنة؟» وهل بمقدور الذي قال بابتهاج: «رنموا للرب سبحوا الرب»، أن يقول بانفعال: «ملعون اليوم الذي ولدت فيه؟» ولعل ذلك كان نتيجة ما عاناه حينما كان «في المقطرة» (وهي الأزمة التي استعاد نفسه منها بالإيمان والرجاء) وليس نتيجة تجربة جديدة. حين تنتصر النعمة فمن الطيب أن نتذكر المعارك التي قد نخجل نحن أنفسنا منها، كما نتذكر حماقتنا، وهنا نجد أنفسنا وقد أعجبنا بصلاح الله الذي لم يأخذنا بحسب كلامنا.

أولا: لغة النبي في هذه التجربة.

(١) وضع لافتة على يوم مولده بأنه ملعون، كما

www.difaiat.com

فعل أيوب أثناء غضبه (أي ٣: ١). وكان يتمنى لو لم يولد. ويهوذا الإسخريوطي في جهنم يتمنى ذلك (مت ٢٦: ٢٤)، ولكن ليس من حق أي إنسان على الأرض أن يتمنى ذلك، لأنه لا يعرف لربما يصبح بعد ذلك إناء للرحمة، فكم بالأحرى أي رجل صالح ليس لديه من الأسباب كي يتمنى ذلك.

(٢) تمنى السوء لمن حمل لأبيه خبر مولده (ع ١٥). كان عنيفا في اللعنات التي نطق بها «وليكن ذلك الإنسان كالمدن التي قلبها الرب ولم يندم. فيسمع صياحا في الصباح» (ع ١٦). ناجم عن العدو الذي يغزو البلاد ويحاصرها بمجرد أن يتحرك، و«في وقت الظهيرة» يسمع صيحة الحرب، بذلك يعيش في رعب مستمر.

(٣) يعبر عن غضبه لأنه لم يقتل «من الرحم»، وأن أول نفس تنفسه لم يكن الأخير، وأنه لم يختنق بمجرد أن جاء إلى العالم (ع ١٧).

(٤) يعتقد إرميا أن محنته الحالية كافية لتبرير هذه الأمنيات الغاضبة (ع ١٨): «لماذا خرجت من الرحم»، حيث كنت مختبئا، ولم أكن مكروها، حيث كنت أرقد آمنا ولم أعرف شر، «لأرى تعبا وحزنا فتفنى بالخزي أيامي»، وألقى معاملة سيئة بصفة مستمرة، وتضيع حياتي وتفنى من المتاعب؟

ثانيا: ما الذي يمكن أن نستفيده من هذا. لأن ذلك لم يذكر لكي نقلده، ومع ذلك قد نتعلم منه دروسا طيبة.

(١) نرى هنا تفاهة الحياة البشرية وما يصاحبها مما يغيظ الروح.

(٢) غباوة وحماقة العواطف الخاطئة، وكيف أنها تتكلم دون منطق إذا ما أطلق سراحها. ويا لها من غباوة أن تلعن أي يوم، وأن تلعن شخصا من أجل رسالة أبلغها. عندما يحمى القلب، علينا أن نلجم لساننا (مز ٣٩: ١ و٢).

الأصحاح الحادي والعشرون

نبوات هذا السفر لم توضع هنا بنفس ترتيب التنبؤ بها، لأنه توجد أصحاحات بعد هذا تخص يهوآحاز، ويهوياقيم ويهوياكين، وجميعهم حكموا قبل صدقيا، الذي تحمل هذه النبوة تاريخ حكمه. ونجد هنا:

أولا: الرسالة التي بعث بها صدقيا للنبي يطلب منه فيها أن يسأل الرب من أجلهم (ع ١ و٢).

ثانيا: رد إرميا على هذه الرسالة، باسم الله، والذي تضمن:

(١) تنبأ بحتمية هلاك المدينة (ع ٣ – ٧).

(٢) نصح الشعب بأن يستسلموا لملك بابل (ع ٨ – ١٠).

(٣) نصح الملك وعائلته بالتوبة والإصلاح (ع ١١ – ١٤).

عدد ١ – ٧

أولا: رسالة متواضعة جدا أرسلها الملك صدقيا حينما كان في محنته إلى إرميا. لقد ذلل نفسه إلى درجة أنه طلب مساعدة النبي، ولكن ليس إلى حد الأخذ بنصيحته أو الانصياع له.

(١) المحنة التي كان يعانيها صدقيا الملك: «نبوخذراصر ملك بابل يحاربنا»، وقد غزا الأرض، وحاصر المدينة، وقد دخلها الآن بالفعل.

(٢) الرسل الذين بعث بهم– «فحشور» و«صفنيا». وكان من الأفضل لو أنه طلب لقاء شخصيا مع النبي، الأمر الذي كان سيلقى الاستجابة لو أنه شخصيا تواضع. وهؤلاء الكهنة حين يصدر لهم أمر من الملك، عليهم أن يحملوا رسالة محترمة إلى النبي، الأمر الذي كان يشكل إذلالا لهم وكرامة لإرميا.

(٣) الرسالة نفسها: «اسأل الرب من أجلنا» (انظر إرميا ٥: ٢). وإذ اخترق الجيش البابلي حدود بلادهم، اقتنعوا أن إرميا كان نبيا حقيقيا، ولو أنهم يكرهون الاعتراف بذلك. وفي ظل قناعتهم هذه أرادوه أن يكون صديقهم أمام الله: «اسأل الرب من أجلنا»، اسأله ما هو السبيل الذي يجب علينا اتباعه في محنتنا الحالية، لأن جميع الإجراءات التي اتخذناها واهية. الذين لا يقبلون توجيه نعمة الله عن كيفية التخلص من خطاياهم، نراهم على الرغم من ذلك سعداء بتوجيهات عنايته الإلهية عن كيفية التخلص من متاعبهم. توسل إلى الرب من أجلنا «لعل الرب يصنع معنا حسب كل عجائبه» الآن كما في السابق، حتى يرفع العدو الحصار «فيصعد عنا». كل اهتمامهم

كان منصبا على التخلص من المتاعب التي يواجهونها، وليس الرجوع إلى الله والتصالح معه. حتى «يصعد عنا» عدونا، وليس حتى يرجع الله إلينا. هكذا فعل فرعون (خر ١٠ : ١٧). كانت كل آمالهم هي أن الله سبق أن أتى بأعمال معجزية لخلاص أورشليم نتيجة صلوات إشعياء حينما حاصرها سنحاريب (٢أخ ٣٢: ٢٠ و٢١)، فما المانع من أن يدمر المحاصرين بناء على صلوات إرميا؟ ولكنهم لم يضعوا في اعتبارهم الفرق بين ما هو عليه حال صدقيا وشعبه، وما كان عليه حال حزقيا وشعبه، فتلك كانت أيام إصلاح عام وتقوى، أما هذه فأيام فساد عام وارتداد عن الله.

ثانيا: إجابة رهيبة رد بها الله على تلك الرسالة وذلك من خلال النبي. فالله يعلم حقيقة قلوبهم بأكثر مما يستطيعه إرميا، ولذلك أرسل لهم إجابة تكاد تخلو من كلمة عزاء واحدة. وقد أرسلها إليهم باسم «الرب إله إسرائيل»، لكي يلمح إليهم أنه على الرغم من أن الله سمح لنفسه بأن يدعى «إله إسرائيل» وسبق أن عمل معجزات كثيرة لإسرائيل في الماضي، ولا يزال يختزن لإسرائيل أمورا عظيمة، إلا أن الجيل الحالي لن يفيد منها شيئا لأنهم كانوا إسرائيليين بالاسم فقط. وقد تم التنبؤ هنا بالآتي:

(١) الله سيجعل كل مجهوداتهم من أجل أمن بلادهم عقيمة غير مجدية (ع ٤).

(٢) المحاصرون في وقت وجيز سيقيمون من أنفسهم سادة لأورشليم ويستولون على كل ثروتها وكل نفائسها و«الذين يحاصرونكم.. أجمعهم في وسط هذه المدينة».

(٣) أن الله نفسه سيكون عدوا لهم، وعندئذ لا أستطيع أن أعرف من الذي يستطيع أن يصادقكم، كلا، ولا إرميا نفسه (ع ٥). الذين يتمردون على الله عليهم أن يتوقعوا أنه سيشن ضدهم حربا وأنه محق في ذلك.

(٤) أولئك الذين- من أجل سلامتهم- آثروا ألا يهاجموا من يحاصرونهم، وبذلك يتجنبون سيفهم، إلا أنهم لن يهربوا من سيف عدالة الله (ع ٦): «وأضرب سكان هذه المدينة، الناس والبهائم معا. بوبأ عظيم يموتون».

(٥) الملك نفسه. وكل الذين نجوا من «الوبأ والسيف والجوع» سيدفع بهم الله «ليد نبوخذراصر ملك بابل» (ع ٧): حيث «لا يترأف عليهم ولا يشفق ولا يرحم».

عدد ٨- ١٤

يبدو من الرسالة المهذبة التي أرسلها الملك إلى إرميا أنه هو وشعبه بدأوا يكنون له الاحترام، غير أن الرد الذي ألزمه الله به كان كافيا للقضاء على هذا القدر القليل من الاحترام الذي كانوا قد بدأوا يظهرونه له، وأن يثير غيظهم ضده بأكثر من أي وقت مضى. ولم تكن النبوات التي تضمنتها الأعداد السابقة هي التي أثارت غيظهم فقط بل ما ذكره في هذه الأعداد أيضا.

أولا: ينصح الشعب بالاستسلام للبابليين، باعتبار أن ذلك هو الخيار الوحيد المتاح لهم لإنقاذ حياتهم (ع ٨ – ١٠). وقد أغضبت هذه النصيحة أولئك الذين اغتروا نتيجة تملق الأنبياء الكذبة لهم ومن ثم اندفعوا إلى قرار يائس بأن يصمدوا حتى النهاية، متكلين على قوة أسوارهم وشجاعة جنودهم، أو المساعدات الخارجية لرفع الحصار. ولكن النبي يؤكد لهم أن المدينة «ليد ملك بابل تدفع» حيث لا يكتفي بنهبها بل «فيحرقها بالنار»، لأن الله قد جعل وجهه «على هذه المدينة للشر لا للخير»، وعلى ذلك إن كنتم تريدون أن تنتفعوا من هذا الأمر الرديء بأقصى قدر عليكم التماس الرحمة من البابليين، وتسليم أنفسكم أسرى حرب. وكان هذا أفضل سبيل يمكنهم اتخاذه الآن مادام الرب ضدهم. وكل من الناموس والأنبياء كثيرا ما وضعوا أمامهم الحياة والموت- بمعنى- الحياة إذا استمعوا لصوت الله، والموت إذا أصروا على عصيانهم (تث ٣٠: ١٩). وعبارة «هأنذا أجعل أمامكم طريق الحياة وطريق الموت» (ع ٨) لا تشير- كتلك- إلى اقتراح بين خيارين، بل إلى ورطة أليمة، حيث تعرض عليهم أمرين كليهما مر لكي يختاروا الأقل شرا. «الذي يقيم في هذه المدينة» من المؤكد أنه سيموت «بالسيف» خارج الأسوار، أو من «الجوع» في داخلها. أما ذاك الذي يستطيع أن يتخلى عن آماله الواهمة ويخرج «ويسقط إلى الكلدانيين»، فسوف ينقذ حياته، كفريسة أخذت من القوي. لقد

فكروا أن يتخذوا من معسكر البابليين فريسة لهم، كما فعل أسلافهم مع الأشوريين (إش ٣٣: ٢٣)، ولكن إذا كانت الحصافة تدفعهم إلى الاستسلام، فلن يستطيعوا سوى إنقاذ حياتهم، وهذه هي كل الغنيمة التي بمقدورهم أن يمنوا أنفسهم بها.

ثانيا: نصح الملك والرؤساء بالإصلاح. وقد تضمن الرد كلمة خاصة «ببيت داود» لتقدم لهم نصيحة خالصة (ع ١١ و١٢): «اقضوا في الصباح عدلا»، احرصوا على ذلك بكل اجتهاد. اعملوا ذلك بكل سرعة، ولا تتأخروا في إقامة العدل بالنسبة للدعاوي التي ترفع إليكم. وسوف تخلصون من أيدي ظالميكم، وبذا لكم أن تتوقعوا أن الله سيعاملكم بعدله، لذلك عليكم إقامة العدل لمن يلجأون إليكم «وأنقذوا المغصوب من يد الظالم لئلا يخرج كنار غضبي فيحرق»، وسوف يندم من يعتقدون أن الهروب أفضل، وذلك كله «من أجل شر أعمالكم». إن «الشر» الذي عمله هو الذي أشعل نار غضب الله. وهكذا بكل وضوح يتعامل الله حتى مع «بيت داود»، لأن كل الذين يأملون الانتفاع بصلوات النبي، عليهم أن يتقلبوا شاكرين كل توبيخات هذا النبي. وعلى الرؤساء أن يبدأوا بأنفسهم ويكونوا قدوة، وهنا سيقبل الناس على الإصلاح. عليهم أن يستخدموا سلطانهم لمعاقبة الظلم، وهنا سيضطر الناس إلى قبول الإصلاح، وقد ذكرهم بأنهم «بيت داود»، وعلى ذلك عليهم أن يسيروا على نهجه، فقد أقام داود حكما وعدلا بالنسبة لشعبه.

ثالثا: بيَّن لهم كل بطل آمالهم طالما استمروا يرفضون الإصلاح (ع ١٣ و١٤). أورشليم «ساكنة العمق» (ساكنة الوادي) التي تحرسها الجبال من كل ناحية، حيث كانت تشكل تحصيناتها الطبيعية صعوبة، على أي جيش يريد أن يزحف نحوها. وهي «صخرة السهل»، تجعل من الصعوبة على العدو أن يضعفهم. ولقد اتكلوا على هذه المزايا أكثر من اتكالهم على قوة الله ومواعيده، وإذ اعتقدوا أن مدينتهم حصينة، تحدوا دينونات الله قائلين: «من ينزل علينا؟» في حين أنه قال: «هأنذا ضدك». وقد جاء ضدهم كقاضٍ لا يمكن مقاومته، لأنه يقول، «ولكنني أعاقبكم» (ع ١٤)، طبقا للقانون «حسب ثمر أعمالكم».

الأصحاح الثاني والعشرون

عظات ألقاها إرميا في البلاط الملكي، أثناء حكم ملوك سابقين، حتى يبين أنهم أعطوا إنذارات كافية.

أولا: رسالة بعث بها إلى العائلة الملكية، وفي عهد يهوياقيم على ما يبدو، وهي تشير في جزء منها إلى يهوآحاز، الذي سبي إلى مصر، وفي جزء آخر إلى يهوياقيم الذي خلفه والذي كان على العرش في ذلك الحين (ع ١– ٩). وقد ندب يهوآحاز الذي دعي هنا شلوم (ع ١٠– ١٢). وتم توبيخ يهوياقيم وإنذاره (ع ١٣– ١٩).

ثانيا: ثمة رسالة أخرى بعث بها أثناء حكم يهوياكين، ابن يهوياقيم. وقد اتهم بأنه يرفض بعناد أن يسمع، وقد جاءت النبوة بأن فيه يسقط بيت سليمان (ع ٢٠– ٣٠).

عدد ١– ٩

أولا: صدرت الأوامر إلى إرميا بأن يذهب ويكرز أمام الملك (ع ٢): «اسمع كلمة الرب يا ملك يهوذا». وجاء الحديث عن ملك يهوذا هنا باعتباره «الجالس على كرسي داود»، وكان رجلا بحسب قلب الله، باعتباره محتفظا بكرامته وسلطانه بناء على العهد الذي قطع مع داود، عليه إذا أن يسير على منواله، حتى ينال مزايا الوعود التي قطعت له.

ثانيا: تعليمات أعطيت له فيما يتعلق بما يجب أن يكرز به.

(١) عليه أن يخبرهم أن الرب إلههم يطلب منهم (ع ٣)، الآتي، وعليهم الاهتمام بذلك:

أ. أن يعملوا كل ما في وسعهم من خير من خلال السلطان الذي يتمتعون به. عليهم إقامة العدل دفاعا عن أولئك الذين لحق بهم الضيم.

ب. ألا يستغلوا سلطانهم في عمل الشر. عليهم ألا يظلموا «الغريب واليتيم والأرملة»، لأن الله يهتم بهؤلاء بصفة خاصة (خر ٢٢: ٢١ و٢٢).

(٢) عليه أن يؤكد لهم أن تأدية واجبهم في أمانة، سيكون من شأنه زيادة نجاحهم (ع ٤). وعندئذ ستكون ثمة تعاقب مستمر على «كرسي داود» يسودها الهدوء وتعيش في كرامة. وأهم طريقة فعالة للمحافظة على كرامة السلطة هو أن تؤدي واجبها على الوجه الأكمل.

(٣) عليه التأكيد لهم أيضا أنهم إذا أصروا على الإثم والمعصية، فإن ذلك سيجلب الدمار على عائلتهم (ع ٥). وكثيرا ما كانت الخطية سببا في هلاك قصور ملكية، على الرغم مما كان يبدو من أنها دائما ستحتفظ بأبهتها وقوتها. وكما تسقط الخطية بيوت العظماء، هكذا حالها أيضا بالنسبة لعامة الناس.

(٤) عليه أن يبين لهم مدى الخطورة البالغة لشرهم على مملكتهم وعلى أنفسهم أيضا، وعلى أورشليم بصفة خاصة باعتبارها المدينة الملكية (ع ٦ – ٩). وكانت ليهوذا وأورشليم قيمة خاصة في نظر الله: « جلعاد أنت لي. رأس من لبنان». فنصيبهم كان في مكان يتميز بالثراء والروعة مثل جلعاد، وكانت صهيون حصينة وفخيمة مثل لبنان: وقد اتكلوا على هذه الأمور باعتبارها توفر الأمن لهم. غير أن البلاد التي تثمر الآن كجلعاد سوف يجعلها الله « برية». والمدن الحصينة الآن مثل لبنان، ستصبح «مدنا غير مسكونة». وسيكون هناك من يتممون ذلك بكل فعالية (ع ٧): «وأقدس عليك مهلكين». ومَنْ ذا الذي يستطيع الوقوف في وجه مهلكين أرسلهم الله؟ سيكون هناك من هم على أهبة الاستعداد لعمل ذلك (ع ٨ و٩)، أشخاص من «أمم كثيرة»، الذين حين يعبرون في أطلال « هذه المدينة» سوف يتساءلون: « لماذا فعل الرب مثل هذا لهذه المدينة العظيمة؟». اسأل أول رجل تقابله، وسوف يخبرك بأن ذلك مرده أنهم غيروا آلهتهم. والله لن ينبذ أحدا إلا من يتركه أولا.

عدد ١٠ – ١٩

أولا: هنا المصير الذي ينتظر شلوم، الذي ما من شك في أنه هو نفسه يهوآحاز، لأنه هو ابن يوشيا ملك يهوذا الذي ملك عوضا عن أبيه (ع ١١). أقام الشعب يهوآحاز ملكا على الرغم من أنه لم يكن الابن الأكبر (٢مل ٢٣: ٣٠؛ ٢أخ ٣٦: ١). ولعل الشعب فضله على أخيه الأكبر لأنهم حسبوه أكثر نشاطا ولياقة للحكم، غير أن الله سرعان أن بيَّن لهم حماقة ظنهم، لأنه خلال ثلاثة شهور قام عليهم ملك مصر، وخلعه ونفاه إلى مصر، بحسب ما سبق أن أنذر به الله في تثنية ٢٨: ٦٨. ولا يبدو أنه قد أخذ أحد من الشعب معه إلى السبي. ويمكننا الرجوع إلى التفاصيل في ٢ملوك ٢٣: ٣٤؛ ٢أخبار ٣٦: ٤. هنا أمر الناس أن يندبوه هو وليس أبوه يوشيا: «لا تبكوا ميتا»، لا تبكوا بعد الآن على يوشيا. وكان إرميا نفسه من الحزانى الحقيقيين من أجله (٢أخ ٣٥: ٢٥): ومع ذلك يطلب منهم الآن أن يحولوا دموعهم إلى مجرى آخر. عليهم أن يبكوا بمرارة من أجل يهوآحاز، الذي سُبي إلى مصر. لقد ذهب يوشيا إلى قبره بسلام وكرامة. «لا تبكوا» عليه، بل على ابنه التعيس الذي من المحتمل أن يعيش ويموت في خزي وبؤس، كمسبي تعيس. يستحق الموتى من القديسين أن يكونوا موضع حسد، في حين أن الخطاة الأحياء يستحقون الرثاء. لن يعود أبدا من السبي، كما توقع هو وشعبه، ولكنه سيموت هناك. كانوا كارهين أن يصدقوا هذا، ومن ثم كررت هذه الحقيقة هنا مرة تلو الأخرى. لقد كان ذلك لتخليه عن المثل الطيب الذي انتهجه أبوه من جهة، ولاغتصابه حق أخيه الأكبر من جهة أخرى.

ثانيا: مصير يهوياقيم، الذي خلفه، لم يكن بأحسن منه حالا، ولم يسلك في النهاية على نحو أفضل.

(١) توبيخ أولاده. لم يتهم يهوياقيم هنا بالوثنية، بل إن الجرائم التي وبخ من أجلها هي الغطرسة وحب الظهور والأبهة، كما لو كانت مهمة الملك تنحصر كلها في أن يظهر عظيما، أما أن يعمل حسنا فقد كان آخر ما يفكر فيه. رأى أنه كان عليه أن يبني قصرا فخيما «بيتا وسيعا وعلالي فسيحة» (ع ١٤). ولابد أن «يشق لنفسه كوى» على أحدث طراز. أما الغرف فيجب أن «تسقف بأرز»، وهو أغنى أنواع الخشب، مطلي «بمغرة» (أو بألوان حمراء، بحسب ترجمة أخرى). إن الذين يوسعون بيوتهم، ويجعلونها أكثر فخامة، في حاجة إلى أن ينظروا جيدا إلى شكل نفوسهم وهم يفعلون ذلك، وعليهم الحذر من الوقوع في خطية المجد الباطل. لقد حكم السنوات الثلاث الأولى بإذن من ملك مصر، وكل مدة حكمه الباقية بإذن من ملك بابل، ومع ذلك فإن هذا الذي لم يكن يزيد في شيء عن نائب للملك كان يشتهي أن ينافس أعظم الملوك. لقد حسب أنه عليه أن يحكم دون أية اضطرابات أو معوقات لأنه يمتلك الكثير من «الأرز» (ع ١٥)،

والبعض يقولون إنه بهذا يتهم بالتدنيس وبسرقة بيت الله لتزيين بيته هو. وردت في هامش إحدى الترجمات «وشقه من كواي»، لأن البعض فهم أنه أخذ الشبابيك (الكوى) من الهيكل وجعلها في قصره ثم دهنها «بمغرة» أي بالألوان الحمراء حتى لا يكتشف أمرها. وهنا يتهم بالاغتصاب والظلم، والعنف والبعد عن العدالة، فقد بنى بيته «بغير عدل»، بمال حصل عليه عن طريق الظلم وبأدوات لم يحصل عليها بأمانة. الله يلاحظ الظلم الذي يلحقه العظماء بعبيدهم وعمالهم المساكين، وسوف يعامل بظلم أولئك الذين يظلمون من يستخدمونهم. أما وراء كل هذه المظالم فتكمن خطية الاشتهاء، وأن «محبة المال أصل لكل الشرور»، «لأن عينيك وقلبك ليست إلا على خطفك»، لهذا وليس لشيء آخر. وعند الاشتهاء يسير القلب وراء العينين. ولذلك سميت «شهوة العيون» (١يو ٢: ١٦؛ انظر أيضا أيوب ٣١: ٧). أما الذي زاد من بشاعة كل خطاياه هو أنه كان ابنا لرجل صالح، ترك له مثالا طيبا، ما كان عليه سوى أن يسير على نهجه (ع ١٥ و١٦). وقد أخبره إرميا أن يعمل واجبه على غرار ما فعله أبوه الذي «أجرى حقا وعدلا». فهو لم يستغل سلطته لمساندة الظلم، بل إنه استخدمها لإقامة العدل. وقد «قضى قضاء الفقير والمسكين». وقد شجع على أن يعمل واجبه بنفس النجاح الذي كان عليه أبوه. لقد قبله الله. «أليس ذلك (يدفعك إلى) معرفتي يقول الرب». لقد تعزى بذلك: «أما أكل أبوك وشرب» بتعقل وبفرح لكي يهيىء نفسه للعمل «للقوة لا للسكر» (جا ١٠: ١٧). وقد باركه الله بخير وفير، وقد تمتع هو نفسه بفرح بكل هذا الخير وكان كريما ومحسنا للغاية. كان فخر يهوياقيم أنه بنى قصرا جميلا، أما يوشيا فقد انصب مديحه على أنه اقتنى بيتا طيبا. ومن الأفضل أن نعيش مع يوشيا في بيت عتيق ونعمل الصلاح من أن نعيش مع يهوياقيم في قصر فخيم، ونترك ديوننا دون سداد.

(٢) أعلن المصير الذي ينتظر يهوياقيم بكل أمانة (ع ١٨ و١٩). ولنا أن نفترض أن إرميا عرَّض حياته للخطر حين تنبأ بالميتة المشينة التي سيلقاها يهوياقيم: لأنه «هكذا قال الرب» عنه، ولذلك سوف يموت غير مأسوف عليه، وسوف يجعل نفسه شخصية بغيضة للغاية بطغيانه وقسوته حتى إنه ما من أحد سيعطيه شرف دمعة واحدة يذرفها عليه. وأقاربه «لا يندبونه». ولن يندبه رعاياه، كما اعتادوا أن يفعلوا عند قبور رؤسائهم. ذلك أن يهوياقيم سوف «يدفن دفن حمار» أي أنه لن يدفن على الإطلاق، بل سيطرح جسده الميت في حفرة أو في مزبلة، وسوف يُسحب ويطرح «بعيدا عن أبواب أورشليم». يقول يوسيفوس أن نبوخذراصر ذبحه في أورشليم، وترك جثته مكشوفة على الأرض في مكان ما بعيدا عن أبواب أورشليم.

عدد ٢٠– ٣٠

يبدو أن هذه النبوءة تشير إلى فترة حكم يهوياكين الشائنة، وهو ابن يهوياقيم، الذي لم يحكم سوى ثلاثة شهور، ثم سُبي إلى بابل، حيث عاش لسنوات كثيرة (إر ٥٢: ٣١).

أولا: كان الخراب يزحف نحو المملكة بخطى سريعة (ع ٢٠– ٢٣). ولقد خوطبت أورشليم ويهوذا بصيغة مفردة مؤنثة: «تكلمت إليكِ في راحتك»، تكلمت عن طريق عبيدي الأنبياء بواسطة التوبيخ والنصائح والمشورات، لكنك «قلتِ لا أسمع». ومن عادة أولئك الذين يعيشون في رغد وترف أن يحتقروا كلمة الله. «هذا طريقك منذ صباكِ». فحين ترين محبيك «يذهبون إلى السبي»، وعندما تكتشفين أن أوثانك عاجزة عن مساعدتك، وأن حلفاءك الأجانب قد خذلوك هنا تصرخين: العون العون لئلا أهلك. وسوف تطلقي صوتك وتصرخي في لبنان وفي باشان. سوف تصرخين «من عباريم». تصرخين إلى كل من هم حولك، ولكن دون جدوى (ع ٢٢): «كل رعاتك ترعاهم الريح»، وهم الذين كان من المفروض أن يعملوا لسلامتك، وأنتم سوف تذوون وتذبلون مثل البرعم والأزهار التي تذوي بسبب الريح القارسة. «ومحبوك» الذين تحبينهم سوف «يذهبون إلى السبي»، ولن يستطيعوا أن ينقذوا أنفسهم. وحين يظهر أنه ليس ثمة خلاص على أيدي أحد من محبيك (حلفائك): «فحينئذ تخزين وتخجلين لأجل كل شرك» (ع ٢٢). ولقد أشير إلى الأمة اليهودية هنا بعبارة «أيتها الساكنة في لبنان» لأن تلك الغابة الشهيرة كانت داخل حدودهم (ع ٢٣)، وكل بلادهم كانت محروسة

www.difa3iat.com

بتحصينات لبنان الطبيعية، ولكنهم كانوا متغطرسين جدا حتى قيل عنهم عبارة «المعششة في الأرز»، بعيدة عن متناول كل خطر، ومن هناك كانوا ينظرون بكل احتقار إلى كل من هم حولهم. «كم يشفق عليكِ عند إتيان المخاض عليكِ». عندئذ ستذللون أنفسكم أمام الله وتعدون بالإصلاح. وهناك من يعطي معنى آخر لهذه العبارة «بماذا ستنفعك كل أبهتك وثروتك؟» لن تشبه سوى امرأة عندما يأتيها المخاض، تتملكها الأوجاع والمخاوف، فهل تنفعها في هذه اللحظة كل مجوهراتها وزينتها حينما تكون في حالة كهذه؟

ثانيا: نجد هنا نبوءة عن خزي الملك، كان اسمه يهوياكين، ولكنه يتكرر اسمه هنا على أنه «كنياهو»، وذلك تحقيرا له. سوف يؤخذ «إلى السبي»، ويقضي حياته وينهيها في العبودية. ويتخلى عنه الله (ع ٢٤): «ولو كان... خاتما على يدي اليمنى فإني من هناك أنزعك». وملوك يهوذا الأتقياء كانوا كخواتم في يد الله اليمنى، قريبين منه وأعزاء لديه، وقد تمجد فيهم. وسوف يقبض عليه ملك بابل. والذين طرحوا أنفسهم بعيدا عن حماية الله لا يعرفون الأخطار التي يعرضون أنفسهم لها (ع ٢٥). كان البابليون يحملون ضغينة ضد كنياهو، كانوا «طالبي» نفسه (هؤلاء الذين تخافهم). وسوف يسبى هو وعائلته إلى بابل، حيث يقضون عدة سنوات بغيضة في سبي مقيت هو وأمه (ع ٢٦) أيضا «هو ونسله» (ع ٢٨)، أي أنه هو وكل العائلة الملكية سوف يلقى بهم إلى أرض أخرى «لم تولدا فيها»، «أرض لم يعرفوها»، لا يعرفون بها أحدا يتوقعون منه أية مساعدة أو شفقة. «أما الأرض التي يشتاقان الرجوع إليها فلا يرجعان إليها» (ع ٢٧). لقد سبي يهوآحاز إلى مصر، أرض الجنوب، ويهوياكين إلى بابل، أرض الشمال، حتى لا يتقابلا إطلاقا بعد ذلك، أو يتنسما عبير موطنهما ثانية. وثمة شيء مؤكد جدا في هذا الجزء من التهديد (ع ٢٦): «إلى أرض أخرى لم تولدا فيها وهناك تموتان». وهذا ما يجعله حقيرا في نظر كل جيرانه. وسوف يكونون على استعداد للقول «هل هذا الرجل كنياهو وعاء خزف مهان مكسور؟» (ع ٢٨) لقد مر عليه وقت كان فيه مبجلا في واقع الأمر، حتى كادوا يؤلهونه. وأولئك الذين خلعوا أباه منذ فترة قليلة عن العرش كانوا مستعدين لعبادته حين ساعدوه على ارتقاء العرش، أما الآن فهو «مهان» «وعاء خزف مهان مكسور». لن يخلف نسلا لكي يرث مجده. فليشهد العالم كله هذه الدينونات التي أنزلها الله بأمة وعائلة كانتا مقربين إليه وعزيزتين عنده، ومن هذا يعرف أن الله نزيه في إجرائه العدل. وما تجدر ملاحظته هنا أن يهوياكين كتب «عقيما» (ع ٣٠)، ومعنى هذا أنه «لا ينجح من نسله أحد جالسا على كرسي داود». البعض يعتقد أنه كان له أولاد وُلدوا في بابل (ع ٢٨)، وأنهم ماتوا قبله. ونحن نقرأ في سلسلة الأنساب (١أخ ٣: ١٧) عن سبعة أبناء ليهوياقيم أسير (أي يهوياقيم الأسير) الذي منهم شألتيل البكر. والبعض يقولون إنهم مجرد أبنائه بالتبني، وحين قيل في متى ١: ١٢: «يكنيا ولد شألتئيل» فلم يكن يقصد بذلك أكثر من الإشارة إلى أحقيته في الحكم، لأن شألتئيل دعي «شألتيئيل بن نيري» من بيت ناثان (لو ٣: ٢٧، ٣١). وسواء كان أبا بالفعل لبعض الأبناء، أو أبا بالتبني، فلا يوجد من بين بنيه من حكموا كملوك في يهوذا.

الأصحاح الثالث والعشرون

يوجه النبي باسم الله التوبيخات إلى الشعب.

أولا: إلى الرؤساء المهملين أو رعاة الشعب (ع ١ و٢)، ومع ذلك يعد بالاهتمام بالقطيع (ع ٣ – ٨).

ثانيا: إلى الأشرار من الكهنة والأنبياء الذين يخدعون الشعب بما يدعونه من وحي، الأمر الذي يجب أن يتوقعوا أن يعاقبوا بسببه (ع ٩ – ٣٢).

ثالثا: إلى الناس الدنسين الذين استهزأوا بأنبياء الله (ع ٣٣ – ٤٠).

عدد ١ – ٨

أولا: كلمة رعب للرعاة المهملين: «ويل للرعاة» الذين كان يجب أن يكونوا رعاة يقودونهم ويطعمونهم ويحمونهم ويهتمون بهم. هم ليسوا أصحاب الخراف. لأن الله يسميهم هنا «غنم رعيتي»، الذين أعطيتهم مرعى جيدا. لذلك ويل لأولئك الذين أمروا أن يطعموا شعب الله، ثم يتظاهرون بأنهم يفعلون ذلك، ولكنهم «يبددون» الغنم نتيجة طغيانهم واستبدادهم. إنهم لا

يفتقدونهم لكن في واقع الأمر يطردونهم. لقد شتتتهم الحيوانات المفترسة، والخطأ يقع على عاتق الرعاة الذين كان يتعين عليهم أن يحفظوهم معا.

ثانيا: كلمة تعزية للخراف التي أهملت. على الرغم من أن الرعاة الصغار لم يولوهم اهتماما، فإن الراعي الأعظم سوف يعتني بهم. وسوف يتمم الله وعده، على الرغم من أن أولئك الذين يستخدمهم لا يؤدون واجبهم.

(١) واليهود المشتتون سوف يعودون في النهاية إلى أرضهم ويستقرون هناك في سعادة تحت قيادة صالحة (ع ٣ و٤). وعلى الرغم من أنه لن يكون هناك سوى بقية من قطيع الله، إلا أنه سيجمع هذه البقية أينما كانوا ويعيدهم ثانية «من جميع الأراضي التي طردتها إليها وأردها إلى مرابضها (مساكنها السابقة كما تعاد الخراف)»، وهناك «تثمر وتكثر» في العدد. كانوا في السابق يتعرضون للمضايقات بصفة مستمرة، أما الآن «فلا تخاف بعد ولا ترتعد». رعاة من أمثال زربابل ونحميا فإنه على الرغم من أنهم لم يعيشوا في أبهة يهوياقيم ويهوياكين، إلا أنهم كانوا بركة عظيمة للشعب، بقدر ما كان الآخرون كوباء لهم.

(٢) المسيا الملك، راعي الخراف العظيم والصالح، سيقيم في الأيام الأخيرة ليبارك كنيسته، ويكون مجدا لشعبه إسرائيل (ع ٥ و٦). ويبدو بيت داود وكأنه تدمر بذلك التهديد الذي صدر ضد يهوياكين (إر ٢٢: ٣٠). غير أنه أمامنا وعد الذي به سيضمن وبكل فعالية كرامة العهد الذي قطعه مع داود، لأنه بمقتضى هذا الوعد سيقام هذا البيت من بين أطلاله إلى مجد أعظم مما كان في أي وقت مضى. ولا نجد نبوات كثيرة في هذا السفر على نحو ما كان في سفر إشعياء، غير أننا هنا نجد نبوءة عظيمة للغاية. والكلمات الأولى تبين أنه سيمر وقت طويل قبل أن يتحقق هذا الوعد.. «ها أيام تأتي»، ولكنها لم تأت بعد، «أراه ولكن ليس الآن». وقد أشير إلى المسيح هنا بكلمة «غصن».. يظهر في صورة متواضعة، وبداياته صغيرة مثل البرعم، ونموه الذي يبدو وكأنه من الأرض، لكنه ينمو ليكون مليئا بالثمار. غصن من بيت داود، في الوقت الذي بدا فيه «كعرق من أرض يابسة»، مدفون وليس ثمة احتمال في أن يزهر.. فيه «أنبت قرنا لداود» (مز ١٣٢: ١٧ و١٨). إنه «غصن بر»، لأنه هو نفسه بار، وكثيرون يصيرون من خلاله أبرارا. لنا شفيع هو يسوع المسيح البار. وقد جاء الحديث عنه هنا باعتباره ملك كنيسته. فسوف يقيم ملكوتا في العالم ينتصر على كل مقاومة. وسوف ينطلق في مركبة الإنجيل الأبدي ويخرج من نصرة إلى نصرة. والمسيح– بواسطة إنجيله– سيحطم سلطة الشيطان المغتصبة، ويقيم حكما كاملا لحياة مقدسة، وسوف يسود ليجعل العالم كله بارا. ونتيجة ذلك سيكون آمنا مقدسا، وهدوء بال يتمتع بهما كل رعاياه المخلصين الأمناء. «في أيامه»، وتحت سلطانه، «يخلص يهوذا ويسكن إسرائيل آمنا» (انظر لو ١: ٧٤ و٧٥). وفي أيام ملكوت المسيح في النفس، حيث يكون هو السيد فيها، تعيش تلك النفس آمنة. إنه «الرب برنا». وباعتباره الله فهو «يهوه»، الاسم الذي لا يمكن التعبير عنه بأوصاف بشرية، الذي يشير إلى أبديته ووجوده الذاتي، وكوسيط هو «برنا». وإذ أوفى مطالب العدل الإلهي الناجمة عن خطية الإنسان، فقد حقق برا أبديا، وبذلك أتيح لنا بالنسبة لعهد النعمة، أننا إذا قبلنا هذا العهد يصبح السيد الذي فيه كل الكفاية لنا، البر الأبدي. وكل برنا إنما هو منه، وبواسطته يبقى ويتواجد. «وهذا هو اسمه الذي يدعونه به»، ولن يكون هكذا فحسب، بل سيعرف على هذا الذي يدعونه به، وهذا هو برنا الذي تبررنا به أمام الله، وبرئنا من الإثم، وقبلنا في النعمة، وليس شيء آخر يمكننا الاستناد إليه سوى أن «المسيح مات ثم قام ثانية، وأننا اتخذناه لنا ربا وسيدا».

(٣) هذا الخلاص العظيم، الذي سيأتي إلى اليهود في الأيام الأخيرة، بعد عودتهم من السبي في بابل، سوف يبرز إلى حد كبير خروجهم من العبودية في مصر (ع ٧ و٨). «ولا يقولون بعد حي هو الرب الذي أصعد بني إسرائيل من أرض مصر. بل حي هو الرب الذي أصعد وأتى بنسل إسرائيل من أرض الشمال». وبعد رجوعهم من السبي في بابل أقام المسيا الملك هيكل الإنجيل، أعظم مجد لتلك الأمة التي أخرجت من بابل بشكل معجزي.

عدد ٩ – ٣٢

درس مستفيض للأنبياء الكذبة. لقد اشتكى النبي

www.difa3iat.com

إلى الله من هؤلاء الأنبياء الكذبة (إر ١٤: ١٣) وكثيرا ما تنبأ بأنهم سيكونون ضمن من يحيق بهم الخراب العام، غير أننا نجد هنا ويلات لهم شخصيا.

أولا: عبر عن انزعاجه بأنه يرى أولئك الذين يدعون لأنفسهم مهمة إلهية وأن لديهم وحي من الله، بأنهم يهلكون أنفسهم وكذلك الناس الذين يعيشون معهم، بزيفهم وخيانتهم (ع ٩): «انسحق قلبي في وسطي... صرت كإنسان سكران». كان إرميا رجلا حساسا وما كان يهدد بلاده بأي شكل كان، كان يؤثر كثيرا على معنوياته، ولذلك نراه هنا في متاعب.

(١) بسبب «الأنبياء» وخطيتهم، والتعليم الباطل الذي يكرزون به، وحياة الشر التي يحيونها، متظاهرين بأنهم يأخذون تعليماتهم من الله.

(٢) «من أجل الرب»، ودينوناته، التي جاءت علينا بهذه الطريقة كالطوفان. لقد ارتعد حين فكر في الدمار والخراب القادمين من «وجه الرب» (هذا معنى عبارة) «من أجل كلام قدسه».

ثانيا: يرثي شر الأرض المستطير والمتفاقم وعلامات غضب الله الواقعة عليهم نتيجة ذلك أن «الأرض امتلأت من الفاسقين» (ع ١٠)، وهي عامرة بالفسق الروحي والجسدي. أرضهم يندبونها الآن تحت دينونة الجوع، جفت «مراعي» البرية لنقص الأمطار، وعلى الرغم من ذلك لا نجد علامات للتوبة. كان لديهم تصميم عظيم، غير أنهم وجهوه الوجهة الخاطئة. لقد أخذتهم حماسة بالغة، ولكن لعمل «الشر»، على الرغم من علمهم بأن الله يحاربهم لهذا السبب.

ثالثا: لقد اتهم الأنبياء والكهنة، ولاسيما الأنبياء بالفساد. فقد «تنجسوا جميعا»، فالكهنة دنسوا فرائض الله التي تظاهروا بأنهم يقيمونها، والأنبياء دنسوا كلمة الله التي ادعوا بأنهم يكرزون بها. وجميعهم مراؤون (البعض يترجمها هكذا) وتحت ذرائع مقدسة ينفذون أشر خططهم: «في بيتي وجدت شرهم» (في الهيكل) حيث يخدم الكهنة، وحيث يتنبأ الأنبياء، وكانوا هناك مهتمين بالوثنية والانحطاط الخلقي. وقد اتهموا بأمرين:

(١) إنهم كانوا يعلمون الناس أن يرتكبوا الخطايا، وذلك من الأمثلة التي يقدمونها لهم بسلوكهم. وقد شبههم بأنبياء السامرة، وهي المدينة الرئيسية لمملكة الأسباط العشرة، التي كانت مهملة منذ فترة طويلة. وكان من حماقة أنبياء السامرة أنهم «تنبأوا بالبعل» باسم البعل، وبذلك «أضلوا شعبي إسرائيل»، بأن يتركوا عبادة الإله الحقيقي ويعبدوا البعل (ع ١٣). ولكن أنبياء أورشليم لم يفعلوا هذا، لقد تنبأوا باسم الإله الحقيقي، وكانوا يفتخرون بأنهم لم يكونوا مثل أنبياء السامرة، الذين تنبأوا باسم البعل، ولكنهم على الرغم من ذلك أفسدوا الأمة بممارساتهم الفاسقة، كما أفسدهم أولئك بوثنيتهم. ولقد استغلوا اسم الإله القدوس ومع ذلك تمرغوا في كل أنواع النجاسة. لقد استغلوا اسم إله الحق، ومع ذلك «يسلكون بالكذب». وهكذا كانوا يشجعون الخطاة، لأن كل واحد سيقول: من المؤكد أننا سنعمل ما يعمله الأنبياء، ومن الذي يتوقع منا أن نكون أفضل من معلمينا؟ وبهذا أصبحت يهوذا وأورشليم «كسدوم... وكعمورة»، ولذلك لم يكن الله يرى فيهم سوى أنهم لا يصلحون لشيء سوى للهلاك.

(٢) وإنهم شجعوا الناس على الخطية بنبواتهم الكاذبة. لقد اقنعوا أنفسهم أنه لا ضرر ولا شر من الخطية، وكانوا يطبقون هذا على ممارساتهم (ع ١٦): «يتكلمون برؤيا قلبهم لا عن فم الرب». قالوا للخطاة إن الأمور ستتحسن معهم على الرغم من إصرارهم على خطاياهم (ع ١٧). وأولئك الذين يكرسون أنفسهم لملذاتهم يحتقرون إلههم. وكان هؤلاء الأنبياء يتملقونهم: كان من واجبهم أن يدأبوا على القول بأنه لا سلام لمن يواصلون طرقهم الشريرة، ولكنهم عوض ذلك يقولون «يكون لكم سلام... لا يأتي عليكم شر»، والأسوأ من ذلك كله أنهم يقولون لقد «قال الرب» ذلك.

رابعا: لقد أنكر الله كل ما قاله هؤلاء الأنبياء الكذبة ليدخلوا السكينة على الشعب وهم في خطاياهم (ع ٢١): «لم أرسل الأنبياء»، لم يكلفهم الله إطلاقا بأية مهمة. ومع ذلك كانوا متحمسين للغاية- «بل هم جروا»، وكانوا جسورين جدا: فقد «تنبأوا» دون أية صعوبة من تلك التي أحيانا تواجه الأنبياء. قالوا للخطاة: «يكون لكم سلام»، غير أنه (ع ١٨). «من وقف في مجلس الرب؟» إنكم تقدمون

هذه الرسالة بتأكيد عظيم، ولكن هل تشاورتم مع الله بشأنها؟ إنكم لم تروا أو تسمعوا «كلمته»، لم تقارنوها مع الأسفار المقدسة، ولو انتبهتم إلى المرمى المستمر لها لما أبلغتم الناس بمثل هذه الرسالة. فإنهم لم يصغوا «لكلمته» ولا سمعوها. وقد تم إثبات ذلك بعدئذ «ولو وقفوا في مجلسي» (ع ٢٢)، كما ادعوا:

(١) لاتخذوا من الأسفار المقدسة معيارا لهم: «لأخبروا شعبي بكلامي».

(٢) لجعلوا كل همهم توبة النفوس، واستهدفوا ذلك في كل كلامهم.

(٣) لكان لديهم بعض العلامات التي تدل على خدمتهم: «ولو وقفوا في مجلسي»، وكان الكلام الذي كرزوا به هو كلامي لارتدوا «عن شر أعمالهم».

خامسا: الله يهدد بمعاقبة هؤلاء الأنبياء على شرهم. لقد وعدوا الشعب «سلاما»، ولكي يبين الله لهم حماقة ذلك يقول لهم بأنهم هم أنفسهم لن يكون لهم سلام. فالشر قادم عليهم وهم لا يدرون (ع ١٢). ولأن الأنبياء والكهنة أشرار «يكون طريقهم لهم كمزالق في ظلام دامس فيُطردون». يتظاهرون بأنهم يرشدون الآخرين إلى الطريق، لكنهم هم أنفسهم سيكونون في ظلام، أو في ضباب. يتظاهرون بأنهم يطمئنون الآخرين، غير أنهم هم أنفسهم لن يجدوا الوضع راسخا بالنسبة لهم. يدعون بأنهم يشعرون الناس براحة بواسطة تملقهم، ولكنهم هم أنفسهم سيقلقون: وأثناء هربهم «يسقطون». يتظاهرون بأنهم يمنعون الشر الذي يهدد الآخرين، ولكن الله يجلب «عليهم شرا سنة عقابهم». «وسنة عقابهم» هي سنة المجازاة. وقد هددوا كذلك «هأنذا أطعمهم أفسنتينا» (ع ١٥)، والذي لا يسبب الغثيان فحسب، بل وسام أيضا، «وأسقيهم ماء العلقم» أو شرابا مسموما (كما في ترجمة أخرى، انظر إرميا ٩: ١٥).

سادسا: حذر الناس هنا بألا يلقوا أي اهتمام بهؤلاء الأنبياء الكذبة اهتموا بما يقوله الله «لا تسمعوا لكلام الأنبياء الذين يتنبأون لكم» (ع ١٦)، لأنهم سيرون أن كلمة الله هي التي تبقى وليس كلامهم. هم يقولون لكم «لا يأتي عليكم شر»، ولكن لتسمع ما يقوله الله (ع ١٩): «ها زوبعة الرب. غيظ يخرج». هم يقولون لكم بأن كل شيء هادئ وصاف، غير أن الله يقول لكم إن زوبعة مقبلة «زوبعة الرب»، ولا يستطيع أحد أن يقف أمامها. وهذا الحكم لا يمكن الرجوع فيه (ع ٢٠): «لا يرتد غضب الرب». ولن يغير الله فكره، ولن يسمح بأن يرتد غضبه «حتى يجري ويقيم مقاصد قلبه». وهم لن يهتموا بذلك الآن، غير أنه «في آخر الأيام تفهمون فهما»، تتأملون ذلك بفهم (بحسب معنى الكلمة) أو باعتبار وأهمية.

سابعا: قدم لهؤلاء الأنبياء الكذبة هنا عدة أمور لكي يتبصروها لعلهم يرجعون عن خطأهم.

(١) عليهم أن يعرفوا أنه ولو كان باستطاعتهم أن يخدعوا الناس إلا أن الله حكيم لا يمكن لأحد أن يخدعه.

أ. يؤكد الله وجوده في كل مكان وعلمه بكل شيء بصفة عامة (ع ٢٣ و٢٤). على الرغم من أن عرش الله في السماوات، وأن الأرض تبدو لنا بعيدة عنه، إلا إنه هو الله في هذا العالم الذي نعيش فيه (ع ٢٣). وعين الله على الأرض كما هي في السماء. وقوة الله على الأرض وسكانها هي نفسها قوته في السماء. فالقرب والبعد بالنسبة لنا يشكلان اختلافا كبيرا سواء بالنسبة لملاحظاتنا أو أعمالنا، ولكن الأمر ليس هكذا مع الله. فالنور والظلمة والبعد والقرب سيان عنده. وصفات الناس ومشوراتهم لا يمكن أن تخفى عن الله الذي يرى كل شيء (ع ٢٤): «إذا اختبأ إنسان في أماكن مستترة أفما أراه؟» هل بمقدور أحد أن يخفي رغباته ونواياه في الأماكن المستترة في القلب، وأنا لا أراها؟ فهو موجود في كل مكان، وهو لا يحكم السماوات والأرض فقط، لكنه «يملأ السماوات والأرض» بوجوده الفعلي (مز ١٣٩: ٧ – ١٢). ولا يسعه مكان ولا يمكن أن تمنعه حدود.

ب. يطبق هذا على هؤلاء الأنبياء، الذين لديهم مهارة معروفة في خداع الآخرين (ع ٢٥ و٢٦). سوف يعرفهم الله أنه يعلم كل الخزي الذي جلبوه على هذا العالم، تحت ادعاء إنهم يخبرون الناس بإعلانات منه. لقد كشف الله زيفهم. يقرأ البعض الآية ٢٦ هكذا: هل وضع هؤلاء الأنبياء في قلبهم أن يتنبأوا دائما بالكذب، وأن يتنبأوا بخداع قلبهم.

(٢) عليهم أن يعرفوا أن خداعهم الناس

بإعلانات إلهية زائفة، على أنها وحي إلهي هو أقرب طريق لاحتقار الديانة كلها، الأمر الذي يدفع الناس إلى الإلحاد وعدم الإيمان. وهكذا يقول الرب «الذين يفكرون أن يُنَسوا شعبي اسمي بأحلامهم». وأعظم شيء يستهدفه الشيطان هو أن يحمل الناس على نسيان الله، وكل الأمور التي جعل الله نفسه معروفا من خلالها. أحيانا يعمل ذلك من خلال إقامته آلهة زائفة (يدفع الناس على حب البعل، وسرعان ما ينسون اسم الله)، ويلجأ أحيانا إلى الحديث المغلوط عن الإله الحقيقي.

(٣) عليهم أن يتأملوا الفرق الشاسع بين نبواتهم والنبوات التي يقدمها أنبياء الرب الحقيقيون «النبي الذي معه حلم فليقص حلما» (ع ٢٨). عليه ألا يعول على ذلك بأكثر مما يفعل سائر الناس بالنسبة لأحلامهم، وألا يتوقع أن يعطيها الناس اعتبارا أكثر من حقيقتها. غير أنه على النبي الحقيقي «الذي معه كلمتي فليتكلم بكلمتي بالحق». عليه الالتزام تماما بالتعليمات المعطاة له، وسرعان ما يدرك الفرق الشاسع بين الأحلام التي يقصها الأنبياء الكذبة، والأوامر الإلهية التي يأتي بها الأنبياء الحقيقيون. والذين لديهم حواس روحية مدربة ستكون لهم القدرة على التمييز. لأنه «ما للتبن مع الحنطة؟» وأوهام الناس تافهة لا قيمة لها، مثل العصافة التي تذريها الريح «لكن كلمة الله تحمل جوهرها بين طياتها، ولها قيمتها، وهي غذاء للنفس، لأنها خبز الحياة». «أليست هكذا كلمتي كنار يقول الرب؟» فهل كلام الأنبياء الكذبة هكذا؟ هل لكلامهم قوة كلمة الله وفعاليتها؟ للنار نتائج متباينة، وذلك يعتمد على المادة التي تتعامل معها، فهي تعطي الطين صلابة، غير أنها تلين الشمع، تأكل الخبث، لكنها تنقي الذهب. هكذا أيضا كلمة الله، هي للبعض رائحة حياة لحياة، ولآخرين رائحة موت لموت. ولذلك فقد شبهت أيضا «كمطرقة تحطم الصخر». فقلب الإنسان غير المتواضع يشبه الصخر، ما لم يلن بكلمة الله كتأثير النار على الشمع، سوف تحطم القلب الصخري كما تحطم المطرقة الصخر.

(٤) عليهم أن يعرفوا أن الله يكون ضدهم ماداموا مستمرين في كذبهم. ولقد قيل لهم هذا ثلاث مرات (ع ٣٠ و٣١ و٣٢). فيشير إليهم هنا بقوله: «يسرقون كلمتي بعضهم من بعض». فأولئك الذين هم غرباء عن روح الأنبياء الحقيقيين، يحاكون لغة الأنبياء الحقيقيين وذلك باقتباس بعضا من أقوالهم الحسنة وينسبونها إلى أنفسهم، لكن عندما يتحدثون بها تكون خالية من النعمة. ويفهمها آخرون على أنها كلمة الله التي قبلها بعض الناس، مع أنها كلمات مسروقة، مثل الشرير الذي ذكر أنه يسرق البذار الجيدة للكلمة (مت ١٣: ١٩). وبتلميحاتهم يقللون سلطة كلمة الله ويضعفون فعاليتها، في أذهان أولئك الذين بدا أنهم على قناعة بها. والله يقف ضدهم (ع ٣١)، لأنهم «يأخذون لسانهم» لسرورهم من أقوالهم التي قالوها للناس ثم ينسبونها لله ويقولون إنه قال بها. والبعض يترجمونها «ينعمون ألسنتهم»، فهم مقبولون جدا للشعب، ولا يقول إلا ما يسره ويلقى قبوله. ولازالوا يعتبرون مزيفين وغشاشين «هأنذا» (ع ٣٢). عليهم، لأنهم «يتنبأون بأحلام كاذبة»، مدعين أنها وحي إلهي، وما هي في حقيقة الأمر إلا من خيالاتهم. ويلام الشعب على الخطأ الذي يرتكبونه، إلا أنه بالأكثر خطأ الأنبياء الذين «يضلون شعبي بأكاذيبهم ومفاخراتهم». والله ينكر أنه كلفهم بأية مهمة: «وأنا لم أرسلهم ولا أمرتهم». وهم ليسوا رسل الله. «فلم يفيدوا هذا الشعب فائدة».

عدد ٣٣ - ٤٠

توبيخ لتجديف الشعب والكهنة والأنبياء في إطار معين، قد لا تبدو له أهمية كبيرة، لكن التجديف في الأحاديث العامة وإفساد لغة أمة ما يعد دليلا على انتشار الشر بها.

أولا: الخطية التي اتهموا بها هنا هي السخرية من أنبياء الله، واللهجة التي استعملوها. فقد سألوا: «ما وحي الرب» (ع ٣٣ و٣٤). وهذه هي الكلمة التي شكلت إهانة عظيمة لله، ذلك أنهم حينما يتكلمون عن «كلمة الله» يسمونها في احتقار وسخرية «عبء الرب». وكانت هذه كلمة استعملها الأنبياء كثيرا، واستخدموها في إطار من الجدية التامة، ليبينوا الثقل الذي كان لكلمة الله على نفوسهم. أما الآن فإن المستهزئين الدنسين أخذوا هذه الكلمة وحولوها إلى مزحة. والسخرية برسل الله كانت تشوش على الرسالة

المعطاة لهم من الله. البعض يعتقد بأنه حين سُميت «كلمة الرب» عبئا فإن هذا كان يشير إلى نوع من التوبيخ والتهديد. باستخدام عبارة «عبء الرب» بطريقة تنم عن النفاق فإنما كان يلمحون إلى أن الله دائما يثقل عليهم، ويخيفهم دائما، وبذلك جعلوا كلمة الله مصدر قلق دائم لهم. والذين اتهموا بارتكاب هذه الخطية، كانوا بعضا من الكهنة، وبعضا من الشعب الذين تعلموا من الكهنة والأنبياء الدنسين أن يستخفوا بالأمور المتعلقة بالله.

ثانيا: عند توبيخهم لأسلوب التجديف الذي يتبعونه في كلامهم، تم توجيههم إلى كيفية التعبير عن أنفسهم بأسلوب مهذب. ونجد ذلك مستخدما في مرات عديدة لاحقا (زك ٩: ١؛ ملا ١: ١؛ نح ١: ١؛ حب ١: ١). أما هنا فإن الله سيترك النبي يتبع طريقته (إر ١٥: ١٩). لا تتوقف عن استعمال كلمة عبء (وحي)، ولكن دعهم يكفون عن إساءة استخدامها: «أما وحي الرب فلا تذكروه بعد» بهذه الطريقة الدنسة المجدفة (ع ٣٦). فكيف إذا يعبرون عن أنفسهم؟ يقول لهم (ع ٣٧): «هكذا تقول للنبي»، حينما تستفسر منه «بماذا أجابك الرب؟» أو «ماذا تكلم به الرب؟» وعليهم أن يقولوا هكذا حين يستفسرون كل واحد من صاحبه (ع ٣٥)

ثالثا: مازالوا يقولون «وحي الرب»، على الرغم من أن الله أرسل لهم ليمنعهم من استعمال هذه الكلمة (ع ٣٨). وسوف يحاسب الله بشدة الذين حرفوا «كلام الإله الحي»، أي الذين يفسرونه بطريقة خاطئة. إنه لمما يغضب الله وإلى درجة كبيرة السخرية برسله (ع ٣٤). «كلمة كل إنسان تكون وحيه»، أي أن إثم هذه الخطية سيكون شديد الوطأة عليه، وسوف يحاسبهم الله كثيرا على تهكمهم، حتى يصبح التهكم على كلمة الله شديد الوطأة عليهم. هل يسألون: «ما وحي الرب» ليسألهم النبي «أي وحي» تقصدون، إنه هذا «إني أرفضكم» (ع ٣٣). وهذا هو العبء الذي يوضع عليهم ويزيد (ع ٣٩ و٤٠): «لذلك هأنذا أنساكم نسيانا وأرفضكم من أمام وجهي». وسوف تتمجد كلمة الله ويكون لها كرامتها عندما يحتقر من يسخرون منها ويحط من قدرهم.

الأصحاح الرابع والعشرون

في ختام الأصحاح السابق رأينا نبوءة عامة عن خراب أورشليم الشامل، الأمر الذي أحزن قلب النبي نفسه. أما في هذا الأصحاح فالله يشجعه، وذلك بأن عرفه بأنه على الرغم من أن الخراب بدا وكأنه شامل، إلا أنه لن يعم الجميع، وأن الله يعرف كيف يميز بين الثمين والغث. كان البعض قد سبي فعلا مع يهوياكين، غير أن الله يقول له بأن ذلك سيعود عليهم بالخير. وآخرون تصلبوا في خطاياهم، وعن هؤلاء، يقول له الله، سوف يذهبون إلى السبي. ولكي يخبر الله النبي بذلك نجد هنا:

أولا: رؤيا خاصة بسلتين من التين، إحداهما جيدة جدا والأخرى رديئة جدا (ع ١ – ٣).

ثانيا: شرح هذه الرؤيا، حيث يشير التين الجيد إلى أولئك الذين سبق أن تم سبيهم لمصلحتهم (ع ٤ – ٧)، أما التين الرديء فيشير إلى الذين سيسبون بعد ذلك كعقاب لهم (ع ٨ – ١٠).

عدد ١ – ١٠

على الرغم من قصر هذا الأصحاح إلا أننا نجني منه تعزيات أكثر من الأصحاحات الطويلة، حيث يبين لنا أن نفس العناية الإلهية التي هي بالنسبة للبعض «رائحة موت لموت»، قد تصبح بنعمة الله «رائحة حياة لحياة» بالنسبة لآخرين، وعلى الرغم من أن شعب الله يشاركون الآخرين نفس الكارثة، إلا أن ذلك قصد به خيرهم. إنه قضيب تأديب في يد أب حنون.

أولا: تاريخ هذه العظة. كان بعد سبي يهوياكين بفترة بسيطة (ع ١). يهوياكين نفسه كان إناء مكسورا «لا مسرة فيه» إلا أنه سبي ومعه بعض الشخصيات ذات القيمة الكبيرة مثل حزقيال (حز ١: ١ و٢)، وكثيرون من «رؤساء يهوذا» ذهبوا إلى السبي، ومن بين الشعب تم سبي «النجارين والحدادين» فقط، لأن البابليين كانوا في حاجة إلى أمثال هؤلاء الحرفيين (كان لديهم الكثيرون من المنجمين، ولكن كانت لديهم ندرة في الحرفيين والصناع المهرة). كثيرون من خيار الناس تم سبيهم الأمر الذي حزن من أجله النبي، في حين أنه كان هناك من شعروا بالنصرة في هذا السبي وأهانوا أولئك الذين كان من نصيبهم أن يؤخذوا إلى السبي.

ثانيا: الرؤيا التي بواسطتها تم التمييز للنبي بين النوعيتين المختلفتين للمسبيين. لقد رأى «وإذ سلتا تين موضوعتان أمام هيكل الرب»، معدتان لتقديمهما كأبكار الثمار لمجد الله. وكان التين في إحدى السلتين جيدا للغاية، أما التين الذي كان في السلة الأخرى فكان رديئا إلى أبعد الحدود. وبنو الإنسان هم جميعا مثل ثمار شجرة التين من الممكن أن يكونوا نافعين لله والإنسان (قض ٩: ١١)، البعض مثل التين الجيد، الذي لا يوجد شيء أحلى منه، والآخرون مثل التين التالف المتعفن، الذي لا يوجد ما يصيب الإنسان بالغثيان مثله. والتين الجيد كان باكورة شجرة تين، تشتهيها النفس (مي ٧: ١) وتقدرها. أما التين الرديء فكان «لا يؤكل من رداءته»، فلم يكن طيبا أو صالحا للأكل. وإذا لم يكرم الله من الناس، ولا يعبده جيلهم، فإنهم يكونون مثل التين الرديء الذي لا يؤكل. ولن يستخدموا في إتمام أي قصد صالح. ومن بين الأشخاص الذين يقدمون للرب عند باب خيمته، البعض منهم مخلصون، وهم مفيدون جدا، وآخرون مراؤون وهم أشرار للغاية.

ثالثا: شرح هذه الرؤيا وتطبيقها. قصد الله بذلك أن يرفع معنويات المكتئبين ممن ذهبوا إلى السبي، بالتأكيد لهم بعودة سعيدة، ولكي يذل ويوقظ نفوس المتكبرين الذين بقوا مع ذلك في أورشليم، بأن أكد لهم بأنهم سيؤخذون إلى سبي يكونون فيه أشد بؤسا.

(١) مغزى التين الجيد، أبكار التين. وهذا التين يرمز إلى الأتقياء من المسبيين، الذين بدوا وكأنهم أبكار من سيلحقهم الدمار، لأنهم ذهبوا أولا إلى السبي، ولكن سيثبت أنهم أبكار للرحمة، وأن سبيهم سيساعد على نضجهم، وهؤلاء يسرون قلب الله وسوف يحفظون بكل عناية. وحين تأتي دينونات الله، فأول من تقع عليهم ليس هم أسوأ الناس. فالآلام المبكرة كثيرا ما يثبت أنها كانت للخير. وكلما أسرعنا في تقويم الطفل كان ذلك أفضل من ناحية إصلاحه وتقويمه. وأولئك الذين أخذوا أولا إلى السبي، كانوا بمثابة الابن الذي يحبه الأب ويؤدبه في وقت لا يزال هناك أمل في الإصلاح. أما أولئك الذين تخلفوا فكانوا بمثابة ابن تُرك لنفسه مدة طويلة، والذي عند تأديبه بعد ذلك، واصل عناده وصار إلى أسوأ (مرا ٣: ٢٧). والله يعترف بأنه السبب في سبيهم.. «أرسلته من هذا الموضع إلى أرض الكلدانيين» (ع ٥). إن الله هو الذي يضع ذهبه في البوتقة ليختبره، فهو يمد يده، بطريقة خاصة في المحن التي تصيب الصالحين. فالقاضي يأمر بتسليم المجرم إلى يد أحد الجلادين، أما الأب فيقوِّم ابنه بيده هو. وبدا أن الأمر كان لضررهم من جميع النواحي، ليس بالنسبة لضياع ممتلكاتهم وفقدهم لحرياتهم فقط، ولكن مع أن ذلك كان من شأنه هبوط روحهم المعنوية، كما أضعف إيمانهم وحرمهم من فائدة أقوال الله وفرائضه، وعرضهم للتجارب، ومع ذلك فقد كان الهدف هو خيرهم، وقد ثبت أنه كذلك. ذلك أن محنهم حملتهم على الاقتناع بخطيتهم، فتذللوا تحت يد الله وانفصلوا عن العالم. تعلموا الصلاة، ورجعوا عن إثمهم. أما أقاربهم المتعالون الذين يحتقرونهم والذين خلَّفوهم وراءهم فنادرا ما اعترفوا بهم. غير أن الله يقول: «أنا أعترف بهم». وقد أرسلوا إلى السبي «للخير»، فلن يضيعوا هناك، ولكن سيكون الأمر بالنسبة لهم مثل الذهب الذي يوضع في البوتقة لكي يتنقى، فترى عين الله عليه وهو فيها، وهي عين حريصة، تتأكد من أنه لن يحدث أي ضرر. «وأجعل عيني عليهم للخير». وسوف يخرجه من البوتقة ثانية بعد أن يتم العمل المرجو: «وأرجعهم إلى هذه الأرض». لقد أرسلوا للسبي من أجل إصلاحهم تحت ظروف تأديب قاسية، إلا أنهم سيرجعون ثانية إلى بيت أبيهم. فهو سيصوغ ذهبه بعد أن نقاه، وسيجعله آنية للكرامة لائقة لاستعماله، ولذلك بعد أن أرجعهم الله ثانية من هذه التجربة. فإنه «سيبنيهم» ويجعلهم مسكنا له، و«يغرسهم» ويجعلهم لنفسه كرما. وما كان سبيهم إلا لتهذيب الأحجار غير المصقولة، حتى يجعلها مناسبة لبنائه، وليشذب الأشجار الصغيرة ليجعلها ملائمة لغرسه. كان يحاول إعدادهم لهذه المراحم الزمنية التي أعدها لهم، وذلك بأن أعطاهم بركاته الروحية (ع ٧). وسوف يعرفون الكثير عن الله بتدابيره التي عملها معهم في بابل بأكثر مما عرفوه عنه بواسطة أقواله وأحكامه الإلهية في أورشليم. لقد جاء الوعد هنا: «وأعطيهم» ليس عقلا ليعرفوني، بل «قلبا ليعرفوني»، وسوف «يرجعون إليَّ بكل قلبهم». والله نفسه يتعهد لهم بأنهم سيفعلون

www.DIFA3IAT.com

ذلك، وإذا ما غيرنا، فسوف نتغير. وهكذا فيدخلون ثانية في عهد مع الله. «فيكونوا لي شعبا وأنا أكون لهم إلها». وأولئك الذين ارتدوا عن الله، إذا ما عادوا إليه بكل قلوبهم، فإنهم ينعمون- شأنهم في ذلك شأن الآخرين- بكل نعم العهد الدائم وتعزياته.

(٢) مغزى التين الرديء. يلاحظ أن صدقيا ملك يهوذا ورؤساءه والموالين له بقوا «في هذه الأرض»، وكانوا بغطرستهم يشعرون بأنهم آمنون تماما (حز ١١: ٣). كثيرون كانوا قد هربوا إلى مصر ليتخذوها ملاذا لهم، ومن أجل سلامتهم، وكانوا يتباهون بأنه على الرغم من أنهم تصرفوا ضد وصية الله إلا أنهم تصرفوا بفطنة لإنقاذ أنفسهم. وبالنسبة لهؤلاء الذين احتقروا الذين ذهبوا إلى السبي، فقد تم تهديدهم هنا بالآتي:

أ. في حين أن أولئك تم سبيهم قد استقروا في مملكة واحدة، حيث تعزوا بصحبة وجودهم معا، فإن هؤلاء سوف يشتتون إلى «جميع ممالك الأرض».

ب. في حين أن أولئك تم سبيهم لخيرهم، أما هؤلاء فسوف يشتتون في كل الممالك «حتى يفنوا». وسوف يكون من نتيجة محنهم أن تتقسى قلوبهم لا أن تقربهم من الله، بل وسوف تبعدهم عنه أكثر فأكثر.

ج. وفي حين أن أولئك سينالون شرف اعتراف الله بهم أثناء متاعبهم، إلا أن هؤلاء سيكون لهم خزي أن يتخلى الجميع عنهم: وأسلمهم «عارا ومثلا وهزأة ولعنة في جميع المواضع التي أطردهم إليها».

د. في حين أن أولئك «أرجعهم إلى هذه الأرض»، إلا أن هؤلاء «يفنوا عن وجه الأرض» ولا يرونها مرة ثانية.

هـ. في حين أن أولئك سيحفظون لأوقات أفضل، فإن هؤلاء سيحفظون للأسوأ، فأي جهة يطردون إليها سينتظرهم فيها «السيف والجوع والوبأ». ولعل هنا إشارة رمزية إلى الدمار الأخير لليهود على يد الرومان، حيث تم الاهتمام بالمؤمنين، أما أولئك الذين تمسكوا بعنادهم وعدم إيمانهم فقد طردوا إلى كل الممالك «هزأة ولعنة».

الأصحاح الخامس والعشرون

نبوءة هذا الأصحاح تحمل تاريخا سابقا لتاريخ الأصحاحات التي وردت قبله مباشرة. فقد تأرخ هذا الأصحاح في «السنة الأولى لنبوخذراصر»، تلك السنة المشهودة حين ابتدأ تراجع سيف الرب.

أولا: استعراض للنبوات التي سبق أن أعطيت ليهوذا وأورشليم طيلة السنوات العديدة السابقة بمعرفة إرميا نفسه فضلا عن أنبياء آخرين، مع أنهم لم يعيروها إلا اهتماما قليلا (ع ١- ٧).

ثانيا: إنذار واضح جدا بخراب يهوذا وأورشليم على يد ملك بابل لاستمرارهم في الخطية (ع ٨- ١١) والذي أرفق به وعد بخلاصهم من السبي في بابل بعد سبعين سنة (ع ١٢- ١٤).

ثالثا: نبوءة عن خراب عدة شعوب أخرى عديدة على يد نبوخذراصر الذي رمز إليه «بكأس.. السخط» الذي وضع في أيديهم (ع ١٥- ٢٨) بواسطة سيف يرسل بينهم (ع ٢٩- ٣٣)، وخراب بين الرعاة وقطعانهم ومراعيهم (ع ٣٤- ٣٨).

عدد ١ - ٧

رسالة من الله بخصوص كل شعب يهوذا (ع ١)، سلمها إرميا لكل هذه الشعوب (ع ٢). وقد أرسل إرميا إلى «كل شعب»، ولعل ذلك حين صعد الجميع إلى أورشليم للعبادة في أحد الأعياد المقدسة.

وتاريخ هذه النبوة يرجع إلى «السنة الرابعة ليهوياقيم»، وهي «السنة الأولى لنبوخذراصر». ومن حيث إن هذا الملك المحارب شرع يقيم نفسه سيدا للعالم، فإن الله من خلال نبيه أعلن أنه عبده. ولا يجب أن يصل نبوخذراصر إلى حالة يكاد يكون فيها ملكا على العالم كله (طاغيا على مستوى العالم) ولكن لله مقاصده التي يريد أن يستخدمه لتحقيقها.

نلاحظ في هذه الرسالة الجهود العظيمة التي بذلت للإتيان بهم إلى التوبة، والتي ذكروا بها هنا كتبرير للإجراءات التي اتخذها الله ضدهم.

أولا: كان إرميا من ناحيته، واعظا بصفة دائمة بينهم مدة ثلاث وعشرين سنة. مدة ثلاث وعشرين سنة «آتي أطلب ثمرا في هذه التينة». طوال هذه المدة كلها كان الله يبعث لهم برسائله بصفة مستمرة، كلما

WWW.DIFA3IAT.COM

سنحت فرصة لذلك. منذ ذلك الحين «إلى هذا اليوم.. صارت كلمة الرب إليَّ» من أجلكم. وهكذا كان روح الله يجاهد معهم، كما كان في العالم القديم (تك ٦ : ٣). وكان إرميا أمينا ونشيطا في توصيل هذه الرسائل: «فكلمتكم مبكرا ومكلما». وقد أعلن لهم مشورة الله كلها من جهتهم.

ثانيا: وبالإضافة إلى إرميا، أرسل الله أنبياء آخرين لنفس المهمة (ع ٤). كان هناك آخرون كثيرون من «عبيده الأنبياء» الذين ألقوا فيهم عظات لإنهاضهم من كبوتهم، ولكنها لم تنشر إطلاقا.

ثالثا: الجميع أخبروهم بأخطائهم، ليرجع كل واحد «عن طريقه الرديء وعن شر» أعمالهم. والذين تملقوهم كما لو لم يكن ثمة خطأ من جانبهم لم يكونوا مرسلين من الله. جميع الأنبياء الصادقين وبخوهم من أجل وثنيتهم، وسلوكهم «وراء آلهة أخرى» ليعبدوها ويسجدوا لها. آلهة هي «بعمل أيديكم». والجميع دعوهم إلى التوبة عن خطاياهم وأن يصلحوا حياتهم، وكأن هذا قرار كل ترنيمة. يجب الإصرار على الإصلاح على المستوى الشخصي كأمر لابد منه للخلاص القومي: «ارجعوا كل واحد عن طريقه الرديء». لن يكون الشارع نظيفا إلا إذا نظف كل واحد أمام بيته. المراحم التي تمتعوا بها يجب أن تستمر بالنسبة لهم: «واسكنوا في الأرض» اسكنوا على راحتكم، في هذه الأرض الطيبة «التي أعطاكم الرب إياها وآباءكم». ولن يخرجكم منها سوى الخطية، ولن يحدث هذا إذا ابتعدتم عنها.

رابعا: ومع ذلك فقد ذهبت كل هذه الجهود أدراج الرياح. فلم يتأثروا حتى يتبعوا النهج الصحيح والوحيد لتحويل غضب الله عنهم. وكان إرميا واعظا يتميز بالحيوية والرقة البالغتين ومع ذلك «فلم تسمعوا» (ع ٣). وقد تعامل الأنبياء الآخرون معهم بكل أمانة، ولكن «لم تسمعوا ولم تميلوا أذانكم للسمع» (ع ٤).

عدد ٨- ١٤

هنا الحكم الذي قام على أساس التهمة السابقة: «من أجل أنكم لم تسمعوا لكلامي». ومن ثم يجب أن اتخذ معكم سبيلا آخر (ع ٨). والخاطئ إما أن يتخلى عن خطيته أو يموت فيها.

أولا: تقرر هنا خراب أرض يهوذا على يد جيوش ملك بابل (ع ٩). لقد أرسل الله لهم «عبيده الأنبياء» ولكنهم لم يبالوا بهم. ورسل غضب الله سوف يبعث بهم ضد هؤلاء الذين رفضوا قبول رسل رحمته. وعلى الرغم من أن نبوخذراصر يعد غريبا عن الإله الحقيقي، فإنه مع ذلك كان «عبد الله» في الهجوم الذي شنه على تلك البلاد، فقد كان أداة في يده لتأديب شعبه. وكان في الواقع يحقق مقاصد الله في الوقت الذي كان يعتقد فيه أنه يحقق مطامعه. فأقوى الملوك وأعظمهم ما هم في الواقع إلا عبيدا له. ونبوخذراصر، الذي كان أداة غضبه، كان حقا عبده مثلما كان كورش أداة لرحمته. ولقد وصف هنا الخراب الكامل لهذه الأراضي وكل الشعوب المجاورة (ع ٩- ١١). وهذا الخراب سيكون دمارا لسمعتهم بين جيرانهم، «وأجعلهم دهشا وصفيرا... وأبيد منهم صوت الطرب»، فلن يتوافر لهم سبب لذلك، أو قابلية له. «وأبيد منهم... صوت الأرحية»، لأنه بعد أن يستولي العدو على مخازنهم، لابد وأن يخفت صوت الطحن. وسوف تنتهي كل أعمالهم ولن يرى «نور السراج» لأنه لن يكون هناك عمل يستحق أن يوقد له السراج. وأخيرا سيحرمون من حريتهم: «وتخدم هذه الشعوب ملك بابل سبعين سنة». وتحديد الزمن الذي يستغرقه سبيهم سيكون له نفع عظيم، ليس من ناحية تأكيد صدق النبوة فحسب، بل من أجل تعزية شعب الله في محنتهم وحفزهم على الإيمان والصلاة. «معلومة عند الرب منذ الأزل جميع أعماله» (أع ١٥ : ١٨)، وهذا ما يظهر من أنه حين رأى الأمر مناسبا أعلن بعضها لعبيده الأنبياء، ولكنيسته من خلالهم؟

ثانيا: خراب بابل: أخيرا قد تم التنبؤ به، كما سبق أن تنبأ به إشعياء قبل ذلك بزمن طويل (ع ١٢ - ١٤). فالمخربون يجب أن يحل بهم الخراب هم أيضا. وسوف يتم ذلك «عند تمام السبعين سنة». ومن المشكوك فيه متى تبدأ هذه السبعون سنة، البعض يجعل تاريخها على أساس السبي في السنة الرابعة

www.DIFAIAT.com

من حكم يهوياقيم والسنة الأولى من نبوخذراصر، وآخرون من سبي يهوياكين بعد ذلك بثماني سنوات. وحين أتى الوقت الذي ينعم فيه الله على صهيون، هنا يجب معاقبة ملك بابل، ويحاسب على طغيانه، وعندئذ تعاقب تلك الأمة «على إثمهم». من ثم تجعل هذه الأرض «خربا أبدية»، مثلما عملوا هم بالأراضي الأخرى. وخراب بابل هذا يتم بواسطة الماديين والفرس. ولقد قال الله: «وأجلب على تلك الأرض كل كلامي الذي تكلمت به عليها». ونفس إرميا الذي تنبأ بخراب بلاد أخرى على يد البابليين تنبأ أيضا بخراب البابليين أنفسهم (ع ١٣): «فأجازيهم حسب أعمالهم» التي تعدوا بها على ناموس الله، حتى في الوقت الذي كانوا يخدمون مقاصده.

عدد ١٥ - ٢٩

وبتشبيه الكأس الدائر، شبه هنا الخراب الشامل الذي أصبح الآن وشيكا. والكأس في الرؤيا سيكون سيفا في إتمامها، وهذا ما فسرت به في آية ١٦.

أولا: الملابسات الخاصة بهذه الدينونة:

(١) السيف المخرب لابد وأن يأتي «من يدي» (من يد الله) وقد استخدم الله رجالا أشرارا كسيف له (مز ١٧: ١٣). إنه «كأس خمر هذا السخط». إنه غضب الله العادل الذي يرسل هذه الدينونة. وقد شبه هذا بشراب سام، سيرغمون على شربه، كما كان يحدث في السابق حين كان المجرمون المحكوم عليهم بالإعدام يرغمون على شرب السم لإعدامهم. وقيل عن الأشرار إنهم يشربون «من خمر غضب الله» (رؤ ١٤: ١٠؛ انظر أيضا أيوب ٢١: ٢٠).

(٢) سوف ترسل لهم بيد إرميا باعتباره القاضي الذي وكل «على الشعوب» (إر ١: ١٠) لكي يصدر الأحكام ضدهم وبواسطة نبوخذراصر باعتباره الجلاد الذي ينفذها. وعلى إرميا أن يأخذ خمر هذا السخط «من يد الله»، ويجبر الشعوب على شربها.

(٣) يجب أن ترسل إلى كل الشعوب التي كانت لها اتصالات مع إسرائيل. أخذ إرميا الكأس وسقى «كل الشعوب»، أي أنه تنبأ بخصوص كل هذه الشعوب التي ورد ذكرها هنا، بأنه سيشملهم هذا الخراب العظيم. ولقد ذكرت «أورشليم ومدن يهوذا» (ع ١٨)، «لابتداء القضاء من بيت الله» (١ بط ٤: ١٧) «من مقدسي» (حز ٩: ٦). وكان هذا الجزء من النبوة قد بدأ يتحقق بالفعل، وهذا ما يستشف من الجملة الاعتراضية «كهذا اليوم»، لأنه في السنة الرابعة من حكم يهوياقيم ساءت الأمور إلى حد كبير. بعد ذلك يأتي «فرعون ملك مصر» لأن اليهود اتكلوا على هذه القصبة المرضوضة (ع ١٩)، وقد هرب بقيتهم إلى مصر، وهناك، على وجه الخصوص، تنبأ إرميا بخراب هذا الشعب (إر ٤٣: ١٠ و١١). وكل الشعوب الأخرى المتاخمة لكنعان يجب أن تشارك إسرائيل في هذا الكأس المرير: «كل اللفيف» (كل الغرباء)، الذين يتغربون في جميع الشعوب ويعيشون على السلب والنهب: «ملوك أرض عوص» الذين انضموا إلى بلاد الأدوميين. وكان الفلسطينيون مصدر ضيق لإسرائيل، أما الآن فقد أصبحت بلادهم غنيمة. أدوم، موآب وبني عمون، صور وصيدون، وهي من الأماكن المعروف أنها تتاخم إسرائيل، «والجزائر» التي في عبر البحر، من المفترض أنها تلك الأجزاء من فينيقية وسورية التي تقع على ساحل البحر الأبيض المتوسط. أما ددان والبلدان الأخرى المذكورة (ع ٢٣ و٢٤) يبدو وأنها تقع على حدود أدومية والصحراء العربية. أما عيلام فهم الفرس، الذين انضم إليهم الماديون. أما «ملوك الشمال» والتي هي أقرب إلى بابل، فسوف يؤخذون بسيف نبوخذراصر المنتصر. وسوف يندفع في انتصاراته بضراوة بالغة حتى أنه يريد أن تصبح كل ممالك العالم من ضحايا طموحاته. وهكذا قيل أن الإسكندر قد هزم العالم، وأطلقت لفظ المسكونة على الإمبراطورية الرومانية (لو ٢: ١)، أو قد تؤخذ على أن المقصود بها مصير «كل ممالك الأرض»، في وقت أو آخر، وسوف يشعرون بالعواقب الوخيمة للحرب. وقد كان العالم، وسوف يكون، ميدانا عظيما للقتال، في حين أن لذات الإنسان المحاربة تشن الحرب في أعضائهم (يع ٤: ١). «وملك شيشك يشرب بعدهم»، أي أن ملك بابل نفسه، الذي سبب لجيرانهم كل هذه المتاعب، سوف تعود وتنصب على رأسه. أما وأن المقصود بشيشك هي بابل، فهذا واضح مما جاء في إرميا ٥١: ٤١، وقد تم التنبؤ بخراب بابل (ع ١٢ و١٣).

(٤) وخراب كل هذه الممالك شبه بتعاقب السكر المفرط (ع ١٦): « فيشربوا ويترنحوا ويتجننوا»، «اشربوا واسكروا وتقيأوا واسقطوا ولا تقوموا» (ع ٢٧). فالسكارى عادة يسقطون ولا يقومون، وهي خطية تحمل عقوبتها بين ثناياها. وحين يرسل الله السيف ضد أمة، مع التصريح بخرابها، فسرعان ما تصبح مثل السكران، حيث يعمها الاضطراب، ويتجنن مستشاروها، ولا يعرفون ماذا يفعلون، ويتملكهم الضيق المستمر ويسقطون أمام العدو، ولا يستطيعون أن يعملوا أي شيء لمساعدة أنفسهم.

(٥) ويأبون «أن يأخذوا الكأس من يدك». لن يعطوا مصداقية لتنبوءات رجل بغيض مثل إرميا. إلا أنه عليه أن يخبرهم بأنه « هكذا قال رب الجنود»، وأنه من العبث أن يحاربوا كلي القدرة، وأنكم «تشربون شربا». وعليه أن يقدم لهم هذا السبب: إنه وقت العقوبة، يوم حساب. سبق أن استدعيت أورشليم بالفعل لتقديم الحساب: «لأني هأنذا أبتدئ أسيء إلى المدينة التي دعي اسمي عليها، فهل تتبرأون أنتم؟» وإذا ما كانت أورشليم ستعاقب لتعلمها الوثنية من الأمم، ألا تعاقب الأمم التي تعلمتها منهم؟ «لأني أنا أدعو السيف على كل سكان الأرض» لأنهم ساعدوا على إفساد سكان أورشليم.

ثانيا: هناك الله يحكم على الأرض، تحاسب أمامه كل الشعوب، وعليهم أن يلتزموا بحكمه. وأولئك الذين كانوا يضايقون شعب الله ويلحقون به الأذى سوف يحاسبون على ذلك في النهاية. وسوف تأتي سنة الفادي، بل هي سنة المجازاة. ووحي كلمة الرب سيصبح أخيرا وحي أحكامه. وسبق لإشعياء أن تنبأ منذ زمن طويل ضد معظم الأمم (إش ١٣، وما بعدها)، والآن ستتحقق كل نبواته. ولقد كان نبوخذراصر يتباهى بقوته لدرجة أنه فقد كل معنى للصواب. وهؤلاء هم الرجال الذين قلبوا العالم رأسا على عقب، ومع ذلك يتوقعون أن يتعجب الناس بهم ويعبدونهم. كان الإسكندر يعتقد في نفسه أنه ملك عظيم، في حين أن الآخرين لم يكونوا يرون فيه إلا أحد القراصنة العظام.

عدد ٣٠- ٣٨

وصف آخر للخراب الرهيب الذي سيلحقه ملك بابل وجيوشه بكل الشعوب المحيطة بأورشليم.

سوف يعرفون سريعا أن نبوخذراصر قد شن عليهم الحرب، غير أنه طلب من النبي أن يخبرهم بأن الله نفسه هو الذي يحاربهم (ع ٣٠): «الرب من العلاء يزمجر ومن مسكن قدسه... يزأر زئيرا... ضد كل سكان الأرض»، وسوف يزأر كشبل ترك «عيصه» (عرينه) (ع ٣٨) وقد خرج ليبحث عن فريسته. «لأن للرب خصومة مع الشعوب».

وخصومته معهم جاءت بسبب شرهم، واحتقارهم لسلطانه عليهم ورحمته بهم، «ويدفع الأشرار للسيف» لقد أثاروا غضب الله، ومن هنا جاء هذا الخراب. ولذلك «بلغ الضجيج إلى أطراف الأرض». ولم يعط الإنذار بواسطة بوق أو قرع الطبول بل بواسطة «نوء عظيم» أو عاصفة عظيمة «من أطراف الأرض»، السواحل التي في أقصى أطراف الأرض (ع ٣٢). وسوف يكون الجيش البابلي مثل الإعصار الثائر في الشمال، ولكنه يندفع من هناك بكل سرعة حيث يدمر كل ما يصادفه. وهنا يولول الرعاة ويصرخون، الملوك والرؤساء، عظماء الأرض «رؤساء الغنم». لقد اعتادوا أن يكونوا أكثر شجاعة، أما الآن فستخذلهم شجاعتهم، «تمرغوا» في التراب (ع ٣٤). سوف يسمع «صوت صراخ الرعاة وولولة رؤساء الغنم» (ع ٣٦). ولعله يواصل التشبيه المجازي بالأسد المزمجر، وهذه إشارة إلى الخوف العظيم الذي ينتاب الرعاة حين يسمعون أسدا مزمجرا يقترب تجاه قطعانهم ويكتشفون أنه «يبيد المناص»، أي لا مكان يهربون إليه (ع ٣٥) للحفاظ على سلامتهم، بل وتتلاشى «النجاة عن رؤساء الغنم». وحين تشب النيران في منزل جارنا، لابد وأن يتملكنا القلق خوفا على بيتنا. وحين تكون إحدى الشعوب مركزا للحرب، فلابد وأن تسمع كل أمة مجاورة ويعتريها الخوف، وتتصالح مع الله. وثمة كثيرون جدا سيسقطون بسيف البابليين الذين لا يعرفون شفقة أو رحمة، ومن ثم تجد «قتلى الرب» مطروحين في كل مكان. والذين قتلوا بسبب الخطية هم «قتلى الرب» ولن يكون هناك من يدفنونهم، أما الأعداء فلن يكون لديهم أية ذرة من الإنسانية بحيث يقومون بذلك. ونتيجة هذه الحرب أن «أرضهم صارت خرابا من أجل الظالم» (ع ٣٨)، وذلك أرضا تلو

أخرى. غير أننا نجد هنا تعبيرين آخرين يجعلان الحالة أكثر مدعاة للحزن.

أ. «فتسقطون كإناء شهي» (ع ٣٤). فأكثر الأشخاص قابلية لديهم، والذين كان ينظر إليهم باعتبارهم أواني للكرامة سيسقطون بالسيف. سوف تسقطون كالزجاج أو الأطباق الخزفية التي تتهشم بسهولة وتتكسر إلى عديد من القطع.

ب. «وبادت مراعي السلام». فأولئك الذين اعتادوا على حياة الهدوء، ولا يضايقون أحدا من جيرانهم، الذين عاشوا في سلام ولم يتحرشوا بأحد، حتى هؤلاء لن ينجوا. وهذه إحدى عواقب الحرب الوخيمة. وليتبارك اسم الله فهناك «مراعي السلام» في العلاء، لكل أبناء السلام، والتي لا يمكن أن تلحقها نار أو يعمل فيها سيف.

الأصحاح السادس والعشرون

كما أنه في سفر أعمال الرسل نجد أن كرازتهم مختلطة بآلامهم، هكذا نجد الحال أيضا فيما كُتب عن إرميا.

أولا: كيف أنه كرز بكل أمانة (ع ١- ٦).

ثانيا: كيف اضطهده الكهنة والأنبياء بكل حقد نظير قيامه بذلك (ع ٧- ١١).

ثالثا: كيف أنه أصر على تعليمه بكل شجاعة في مواجهة مضطهديه (ع ١٢- ١٥).

رابعا: كيف أنه تمت حمايته وإنقاذه بطريقة عجيبة بواسطة الرؤساء والشيوخ (ع ١٦- ١٩). وعلى الرغم من أن «أوريا»، وهو نبي آخر، كان قد قُتل في نفس الوقت تقريبا بواسطة يهوياقيم (ع ٢٠- ٢٣) إلا أن إرميا تقابل مع هؤلاء الذين استطاعوا حمايته (ع ٢٤).

عدد ١ - ٦

العظة التي ألقاها إرميا، والتي أغاظت مستمعيه إلى درجة أنه تعرض لخطر أن يدفع حياته ثمنا لها. وقد سجلت هذه العظة، لتكون موضع حكم المحايدين في كل العصور.

أولا: وجهه الله إلى المكان الذي يلقي فيه هذه العظة، ومتى يلقيها، والجمهور الذي يلقيها عليه (ع ٢). لقد أمره الله أن يتكلم «في دار بيت الرب»، والتي كانت تحت النفوذ الخاص للكهنة الذين هم أعداؤه الألداء. وعليه أن يلقي هذه العظة في أيام أكبر الأعياد، حين يأتي الناس من «كل مدن يهوذا»، «للسجود في بيت الرب». وهؤلاء العابدون يكنون توقيرا عظيما لكهنتهم، وسوف يشدون من أزرهم ضد إرميا. غير أنه لا يجب لمثل هذه الأمور أن تخيفه، عليه أن يلقي هذه العظة، والتي وإن لم يقتنعوا بها فسوف تثير غيظهم. ولقد كلفه الله بصفة خاصة بألا ينقص «كلمة» من هذه العظة، بل يتكلم «بكل الكلام» الذي أوصاه أن يتكلم به.

ثانيا: وجهه الله إلى ما يقوله. عليه أن يؤكد لهم بأنهم إذا تابوا عن خطاياهم، ورجعوا عنها، فإنه على الرغم من أن دينونتهم وشيكة، إلا أنه يمكن إيقافها، ولن يواصل الله بعد خصامه معهم (ع ٣). وهذا هو الهدف الأساسي الذي استهدفه الله بإرساله إليهم. فالله ينتظرنا برحمته. ينتظر حتى نتأهل لها، وفي غضون ذلك يجرب معنا سبلا مختلفة. وعليه- من ناحية أخرى- أن يؤكد لهم أنهم إذا ما واصلوا عنادهم وعدم استماعهم لكل الدعوات التي يوجهها الله لهم فإنه ليس ثمة شك في أن الأمر سيفضي إلى دمار مدينتهم وهيكلهم (ع ٤ - ٦). وما يطلبه الله منهم هو أن يسلكوا في شريعته التي جعلها أمامهم، شريعة موسى وأحكامها وفرائضها، وأن يسمعوا «لكلام» عبيده «الأنبياء»، والشريعة هي التي جعلها الله أمامهم. الأنبياء ما هم إلا عبيده، الذين أرسلهم هو إليهم. ولكنهم حتى الآن صموا آذانهم سواء بالنسبة للشريعة، أو بالنسبة للأنبياء «فلم تسمعوا». وكل ما ينتظره الآن أن يعيروا ما سمعوه اهتماما، وأن يجعلوا كلمته قانونا لهم. وفي حالة الرفض فإن هذه المدينة، والهيكل الذي فيها سيحل بهم ما سبق أن حل بشيلوه وخيمة الاجتماع لأن الشعب رفض أيضا أن يسمع لكلمة الله. ولم تكن هذه المرة الأولى التي يعطون فيها إنذارا بهذا المعنى (انظر إرميا ٧: ١٢- ١٤).

عدد ٧- ١٥

بدلا من أن توقظ العظة إيمانهم فإنها أثارت غيظ مفاسدهم.

أولا: وجهت لإرميا تهمة إلقائه عظة كهذه، وألقيّ عليه القبض كمجرم بسببها. فقد «سمع الكهنة والأنبياء (الكذبة) وكل الشعب إرميا يتكلم بهذا الكلام» (ع ٧). وكان كافيا لإقامة الاتهام ضده أنه قال «مثل شيلوه يكون هذا البيت» (ع ٩). وهنا نرى مدى إجحافهم في تأويل كلامه. لقد قال– باسم الله– «إن لم تسمعوا لي... أجعل هذا البيت كشيلوه»، ولكنهم تغاضوا عن يد الله في الأمر، ودورهم في عدم سماع صوت الله، ووجهوا التهمة لإرميا بأنه «جدف على هذا المكان المقدس»، وهي نفس التهمة التي وجهت ضد ربنا يسوع وضد استفانوس. قال: «مثل شيلوه يكون هذا البيت». وإذ كان الاتهام واهيا لقيامه على هذا الأساس، فلا عجب أن كان الحكم مجافيا للعدل: «تموت موتا». وما قاله كان يتفق مع ما قاله الله (١مل ٩: ٦– ٨): «إن كنتم تنقلبون... من ورائي... البيت الذي قدسته لاسمي أنفيه من أمامي»، وعلى الرغم من ذلك فقد حُكم عليه بالموت لقوله هذا. وغضبة الكهنة والأنبياء الكذبة هذه أثارت الشعب «واجتمع كل الشعب على إرميا» في غضبة شعبية، وكانوا على وشك أن يمزقوه إربا.

ثانيا: أُستدعي ووُجه له الاتهام. وكان «رؤساء يهوذا» هم قضاته (ع ١٠). وإذ سمع شيوخ إسرائيل بهذا الشغب في الهيكل «صعدوا من بيت الملك إلى بيت الرب» ليتفحصوا الأمر. «وجلسوا في مدخل باب الرب الجديد»، وعقدوا المحكمة. أما «الكهنة والأنبياء» فكانوا خصومه الذين وجهوا له الاتهام، وكانوا ضده بكل قسوة وانفعال. وتكلموا مع «الرؤساء وكل الشعب قائلين حق الموت على هذا الرجل» (ع ١١). وحين تنبأ إرميا في بيت الملك بسقوط الأسرة المالكة (إر ٢٢: ١ – ٩)، تحملته المحكمة بصبر، رغم فسادها، ولا نجد أنهم اضطهدوه لهذا السبب، غير أنه حين جاء إلى «بيت الرب» ومس ما يخص الكهنة، ونقض كذب الأنبياء الكذبة وتملقاتهم، هنا حكم عليه بالموت (إر ٥: ٣١).

ثالثا: إرميا يدلي بدفاعه أمام الرؤساء والشعب. لم ينكر أقواله. فهو متمسك بما قاله، ولو كلفه ذلك حياته، لقد تنبأ فعلا ضد هذا «هذا البيت» و«هذا المدينة»، ولكن: أكد أنه فعل ذلك على أساس طيب، وليس نتيجة حقد أو لإثارة فتنة، بل «الرب أرسلني لأتنبأ»، هكذا بدأ دفاعه (ع ١٢)، وقد ختمه على هذا النحو (ع ١٥): «حقا أرسلني الرب... بكل هذا الكلام». وطالما التزم الخدام تماما بالتعليمات التي يتلقونها من السماء فعليهم ألا يخشوا من أية مقاومة قد يلقونها من الجحيم أو من الأرض. ذلك أنه تحت الحماية الإلهية، ومهما كانت الإهانة التي يوجهونها إلى السفير فسوف تغضب الملك الذي أرسله. وقد قيل هذا، ليس على سبيل حكم بالهلاك بل على سبيل التحذير الصادق (ع ١٣). «أما أنا»، فما يحدث لي ليس بالأمر الهام «فهأنذا بيدكم»، وليست لدي القوة لمقاومتكم، ولست أهتم بكثير أو قليل بأن أنقذ نفسي، «اصنعوا بي كما هو حسن ومستقيم في أعينكم». أما بالنسبة لهم فقد أخبرهم إنهم سيجلبون على أنفسهم الهلاك لو قتلوه: «لكن اعلموا علما أنكم إن قتلتموني تجعلون دما زكيا على أنفسكم» (ع ١٥).

عدد ١٦– ٢٤

أولا: إطلاق سراح إرميا. لقد قال بالفعل الكلام الذي جاء في الاتهام، ولكن لم ينظر إليه باعتباره ناجما عن حقد أو خيانة، ووجدته المحكمة غير مذنب. وقد واصل الكهنة والأنبياء المطالبة بإدانته، غير أن الرؤساء وكل الشعب، كانوا واضحين في قرارهم «ليس على هذا الرجل حق الموت» (ع ١٦)، لأنه (كما قالوا): «إنما كلمنا» ليس من عندياته، بل «باسم الرب إلهنا». فهل هم راغبون في الاعتراف بأنه حقا كلمهم «باسم الرب»، وأن الرب إلهمهم؟ فلماذا والحال هذه لا يصححون طرقهم وأفعالهم؟

ثانيا: ذكرت سابقة مماثلة لتبرر قرارهم بإطلاق سراح إرميا. ذلك أنه «قام أناس من شيوخ الأرض»، أو أكثر الناس تعقلا، وذكّروا المجتمعين بحالة سابقة مماثلة. وهي حالة ميخا.

(١) أثمة من يعتقد أنه أمر غريب أن يتنبأ إرميا ضد هذه المدينة وهذا الهيكل؟ لقد فعل ميخا ذلك من قبل، بل وأثناء حكم حزقيا، والذي شهد إصلاحا (ع ١٨). وقد قال ميخا نبوته علانية وبالشكل الذي تحدث به إرميا الآن: «إن صهيون تُفلح كحقل»،

ستهدم الأبنية برمتها، ولذلك لن يقف شيء عائقا أمام حرثها، «وتصير أورشليم خربا وجبل البيت شوامخ وعر» (مي ٣: ١٢). ومن هذا يبين أنه يمكن أن يكون الإنسان نبيا حقيقيا على غرار ميخا وبرغم ذلك يتنبأ بخراب صهيون وأورشليم.

(٢) هل كان ثمة اعتقاد بأنه كان خليق بالرؤساء أن يبرروا إرميا فيما فعله؟ لقد كان هذا ما فعله حزقيا في حالة مماثلة. هل حكم حزقيا وشعب يهوذا على ميخا بالموت؟ على العكس، لقد تقبلوا التحذير الذي وجهه لهم. لقد وضع حزقيا مثالا طيبا لمن جاءوا بعده وذلك لأنه خاف «الرب». وكان من نتيجة كرازة ميخا أن جعلته يركع على قدميه، «وطلب وجه الرب» لكي يرجع عن الحكم الذي تم تهديده به ولكي يتصالح معهم، ووجد أن ذلك لم يذهب سدى، «فندم الرب عن الشر الذي تكلم به عليهم»، وأرسل ملاكا ليدحر جيش الأشوريين، الذي هدد بأن «صهيون تُفلح كحقل».

ثالثا: مثال لنبي آخر قتله يهوياقيم لأنه تنبأ مثلما فعل إرميا (ع ١٢ - ٢٤). البعض قالوا إن هذا المثال أورده خصوم إرميا، كمثال يؤيد محاكمته، وهي قضية حديثة، تم الحكم فيها بالخيانة على كلام يماثل ما قاله إرميا. آخرون يعتقدون أن الشيوخ الذين اتخذوا موقف الدفاع عن إرميا استندوا إلى هذا المثال ليبدوا أنهم إن قتلوه فإنهم «عاملون شرا عظيما» ضد أنفسهم، لأنهم بذلك يضيفون خطية إلى خطاياهم. ويهوياقيم، الملك الحالي، كان قد قتل نبيا من قبل، فليمتنعوا عن أن يملأوا المكيال بقتل آخر. غير أن بعض المفسرين النابهين أخذوا هذه القصة من المؤرخ الذي كتب السفر، أي إرميا نفسه، أو باروخ. ونبوة أوريا كانت «على هذه المدينة وعلى هذه الأرض». لقد اتفق أنبياء الله في شهادتهم، وكان من المعتقد أنه مادامت الكلمة قد قيلت على فم شهود كثيرين كان لابد وأن تلقى كل اعتبار. لكن يهوياقيم وكل رجال بلاطه استشاطوا منه غضبا، وعلى هذا «طلب الملك أن يقتله». «فلما سمع أوريا» أن الملك طلب «أن يقتله»، «هرب وأتى إلى مصر». ومن المؤكد أن ذلك جاء نتيجة ضعف إيمانه، ومن ثم فشلت خطته. لم يتكل على الله وعلى قدرته من ناحية حمايته ومساندته. وكان من غير اللائق بصفة خاصة الهروب «إلى مصر». كثيرون لديهم نعمة كثيرة، لكن شجاعتهم قليلة، تراهم أمناء للغاية، ولكنهم هيابون للغاية. ولعله كان ثمة اعتقاد بأن نفيه كان كافيا لتهدئة حدة حقد يهوياقيم. ولكنه كان فظيعا في انتقامه حتى أنه أرسل جنودا إلى مصر، ومن ثم أعادوه بالقوة. «وأتوا به إلى الملك يهوياقيم فضربه بالسيف». وشُهر بجثته، وطرحها «في قبور بني الشعب»، كما لو لم يكن نبيا للرب. وبهذا كان يهوياقيم يسعى لتدمير سمعته لدى الشعب، حتى لا يعبأ بنبواته، وليحذر الآخرين من التنبؤ على منواله، ولكن يهوياقيم لم ينجح في قصده. لقد ظن هيرودس أنه حقق مرماه حين قطع رأس يوحنا المعمدان، ولكنه وجد أنه خدع نفسه، ذلك أنه سرعان ما سمع بعد ذلك يسوع المسيح، ثم قال في خوف «هذا هو يوحنا» الذي قطعت أنا رأسه.

رابعا: نجاة إرميا. كان أوريا قد قتل منذ عهد قريب، ومع ذلك فقد حفظ الله حياة إرميا بأعجوبة، على الرغم من أنه لم يهرب، ولكنه صمد. وذاك الذي يكلفه الله بمهمة غير عادية، عليه أن يتوقع أن يحفظه الله بطريقة غير عادية. لقد أقام الله صديقا لإرميا، قام وأخذه بيده بطريقة ودية وعاونه. كان ذلك الصديق هو «أخيقام بن شافان»، وكان من وزراء الدولة في عهد يوشيا، ونقرأ عنه في ٢ملوك ٢٢: ١٢، وكان يتمتع بنفوذ كبير بين الرؤساء استخدمه لصالح إرميا.

الأصحاح السابع والعشرون

بالنظر إلى أن إرميا النبي قد أخفق في حمل الناس على الخضوع لأوامر الله وبذلك يمنعون خراب بلادهم، نراه هنا يقنعهم بالخضوع للعناية الإلهية، وذلك بالاستسلام طواعية لملك بابل والخضوع له، وهذا أحكم سبيل يمكنهم اتخاذه لكي يمنعوا خراب بلادهم بالنار والسيف:

أولا: يقدم هذه النصيحة للشعوب المجاورة مؤكدا لهم بأنه ليس ثمة حل سوى خدمة ملك بابل، ومع ذلك فهناك خلاص لأن سيادته يجب أن تستمر سبعين سنة (ع ١ - ١١).

ثانيا: قدم هذه النصيحة بصفة خاصة لصدقيا ملك يهوذا (ع ١٢ - ١٥) وللكهنة والشعب، مؤكدا لهم أن ملك بابل سوف يزحف ضدهم حتى تصل الأمور إلى

WWW.DIFA3IAT.COM

ذروتها، والخضوع له طواعية هو السبيل الوحيد لتخفيف وطأة الكارثة (ع ١٦ – ٢٢).

عدد ١ – ١١

ثمة صعوبة ما في تحديد تاريخ هذه النبوة. ويمكن حلها على هذا النحو: في بداية حكم يهوياقيم يقدم إرميا هذه الربط والأنيار ويضعها على عنقه، كعلامة على خضوع يهوذا لملك بابل، الأمر الذي بدأ في ذلك الحين، وعليه أن يرسلها بعدئذ إلى الملوك المجاورين وذلك خلال حكم صدقيا الذي جاء في متن النبوة ذكر خلافته ليهوياقيم والرسل الذين أرسلوا إليه.

أولا: على إرميا أن يعد علامة للاستيلاء العام لكل هذه البلدان وخضوعها لملك بابل (ع ٢): «اصنع لنفسك ربطا وأنيارا»، أنيار ذات ربط لكي تربط بها حتى لا تنزلق رقبة الحيوانات خارج النير. في هذه الأنيار يجب أن يضع النبي رقبته، لأن كل واحد سوف يسأل: ما مغزى أنيار إرميا؟ لقد رأينا نيرا على رقبته (إر ٢٨: ١٠). وبهذا يكون قد لمح إلى إنه لا ينصحهم بشيء إلا بما عقد عليه العزم أن يعمله هو نفسه.

ثانيا: عليه أن يرسل هذا مع عظة مرفقة به، وذلك لكل ملوك الدول المجاورة، والذين ورد ذكرهم (ع ٣) والذين تقع بلادهم بجوار أرض كنعان. يبدو أنه كانت هناك معاهدة تحالف قائم بين ملك يهوذا وجميع هؤلاء الملوك الآخرين. وكانت أورشليم هي المكان المعين للمعاهدة. وقد أرسل الجميع مبعوثيهم السياسيين إلى هناك، وقد تم الاتفاق على دخول الجميع في حلف هجومي ودفاعي في مواجهة التهديد البالغ من قبل ملك بابل. وكانت لهم ثقة عظيمة في قوتهم الناجمة عن هذا التحالف، غير أنه حين عاد المبعوثون كل إلى ملكه مع إقرار هذه المعاهدة، أعطى إرميا كل واحد منهم نيرا لكي يحمله إلى سيده، ليشير له بأنه يجب أن يصبح عبدا لملك بابل. ونجد في هذه العظة:

(١) يؤكد الله حقه الذي لا ينازعه فيه أحد في توزيع الممالك بحسب ما يتراءى له (ع ٥). فهو خالق كل الأشياء، فقد صنع «الأرض» أولا، أسسها، وقد ثبتت، ولا تزال كما هي على الرغم من أنه «دور يمضي ودور يجيء» (جا ١: ٤). ومازال بخلقه المتواصل يصنع «الأرض والإنسان والحيوان الذي على وجه الأرض»، وذلك بواسطة قوته العظيمة وبذراعه الممدودة. وكما أنه بكرمه أعطى الأرض لبني آدم (مز ١١٥: ١٦)، هكذا يعطي أيضا لكل واحد نصيبه منها كبيرا كان أم صغيرا.

(٢) يعلن إعطاء كل هذه البلدان إلى نبوخذناصر. وهذه شهادة لمن يهمه الأمر أني قد «دفعت كل هذه الأراضي» بكل ما فيها من ثروات ليد «نبوخذناصر ملك بابل عبدي وأعطيته أيضا حيوان الحقل»، الوديان والمراعي كلها له. وكان نبوخذناصر رجلا شريرا متعجرفا، يعبد الأوثان، ومع ذلك رأى الله في عنايته أن يعطيه هذا السلطان الواسع، وهذه الممتلكات العريضة. ومما تجدر ملاحظته أن أمور هذا العالم ليست هي أفضل الأمور، لأن الله كثيرا ما يعطي القسم الأكبر منها لرجال أشرار، ممن يتمردون عليه. والسلطان لا يقوم على أساس النعمة. فنبوخذناصر رجل شرير، ومع ذلك يدعوه الله عبده، لأنه استخدمه كأداة لتأديب الأمم.

(٣) أكد لهم أنه لابد من أن يخضعوا جميعا لسلطان ملك بابل لفترة ما (ع ٧): «فتخدمه كل الشعوب وابنه وابن ابنه». وابنه كان أويل مرودخ وحفيده بيلشاصر والذي تلاشت في عهده المملكة: وبعدئذ جاء وقت الحساب واندمجت «شعوب كثيرة وملوك عظام» في إمبراطورية مادي وفارس لتستعبده، كما سبق القول في إرميا ٢٥: ١٤.

(٤) هدد الذين يتمردون ولا يخضعون لملك بابل (ع ٨): «ويكون أن الأمة أو المملكة... التي لا تجعل عنقها تحت نير ملك بابل إني أعاقب تلك الأمة بالسيف والجوع»، بدينونة تلو الأخرى، «حتى أفنيها بيده».

(٥) بين لهم عبث كل الآمال التي منوا بها أنفسهم من ناحية محافظتهم على حرياتهم (ع ٩ و١٠). ولهذه الأمم أيضا أنبياؤها، الذين ادعوا أنهم يتنبأون بالأحداث المستقبلية بواسطة النجوم أو بالأحلام أو بالسحر، ولكي يُسروا أسيادهم كلموهم «قائلين لا تخدموا ملك بابل». وبهذا استهدفوا أن يحمسوهم لكي يقاوموا مقاومة فعالة. ولكن إرميا قال لهم إن

ذلك سيؤول إلى خرابهم. وثمة نبوات معينة ضد هذه الأمم التي تتاخم إسرائيل سنجدها في إرميا ٤٨ و٤٩؛ حزقيال ٢٥: ٦. وعرفهم كيف يمكنهم تجنب هذا الخراب وذلك بخضوعها وتسليمها بكل هدوء ويسر (ع ١١). فالأمة التي تقنع وتخدم «ملك بابل» وتدفع له الجزية سبعين سنة (وهي قدر مدة التدريب المهني عشر مرات)، «أجعلها تستقر في أرضها يقول الرب وتعملها وتسكن بها». والبعض يشجبون هذا باعتباره دليلا على روح جبن وضعف، غير أن النبي يمتدح هذا باعتباره ينم عن روح وديع، يرضخ للضرورة، وبالخضوع لأصعب ما تراه العناية الإلهية، والاستفادة بأفضل حل من الظروف الردية. وكثيرون كان بمقدورهم تجنب الخراب الذي سيعاقبهم به الله لو أنهم أذلوا أنفسهم وسلموا للتدبيرات الإلهية التي تعمل على إخضاعهم. من الأفضل أن نحمل صليبا خفيفا في طريقنا بدلا من أن نشد صليبا أكثر ثقلا على رؤوسنا.

عدد ١٢ – ٢٢

وما قيل لكل الأمم قيل هنا بشكل مخفف لليهود، الذين كان إرميا يوليهم اهتمامه. وكان الوضع في الوقت الراهن على هذا النحو: حاربت يهوذا وأورشليم ملك بابل ولقيتا الهزيمة: وكثيرون من الأشخاص الذين لهم قيمتهم نقلوا إلى بابل، وكذلك بعض السلع الهامة وبعض من «آنية بيت الرب». أما السؤال الذي يُثار فهو ماذا ستكون عليه نتيجة هذه المعركة. كان لديهم في أورشليم من يدعون أنهم أنبياء، ممن طلبوا من الرؤساء الصمود واسترداد كل ما فقدوه. وها قد أرسل إليهم إرميا ليطلب منهم الاستسلام، لأنه بدلا من استعادة ما فقدوه فإنهم سيفقدون كل ما تبقى لهم.

أولا: خاطب إرميا ملك يهوذا بكل اتضاع. وتصرفه سيكون هو تصرف الشعب ومن ثم تكلم معه كما تكلم معهم أجمعين «أدخلوا أعناقكم تحت نير ملك بابل... واحيوا» (ع ١٢). وإذا كانت حكمتهم تتمثل في الخضوع للنير الحديدي الثقيل لطاغية قاس، حتى يضمنوا حياة أجسادهم؟ أليست حكمتنا أفضل بالأكثر في أن نخضع للنير الحلو والهين لربنا وسيدنا العادل يسوع المسيح حتى نضمن حياة نفوسنا؟

أخضعوا نفوسكم للتوبة والإيمان فهذا هو السبيل لرفع أرواحكم إلى السماء والمجد.

ثانيا: وجه كلامه أيضا إلى الكهنة والشعب (ع ١٦) لكي يقنعهم بأن يخدموا «ملك بابل واحيوا»، وحتى يمنعوا خراب المدينة «لماذا تصير هذه المدينة خربة؟» (ع ١٧)، لأنها لابد وأن تصير كذلك إذا تماديتم في عنادكم؟

ثالثا: وفي كلتا الحالتين يحذرهم من تصديق الأنبياء الكذبة الذين يخدرونهم بالثقة بالنفس: «فلا تسمعوا لكلام الأنبياء» (ع ١٤). إنهم ليسوا أنبياء الله، ولم يرسلهم إطلاقا، إنهم أنبياؤكم أنتم لأنهم يقولون ما تريدون أنتم منهم أن يقولوه، ولا يرمون إلى شيء سوى إرضائكم. لقد قال لهم أنبياؤهم أمرين:

(١) إن السلطة التي حققها ملك بابل عليهم سوف تنهار قريبا. وقالوا (ع ١٤): «لا تخدموا ملك بابل»، لستم في حاجة إلى أن تخضعوا له بمحض إرادتكم، لأنكم لن تجبروا على هذا. وقد تنبأوا بهذا باسم الرب (ع ١٥)، كما لو كان الله قد أرسلهم. لكن هذا كذب: «لأني لم أرسلهم يقول الرب».

(٢) تنبأوا بأن آنية الهيكل، التي كان قد استولى عليها ملك بابل يجب أن تسترد في وقت قريب (ع ١٦) إذ كانوا يعرفون كيف سيرضي هذا القول الكهنة الذين كانوا يحبون «ذهب الهيكل» أكثر من «الهيكل» الذي يقدس الذهب. وقد أخذت هذه الأواني حينما سبي يهوياكين إلى بابل (ع ٢٠). ولدينا قصة ذلك، وهي قصة تدعو إلى الحزن (اقرأ ٢ ملوك ٢٤: ١٣، ١٥؛ ٢أخبار ٣٦: ١٠). كان الهيكل مبعث فخرهم، وتجريد الهيكل من آنيته وأدواته على هذا النحو كان يشكل إشارة إلى ما سبق وأن أخبرهم به النبي الحقيقي بأن الله قد تركهم. لذلك لم يجد الأنبياء الكذبة وسيلة لتهدئتهم سوى إخبارهم أن ملك بابل سيجبر قريبا على إعادتها. وهنا يحضهم إرميا على التفكير في حفظ الآنية الباقية وذلك بصلواتهم بدلا من إحضار تلك التي أخذت بنبواتهم (ع ١٨): «فإن كانوا أنبياء» كما يدعون، «وإن كانت كلمة الرب معهم» إذا كان لهم أي اتصال بالسماء ليقفوا «بين الموتى والأحياء»، بين ما سَبق وأن أخذ وبين ما

تبقى، لكي يمتنع «الوبأ»، «فليتوسلوا إلى رب الجنود لكي لا تذهب إلى بابل الآنية الباقية». بدلا من التنبؤ، عليهم أن يصلوا. وقد أكد لهم أن الآنية النحاسية سوف تؤخذ وتلحق بالذهبية (ع ١٩ و٢٠). فمن المؤكد أن يعود نبوخذناصر ويأخذ كل ما يجده، ليس فقط «في بيت الرب» بل «وبيت ملك يهوذا» أيضا. ولكنه ختم كلامه بوعد كريم أنه سيأتي الوقت الذي تعاد فيه ثانية: «إلى يوم افتقادي إياها»، عندئذ، «فأصعدها وأردها إلى هذا الموضع». ومن المؤكد أنها تحظى بحماية خاصة من العناية الإلهية، وإلا لكانت قد صهرت، غير أنه سيكون هناك هيكل ثان، ومن أجله ستحفظ هذه الآنية. ونقرأ بصفة خاصة عن عودتها في عزرا ١: ٨. وعلى الرغم من أن عودة ازدهار الكنيسة لا تأتي في أيامنا، فعلينا على الرغم من ذلك ألا نيأس، لأنه سيتحقق ذلك في الوقت الذي يعينه الله.

الأصحاح الثامن والعشرون

في الأصحاح السابق أتهم إرميا أولئك الأنبياء بالكذب وذلك لأنهم تنبأوا بسرعة كسر نير ملك بابل وعودة آنية بيت الرب، أما هنا فنقرأ عن نزاعه مع أحد الانبياء.

أولا: حننيا وهو مدعي النبوة تنبأ بسقوط حكم نبوخذناصر وعودة المسبيين وكذلك الآنية التي نهبت (ع ١ – ٤)، وكإشارة إلى ذلك كسر النير من على عنق إرميا (ع ١٠ و١١).

ثانيا: وقد تمنى إرميا أن تتحقق أقواله، ولكنه استأنف الحديث ومما لاشك فيه أنه كذب تلك الأقوال (ع ٥ – ٩).

ثالثا: نقرأ هنا عن المصير الذي ينتظر المخادع والمخدوعين. سوف يتحول نير الشعب من خشب إلى حديد (ع ١٢ – ١٤)، أما النبي الكذاب فسوف يدفع حياته قريبا ثمنا لكذبه (ع ١٥ – ١٧).

عدد ١ – ٩

هذا النزاع الذي قام بين نبي صادق وآخر كاذب قيل إنه وقع «في ابتداء مُلك صدقيا»، ومع ذلك ذكر أنه كان «في السنة الرابعة»، لأن الأربع سنوات الأولى من حكمه يمكن تسميتها «ابتداء»، لأنه كان خلالها يحكم تحت سيادة ملك بابل وبصفة أحد رعاياه، في حين أن بقية مدة حكمه، والتي يمكن أن يطلق عليها حقا «الجزء الأخير منها» كتمييز له عن الجزء الأسبق. وقد حكم في ظل عصيان ضد ملك بابل. وفي هذه السنة الرابعة من حكمه ذهب بنفسه إلى بابل (راجع إرميا ٥١: ٥٩). وهذا ما أعطى الشعب أملا في أن ذهابه شخصيا يمكن أن يأتي بنهاية طيبة للحرب، وقد شجعهم على ذلك الأنبياء الكذبة وحننيا بصفة خاصة.

أولا: النبوة التي قالها حننيا «في بيت الرب»، وباسم الرب «أمام الكهنة وكل الشعب». وإذ قال هذه النبوة فإنه كان يواجه إرميا، فوجه كلامه إليه (ع ١)، بهدف أن يناقضه، وكأنه به يقول له: أنت كاذب يا إرميا. وكانت هذه النبوة تقول بأن سلطة ملك بابل على يهوذا وأورشليم ستنهار بسرعة، وأنه «في سنتين» سترد آنية الهيكل، وأن إرميا وكل المسبيين معه سوف يعودون، مع أن إرميا سبق أن تنبأ بأن نير ملك بابل سوف يترسخ وأن الآنية والمسبيين لن يعودوا إلا بعد سبعين سنة (ع ٢ – ٤). وعند قراءة هذه النبوة الزائفة، ومقارنتها بالرسائل التي بعث بها الله بواسطة أنبيائه، نجد أن بينهما فرقا شاسعا. لا نجد هنا أثرا للروح والحياة وسمو التعبير الذي يظهر في أقوال أنبياء الله. غير أن ما لا نجده هنا بصفة خاصة هو روح التقوى، ذلك أنه يتحدث عن عودة ازدهارهم، غير أننا لا نجد كلمة واحدة تتعلق بنصحهم على التوبة والعودة إلى الله، وإلى الصلاة له وطلب وجهه. إنه يعدهم بمراحم زمنية باسم الله، ولكنه لم يأت على ذكر أية مراحم روحية مما يعد الله بها دائما (إر ٢٤: ٧): «وأعطيهم قلبا ليعرفوني».

ثانيا: رد إرميا على هذه النبوة الزائفة.

(١) تمنى من كل قلبه أن تتحقق. ذلك أن حبه لبلاده حمله على أن يتلهف حقا أن يمتنع خرابها. ولقد قال: «آمين. هكذا ليصنع الرب. ليقم الرب كلامك الذي تنبأت به» (ع ٥ و٦). ولم تكن هذه هي المرة الأولى التي يصلي إرميا من أجل شعبه، على الرغم من أنه تنبأ ضدهم، كما صلى المسيح «يا أبتاه إن أمكن فلتعبر عني هذه الكأس»، في الوقت الذي كان يعلم فيه أنه لا يجب أن تعبر عنه. والله

www.difa3iat.com

نفسه– على الرغم من تصميمه– لا يريد موت الخطاة، ولكنه «يريد أن جميع الناس يخلصون».

(٢) استند إلى الحدث نفسه ليثبت زيفه (ع ٧ – ٩).

لقد ركز الأنبياء الكذبة على الإساءة إلى إرميا، كما فعل اخآب بالنسبة لميخا، وذلك لأنه لا يتنبأ عليهم خيرا بل شرا. وهناك أنبياء منذ القديم تنبأوا ضد أراضي كثيرة وعلى ممالك عظيمة، وكانوا على شجاعة عظيمة حتى أنهم أخبروا بالرسالات التي بعث بها الله من خلالهم، دون خوف أو وجل من البشر، أو محاولة كسب ودهم مثلما فعل حننيا. لم يواجهوا أية مصاعب مثل التي واجهها، على الرغم أنهم أشاروا إلى تهديد بالحرب والجوع والوبأ، ومع ذلك اعتبر ما قالوه أنه آتٍ من الله، فلماذا إذا يتهم إرميا بأنه «يفوه بالأكاذيب وزارع خصومات»، مع أنه لم يكرز إلا بما سبق أن كرز به أنبياء الله؟ غير أن النبي «الذي تنبأ بالسلام» والرخاء ولاسيما على غرار ما فعل حننيا، وبشكل مطلق ودون أية شروط، ودون إضافة الفقرة الشرطية اللازمة، بأنهم لا يضعون مزلاجا على بابهم ويمنعون تدفق أفضال الله ونعمه، وذلك بإصرارهم على الخطية، فلن يثبت أنه نبي حقا إلا بتحقيق نبوته، فإذا ما تحققت، فسوف يعرف «أن الرب قد أرسله حقا». ولكن إذا لم تتحقق، فسوف يظهر أنه غشاش ومحتال.

عدد ١٠ – ١٧

أولا: وقاحة النبي الكذاب: أخذ «النير عن عنق إرميا النبي»– بقصد إهانته– إذ كان يحمله كتذكار لما تنبأ به عن عبودية الأمم لنبوخذناصر، «وكسره»، كعلامة على إتمام نبوته، فمثلما أعطي إرميا علامة على نبوته، هو أيضا أعطي علامة ليبطل نبوة إرميا. إن روح الكذب الذي كان فم ذلك النبي الكاذب، كان يقلد لغة روح الحق: «هكذا قال الرب. هكذا أكسر نير نبوخذناصر ملك بابل»، وليس فقط عن عنق هذا الشعب، بل «في سنتين من الزمان عن عنق كل الشعوب».

ثانيا: صبر النبي الحقيقي: بكل هدوء «انطلق إرميا النبي في سبيله»، ليس لأنه لم يكن لديه ما يجيب به، بل لأنه كان راغبا في الانتظار حتى يرى الله في مسرته أن يزوده بإجابة مباشرة، لم يكن قد تسلمها. لقد ظن أن الله بعث برسالة خاصة إلى حننيا. أما هو فكان ينتظر إجابة من الرب.

ثالثا: عدل الله في حكمه بين إرميا وخصمه. ذهب إرميا إلى حال سبيله كإنسان «ليس في فمه حجة»، ولكن سرعان ما أعطاه الله ما يقوله. كان يجب على إرميا ألا يشك في حقيقة ما سبق أن قاله باسم الله نتيجة هذه المعارضة.

وإذا كان ما قلناه هو حق من قبل الله، لا يجب أن نسحبه نتيجة إنكار الناس له، لأن الحق عظيم ولابد أن يسود. لقد كسر حننيا «أنيار الخشب»، ولكن على إرميا أن يستبدلها بأنيار «من حديد» لا يمكن كسرها (ع ١٣)، لأن (الله يقول): «قد جعلت نيرا من حديد على عنق كل هؤلاء الشعوب»، تكون عليهم أكثر ثقلا، وتقيدهم بطريقة أصعب (ع ١٤): «ليخدموا نبوخذ ناصر ملك بابل». وما سبق قوله ذكر ثانية: «وقد أعطيته أيضا حيوان الحقل»، كما لو أن ثمة مغزى هاما في هذا القول. فالناس نتيجة شرهم جعلوا أنفسهم يشبهون «البهائم التي تباد»، ولذلك استحقوا أن يقادوا كما تقاد البهائم، وهذا هو ما طبقه نبوخذناصر في حكمهم حتى أنه أهلك من أراد واستبقى من شاء. وقد حكم على حننيا بالموت لأنه نقض ما قاله إرميا. أما إرميا فإنه حين تلقى تكليفا من الله، فإنه بكل شجاعة قال له ذلك في مواجهته. أما الجرائم التي اتهم بها حننيا فهي خداع الشعب وإهانة الله: «أنت قد جعلت هذا الشعب يتكل على الكذب»... «لأنك تكلمت بعصيان على الرب». وكان الحكم الذي صدر ضده هو: «هأنذا طاردك عن وجه الأرض. هذه السنة تموت»، تموت كمتمرد على الرب. وقد نفذ هذا الحكم (ع ١٧). ومات حننيا في السنة عينها، خلال شهرين من هذا الحدث.

الأصحاح التاسع والعشرون

كانت المعركة بين إرميا والأنبياء الكذبة في السابق تتم عن طريق الوعظ، أما هنا فعن طريق الكتابة.

أولا: خطاب كتبه إرميا إلى المسبيين في بابل ضد أنبيائهم الكذبة الذين كانوا بينهم (ع ١- ٣) وفي هذا الخطاب:

(١) حاول أن يحملهم على التأقلم مع ظروفهم في السبي (ع ٤ – ٧).

(٢) حذرهم من الانسياق وراء أنبيائهم الكذبة الذين زرعوا فيهم أمالا زائفة بسرعة إطلاقهم من السبي (ع ٨ و٩).

(٣) أكد لهم أن الله برحمته سيعيدهم ثانية إلى أرضهم بعد انصراف سبعين عاما (ع ١٠- ١٤).

(٤) تنبأ بخراب أولئك الذين مع ذلك استمروا في السبي (ع ١٥- ١٩).

(٥) تنبأ بهلاك اثنين من أنبيائهم الكذبة في بابل ممن كانا يجاريانهم في خطاياهم ويقدمان لهم القدوة السيئة (ع ٢٠- ٢٣).

ثانيا: نجد هنا رسالة كتبها شمعيا، وهو من الأنبياء الكذبة في بابل، والتي أرسلها إلى الكهنة في أورشليم ليثيرهم على اضطهاد إرميا (ع ٢٤- ٢٩)، وإعلان غضب الله عليه لكتابته هذه الرسالة (ع ٣٠- ٣٢).

عدد ١ – ٧

أولا: كتب إرميا إلى المسبيين في بابل، وذلك باسم الرب. لقد سلم يهوياكين نفسه كأسير، مع الملكة ورؤساء بيته الذين دعوا فيها «الخصيان» وكثيرين من «رؤساء يهوذا وأورشليم والنجارين والحدادين» الذين استسلموا أيضا، وذلك حتى لا يتبقى بالمدينة من يصلحون لتقويتها. وبهذا الاستسلام الهادئ كان هناك أمل في تهدئة ثائرة نبوخذناصر، غير أن هذا الفاتح الشرس كان يزيد في شراسته كلما زاد استسلامهم. وإذ لم يقنع بهذا وبعد أن خرجوا للسبي «من أورشليم» عاد ثانية ليسبي المزيد من الشيوخ والأنبياء والشعب (ع ١). وكانت حالة هؤلاء المسبيين تدعو إلى الرثاء. وبالأحرى لأنهم بدوا كما لو كانوا خطاة أكثر من كل الرجال الآخرين من سكان أورشليم. ومن أجل ذلك كتب لهم إرميا رسالة لتعزيتهم. وقد أرسلت هذه الرسالة إلى المسبيين في بابل بواسطة سفراء أرسلهم صدقيا الملك إلى نبوخذناصر، ولعل ذلك كان من أجل دفع الجزية وتجديد ولائه له. ولقد رأى إرميا أن يبعث برسالته بمعرفة هؤلاء الرسل، لأنها كانت رسالة من الله.

ثانيا: نجد هنا نسخة من الرسالة وذلك حتى عدد ٢٤.

(١) أكد لهم أنه يكتب باسم «رب الجنود إله إسرائيل»، ولم يكن إرميا إلا مجرد ناسخ أو كاتب هذه الرسالة. وسيكون من أسباب تعزيتهم في سبيهم أن يسمعوا أن الله هو «رب الجنود»، وأنه قادر على مساعدتهم وخلاصهم، كما أنه «إله إسرائيل» الذي مازال في عهد مع شعبه. وستكون هذه بمثابة نصيحة لهم بأن يأخذوا حذرهم من كل الإغراءات الوثنية في بابل. وأن يبعث لهم الله بهذه الرسالة، فهذا ما يشكل تشجيعا لهم كما أنه يعد دليلا على أنه لم يطرحهم بعيدا عنه، ولم يحرمهم على الرغم من غضبه عليهم وتأديبه لهم.

(٢) يعترف الله من خلاله بدوره في سبيهم: «السبي الذي سبيته» (ع ٤)، وكذلك (ع ٧). وإذا كان الله هو السبب في سبيهم، فعليهم أن يتأكدوا من أنه لم يظلمهم أو يقصد لهم ضررا.

(٣) دعاهم إلى عدم التفكير في شيء سوى الإقامة هناك، وأن يستفيدوا أكبر إفادة من ظروفهم هناك (ع ٥ و٦). «ابنوا بيوتا واسكنوا..». وألا يمنوا أنفسهم بآمال كاذبة عن سرعة عودتهم من السبي. ومن ثم يجب التأقلم مع ظروفهم على أفضل نحو ممكن: أن يبنوا... ويغرسوا... ويأخذوا نساء (يتزوجوا) وأن يأدبوا أولادهم هناك كما لو كانوا في أرضهم. وإذا ما عاشوا في خوف الرب، فما الذي يحول دون أن يعيشوا مرتاحين في بابل؟ ولم يكن أمامهم سوى أن يبكوا أحيانا حين يتذكرون صهيون. ولكن لا يجب أن يعطل البكاء غرسهم. وفي جميع ظروف الحياة من الحكمة بل ومن الواجب الاستفادة على أفضل وجه مما هو متاح، وألا نرفض التمتع بما عندنا لأنه ليس لدينا كل ما كنا نريده. ونحن لدينا محبة طبيعية لوطننا، وإذا ما رأت عناية الله أن تنقلنا إلى أي بلد آخر، علينا أن نعقد العزم على أن نعيش هناك في رضاء تام. وإذا كان «للرب الأرض»، إذا أينما ذهب أولاد الله فإنهم يذهبون إلى أرض أبيهم. وعليهم ألا يقلقوا أنفسهم وهم في سبيهم بمخاوف لا تحتمل.

(٤) حثهم على أن يسعوا من أجل خير البلد الذي تم سبيهم إليها (ع ٧)، وأن يصلوا من أجلها،

www.difa3iat.com

وأن يحاولوا الارتقاء بها، فذلك يمنعهم من محاولة القيام بأي شيء من شأنه أن يهدد السلام العام. وطالما كانوا من رعايا ملك بابل، لذا عليهم أن يعيشوا في هدوء وسلام في ظل حكمه، بكل تقوى وإخلاص، وألا يتآمروا لكي يتخلصوا من نيره، بل بكل صبر يتركون ذلك لله لكي يخلصهم في الوقت المناسب. لأنه بسلام تلك البلاد «يكون لكم سلام». وهكذا فإن المسيحيين الأوائل– وطبقا لما تطلبه منهم ديانتهم المقدسة– كانوا يصلون من أجل السلطات الموجودة، على الرغم من كونها سلطات اضطهاد. فكل مسافر تهمه سلامة السفينة.

عدد ٨– ١٤

أولا: الله يطلب منهم ألا يبنوا على أساس زائف وضعه أنبياؤهم الكذبة (ع ٨ و٩). أخبروهم بأن فترة سبيهم قصيرة، ولذلك عليهم ألا يعملوا على أن يستقروا في بابل. يقول الله «لا تغشكم أنبياؤكم... لأنهم إنما يتنبأون لكم باسمي بالكذب» لا تسمحوا لأنفسكم بأن تنخدعوا بواسطتهم. «ولا تسمعوا لأحلامكم التي تتحلمونها». إما أنه يعني الأحلام والأوهام التي يدخل الناس السرور على أنفسهم بها، أو الأحلام التي يحلمها الأنبياء ويقيمون نبواتهم عليها. كانوا يشجعونهم على أن «يتحلمونها» ذلك أنهم كانوا يشجعون الأنبياء على أن يخدعوهم بمثل هذه الأوهام، يرغبون منهم ألا يتنبأوا سوى «بالناعمات» (إش ٣٠: ١٠). كانت أحلاما من وحي خيالهم.

ثانيا: أعطاهم أساسا طيبا ليبنوا آمالهم عليه. والله هنا يعدهم بأنه على الرغم من أنهم لن يعودوا من السبي سريعا، إلا أنهم في النهاية سيعودون «عند تمام سبعين سنة». فسوف «يرد سبيهم». وعلى الرغم من تشتتهم (البعض في بلد ما، والبعض في بلد آخر) فإنه سوف يجمعهم «من كل الأمم ومن كل المواضع» التي طردهم إليها، ويجمعهم ثانية في جسد واحد.

فسوف يردون ثانية إلى أرضهم «إلى الموضع الذي سبيتكم منه» (ع ١٤). ذلك سيكون تنفيذا لوعد الله لهم (ع ١٠): «وأقيم لكم كلامي الصالح». أما الذي سيجعل عودتهم من السبي معزية جدا هو أنها ستأتي تنفيذا لوعد الله لهم، أي نتاج وعد صالح، وسيكون من نتيجة متابعة مقاصد الله لهم (ع ١١): «لأني عرفت الأفكار التي أنا مفتكر بها عنكم». تعمل خطط الله طبقا للنتيجة المرجوة، والتي سيعطيها في حينها، لكن يجب عليهم أن يتذرعوا بالصبر إلى أن ينضج الثمر، وبعد ذلك يعطى لهم، وسوف يعطيهم «آخرة ورجاء». حينما تصل الأمور إلى الأسوأ سوف تبدأ في التحسن، وسوف يعطيهم أن يروا إتمام خلاصهم المجيد. فذاك الذي خلق في البداية «السماء والأرض» وكل ما فيها، سوف يتمم بركاتهما من أجل شعبه. والله لا يعمل شيئا بصفة جزئية. وسوف يعطيهم أن يروا «الرجاء»، تلك «الآخرة» التي يرغبونها، ولن يعطهم التوقعات الناجمة عن مخاوفهم، ولا تلك الوليدة عن أوهامهم، بل رجاء إيمانهم. ذلك يتأتى نتيجة صلواتهم (ع ١٢ – ١٤). «فتدعونني وتذهبون وتصلون إليّ». حين يأتي الخلاص علينا التقدم لملاقاته بالصلاة «فأسمع لكم»... «فأوجد لكم». لقد قال الله ذلك، وعلينا الاعتماد على ما قاله «اطلبوا تجدوا». وهنا وضعت لنا قاعدة عامة (ع ١٣): «وتطلبونني فتجدونني إذ تطلبونني بكل قلبكم».

عدد ١٥ – ٢٣

يتحول إرميا الآن إلى أولئك الذين استخفوا بالنصائح والتعزيات التي قدمها، واعتمدوا على الأنبياء الكذبة. حين وصلت هذه الرسالة من إرميا تراهم مستعدين للقول: لماذا يشغل نفسه إلى هذا الحد، ولماذا أخذ على عاتقه أن ينصحنا؟ «قد أقام لنا الرب نبيين في بابل» (ع ١٥). نحن قانعون بهؤلاء الأنبياء، ونستطيع الاتكال عليهم، وليس لدينا ما يدعونا للاستماع إلى أي من أنبياء أورشليم. أولئك الأنبياء قالوا لهم من تلقاء أنفسهم إنه لن يؤخذ المزيد إلى السبي، بل إن الذين هم في السبي سيعودون في القريب. وردا على ذلك يتنبأ النبي هنا بالخراب التام بالنسبة لأولئك الذين بقوا في أورشليم. أما بالنسبة «للملك»، «ولكل الشعب الجالس في هذه المدينة»، والذين تعتقدون أنتم أنهم على استعداد للترحيب بكم عند عودتكم، فأنتم مخدوعون، فسوف تأتي عليهم الدينونات واحدة تلو الأخرى: «السيف والجوع

WWW.DIFA3IAT.COM

والوبأ»، التي ستهلك أعدادا غفيرة. أما التعساء الذين بقوا ولم يخرجوا للسبي فسوف «أجعلهم قلقا لكل ممالك الأرض» (ع ١٦، ١٨). وهكذا سيجعلهم الله، أو بالأحرى يتعامل معهم «كتين رديء». وهنا نجد إشارة إلى الرؤيا والنبوة الواردة في الأصحاح ٢٤. ولقد أعطي نفس السبب (ع ١٩): «من أجل أنهم لم يسمعوا لكلامي»، دعوتهم فرفضوا. وهو يدعوا كل أبناء السبي، الذين يتباهون بهم كأنبياء من قبل الله (ع ٢٠): «وأنتم فاسمعوا» المصير الذي ينتظر الأنبياء الذين أنتم مغرمون بهم. ولقد ذكر هنا اسم نبيين «أخآب» و«صدقيا» (ع ٢١)، وكذلك في (ع ٢٣). وهما «يتنبآن لكم باسمي بالكذب». إنهما عندما ينسبان أكاذيبهما إلى إله الحق إنما هو من أبشع الأمور. ونلمس هنا السبب في تملقهما الآخرين في خطاياهم. لأنه لم يكن بمقدورهما أن يوبخا الآخرين دون أن يدينا نفسيهما، وسوف يقتلهما ملك بابل «أمام عيونكم»، والواقع أنه سيقتلهما بطريقة شنعاء، فقد «قلاهما» بالنار (ع ٢٢). ولنا أن نفترض أن نبوخذناصر لم يعاقبهما بهذه القسوة بسبب عدم تقواهما وسوء خلقهما، بل بسبب تحريضهما على العصيان، وروح التمرد الذي كانا يتصفان به الأمر الذي يهدد السلام العام، ويحرض الشعب على التمرد والثورة. وسوف يكون اسماهما لعنة بين المسبيين في بابل (ع ٢٢). وحين يستمطر الناس من السماء أعظم شر على شخص يكرهونه فإنه ليس بمقدورهم أن يصبوا عليه لعنة أكثر وبعبارة مقتضبة سوى بقولهم: «يجعلك الرب مثل صدقيا ومثل أخآب».

عدد ٢٤ - ٣٢

أثار مضمون رسالة إرميا حفيظة الأنبياء الكذبة. وقد أظهر أحدهم واسمه شمعيا مدى حقده ضد النبي.

أولا: سمي هذا الشخص «شمعيا النحلامي»، أي الحالم، وذلك لأنه كان يدعي أن كل نبواته جاءته من الله في حلم. وقد حصل على نسخة من الرسالة التي بعث بها إرميا إلى المسبيين، أو ربما وصلته معلومات عنها الأمر الذي أغضبه بدرجة بالغة. سوف يقوم بالرد عليها، ولن يمنعه من ذلك شيء. ولكن كيف؟ لم يكتب لإرميا ليبرر إرساليته، بل كتب إلى الكهنة ليثير حفظيتهم ويحفزهم على اضطهاد إرميا. كتب باسمه كما لو كان دكتاتورا يملي كلامه على البشرية قاطبة، ولكنه وجهها بصفة رئيسية إلى صفنيا، الذي ربما كان ابن معسيا، أو من فرقة الكهنة الرابعة والعشرين والتي كان معسيا رئيسها وأباها الروحي. لم يكن هو رئيس الكهنة، بل مساعدا له، أو ربما كان يشغل وظيفة هامة في الهيكل مثل فشحور (إر ٢٠: ١).

(١) ذكره والكهنة الآخرين بالواجب الذي تفرضه عليه وظيفتهم (ع ٢٦): «قد جعلك الرب كاهنا عوضا عن يهوياداع الكاهن». والبعض يعتقدون أنه يشير إلى يهوياداع الشهير، المصلح العظيم الذي كان على أيام يوآش، أو بالأحرى، إلى يهوياداع آخر كان خليفته المباشر في هذه الوظيفة، والذي ربما أخذ إلى بابل ضمن الكهنة (ع ١). ولقد ارتقى صفنيا بأسرع مما توقع إلى هذه الوظيفة التي تتسم بالثقة والقوة، وقد عمل شمعيا على حمله على الاعتقاد أن العناية فضلته حتى يضطهد أنبياء الله حتى أنه وصل إلى هذه الوظيفة السامية في هذا الوقت بالذات. وعمل هؤلاء الكهنة هو فحص «كل رجل مجنون ومتنبئ». وأنبياء الله الأمناء قدموا هنا على أنهم أنبياء مدعين، قد اغتصبوا هذه الوظيفة، ودخلاء علمانيون، كرجال مجانين، يسيطر عليهم الشيطان، رجال مخبولون.

(٢) أخبرهم بالرسالة التي كتبها إرميا إلى المسبيين (ع ٢٨). وسبق للأنبياء الكذبة القول بأن السبي لن يتم أبدا (إر ١٤: ١٣)، غير أن إرميا قال إنه سيأتي، ولقد أثبتت الأحداث صدق قوله.

(٣) طلب إصدار حكم ضده، وقال إنه «مجنون» لا جدال في ذلك، وإنه «متنبئ». وتوقع أنهم سيصدرون أمرهم بالزج به «إلى المقطرة والقيود» (ع ٢٦)، وكأن يأمل ألا يقع المسبيون في بابل تحت تأثيره. وقد أخذ على عاتقه أن يوبخ صفنيا لإهماله (ع ٢٧): «لماذا لم تزجر إرميا العناثوثي؟» لقد أكد الله كلمته التي قالها على فم إرميا، لقد أدركتهم (زك ١: ٦)، ومع ذلك، وبالنظر إلى أنه لم يتنبأ لهم «بالناعمات» كما يرغبون، فقد عقدوا العزم على النظر إليه باعتباره لم يدع لوظيفة نبي. وقد أرسلوا الآن إلى عبودية مرة، وذلك لسخريتهم من رسل الرب والإساءة إلى أنبيائه. والمحن في حد ذاتها لن تشفي الناس من خطاياهم،

ما لم تعمل فيهم نعمة الله، بل الأحرى تثير المفاسد التي كانوا ينتوون قمعها (أم ٢٧: ٢٢): «إن دققت الأحمق في هاون... لا تبرح عنه حماقته».

ثانيا: «فقرأ صفنيا الكاهن هذه الرسالة في أذني إرميا النبي». كان يَكِنُّ احتراما لإرميا ونراه يرسل له رسائل كنبي، (إر ٢١: ١؛ ٣٧: ٣)، ومن ثم قام بحمايته. واطلع إرميا على فحوى الرسالة، حتى يعرف أعداءه حتى من بين المسبيين.

ثالثا: الحكم الذي صدر ضد شمعيا لكتابته هذه الرسالة. لقد أرسل له الله ردا، وأمر أن يرسل «إلى كل السبي»، الذين شجعوه وأيدوه كما لو كان من الأنبياء الذين أقامهم الله (ع ٣١ و٣٢). خدعهم شمعيا جميعا. وعدهم بالسلام باسم الله، لكن الله لم يرسله، فاغتصب لنفسه إرسالية، وجعلهم يتكلون «على الكذب»، وإذ كرز لهم براحة زائفة فقد حرمهم من راحة حقيقية. لقد حولهم إلى خونة، «لأنه تكلم بعصيان على الرب»، الأمر الذي سبق أن عمله حننيا (إر ٢٨: ١٦). وأثبت أنه «في آخرته يكون أحمق» (بحسب التعبير الوارد في إرميا ١٧: ١١).

وسوف يطوي النسيان اسمه واسم عائلته: «لا يكون له إنسان يجلس في وسط هذا الشعب»، بل إنه لا هو ولا أحد من نسله سوف «يرى الخير الذي سأصنعه لشعبي».

الأصحاح الثلاثون

العظة التي نجدها في هذا الأصحاح والذي يليه مختلفة تماما. فكل العظات التي مرت بنا كانت للتوبيخ، غير أن هذين الأصحاحين عامران بالوعود الثمينة بالعودة من السبي، الأمر الذي يرمز إلى الأمور المجيدة المحفوظة للكنيسة لتتحقق في أيام تواجد المسيح بالجسد. وقد أمر النبي أن يكتبها لأنه قصد بها تعزية الجيل الآتي (ع ١ – ٣). وقد جاء الوعد هنا:

أولا: إنهم سيعودون بفرح من السبي:

(١) على الرغم من الرعب الذي يكابدونه الآن (ع ٤ – ٧).

(٢) على الرغم من قوة مضطهديهم (ع ٨ – ١٠).

(٣) مع أنه لم يبرئهم (ع ١١).

(٤) على الرغم مما بدا لهم من أن جميع وسائل الخلاص قد أخفقت وانقطعت (ع ١٢ – ١٤).

(٥) مع أن الله نفسه هو الذي أرسلهم إلى السبي (ع ١٥ و١٦).

(٦) على الرغم من أن الجميع تملكهم اليأس من حالتهم (ع ١٧).

ثانيا: إنه بعد عودتهم المفرحة سيعيشون في سعادة، سيعاد بناء مدينتهم (ع ١٨)، وسيزداد عددهم (ع ١٩ و٢٠)، وتقام حكومتهم (ع ٢١)، ويتجدد عهد الله معهم (ع ٢٢)، ويُهلك أعداؤهم ويُقطَعون (ع ٢٣ و٢٤).

عدد ١ – ٩

أولا: أمر إرميا أن «يكتب» كل الكلام الذي تكلم به الله إليه على أمل أن من يقرأه ويهتم بالأكثر به قد يجد فسحة أكثر لتأمله بمزيد من التروي. عليه أن يجمعه ويضعه معا، وسوف يضيف الله لهذه الأقوال كثيرا من الأقوال المماثلة. ويجب عليه أن يكتبها من أجل الأجيال القادمة، ممن سيشهدون تحقق هذه الأقوال. ومطلوب منه ألا يكتبها في «رسالة» بل «في سفر»، حتى يمكن حفظه في المحفوظات. ويجب كتابة هذه النبوة، حتى تقرأ، وحتى يتبين كيف أن النبوة قد تحققت بشكل تام. وقد لمح إلى أنهم سيكونون «أحباء من أجل الآباء» (رو ١١: ٢٨)، «لأنه» من أجل ذلك سيرجعهم الله ثانية إلى كنعان، لأنها «الأرض التي أعطَيتُ آباءهم»، ومن أجل ذلك «يمتلكونها».

ثانيا: أرشد إلى ما ينبغي عليه أن يكتبه. نفس الكلام بحسب ما يعلمه الروح القدس (ع ٤).

(١) يجب أن يكتب عن الرعب الذي يتملك الشعب الآن، والذي سيحل بهم في كل مرة يشن فيها البابليون هجمة ضدهم (ع ٥): «صوت ارتعاد سمعنا». رعب يردد صدى الإنذارات بالخطر. لقد أخبرهم الأنبياء الكذبة بأنهم سينعمون بالسلام، غير أنه هناك «خوف ولا سلام». بل إن رجال الحرب أنفسهم سوف يزحون تحت وطأة الكوارث التي تحيق بأمتهم، وسوف يكونون «كماخض» حيث تحل بهم أتعابهم في حدها الأقصى ويعرفون أنه لا مفر لهم منها (ع ٦): «آه لأن ذلك اليوم عظيم»،

WWW.DIFA3IAT.COM

يوم الدينونة، سمي «يوم الرب العظيم المخوف» ويوم الرب العظيم (يؤ ٢: ٣١؛ يه ٦)، وهو عظيم حتى إنه «ليس مثله». والدمار الأخير لأورشليم تحدث عنه مخلصنا على هذا النحو باعتبار أنه ليس له نظير (مت ٢٤: ٢١): «وهو وقت ضيق على يعقوب»، وقت حزين، حيث سيكون المؤمنون بالله في محنة أشد من الشعوب الأخرى. ووقت السبي كله، كان وقت ضيق على يعقوب.

(٢) ينبغي عليه أن يكتب التأكيد الذي أعطاه الله بأن نهاية سعيدة ستكون في النهاية خاتمة لهذه المآسي.

أ. سينتهي ضيق يعقوب: «ولكنه سيخلص منه».

ب. سيعجز ضيق يعقوب من أن يلحق به أي أذى آخر (ع ٨): «أكسر نيره عن عنقك»، النير الذي ظل بثقله الشديد مدة طويلة، وبذلك مرر عيشتهم بدرجة كبيرة. «وأقطع ربطك» وأعيدهم إلى الحرية والراحة، ولن يغتني الغرباء بعد على حساب ممتلكاتهم أو نتيجة أتعابهم.

ج. أما الذي يتوج الرحمة ويكملها هو أنهم سيعودون إلى ممارسة ديانتهم ثانية بكل حرية (ع ٩). وحين يأتي الوقت الذي يخلصون فيه من ضيقهم، سوف يعدهم الله ويهيئهم لذلك ويعطيهم قلبا ومن ثم «يخدمون الرب» ويعطيهم فرصة ليعبدوه. «أن يعطينا أننا بلا خوف منقذين من أيدي أعدائنا نعبده» (لو ١: ٧٤ و٧٥). سوف «يخدمون الرب إلههم»، ولن يوجد بينهم من يميل أو يُجبر على عبادة آلهة أخرى. كما كان الحال في يوم سبيهم. وسوف يخدمون «داود ملكهم»، أي الملوك الذين يقيمهم الله عليهم بين آونة وأخرى من سلالة داود (مثل زربابل). ولكن هذه العبارة لها معنى آخر. والترجمة التفسيرية الآرامية تأتي بالعبارة: «سوف يطيعون (أو يستمعون إلى المسيح) ابن داود، ملكهم». وهذا التدبير الإلهي الذي يبدأ بعودتهم من السبي أتى بهم إلى المسيح. وقد سمي «داود ملكهم»، لأنه ابن داود (مت ٢٢: ٤٢). وتنطبق عليه أوصافه (مت ٢٠: ٣١ و٣٢). وكثيرا ما يقال في العهد الجديد أن الله «أقام يسوع»، أقامه كملك (أع ٣: ٢٦؛ ١٣: ٢٣، ٣٣). والذين يخدمون الله كإلههم عليهم أن يسلموا أنفسهم ليسوع المسيح، ليسود عليهم. لأنه يجب أن «يكرم الجميع الابن كما يكرمون الآب» ويجب أن يأتوا إلى خدمة الله وعبادته من خلاله باعتباره الوسيط. والذين يعطيهم راحة يجب أن يحملوا نيره عليهم.

عدد ١٠ - ١٧

وضحت هنا حالة اليهود في السبي والتي يرثى لها، غير أنهم قد أعطوا وعودا ثمينة كثيرة.

أولا: الله كان ضدهم: «بددهم» (ع ١١)، «قد صنعت هذه بك» (ع ١٥). كان قصده من هذا تأديبهم كأب وليس لهدف آخر (ع ١١): «أؤدبك بالحق» أو بالعدل، وليس بأكثر مما تستحق، ولا بأكثر مما تستطيع أن تحتمل. الله يكره الخطية ولاسيما في أولئك الذين هم أقرب الناس إليه. ويؤدب شعبه لأن إثمه «قد كثر»، وخطاياه «تعاظمت» (ع ١٤ و١٥). وما قصد به الله أن يكون تأديبا أبويا، يفسرونه هم والآخرون كعمل عدائي، ينظرون إليه باعتباره أنه ضربهم «ضربة عدو تأديب قاس» (ع ١٤). والواقع أنه بدا كما لو أن الله عاملهم بالفعل على هذا النحو من القسوة، كما لو كان قد حارب ضدهم (إش ٦٣: ١٠). ولقد اشتكى أيوب من أن الله قد أصبح قاسيا عليه، وأنه «يكثر» جروحه.

ثانيا: تخلى عنهم أصدقاؤهم (ع ١٣). إذا ما وبخنا فنحن نتوقع أن يأتي أصدقاؤنا للدفاع عنا. وفي حال مرضنا أو تألمنا أو جرحنا، ننتظر منهم أن يتعاطفوا معنا، وإذا ما تسنى لهم يسهمون في شفائنا. وهنا لا يوجد من يعمل ذلك، وما من أحد يضمد جروحك «قد نسيك كل محبيك». وإذا كان الله على شعب فمن ذا الذي يكون معهم؟ وقد بدت حالتهم ميئوسا منها ولا خلاص لهم «كسرك عديم الجبر وجروحك عضال» (ع ١٢). «جرحك عديم البرء» (ع ١٥). لم يكن حزنهم يعطي أية فرصة للتخفيف منه، بل يبدو وأنهم تقسوا فيه. وفي هذه الحالة المؤسفة كان ينظر إليهم باحتقار «دعوك منفية» (ع ١٧)، تركت للهلاك، «صهيون التي لا سائل عنها». وكل شيء كان حطاما. وعندما نظروا إلى الشعب الذي سكن سابقا في صهيون، ولكنه الآن في السبي، اسموهم

منفيين، وهؤلاء هم الذين ينتمون إلى صهيون، ولكن «لا سائل» عنهم أو من يستقصي أمرهم.

ثالثا: من أجل هذا سيصنع الله لهم انقاذا وخلاصا في الوقت المناسب.

(١) على الرغم من أنه بدا وكأنه يقف بعيدا عنهم، إلا أنه يؤكد لهم وجوده معهم: «لأني هأنذا أخلصك» (ع ١٠) «لأني أنا معك... لأخلصك» (ع ١١).

(٢) على الرغم من أنهم كانوا بعيدين عن أرضهم، في أرض سبيهم إلا أنه هناك يجد لهم الخلاص، ومن هناك يخلصهم ونسلهم (ع ١٠).

(٣) على الرغم من المخاوف الكثيرة التي تغمرهم الآن، إلا أنه سيأتي وقت «يطمئن» هذا الشعب فيه «ويستريح»، ويعيش في أمن ورضاء «ولا مزعج» (ع ١٠).

(٤) على الرغم من أن الأمم التي تشتتوا إليها سوف يصيبها الدمار، إلا أنه سيتم حفظهم (ع ١١): «وإن أفنيت جميع الأمم الذين بددتك إليهم فأنت لا أفنيك». وقد تتدهور أحوال الكنيسة في بعض الأحيان، لكنه لن يفنيها (انظر إر ٥: ١٠، ١٨).

(٥) على الرغم من أن الله يؤدبهم وبعدل، إلا أنه سيعود إليهم برحمته، بل حتى خطيتهم لن تحول دون خلاصهم حين يأتي الوقت الذي عينه الله.

(٦) مع أن خصومهم أشداء، إلا أن الله سيكسر شوكتهم (ع ١٦): «يؤكل كل آكليك ويذهب كل أعدائك قاطبة إلى السبي»، وسوف يأتي اليوم الذي «يكون كل سالبيك سلبا».

(٧) على الرغم من أن الجرح يبدو غير قابل للشفاء، غير أن الله يشفيه (ع ١٧): «لأني أرفدك وأشفيك».

رابعا: حذروا من الخوف والحزن المبالغ فيهما، لأن هذه الوعود الثمينة تتضمن ما يقضي عليهما. «أما أنت يا عبدي يعقوب فلا تخف.. ولا ترتعب». عليهم ألا يحزنوا كالباقين الذين ليس لهم رجاء (ع ١٥): «ما بالك تصرخين بسبب كسرك» إنه بسبب «إثمك» (ع ١٤ و١٥) وعلى هذا فعوض تذمرك عليك أن تتوبي.

عدد ١٨ - ٢٤

إلماحات أخرى عن النعمة التي يحتفظ لهم الله بها بعد انتهاء أيام محنتهم.

أولا: سوف يعاد بناء المدينة وكذلك الهيكل (ع ١٨): ذلك أن «خيام يعقوب»، و«مساكنه» التي تحملت عواقب «السبي» ومن ثم أصبحت حطاما، ولكن المساكن سوف تبنى، وبذلك «أرحم مساكنه»، والتي كانت شاهدة على عدله. ثم إن «المدينة» أورشليم سوف «تبنى.. على تلها»، مع أنها لا تزيد الآن عن أن تكون كومة حطام. وذاك الذي جعل «مدينة رجمة» (إش ٢٥: ٢)، بمقدوره حين يريد ذلك أن يقيم من الحطام مدينة. أما «القصر» (الهيكل قصر الله) فإنه «يسكن على عادته» وسوف يعاد بناؤه على حسب طرازه القديم.

ثانيا: سوف يعودون ثانية إلى الاحتفال بالاعياد المقدسة (ع ١٩)، من المدينة، ومن الهيكل ومن جميع الساكنين في يعقوب «يخرج منهم الحمد وصوت اللاعبين».

ثالثا: سوف يكثر الشعب ويتزايد عددهم: «وأكثرهم ولا يقلون»، بل سيكون لهم شأن بين الأمم، لأني «أعظمهم ولا يصغرون». إنه لمن كرامة الكنيسة أن ينضم إليها الكثيرون ممن سوف يخلصون. وسوف يكون ثمة تعاقب مستمر من القادة الأمناء في مجامع الشيوخ، ومن يعبدون الله بأمانة في كنيسة القديسين.

رابعا: سوف يسعدون بحكومة صالحة (ع ٢١): «ويكون حاكمهم منهم»، ومن أمتهم، ولن يحكمهم بعد غرباء أو أعداء «ويخرج واليهم من وسطهم»، ويكون واحدا ممن شاركوهم محن أيام السبي، وهنا نجد إشارة إلى المسيح حاكمنا. داود ملكنا (ع ٩)، وهو من أنفسنا «يشبه إخوته في كل شيء». «وأقربه»، وهذا ما يمكن فهمه على أنه:

(١) يقصد به الشعب، ويعقوب وإسرائيل: سأقربه فيدنو إليَّ في خدمة الهيكل، كما سبق أن قربتهم إليَّ في عهد معي كشعبي (ع ٢٢).

(٢) يمكن أن تفهم على أن المقصود بها هو الحاكم، لأن الكلام عن شخص واحد: «حاكمهم»

يدعى إلى وظيفته، ويقترب إلى الله لطلب المشورة في كل المناسبات. لكن العبارة تتطلع إلى أبعد من ذلك، إلى المسيح، باعتباره «الوسيط». والعمل الخاص بالمسيح ووظيفته هو أن يقترب ويدنو من الله من أجلنا، وباسمنا وبدلا منا، باعتباره رئيس كهنة اعترافنا. الله الآب جعل الرب يسوع المسيح يقترب ويدنو إليه باعتباره الوسيط. ولقد مسحه لهذا الغرض وأعلن أنه قد سر به، فكان كل ما يشغله هو المهمة التي تطوع أن يؤديها وفقا لمشيئة أبيه وعطفا على الإنسان الذي سقط.

خامسا: سيدخلون ثانية في عهد مع الله، طبقا للعهد الذي سبق وأن قطع لآبائهم (ع ٢٢): «وتكونون لي شعبا». وعمل الله الصالح فينا هو الذي جعلنا له شعبا (أع ١٥: ١٤).

سادسا: سوف تتم محاسبة أعدائهم وإذلالهم (ع ٢٠): «وأعاقب كل مضايقيهم»، حتى يتبين للجميع أنه من الخطورة أن يمس أحد مسحاء الله (مز ١٠٥: ١٥). وهذان العددان (٢٣ و٢٤) سبق أن وردا في (إر٢٣: ١٩ و٢٠)، «هناك» كانا للتحذير من غضب الله ضد المرائين الأشرار في إسرائيل، أما «هنا»، فهما ضد مضايقي إسرائيل. وغضب الله ضد الأشرار شبه هنا بالزوبعة «نوء جارف» لا يمكن مقاومته. وسوف يحقق ما أرسل من أجله: «لا يرتد حمو غضب الرب حتى يفعل وحتى يقيم مقاصد قلبه». فمقاصد غضبه، وكذلك مقاصد محبته سوف تتحقق كاملة.

الأصحاح الحادي والثلاثون

كلمات طيبة ومعزية لتشجيع المسبيين، تؤكد لهم أن الله سيعود في الوقت المناسب ويجعلهم ثانية أمة عظيمة سعيدة ولاسيما بواسطة إرسال المسيح لهم، والذي سيحقق كثير من هذه المواعيد بالكامل في ملكوته ونعمته.

أولا: سوف يعاد إليهم سلامهم وفرحهم (ع ١ – ١٤).

ثانيا: سينتهي حزنهم لفقد أبنائهم (ع ١٥– ١٧).

ثالثا: يتوبون عن خطاياهم وسوف يتفضل الله ويقبلهم (ع ١٨ – ٢٠).

رابعا: سوف يزدادون عددا، من ناحية أبنائهم ومواشيهم (ع ٢١ – ٣٠).

خامسا: سيجدد الله عهده معهم، ويثريه ببركات روحية (ع ٣١ – ٣٤).

سادسا: ستحفظ هذه البركات لذويهم من بعدهم (ع ٣٥ – ٣٧).

سابعا: وكعربون لهذا سوف يعاد بناء مدينة أورشليم (ع ٣٨ – ٤٠).

عدد ١ – ٩

يؤكد الله لشعبه أنه:

أولا: سوف يدخل ثانية في علاقة عهد معهم. سوف يعترف بشعبه على أنهم أبناء محبته: «أكون إلها» (أي أظهر نفسي بأنني الله) «لكل عشائر إسرائيل» (ع ١)– وليس للسبطين فقط، بل لجميع الأسباط، وليس لدولتهم بصفة عامة، بل لعشائرهم بصفة خاصة، وكل ما يتعلق بهم سيكون محط اهتمام الله. وإذا ما عبدنا نحن وبيوتنا الرب، فسوف نلقى نحن وبيوتنا حمايته وبركته (أم ٣: ٣٣).

ثانيا: سيخرجهم من السبي في بابل كما سبق وصنع لآبائهم حين أخرجهم من العبودية في مصر.

(١) ذكرهم بما سبق أن عمله لآبائهم حين أخرجهم من مصر (ع ٢)، فقد كانوا حينئذ، كما كان هؤلاء، «الباقي عن السيف»، عن سيف فرعون الذي قتل به كل الأطفال الذكور فور ولادتهم. كانوا في ذلك الحين «في البرية»، حيث بدا وكأنهم تاهوا وأصبحوا في طي النسيان. أما هؤلاء فكانوا الآن في أرض غريبة، ومع ذلك وجدوا نعمة لدى الله، وقد اعترف بهم وأكرمهم إكراما وكان في هذه المرة بصدد أن «يريح» إسرائيل في كنعان. فالله هو هو لا يتغير.

(٢) ذكروه بما فعله الله لآبائهم، ملمحين إلى أنهم لا يرون الآن مثل هذه المعجزات، وكانوا على استعداد لأن يسألوا مثلما تساءل جدعون: «وأين كل عجائبه التي أخبرنا بها آباؤنا؟» كانت سنو الأيام القديمة سنوات مجيدة، أما الآن فهي على العكس من ذلك، ما الذي نستفيده من أنه «تراءى» لنا «الرب من بعيد»، أي منذ زمن بعيد مادام هو الآن «إله محتجب» بالنسبة لنا (إش ٤٥: ١٥).

(٣) أجاب على ذلك بتأكيده على استمرارية

WWW.DIFA3IAT.COM

محبته: «أحببتك» ليس فقط بمحبة قديمة بل «محبة أبدية أحببتك»، محبة لا تسقط أبدا، مهما توقفت تعزياتها في آونة ما. ولا شيء يمكنه أن يفصلهم عن هذه المحبة. ومن يحبهم الله بهذه المحبة سيدخل معهم في عهد وشركة، وذلك بتأثير روحه القدوس على نفوسهم.

ثالثا: سيجعلهم شعبا مرة ثانية، ويعطيهم إقامة سعيدة للغاية في أرضهم (ع ٤ و٥). سيأخذون قيثاراتهم التي كانت معلقة على أشجار الصفصاف، ويهيئونها ويهيئون أنفسهم لاستعمالها. هل فرح المدينة يساعد على استمرار منتجات الريف؟ إن الأمر هكذا بالفعل، ومن ثم كان الوعد (ع ٥): «تغرسين بعد كروما في جبال السامرة» التي كانت المدينة الرئيسية في مملكة إسرائيل، من مقابل يهوذا، إلا أنهما سيتحدان الآن (حز ٣٧: ٢٢)، وسوف يسود سلام وأمن حقيقيان حتى أن الرجال سيتفرغون تماما لتحسين أرضهم: «يغرس الغارسون»، لا يخشون من مجيء جنود ليأكلوا ثمار ما زرعوه، أو لينزعوا ما غرسوه، بل إنهم هم أنفسهم «يبتكرون» (يجنون الثمار).

رابعا: ستكون لهم الحرية لعبادة الله وتتاح لهم فرصة ذلك في الفرائض التي عينها بنفسه لأنه يكون يوم، وسوف يكون يوما مجيدا، «ينادي فيه النواطير في جبال أفرايم» (ع ٦) الذين وضعوا كحراس هناك لإعطاء إنذار في حالة اقتراب العدو، والذين إذ يجدون أن الحالة هادئة تماما، وليس ثمة أية بادرة للخطر، فسوف يرغبون لوقت ما، أن يسرحوا من وظائفهم حتى يكون بمقدورهم أن يصعدوا «إلى صهيون»، ليشكروا الرب ويسبحوه من أجل السلام العام. غير أن ما هو جدير بالملاحظة هنا هو أن «النواطير في جبال أفرايم» متلهفين على تشجيع عبادة الله في أورشليم، في حين أنه في الماضي كان نواطير أفرايم «حقد في بيت» إلههم (هو ٩: ٨)، وبدلا من دعوة الناس إلى صهيون كانوا يضعون فخاخا لمن يقصدون ذلك الاتجاه (هو ٥: ١).

خامسا: سيكون لله المجد وسيكون لشعب الله الكرامة والتعزية الناتجة عن هذا التغيير المبارك «رنموا ليعقوب فرحا» (ع ٧)، أي دعوا جميع أصدقاءه وكل من يتمنون له خيرا أن يفرحوا معه (تث ٣٢: ٤٣)«تهللوا أيها الأمم شعبه»، (رو١٥: ١٠)«تهللوا أيها الأمم مع شعبه». عند إعلان هذه الأخبار سبحوا إله إسرائيل، ومجدوه.

سادسا: ثم إنه، بغية الحصول على إقامة سعيدة، في أرضهم فسوف يتمتعون بعودة بهيجة من أرض سبيهم (ع ٨ و٩).

(١) على الرغم من تشتتهم إلى أماكن بعيدة للغاية، فإنهم مع ذلك سوف يجمعون معا «من أرض الشمال» و«من أطراف الأرض».

(٢) ومع أن كثيرين منهم غير لائقين للسفر، إلا أن ذلك لن يكون عائقا بالنسبة لهم: «الأعمى والأعرج» يرجع، وسوف تكون لهم حماسة بالنسبة لرحلتهم، يكونون تواقين إليها حتى إنهم لن يتخذوا من عماهم أو عرجهم ذريعة للبقاء حيث هم. ذلك أن رفقاءهم سيكونون على استعداد لمعاونتهم، سيكونون «عيونا للعمي وأرجلا للعرج» (أي ٢٩: ١٥). هذا يجب أن يكون عليه المسيحيون الأتقياء وهم في رحلتهم صوب السماء. غير أن الأهم من ذلك كله هو أن إلههم سوف يساعدهم. ليت أحدا لا يشكو من أنه أعمى مادام الله مرشده، أو يشكو من أنه أعرج مادام الله قوته. أما الأمهات الحوامل (الحبلى) تجدهن مثقلات، وليس من المناسب لهن أن يقمن بهذه الرحلة، ناهيك عن «الماخض»، ومع ذلك فحين جاء وقت العودة إلى صهيون، لن تجد لا هذه ولا تلك صعوبة في ذلك. وحين ينادينا الله، لا يجب علينا أن نتخذ عذرا من أي عجز لعدم الإتيان إليه، لأن ذاك الذي يدعونا سوف يعطينا عونا وقوة. سوف يبكون بمزيد من المرارة والحرارة على خطاياهم بعد أن يخلصوا من سبيهم، وذلك بأكثر مما فعلوا حينما كانوا يرزحون تحت وطأته. والصلوات تساعد على مسح الدموع، وبنعمتي أقودهم.هل الأرض التي يعبرونها جافة ظامئة؟ سوف «أسيرهم إلى أنهار ماء»، ليس ماء الفيضان الذي يغيب في الصيف. هل هي برية ليس بها طريق، أو ممر؟ سوف أسيرهم «في طريق مستقيمة» لن يتوهوا فيها. هل هي منطقة صخرية شديدة؟ مع ذلك أجعلهم «لا يعثرون فيها». وحيثما وجه الله لشعبه نداء واضحا فسوف يجد أو يعد لهم

طريقا. ولقد ذكر السبب الذي من أجله يولي الله كل هذه الرعاية لشعبه: «لأني صرت لإسرائيل أبا» ولذلك يتراءف عليه ويعوله (مز ١٠٣: ١٣). «أفرايم هو بكري»، حتى أفرايم، الذي ابتعد عن الله ولم يعد يستحق أن يدعى له ابنا، سوف يعترف به «كبكر»، له معزة خاصة، ووريث نصيبين من البركات. والسبب الذي ذكر لإخراجهم من مصر أعطي أيضا لخلاصهم من السبي في بابل، فقد ولدوا أحرارا ومن ثم لا يجب أن يستعبدوا، لقد ولدوا أحرارا وعلى ذلك لا يجب أن يستبعدوا للناس (خر ٤: ٢٢ و٢٣): «إسرائيل ابني البكر.. أطلق ابني ليعبدني».

عدد ١٠ - ١٧

مقاصد محبة الله بالنسبة لشعبه. هذه «كلمة الرب» التي يجب أن تسمعها «الأمم»، لأنها تشكل نبوة لعمل يقوم به الرب. وسوف تكون أخبارا تنتشر في كل أعمال الرب. وقد تم التنبؤ بالآتي:

(١) الذين تشتتوا سوف يجمعون ثانية من الجهات التي تشتتوا فيها: «مبدد إسرائيل يجمعه» (ع ١٠)، وبعد أن يجمعهم في جسد واحد، حظيرة واحدة، فإنه «يحرسه كراع قطيعه»، حتى لا يتشتت ثانية.

(٢) أولئك الذين بيعوا وتغربوا سوف يتم فداؤهم وإرجاعهم ثانية (ع ١١). وعلى الرغم من أن العدو الذي تملكهم كان «أقوى» منهم، إلا أن الرب الذي هو أقوى من الكل سوف يفديهم ويفكهم، ليس بثمن، بل بالقوة.

(٣) إلى جانب حصولهم على حريتهم فإن الله سيعطيهم فرحا وخيرا وفيرا، ويتمجد الله (ع ١٢ و١٣). وبعد أن يكونوا قد عادوا إلى أرضهم «يأتون ويرنمون في مرتفع صهيون»، على قمة ذلك الجبل المقدس سوف يرنمون سبحا لله وتمجيدا. ونقرأ أن هذا ما فعلوه حين وضعت أساسات الهيكل هناك (عز ٣: ١١). «ويجرون إلى جود الرب»، وسوف يلتفون معا في اجتماعات مقدسة يسبحونه من أجل جوده، وللصلاة من أجل استمراريته. سيأتون ليباركوه من أجل جوده حيث يشكرونه «على الحنطة وعلى الخمر وعلى الزيت وعلى أبناء الغنم والبقر». ولذلك يكرمون الله بأبكار غلاتهم التي يأتون منها بتقدمات إلى مذبحه. ونفوسنا تشبه الحدائق حين تروى بندى روح الله ونعمته. إنه لوعد ثمين أنهم «لا يعودون يذوبون بعد» (لا يعتريهم حزن بعد)، وفي أورشليم الجديدة فقط سوف تمسح «كل دمعة من عيونهم» (رؤ ٢١: ٤). ومع ذلك فإن المسبيين العائدين لن تكون لديهم الأسباب التي تستدعي الحزن والتي كانت لديهم سابقا، ولذلك (ع ١٣): «تفرح العذراء بالرقص والشبان والشيوخ معا».

(٤) الخدام والذين يخدمونهم سيكون لديهم رضاء تام بالنسبة لما يعطيه الله لهم من خير وفير (ع ١٤): «وأروي نفس الكهنة من الدسم»، سوف يؤتى إلى المذبح بذبائح وفيرة حتى إن الذين يأكلون من المذبح يعيشون في يسر، هم وعائلاتهم سوف يروون «من الدسم» وكذلك «يشبع شعبي من جودي». وهذا ينطبق على البركات الروحية التي يتمتع بها مفديو الرب بالمسيح يسوع، وهي أكثر قيمة بما لا يحد، من الحنطة والخمر والزيت.

(٥) أما أولئك الذين كانوا حزانى بصفة خاصة لفقد أولادهم الذين كانوا معهم في السبي فسيتحول حزنهم بعد عودتهم إلى فرح (ع ١٥ - ١٧).

«صوت سُمع في الرامة» في الوقت الذي كان فيه السبي العام ليس سوى «نوح بكاء مر» وكان هناك في الرامة أكثر مما كان عليه في أي مكان آخر، لأن نبوزراداان كان يتخذه الموقع العام لتجمع المسبيين وهذا ما نستخلصه مما جاء في إرميا ٤٠: ١، حيث نجده يعيد إرميا ثانية من الرامة. وقيل هنا إن «راحيل تبكي على أولادها». وكان قبر راحيل يقع بين الرامة وبيت لحم. وكان بنيامين، أحد السبطين، وأفرايم، رئيس الأسباط العشرة من أحفاد راحيل. ولم يكن لها سوى ولدين أكبرهما هو الذي حزن والده من أجله «فأبى أن يتعزى» (تك ٣٧: ٣٥). والآن، كان سكان الرامة في حالة مماثلة، كانوا مري النفس على بنيهم وبناتهم الذين أخذوا إلى السبي (كما جاء في ١ صموئيل ٣٠: ٦). فالآباء المحبون رفضوا أن يتعزوا عن أولادهم لأنهم «ليسوا بموجودين»، لم يكونوا معهم، بل كانوا في أيدي أعدائهم، ولم يكن ثمة احتمال في أن يروهم بعد ذلك. وقد طبق البشيرون

هذا على المناحة العظيمة التي كانت في بيت لحم بسبب مذبحة الأطفال التي أمر بها هيرودس (مت ٢: ١٧ و١٨)، وقيل إن هذا القول الإلهي قد تحقق في ذلك الحين. وعلى الرغم من إننا نحزن إلا أنه ليس لنا أن نتذمر. ولكي نخمد حزنا مبالغا فيه، علينا أن نتذكر أنه «يوجد رجاء» لآخرتنا، لنا رجاء بأن المتاعب لن تستمر دائما، وسوف تكون هناك آخرة سعيدة، والآخرة ستكون سلاما. وعلى الرغم من أن جيلا يسقط في البرية إلا أن الجيل الثاني سيدخل أرض كنعان. «لأنه يوجد جزاء لعملك». والله يجعل شعبه سعداء على قدر الأيام التي ابتلاهم فيها، ولذلك هناك نسبة بين الأفراح والأحزان كما هو الحال بين المكافأة والعمل (رو ٨: ١٨). وهناك أمل بالنسبة للأطفال الذين فقدوا بسبب الموت بأنه «يرجع الأبناء إلى تخمهم»، إلى نصيبهم السعيد الذي خصص لهم في القيامة، نصيب في كنعان السمائية، المتاخمة لمقدسه.

عدد ١٨ - ٢٦

أولا: توبة أفرايم وعودته إلى الله. يقول أفرايم ما لي والأصنام بعد الآن؟ أفرايم «الذي هو شعب» سيكون كرجل واحد في توبتهم. وأفرايم ينتحب هنا من أجل الخطية، ولعل ذلك مرده أن أفرايم، الشخص الذي سمي هذا السبط باسمه، كان ذا نفس رقيقة ناح من أجل أولاده «أياما كثيرة» (١أخ ٧: ٢١ و٢٢)، والنوح من أجل الخطية شبه بالنوح على ابن وحيد. وقد اتهم نفسه، في المقام الأول، بعدم الصبر تحت التأديب: «أدبتني»، لقد كنت تحت التأديب، وكنت في حاجة إليه، واستحققته، لقد تم تأديبي بحق، «فتأدبت كعجل غير مروض»، ما كان سيشعر بالمهماز لو لم يكن قد تمرد أولا ضد النير. وهذه هي الخطية التي يجد نفسه متهما بها الآن، ولكنه (ع ١٩) يتأمل في خطاياه أيام الصبا، وهو يتذكر الآن «عار» صباه. وهو هنا غاضب، كان بداخله غضب مقدس من نفسه على خطيته وحماقته: «صفقت على فخذي»، كما يفعل العشار حين يقرع على صدره. لقد كان في دهشة من غباته وعناده: «خزيت وخجلت». وجد أنه ليس بمقدوره إذا اعتمد على قوته الشخصية أن يبقي نفسه قريبا من الله، ناهيك عن أنه حينما تمرد لم يستطع أن يعيد نفسه إلى الله، ولذلك صلى قائلا: «توبني فأتوب»، «اشفني يا رب فأشفى» (إر ١٧: ١٤). وهو هنا يبتهج بما اختبره من نتيجة مباركة للنعمة الإلهية: «بعد رجوعي ندمت». وكل الأعمال التقوية التي تخرج من قلبنا نحو الله إنما هي وليدة عمل نعمته فينا. وحين يتواصل الخطاة إلى معرفة صحيحة سوف يأتون إلى الطريق الصحيح. لقد أدب أفرايم، ولكن هذا لم يأت بالنتيجة المرجوة، فلم يتعد الأمر ذلك: «تأدبت»، وكان هذا كل ما في الأمر. غير أنه حين صاحبت تعليمات روح الله تأديبات عنايته، هنا تم العمل.

ثانيا: تعاطف الله مع أفرايم والقبول الطيب الذي لقيه من الله (ع ٢٠). يعترف به الله كابن، على الرغم من أنه كان ابنا ضالا لا يعرف الواجب: «هل أفرايم ابن عزيز لديَّ أو ولد مسر؟» أو كما تترجم عادة: أليس أفرايم ابني العزيز؟ أليس هو ولد مسر؟ نعم، ولاسيما أنه تاب ورجع إليَّ. ولا زلت «أذكره» ولا أفكر فيه إلا بالسلام. وحين يبتلي الله شعبه، فهو لا ينساهم، وحينما طردهم من أرضهم، لم يطرحهم من أمام وجهه أو من فكره. وكان تعاطف الله هو الذي خفف من عقوبة أفرايم. «قد انقلب عليَّ قلبي» (هو ١١: ٨ و٩)، ونفس هذا التعاطف هو الذي قَبِل توبة أفرايم. وقد عقد العزم على أن يصنع منه خيرا: «رحمة أرحمه يقول الرب».

ثالثا: تشجيعات عظيمة أعطيت لشعب الله في بابل لكي يعدوا أنفسهم للعودة إلى أرضهم. عليهم ألا يرتعبوا أو ييأسوا، مطلوب منهم ألا يبددوا الوقت في الأمور التافهة ويضيعوه سدى، بل بعزم راسخ، ينكبون بكل جدية في إعداد أنفسهم لرحلة العودة (ع ٢١ و٢٢). «ارجعي يا عذراء إسرائيل». عذراء تتزوج ثانية بإلهها، «ارجعي إلى مدنك»، على الرغم من أنها خرابا وحطاما، إلا أنها «مدنك»، التي أعطاها الله لك، ومن ثم «ارجعي» إليها. ويتعين عليهم الرجوع من نفس الطريق الذي ذهبوا منه، حتى أن ذكرى الأحزان التي صاحبتهم فيه، أو الأحزان التي حدثهم آباؤهم عنها، سوف تحملهم على أن يزداد شكرهم لله من أجل خلاصهم وأولئك الذين رحلوا في ربط الخطية عليهم أن يعودوا إلى الواجبات التي

أهملوها، عليهم أن يعملوا الأعمال التي عملوها أولا «اجعلي قلبك نحو السكة». والطريق من بابل حتى صهيون، من عبودية الخطية إلى حرية مجد أولاد الله، هو طريق سفر ليس من المحتمل أن يطرقه أحد ما لم يجعل وجهه نحوه، أو يذهب إليه عن قصد. «انصبي لنفسك صوى» (علامات إرشادية)، «اجعلي لنفسك أنصابا (أعمدة)»، أرسلي أمامك من يقيم هذه العلامات في كل الأمكنة التي يكون فيها خطر فقدان الطريق. وعلى هؤلاء الذين ذهبوا أولا، والذين يعرفون الطريق على أفضل وجه، أن يقيموا مثل هذه الإرشادات لفائدة الذين يتبعونهم. «حتى متى تطوفين أيتها البنت المرتدة؟» لا يجب أن يسمحوا أن تتذبذب أفكارهم أو يراودهم الشك. عليهم ألا يشتتوا أفكارهم بالهم والخوف، ليلقوا بهمومهم على الله وبعد ذلك تترسخ أذهانهم. ولقد شجعوا على أن يعملوا ذلك، على أساس تأكيد الله لهم بأنه «قد خلق شيئا حديثا في الأرض. أنثى تحيط برجل». كنيسة الله التي هي ضعيفة واهنة مثل المرأة، التي هي غير مناسبة إطلاقا للخدمات العسكرية (إش ٥٤: ٦) سوف تحاصر وتنتصر على رجل قوي. لقد شبهت الكنيسة بامرأة (رؤ ١٢: ١)، وفي حين إننا نجد جيوشا قد صعدوا «وأحاطوا بمعسكر القديسين» (رؤ ٢٠: ٩) إلا أن معسكر القديسين هو الذي سيحيط بهم الآن. وثمة مفسرون أكفاء كثيرون يقولون بأن هذا «الشيء الحديث» هو تجسد المسيح، والذي أعطي لهم في بعض الأحيان كعلامة (إش ٧: ١٤؛ ٩: ٦). «أنثى».. التي هي العذراء مريم، أحاطت في بطنها بالقوي (لأن هذه هي ترجمة الكلمة المستخدمة هنا)، ولقد دعي الله «الإله... الجبار» (إر ٣٢: ١٨) وهكذا دعي المسيح أيضا في إشعياء ٩: ٦. فهو رب الجنود.

رابعا: أعطى لهم وعد بالاستقرار في أرضهم ثانية في ظل من السعادة. وكل جيرانهم سيبجلونهم ويصلون من أجلهم (ع ٢٣): «سيقولون (على الرغم من أن يهوذا وأورشليم ظلتا محتقرتين مدة طويلة) بعد هذه الكلمة في أرض يهوذا وفي مدنها... يباركك الرب يا مسكن البر يا أيها الجبل المقدس» مثلما كانوا يقولون في السابق. وهذا ما يستشف منه أنهم سيعودون بعد أن يكونوا قد انصلحوا كثيرا، وهذا الإصلاح سيكون بارزا حتى إن كل من حولهم سيلحظونه. «فالمدن» التي اعتادت أن تكون أوكارا للقراصنة، سوف تكون مساكن البر، وجبل إسرائيل، ولاسيما جبل صهيون الذي سوف يكون «الجبل المقدس». وسوف تكون بينهم أعداد كبيرة (ع ٢٤ و٢٥) يسكنون معا في «يهوذا»- على الرغم من أنها ظلت خربة مدة طويلة- ويكون من بينهم الفلاحون والرعاة، وهما الحرفتان القديمتان المكرمتان لقايين وهابيل (تك ٤: ٢): «لأني أرويت النفس المعيية وملأت كل نفس ذائبة»، أولئك الذين كانوا يعيشون في حزن منذ مدة طويلة في سبيهم، سيتمتعون الآن بخير وفير. وهذا ما ينطبق على البركات الروحية التي يحتفظ الله بها لكل الذين يتوبون توبة صادقة.

خامسا: يخبرنا النبي عن السرور البالغ الذي نتج عن إعلان ذلك (ع ٢٦): «على ذلك استيقظت»، وقد غمرني الفرح، الذي حطم قيود النوم، وأخذت أفكر في حلمي، هذا الحلم الذي كان من شأنه أن «لذ لي نومي»، وقد انتعشت كما يحدث بالنسبة لمن يأخذون قسطا كافيا من النوم.

عدد ٢٧- ٣٤

وقد تم الوعد هنا أيضا بما يأتي:

أولا: سيكون شعب الله أكثر عددا وأوفر نجاحا وازدهارا وستمتلئ إسرائيل بالناس والمواشي (ع ٢٧). وهذا ما يرمز إلى الزيادة العجيبة في كنيسة الإنجيل. يبنيهم الله ويغرسهم (ع ٢٨). وسوف «يسهر عليهم» من أجل خيرهم. كل شيء منذ أمد بعيد كان قد تحول ضدهم إلى حد كبير، حتى أنه بدا كما لو أن الله قد سهر عليهم «للاقتلاع والهدم»، أما الآن فكل شيء سيقوي وينمي مصالحهم بما فيه سعادتهم.

ثانيا: لن يحاسبوا بعد على خطايا والديهم (ع ٢٩ و٣٠). قال مخلصنا لليهود الأشرار أثناء تواجده بالجسد أنهم سيتألمون بسبب خطايا آبائهم، لأنهم أصروا على الاستمرار في نفس هذه الخطايا (مت ٢٣: ٣٥ و٣٦). غير أن الوعد هنا جاء بأن الله لن يحاسبهم بعد على خطايا آبائهم، بل يتذكر عهده مع آبائهم ويحسن إليهم بناء على هذا العهد: «لا يقولون

بعد» مثلما فعلوا في الماضي إن «الآباء أكلوا حصرما وأسنان الأبناء ضرست، بل كل واحد يموت بذنبه»، ولكنه مع ذلك سوف يحاسب أشخاصا معينين ممن يثيرون غضبه.

ثالثا: سيجدد الله عهده معهم، حتى إن كل البركات التي ستكون لهم، ستعطى لهم ليس بموجب العناية، بل على أساس الوعد. غير أن هذا العهد يشير إلى أزمنة الإنجيل، وهي الأيام التي «تأتي»، لأن كاتب العبرانيين يفهم هذا على أن المقصود به هو نعمة الإنجيل (عب ٨: ٨ و٩) حيث اقتبست كل هذه الفقرة كموجز لعهد النعمة الذي قطع مع المؤمنين في المسيح يسوع. وقد قطع هذا العهد مع «بيت إسرائيل وبيت يهوذا»، ومع كنيسة الإنجيل، «شعب الله» الذي سيكون عليه «سلام» (غل ٦: ١٦)، مع النسل الروحي لإبراهيم أبي الإيمان، ويعقوب رجل الصلاة. كانت يهوذا وإسرائيل مملكتين منفصلتين، غير أنهما اتحدتا بعد العودة في النعم المشتركة التي فاض بها الله عليهم، وهكذا كان الحال بالنسبة لليهود والأمميين في كنيسة الإنجيل والعهد. وكان «عهدا جديدا. ليس كالعهد الذي قطعته مع آبائهم» حين أخرجهم من مصر. والفرائض والوعود هي بالأكثر روحية وسمائية، والإعلانات الإلهية أكثر وضوحا. وذلك العهد قطعه الرب معهم يوم أمسكهم «بيدهم»، كما لو كانوا عميانا، أو عرجا، لكي يخرجهم «من أرض مصر»، وذلك هو العهد الذي نقضوه. وكان الله هو الذي صنع هذا العهد، ولكن الشعب هو الذي نقضه، لأن خلاصنا من الله، غير أن خطيتنا وهلاكنا إنما هما من أنفسنا. والبنود المعينة لهذا العهد تتضمن كلها بركات روحية، فهو لم يقل: «سوف أعطيهم أرض كنعان وأحفادا كثيرين»، «بل... أصفح عن إثمهم»، وأعطيهم سلاما ونعمة وأذهانا وقلوبا طيبة. ويعد بأنه سيجعلهم يحبون واجبهم: «أجعل شريعتي في داخلهم وأكتبها على قلوبهم». ويدخلهم في علاقة معه.. «وأكون لهم إلها»، إلها يعطيهم كل احتياجاتهم؛ «وهم يكونون لي شعبا»، شعبا مخلصا ومطيعا لي. وأولئك الذين يعرفون اسم الله معرفة صحيحة سوف يطلبونه ويعبدونه ويتكلون عليه (ع ٣٤): «كلهم سيعرفونني»، الكل سيرحب بهم إلى معرفة الله، وستوفر لهم وسائل تلك المعرفة، وتعرف طرقه على الأرض، في حين أنه لأجيال كثيرة لم تكن تُعرف إلا في يهوذا فقط. كان الكهنة يعظون من آن لآخر في الهيكل وإلى عدد قليل نسبيا، أما الآن فالكل سوف يعرفون الله من ترددهم على اجتماعات المؤمنين، التي ستعلم فيها الحقائق المختصة بالكنيسة، وأيضا المعرفة الحقة عن الله. وخلاصة القول فإن الأمور سوف تصبح أكثر وضوحا عن ذي قبل وذلك بواسطة إنجيل المسيح (٢تي ١: ١٠)، ثم إن شعب الله– عن طريق نعمة المسيح– ستكون لديهم فكرة أوضح عن هذه الأمور عما كان عليه الحال في الماضي. سوف تغفر الخطية. وهذا اتخذ أساسا لكل الأمور الأخرى: «لأني أصفح عن إثمهم»، سوف يصفح وينسى: «ولا أذكر خطيتهم بعد».

عدد ٣٥– ٤٠

الأمر العظيم الذي تأكد لنا هنا هو أنه طالما وجد العالم سيكون لله كنيسة فيه، والتي إذا كانت في بعض الأحيان تشهد فترة من التدهور، إلا أنها ستقام ثانية، وتترسخ مصالحها، فهي مبنية على صخرة «وأبواب الجحيم لن تقوى عليها».

أولا: بناء العالم، وثبات هذا البناء يدلان على قوة وأمانة الله الذي تعهد بتأسيس كنيسته. لأنه منذ البداية «باني الكل هو الله» (عب ٣: ٤). واستقرار مملكة الطبيعة قد يشجعنا على الاتكال على الوعد الإلهي بشأن استمرارية أمجاد مملكة النعمة.

(١) أمجاد مملكة الطبيعة. هو «الجاعل الشمس للإضاءة نهارا» (ع ٣٥)، لم يخلقها في البداية لتكون هكذا فحسب، بل ويعطيها استمرارية أن تظل هكذا، لأن الإضاءة والحرارة، وكل تأثيرات الشمس تعتمد بصفة دائمة على خالقها العظيم. وهو الذي جعل «القمر والنجوم للإضاءة ليلا»، وقد سميت حركاتها «فرائض» لأنها منتظمة وتسير طبقا لقواعد معينة (انظر أيوب ٣٨: ٣١– ٣٣). لننظر انضباط البحر والتحكم في أمواجه العاتية: «الزاجر البحر حين تعج أمواجه رب الجنود اسمه». ولنلاحظ هنا مدى اتساع السماوات، والمدى الذي لا يقاس للقبة السماوية، فالسماوات لا يمكن أن «تقاس من فوق» (ع ٣٧)

www.DIFA3AT.com

ومع ذلك الله يملأها. ولنلاحظ غموض حتى ذلك الجزء من الخليقة (الأرض) الذي كان من نصيبنا أن نعيش فيه، ولنر الثبات والرسوخ لكل هذه الأشياء (ع ٣٦): «هذه الفرائض» لا يمكن أن «تزول» من أمام الله، «لأن الكل» عبيده (مز ١١٩: ٩١). كثيرا ما تحجب السحب السماء، وتحجب الشمس والقمر، وقد تهتز الأرض أو يعج البحر، غير أنها كلها تلزم مواقعها، يمكن أن تتحرك لكن لا يمكن أن تترك مكانها.

(٢) ضمانات عهد النعمة التي يستدل عليها من هذا: أن «نسل إسرائيل» لا يمكن أن يكف «من أن يكون أمة» (انظر ١ بطرس ٢: ٩). فحين تكف إسرائيل بحسب الجسد عن أن تكون أمة، فإن «أولاد الموعد يحسبون نسلا» لإسرائيل، ولن يرفض الله «كل نسل إسرائيل من أجل كل ما عملوا» من شرور (ع ٣٧). والله الذي تعهد بحفظ الكنيسة هو إله كلي القدرة، وهو «حامل كل الأشياء بكلمة قدرته»، «معونتي من عند الرب صانع السماوات والأرض»، وعلى ذلك فهو يستطيع أن يعمل أي شيء. وما كان الله ليولي العالم كله هذه العناية ما لم يقصد مجدا، وكيف يمكن أن يتحقق له ذلك إلا إذا حفظ لنفسه كنيسة فيها شعب يسبح باسمه؟ وإذا كان نظام الخليقة يظل ثابتا لأنه ترسخ تماما في البداية، ولا يتغير لأنه ليس في حاجة إلى تغيير، فإن أسلوب النعمة سيستمر دونما تغيير للسبب نفسه، لأنه تثبت جيدا في البداية. وذاك الذي وعد أن يحفظ لنفسه كنيسة أثبت أنه أمين بما قاله فيما يتعلق بثبات العالم.

ثانيا: إعادة بناء أورشليم، التي هي أطلال الآن، ستكون وعدا من بين هذه الأشياء العظيمة التي سيعملها الله لكنيسة الإنجيل، «أورشليم السمائية» (ع ٣٨ – ٤٠). «ها أيام تأتي» على الرغم من أنها قد لا تأتي إلا بعد وقت طويل، حيث تبنى أورشليم ثانية وبالكامل، وبأكبر مما كانت عليه في أي وقت. والسور الذي بناه نحميا، وكان ذلك لإكمال النبوة وعلى نحو دقيق، بدأ من «برج حننئيل» الذي ذُكر هنا (نح ٣: ١) كان يضم أراضي كثيرة بالشكل الذي استهدف هنا، على الرغم من أنه ليس بمقدورنا تحديد الأماكن التي سميت هنا «باب الزاوية»، «أكمة جارب»... إلخ. وحين يبنى سوف يكرس للرب وخدمته (ع ٣٨) بل إن الضواحي والحقول المجاورة ستكون «قدسا للرب». والمدينة كلها ستعود إلى سابق عهدها، هيكلا واحدا، مقدسا واحدا، على غرار أورشليم الجديدة، والتي لهذا السبب ليس بها هيكل، لأنها كلها هيكل. وسوف تستمر طويلا، وزمن المدينة الجديدة من العودة حتى دمارها الأخير كان مثل الزمن القديم، من داود حتى السبي. غير أن هذا الوعد سيتحقق بالكامل في كنيسة الإنجيل، التي هي إسرائيل الروحي، وعلى ذلك لن يطرحها الله عنه. وهي المدينة المقدسة، ومن ثم فإن كل قوى البشر لا يمكن أن تقلعها ولا تهدمها «إلى الأبد».

الأصحاح الثاني والثلاثون

أولا: إلقاء إرميا في السجن لأنه تنبأ بخراب أورشليم وسبي صدقيا الملك (ع ١ – ٥).

ثانيا: إرميا يشتري أرضا بإرشاد إلهي، كتأكيد على أنه في الوقت المناسب ستوضع خاتمة سعيدة لمتاعبهم الراهنة (ع ٦ – ١٥).

ثالثا: صلاة إرميا التي رفعها إلى الله في تلك المناسبة (ع ١٦ – ٢٥).

رابعا: رسالة كلفه الله بتوصيلها للشعب:

(١) عليه أن يتنبأ بخراب يهوذا وأورشليم بشكل تام بسبب خطاياهم (ع ٢٦ – ٣٥)، ولكن:

(٢) عليه في ذات الوقت أن يؤكد لهم أنه على الرغم من الخراب الشامل، فإنه لن يكون نهائيا (ع ٣٦ – ٤٤).

عدد ١ – ١٥

خراب يهوذا وأورشليم على يد البابليين جاء على نحو تدريجي، ولكن إذ إنهم لم يقابلوه بالتوبة، وأنه عقاب من الله استمر حتى أصبح الخراب تاما، وكان ذلك في السنة الحادية عشرة من صدقيا، أما الذي سجل هنا فكان في السنة العاشرة. وقد غزا جيش بابل الآن أورشليم، وكان يواصل حصارها بكل قوة.

أولا: تنبأ إرميا بأن المدينة والقصر سيقعان في يد ملك بابل. وقد أخبرهم أن الله، باعتبار أن أورشليم مدينته، سوف يسلمها لأيديهم ويرفع عنها حمايته

WWW.DIFAF.COM

(ع ٣)، وأنه على الرغم من محاولات صدقيا الهرب، فسوف يقبض عليه ويقع أسيرا في يد نبوخذراصر. وسوف يسمع ملك بابل وهو يعلن مصيره، ويرى كيف سيعامله بكل حدة وغضب «وعيناه تريان عينيه» (ع ٤)، وأن صدقيا سينقل إلى بابل، ويظل هناك مسبيا بائسا حتى يفتقده «الرب»، أي إلى أن يضع الله خاتمة لحياته بواسطة ميتة طبيعية، حيث أن نبوخذنصر أنهى حياته قبل ذلك بزمن طويل إذ فقأ عينيه.

ثانيا: تم إلقاؤه في السجن بسبب نبواته هذه، ولم يلق في السجن العادي، بل «في دار السجن الذي في بيت ملك يهوذا» ولم يكن هناك مقيدا بشكل تام، بل كان يحمى من إهانات الرعاع. ومع ذلك كان هذا سجنا، وسجنه صدقيا فيه لما قاله في نبواته (ع ٢ و٣). وكان أبعد من أن «يتواضع أمام إرميا النبي» (٢أخ ٣٦: ١٢)، بل تقسى قلبه عليه. وعلى الرغم من أنه اعترف به في السابق كنبي حتى أنه طلب منه أن «يسأل» الرب من أجلهم (إر ٢١: ٢)، إلا أنه برغم ذلك يوبخه الآن لأنه تنبأ (إر ٣٢: ٣)، ويلقي به في السجن، ولعله قصد أن يمنعه من التنبؤ بعد ذلك.

ثالثا: وفيما هو في السجن، اشترى من أحد أقاربه قطعة أرض تقع في عناثوث (ع ٦ - ١٥). وكان أمرا غريبا جدا أن يشتري حقلا في الوقت الذي كان هو نفسه يعرف أن الأرض كلها في سبيلها الآن لأن تخرب وتقع في يد البابليين، إلا أن الأمر كان بحسب مشيئة الله وقد رضخ هو لها، على الرغم مما بدا من أن ثمنها يعد نقودا ضائعة بلا فائدة. لقد جاء إليه قريبه ليعرضها عليه، ولم يسع إرميا إلى ذلك، فضلا عن أن حق فكاكها كان له (ع ٨)، وإذا رفض فمعناه أنه لم يقم بدوره كقريب. وكانت الأرض تقع في ضواحي مدينة الكهنة، وإذا رفضها، فلربما يعرضها للخطر في تلك الآونة التي كانت تسودها الفوضى، لأنه كان من المحتمل أن يشتريها شخص من سبط آخر، وهذا ما يتناقض مع الناموس. ثم إنها ستكون لفتة طيبة نحو قريبه الذي ربما كان في حاجة إلى المال في ذلك الحين. وحينما أدرك إرميا القصد من مجيء حنمئيل إليه، كما سبق أن أخبره الله بأنه سيأتي- أنها «كلمة الرب»، عليه أن يقوم بالشراء، لم يضع أية عراقيل في سبيل ذلك، لكنه اشتراه. وكان أمينا للغاية ودقيقا في عملية السداد. ووزن «له الفضة»، ولم يضغط عليه لكي يأخذها على أمانته. وكانت «سبعة عشر شاقلا من الفضة». ولن نتعجب من صغر الثمن إذا ما أخذنا في الاعتبار ندرة المال في ذلك الوقت، وكيف كان الاعتماد على الأرض قليلا. وكان حذرا من ناحية كتابة الصكوك فقد تم التوقيع عليها من قبل الشهود «وأشهدت شهودا». وقد ختمت نسخة منها، أما الأخرى فكانت مفتوحة. وقد سلمت عقود الشراء ليد باروخ، أمام شهود، وقد طلب منه أن يجعلها «في إناء من خزف لكي يبقيا أياما كثيرة»، لكي يستعملها ورثة إرميا. والغرض من عملية الشراء هذه هو الإشارة إلى أنه على الرغم من أن أورشليم محاصرة الآن، وأن البلاد كلها معرضة للخراب، إلا أنه سيأتي وقت «سيشترون بعد بيوتا وحقولا وكروما في هذه الأرض» (ع ١٥). وكما أشار الله على إرميا أن يؤكد صحة نبواته الخاصة بقرب دمار أورشليم وذلك بأن يظل بدون زواج، هكذا أشار عليه أن يؤكد نبواته الخاصة بإعادة بناء أورشليم عن طريق قيامه بشراء هذا الحقل. ويذكر المؤرخ القديم لوسيوس فلوروس الواقعة التالية كدليل عظيم على شجاعة المواطنين الرومانيين أثناء زمن الحرب البونية (القرطاجية) الثانية، حين حاصرها نيبال روما وكان على وشك أن يقيم نفسه سيدا عليها، فإن حقلا كان يعسكر فيه جزء من جيشه عرض للبيع، فتم شراؤه في الحال، وذلك لاعتقاد راسخ أن الرومانيين سيتمكنون لشجاعتهم من رفع الحصار. أليس لدينا نحن مبررا أقوى بأن نجازف بكل شيء على أساس كلمة الله؟

عدد ١٦ - ٢٥

صلاة إرميا إلى الله على إثر الإعلانات الإلهية التي كشف له الله عنها بشأن مقاصده بخصوص هذه البلاد التي سيدمرها ثم يعيد بناءها بعد وقت معين، الأمر الذي حير النبي، الذي على الرغم من أنه سلم هذه الرسائل بكل أمانة، غير أنه إذ أخذ يتأملها وجد نفسه في حيرة من ناحية التوفيق بينهما، وفي أثناء حيرته سكب نفسه أمام الله بالصلاة. كان إرميا سجينا، وفي محنة، وعندئذ صلى:

أولا: إرميا يعبد الله ويعطيه المجد المستحق لاسمه كخالق (ع ١٧- ١٩). وعندما تأخذنا الحيرة في أي وقت من الأوقات بشأن التدبيرات الخاصة التي تتخذها العناية الإلهية، فإنه من الطيب لنا أن نقنع أنفسنا بالتعاليم العامة الخاصة بحكمة الله وقوته وصلاحه. لنتأمل الآتي- كما فعل إرميا:

(١) الله هو مصدر كل كينونة وقوة وحياة وحركة وكمال: فهو الذي صنع «السماوات والأرض» بذراعه «الممدودة».

(٢) ليس شيء مستحيل عنده «لا يعسر عليك شيء».

(٣) إله رحمته لا حدود لها: لست طيبا فحسب بل إنك «صانع الإحسان» ليس لعدد قليل، أو لشخص هنا أو هناك بل «لألوف»، ألوف الأشخاص، وألوف الأجيال.

(٤) إنه إله عدله لا يعرف تحيزا أو اعوجاجا.

(٥) إله صاحب السيادة والسيطرة الشاملة. هو «الإله العظيم» لأنه «الجبار»، «رب الجنود اسمه».

(٦) إنه يدير كل شيء بما هو للأفضل: «عظيم في المشورة»، عميقة هي مشورات حكمته.

ثانيا: يعترف بمعرفة الله الشاملة بكل أعمال البشر (ع ١٩): «عيناك مفتوحتان على كل طرق بني آدم»، أينما كانوا، ترى ما يفعلونه من خير أو شر، مفتوحتان على كل طرقهم، وليس كمتفرج لا يهمه شيء، بل كقاضٍ مدقق، لأن الناس سيجدون الله كما وجدهم هو.

ثالثا: سرد الأشياء العظيمة التي عملها الله لشعبه إسرائيل سابقا.

(١) أخرجهم من مصر، بيت العبودية بواسطة «آيات وعجائب». ويتذكر إسرائيل هذا كل سنة من خلال ممارسة فريضة الفصح. وجميع الأمم المجاورة تتحدث عن هذا، باعتباره أنه يؤول بشكل متزايد لمجد إله إسرائيل، «وجعلت لنفسك اسما كهذا اليوم».

(٢) أدخلهم أرض كنعان «أرضا تفيض لبنا وعسلا»، والتي «حلفت لآبائهم أن تعطيهم». وأعطاها بالفعل لأولادهم (ع ٢٢): «فأتوا وامتلكوها». إنه لأمر طيب بالنسبة لنا أن نفتكر في الأمور العظيمة التي صنعها الله لكنيسته في الماضي، ولاسيما عند إقامتها لأول مرة، الأمر الذي كان يشكل عملا عجيبا.

رابعا: كان يتأسى لتمردهم على الله، والدينونات التي أنزلها الله بهم نتيجة هذا. إنها لقصة حزينة تلك التي يرويها هنا عن سلوك الشعب المتسم بالجحود والنكران تجاه الله. لقد عمل كل ما سبق أن وعدهم به، أما هم فإن «كل ما أوصيتهم أن يعملوه لم يعملوه» (ع ٢٣).

(١) يقارن حالة أورشليم الراهنة بالنبوات الإلهية، ويجد أن ما تكلم به الله «فقد حدث». سبق أن أعطاهم الله إنذارا عادلا قبل ذلك، ولو احترموا هذا الإنذار لمنعوا الخراب.

(٢) يثير عطف الله بالنسبة للحالة التي عليها أورشليم حاليا (ع ٢٤): «ها المتارس»، التي استخدموها لضرب المدينة، «وها أنت ناظر». هل هذه هي المدينة التي اخترتها لتضع اسمك فيها؟ وهل ستترك على هذا النحو؟ وهو هنا لم يشكو من الله لما عمله بهذه المدينة، أو يملي عليه ما يجب أن يفعله. كل ما رغب فيه هو أن يتطلع الله إلى حالتهم. ومهما كانت المتاعب التي نحن فيها علينا أن نعزي أنفسنا فيها، ونتيقن من أن الله يراها وهو يعرف كيف يعالجها.

خامسا: يبدو أنه كان راغبا في أن يعرف مغزى الأمر الذي أصدره له الله بأن يشتري حقل قريبه (ع ٢٥): على الرغم من أنك «قد دفعت المدينة ليد الكلدانيين»، وليس من المحتمل أن يتمتع أحد بما عنده، إلا أنك قلت لي «اشتر لنفسك الحقل». وبمجرد أن أدرك أن الله يريد ذلك أسرع واشتراه. غير أنه بعد أن أتم ذلك فعلا أراد أن يعرف على وجه أفضل لماذا أمره الله بذلك. فعلى الرغم من أننا ملزمون بأن نطيع الله طاعة تامة، إلا أنه يجب علينا محاولة أن نجعلها طاعة ناتجة عن فهم ووعي. وليس لنا إطلاقا أن نجادل أوامر الله وفرائضه، غير أنه بمقدورنا أن نستفسر بشأنها: «ما هي الشهادات والفرائض والأحكام» (تث ٦: ٢٠).

عدد ٢٦- ٤٤

إجابة الله على صلاة إرميا ليهدئ من مخاوفه.

WWW.DIFA3IAT.COM

وهي إعلان كامل عن أهداف غضب الله ضد الجيل الحاضر، والمقاصد من نعمته فيما يختص بالأجيال المستقبلية. لم يكن إرميا يعرف كيف يرنم «رحمة وحكما»، ولكن الله يعلمه هنا أن يترنم بهما. حين أمر إرميا أن يشتري الحقل في عناثوث كان يأمل في أن الله على وشك أن يأمر البابليين برفع الحصار. ولكن الله يقول له، كلا، لئلا يعتقد إرميا أن مغزى شرائه الحقل هو أن كل المراحم التي يحتفظ بها الله لشعبه، بعد عودتهم، تقتصر على امتلاكهم أرضهم ثانية، قال له الله إن هذه لا ترمز إلا إلى البركات الروحية التي سيعطونها بغزارة، وهي أكثر قيمة بما لا يقاس من كل الحقول والكروم. وفي «كلمة الرب» هذه إلى إرميا، نجد أولا تهديدات رهيبة، ثم وعود ثمينة لا تقل في روعتها عن أية وعود أخرى تضمنها العهد القديم.

أولا: أعلن هنا خراب يهوذا وأورشليم.

(١) يؤكد الله هنا سيادته وقوته (ع ٢٧): «هأنذا الرب» الكائن في ذاتي، والمكتفي بذاتي، «أنا الله القدير»، «إله كل ذي جسد».

(٢) التزم بما قاله كثيرا عن خراب أورشليم على يد ملك بابل (ع ٢٨): «هأنذا أدفع هذه المدينة ليده. «فيأتي الكلدانيون... فيشعلون هذه المدينة بالنار ويحرقونها والبيوت» ولم يستثنى بيت الله، ولا بيت الملك.

(٣) الأسباب التي دعت إلى هذه الإجراءات الصارمة ضد المدينة: إن الخطية هي سبب خرابها، وكانوا وقحين متبجحين في عمل الخطية. لقد «بخروا... للبعل»، ليس في الخفاء كأناس يخجلون بل على «سطوح» البيوت (ع ٢٩). وقد فعلوا ذلك «ليغيظوني». «إنما أغاظوني بعمل أيديهم» (ع ٣٠). وكذلك (ع ٣٢) «من أجل كل شر بني إسرائيل وبني يهوذا الذي عملوه ليغيظوني به». لقد صمموا على أن يختبروا غيرته وأن يتحدوه. لأن «هذه المدينة قد صارت لي لغضبي ولغيظي» (ع ٣١). استمروا يغيظون الله: «إنما صنعوا الشر في عيني منذ صباهم»، منذ أن أصبحوا شعبا لأول مرة (ع ٣٠)، لننظر إلى تذمرهم وعصيانهم في البرية. أما بالنسبة لأورشليم، فعلى الرغم من أنها المدينة المقدسة، غير أنه «من اليوم الذي فيه بنوها إلى هذا اليوم».. «قد صارت لي لغضبي ولغيظي» (ع ٣١). والجميع ساهموا في الإثم المشترك بينهم، ولذلك استحقوا جميعا أن يشملهم الخراب العام. ولم يكن «شعب إسرائيل» فقط، الذين تمردوا على الهيكل، بل «شعب يهوذا» أيضا الذين لا يزالون متمسكين به. ولقد دعاهم الله مرارا وتكرارا إلى التوبة، ولكنهم بكل وقاحة أعطوا له ظهورهم. «وقد علمتهم» سلوكيات أفضل «مبكرا ومعلما» (منذ البداءة مرة تلو الأخرى) حاولت أن أجعل التعليم متناغما مع قدراتهم، غير أن كل ذلك ذهب هباء. وكانت وثنيتهم تعد عقوقا واحتقارا لله لأنهم «وضعوا مكرهاتهم في البيت الذي دعي باسمي لينجسوه» (٣٤). كما أُتهموا بالقسوة الفظيعة تجاه أولادهم بما يخالف الطبيعة، لأنهم كانوا يجيزونهم «لمولك» (ع ٣٥)، وذلك «ليجعلوا يهوذا يخطئ». وقد لحقت عدوى وثنية أورشليم وآثامها بكل البلاد.

ثانيا: تم الوعد هنا بإعادة بناء يهوذا وأورشليم (ع ٣٦- ٤٤). وسوف يتذكر الله في دينونته رحمته، وسوف يأتي وقت، وقت معين، ليحسن إلى صهيون. وقد وصل هؤلاء الناس في النهاية إلى حالة من اليأس. وحينما حذروا من الدينونة قبل وقوعها بوقت طويل لم يعبأوا بها، وعندما هاجمتهم لم يكن لديهم رجاء. وبالنسبة للمدينة قالوا «إنها قد دفعت ليد ملك بابل بالسيف والجوع والوبأ» (ع ٣٦). وبالنسبة للريف قالوا بغيظ «إنها خربة بلا إنسان وبلا حيوان» (ع ٤٣) ليس ثمة خلاص، وليس من علاج. «وقد دفعت ليد الكلدانيين». الرجاء بأن يعطيهم الله رحمة: على الرغم من أنهم سيقعون في السبي، إلا أن أولادهم سيرون ثانية هذه الأرض الطيبة، وسيرون صلاح الله فيها: فسوف يحررون من سبيهم ويأتون للإقامة ثانية في هذه الأرض (ع ٣٧). لقد شتتهم وبددهم في كل الأراضي. والذين هربوا شتتوا أنفسهم، والذين وقعوا في أيدي أعدائهم تشتتوا بواسطتهم. والسياسة تقضي بذلك لتحول دون وجود تجمعات بينهم. وكانت يد الله تقضي بذلك في كلا الأمرين. أما الآن فإن الله سيجمعهم «من كل الأراضي» التي طردهم إليها، وذلك بحسب وعده في الناموس (تث ٣٠: ٣ و٤). وإذ أصلحوا، ورجعوا إلى الله، فلن يتعرضوا للخوف بعد

الآن، لا من ضمائرهم ولا من أعدائهم. وقد وعدهم قائلا (ع ٤١): «وأغرسهم في هذه الأرض»، وسوف يتمتعون هنا بالهدوء والطمأنينة، ويتأصلون في هذه الأرض «وأسكنهم آمنين». وسيجدد الله عهده معهم، عهد النعمة، والبركات الروحية. وقد سمي «عهدا أبديا» (ع ٤٠)، ليس لأن الله سيكون أمينا له إلى الأبد، بل لأن نتائجه ستكون أبدية. لأنه- بلا ريب- أن الوعود هنا تتطلع إلى أبعد من إسرائيل بالجسد، بل هي يقينية بالنسبة لكل المؤمنين. المسيحيون الأتقياء يمكنهم أن يطبقوها على أنفسهم، ويناشدوا الله على أساسها. «ويكونون لي شعبا»، سيجعلهم شعبه بأن يخلق فيهم كل سمات شعبه وميولهم. ولكي يجعلهم سعداء حقا وبشكل تام وإلى الأبد «أكون لهم إلها». وسوف «أعطيهم قلبا... ليخافوني» (ع ٣٩). وما يطلبه ممن يدخلون في عهد معه كشعبه هو أن يوقروا عظمته، ويخشوا غضبه، ويرتعبوا من سلطانه، ويقدموا له فروض الولاء، ويعطوه المجد المستحق لاسمه. وقد تكرر في آية ٤٠ «وأجعل مخافتي في قلوبهم»، أي أجعل فيهم مبادئ سامية وميول تقية، تؤثر وتحكم في كل سلوكهم. والمعلمون يمكن أن يضعوا في رؤوسنا أمورا طيبة، غير أن الله وحده الذي يستطيع أن يضعها في قلوبنا، وذلك يحملنا على «أن نريد وأن نعمل». وسوف يمدهم بشكل فعال بكل ما يلزم لحفظهم في النعمة ويديم العهد القائم بينه وبينهم. ولن يتركهم الله أبدا أو يتخلى عنهم: «أني لا أرجع عنهم لأحسن إليهم». الملوك الأرضيون متقلبون، ولكن رحمة الله إلى الأبد. لقد بدا وكأن الله تحول عن هذا الشعب (إش ٥٤: ٨)، ولكنه حتى في ذلك الحين لم يتحول عن عمل الخير بهم وأن يخصهم بمقاصده الطيبة. وليس لنا ما يبرر عدم ثقتنا في أمانة الله وثباته، بل نشك في أمانتنا نحن، ولذلك جاء الوعد هنا أن الله سيجعل مخافته «في قلوبهم» (انظر أمثال ٢٣: ١٧). وسوف يعطي بركة لأحفادهم، ويعطيهم نعمة ليتقوه «لخيرهم وخير أولادهم بعدهم». وكما أن ابتعادهم عن الله لحقت عواقبه أولادهم، لذلك سيكون التصاقهم بالله مبعث خير لأولادهم ولا يمكننا أن نضمن نسلا صالحا إلا بتحفيز عائلاتنا على تقوى الله وعبادته. وحين عاقبهم الله، لم يكن ذلك بدافع كراهيته لهم.

«كيف أهملك يا أفرايم؟». ولكنه حين يستردهم يفرح للخير الذي عمله معهم. وهو نفسه المعطي المسرور، ولذلك يحب العبد المسرور. وكل الأشياء ستظهر أخيرا أنها كانت تعمل لخير الكنيسة، وسوف يقال إن حاكم العالم كان مشغولا تماما في العناية بكنيسته. ومن المؤكد أن هذه الوعود سوف تتحقق مثلما تحققت التهديدات السابقة. «كما جلبت على هذا الشعب كل هذا الشر العظيم»، تنفيذا لمتطلبات العدل الإلهي «هكذا أجلب أنا عليهم كل الخير»، وذلك تنفيذا للوعد، ومن أجل مجد الرحمة الإلهية. وكوعد لكل هذا، ستجلب البيوت والأراضي ثمنا طيبا في يهوذا وأورشليم (ع ٤٣ و٤٤): «يشترون الحقول» هنا وليس في مكان آخر. في القرى «حوالي أورشليم وفي مدن يهوذا» ومدن إسرائيل، وفي جميع أنحاء الريف سوف «يشترون الحقول... ويكتبون ذلك في صكوك». سوف تنتعش التجارة. وكذلك الزراعة، وتعود القوانين لتأخذ مجراها الطبيعي فالعقود سوف تسجل «في صكوك ويختمون ويشهدون شهودا» في البلاد. وقد ذكر هذا ليرضي إرميا عما اشتراه حديثا. فعلى الرغم من أنه اشترى قطعة أرض ولم يستطع الذهاب لمعاينتها، فقد كان هذا وعدا بعمليات شراء كثيرة، وهذه كلها ما هي إلا رموز باهتة للممتلكات المشتراة في كنعان السمائية، والمحفوظة لكل من كانت مخافة الله في قلوبهم.

الأصحاح الثالث والثلاثون

هذا الأصحاح هو على غرار الأصحاح السابق- ليؤكد الوعد برجوع اليهود، على الرغم من الخراب الذي يعم بلادهم، فضلا عن تشتت شعبهم. وهذه الوعود من الناحية الرمزية تتطلع إلى الأمام لتشير إلى كنيسة الإنجيل. وقد جاء الوعد هنا متضمنا،

أولا: سوف يعاد بناء المدينة وتأسيسها (ع ١- ٦).

ثانيا: إذ غفرت خطايا المسبيين فسوف يرجعون إلى بلادهم (ع ٧ و٨).

ثالثا: إن هذا سيؤول إلى مجد الله (ع ٩).

رابعا: ستنعم البلاد بالفرح ووفرة الخير (ع ١٠- ١٤).

خامسا: سيمهد الطريق لمجيء المسيح (ع ١٥ و١٦).

سادسا: سيزدهر ثانية كل من بيت داود، وبيت لاوي، وبيت إسرائيل، وذلك في إطار ملكوت المسيح، وخدمة الإنجيل وكنيسة الإنجيل ستظلان في العالم طالما بقي قائما (ع ١٧ – ٢٦).

عدد ١ – ٩

أولا: تاريخ هذه النبوة المعزية يأتي لاحقا لتاريخ الأصحاح السابق، فيما كانت الأمور لا تزال تسير من سيىء إلى أسوأ. وكانت هذه مرة «ثانية». والواقع أن الله يتكلم مرة، وثانية وذلك من أجل تشجيع شعبه. وإننا في غاية العصيان حتى إننا في حاجة إلى وصية تلو أخرى لكي تدفعنا إلى عمل ما هو واجب علينا، ليس ذلك فحسب، بل إننا في غاية التشكك حتى إننا في حاجة إلى وعد تلو الآخر لكي يعزينا. وهذه الكلمة، على غرار سابقتها، «صارت... إلى إرميا... وهو محبوس بعد في دار السجن».

ثانيا: النبوة ذاتها:

(١) من هو ذاك الذي يضمن لهم هذه التعزية (ع ٢): إنه «الرب صانعها الرب مصورها». هو صانع السماوات والأرض ومصورها. وهو صانع أورشليم وصهيون ومصورهما، بناهما في بداية الأمر، ومن ثم بمقدوره أن يعيد بناءهما– بناهما من أجل مجده، وعلى ذلك سوف يفعل ذلك. وهو صانع وعده ومصوره، ووضع خطة إعادة بناء أورشليم، وذاك الذي أعطى الوعد، سيوفي به، لأن «يهوه اسمه»، وقد عرف بذلك الاسم في خروج ٦: ٣، وهو إله الكمال. بعد أن تم خلق السماوات والأرض، سمي الخالق «يهوه» (تك ٢: ٤).

(٢) كيف يمكن الحصول على هذه التعزية؟ بالصلاة «ادعني فأجيبك» (ع ٣). المسيح نفسه يجب أن يسأل، وسوف يعطي (مز ٢: ٨): «وأخبرك بعظائم وعوائص» أمور خفية، والتي وإن سبق وأعلنت بشكل جزئي، إلا أنك «لم تعرفها». والوعود لا تعطى لتلغي الصلاة بل لتحييها وتشجع عليها (انظر حزقيال ٣٦: ٣٧).

(٣) كانت حالة أورشليم تستدعي أن تعطى لها مثل هذه التعزيات (ع ٤ و٥): «بيوت هذه المدينة» دون استثناء «بيوت ملوك يهوذا... هدمت». فأقوى البيوت وأكثرها فخامة هدمت وسويت بالأرض. وأولئك الذين أتوا «ليحاربوا الكلدانيين» عملوا شرا بأكثر مما عملوا خيرا، فقد أثاروا العدو ليكون أشد وحشية وشراسة في هجماته، ولذلك امتلأت بيوت أورشليم «من جيف الناس». ويقول الله إنهم كانوا «الذين ضربتهم بغضبي وغيظي» لأن سيف الأعداء كان سيفه. يبدو أن الذين قتلوا كانوا يتميزون بشرهم، نفس الرجال الذين لأجل شرهم ستر الله وجهه الآن «عن هذه المدينة».

(٤) البركات التي يحتفظ بها الله لكل من يهوذا وأورشليم ستعمل على تعويضهم عن كل ما تعرضوا له من ضيم. وسوف يدبر الله ما يلزم لالتئام جروحهم، على الرغم من أنه كان يُظن بأن المرض مميت وغير قابل للشفاء (إر ٨: ٢٢)، «كل الرأس مريض وكل القلب سقيم» (إش ١: ٥)، ولكن «هأنذا أضع عليها رفادة وعلاجا» (ع ٦)، سأمنع الموت، وأزيل المرض «وأشفيك من جروحك» (إر ٣٠: ١٧). وخطية أورشليم هي مرضها (إش ١: ٦)، وعلى هذا فإن إصلاحها سيكون شفاءها: «وأعلن لهم كثرة السلام والأمانة». والسلام هنا يرمز إلى كل شيء صالح، السلام والديانة الحقيقية، السلام والعبادة الخالصة لله، في مواجهة جميع صور الزيف والخداع التي أبعدتهم عن الله. ويمكننا أن نطبقها على وجه أكثر عمومية. فالسلام والحق هما الموضوع العظيم للإعلان الإلهي. وهذه الوعود الموجودة هنا تؤدي بنا إلى إنجيل المسيح، وفي هذا أعلن الله لنا «السلام والأمانة» الأمانة أو الحق لكي ترشدنا، والسلام لكي يجعلنا قانعين. «النعمة والحق»، وفيض من كل منها بيسوع المسيح صارا. والسلام والأمانة هما حياة النفس، ولقد جاء المسيح لتكون لنا حياة، ونتمتع بها بكثرة. والمسيح يحكم بقوة الحق (يو ١٨: ٣٧)، وبه يعطى «البر والسلام» (مز ٨٥: ١٠). والإعلان الإلهي للسلام والأمانة يأتي بالصحة والشفاء لكل الذين بالإيمان يقبلونه. هل هم مشتتون ومستعبدون، وفي بلادهم يقومون في خرب؟ سوف «أرد» سبيهم (ع ٧)، سبي كل من إسرائيل ويهوذا.

هل الخطية تقف وراء كل متاعبهم؟ سوف تغفر الخطية وتقهر، وهكذا يجتث جذور الدينونات (ع ٨). وكما أن النجسين طقسيا، كانوا يمنعون من دخول خيمة الاجتماع، ولكنهم حين كانوا يرشون بماء التطهير، كانوا يستردون حرية الدخول إليها ثانية، فهكذا أيضا يعودون هم إلى أرضهم، ويتمتعون بامتيازاتها حين يطهرهم الله «من كل إثمهم». هل خطيتهم وآلامهم جلبت العار على الله؟ فإن إصلاحهم وعودتهم إلى الله ستؤول إلى مجده (ع ٩).

سوف تنظر الشعوب المجاورة إلى تعاظم الأمة اليهودية كأمر رهيب. وحين تكون الكنيسة «جميلة كالقمر طاهرة كالشمس» فسوف تكون «مرهبة كجيش بألوية».

عدد ١٠ – ١٦

نبوة أخرى عن السعادة التي سينعم بها يهوذا وأورشليم بعد عودتهما المجيدة من السبي، حيث تصل إلى ذروة مجدها في نهاية الأمر في ملكوت المسيح.

أولا: جاء الوعد بأن الشعب الذي عانى لزمن طويل من الحزن سوف يعود ويمتلئ فرحا. ولقد استنتج كل واحد الآن أن البلاد ستظل خربة إلى الأبد «بلا حيوان» في أرض يهوذا ولا سكان «في شوارع أورشليم» (ع ١٠)، غير أنه، على الرغم من أن البكاء يسود لفترة ما، إلا أن الفرح سيعود. وسوف يكون الفرح هنا عاما «صوت العريس وصوت العروس»، سوف يحتفل بحالات الزواج بالأغاني كما في السابق. وسيكون هناك فرح ديني، سوف يعاد ترديد «ترانيم الهيكل» و«ترنيمة الرب» التي لا يجب ترنيمها «في أرض غريبة». سوف يسبحون الله باعتباره «رب الجنود» ولأنه «صالح»، «لأن إلى الأبد رحمته». وعلى الرغم من أن هذه ترنيمة عتيقة، إلا أنه إذا تم الترنيم بها في هذه المناسبة الجديدة، فإنها تصبح ترنيمة جديدة. ونجد أن هذا قد تحقق حرفيا عند عودتهم من بابل (عز ٣: ١١). وكل هذه الذبائح كان القصد منها مجد الله، غير أنه يبدو أن هذه قصد بها الذبائح الروحية لعبادات متواضعة وشكر ممزوج بالفرح، ثمر «شفاهنا» (هو ١٤: ٢) «فيستطاب عند الرب أكثر من ثور بقر».

ثانيا: تم الوعد بأن البلاد التي ظلت لفترة طويلة غير مسكونة سوف تمتلئ بالسكان وتعمر ثانية. وسيكون هناك ثانية في كل مدن بنيامين ويهوذا «مسكن الرعاة» (ع ١٢ و١٣). والريف بعد عودتهم لن يكون مرتعا للمتسولين الذين لا يمتلكون شيئا، بل للرعاة والمزارعين. وكان أحفاد يعقوب في البداية يفتخرون بأنهم رعاة (تك ٤٧: ٣) وهكذا سيكونون الآن ثانية، حيث يكرسون أنفسهم تماما لهذه المهنة الشريفة، «المربضين الغنم» (ع ١٢) ويمررونها «تحت يدي المحصي» (ع ١٣)، حتى يعرفوا ما إذا كان قد نقص منها شيء. وبالنظر إلى أنه بدا أنه من غير المعقول أن شعبا تدهور إلى هذه الدرجة يمكنه أن يستعيد في يوم من الأيام مثل هذه الدرجة من السلام والوفرة في الخير فقد ألحق هنا إقرار عام لهذه الوعود (ع ١٤): «وأقيم الكلمة الصالحة التي تكلمت بها».

ثالثا: وتتويجا لكل هذه البركات التي يحتفظ بها الله لهم نجد هنا وعدا بالمسيا والبر الأبدي الذي يأتي به (ع ١٥ و١٦)، ولعل هذا هو «الكلمة الصالحة» هذا الأمر الطيب العظيم، في الأيام الأخيرة، «أيام تأتي» حيث يوفي الله بما وعد به يهوذا وإسرائيل، والذي ما كانت عودتهم من السبي وإقامتهم ثانية في أرضهم إلا تمهيدا لذلك.ومن السبي إلى المسيح واحدة من الفترات الزمنية الشهيرة (مت ١: ١٧). وسبق لنا أن قرأنا عن هذا الوعد الخاص بالمسيح في إرميا ٢٣: ٥ و٦، وهنا جاء كتأكيد للوعد الذي أعطي للرعاة الذين سيقيمهم الله عليهم، الأمر الذي يحمل الإنسان على الظن بأن الوعد الذي أعطي هنا بخصوص الرعاة وقطعانهم والذي استهلت به النبوة يجب أن يؤخذ بمعنى مجازي. لقد جاءت النبوة عن المسيح هنا باعتباره:

(١) ملك شرعي، فهو «غصن البر»، ليس مغتصبا لأنه «غصن» لداود.

(٢) ملك بار، بار في تشريع القوانين وشن الحروب، وإجراء الدينونة، بار في الدفاع عن أولئك الذين يعانون من الظلم، ومعاقبة الظالمين: «فيجري عدلا وبرا في الأرض».

(٣) كملك يحمي رعاياه من كل أذى. «يخلص

يهوذا» من الغضب واللعنة، وإذا خلُصت على هذا النحو «تسكن أورشليم آمنة»، آمنة من الخوف من الشر، تتمتع بسلام العقل، تعتمد على ملك سلامها هذا.

(٤) كملك يمتدحه رعاياه «هذا هو الاسم الذي يدعونه به» (هكذا جاءت الترجمة الآرامية والسريانية والڤولجاتا اللاتينية) وسوف يحتفون باسمه هذا ويشعرون بالنصرة فيه، وسوف يدعونه بهذا الاسم. تسمى المدينة «الرب برنا»، لأنهم يتمجدون في الرب كبرهم. وهذا الاسم الذي سبق أن قيل إنه اسم المسيح، جعل هنا اسم أورشليم، مدينة المسيح، وكنيسة المسيح. وهو الذي يعطيها البر، لأنه جعل لنا «البر الذي من الله»، وهي إذ تحمل هذا الاسم فإنما تعلن أن كل برها ليس منها، بل منه.

عدد ١٧ – ٢٦

ثلاثة من عهود الله، عهد الملكية مع داود ونسله، عهد الكهنوت مع هارون ونسله، وذاك الذي قطع مع إبراهيم ونسله، يبدو وأنها انتهكت وضاعت طوال فترة السبي، غير أن الوعد جاء هنا بأن مقاصد هذه الوعود الحقيقية سوف تتحقق بشكل كامل وتام في بركات العهد الجديد، والتي رمز إليها بالبركات التي أعطيت لليهود بعد عودتهم من السبي.

أولا: عهد الملكية سيتحقق بالكامل في ملكوت المسيح، ابن داود (ع ١٧). لقد سقط عرش إسرائيل في السبي، لم يوجد «إنسان يجلس على كرسي بيت إسرائيل»، لكن بعد عودتهم من السبي أصبح بيت داود قويا ثانية، غير أنه في المسيح تحقق الوعد القائل «لا ينقطع لداود إنسان يجلس على كرسي بيت إسرائيل». لأنه طالما كان المسيح يسوع يجلس عن يمين العظمة في الأعالي، ممجدا فوق كل شيء، وطالما كان في صهيون جبل قدسي، فلن يعدم داود خليفة له، بل ولن ينقض العهد معه. «ويعطيه الرب الإله كرسي داود أبيه. ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد» (لو ١: ٣٢ و٣٣). لقد وعد بأن يكون العهد مع داود ثابتا كفرائض السماء. هناك عهد الطبيعة سمي هنا «عهدي مع النهار وعهدي مع الليل» (ع ٢٠، ٢٥)، لأن من بين شروطه أن يكون «نهار... وليل في وقتهما». ولقد فصل الله بين النور والظلمة، وجعل مملكة لكل منهما «النور الأكبر لحكم النهار والنور الأصغر لحكم الليل» (انظر تكوين ١: ٤ و٥، ١٦). ولكل من النهار والليل أوقاته المنتظمة (مز ٦٥: ٨)، فيعرف النهار مكانه وزمانه فلا يتعداهما، وهكذا الحال أيضا بالنسبة لظلام المساء، وطالما وجد العالم، لن يتغير هذا الحال. هكذا سيكون عهد الفداء مع الفادي ثابتا. غير أن الأمر مختلف مع داود إذ أن بقاء العهد مرتبط بشرط (ع ٢١). سوف يكون للمسيح كنيسة على الأرض حتى نهاية العالم، وحتى ينتهي الزمن، وملكوت المسيح ملكوت أبدي، وحين تأتي النهاية سوف يسلم إلى الله الآب. غير أن حالته في العالم ستكون متقلبة بين الازدهار والعداء كل يعقب الآخر، مثل تعاقب الليل والنهار. وكما أن الشمس تغرب هذه الليلة، وتشرق ثانية صباح الغد– سواء عشنا لنرى ذلك أم لا– هكذا ملكوت الفادي في العالم قد يشوبه الفساد والاضطهادات، إلا أنه سيتألق ثانية في الوقت المعين، وسوف يكون «نسل داود» مثل نجوم السماوات في الكثرة، أي نسل المسيح الروحي، الذين ولدوا له بواسطة إنجيله والروح القدس العامل في الكلمة. نسل المسيح ليسوا كما كان نسل داود، خلفاؤه، بل رعاياه، ومع ذلك سيأتي اليوم الذي يحكمون معه أيضا (ع ٢٢).

ثانيا: عهد الكهنوت مصون، والوعود الخاصة به ستتحقق بشكل كامل. لم يكن هناك مذبح أثناء فترة السبي، ولا خدمة للهيكل يقوم بها الكهنة، ولكن هذه أيضا سوف تعود ثانية. وقد حدث بالفعل أنه فور عودتهم إلى أورشليم كان هناك كهنة ولاويون مستعدين لإصعاد «محرقات» بصفة دائمة (عز ٣: ٢ و٣)، وذلك بحسب الوعد الذي ذكر هنا (ع ١٨). ولكن سرعان ما فسد هذا الكهنوت: «أفسدتم عهد لاوي» (كما يظهر في ملاخي ٢: ٨)، ولقد انتهت مدته الأخيرة مع خراب أورشليم على يد الرومانيين. ولقد حل كهنوت المسيح محل كهنوت هارون. لقد كان كهنوت المسيح هو الجوهر الذي كان كهنوت هارون ظلا له. وفي حين أن «رئيس إيماننا» العظيم، يظهر دائما في محضر الله من أجلنا، فيمكن القول بصدق أنه «لا ينقطع للكهنة اللاويين» من أمام الله من يصعد محرقة بصفة دائمة (عب ٧: ٣، ١٧)،

www.difaaiat.com

فهو كاهن إلى الأبد. وطالما كان هناك خدام أمناء يشرفون على الاجتماعات الدينية، ويقدمون ذبائح روحية من صلوات وتسبيحات، فإنه «لا ينقطع للكهنة اللاويين»، خلفاء، بل إن هؤلاء على «خدمة أفضل». ولقد جعل الرسول أولئك الذين يكرزون بالإنجيل في محل أولئك الذين كانوا يخدمون المذبح (١كو ٩: ١٣ و١٤). وكل المؤمنين الحقيقيين أصبحوا أيضا «كهنوتا مقدسا» كما أنهم «كهنوت ملوكي» (١بط ٢: ٥، ٩): «وجعلنا ملوكا وكهنة لله أبيه» (رؤ ١: ٦)، «لتقديم ذبائح روحية مقبولة عند الله» وهم أنفسهم في المقام الأول «ذبائح حية». وبالنسبة لهؤلاء اللاويين يجب أن يفهم هذا الوعد (ع ٢٢) على أنهم سيكونون في الكثرة مثل «رمل البحر»، لأن كل شعب الله الروحي هم كهنة روحيون (رؤ ٥: ٩ و١٠؛ ٧: ٩، ١٥).

ثالثا: عهد الخصوصية (كونهم شعب الله) سيتم حفظه أيضا وسوف تتحقق وعود ذلك العهد بشكل تام في العهد الجديد. وقد نظر إلى هذا العهد على أنه انتهك أثناء السبي (ع ٢٤). فإما أن أعداء إسرائيل، أو أن بني إسرائيل غير المؤمنين هم الذين كسروا العهد مع الله، كما لو أنه لم يتعامل معهم بأمانة: «فقد احتقروا شعبي»، أي احتقروا ميزة كونهم شعبي، كما لو أن ذلك لم يكن يشكل ميزة ذات قيمة على الإطلاق. وعلى الرغم من ذلك يقف العهد ثابتا مثل العهد الذي مع النهار والليل، فإنه يفضل أن يبطل عهده مع النهار والليل ولا يرفض «نسل يعقوب». ولا يمكن أن تشير هذه العبارة إلى نسل يعقوب بحسب الجسد، لأنهم رفضوا، بل هي تشير إلى الكنيسة المسيحية، التي تتحقق فيها كل هذه المواعيد، كما يتضح ذلك من أقوال الرسول بولس في رومية ١١: ١ – ٣٢. وسوف تستمر المسيحية ممثلة في سيادة المسيح، وخضوع المسيحيين له، حتى ينتهي الزمن: «لأني أرد سبيهم»، وبعد أن أرجعهم «أرحمهم». ونعرف من غلاطية ٦: ١٦ من هم الذين يشير إليهم هذا الوعد، حيث أن «كل من يسلكون بحسب هذا القانون» يصبحون «شعب الله» الذين سيكون عليهم «سلام ورحمة».

الأصحاح الرابع والثلاثون

يتضمن هذا الأصحاح رسالتين بعث بهما الله بيد إرميا.

أولا: رسالة تتنبأ عن مصير صدقيا ملك يهوذا، بأنه سيقع أسيرا في يد ملك بابل، ولكنه سيموت في سلام وهو في سبيه (ع ١ – ٧).

ثانيا: رسالة أخرى تتحدث عن مصير الملك والشعب معا لأنهم لم يتعاملوا بأمانة مع الله، حيث أعادوا إلى العبودية عبيدهم الذين سبق أن أطلقوهم طبقا للناموس (ع ٨ – ١١) ولذلك سيرجع الله جيش ملك بابل ثانية في الوقت الذي يكونون قد بدأوا فيه الاعتقاد بأنهم قد تخلصوا منه (ع ١٢ – ٢٢).

عدد ١ – ٧

هذه النبوة الخاصة بصدقيا سلمت لإرميا، ومن خلاله لكل من تتناولهم، وذلك قبل أن يودع السجن (إر ٣٢: ٤).

أولا: أرسلت هذه الرسالة إلى حزقيا «حين كان... ملك بابل، وكل جيشه... يحاربون أورشليم وكل مدنها» (ع ١) بقصد خرابها. والمدن التي بقيت وصمدت تم ذكرها (ع ٧): «لخيش وعزيقة». وهذا ما يشير إلى أن الأمور قد وصلت إلى أسوأ حال، ومع ذلك فقد كان صدقيا يقاوم بعناد.

ثانيا: وصلته الرسالة. ولقد أخبر بما سبق أن قيل له قبل ذلك من ناحية أن المدينة سوف يستولى عليها الجيش البابلي «فيحرقها بالنار» (ع ٢)، وأنه سيقع أسيرا، ويجيء به أمام نبوخذناصر، ويرسل مسبيا إلى بابل (ع ٣): ومع ذلك تنبأ حزقيال بأنه لا يرى بابل، ولم يرها بالفعل لأن عينيه قُلعت (حز ١٢: ١٣). وسوف يموت وهو في السبي ولكن «لا تموت بالسيف. بسلام تموت» (ع ٤ و٥). والشر الذي عمله أمام الرب تاب عنه في سبيه، وإذ تصالح الله معه، فيمكن أن يقال عنه بحق أنه «بسلام» يموت. ويمكن الإنسان أن يموت في السجن، ومع ذلك «بسلام يموت». ومن ينظر إلى موته على أنه خسارة عظيمة، تكون محنة هي التي أحدثت فيه هذا التغيير. ومن الأفضل أن تعيش وتموت تائبا في السجن، من

أن تعيش وتموت غير تائب في قصر. وسوف يندبونه قائلين «آه يا سيد». وهو شرف لم يحظ به إخوه يهوياقيم (إر ٢٢: ١٨).

ثالثا: أمانة إرميا في توصيل هذه الرسالة. وعلى الرغم من أنه كان يعرف أنها قد تشكل خطرا عليه، وهذا ما يحدث فعلا (لأنه سجن بسببها) فمع ذلك فقد كلم صدقيا «بكل هذا الكلام» (ع ٦).

عدد ٨- ٢٢

نبوة أخرى في مناسبة معينة.

أولا: حين تم تشديد الحصار على أورشليم بواسطة الجيش البابلي، وافق الرؤساء والشعب على الإصلاح الخاص بعبيدهم. كان ناموس الله واضحا للغاية، ويقضي بأن الذين هم من أمتهم لا ينبغي أن يظلوا في العبودية أكثر من سبع سنوات، غير أنه بعد أن خدموا مدة عبودية واحدة يجب أن يمنحوا حريتهم، وعلى الرغم من أنهم باعوا أنفسهم سدادا لديونهم، أو على الرغم من أنهم بيعوا بواسطة القضاة كعقوبة على جرائمهم. أما الذين ينتمون إلى شعوب أخرى وأخذوا في الحرب، أو تم شراؤهم بالنقود، فيمكن الاحتفاظ بهم في عبودية دائمة، غير أنه لا يجب أن يخدم إخوتهم سوى سبع سنوات. والله يسمي هذا العهد الذي قطعه معهم حين أخرجهم «من أرض مصر» (ع ١٣ و١٤). وكان هذا أول التشريعات التي أعطاها الله لهم (خر ٢١: ٢). لقد أخرجهم الله من العبودية في مصر، وهو يريدهم أن يعبروا عن شكرهم وامتنانهم لهذا بأن يطلقوا سراح أولئك الذين كانت بيوتهم تمثل لهم بيوت «العبودية»، مثلما كانت مصر بالنسبة لآبائهم. وعطف الله نحونا يجب أن يحفزنا على العطف على إخوتنا، يجب أن نحررهم كما حررنا هو. لقد كسروا هذا القانون كما كسره آباؤهم. ولقد فضلوا مكاسبهم الدنيوية عن عهد الله. فبعد أن قضى عبيدهم سبع سنوات معهم، كانوا قد اتقنوا عملهم، ولذلك لن يتخلوا عنهم لأي سبب من الأسباب. «لم يسمع آباؤكم لي» في هذا الموضوع (ع ١٤) واعتقدوا أنهم يستطيعون أن يفعلوا ما سبق أن عمله آباؤهم. وبسبب خطيتهم هذه، والتي هي أيضا خطية آبائكم، دفعهم الله الآن إلى العبودية، وكان هذا عدلا. وحين حاصرهم البابليون، وأخبروا عن خطأهم في هذا الموضوع، قبلوا الإصلاح بسرعة وأطلقوا سراح جميع عبيدهم الذين كان لهم حق الحرية، مثلما فعل فرعون حين- ضُرب بالوبأ- حيث وافق على «إطلاق الشعب». لقد نصحهم الأنبياء فيما يختص بخطيتهم. وسمعوا منهم أنه يجب عليهم أن يطلقوا عبيدهم العبرانيين ويعطوهم حريتهم (ع ١٠). فالملك، والرؤساء، والشعب وافقوا جميعا «أن يطلق كل واحد عبده». ولم يستطع الشعب إلا أن يتبعوهم ويفعلوا ذلك خجلا. لقد ألزموا أنفسهم بحلف وعهد أن يفعلوا ذلك، وبواسطته ألزموا أنفسهم أمام الله وأمام بعضهم البعض. وقد عقد هذا العهد في مكان مقدس «قطعتم عهدا أمامي في البيت الذي دعي باسمي» (ع ١٥)، وفي حضور الله. وقد صادقوا على هذا العهد بعلامة واضحة، إذ قطعوا العجل «إلى اثنين وجازوا بين قطعتيه» (ع ١٨ و١٩) وبلعنة رهيبة قالوا: «لنقطع مثل هذا العجل إذا لم نوف بما وعدنا به الآن». وأكدوا ذلك أمام الله وارتضوا بحكمه بأن «يطلقوا كل واحد عبده»، على الرغم من أن المدينة كانت محاصرة ولم يكن إطلاق سراحهم الآن مناسبا إطلاقا. وهكذا فعلوا «ما هو مستقيم في» عيني الله (ع ١٥).

ثانيا: عندما لاح أمل بسيط برفع الحصار وانتهى الخطر رجعوا عن الخير الذي عملوه، وأجبروا العبيد الذين سبق أن حرروهم على الرجوع إلى العبودية ثانية. لقد صعد عنهم الآن جيش ملك بابل (ع ٢١). فقد دفع فرعون جيشا من المصريين لوقف تقدم انتصارات ملك بابل، فاضطر البابليون إلى رفع الحصار لفترة ما (إر ٣٧: ٥). وكانت إهانة إلى الله بصفة خاصة، لأنهم إذ فعلوا هذا فإنهم بذلك دنسوا اسمه (ع ١٦).

ثالثا: بالنظر إلى معاملاتهم هذه غير الأمينة مع الله فقد هددوا هنا بصرامة. «لا تخدعوا أنفسكم»، الله لا يسخر منه. والذين يعتقدون أنهم يخدعون الله بإصلاح جزئي مؤقت، فإنهم بالأكثر يخدعون أنفسهم بدرجة كبيرة. وبالنظر إلى أنهم لم يمنحوا

الحرية لعبيدهم أن يذهبوا إلى حيثما شاءوا، فإن الله سيعطي الحرية لكل دينوناته لكي تأخذ مجراها (ع ١٧) «أنتم لم تسمعوا لي لتنادوا بالعتق كل واحد إلى صاحبه». «هأنذا أنادي لكم بالعتق»، سأطردكم من خدمتي، وأحرمكم من حمايتي، والتي يخسرها أولئك الذين ينسحبون من ولائهم لي. سيكون لكم الحرية في أن تختاروا من بين هذه الدينونات بأي منها تقطعون «السيف والوبأ والجوع». ومن حيث إنهم عادوا ثانية إلى استرجاع عبيدهم إلى بيوتهم، لذلك قال الله «وأجعلكم قلقا لكل ممالك الأرض»، «الناس الذين تعدوا عهدي» أجعلهم مثل «العجل الذي قطعوه إلى اثنين»، سوف أقطعهم إلى اثنين كما قطعوه إلى اثنين. لقد تعاملوا كلهم بخيانة مع الله، ولذلك سيصيبهم أيضا الخراب العام بدون استثناء (ع ١٩). ونظرا لأنهم تجرأوا وعادوا إلى خطيتهم الأمر الذي يتناقض مع عهدهم، ولذلك سيسلط الله عليهم الجيش البابلي الذي كان قد تركهم وصعد عنهم ويدفعه للرجوع عليهم ثانية: لقد «صعدوا عنكم»، وتلاشى خوفكم في الوقت الراهن، غير أنني «هأنذا آمر... وأردهم إلى هذه المدينة فيحاربونها ويأخذونها ويحرقونها بالنار» (ع ٢٢). وإذا ما رجعنا عن الخير الذي قصدناه، فإن الله سيرجع عن الخير الذي انتواه. «مع الأعوج تكون ملتويا».

الأصحاح الخامس والثلاثون

ثمة طرق متباينة جربت مع اليهود لتنبههم فيدركوا خطيتهم ولكي تدفعهم إلى التوبة. وكان القصد من كثير من عظات الأنبياء هو إخافتهم حتى يرجعوا عن عصيانهم وذلك بأن يوضح لهم ماذا ستكون عليه عاقبتهم إذا ما أصروا على الاستمرار في الخطية. وهدف هذه العظة التي تضمنها هذا الأصحاح هو إشعارهم بالخزي حتى يرتدوا عن عصيانهم إذا ما كانت قد تبقت لديهم ذرة من الكرامة.

أولا: وضع أمامهم طاعة الركابيين للأوامر التي تركها لهم جدهم يوناداب كقدوة ومثل (ع ١ - ١١).

ثانيا: عصيان اليهود لله واحتقارهم وصاياه (ع ١٢ - ١٥).

ثالثا: يتنبأ بالعقوبات التي سينزلها الله باليهود نتيجة عصيانهم وشرهم (ع ١٦ و١٧).

رابعا: أكد للركابيين البركات التي سيغدقها الله عليهم لطاعتهم وتقواهم (ع ١٨ و١٩).

عدد ١ - ١١

ما تضمنه هذا الأصحاح قيل وعمل «في أيام يهوياقيم» (ع ١)، في الجزء الأخير من حكمه، لأن ذلك كان بعد أن «صعد نبوخذراصر ملك بابل إلى الأرض» (ع ١١)، الأمر الذي يبدو أنه يشير إلى الغزوة التي ذكرت في ٢ ملوك ٢٤: ٢، بمناسبة تمرد يهوياقيم على نبوخذراصر. لقد وضع إرميا أمام الشعب المتمرد المثال الذي ضربه الركابيون في الطاعة، وهي عائلة حافظت على سماتها ولم تختلط بالآخرين. وقد كانوا في الأصل من القينيين، وهذا ما يتضح من ١أخبار ٢: ٥٥ «هم القينيون الخارجون من حمة أبي بيت ركاب». والقينيون، أو على الأقل الذين سكنوا منهم في أرض إسرائيل، كانوا من نسل حوباب، حمي موسى (قض ١: ١٦؛ قض ٤: ١٧؛ ١صم ١٥: ٦). ولقد اكتسبت إحدى عائلات القينيين اسمها من ركاب. والذي كان ابنه أو من نسله يوناداب، وهو رجل اشتهر في جيله بالحكمة والتقوى. وقد ازدهر في أيام ياهو ملك إسرائيل، قبل ذلك بنحو ٣٠٠ سنة (٢مل ١٠: ١٥ و١٦).

أولا: القواعد التي وضعها يوناداب لحياة أولاده ونسله لمراعاتها من الناحية الدينية، وقد راعوها كما راعاها هو نفسه طوال حياته.

(١) تتكون هذه القواعد من مبدئين رائعين:

أ. منعهم من شرب الخمر، طبقا لشريعة النذيرين. ونحن ميالون إلى سوء استعمالها حتى تضرنا، ويعد أمرا حسنا يندرج تحت فضيلة إنكار الذات ألا نشربها إطلاقا، أو أن نقصر شربها على الدواعي الطبية فقط مثلما فعل تيموثاوس (١تي ٥: ٢٣).

ب. رسم لهم أن يسكنوا «في الخيام» وألا يبنوا بيوتا، أو يشتروا أراضي، أو يؤجروها أو يشغلوها (ع ٧). وكان هذا مثالا على الصرامة والتواضع. فالخيام كانت مأوى متواضع، ولذلك فهي تعلمهم التواضع، وكانت تتسم بالبرودة، لكي تعلمهم تحمل المشاق

وألا يطلقوا العنان لشهوات الجسد. وكانت متحركة؛ الأمر الذي يحملهم على التفكير في عدم الاستقرار في أي مكان في هذا العالم. عليهم أن يسكنوا في الخيام كل أيامهم. وعلى ذلك يجب أن يتعودوا على تحمل المشاق.

(٢) ما الذي حمل يوناداب على وضع هذه القواعد لكي يتبعها نسله في حياتهم؟ الهدف كان تبيان حكمته واهتمامه الفعلي بخيرهم، ولم يلزمهم بحلف أو بقسم، بل اكتفى بأن نصحهم بأن يمتثلوا لهذا النظام طالما وجدوا أنه يعمل من أجل بنيانهم (ع ١١). لقد عود أسلافه أنفسهم على حياة الرعاة (خر ٢ : ١٦)، وهو يريد لنسله أن يحتفظوا بهذا النهج. لقد أعطاهم موسى أملا في أن يحيوا حياتهم كسائر الناس (عد ١٠ : ٣٢)، غير أنهم كانوا لا يزالون متغربين في الأرض (ع ٧)، ليس لهم فيها ميراث، ومن ثم عليهم أن يحيوا النمط الذي ساروا عليه في حياتهم ويعودوا أنفسهم على العمل الشاق والمسكن الشاق. والتواضع والقناعة والحياة بعيدا عن الشهرة هي أحسن ما يتبعه الإنسان وأضمن حماية له. لقد رأى يوناداب فسادا عاما في الأخلاقيات، فقد تفاقم سكر أفرايم، وخشي أن يفسد أولاده، وعلى ذلك ألزمهم في أن يعيشوا في عزلة عن الآخرين، بعيدين في الريف؛ حتى لا ينغمسوا في ملذات غير مشروعة، وأن يمنعوا أنفسهم حتى من المباهج المشروعة. ولعل يوناداب تنبأ بخراب الشعب الحقير الذي انغمس في الفساد، وكان يريد أن يضمن لعائلته أن يعيشوا في سلام، حتى في خضم المتاعب. وإذا ما تراخوا عما التزموا به فسوف ينزع منهم هذا السلام. عليهم أن يتعلموا أن يعيشوا طبقا للقواعد، وفي ظل من النظام. إنه لأمر طيب أن نفعل ذلك نحن أيضا، وأن نعلمه أولادنا.

ثانيا: كيف التزم نسله بهذه القواعد بكل دقة (ع ٨ – ١٠). وقد التزموا كل في جيله بكل ما أوصاهم به أبوهم يوناداب. فلم يشربوا «خمرا»، على الرغم من أنهم يعيشوا في بلاد مليئة بها. لم يبنوا بيوتا ولم يحرثوا أرضا، بل عاشوا على منتجات مواشيهم. ولكن الظروف القهرية أجبرتهم على التخلي عن ذلك (ع ١١): «لما صعد نبوخذراصر ملك بابل إلى الأرض» بجيشه، وعلى الرغم من أنهم حتى تلك الآونة كانوا يسكنون في خيام، فقد هجروا خيامهم وجاءوا للسكنى في بيوت في أورشليم. وقواعد النظام لا يجب أن تكون صارمة للغاية، بل يجب أن تسمح بإجراء ما إذا دعت الضرورة الملحة إلى ذلك. كان هؤلاء الركابيون سيجربون الله، ولم يكونوا قد وثقوا فيه، لو أنهم لم يتخذوا الوسائل المناسبة لسلامتهم، على الرغم من النظام والعادات التي كانت تتبعها عائلتهم. لقد أخذهم إرميا إلى الهيكل (ع ٢)، «إلى مخدع» جانبي، لأنه كانت لديه رسالة من الله يريد إبلاغها لهم. وهناك لم يسأل الركابيين ما إذا كانوا يرغبون في شيء من الخمر، بل إنه جعل أمامهم «طاسات ملآنة خمرا» ثم قال لهم: «اشربوا خمرا»، مقدمة لكم مجانا. لقد كسرتم أحد القواعد التي تتبعونها بمجيئكم للسكنى في أورشليم، فلماذا لا تكسروا هذه القاعدة أيضا، وحينما تكونون في المدنية اعملوا مثلما يفعل أهلها؟ ولكنهم رفضوا ذلك بشكل قاطع. وكان رفضهم إجماعيا، فقالوا «لا نشرب خمرا»، لأن هذا يتعارض مع شريعتنا. ولقد رأى النبي أنهم متمسكون تماما برأيهم وأنه لا يمكن أن يحيدوا عنه قيد أنملة.

عدد ١٢ – ١٩

اختبار مدى ثبات الركابيين على مبادئهم لم يقصد به إلا أن يكون إيماءة، ونجد فيما يلي تطبيقا له:

أولا: مراعاة الركابيين لما كلفهم به أبوهم وعصيان اليهود لما كلفهم الله به. ليروا ذلك حتى يخزوا. لقد سألهم النبي باسم الله: «أما تقبلون تأديبا» (ع ١٣). ألن ينجح شيء في أن يحملكم على إدراك خطيتكم ومعرفة واجبكم؟ ها أنتم ترون كيف كان الركابيون مطيعين لوصية أبيهم (ع ١٤)، «فلم تميلوا أذنكم ولا سمعتم لي» (ع ١٥) كان الركابيون مطيعين لشخص ما هو إلا إنسان مثلهم، لكن اليهود كانوا يعصون إلها أبديا غير محدود، الذي له سلطان مطلق عليهم، باعتباره أبا أرواحهم. ولم يذكر الركابيون أبدا بالتزاماتهم قبل أبيهم، غير أن الله كثيرا ما كان يبعث بأنبيائه إلى شعبه (ع ١٤). لقد أعطى الله شعبه أرضا طيبة، ووعدهم بأنهم في حالة طاعتهم سوف يسكنون

فيها، ولذلك كان العرفان بنعمة الله، ومصلحتهم الخاصة يحتمان عليهم أن يكونوا مطيعين له، ومع ذلك «فلم تميلوا أذنكم ولا سمعتم لي».

ثانيا: تم تحذير يهوذا وأورشليم، كما حدث كثيرا في الماضي، بالدينونات التي ستنزل بهم نتيجة عصيانهم. فالركابيون سيقومون لدينونتهم، وذلك لأنهم «أقاموا وصية أبيهم» واستمروا في طاعتهم لها (ع ١٦) «أما هذا الشعب» الشعب المتمرد الجحود «فلم يسمع لي»، «هأنذا أجلب» عليهم من خلال الجيش البابلي «كل الشر الذي تكلمت به عليهم» سواء في الناموس أو في الأنبياء «لأني كلمتهم» بكلمتي، ودعوتهم، بعنايتي الإلهية، ومع ذلك «فلم يسمعوا... فلم يجيبوا».

ثالثا: وعد بالرحمة هنا لعائلة الركابيين لتمسكهم بثبات وقوة بقوانين بيتهم. وعلى الرغم من أن ثباتهم على مبادئهم لم يختبر سوى لخزي إسرائيل فحسب، إلا أنه إذ لم يتزحزحوا عن موقفهم، فقد آل ذلك إلى «المدح والكرامة والمجد» (انظر عددي ١٨ و١٩). فلن ينقطع من العائلة «إنسان» ليرث ما لهم، على الرغم من أنه ليس لديهم ما يورثونه. وعلى الرغم من أنهم ليسوا كهنة أو لاويين، ولا يبدو أنه كانت لهم أية وظيفة في خدمة الهيكل، إلا أنهم في عبادة دائمة ومنتظمة، كانوا يقفون أمام الله ليخدموه.

الأصحاح السادس والثلاثون

محاولة تجربة وسيلة أخرى مع هذا الشعب العنيد الذي لا يبالي، ولكن دون جدوى. لقد قدم لهم دَرج يضم ملخصا لكل العظات التي ألقاها إرميا عليهم:

أولا: كتابة باروخ لهذا الدَرج، كما طلب إرميا (ع ١ – ٤).

ثانيا: قراءة باروخ للدَرج علانية في يوم صوم أمام كل الشعب (ع ٥ – ١٠) وبعد ذلك قراءته للرؤساء على انفراد (ع ١١ – ١٩) وأخيرا قراءته للملك بواسطة يهودي (ع ٢٠ و٢١).

ثالثا: قيام الملك بحرق الدَرج وإصدار أوامره بمحاكمة إرميا وباروخ (ع ٢٢ – ٢٦).

رابعا: كتابة دَرج آخر، مع إضافات كثيرة، ولاسيما المصير الذي ينتظر يهوياقيم لحرقه الدَرج الأول (ع ٢٧ – ٣٢).

عدد ١ – ٨

في مستهل نبوة حزقيال نقرأ عن «دَرج» مكتوب في رؤيا (حز ٢: ٩ و١٠؛ ٣: ١)، أما هنا في نهاية نبوة إرميا، فنتقابل مع «دَرج» كتب في الواقع، لإعلان ما تضمنه للشعب.

أولا: الأمر الذي أصدره الله لإرميا ليكتب موجزا لعظاته، منذ أن بدأ كرازته، في السنة الثالثة عشرة ليوشيا «إلى هذا اليوم»، حيث كان في السنة الرابعة ليهوياقيم (ع ٢ و٣). فما سمعوه مرة واحدة يجب أن يوجز ويتلى عليهم ثانية، حتى يتذكروا ما نسوه، وما لم يؤثر فيهم في المرة الأولى قد يكون له تأثير عليهم إذا ما سمعوه مرة ثانية. أما السبب الذي ذكر هنا لكتابة الدَرج فهو (ع ٣): «لعل بيت يهوذا يسمعون». أما الذي كان من المنتظر أن يسمعوه فهو «كل الشر الذي أنا مفكر أن أصنعه بهم». وما هي النتيجة المرجوة من ذلك؟ «فيرجعوا كل واحد عن طريقه الرديء». توبة الخطاة هو ما يجب أن يستهدفه الخدام من كرازتهم، ويكون عبثا سماع الناس للكلمة، ما لم يحققوا هذه النتيجة، «فأغفر ذنبهم وخطيتهم». وذلك يشير بوضوح إلى عدل الله. ليس من العدل في شيء أن يغفر للخطاة الخطية دون أن يتوبوا عنها. ما يبين بكل وضوح رحمته هو أنه مستعد تماما أن يغفر الخطية وهو لا ينتظر سوى أن يتأهل الخاطئ لقبول الغفران، ومن ثم نراه يستعمل وسائل عديدة لكي يقودنا إلى التوبة، «حتى يغفر لنا».

ثانيا: التعليمات التي أصدرها إرميا لباروخ كاتبه، تنفيذا لما أمره به الله (ع ٤). أمر الله إرميا أن يكتب، غير أنه يبدو أنه لم يكن «قلم كاتب ماهر»، لم يكن بمقدوره الكتابة بسرعة، أو بشكل جيد مثل باروخ، ومن ثم استخدمه ليملي عليه ما يريد كتابته. ولم يكتب الرسول بولس بخط يده إلا القليل من رسائله (غل ٦: ١١؛ رو ١٦: ٢٢). ذلك أن الله يوزع مواهبه بشكل مختلف، فالبعض لديهم ملكة إجادة الكلام، وآخرون الكتابة، ولا يستطيع أحدهم أن يقول للآخر «لا حاجة لي إليك» (١كو ١٢: ٢١). وكان

روح الله يملي على إرميا، وكان هو بدوره يملي على باروخ ما يريد كتابته. وإذا ما صدقنا السفر الأبوكريفي الذي يحمل اسمه، فسوف نعرف أنه أصبح هو نفسه بعد ذلك نبيا للمسبيين في بابل. لقد كتب باروخ على «دَرج» على قطع من الرقوق تخاط معا وبذلك تكون دَرجا طويلا ربما كان يلف على عصا.

ثالثا: الأوامر التي أصدرها إرميا لباروخ بأن يقرأ ما كتبه على مسامع الشعب. ويبدو أن إرميا كان محبوسا لا يقدر أن يدخل «بيت الرب» (ع ٥). وعلى الرغم من أنه لم يكن سجينا وراء القضبان، وإلا ما كانت هناك ضرورة لإرسال عسكر للقبض عليه (ع ٢٦)، إلا أن الملك كان قد منعه من دخول الهيكل. وهكذا أيضا كتب القديس بولس رسائل إلى الكنائس التي لم يكن بمقدوره أن يزورها شخصيا. حين أمر الله بقراءة الدَرج قال: «لعل بيت يهوذا يسمعون كل الشر الذي أنا مفكر أن أصنعه بهم فيرجعوا كل واحد عن طريقه الرديء» (ع ٣). وحين أمر إرميا بقراءته قال: «لعل تضرعهم يقع أمام الرب فيرجعوا كل واحد عن طريقه الرديء». الصلاة إلى الله أمر ضروري لكي ترجعنا نعمته عن خطايانا. وطبقا لتلك الأوامر قرأ باروخ «في السفر كلام الرب»، كلما كان هناك اجتماع مقدس (ع ٨).

عدد ٩- ١٩

يبدو أن باروخ كان يقرأ السفر لكل من كانوا يصغون إليه، وذلك قبل قراءته كله، لأن التوجيهات كانت قد صدرت في «السنة الرابعة ليهوياقيم» في حين أن ذلك تم في «السنة الخامسة» (ع ٩). غير أن البعض يعتقدون أن كتابة السفر أخذت وقتا طويلا حتى أنه قد انقضت فترة طويلة قبل إكماله.

(١) أعلنت الرئاسة صوما دينيا عاما (ع ٩)، إما بسبب محنة ناجمة عن الجيش البابلي، أو بسبب عدم سقوط المطر (إر ١٤: ١): «نادوا لصوم أمام الرب كل الشعب». واستعراض التقوى والورع يمكن أن يوجد حتى بين أولئك الذين على الرغم من أنهم يتمسكون «بصورة التقوى»، إلا أنهم غرباء وأعداء بالنسبة «لقوتها». ولكن ما الذي تجنيه هذه الممارسات التي دافعها هو الرياء؟ فالصوم، دون إصلاح، ودون الرجوع عن الخطية لا يمكنه أن يصرف دينونات الله (يون ٣: ١٠).

(٢) أعاد باروخ قراءة عظات إرميا علانية في بيت الرب، في يوم الصوم. فلقد وقف في مخدع يخص «جمريا»، ومن خلال نافذة أو شرفة، قرأه على الشعب الذين كانوا في الدار (ع ١٠).

(٣) أخبر الرؤساء الذين كانوا مجتمعين معا في غرفة الكاتب، التي سميت هنا «مخدع الكاتب» (ع ١٢). ويبدو أنه على الرغم من أن الرؤساء دعوا الشعب للاجتماع في بيت الرب للصوم والصلاة وسماع الكلمة، إلا أنهم رأوا أنه ليس من المناسب أن يتواجدوا هناك بأنفسهم. ولقد أخبر ميخا الرؤساء بما قرأه باروخ، لأن أباه جمريا كان يؤيد باروخ حتى ذلك الحين ولذلك كان يعيره مخدعه.

(٤) استدعى باروخ، وأمر بأن يجلس معهم وأن يقرأ لهم الدَرج ثانية (ع ١٤ و١٥) الأمر الذي نفذه بكل ارتياح.

(٥) تأثير الرؤساء في الوقت الحاضر بشكل كبير بالكلمة التي قرئت لهم (ع ١٦)، «فكان لما سمعوا كل الكلام أنهم خافوا ناظرين بعضهم إلى بعض»، مثل فيلكس، الذي ارتعد أمام الحجج التي ساقها بولس. كانت التوبيخات عادلة، وكانت النبوات على وشك أن تتحقق، ولذلك تملكهم رعب عظيم. ولم يذكر لنا الانطباعات التي خلفتها قراءة هذا الدَرج على الشعب (ع ١٠) غير أن الخوف تملك الرؤساء نتيجة ذلك، «ناظرين بعضهم إلى بعض» غير عارفين ماذا يقول كل منهم للآخر. وقد أجمعوا على أن يخبروا «الملك بكل هذا الكلام» وإذا ما رأى أن يأخذه بكل جدية فسوف يسيرون هم على نهجه. وفي ذات الوقت كانوا يعرفون تماما عقلية الملك، وعلى هذا نصحوا باروخ وإرميا أن يختبأ (ع ١٩) وأن يهربا بحياتهما، لأنهم توقعوا أن الملك عوض أن يقتنع سوف يستشاط غضبا.

(٦) ثم وجهوا لباروخ سؤالا تافها: «أخبرنا كيف كتبت كل هذا الكلام» (ع ١٧) كما لو أنهم يشكون في أنه يتضمن شيئا غير عادي، غير أن باروخ رد عليهم ردا واضحا- لقد أملاه إرميا، وقام هو بكتابته (ع ١٨).

www.DIFA3IAT.com

عدد ٢٠ - ٣٢

الدَرج والملك:

أولا: حين وصلته أخبار ذلك، طلب الدَرج وأمر بأن يقرأ له (ع ٢٠ و٢١). ولم يطلب بأن يقرأه له باروخ نفسه، الذي كان بوسعه أن يقرأه بذكاء وبراعة وحماسة أكثر من أي شخص غيره، غير أن «يهودي» وهو أحد غلمان الملك، والذين أرسل ليحضره، هو الذي أمر بأن يقرأه. والذين يحتقرون كلمة الله على هذا النحو سرعان ما يفعلون مثل هذا الملك، الذي لم يحط من قدرها فحسب، بل كانت له أفكار سيئة عنها.

ثانيا: لم يحتمل الاستماع إلى قراءة الدَرج كله، كما كان الحال بالنسبة للرؤساء، بل إنه حين سمع «ثلاثة سطور أو أربعة أنه شقه بمبراة الكاتب وألقاه إلى النار» قطعة قطعة، حتى يتأكد من أنه قد «فني» كله في النار (ع ٢٢ و٢٣). كانت هذه إساءة وقحة لإله السماء الذي احتوى الدَرج رسالته. وبهذا أظهر الملك تبرمه من التوبيخ.

(١) والملك بهذا أظهر غضبه على باروخ وإرميا، وكان يود لو قطعهما إربا إربا، وحرقهما في النار، لو كانا في متناول يده أثناء غضبته هذه.

(٢) عبر بذلك عن إصرار لا يلين بألا يسلم بالمقاصد التي استهدفتها التحذيرات التي وجهت إليه.

(٣) وبهذا كان يأمل بغباء أن يتغلب على التهديدات التي وجهت له. ولقد حسب أنه نجح تماما في ألا تنتشر الأمور التي تضمنها الدَرج إلى أبعد من ذلك.

ثالثا: لم يتأثر الملك نفسه ولا أي من رؤسائه بالكلمة: «ولم يخف الملك ولا كل عبيده» (ع ٢٤)، بل ولا أولئك الرؤساء الذين «لما سمعوا كل الكلام أنهم خافوا» (ع ١٦) لدى سماعهم ذلك لأول مرة. لقد أبدوا بعض الاهتمام إلى أن رأوا كيف أن الملك قد استخف بهذا الكلام، وبعد ذلك طرحوا عنهم كل اهتمام.

رابعا: كان هناك ثلاثة رؤساء ممن كان لديهم بعض المنطق والنعمة الأمر الذي دفعهم إلى أن يرجوا الملك بألا يحرق الدَرج ولكن دون جدوى (ع ٢٥).

خامسا: وإذ أحرق يهوياقيم بعمله هذا الأمر الذي أصدره الله، والذي تم القبض عليه بمقتضاه بقصد الانتقام، فقد وقع الآن على أمر بالقبض على إرميا وباروخ، خادمي الله (ع ٢٦): «ولكن الرب خبأهما».

سادسا: تلقى إرميا أوامر وتعليمات بأن يكتب نفس الكلام الذي تضمنه الدَرج الأول الذي أحرقه يهوياقيم في دَرج ثان (ع ٢٧ و٢٨). قد ينجح الأعداء في حرق كثير من الأناجيل، ولكنهم لا يستطيعون القضاء على كلمة الله، أو يتغلبون على إنجازاتها. وعلى الرغم من أن لوحي الشريعة قد كسرا، إلا أنهما تجددا ثانية، وهكذا من رماد الدَرج الذي أحرق برز دَرج آخر، ذلك أن كلمة الرب تدوم إلى الأبد.

سابعا: ملك يهوذا- على الرغم من كونه ملكا- إلا أنه عوقب بشدة بواسطة ملك الملوك بسبب الإهانة التي وجهها إلى الكلمة المكتوبة وما أغضب يهوياقيم هو ما كتب في الدَرج: «مجيئا يجيء ملك بابل ويهلك هذه الأض» (ع ٢٩). وبذلك أصبح الله وأنبياؤه أعداءه لأنهم قالوا له الحق، أخبروه بالخراب الوشيك، ولكن في ذات الوقت بينوا له كيف يمكن تجنب هذا الخراب. سوف يحل غضب الله عليه وعلى أسرته، في المقام الأول، على يد نبوخذناصر، سوف يقطع، وفي غضون أسابيع قليلة سوف يخلع ابنه عن العرش، ويستبدل ثيابه الملكية بملابس السجن، وبذلك «لا يكون له جالس على كرسي داود»، وتظل جثته بلا دفن، أو «يدفن دفن حمار»، أي يلقى به في حفرة. بل أن «نسله وعبيده» سوف يلقون أشد عقاب لقرابتهم له (ع ٣١)، وسوف يعاقبون، ليس بسبب إثمه، بل بالأكثر لإثمهم. وكل الشرور التي أعلنت ضد يهوذا وأورشليم سوف تحل عليهم.

ثامنا: حين كتب الدَرج من جديد «زيد عليه أيضا كلام كثير مثله» (ع ٣٢)، أضيف المزيد من التهديدات، لأنهم إذ يسيرون ضد مشيئة الله فإنه سيحمي الأتون سبعة أضعاف أكثر من المعتاد.

الأصحاح السابع والثلاثون

هذا الأصحاح يقترب بنا من خراب أورشليم على يد البابليين، لأن قصة ذلك تقع في النهاية الأخيرة من حكم صدقيا.

أولا: فكرة عامة عن الطبيعة السيئة لذلك الحكم (ع ١ و٢).

ثانيا: الرسالة التي بعث بها صدقيا مع ذلك إلى إرميا يطلب منه أن يصلي لأجلهم (ع ٣).

ثالثا: الآمال الخائبة بأن البابليين سوف يرفعون حصارهم عن أورشليم (ع ٥).

رابعا: تأكيد الله لهم من خلال إرميا الذي كان الآن يتمتع بحريته (ع ٤) بأن الجيش البابلي سيجدد حصار المدينة ويستولي على المدينة (ع ٦ – ١٠).

خامسا: سجن إرميا بذريعة أنه منشق (ع ١١– ١٥).

سادسا: العطف الذي أبداه صدقيا نحوه حين كان أسيرا (ع ١٦ – ٢١).

عدد ١ – ١٠

(١) الاستخفاف بوعظ إرميا (ع ١ و٢). ولقد خلف صدقيا كنياهو، أو يهوياكين، وعلى الرغم من أنه رأى في سابقه العواقب الوخيمة لاحتقار كلمة الله، إلا أنه على الرغم من ذلك لم يتعظ. «ولم يسمع هو ولا عبيده ولا شعب الأرض لكلام الرب»، على الرغم من أنه كان قد بدأ يتحقق.

(٢) طلب من إرميا أن يصلي من أجلهم. فقد بعث صدقيا إليه برسل قالوا له: «صل لأجلنا إلى الرب إلهنا». وكان قد فعل ذلك من قبل (إر ٢١: ١ و٢)، وأحد المبعوثين وهو صفنيا، كان من ضمن هؤلاء، كما كان أيضا من ضمن أولئك. واستحق صدقيا أن يمتدح من أجل ذلك، لأنه أظهر أن به بعض الخير، وإحساسا بحاجته إلى نعمة الله. حين نكون في محنة علينا أن نطلب صلوات خدامنا وأصدقائنا المؤمنين، لأننا بذلك نثق في عمل الصلاة ونقدر إخوتنا. والملوك أنفسهم يجب أن ينظروا على المصلين من الشعب باعتبارهم قوة الأمة (زك ١٢: ٥، ١٠). ومع ذلك فلم يؤد ذلك إلا إلى إدانة صدقيا بكلامه هو نفسه. وإذا كان ينظر حقا إلى إرميا على أنه نبي، صلواته قد تستجاب. فلماذا إذا «لم يسمع... لكلام الرب» الذي كلمه به من خلاله؟ وكيف لنا أن نتوقع أن الله سوف يستمع لآخرين يصلون من أجلنا إذا كنا لا نسمح لهم بأن يكلمونا عنه أو بكلام يرسله لنا من خلالهم؟ وحين أرسل صدقيا إلى النبي لكي يصلي من أجله، كان حري به أن يستدعيه ليصلي معه.

(٣) وإذ ملأ الغرور أهل أورشليم نتيجة انسحاب الجيش البابلي عنها، كان إرميا في ذلك الحين يتمتع بحريته (ع ٤)، وكذلك أورشليم كانت هي أيضا في الوقت الراهن تتمتع بحريتها (ع ٥). أما صدقيا فعلى الرغم من أنه كان خاضعا لملك بابل إلا أنه دخل في حلف خاص مع فرعون ملك مصر (حز ١٧: ١٥)، وكان من نتيجة ذلك أنه حين أرسل ملك بابل ليؤدبه بسبب خيانته، بعث ملك مصر بقواته لإنقاذ أورشليم حين حوصرت. وقد فك البابليون الحصار ولعل ذلك لم يكن مرده الخوف منهم، بل رأوا أنه من الأفضل قتالهم من على بعد، قبل أن تنضم إليهم أية قوات يهودية. من هذا تولد فيهم الرجاء بأن أورشليم قد أنقذت إلى الأبد.

(٤) تهديد أورشليم بعودة الجيش البابلي. وقد أرسل صدقيا إلى إرميا يطلب منه أن يصلي من أجل ألا يعود الجيش البابلي، غير أن إرميا رد عليه بأن الأمر قد صدر، وإنها لحماقة منهم أن يتوقعوا السلام «هكذا قال الرب: لا تخدعوا أنفسكم» (ع ٩). والشيطان نفسه، على الرغم من أنه هو نفسه أعظم مخادع، غير أنه لا يستطيع أن يخدعنا ما لم نخدع نحن أنفسنا. ولم يستخدم إرميا تشبيهات غامضة، ولكنه أخبرهم بكل وضوح بالآتي:

أ. إن الجيش المصري سوف «يرجع إلى أرضه» (ع ٧).

ب. وأن البابليين سيعودون ويجددون الحصار: «لأنهم لا يذهبون» دونما عودة (ع ٩)، بل «يرجع» جيشهم (ع ٨)، «ويحاربون هذه المدينة».

ج. أن أورشليم ستسلم بكل تأكيد ليد البابليين: «ويأخذونها ويحرقونها بالنار» (ع ٨)، «لأنكم وإن ضربتم» كل جيشهم حتى قتلتم منهم الكثيرين وجرحتم الباقين فإنه مع ذلك فإنهم (المجروحون) «يحرقون هذه المدينة» (ع ١٠)

عدد ١١ – ٢١

قصة أخرى عن إرميا، الذي يروي فقرات يتحدث فيها عن نفسه بأكثر من أي نبي آخر.

أولا: كان إرميا، كلما سنحت له الفرصة، يحاول الهرب من أورشليم إلى الريف (ع ١١ و١٢): «وكان لما أصعد جيش الكلدانيين عن أورشليم من وجه جيش فوعون»، قرر إرميا أن «ينطلق» إلى الريف «لينساب من هناك وسط الشعب»، الذين في هذه الفسحة التي رفع فيها الحصار، قصدوا إلى هناك للاهتمام بمصالحهم. وقد حاول أن ينساب وسط الشعب، لأنه على الرغم من كونه رجلا بارزا، إلا أنه كان قانعا بأن يضيع وسط الجماهير ويدفن حيا في أحد الأكواخ. اكتشف أنه ليس بمقدوره أن يعمل شيئا مفيدا في أورشليم، وبذل كل جهده وسطهم ولكن بلا طائل، ومن ثم قرر أن يغادرهم.

ثانيا: في هذه المحاولة تم القبض عليه بصفته منشقا وأودع السجن (ع ١٣ – ١٥): «وفيما هو في باب بنيامين إذا هناك ناظر الحراس» الذي من المعتقد أنه كان مسئولا عن تلك البوابة، اكتشفه «فقبض» عليه. وكان حفيدا لحنينيا الذي كان خصما لإرميا (إر ٢٨: ١٠) وأضافوا بأن ناظر الحراس هذا كان يحمل ضغينة لإرميا لهذا السبب. واتهمه قائلا: «إنك تقع للكدانيين»– وهي قصة بعيدة عن الاحتمال؛ لأن الكلدانيين كانوا قد انسحبوا الآن. غير أن إرميا، لسبب قوي وبثقة رجل بريء أنكر التهمة: «كذب! لا أقع للكدانيين»، إني ذاهب في تحركاتي المشروعة. غير أن احتجاج إرميا دفاعا عن نزاهته، وعلى الرغم من أنه نبي، واستعداده تأكيد ذلك بكلمته ككاهن، لم يؤخذ به بل اقتيد ليمثل أمام الرؤساء، الذين دون أن يستجوبوه، وإنما بناء على الاتهامات الشريرة التي وجهها له ناظر الحراس، ثاروا في غضب عليه: «فغضب الرؤساء». «وضربوه وجعلوه في بيت السجن»، في أسوأ سجونهم، وكان ذلك «في بيت يوناثان الكاتب». وألقيّ بإرميا في هذا السجن «إلى بيت الجب»، كان مظلما وباردا، رطبا وقذرا. «وإلى المقببات»، هناك أودعوه. وأقام هناك «أياما كثيرة».

ثالثا وأخيرا استدعاه صدقيا، وأحسن إليه إلى حد ما، ولعل هذا لم يكن إلا بعد أن عاد جيش الكلدانيين وفرض الحصار من جديد على المدينة. وبعد أن تلاشت كل آمالهم الخادعة أصبحوا يعانون الارتباك والذعر بأكثر مما حدث لهم في أي وقت مضى وقال صدقيا أسرعوا وآتوا لي بالنبي، دعوني أتكلم معه.

(١) أرسل له الملك ليعقد معه اجتماعا خاصا كسفير من الله. «وسأله الملك في بيته سرا» إذ كان يخجل من أن يُرى في صحبته: «وقال هل توجد كلمة من قبل الرب» (ع ١٧)– أي كلمة تعزية؟ هل بوسعك أن تعطينا أي أمل بأن الكلدانيين سينسحبون ثانية؟ كانت حياة إرميا وراحته في يد صدقيا، وهو الآن يرجوه شيئا لنفسه، ومع ذلك إذ جاءته الفرصة، قال له بكل صراحة «توجد»، ولكنها ليست كلمة تعزية له أو لشعبه: «إنك تُدفع ليد ملك بابل». لو كان إرميا قد استشار إنسانا لكان قد أعطاه ردا مقبولا، ولتردد من ناحية ما إذا كان يخبره بهذا الأمر السيىء في هذا الوقت بالذات. غير أن إرميا كان شخصا سبق أن حصل على رحمة من الرب ليكون أمينا، ولن يكون غير أمين سواء بالنسبة لله أو بالنسبة للملك حتى يحصل على رحمة من إنسان، ومن ثم أخبره بالحقيقة، وكل الحقيقة. انتهز إرميا هذه الفرصة ليوبخه هو وشعبه لانسياقهم وراء الأنبياء الكذبة الذين قالوا لهم «لا يأتي ملك بابل عليكم»، أو أنه بعد أن انسحب لن يعود لمهاجمتهم إطلاقا (ع ١٩). «أين أنبياؤكم» الذين قالوا لكم أنكم ستنعمون بالسلام؟

(٢) انتهز هذه الفرصة لتقديم التماس خاص، باعتباره سجينا بائسا (ع ١٨، ٢٠). بكل تواضع ناقش الملك قائلا: «ما هي خطيتي إليك وإلى عبيدك وإلى هذا الشعب»، ما القانون الذي انتهكته «حتى جعلتموني في بيت السجن؟» والتمس أيضا بكل تواضع وبشكل مثير للشفقة (ع ٢٠) «لا تردني» إلى ذلك السجن اللعين «إلى بيت يوناثان الكاتب فلا أموت هناك». «فالآن اسمع يا سيدي الملك. ليقع تضرعي أمامك». ولا نجد هنا أية كلمة يشكو بها الرؤساء الذين ألقوا به في السجن ظلما، بل مجرد رجاء متواضع إلى الملك. والأسد فيما هو لله يجب أن يكون حملا فيما يخصه شخصيا.

أ. استجاب الملك لرجائه، واهتم به لئلا يلقى حتفه

WWW.DIFA3IAT.COM

في الزنزانة وأمر الملك أن يضعوا إرميا في دار السجن حتى يمكنه أن يستنشق هواء نقيا.

ب. وأمر بأن «يعطى رغيف خبز كل يوم» من سوق الخبازين حتى ينفد كل الخبز. كان يجب على صدقيا أن يطلق سراحه، لكنه كان يفتقر إلى الشجاعة التي تمكنه من ذلك، وكان حسنا أنه تصرف على هذا النحو؛ ذلك أن الله يستطيع أن يحول السجن إلى ميزة ويحول فناءه إلى مراع خضراء.

الأصحاح الثامن والثلاثون

انحط قدر إرميا كثيرا تحت غضبة الرؤساء، ومع ذلك أُكرم بدرجة كبيرة من قبل الملك. عاملوه كمجرم، أما هو فعامله كمستشاره الخاص:

أولا: نتيجة أمانة إرميا ألقى به الرؤساء في جب (ع ١ – ٦).

ثانيا: بسبب وساطة «عبد ملك الكوشي»، وبأمر خاص من الملك، أخرج من الجب وتحددت إقامته في دار السجن (ع ٧ –١٣).

ثالثا: ضمه اجتماع خاص مع الملك بخصوص الأمور الراهنة (ع ١٤ – ٢٣).

رابعا: أتخذت كل الاحتياجات لبقاء موضوع هذا الاجتماع في طي الكتمان (ع ٢٤ – ٢٨).

عدد ١ – ١٣

(١) أصر إرميا في وعظه الواضح (ع ٣) على أن «هذه المدينة ستُدفع دفعا ليد جيش ملك بابل»، وعلى الرغم من صمودها مدة طويلة، إلا أنها ستسقط أخيرا. وما كان له أن يكرر هذه الرسالة غير المرغوب فيها سوى أنه كان يريد أن يريهم طريقا معينا، على الرغم من أنه لن ينقذ المدينة، إلا أنهم به ينقذون أنفسهم (ع ٢). عليه أن «يخرج إلى الكلدانيين» طالبا رحمتهم قبل أن تصل الأمور إلى خطورة بالغة، «فإنه يحيا»، وسيعطونه مأوى، وينجو من «الجوع والوبأ» اللذين سيكونان سبب موت الكثيرين في المدينة.

(٢) إصرار الرؤساء في حقدهم على إرميا. كان أمينا لبلاده وللثقة التي أوليت له كنبي، وعلى الرغم من أنه كان في ذلك الحين يأكل من خبز الملك إلا أن ذلك لم يوقف فمه. وقد اشتكى مضايقوه من أنه أساء حرية السماح له بالتمشي في فناء دار الحراس، لأنه، على الرغم من أنه لم يكن يستطيع الذهاب إلى الهيكل للوعظ، غير أنه كان يقول الشيء نفسه في أحاديث خاصة لأولئك الذين كان يجيئون لزيارته، ولذلك (ع ٤) اتهموه لدى الملك بأنه رجل خطير لا يحترم الحكومة التي يعيش في ظلها: «لأن هذا الرجل لا يطلب السلام لهذا الشعب بل الشر»، ومع ذلك فلم يعمل أحد خيرا لأورشليم قدر ما عمل هو. وقد وصفوا وعظه بأنه «يضعف...». وإنها لعادة الأشرار أن ينظروا إلى خدام الله الأمناء على اعتبارهم أنهم أعداؤهم، وما ذلك سوى لأنهم يبينون لهم كيف أنهم أعداء لأنفسهم طالما استمروا في عدم التوبة.

(٣) عند هذه النقطة– وبإذن الملك– وضع إرميا في جب، على أمل أن يلقى حتفه فيه. وعلى الرغم من أن صدقيا كانت لديه قناعة بأن إرميا نبي مرسل من الله، إلا أنه لم تكن لديه الشجاعة للاعتراف بذلك. «هو بيدكم». سوف يحاسب بشدة أولئك الذين رغم أنهم يحبون الأتقياء سرا، إلا أنهم لا يتجاسرون على الاعتراف بذلك في وقت الشدة. وإذ حصل الرؤساء على هذه الموافقة العامة من الملك، أسرعوا وألقوا إرميا المسكين «في جب ملكيا... الذي في دار السجن» (ع ٦)، وقد كان عميقا جدا حتى أنهم دلوه «بحبال»، كما كان قذرا لم يكن فيه «ماء بل وحل»، «فغاص إرميا في الوحل». ويقول يوسيفوس إنه غاص حتى عنقه. وليس من شك في أن الذين وضعوه على هذا النحو في هذا الجب كانوا يستهدفون موته من الجوع والبرد، وبذلك يموت في الخفاء، إذ كانوا يخشون لو أنهم أماتوه علانية فلعل ذلك يؤلب الشعب عليهم. كثيرون من شهود الله الأمناء لقوا حتفهم على هذا النحو وفي السر حيث كان يلقى بهم سرا ليموتوا جوعا في غياهب السجون، وسوف يتم الحساب على دمائهم البريئة في يوم الإعلان الإلهي. وما عمله إرميا خلال هذه المحنة يرويه لنا بنفسه (مرا ٣: ٥٥، ٥٧): «دعوت باسمك يا رب من الجب الأسفل... دنوت يوم دعوتك. قلت لا تخف».

(٤) «عبد ملك الكوشي» وهو من رجال القصر الملكي، يتحدث إلى الملك لصالح إرميا المتألم

www.difa3iat.com

المسكين. كان «عبد ملك» «كوشيا» (غريبا عن رعوية إسرائيل)، ومع ذلك كان أكثر إنسانية وأكثر تقوى من الإسرائيليين. لقد وجد المسيح إيمانا بين الأمميين بأكثر مما وجد بين اليهود. كان «عبد ملك» يعيش في بلاط ملكي شرير، وفي جيل فاسد، ومع ذلك كان يتمتع وبدرجة كبيرة بروح العدالة والتقوى. والله يحتفظ لنفسه ببقية في كل مكان. فقد كان هناك قديسون حتى ضمن بيت قيصر. والملك الآن «جالس في باب بنيامين» ليتلقى الشكاوي والالتماسات. وهناك ذهب إليه «عبد ملك» بكل سرعة، لأن الحالة لم تكن تحتمل التأخير. وبكل شجاعة أكد للملك أن إرميا ظُلم ظلما فادحا، ولم يخف أن يقول هذا للملك. لم يحاول اختصار الموضوع. بل أخبره الملك بكل أمانة بحقيقة الأمر وليكن ما يكون: «قد أساء هؤلاء الرجال في كل ما فعلوا بإرميا النبي». يستطيع الله أن يقيم أصدقاء لمن هم في محنة من شعبه من حيث لم يكن يخطر لهم على بال.

(٥) صدرت الأوامر في الحال بإطلاق سراحه. وقد اهتم «عبد ملك» بالتأكيد من تنفيذها. لقد تغير قلب الملك بطريقة عجيبة وعلى حين غرة، وأمر الآن بإطلاق سراح إرميا متحديا بذلك الرؤساء، أمر باستخدام ما لا يقل عن ثلاثين رجلا لإخراج إرميا من الجب، لئلا يجند الرؤساء جماعة لمقاومة ذلك (ع ١٠). حقق «عبد ملك» هدفه، وسرعان ما أبلغ إرميا بهذه الأخبار السعيدة. وقد أشير بصفة خاصة إلى شفقته البالغة التي تمثلت في إحضار ثياب رثة وملابس بالية لكي يضعها إرميا تحت إبطيه حتى لا تجرحه الحبال التي سيرفعونه بها، ولعل إبطيه كانا قد تسلخا من الحبال التي دلوه بها إلى الجب. بل إنه لم يلق بالخرق إليه لئلا تفقد في الوحل بل دلوها إليه بكل حرص (ع ١١ و١٢). وهكذا أخرج إرميا من الجب وها هو الآن يقيم «في دار السجن» (ع ١٣).

عدد ١٤ - ٢٨

الملك يعقد اجتماعا مغلقا مع إرميا، على الرغم من أنه (ع ٥) سبق أن سلمه لأيدي أعدائه.

أولا: الكرامة التي أولاها صدقيا الملك للنبي. بعد أن أُخرج من الجب، استدعاه الملك ليحصل على مشورته بصفة سرية. وقد قابله في «المدخل الثالث» أو المدخل الرئيسي، الذي يؤدي إلى «بيت الرب» (ع ١٤). ولعله أراد أن يظهر احترامه لهيكل الله، مادام يريد سماع «كلمة الله». أراد صدقيا أن يسأل إرميا «عن أمر»، وكان يجب ترجمتها «كلمة»، إني أسألك هنا عن كلمة نبوة، أو مشورة، أو تعزية، «كلمة من قبل الرب» (إر ٣٧: ١٧). «لا تخف عني شيئا» مهما كان الأمر سيئا أخبرني به. وكان يأمل أن يحصل على إجابة تسره، كما لو كان الله– الذي هو بفكر واحد– متردد في أفكاره مثله.

ثانيا: الاتفاق الذي عقده إرميا معه قبل أن يعطيه مشورته. قال إرميا: «إذا أخبرتك أفما تقتلني» (ع ١٥)، إني أخشى أنك ستفعل ذلك (هكذا يترجمها البعض)، وأي شيء آخر يمكنني أن أتوقعه حيث إنك تنقاد لرؤسائك الذين يضللونك؟ وليس معنى هذا أن إرميا كان عازفا عن أن يختم التعليم الذي يكرز به بدمه، غير أنه في مجال قيامنا بواجبنا، علينا أن نطرق كل الوسائل المشروعة من أجل الحفاظ على حياتنا، بل إن رسل المسيح أنفسهم كانوا يفعلون ذلك. كان يود أن يعطيه نصيحة مفيدة، ولم يوبخه على قسوته في سماحه بالقائه في الجب. «وإذا أشرت عليك فلا تسمع لي». فلدي من الأسباب ما تحملني على الاعتقاد بأنك لن تأخذ بمشورتي وعلى ذلك فمن الأصوب أن احتفظ بها لنفسي. لم يعطه صدقيا إجابة، لم يعده بأنه سيعمل بنصيحته. أما بالنسبة لسلامة النبي، فقد وعده، بكلمة من ملك: «إني لا أقتلك ولا أدفعك ليد هؤلاء الرجال الذين يطلبون نفسك» (ع ١٦). وحلف صدقيا هنا كان حلفا مقدسا: «حي هو الرب الذي صنع لنا هذه النفس» الذي اعطاني حياتي كما أعطاك حياتك، لم أقدم على أن آمر بموتك دون حق عالما أني إذا أقدمت على ذلك فإنما أخسر حياتي لذاك الذي هو رب الحياة.

ثالثا: النصيحة الطيبة التي قدمها له إرميا، متضمنة سببا قويا يحمله على الأخذ بها، ليس من ناحية أية حصافة أو سياسة من جانبه، بل باسم «الرب إله الجنود إله إسرائيل». ولقد نصحه، ليس بصفته من

رجال السياسة، بل باعتباره نبيا، أن عليه بكل الطرق أن يسلم نفسه ومدينته «تخرج خروجا إلى رؤساء ملك بابل»، وأحصل على أفضل شروط يمكنك الحصول عليها منهم (ع ١٧). وهذه هي النصيحة التي أعطاها للشعب (ع ٢، وقبل ذلك في إرميا ٢١: ٩) بأن يخضعوا لأحكام الله. ولكي يغريه بقبول هذه المشورة وضع أمامه الخير والشر، الحياة والموت. إذا ما استسلم فسوف ينقذ أولاده من السيف، وينقذ أورشليم من الحريق. وإذا ما اعترف بعدل الله فسوف يختبر رحمته: «ولا تحرق هذه المدينة بالنار بل تحيا أنت وبيتك». ولكنه إذا عاند وقاوم، فسيكون ذلك سبب هلاك بيته وهلاك أورشليم (ع ١٨). هذه هي حالة الخطاة مع الله، عليهم أن يخضعوا بتذلل أمام نعمته وأوامره ومن ثم يحيون.

رابعا: الاعتراض الذي أبداه صدقيا ضد نصيحة النبي (ع ١٩). لو كان لديه اعتبار لسلطان الله وحكمته وصلاحه، لكان قد قبل في الحال فور معرفته لفكر الله، ولكنه عارضه ببعض الاعتبارات التي رأى من الصواب اتخاذها من جانبه. وكل ما اقترحه هو: «إني أخاف»، ليس من الكلدانيين، ذلك أن رؤساءهم يتعاملون بشرف، بل من اليهود الذين سبق أن لجأوا إلى الكلدانيين، ذلك أنهم حين يرونني أسير على نهجهم، مع أنني كثيرا ما عارضت ما أقدموا عليه، ومن ثم يسخرون مني ويقولون: «أأنت أيضا قد ضعفت نظيرنا» (إش ١٤: ١٠). وعلى الرغم من أن هذه الخطوة تعد حقيقة أكبر إهانة شخصية يمكنه أن يتخيلها، إلا أنه عليه مع ذلك أن يقبلها إطاعة لله، ومن أجل إنقاذ أسرته ومدينته.

خامسا: الإلحاح الشديد الذي قدم به إرميا نصيحته للملك. فقد أكد له أنه إذا ما استسلم لمشيئة الله في هذا الأمر، فلن يلحق به ما يخشاه (ع ٢٠): «لا يدفعونك»، بل يعاملونك بما يليق بشخصيتك. «اسمع لصوت الرب في ما أكلمك أنا به»، لأنه صوته، «فيُحسن إليك». ولكنه أخبره بالعواقب الوخيمة التي ستنجم عن عدم إطاعته. فإنه هو نفسه لن يفلت «من يدهم»، «لأنك أنت تُمسَك بيد ملك بابل» (ع ٢٣). وسوف يتهم بأنه السبب في خراب أورشليم: «وهذه المدينة تحرق بالنار»، ذلك لأنه بشيء من الخضوع وإنكار الذات كان بوسعك منع ذلك. ومن المؤكد أنه سيتعرض وعن حق لتوبيخ شديد لمقاومته، وذلك سيأتيه حتى من جانب النساء أيضا (ع ٢٢). وهكذا سيتعرض صدقيا للتوبيخ والسخرية من قبل النساء، في حين أن كل زوجاته وأولاده سيقعون فريسة في أيدي الغزاة (ع ٢٣).

سادسا: الاهتمام الذي اتخذه صدقيا لجعل موضوع الاجتماع في طي الكتمان (ع ٢٤): «لا يعلم أحد بهذا الكلام». لم يكن لديه ما يعترض به على نصيحة إرميا، ومع ذلك لن يأخذ بها. وكان اهتمامه هو أن يجعلها سرا، ليس من أجل سلامة إرميا، بل من أجل الحفاظ على سمعته. وقد زود إرميا بما يقوله للرؤساء إذا ما سألوه عن ذلك، عليه أن يخبرهم بأنه كان يرجو الملك حتى لا يرده «إلى بيت يوناثان» (ع ٢٥ و٢٦) وقد قال لهم ذلك بالفعل (ع ٢٧) وليس من شك في أن ذلك كان حقيقة.

الأصحاح التاسع والثلاثون

بعد أن تنبأ إرميا باستفاضة عن وقوع أورشليم في يدي ملك بابل، يقدم هنا وصفا دقيقا لهذا الحدث الأليم. والقصة الكئيبة التي نجدها في هذا الأصحاح تؤكد مصداقية كلمة الله التي يبعث بها بواسطة رسله.

أولا: بعد حصار دام ثمانية عشر شهرا استولى جيش الكلدانيين على أورشليم (ع ١ – ٣).

ثانيا: إذ حاول صدقيا الملك الهرب لكنه تم الإمساك به وأرسل أسيرا بائسا إلى ملك بابل (ع ٤ – ٧).

ثالثا: أحرقت أورشليم وصارت أطلالا، سبي أهلها باستثناء الفقراء منهم (ع ٨ – ١٠).

رابعا: كان البابليون في غاية اللطف مع إرميا، وأولوه عناية خاصة (ع ١١ – ١٤).

خامسا: كذلك «عبد ملك» بالنظر إلى طيبته حظي بحماية من الله نفسه في يوم الخراب هذا (ع ١٥ – ١٨).

عدد ١ – ١٠

بكل صبر «أقام إرميا في دار السجن إلى اليوم الذي

WWW.DIFA3IAT.COM

أخذت فيه أورشليم». لم يعد يسبب إزعاجا للرؤساء بوعظه، ولم يعودوا هم يزعجونه بمضايقاتهم.

أولا: وقعت المدينة أخيرا في يد نبوخذراصر الذي جاء بجيشه كالعاصفة وحاصرها «في السنة التاسعة لصدقيا»، «في الشهر العاشر» (ع ١). ترك نبوخذراصر قواد جيشه يواصلون الحصار، وجددوا الحصار بقوة مضاعفة. وأخيرا، «وفي السنة الحادية عشرة»، «في الشهر الرابع»، دخلوا المدينة، حيث أصبح الجنود في غاية الضعف بسبب الجوع حتى أنهم عجزوا عن القيام بأية مقاومة (ع ٢). لقد أثارت الخطية غضب الله فحجب حمايته، وعندئذ، وعلى غرار ما حدث لشمشون حين قص شعره، أصبحت ضعيفة كسائر المدن الأخرى.

ثانيا: استولى رؤساء الملك على «الباب الأوسط» (ع ٣). ويعتقد البعض أنه هو ذاته «باب السمك» (صف ١: ١٠)، في السور المتوسط الذي يقسم المدينة إلى جزئين. هنا توقفوا بحذر ولم يجرؤوا على التقدم بين أناس قد يدافعون عن حياتهم بكل ما في وسعهم من قوة، إلا بعد أن يفتشوا كل الأماكن، حتى لا يفاجئهم أي كمين. وهناك حيث اعتاد «ألياقيم» و«حلقيا» اللذان يحملان اسم الله أن يجلسا، يجلس الآن «نرجل شراصر وسمجرنبو وسرسخيم...»، الذين يحملون أسماء آلهة الوثنيين. وكان سرسخيم «رئيس الخصيان»، ونرجل شراصر «رئيس المجوس»، أو أمين الإمدادات والتموين. وهكذا تحقق ما تنبأ به إرميا (إر ١: ١٥) بأن «عشائر ممالك الشمال... يضعون كل واحد كرسيه في مدخل أبواب أورشليم».

ثالثا: اعتقد صدقيا بأنه حان الوقت الذي يتعين فيه أن يهرب بحياته، وإذ كان محملا بالإثم والخوف «خرج» من المدينة تحت ستار الليل (ع ٤). ولكن اكتشف أمره، وتم تعقبه حتى قبض عليه «في عربات أريحا» (ع ٥). ومن هناك نقل أسيرا إلى ربلة حيث أصدر ملك بابل حكمه عليه. وقتل «بني صدقيا في ربلة أمام عينيه». ولم يكن صدقيا نفسه قد تخطى الثانية والثلاثين من عمره، وموت هؤلاء الأطفال أمام عينيه لابد وأن سبب له آلاما رهيبة ولاسيما وأنه اعتبر أن عناده كان السبب وراء ذلك: «ويخرجون كل نسائك وبنيك إلى الكلدانيين» (إر ٣٨: ٢٣). كما قتل «كل أشراف يهوذا» (ع ٦)، وبعد ذلك، «أعمى عيني صدقيا» (ع ٧)، وبذلك حكم عليه بأن يعيش في الظلام طوال حياته، لأنه أغلق عينيه أمام النور الواضح لكلمة الله. «وقيده بسلاسل نحاس» ليؤتى به إلى بابل، ليقضي بقية حياته في بؤس هناك.

رابعا: بعد ذلك بوقت قصير أحرقت المدينة، والهيكل والقصر، وهدم سورها (ع ٨).

خامسا: أما بقية الشعب ممن بقوا في المدينة فقد سبوا جميعا إلى بابل (ع ٩). ولابد وأنهم سيقوا مئات من الأميال كالبهائم، أمام قاهريهم الذين أصبحوا الآن سادتهم القساة، والذين يجب أن يكونوا تحت رحمتهم في أرض غريبة. ولكن قلة قليلة من «الفقراء» الذين لم يبذلوا أية مقاومة تركوا ليعيشوا في أرضهم. وأعطاهم رئيس الشرط «كروما وحقولا في ذلك اليوم»، الأمر الذي لم يسبق لهم أن تمتعوا به من قبل (ع ١٠). كان الأغنياء من الظالمين المتغطرسين، وها هم بعدل يعاقبون على ما اقترفوه من ظلم. وكان الفقراء متألمين صابرين، وها هم يكافأون بسخاء على صبرهم.

عدد ١١ – ١٨

أولا: عناية الله الكريمة بإرميا. فقد أمر نبوخذراصر أن يولي إرميا اهتماما خاصا، ويجب أن يعامل معاملة حسنة في جميع الأحوال (ع ١١ و١٢). أما نبوزرادان وبقية رؤساء ملك بابل، فقد أطلقوا سراحه من السجن، وبذلوا كل ما في وسعهم من أجل راحته (ع ١٣ و١٤).

(١) كان عملا نبيلا جدا من نبوخذراصر، الذي عرف بأمر هذا النبي المسكين. وكان مما يشرف الملك أنه أصدر هذا الأمر حتى قبل أن يتم الاستيلاء على المدينة، وكان مما يسجل للرؤساء أنهم نفذوا هذا الأمر وهم في خضم المعركة، وقد سجل هذا ليكون قدوة للآخرين.

(٢) توبيخ لحزقيا ولرؤساء إسرائيل. لقد وضعوه في السجن، ولكن ملك بابل ورؤساءه أخرجوه منه.

(٣) تحقيق وعد الله لإرميا، مكافأة له على

www.difa3iat.com

خدماته: «إني أجعل العدو يتضرع إليك في وقت الشر وفي وقت الضيق» (إر ١٥: ١١). كان إرميا أمينا لمهمته كنبي، ويثبت له الله الآن أنه أمين له ولمواعيده. ونفس الأشخاص الذين استخدموا كالآت لعقاب الظالمين، استخدموا أيضا كأدوات لخلاص المظلومين، ولم تدخل إرميا أية شكوك في الخلاص الذي تحقق له على يد ملك بابل، لأنه رآه بالأكثر وقد تحقق بيد الله.

ثانيا: رسالة كريمة إلى «عبد ملك» لكي تؤكد له أن الله سيكافئه نظير شفقته نحو إرميا لأنه أنقذ «نبيا باسم نبي»، وبذلك «أجر نبي يأخذ». أخبره إرميا أنه من المؤكد أن الله سيجلب على أورشليم الدمار الذي هددت به منذ أمد بعيد، ومن أجل العطف الذي أظهره نحو إرميا فسوف يرى كيف يتم إثبات أنه نبي حقيقي بشكل لا يدع مجالا للشك (ع ١٦). وسوف ينجو ولا يمسه أذى نتيجة الكارثة العامة التي ستحيق بأورشليم: «ولكنني أنقذك». لقد كان أداة لخلاص نبي الله من الموت في الجب، والآن يعد الله بأن ينجيه «لأنك قد توكلت عليَّ يقول الرب». لقد اتكل «عبد ملك» على الله في أنه سيعترف به، ويسانده، ولذلك لم يكن يهاب إنسانا. والذين يتكلون على الله، كما فعل هذا الرجل الصالح، عن طريق أداء الواجب، سيجدون أن رجاءهم لم يخزهم في أوقات الخطر العظيم.

الأصحاح الأربعون

في هذا الأصحاح والأصحاحات الأربعة التالية نجد قصة البقية القليلة من اليهود الذين تُركوا في أرضهم بعد أن سبي إخوتهم، وهي قصة محزنة، ذلك أنه سرعان ما تبين أنهم مازالوا على عنادهم في الخطية كسابق عهدهم، لم يذلوا ولم ينصلحوا:

أولا: قصة أكثر دقة تتعلق بإطلاق سراح إرميا وإقامته مع جدليا (ع ١ – ٦).

ثانيا: التجاء اليهود الذين ظلوا مشتتين في البلدان المجاورة إلى جدليا بشكل جماعي بعد أن أصبح حاكما خاضعا لملك بابل، والوضع الطيب الذي كانوا عليه لفترة ما تحت حكمه (ع ٧ –١٢).

ثالثا: خطة ماكرة دبرها إسماعيل ضد جدليا (ع ١٣ – ١٦).

عدد ١ – ٦

تحدثنا هذه الأعداد عن تمسك إرميا بالبقاء مع جدليا بناء على نصيحة نبوزرادان. ولقد أحضر إرميا بكل احترام من دار السجن بمعرفة رؤساء ملك بابل (إر ٣٩: ١٣ و١٤) غير أنه وجد بعد ذلك بين الشعب في المدينة، حين صدرت الأوامر للضباط الأصغر رتبة بأن يقيدوا كل من يجدونهم لكي يتم سبيهم إلى بابل، ولذلك فإنه عن طريق الجهل والخطأ تم تقييده ونقله ضمن الباقين. ولكن حينما جيء بالأسرى مقيدين إلى الرامة تم تمييزه على وجه السرعة عن الباقين وأطلق سراحه.

(١) اعترف به رئيس الشرط كنبي حقيقي (ع ٢ و٣)، وقال له: «إن الرب إلهك قد تكلم بهذا الشر على هذا الموضع»، لقد حذرهم مرارا وتكرارا، غير أنهم لم يرتدعوا، «فجلب الرب وفعل كما تكلم»، وكما أنه تكلم بفمك، فإنه بيده «فعل كما تكلم». وقد قال لكل الشعب الذين كانوا مقيدين أمامه: «لأنكم قد أخطأتم إلى الرب ولم تسمعوا لصوته فحدث لكم هذا الأمر». وليس من شيء يحمل رؤساء إسرائيل على الاعتراف بهذا الواقع، الأمر الذي أدركه بكل وضوح رئيس وثني.

(٢) صرح للنبي بأن يتصرف كما يحلو له. فقد حله من قيوده للمرة الثانية (ع ٤) ودعاه للمجيء إلى بابل كصديق، ورفيق: «فأجعل عيني عليك»، ستلقى الاحترام ويقدم لك كل ما تحتاجه. وإذا لم يكن يرغب في الذهاب إلى بابل، فيمكنه الإقامة حسبما يريد في بلاده.

(٣) نصحه بالتوجه إلى جدليا والإقامة عنده. وجدليا الذي «أقامه ملك بابل على مدن يهوذا» كان يهوديا أمينا، والذي (من المحتمل) أنه توجه للبابليين وأثبت جدارته حتى أنه حظي بهذه الثقة العظيمة (ع ٥): «وإذ كان لم يرجع بعد»، ووقف يتأمل فيما عساه يفعل، عرض عليه نبوزرادان أن «يرجع» إلى جدليا. فهو لم يعطه حريته وموافقته على أي إجراء يتخذه فقط، بل اتخذ ما يلزم لإعالته: «وأعطاه... زادا وهدية»،

سواء من ناحية الملابس أو المال «وأطلقه». تقبل إرميا هذا العطف وأخذ بنصيحته وذهب إلى جدليا، إلى المصفاة «وأقام عنده» (ع ٦). ثبت أنه لم يجد راحته هناك على الإطلاق. ومع ذلك بمقدورنا أن نمدح عشقه الروحاني لأرض إسرائيل، حتى إنه لم يرد أن يغادرها، بل اختار بالأحرى أن يسكن مع الفقراء في الأرض المقدسة على أن يسكن مع الرؤساء في أرض غير مقدسة.

عدد ٧ - ١٦

أولا: تفتحت سماء ساطعة فوق البقية من اليهود الذين تركوا في أرضهم، وأعطى لهم الأمل بالسلام والهدوء بعد سنوات طويلة من المتاعب والفزع. ويبدو أن العناية الإلهية كانت ترفع وتشجع مثل هذه التطلعات، وسوف يكون ذلك بالنسبة لهذا الشعب البائس بمثابة حياة من الموت.

(١) جدليا، واحد منهم أقامه «ملك بابل... على الأرض» (ع ٧)، وكان ابن «أخيقام بن شافان» واحد من الرؤساء. وقد ساند أبوه إرميا (إر ٢٦: ٢٤) ضد الشعب. ويبدو أنه كان يتسم بحكمة عظيمة وطبع هادئ ولابد وأن البقية التي تركت في الأرض شعرت بسعادة بالغة تحت حكمه.

(٢) كل أولئك الذين أصبحوا الآن يهود الشتات جاءوا ووضعوا أنفسهم تحت رياسته وحمايته. والرجال العظماء الذين هربوا من البابليين جاءوا بهدوء وأعلنوا خضوعهم لجدليا. وقد ذكرت هنا أسماء الكثيرين منهم (ع ٨): جاءوا مع «رجالهم»، وخدمهم وعسكرهم. وكانت لدى ملك بابل فكرة طيبة عن جدليا حتى أنه لم تأخذه الغيرة من زيادة أعدادهم، بل على العكس من ذلك، سر بها. أما الفقراء الذين هربوا ولجأوا إلى البلدان المجاورة: موآب، بني عمون وأدوم، أغرتهم محبتهم لبلادهم إلى العودة إليها فور أن سمعوا أن جدليا تولى السلطة بها (ع ١١ و١٢). لقد تذكر الله رحمته، وأدخل بعضهم في اختبار آخر لطاعتهم.

(٣) وُضع نمط هذه القيادة الجديدة وأقيم طبقا لعقد أصلي (ع ٩). فقد قال لهم جدليا: «لا تخافوا من أن تخدموا الكلدانيين». وعلى الرغم من أن الشريعة الإلهية تحرم عليهم أن يعقدوا حلفا مع الوثنيين، إلا أن الحكم الإلهي أرغمهم على الرضوخ لملك بابل. ليس تحقيرا لأحد أن يستجيب له. لا تخافوا عاقبة ذلك. إذا ما عشتم في أمن، ستنعمون بالأمن، لا تزعجوا السلطة، وهي بدورها لن تزعجكم «اخدموا ملك بابل فيحسن إليكم». ولعل جدليا، وبتعليمات من ملك بابل، كان يتحدث باسمهم في كل مناسبة (ع ١٠): «فهأنذا ساكن في المصفاة لأقف أمام الكلدانيين الذين يأتون إلينا» لأقدم لهم فروض الطاعة باسم الشعب كله، وإذا ما كانت هناك مناسبة أتلقى الأوامر، وأدفع لهم الجزية المستحقة حين «يأتون إلينا». وأكد لهم جدليا بقسم أنه يتكفل بحمايتهم، ولكنه إذ كان رجلا طيبا، لم يطلب منهم أن يقسموا يمين الولاء له، وإلا لكان قد امتنع عنهم الضرر اللاحق. وعلى الرغم من اعترافهم بأن أرضهم أصبحت للكلدانيين، غير أنه في مقابل ذلك لهم حرية التمتع بها والانتفاع بخيراتها «فاجمعوا خمرا وتينا وزيتا» (ع ١٠). واجعلوها لاستعمالكم، «وضعوا في أوعيتكم» لتخزنوها للشتاء، كما يفعل أولئك الذين يعيشون في سلام ورجاء أن يأكلوا ثمر أيديهم. وطبقا لذلك «جمعوا خمرا وتينا كثيرا جدا»، لأن حصاد الحنطة كان قد انتهى في وقت ما قبل سقوط أورشليم. ولقد تركهم جدليا يتمتعون بثمار الوفرة العامة، ومما تدل عليه الشواهد، أنه لم يطلب منهم جزية لأنه لم يكن يسعى وراء منفعته الشخصية.

ثانيا: ثمة سحابة سوداء تتجمع في سماء هذه الدولة الوليدة، وتهدد بعاصفة رهيبة. فقد كان «بعليس ملك بني عمون» يكره جدليا (ع ١٤). والبعض يقول أن بعليس هي الملكة الأم، والدة ملك بني عمون. وكان الاعتقاد السائد بأن هذه البقية الصغيرة ستعيش آمنة في ظل حماية ملك بابل العظيم، ومع ذلك فقد دمرت نتيجة مؤامرة هذا الملك الصغير، أو مرؤوسيه. طوبى لمن كان ملك الملوك في جانبهم، لأن أعظم ملك في الدنيا لا يستطيع بكل ما يمتلك من أسباب القوة أن يحمينا من الخيانة. وقد استخدم «إسماعيل بن نثنيا» كأداة لتنفيذ حقده، وحرضه على قتل جدليا، وبذلك تتاح له فرصة طيبة إذا ما جعل نفسه من بين رعاياه ووعده بالولاء له. كان إسماعيل من

www.DIFA3IAT.com

سلالة ملكية، وعلى هذا كان من السهل إغرائه على الغيرة من شخص أقيم حاكما في يهوذا ولم يكن من نسل داود. ثم إن يوحانان، وهو رجل نشيط وواقعي إذ اشتم رائحة هذه المؤامرة أسرع وأخبر جدليا بها: «أتعلم علما» من المؤكد أنك تعلم (ع ١٤). وقدم له تقريرا سريا عنها (ع ١٥). وعرض خدماته لمنعها: «دعني أنطلق»، وأقتله، «لماذا يقتلك؟» وإذ كان جدليا رجلا يتسم بالإخلاص، لم يصدق إطلاقا خيانة إسماعيل، وقال «إنما تتكلم بالكذب عن إسماعيل». وكم هلك كثيرون لفرط ثقتهم في إخلاص من هم حولهم.

الأصحاح الحادي والأربعون

قصة أليمة تلك التي يرويها هذا الأصحاح، وتبين أن الشر يتبع الخطاة. فقد انفجرت السحابة الداكنة إلى عاصفة هوجاء. فهؤلاء القلة من اليهود الذين هربوا ولم يسبوا كانوا فخورين لأنهم لا يزالون في أرضهم، وأنهم في أمن تحت حماية جدليا.

أولا: قتل جدليا بطريقة وحشية على يد إسماعيل (ع ١ و٢).

ثانيا: قتل أيضا كل اليهود الذين كانوا معه (ع ٣)، وقد امتلأ جب بجثثهم (ع ٩).

ثالثا: بعض الرجال الأتقياء وكانوا ثمانين، استدرجهم إسماعيل وهم في طريقهم نحو أورشليم وقضى عليهم أيضا (ع ٤ – ٧)، ولم يهرب منهم سوى عشرة رجال فقط (ع ٨).

رابعا: وأولئك الذين نجوا من السيف أسرهم إسماعيل، وأخذهم تجاه بني عمون (ع ١٠).

خامسا: نتيجة مسلك يوحانان وشجاعته، تم استعادة المسبيين، وأصبح الآن قائدهم الأعلى (ع ١١ – ١٦).

سادسا: مشروعه الذي يهدف إلى نقلهم إلى أرض مصر (ع ١٧ و١٨).

عدد ١ – ١٠

مثل هذا العمل الشرير الوحشي الدموي ارتكبه رجال كان يجب بحسب مولدهم أن يكونوا رجالا شرفاء، وبحسب ديانتهم، كان يجب أن يتسموا بالعدل، ولكن ما ارتكبوه كان ضد بني وطنهم، وضد دينهم، وضد إخوتهم الذين في محنة، والذين لم يستفزوهم. كل ذلك تم بوحشية رهيبة.

أولا: قام إسماعيل وزمرته وبغدر قتلوا جدليا في المقام الأول. وكان ملك بابل قد جعله رجلا عظيما «أقامه... على الأرض». لقد جعله الله رجلا صالحا وبركة عظيمة لبلاده، وعمله من أجل خيرها كان كحياة من الموت. كان إسماعيل «من النسل الملوكي» (ع ١) ولهذا كان في غيرة من تنامي عظمة جدليا. وكان معه «عشرة رجال» من رؤساء الملك أيضا كانت تتملكهم نفس المشاعر البغيضة. وضع هؤلاء أنفسهم تحت حمايتهم (إر ٤٠: ٨)، عادوا الآن ثانية «وأكلوا هناك خبزا معا في المصفاة». فأكرم جدليا وفادتهم. تظاهروا بصداقته ولم يحذروه بأن يحترس. غير أن أولئك الذين «أكلوا» معه رفعوا عليه عقبهم. وتحينوا فرصة انفرادهم به، واغتالوه (ع ٢).

ثانيا: ثم قاموا أيضا وقتلوه بالسيف كل اليهود والبابليين، كل الذين كانوا في خدمة جدليا (ع ٣). كان الكرامون والفلاحون مشغولين في الحقول، ولم يعلموا شيئا عن هذه المذبحة الشنيعة التي تم إخفاؤها بكل خبث.

ثالثا: بعض الرجال الأتقياء الذين كانوا في طريقهم لندب خراب أورشليم تم قتلهم مع البقية. ولقد جاءوا (ع ٥) من شكيم، ومن شيلوه ومن السامرة، وهي من الأماكن التي كانت شهيرة ولكنها هزمت الآن. وكانوا في طريقهم «إلى بيت الرب»، هيكل أورشليم، لكي يعبروا عن احترامهم لخرائبه. وكان بيدهم «تقدمة ولبان»، حتى لا يذهبوا دون شيء ليقدموه. وقد أظهروا حسن نواياهم، على الرغم من أن المذبح كان قد هدم. لقد ذهبوا «مشققي الثياب» و«محلوقي اللحى». أولئك استدرجهم إسماعيل إلى شرك مميت نتيجة حقده. لقد كره هؤلاء المسافرين إلى أورشليم بسبب رحلتهم هذه. توجه إسماعيل لمقابلتهم بدموع التماسيح متظاهرا بأنه يندب خراب أورشليم مثلهم تماما، ولكي يختبر موقفهم بالنسبة لجدليا وحكومته، فقد تملقهم ووجدهم يكنون له احتراما، الأمر الذي زاد من تصميمه على اغتيالهم. قال لهم: «هلم إلى جدليا» متظاهرا بأنه يود لو أن

www.DIFA3IAT.com

يأتوا ويعيشوا معه، في الوقت الذي كان ينتوي فيه أن يأتوا ويعيشوا معه (ع ٦). «فكان لما أتوا إلى وسط المدينة» أن إسماعيل هاجمهم ثم «قتلهم» (ع ٧). ثم ألقى بجثثهم وجثث الآخرين الذين قتلهم «إلى وسط الجب» (ع ٧)، وهو نفس الجب الذي كان قد حفره آسا ملك يهوذا منذ أمد بعيد، ليكون حامية على الحدود ضد «بعشا ملك إسرائيل» (ع ٩). ومن بين هؤلاء الآخرين الذين ذبحوا كان هناك عشرة رجال حصلوا على عفو لأنهم استغلوا نهم أولئك الذين وقعوا تحت رحمتهم (ع ١٠)، فقد قالوا لإسماعيل: «لا تقتلنا لأنه يوجد لنا خزائن في الحقل قمح وشعير وزيت وعسل». وقد نجح هذا الطعم. وأنقذهم إسماعيل ليس بدافع الرحمة، بل حبا في المال.

رابعا: أخذ الشعب إلى السبي. «بنات الملك»، وفقراء الأرض، الكرامين والفلاحين، الذين أوكل عليهم جدليا، اقتيدوا جميعا أسرى تجاه أراضي «بني عمون» (ع ١٠). كان هؤلاء المسجونون يظنون أن مرارة الموت، والسبي قد ذهبت إلى غير رجعة، وعلى الرغم من ذلك مات البعض بالسيف وأخذ الآخرون إلى السبي. وثمة سفن كثيرة غرقت في المياه. ولا يمكننا إطلاقا أن نتيقن من السلام ما دمنا في هذا العالم.

عدد ١١ – ١٨

كان من الأفضل لو أن يوحانان بعد أن أخبر جدليا بمؤامرة إسماعيل الدنيئة قد ظل معه، لأنه وقواده وقواته كانوا سيشكلون حرسا خاصا لجدليا، غير أنه يبدو أنهم كانوا في مهمة في الخارج في الوقت الذي كان يجب أن يكونوا فيه في خدمة أفضل. وأولئك الذين يهوون التجول دون غاية كثيرا ما لا تجدهم في وقت تكون الحاجة شديدة إليهم. ومع ذلك، فقد سمعوا أخيرا «بكل الشر الذي فعله إسماعيل» (ع ١١). ولم ينجح يوحانان إلا في إنقاذ المسبيين. فقد جمع يوحانان ما استطاع من قوات «وساروا ليحاربوا إسماعيل» (ع ١٢). ذلك أنه تابعه حتى لحق به «عند المياه الكثيرة التي في جبعون» التي نقرأ عنها في ٢صموئيل ٢: ١٣. ولما ظهر يوحانان وهذه القوة معه تملك الخوف قلب إسماعيل، ولم يستطع مواجهته. أما المسبيون المساكين فقد «فرحوا» عندما رأوا «يوحانان... وكل رؤساء الجيوش» الذين معه، وأدركوا أن خلاصهم سيكون على أيديهم (ع ١٣)، وقد وجدوا وسيلة لكي يتركوا إسماعيل ويأتوا إليهم (ع ١٤). ولم يحاول إسماعيل أن يمنعهم. لقد ترك إسماعيل فريسته لينجو هو بحياته «فهرب بثمانية رجال» (ع ١٥). ويبدو أن اثنين من رجاله (أشير إليهما في آية ١) وكانا من القتلة، قد هجراه. واتجه هو صوب بني عمون، ولم نسمع عنه بعد ذلك شيئا. والقرار الذي اتخذه يوحانان ورؤساء الجيوش كان متسرعا جدا، إذ قرروا أنه لن ينفعهم شيء سوى أن «يدخلوا مصر» (ع ١٧)، ولكي ينفذوا ذلك، عسكروا بعض الوقت في «جيروت كمهام التي بجانب بيت لحم» مدينة داود. هناك أقام يوحانان مركز قيادته، وهو في سبيل رحيله صوب مصر، وقد كان ذلك إما لمحبته الشخصية لمصر، وإما لمعرفته السابقة للمصريين وثقته فيهم. ويبدو أن بعض «رجال الحرب» كانوا قد هربوا، هؤلاء أخذهم معه فضلا عن «النساء والأطفال»، «الذين استردهم» من إسماعيل.

الأصحاح الثاني والأربعون

إذ كان يوحانان ورؤساء الجيوش قد عقدوا العزم على التوجه إلى مصر، سواء أملت عليهم ذلك محبتهم لها أو التداعيات السياسية، فقد كانت لديهم رغبة كبيرة أن يرشدهم الله إلى عمل ذلك أيضا على غرار ما فعله بلعام الذي فيما كان مصرا على الذهاب ليلعن إسرائيل، طلب إذنا من الله:

أولا: الاتفاق الذي عقدوه مع إرميا بخصوص طلب مشورة الله في هذا الموضوع (ع ١ – ٦).

ثانيا: الرسالة التي بعث بها الله لهم، والتي بواسطتها:

(١) أمروا بأن يستمروا في أرض يهوذا، وأكد لهم أنهم إذا فعلوا ذلك سيكون خيرا لهم (ع ٧ – ١٢).

(٢) منعوا من الذهاب إلى مصر، وحذروا من أنهم لو فعلوا ذلك فسيكون فيه هلاكهم (ع ١٣ – ١٨).

(٣) اتهموا بالرياء لطلبهم معرفة إرادة الله، وعصيانهم لها بعد إخبارهم بها، ولذلك صدر حكم ضدهم (ع ١٩ – ٢٢).

www.DIFA3IAT.com

عدد ١ - ٦

نجا إرميا النبي من الموت بسيف إسماعيل، ولم تكن المرة الأولى التي يخبئه فيها الرب. وأخيرا، سعوا وراء إرميا من أجل حاجة ما، ولذلك «كل رؤساء الجيوش» وكذلك «يوحانان»، «وكل الشعب من الصغير إلى الكبير» تقدموا إليه (ع ١). إلى تلك اللحظة كانوا مبتعدين عنه وتجنبوا التعامل معه.

أولا: طلبوا منه أن يسأل الله بالصلاة عما يجب عليهم عمله في هذا الوضع الراهن العسير (ع ٢ و٣). وقد تحدثوا إلى النبي في إطار من الاحترام العظيم. وعلى الرغم من فقره واتضاعه إلا أنهم لجأوا إليه بكل تواضع يلتمسون مساعدته: «ليت تضرعنا يقع أمامك». وبهذا الإطراء استهدفوا حمله على قول ما يريدونه أن يقوله: «فتصلي لأجلنا»، لأننا لا نعرف كيف نصلي من أجل أنفسنا. صلِّ «إلى الرب إلهك»، لأننا لسنا جديرين بأن ندعوه إلهنا، وليس لدينا من سبب يدعونا إلى أن نتوقع معروفا. تحدثوا عن أنفسهم كأناس في حاجة إلى العطف: «لأننا قد بقينا قليلين من كثيرين»، وكم هو سهل أن تبتلع مثل هذه البقية القليلة. و«كما ترانا عيناك» ها نحن في محنة، وقد جئناك لتساعدنا. وبمقدورك على الأقل أن تطلب إلى «الرب إلهك» فينظر إلى الدمار الذي لحقنا «فيخبرنا... عن الطريق الذي نسير فيه»، وحتى يكون معنا، «والأمر الذي نفعله»، والسبيل الذي نسلكه من أجل سلامتنا.

ثانيا: وعدهم إرميا بأمانة أن يصلي من أجل مشورة الله لهم، وأية رسالة يبعث بها الله لهم بواسطته سوف يوصلها لهم كما تلقاها بكل حذافيرها (ع ٤). وعلى الرغم من أنهم استهانوا به، فإنه لن يخطئ إلى الرب فيكف عن الصلاة من أجلهم (١صم ١٢: ٢٣). وسوف يخبرهم بكل مشورة الله من ناحيتهم «لا أمنع عنكم شيئا»، ويأمل أن يثبتوا أنهم جديرون بهذه الثقة.

ثالثا: وعدوا بأنهم سيلتزمون بمشيئة الله فور علمهم بها (ع ٥ و٦). وهم يقولون عن الله الآن «الرب إلهنا» وذلك لأن إرميا شجعهم على أن يدعوه هكذا (ع ٤): «هأنذا أصلي إلى الرب إلهكم». وقد وعدوا أن يسمعوا «لصوت الرب» لأنهم أرسلوا له النبي ليطلب مشورته. وسوف يفعلون حسب أمر الرب «إن خيرا وإن شرا». وعلى الرغم من أنه قد يبدو لنا شرا، إلا أننا نؤمن أنه مادام الله هو الذي أمر به فلابد وأن يكون خيرا، ولا ينبغي علينا أن نجادل في ذلك، بل إياه نفعل. وأيا كان ما يأمر به الله، سهلا أم صعبا، فإنه إذا كان من واجبنا فلابد وأن نعمله.

عدد ٧ - ٢٢

الرد الذي أرسل إرميا ليبلغه لأولئك الذين طلبوا منه أن يسأل مشورة الله لهم.

أولا: لم يأت إلا «بعد عشرة أيام» (ع ٧). وكانت هذه مدة طويلة، ولعل ذلك كان بقصد معاقبتهم على ريائهم، أو لبيان أن إرميا لم يتكلم من تلقاء ذاته، وإنما انتظر تعليمات الله. «لأن الرؤيا بعد إلى الميعاد وفي النهاية تتكلم».

ثانيا: وحين جاءت بالفعل سلمها علانية، سواء بالنسبة لكل «رؤساء الجيوش»، أو بالنسبة لكل «الشعب». وقد سلمها بكل أمانة، وكاملة، وكما تلقاها. وما نصحهم به هو ما قاله له «الرب إله إسرائيل» الذي أرسلوه إليه.

(١) مشيئة الله هي بقاؤهم حيث هم، ووعدهم بأنهم إذا فعلوا ذلك سيكون في ذلك خير لهم (انظر ع ١٠). لقد أخرج إخوتهم منها قسرا إلى السبي، ولذلك عليهم أن يعتبروها رحمة أن يمكثوا هم فيها، وأن من واجبهم البقاء بها. وعبر عن اهتمامه بهم وعطفه عليهم في حالتهم المأساوية. «لأني ندمت عن الشر الذي صنعته بكم». وليس معنى ذلك أنه يغير فكره، بل معناه أنه مستعدا تماما أن يغير نهجه وأن يعود إليهم برحمته. ولقد رد على حجتهم التي يتذرعون بها بعدم البقاء في الأرض. «كانوا خائفين» من ملك بابل (إر ٤١: ١٨) لئلا يأتي وينتقم منهم لموت جدليا، على الرغم من أنه لم يكن لهم أية علاقة بهذا الموضوع. فقال لهم: «لا تخافوا ملك بابل» لأن خوفكم هذا سيكون فخا لكم. لا تخافوه «لأني أنا معكم»، وإذا كان الله معكم ليخلصكم، فمن ذا الذي يستطيع أن يكون عليكم ليضربكم؟ أكد لهم

بأنهم إذا واصلوا سكنى هذه الأرض، فلن يأمنوا شر ملك بابل فقط، بل سيسعدوا بملك الملوك «فإني أبنيكم... وأغرسكم» سوف تتأصلون ثانية، وتصبحون الأساس الجديد لأمة أخرى. وسوف يبدي الله رحمته بهم، ليس فقط من ناحية أن ملك بابل لن يدمرهم، بل «وأعطيكم نعمة فيرحمكم» ويساعدكم على الاستقرار. وما هو امتياز لنا جعله الله واجبنا، وطاعتنا تتضمن في حد ذاتها مكافأتنا.

(٢) عليهم ألا يفكروا بأي حال في الذهاب إلى مصر بالذات، ولاسيما أنها الأرض التي خلص الله آباءهم من العبودية فيها، والتي حذرهم كثيرا من عدم الدخول في حلف معها. لقد بدأتم تقولون «لا نسكن في هذه الأرض» (ع ١٣). لن نمكث فيها على الرغم من أن الله تكفل بحمايتنا. «لا بل إلى أرض مصر نذهب». سواء سمح لنا الله بذلك وذهب معنا أم لا (ع ١٤). ومن المفروض أنهم كانوا قد عقدوا العزم على ذلك: «إن كنتم تجعلون وجوهكم للدخول إلى مصر» عليكم تحمل تبعة ذلك. أما سبب إصرارهم فهو: «حيث لا نرى حربا... ولا نجوع للخبز»، كما حدث معنا لفترة طويلة في هذه الأرض (ع ١٤). ولقد صدر الحكم عليهم بسبب هذه الخطية إذا ما أصروا عليها، وقد أعلن الحكم باسم الله (ع ١٥): «اسمعوا كلمة الرب يا بقية يهوذا»، الذين يعتقدون أنهم ماداموا بقية فسوف ينجون (ع ٢). هل تخافون من السيف والجوع؟ إن نفس هذه الدينونات ستتبعهم إلى مصر وتنقض عليهم هناك (ع ١٦ و١٧). إنكم تعتقدون بأنه نظرا لأن الحرب والجوع استمرا يعملان طويلا في هذه الأرض فإنها قد ورثتهما، لعلمكم، أنه إذا ما وثقتم في الله، فبمقدوره أن يجعل حتى من هذه الأرض، أرض سلام بالنسبة لكم. ومن يذهب إلى مصر ناقضا مشيئة الله، هربا من «السيف... والجوع»، هناك «يموتون بالسيف والجوع». هل خراب أورشليم بث فيهم الفزع؟ وهل يرغبون في الابتعاد عن ذلك إلى أقصى ما يمكنهم. عليهم أن يعلموا أنهم سيواجهون الجزء الثاني من هذا الدمار هناك في مصر (ع ١٨). وحين يختلط المؤمنون بغير المؤمنين، ويتوددون إليهم، يفقدون كرامتهم ويستحقون التوبيخ.

(٣) كان الله يعرف رياءهم فيما طلبوه منه، وأنهم حين طلبوا مشورته فيما يجب عليهم عمله، كانوا قد عقدوا العزم على ما هم عليه مقبلون، ومن هنا صدر الحكم عليهم. لقد احتج النبي بشدة بأنه بكل أمانة سلمهم رسالته (ع ١٩). وخاتمة الموضوع برمته هي: «لا تدخلوا مصر»، إذا فعلتم ذلك تكونون قد عصيتم مشورة الله. إني بكل جلاء «أنذرتكم»، ولذلك ليس بمقدوركم أن تتعللوا بجهلكم بفكر الله من ناحية هذا الأمر. واتهمهم بريائهم الشرير بطلبهم منه مشورة الله من أجلهم (ع ٢٠): «قد خدعتم أنفسكم» تظاهرتم بشيء وقصدتم عمل عكسه، ووعدتم بما لا تنوون الوفاء به، لقد أخطأتم في قلوبكم. «فالآن اعلموا علما أنكم تموتون بالسيف» (ع ٢٢). لعله بمقدور غير المؤمنين الاستخفاف بإنذارات الله، غير أنهم لا يستطيعون إلغاءها.

الأصحاح الثالث والأربعون

سلم إرميا بأمانة الرسالة التي من قبل الله. ونجد هنا:

أولا: احتقار الشعب لهذه الرسالة، وأنكروا أنها كلمة الله (ع ١ – ٣). وذهبوا إلى مصر، وأخذوا إرميا نفسه معهم (ع ٤ – ٧).

ثانيا: الله يتابعهم برسالة أخرى تتنبأ بأن ملك بابل سيسعى وراءهم إلى مصر (ع ٨ – ١٣).

عدد ١ – ٧

ما قاله الله للبنائين في بابل يصدق فعلا على هذا الشعب: «لا يمتنع عليهم كل ما ينوون أن يعملوه» (تك ١١: ٦). لهم رغبة في الذهاب إلى مصر، فإلى مصر يذهبون، ولا يهمهم ما يقوله الله نفسه. أسمعهم إرميا كل ما كان يجب عليه قوله. وكان ما قاله هو ما أرسله الله ليبلغهم به، وسوف يسمعون الرسالة برمتها.

أولا: أنكروا أن ما قاله لهم هو رسالة من الله: «يوحانان... وكل الرجال المتكبرين كلموا إرميا قائلين. أنت متكلم بالكذب» (ع ٢). كان صلفهم وراء عصيانهم. كانوا «متكبرين» نسبوا الكذب للنبي.

لم يتحملوا أن يتحكم أحد في خططهم، حتى ولا الحكمة الإلهية، ولا مشيئة الله نفسها. فإما أنهم لم يكونوا على قناعة بأن ما قيل لهم هو من الله، وإما أنهم على الرغم من اقتناعهم لم يكونوا على رغبة في الاعتراف به. ألم يستشيروا إرميا بصفته نبيا؟ ألم ينتظر هو بدوره إلى أن تلقى من الله ما يتعين عليه قوله؟ ألم يثبت الله أنه حقا نبي؟ كانت لديهم بعض الأفكار الطيبة عن إرميا، غير أنهم قالوا (ع ٣): «باروخ... مهيجك علينا». لو كان إرميا وباروخ راغبين في ملازمة الكلدانيين لكانوا قد رحلوا مع نبوزرادان إلى بابل ولما بقوا ليكون نصيبهم مع هذه البقية الجاحدة المحتقرة. ولو كان باروخ يقصد بهم شرا، فهل يعتقدون أن إرميا كان قد جاراه بحيث يتستر وراء اسم الله وسلطانه لتحقيق مثل هذا الهدف الشرير؟

ثانيا: على الرغم من ذلك أصروا على الرحيل إلى مصر. وقرروا عدم الإقامة «في أرض يهوذا» كما أمرهم الرب بذلك (ع ٤). وأجمعوا كلهم على الذهاب إلى مصر. وأولئك «الذين رجعوا من كل الأمم الذين طوحوا إليهم ليتغربوا في أرض يهوذا» بدافع محبتهم لهذه الأرض، لم يتركوا على حريتهم، بل أجبروهم على الرحيل معهم إلى مصر (ع ٥)، «الرجال والنساء والأطفال» (ع ٦). وهؤلاء الرجال المتكبرون أجبروا حتى إرميا النبي وباروخ كاتبه على مصاحبتهم في الذهاب إلى مصر. «وأتوا إلى تحفنحيس»، وهي مدينة شهيرة في مصر (وقد سميت على اسم ملكة، ١ مل ١١: ١٩). وكان بيت فرعون هناك (ع ٩). ولو كانوا يتمتعون بروح الإسرائيليين لفضلوا بالأحرى أن يسكنوا برية يهوذا على أن يسكنوا مدن مصر الفخمة الغاصة بالسكان.

عدد ٨- ١٣

هناك، كما في الأصحاح التالي، يتنبأ إرميا في مصر، حيث كان الآن في تحفنحيس، بين مصريين وثنيين ويهود غير مؤمنين، ولكنه هناك «صارت كلمة الرب» إليه. والله يستطيع أن يفتقد شعبه بنعمته أينما كانوا. وروح النبوة لم يكن قاصرا على أرض إسرائيل. وحين أجبر إرميا على الذهاب إلى مصر، لم يحجب الله عنه النعمة التي ألفها. وما تسلمه من الله سلمه للشعب. وثمة رسالتان أوكلت إلى إرميا مهمة تسليمهما حين كان في مصر- إحداهما في هذا الأصحاح، وتتعلق بمصر، وتتنبأ بخرابها، والأخرى في الأصحاح التالي، وتخص اليهود في مصر. لقد سبق أن أخبرهم الله بأنهم إذا ذهبوا إلى مصر سيتبعهم السيف، أما هنا فيقول لهم أيضا أن سيف نبوخذراصر سيلاحقهم.

أولا: وقد جاءت النبوة هنا بعلامة. وهي أن يأخذ إرميا «حجارة كبيرة» ويطمرها «في الملاط في الملبن الذي عند باب بيت فرعون» (ع ٩). وعليه أن يفعل ذلك «أمام رجال يهود»، اليهود الذين أرسلوا إليهم، بأنه، نظرا لعدم استطاعته الحيلولة دون ذهابهم إلى مصر، عليه أن يحملهم على الندم لذهابهم إلى هناك.

ثانيا: جاءت النبوة متضمنة:

(١) أن ملك بابل الحالي، نبوخذراصر، سيأتي بنفسه ضد أرض مصر، ويضع «كرسيه» في نفس هذا المكان الذي طمرت فيه «الحجارة» (ع ١٠). وقد جاءت النبوة على هذا الخصوص حتى إنه بعد أن تتم على هذا النحو يترسخ اعتقادهم في يقينية علم الله المسبق، الذي تثبته أقل الأحداث. وقد دعى الله نبوخذراصر عبده، لأنه هنا يتمم مشيئة الله.

(٢) إنه سيدمر الكثيرين من المصريين، ويجعلهم جميعا قيد رحمته (ع ١١): «ويأتي ويضرب أرض مصر» ويقتل من يقتل. ومن يرغب سيبقي على حياته ويأخذه «للسبي».

(٣) سيدمر آلهة مصر، وهياكلها وأنصابها (ع ١٢): «ويحرق بيوت آلهة مصر بالنار»، وبيت شمس، وقد سميت هكذا على اسم معبد بُني هناك للشمس. وسوف يدمر الأنصاب (ع ١٣). وكان ملك بابل نفسه من أكبر عبدة الأوثان، وكانت معابده وأنصابه تكرم الشمس. ومع ذلك استخدمه الله ليدمر آلهة مصر.

(٤) سيقيم من نفسه سيدا للأرض. «ويلبس أرض مصر كما يلبس الراعي رداءه»، يلبس خيراتها كزينة أو درع، وعلى الرغم من أن هذه ستكون غنيمة ثقيلة إلا أنه يمضي بها بكل سهولة «كما يلبس الراعي رداءه»، حينما يذهب لإخراج غنمه في الصباح. ولن

يستفيد من نهب أرض مصر بأكثر مما يفيد الراعي من ردائه. وسوف «يخرج من هناك بسلام» ودون أدنى مضايقات وسوف تهزم أرض مصر على هذا النحو من السهولة. وخراب مصر هذا على يد ملك بابل تم التنبؤ به في حزقيال ٢٩: ١٩؛ ٣٠: ١٠.

الأصحاح الرابع والأربعون

أولا: عظة تنشيطية ألقاها إرميا على اليهود في مصر ليوبخهم على ممارساتهم الوثنية (ع ١ – ١٤).

ثانيا: ازدراء الشعب بنصيحته وإصرارهم على المضي قدما في وثنيتهم على الرغم من نصائح الله وإرميا لهم (ع ١٥ – ١٩).

ثالثا: الحكم الذي صدر عليهم بأن يقطعوا ويهلكوا جميعا في مصر باستثناء عدد قليل جدا، وكعلامة أو ضمان لهذا، سيقع ملك مصر قريبا في يد ملك بابل ولن يصبح قادرا بعد على حمايتهم (ع ٢٠ – ٣٠).

عدد ١ – ١٤

تشتت اليهود في مصر إلى أجزاء عديدة من البلاد: في مجدل وفي تحفنحيس وفي نوف، وفي أماكن أخرى، وأرسل إرميا إليهم في مهمة كلفه الله بها (ع ١٥).

أولا: ذكرهم الله بخراب كل من يهوذا وأورشليم والذي يبدو أن الهاربين في مدن مصر قد نسوه (ع ٢): «أنتم رأيتم» الحالة التي يرثى لها، والتي أصبحت عليها يهوذا وأورشليم، عليكم التأمل في سبب هذا الخراب؟ إنه من غضب الله، ذلك أنه نتيجة غيظه وغضبه أن «مدن يهوذا... وشوارع أورشليم صارت خربة مقفرة» (ع ٦).

ثانيا: يذكرهم بالخطايا التي جلبت هذا الخراب على يهوذا وأورشليم. كان ذلك «من أجل شرهم الذي فعلوه» (ع ٣)، حيث كانوا يعبدون آلهة غريبة، بدلا من الإله الحقيقي وحده. تركوا الإله الذي كان معروفا بينهم: ليس هم «ولا أنتم ولا آباؤكم» يمكن أن يقدموا سببا منطقيا يبرر استبدالكم «إله إسرائيل» بهذه الآلهة الزائفة.

ثالثا: ذكرهم بالتحذيرات المتكررة الواضحة التي وجهها لهم بألا يعبدوا آلهة أخرى (ع ٤). فقد أرسل «الأنبياء» بكل اهتمام ليقولوا لكم: «لا تفعلوا أمر هذا الرجس الذي أبغضته». يليق بنا أن نحذر من خطر الخطية: «لا تفعلوا...» إذا كنتم تحبون نفوسكم لا تفعلوا، لأنها تدمرها. وإذا كان الله يبغضها، إذا يجب عليكم أن تبغضوها أنتم أيضا. ولكنهم: «فلم يسمعوا ولا أمالوا أذنهم» (ع ٥). وقد قصد بهذا كتحذير لكم، أنتم الذين لم تسمعوا الدينونات من فم الله فقط، كما كان الحال بالنسبة لهم، بل رأيتم أيضا العقوبات التي تنفذها يده.

رابعا: وبخهم بسبب استمرارهم في ممارساتهم الوثنية (ع ٨): «تبخرون لآلهة أخرى في أرض مصر». لقد ذهبوا إلى مصر ضد مشورة الله، وحين نلقي بأنفسنا في أماكن التجربة، فإنه من حق الله أن يتركنا لأنفسنا. لقد أضروا بأنفسهم وبعائلاتهم ضررا بالغا: «أنتم فاعلون شرا عظيما ضد أنفسكم» (ع ٧). وهذا هو أسهل طريق لحرمان أنفسهم من كل تعزية ورجاء (ع ٨)، تقضون على اسمكم وكرامتكم، ومن ثم بواسطة خطيتكم وبليتكم تصيرون «لعنة وعارا بين كل أمم الأرض». لقد ملأوا كيل إثم آبائهم وأضافوا إليه (ع ٩): «هل نسيتم شرور آبائكم» أو العقوبات التي نزلت بآبائكم (حسبما يترجمها البعض). وقد ذكرهم بالخطايا والعقوبات الخاصة «بملوك يهوذا وشرور نسائهم»، الذين أغروهم إلى الأوثان. وفي الأصل «وزوجاته» والتي ربما تشير ضمنا إلى زوجات سليمان، ولا سيما زوجاته المصريات. هل نسيتم «شروركم وشرور نسائكم» حينما كنتم تعيشون في ازدهار في أورشليم، والخراب الذي جرته عليكم هذه الشرور؟

خامسا: هدد بخرابهم الشامل بسبب إصرارهم على ممارساتهم الوثنية وهم في مصر. سوف يهلكون هناك. وأولئك الذين لا يفكرون في إهانة الرب إله الجنود فقط، بل ومواجهته أيضا، سوف يجدون أنهم جلبوا على أنفسهم الضيقات. فلن يموتوا ميتة طبيعية كما حدث بالنسبة لإسرائيل في البرية، بل نتيجة عقوبات صارمة. وليس أحد (باستثناء قلة قليلة) يرجع «إلى أرض يهوذا» ثانية (ع ١٤). والذين تجدهم ساخطين متذمرين دائما ما يكونون قلقين مغرمين بالتغيير أينما كانوا. حينما كان الإسرائيليون

في أرض يهوذا تملكتهم الرغبة في الذهاب إلى مصر (إر ٤٢: ٢٢)، غير أنهم حين كانوا في مصر، كانوا «يشتاقون إلى الرجوع» إلى أرض يهوذا، الأمر الذي يفيد لهفتهم إلى ذلك.

عدد ١٥ - ١٩

رفض الشعب بعناد الخضوع لقوة كلمة الله في فم إرميا.

أولا: الأشخاص الذين تحدوا الله وأحكامه على هذا النحو، لم يكونوا يدركون أنهم أو نساؤهم مهتمون بالوثنية التي كان إرميا يوبخهم بشأنها (ع ٥١). وكانت النساء مهتمات بالوثنية والخرافات أكثر من الرجال، وليس ذلك مرده أن الرجال كانوا أكثر منهن التصاقا بالله، بل لأنهم كانوا على وجه العموم ملحدين، لا يعرفون الله وليست لهم ديانة على الإطلاق، ولذلك كان من السهل عليهم السماح لزوجاتهم بالانتماءِ لديانة زائفة. والشعور بالإثم هو الذي جعلهم لا يحتملون التوبيخ: «عرفوا أن نساءهم يبخرن لآلهة أخرى»، وأنهم كانوا يؤيدونهن في ذلك، «وكل النساء الواقفات» كن يعرفن أنهم شاركوهن في عادات وثنية، ولذلك فإن ما قاله إرميا لمس فيهم جرحا عميقا.

ثانيا: الإجابة التي رد بها هؤلاء الأشخاص على إرميا ومن خلاله على الله.

(١) أعلنوا عن قرارهم بألا يعملوا بحسب ما أمر الله، بل ما يحلو لهم هم أنفسهم، بمعنى أنهم سيعبدون القمر الذي سمي هنا «ملكة السماوات». البعض يقولون إن المقصود هنا هو الشمس، التي كانت تعبد على نطاق أوسع في مصر (إر ٤٣: ١٣)، وهكذا كان الحال في أورشليم (٢مل ٢٣: ١١). آخرون قالوا إن المقصود هو «جند السماء»، أو الأجرام السمائية (إر ٧: ١٨). أولئك الخطاة المتبجحون لا يلجأون لاختلاق الأعذار لرفضهم، ولا يدعون أن إرميا يتحدث من تلقاء نفسه وليس من الله (كما حدث في السابق، إر ٤٣: ٢)، بل يقولون بكل صراحة: «إننا لا نسمع لك»، سوف نعمل ما هو ممنوع ونخاطر بما تهدد به. أولئك الذين يعيشون في عصيان الله ينتقلون من سيىء إلى أسوأ، ويتقسى القلب أكثر فأكثر نتيجة «غرور الخطية».

كثيرون يعتقدون أن هذا ما سيكون عليه حال الشاب في أيام شبابه، حيث يريد أن يقتني ويعمل كل ما يخطر على فكره (جا ١١: ٩).

(٢) قدموا بعض الأسباب التي حملتهم على قرارهم. واستندوا إلى ما حدث في القدم. نحن مصرون على أن نبخر «لملكة السماوات... كما فعلنا نحن وآباؤنا». واستندوا إلى ما فعله رؤساؤهم. ذلك أن من كانوا في مواقع السلطة مارسوا ذلك بأنفسهم ودعوا الآخرين إلى ذلك: «ملوكنا ورؤساؤنا» فعلوا ذلك، وهم الذين ولّاهم الله علينا، وكانوا من نسل داود. كما دافعوا بالوحدة. نحن جميعا برأي واحد، نحن «محفل كبير» (ع ١٥) وعملنا ذلك. وتذرعوا بالشمولية. لقد كان ذلك يتم «في أرض يهوذا». كما احتجوا بالعلانية، فلم يكن ذلك يتم في الأيكات المظللة المظلمة فقط، بل «في شوارع» علانية. وتعللوا بأن ذلك كان يُعمل في «أورشليم». واستندوا إلى الازدهار: وفيما كنا نفعل ذلك «شبعنا خبزا» ومن كل الأشياء الطيبة، «وكنا بخير ولم نر شرا». ولكن، ولو افترضنا أن كل ما قالوه كان صحيحا، فإن هذا لا يبرر وثنيتهم، والذي يجب أن يحكمنا هو ناموس الله وليست ممارسات الناس. ادعوا أن الدينونات التي حلت بهم كان مردها أنهم كفوا «عن التبخير لملكة السماوات» (ع ١٨). وهكذا فإنه في العصور الأولى للمسيحية، حين كان الله يؤدب الأمم بأية كوارث عامة لمقاومتهم المسيحيين واضطهادهم، كانوا يرجعون السبب إلى عكس الواقع، كما لو أن هذه الكوارث قد أرسلت لتعاقبهم لتساهلهم مع المسيحيين والتسامح معهم، ولذلك صرخوا قائلين: ألقوا بالمسيحيين للأسود. وقد احتجوا بأنه على الرغم من أن النساء كن نشيطات في ممارستهن الوثنية، إلا أنهن كن يفعلن ذلك بموافقة أزواجهن، وكانت النساء منهمكات يصنعن «كعكا» كتقدمات «لملكة السماوات»، «لنعبدها ونسكب لها السكائب» (ع ١٩). البعض يأخذ هذا على أنه ما قاله الأزواج (ع ١٥)، غير أنه بالنظر إلى أن «صنع الكعك» وسكب «السكائب» ذكر على أنه عمل النساء (إر ٧: ١٨)، فيجب أن يفهم بالأحرى أنه العذر الذي التمسنه.

عدد ٢٠ - ٣٠

أولا: كان لدى إرميا ما يقوله لهم من تلقاء نفسه. لقد قالوا إن هذه المآسي حلت بهم لأنهم كفوا «عن التبخير لملكة السماوات». ولكنه يقول لهم كلا، إن السبب يرجع إلى أنه سبق لهم أن عملوا ذلك، وليس لأنهم توقفوا الآن عن عمله. فلقد أوقدوا بخورا هم وآباؤهم لآلهة أخرى، وأمضوا بالفعل مدة طويلة دون عقاب، ولكن ذلك مرده أن الله صبور طويل الأناة، ولعلهم قالوا أثناء يوم صبره «كنا بخير ولم نر شرا»، ولكنهم في النهاية زادوا في إغاظتهم الله «ولم يستطع الرب أن يحتمل بعد» (ع ٢٢)، وعند هذه النقطة البعض منهم انصلح ولو قليلا. غير أن ميولهم الفاسدة القديمة إذ كانت لا تزال قائمة، فقد تذكر الله ضدهم الممارسات الوثنية لآبائهم وملوكهم ورؤسائهم في شوارع أورشليم، الأمر الذي كانوا يعتزون به (ع ٢١). وكل «الرجاسات» التي فعلوا أخذها الله في الاعتبار لإدانتهم عليها، ومن أجل ذلك «صارت أرضكم خربة ودهشا ولعنة... كهذا اليوم» (ع ٢٢)، ومن أجل شرورهم القديمة «قد أصابكم هذا الشر كهذا اليوم» (ع ٢٣).

ثانيا: كان لدى إرميا ما يقوله لهم من قبل «رب الجنود إله إسرائيل» ولاسيما بالنسبة للنساء. لقد أعطوا جوابهم، ليسمعوا الآن الرد الذي تكلم به الله (ع ٢٤).

(١) بالنظر إلى أنهم كانوا مصممين للغاية على الاستمرار في وثنيتهم، فسوف يواصل عقابهم. وقد كرر الله ما سبق أن قاله (ع ٢٥): «أنتم ونساؤكم اتفقتم بعناد على هذا الأمر: «تكلمتم بفمكم وأكملتم بأياديكم قائلين: إننا إنمَّا نتمم نذورنا التي نذرناها أن نبخر لملكة السماوات». كما لو أنه، على الرغم من أن ذلك خطية، إلا إنه بالنظر إلى أنهم نذروا أن يفعلوا ذلك فإن هذا يعد مبررا كافيا لقيامهم بهذا العمل، في حين أن ما من إنسان يمكن أن يضفي المشروعية على هذا العمل بناء على نذره أو قسمه، فما بالك إذا كان هذا العمل سبق أن بين الله أنه خطية. لقد حلف الرب أن ما تبقى لديهم من جزء بسيط من التدين سوف ينتهي (ع ٢٦). وعلى الرغم من أنهم شاركوا المصريين وثنيتهم، إلا أنهم استمروا يذكرون اسم الرب ولاسيما عندما يحلفون، فقد كانوا يقولون «حي السيد الرب»، هكذا اعترفوا به، فعلى الرغم من عبادتهم لأوثان ميتة كانوا يحلفون «حي هو الرب» (إر ٥: ٢). غير أن الله يعلن أنه «لن يسمى بعد بفم إنسان... في كل أرض مصر». ويا لبؤس أولئك الذين يتركهم الله لأنفسهم لدرجة أنهم ينسون ديانتهم تماما. أما الذين يجدهم الله خطاة غير تائبين فسيكون بالنسبة لهم قاضيا غير متسامح. قالوا إنهم سيرجعون إلى سابق عهدهم حين عادوا لعبادة «ملكة السماوات». ولكن الله قال إنهم بذلك سيجلبون على أنفسهم الهلاك.

(٢) قال لهم إن قليلين منهم هم الذين ينجون «من السيف ويرجعون... إلى أرض يهوذا» (ع ٢٨) وذلك بالمقارنة مع الأعداد الكبيرة التي ستعود من أرض البابليين.

(٣) أعطاهم علامة على أن جميع هذه التهديدات ستتم في مصر. «فرعون حفرع»، ملك مصر، سوف يسلم «ليد أعدائه وليد طالبي نفسه»، وذلك على يد رعاياه الثائرين (هكذا يقول البعض) بقيادة عماسيس الذي اغتصب عرشه- وبواسطة نبوخذراصر ملك بابل (هكذا يقول آخرون)، الذي غزا مملكته. الرأي الأول قال به هيرودتس، والأخير ذكره يوسيفوس. لقد انتظروا منه أكثر مما انتظروا من صدقيا ملك يهوذا، لأنه كان ملكا أكثر قوة. ولكن، يقول الله: «هأنذا ادفع... ليد أعدائه» كما دفعت صدقيا.

الأصحاح الخامس والأربعون

النبوة التي يتضمنها هذا الأصحاح تختص بباروخ فقط. وقد وردت هنا بعد قصة خراب أورشليم وتشتت اليهود، ولكنها أعلنت قبل ذلك بوقت طويل، في السنة الرابعة ليهوياقيم.

أولا: كيف تملك الرعب باروخ حين حلت به المتاعب لكتابته وقراءته دَرج إرميا (ع ١ - ٣).

ثانيا: كيف قُضي على مخاوفه بالوعد الخاص بحفظه (ع ٤ و٥).

WWW.DIFA3IAT.COM

عدد ١ – ٥

استخدم باروخ في كتابة نبوات إرميا وقراءتها (إر ٣٦)، وتم تهديده بسبب ذلك من قبل الملك. وقد هرب في حماية إلهية، وهذا الأصحاح يتابع هذه القصة.

أولا: الرعب الذي تملك باروخ المسكين حين سعى وراءه رسل الملك، وملاحظة الله لهذا الموضوع. كان باروخ شابا في مقتبل العمر يود أن يخدم الله ونبيه. ولكنه حين وجد أن هذا يعرضه للاحتقار صرخ قائلا: «لقد انتهيت»، سوف أقع في يد من يلاحقونني، ويلقى بي في السجن، ومن ثم ألقى الموت أو النفي: «الرب قد زاد حزنا على ألمي». بعد الحزن الذي انتابني نتيجة كتابة وقراءة النبوات الخاصة بخراب بلادي، تفاقم حزني لأني أعامل كمجرم لقيامي بهذا العمل: إنه حمل أثقل مما احتمل. «قد غشي علي في تنهدي ولم أجد راحة». من المألوف أن يُحبَط المبتدئون الصغار في الديانة نتيجة الصعاب القليلة التي تعترضهم في بداية خدمتهم الله. فقد جروا «مع المشاة» فأتعبوهم، وقد «أغشي» عليهم، بمجرد أن طلع «يوم الضيق»، وهذا دليل على أنه ضاقت قوتهم (أم ٢٤: ١٠)، وأن إيمانهم ضعيف. وكان يتعين على باروخ أن يفرح لأنه حسب مستحقا أن يتألم من أجل رسالة معزية كهذه، ومع مثل هذه الصحبة الصالحة، غير أنه عوض ذلك ينظر إلى إلهه وكأنه تعامل معه بقسوة.

ثانيا: انزعج إرميا إذ رآه على هذه الحالة من الألم، ولم يدر ماذا يقول له. كان عازفا عن أن يوبخه، وكان يود تعزيته، غير أن الله أخبره بما يجب أن يقوله له «هكذا تقول له» (ع ٤). إن شغفنا المبالغ فيه بالأمور الحسنة لهذا الوقت الراهن تجعلنا لا نصبر على الأشياء الشريرة. لقد بين له الله الآن أنه كان من خطأه وحماقته أنه كان يرغب فيضا من الثروة والمجد في هذا العالم. كانت السفينة تغرق، وكان الخراب مقبلا على الأمة اليهودية: «هأنذا أهدم ما بنيته»، ليكون لي بيتا، «وأقتلع ما غرسته» ليكون لي كرما، «وأقتلع... كل هذه الأرض»، العبادة اليهودية وكذلك الأمة اليهودية، «وأنت فهل تطلب لنفسك أمورا عظيمة؟» هل تتوقع أن تكون غنيا ومبجلا وشخصية عظيمة الآن؟ وهل تتوقع أن تكون عاليا في حين أن كل شيء قد انخفض؟

ثالثا: أعطاه الله أملا، بأنه على الرغم من أنه لن يكون عظيما إلا أنه سيحظى بالأمن: «هأنذا جالب شرا على كل ذي جسد»، على كل الأمم، ولكني «أعطيك نفسك غنيمة في كل المواضع التي تسير إليها». فسوف تهرب من مكان إلى مكان، وتتعرض للخطر، لكنك ستنجو، ولو أنك ستتعرض في كثير من الأحيان لخطر عظيم. ستفوز بحياتك، ولكنها ستكون فريسة تم الحصول عليها بصعوبة بالغة وبعد التعرض لخطر عظيم، ستخلص كما بنار.

الأصحاح السادس والأربعون

بدأت الدينونة في بيت الرب، ولكنها لم تنته هناك. وفي هذا الأصحاح وما يليه نجد نبوات عن خراب الأمم المجاورة، يلحق معظمها عليهم بواسطة ملك بابل، إلى أن يأتي في النهاية يوم حساب بابل نفسها. وقد جاءت النبوة التي ضد مصر أولا.

أولا: نبوة خاصة بهزيمة جيش فرعون نخو على يد القوات البابلية في كركميش (ع ١ – ١٢).

ثانيا: نبوة عن الهجوم الذي يشنه نبوخذراصر ضد أرض مصر، والذي تم بعد خراب أورشليم (ع ١٣ – ٢٦).

ثالثا: كلمة تعزية من الله لإسرائيل في خضم هذه الكوارث (ع ٢٧ و٢٨).

عدد ١ – ١١

العدد الأول عنوان هذا الجزء من السفر الذي يتناول الأمم المجاورة. إنها «كلمة الرب التي صارت إلى إرميا النبي عن الأمم» نجد في العهد القديم كلمة الرب ضد الأمم، أما في العهد الجديد نجد كلمة الله من أجل الأمم، ذلك أن البعيدين صاروا قريبين.

بدأ بمصر، لأنهم كانوا في القديم يقاومون إسرائيل، ومنذ عهد قريب قاموا بخداعهم. وهو يتنبأ في هذه الأعداد عن الإطاحة بجيش «فرعون نخو» على يد نبوخذراصر «في السنة الرابعة ليهوياقيم». وهذه الهزيمة (كما نجد في ٢ ملوك ٢٤: ٧) كلفته كثيرا بسبب حملته ضد ملك أشور قبل ذلك بأربع سنوات، حيث قتل يوشيا (٢مل ٢٣: ٢٩). وقد

تم التنبؤ بهذا الحدث هنا بعبارات تدل على النصرة والفرحة حيث تكلم عنه إرميا بسرور لأن موت يوشيا تم الانتقام له الآن بموت فرعون نخو.

أولا: انتقد المصريون للاستعدادات القوية التي يعملونها من أجل هذه الحملة، التي تحداهم فيها النبي أن يعملوا أقصى ما في وسعهم: «أعدوا المجن والترس وتقدموا للحرب» (ع ٣). كانت مصر شهيرة بالخيل- «أسرجوا الخيل واصعدوا أيها الفرسان وانتصبوا بالخوذ»... الخ (ع ٤). وقد شبه هذه الحملة بفيضان النيل (ع ٧ و٨): «تصعد مصر... كأنهار تتلاطم»، تهدد بأن تغرق كل الأراضي المجاورة. لقد كان جيشا رهيبا. والنبي يستدعيهم (ع ٩): «اصعدي أيتها الخيل وهيجي أيتها المركبات». وتحداهم أن يخرجوا كل قواتهم المتحدة معا: أبطال «كوش» المنحدرون من نفس السلالة كالمصريين (تك ١٠ : ٦)، وكانوا جيرانهم وحلفاءهم، وأبطال «فوط»، و«اللوديون»، وكلاهما من أفريقيا غربي مصر، ومنهم جلب المصريون قواتهم الإضافية. ولكن كل هذه الاستعدادات ستذهب سدى وسوف يلقون هزيمة نكراء مهينة، لأن الله سيحارب ضدهم (أم ٢١: ٣٠ و٣١).

ثانيا: وبخوا بالنسبة لتوقعاتهم العظيمة لهذه الحملة. كانوا يعرفون أفكارهم، وكان الله يعرفها: «وهم لا يعرفون أفكار الرب ولا يفهمون قصده أنه قد جمعهم كحزم إلى البيدر» (مي ٤: ١١ و١٢). وتقول مصر (ع ٨): «أصعد وأغطي الأرض (لن يقف أحد أمامي)، أهلك المدينة»، أية مدينة تقف في طريقي مهما كانت. ومثلما قال فرعون قديما: أتبعهم وأدركهم. غير أن الله يقول إن ذلك سيكون يومه: «فهذا اليوم للسيد رب الجنود» (ع ١٠)، الذي سيتمجد فيه بهزيمة المصريين.

ثالثا: وبخوا بجبنهم (ع ٥ و٦): «لماذا أراهم...»، على الرغم من كل هذه الاستعدادات القوية والعظيمة، وحين واجههم الجيش البابلي «أراهم مرتعبين ومدبرين إلى الوراء»، وحتى «أبطالهم» خروا جميعا وهم مرتبكون، لم يجدوا وقتا ولا جرأة لكي «يلتفتوا» بل كان «الخوف حواليهم». لم يتمكنوا من الهرب. «في الشمال... عثروا وسقطوا» في بلاد أعدائهم، ذلك أنه من كثرة ارتباكهم فإنه بدلا من انسحابهم كانوا يتقدمون في أراضي العدو وهم لا يدرون.

رابعا: وبخوا لعجزهم حيث لم تقم لهم قائمة بعد هذه الضربة القاضية (ع ١١ و١٢). و«عذراء بنت مصر» التي كانت تعيش في أبهة وعظمة لحقها جرح قاس نتيجة هذه الهزيمة. لتبحث الآن عن بلسان في جلعاد، لتستعمل كل الأدوية التي يصفها لها حكماؤها لإصلاح الخسارة التي نجمت عن الهزيمة، لأنه لن ينفعها شيء: «باطلا تكثرين العقاقير. لا رفادة لك»، ولن يتمكنوا بعد ذلك أبدا من الدفع بجيش قوي كهذا إلى ميدان المعركة: «الأمم» التي كانت تتغنى بمجدك وقوتك ستسمع الآن «بخزيك»، كيف كانت مهانة هزيمتك ومدى الضعف الذي أصابك نتيجة لها. «ملأ الأرض عويلك»، هكذا تملكت منهم الفوضى والارتباك.

عدد ١٢ - ٢٨

أولا: نبوة عن الفوضى والرعب اللذان يجتاحان مصر. تحقيق النبوة التي جاءت في الجزء السابق من الأصحاح ترك المصريين عاجزين عن القيام بأية محاولات ضد أمم أخرى. ولكنهم ظلوا أقوياء في الداخل، ولم يجرؤ أحد من جيرانهم على تهديدهم. أما لب النبوة هنا فينصب على «مجيء نبوخذراصر ملك بابل ليضرب أرض مصر» (ع ١٣). وقد تحقق هذا بنفس اليد التي تحققت بواسطتها النبوة السابقة، ألا وهي يد نبوخذراصر، ولو أن ذلك جاء بعد عدة سنوات.

(١) أعطي الإنذار في مصر (ع ١٤)، العدو يقترب، «السيف يأكل» البلدان المجاورة، وحان الوقت ليستعد المصريون ليقدموا للعدو استقبالا حارا. ويجب إعلان هذا في جميع أنحاء مصر، ولا سيما في «مجدل» و«نوف» و«تحفنحيس»، لأن اللاجئين اليهود تمركزوا في هذه الأماكن، في تحد لأمر الله (إر ٤٤ : ١). دعهم يسمعون كيف أن مصر ستصبح ملاذا تعيسا بالنسبة لهم.

(٢) تم التنبؤ هنا بانسحاب قوات الأمم الأخرى التي استأجرها المصريون. كان البعض منها قد وضع على الحدود لحراستهم، حيث هزمهم الغزاة،

واضطروهم إلى الفرار. ثم «انطرح مقتدروك» (ع ١٥) كما من أمام «مطر جارف» (الكلمة المستخدمة في أمثال ٢٨ : ٣)، ولم يستطع أحد منهم أن يقاوم «لأن الرب قد طرحهم»، وقد طردهم بأن أعطى القدرة لجيش بابل على طردهم. وإذا شاء الله فإنه يكثر «العاثرين» حتى يسقط الواحد على صاحبه. أما «مستأجروها»، أي القوات التي استأجرتها مصر لخدمتها فكانوا حقا في وسطها «كعجول صيرة». كانوا رجالا أشداء، أقوياء البنية، وكان من المعتقد أن يقاتلوا بشدة أمام العدو، لكنهم «أيضا يرتدون»، وعوضا عن القتال «يهربون معا» لقد هربوا راجعين إلى بلادهم (ع ١٦)، وسوف يقولون: «قوموا فنرجع إلى شعبنا وإلى أرض ميلادنا من وجه السيف الصارم»، أي من أمام جيش البابليين الذي يجتاح كل ما يصادفه. وفي وقت الشدة، لا يجب الثقة كثيرا في قوات المرتزقة، الذين لا يحاربون إلا بغية الأجر فقط. لقد صاحوا صيحات الغضب ضد فرعون الذي نسبوا هزيمتهم إلى سوء إدارته. وحين قرروا أن يتمركزوا هناك على حدود بلاده من المحتمل أنه قال لهم إنه سيأتي بنفسه بجيش باسل لدعمهم، غير أنه خذلهم. وليس من عجب أنهم هربوا وهم يصيحون: «فرعون ملك مصر هالك» (ع ١٧)، «قد فات الميعاد»، لأنه لم يحترم كلمته.

(٣) وصفت القوة الرهيبة للجيش البابلي بأنه يجتاح كل ما يصادفه. أما ملك الملوك «رب الجنود اسمه» فقال: «حي أنا يقول الملك...» كما أن «كتابور بين الجبال، وككرمل عند البحر»، هكذا سيقضي ملك بابل على كل قوات مصر (ع ١٨). لأنه هو وجيشه يجيئون إليها «بالفؤوس كمحتطبي حطب» (ع ٢٢)، وسوف يعجز المصريون عن مقاومتهم كما تعجز الشجرة عن مقاومة الرجل الذي يأتيها بفأسه ليقتطعها.

(٤) التنبؤ بدمار مصر، والخراب الذي يحل بأراضيها الخصبة. شبهت مصر الآن بأنها «عِجلة حسنة جدا» (ع ٢٠)، سمينة قوية، لم تتعود على نير الخضوع، لعوب كعجلة أطعمت جيدا. والبعض يعتقد أن هذا العدد يشير إلى «أبيس» العجل الذي كان المصريون يعبدونه، والذين تعلم بنو إسرائيل منهم أن يعبدوا العجل الذهبي. مصر جميلة كإلهة، ولكن «الهلاك جاء»، (الممزق جاء، كما يترجمها البعض)، «من الشمال جاء»، من هناك سيأتي جنود بابل لكي يذبحوا ويمزقوا هذه العِجلة الحسناء. «قد أخزيت بنت مصر» (ع ٢٤)، وستأخذها الدهشة. وصوت مصر «يمشي كحية» أي أنها ستخضع وتذل. بل ولن يتجرأوا على الشكوى من قساوة الغزاة، بل يتجرعون أحزانهم متذمرين في صمت. لن يردوا الآن بخشونة لأن المسكين يستعطف ويتوسل من أجل حياته. وسوف يؤخذون إلى السبي في أرض أعدائهم (ع ١٩)، «اصنعي لنفسك أهبة جلاء أيتها البنت الساكنة مصر»، استعدي للسبي بعد أن كنت تعيشين آمنة وفي ترف في مصر، واحزمي حاجياتك، واستبدليها بثياب بسيطة لتدفئك، عودي نفسك على تحمل الصعاب، حتى تتحملي قسوة السبي. وعلى المصريين أن يستعدوا للهرب، لأن مدنهم سوف تخلى من سكانها. «ونوف» على وجه الخصوص «تصير خربة وتحرق فلا ساكن» وعلى الرغم من أنهم متماسكين، لكنهم لن يهربوا، ولن يفكروا في الانضمام إلى الجماهير. وسوف يسقط فرعون وكل «المتوكلين عليه» (ع ٢٥). ولاسيما اليهود الذين جاءوا للإقامة في بلاده، والذين اتكلوا عليه بدلا من الاتكال على الله. كل هؤلاء سوف يدفعون «ليد شعب الشمال» (ع ٢٤).

(٥) أعطيت إشارة إلى أنه بمرور الزمن سوف تعود مصر إلى سابق عهدها (ع ٢٦): «بعد ذلك تُسكن».

ثانيا: ذكرت هنا كلمة تعزية وسلام لشعب الله (ع ٢٧ و٢٨). ولعلها تشير إلى المسبيين في بابل، الذين يحتفظ لهم الله برحمة، أو لعلها تشير بصفة عامة إلى شعب الله كافة، ويقصد بها تشجيعهم في أشد الأوقات صعوبة، حين تكون دينونات الله قد أخذت مجراها بين الشعوب. ليرتعد أشرار الأرض، «وأنت فلا تخف يا عبدي يعقوب ولا ترتعب يا إسرائيل». ومرة ثانية «يا عبدي يعقوب فلا تخف». ولا يريد الله لشعبه أن يكون جبانا. وسوف يوجد شعب الله ويجمع حتى وإن كانوا بعيدين جدا. «أما الأشرار فكالبحر المضطرب لأنه لا يستطيع أن يهدأ»، يهربون مع أنه لا يتعقبهم أحد. أما يعقوب، فإذ هو في الله فإنه «يطمئن ويستريح ولا مخيف»، لأنه لا يخاف مادام له إله يتكل عليه. ولكل أمة زمانها، غير

أن كنيسة الإنجيل، شعب الله الروحي، سوف تبقى إلى نهاية الزمن.

الأصحاح السابع والأربعون

هذا الأصحاح يعرف الفلسطينيين مصيرهم، كما أن السابق فعل نفس الشيء بالنسبة للمصريين، وبنفس الشخص، أي على يد نبوخذراصر. إنه أصحاح موجز، لكنه رهيب، وسوف يشاركهم خرابهم صور وصيدون:

أولا: تقول النبوة إن قوات ستأتي من الشمال (ع ١ – ٥).

ثانيا: وسوف تستمر الحرب طويلا، وسوف تفشل كل محاولاتهم لوضع حد لها (ع ٦ – ٧).

عدد ١ – ٧

كما أثبت المصريون في مرات عديدة أنهم أصدقاء زائفون، هكذا كان الفلسطينيون دائما أعداء ألداء لشعب الله، وكانوا أكثر خطورة، لأنهم كانوا أقرب جيرانهم. وكانوا قد أُذلوا في عهد داود، غير أنه يبدو أنهم قد عادوا وحققوا ثانية بعض النجاحات إلى أن قضى عليهم نبوخذراصر هم وجيرانهم، وهو الحدث الذي تتناوله هذه النبوة. وكان تاريخ هذه النبوة «قبل ضرب فرعون غزة». أما متى وجه ملك مصر هذه الضربة إلى غزة، فهذا أمر غير مؤكد، غير أن كلمة الرب هذه صارت إلى إرميا ضد الفلسطينيين حين لم يكونوا يواجهون أي خطر من أي عدو، ومع ذلك، وفي هذه الفترة بالذات تنبأ إرميا بخرابهم. وتضمنت هذه النبوة ما يأتي:

(١) سيقوم عليهم عدو من دولة غريبة «ها مياه تصعد من الشمال» (ع ٢). والآن ستأتي عاصفة قوية من مناخ بارد. سوف يجتاح الجيش البابلي الأرض مثل الطوفان.

(٢) سيكونون جميعا في رعب نتيجة ذلك. ولن يكون الرجال في حالة تسمح لهم بالقتال: «ويولول كل سكان الأرض»، ولذلك لن تسمع في جميع الأنحاء سوى أصوات النحيب. وقبل أن تبدأ عمليات القتل والاغتيال، فإن صوت «صرير مركباته وصريف بكراتهم» سوف يبث الرعب فيهم إلى درجة أن الآباء من فرط فزعهم سيبيدون وكأنهم فقدوا المحبة الطبيعية. «لا تلتفت الآباء إلى البنين» ليعملوا من أجل سلامتهم.

(٣) سوف تنهب بلاد الفلسطينيين وتخرب (ع ٤). كانت صور وصيدون من المدن الحصينة الثرية، واعتادوا أن يساعدوا الفلسطينيين أثناء المحن، أما الآن فسوف يشملهم الخراب العام، وسوف يقطع الله منهم «كل بقية تعين». أما من هم «بقية جزيرة كفتور» فهذا أمر غير معروف. وكفتور من أقارب الفلسطينيين المقربين (تك ١٠: ١٤) ومن المحتمل أنه بعد أن خربت بلادهم فإن البقية منهم أقاموا مع الفلسطينيين أقاربهم. وقد ذكرت هنا بعض الأماكن المعينة، قبل غزة وأشقلون (ع ٥). وهم من «الصلع» وقد جردهم الغزاة من كل حليهم وزينتهم، وتم هلاكهم. ويسألهم النبي أولا برقته المألوفة (ع ٥): «حتى متى تخمشين نفسك»، مثلما يفعل من هم في حزن وألم بالغين؟ ولكنه ينتقل من النتيجة إلى العلة: «تخمشين نفسك»، لأن سيف الرب يخمشهم «آه يا سيف الرب حتى متى لا تستريح؟» وهو يرجوه قائلا: «انضم إلى غمدك». وهذا ما يعبر عن لهفة النبي لرؤية نهاية للحرب، حيث كان ينظر بعطف حتى على الفلسطينيين أنفسهم. ومع ذلك فهو يخرس لسان شكاواه (ع ٧): «كيف يستريح والرب قد أوصاه» على مثل هذه الأماكن. وحين يسحب السيف من غمده ليس لنا أن نتوقع أن يعاد إلى مكانه قبل أن ينهي مهمته. ومثل كلمة الله، هكذا أيضا قضيبه وسيفه، لا يرتد كل منهما إلا بعد أن يؤدي الغرض الذي أرسل من أجله.

الأصحاح الثامن والأربعون

تحققت نبوات إشعياء بخصوص موآب (النبوات في الأصحاحين ١٥ و١٦ من سفر إشعياء، وكذلك في عاموس ٢: ١) وقد تحققت حين قام الأشوريون بقيادة شلمنأسر بغزو موآب وتخريبها. أما النبوة التي نحن بصددها الآن فتخص خراب موآب على يد جيش بابل، الأمر الذي تحقق بقيادة نبوزرادان، بعد أن خرب أورشليم بخمس سنوات تقريبا.

أولا: التنبؤ بالخراب (ع ١ – ٦، ٨) ومرة ثانية (ع

WWW.DIFAIAT.COM

٢١، ٢٥، ٣٤) بأن المخربين سينقضون عليهم ويجبرون البعض على الفرار (ع ٩)، كما يأخذون الكثيرين إلى السبي (ع ١٢، ٤٦)، وأن العدو سيأتي قريبا (ع ١٦)، وسوف يأتي بسرعة ويباغتهم (ع ٤٠ و٤١) وأنه سينجز عمله على أتم وجه (ع ١٠)، ويخرب الريف (ع ١٤ و١٥)، وأنه لن يتمكن أحد من النجاة (ع ٤٢، ٤٥) وأن هذا يجب أن يحملهم على ترك أوثانهم (ع ١٣، ٣٥)، ويضع خاتمة لكل أفراحهم (ع ٣٣ و٣٤)، وأن جيرانهم سيرثون لهم (ع ١٧ – ١٩)، وهكذا يفعل أيضا النبي نفسه (ع ٣١، ٣٦ – ٤٧).

ثانيا: أشير إلى أسباب هذا الخراب، وكان ذلك لتكبرهم، وإفراطهم في الشعور بالأمن، واعتادهم على البشر (ع ٧، ١١، ١٤، ٢٩)، واحتقارهم الله وشعبه (ع ٢٦، ٢٧، ٣٠).

ثالثا: وعد بإعادة موآب إلى سابق عهدها (ع ٤٧).

عدد ١ – ١٣

أولا: الذي يجلب هذا الخراب على موآب هو «رب الجنود إله إسرائيل» (ع ١)، وهو يدافع بهذا عن قضية إسرائيل شعبه ضد شعب كان دائما يضايقهم، وسوف يعاقبهم الآن للأذى الذي ألحقوه بإسرائيل قديما.

ثانيا: أداة تنفيذ ذلك: «ويأتي المهلك» (ع ٨)، وسوف يأتي بسيف، «سيف» وراءهم (ع ٢): «وأرسل إليه مصغين فيصغونه ويفرغون آنيته». هؤلاء المخربون «في حشبون فكروا عليها شرا»، وهي إحدى مدن موآب الرئيسية، وهم يستهدفون دمار المملكة: «هلم فنقرضها من أن تكون أمة» (ع ٢). والنبي – باسم الله – يشجعهم على أن يتموا ذلك على الوجه الأكمل (ع ١٠): «ملعون من يعمل عمل الرب برخاء».

ثالثا: عواقب هذا الخراب: ستصبح المدن حطاما «قد خربت» (ع ١) وتقطع (ع ٢)، مهجورة (ع ٩): «بلا ساكن». سيخرب الريف أيضا، «فيبيد الوطاء ويهلك السهل» (ع ٨). فالزرع والقطعان التي تغطي السهول عادة، وتفرح الوديان، سوف تُدمر كلها، تؤكل، وتداس بالأقدام، أو تحمل بعيدا. ويؤخذ إلى السبي «كهنته ورؤساؤه معا». أما «كموش» الإله الذي يعبدونه سوف يهلك معهم. سوف تحرق معابده وتصبح رمادا وتحمل تماثيله بعيدا ضمن بقية السبي. وسوف ينجم عن ذلك خزي وارتباك: «وأخذت قريتايم» وكذلك سيكون حال الحصن. «زال فخر موآب بالنسبة لحشبون» (هكذا يمكن ترجمتها، ع ٢). بل ولن يفتخروا بعد بآلهتهم (ع ١٣): «فتخجل موآب من كموش كما خجل بيت إسرائيل من بيت إيل»، من العجل الذهبي الذي وضعوه في بيت إيل، لأنه لم يستطع أن ينقذهم من الأشوريين، بل ولن يستطيع كموش أن ينقذ الموآبيين من جيش بابل. اصعدوا إلى التلال، انزلوا إلى الوديان، وسوف تقابلون «بكاء على بكاء»، الجميع يبكون، لن تقابلوا أحدا عينه خالية من الدموع. سوف يصرخ كل منهم للآخر: «اهربوا نجوا أنفسكم» (ع ٦)، تحركوا من أجل سلامتكم، على الرغم من أن هروبكم عار «كعرعر في البرية». اتخذوا ملاذا، حتى لو كان في صحراء مجدبة. فسوف يأتي الخطر فجأة وبسرعة.

رابعا: سوف يحاسب الله الآن موآب، لأنهم اتكلوا على أنفسهم وثرواتهم وقوتهم «على أعمالك وعلى خزائنك» (ع ٧): «اتكل على كثرة غناه واعتز بفساده» (مز ٥٢: ٧). لقد ظلوا طويلا لا يزعجهم أحد: «مستريح موآب منذ صباه»، كانت مملكة قديمة، كانت موجودة قبل إسرائيل، وتمتعت بهدوء عظيم على الرغم من أنها كانت مملكة صغيرة. كانت مستقرة، ولم تذهب «إلى السبي»، ومع ذلك كانت موآب دولة شريرة تعبد الأوثان، وكانت من بين من تحالفوا ضد شعب الله «تشاوروا على أحميائك» (مز ٨٣: ٣). وظلوا على فسادهم وعدم قبولهم الإصلاح مدة طويلة: «مستقر على درديه» (كالخمر المستقر على عكره)، كانت مغرورة فاسقة في ازدهارها «بقي طَعمه فيه ورائحته لم تتغير»، فلم تتغير وظلت على شرها الذي عرفت به دائما.

عدد ١٤ – ٤٧

تم التنبؤ هنا أيضا عن الخراب ولكن بلغة مؤثرة، ولم يكن الهدف هنا هو إيقاظهم بتوبة قومية لمنع المتاعب، أو بتوبة شخصية للإعداد لها، بل لنتعظ نحن بالحالة المأساوية للحياة الإنسانية، وبقوة غضب الله على الشعب الذي يثيره.

أولا: الخراب الذي تم التهديد به هنا يأتي مفاجئا وعلى حين غرة. اعتقدوا أنهم «رجال قوة للحرب» ويستطيعون مواجهة أعتى الأعداء (ع ١٤)، ومع ذلك فالكارثة وشيكة، ولن يستطيعوا تجنبها. «ها هو يطير كنسر ويبسط جناحيه على موآب»، يبسط جناحي جيشه «على موآب»، حتى لا يستطيع أحد الهروب. «وأُمسكت الحصينات» في موآب (ع ٤١)، وبذلك لم تعد تنفعهم كل قوتهم. لأن الأمر يتطلب شجاعة غير عادية لمواجهة الخوف المفاجئ.

ثانيا: سيترك موآب كلها خرابا: «أهلكت موآب» (ع ١٥) ونهبت عن بكرة أبيها، «قد خزي موآب لأنه قد نقض» (ع ٢٠). لقد حرمت المملكة من كرامتها وسلطانها: «عضب قرن موآب»، قرن قوتها وقدرتها من الناحيتين الهجومية والدفاعية: «وتحطمت ذراعه»، حتى أنه أصبح عاجزا لا يستطيع أن يوجه لطمة، أو يمنعها (ع ٢٥). ولقد ذهب شباب المملكة إلى المعركة وقد منوا أنفسهم بالعودة منتصرين، ولكن الله أخبرهم أنهم «نزلوا للقتل». فالذين هم أعداء لشعب الله سرعان ما يتلاشون كشعب.

ثالثا: سيكون خرابا محزنا يحول الفرح إلى هم وغم. بل إن النبي نفسه حزن، لذلك يولول عليهم (ع ٣١)، ويبكي على «جفنة سبمة» (ع ٣٢)، ويصوت قلبه «لموآب كناي» (ع ٣٦)، ودمار الخطاة لا يسر الله، ولذلك يجب أن نتألم لذلك. وهذه الفقرات، وكثير غيرها في هذا الأصحاح، تماثل كثيرا فقرات إشعياء التي تتضمن نبواته ضد موآب (إش ١٥: ١)، لأنه، وعلى الرغم من الفترة الزمنية الطويلة التي تفصل بين هذه النبوة وبين نبوته، إلا أن الذي أملاهما هو نفس الروح. وسوف يحزن الموآبيون أنفسهم. أولئك الذين جلسوا في «المجد»، ينعمون بثرواتهم ومرحهم سوف يجلسون «في الظماء»، في أرض جافة، حيث لا ماء ولا راحة (ع ١٨). والموآبيون الذين في المناطق النائية من البلاد، سوف يسألون كل واحد من الهاربين: «ماذا حدث؟» (ع ١٩) وحين أخبروا أن كل شيء قد ضاع «ولولوا» من الألم الذي أصاب نفوسهم (ع ٢٠). «خلوا المدن»، «وسكنوا في الصخر»، حيث يتجرعون حزنهم حتى الثمالة، ولن يكونوا بعد طيورا مغنية، بل طيورا حزينة، «كحمامة» (ع ٢٨)، «كحمام الأوطئة» (حز ٧: ١٦). وما كان يبهج موآب عادة هو فاكهتها اللذيذة وفيض خمرها. واللذات الحسية كانت هي فقط مبعث فرحهم. لو أخذت منهم هذه، وأتلفت بساتينهم وكرومهم، بذلك تبطل «كل أفراحها» (هو ٢: ١١). وانتزع «الفرح والطرب من البستان ومن أرض موآب» (ع ٣٣). وأولئك الذين يتخذون من الملذات الحسية فرحهم الأساسي، وبما أن هذه الأشياء يمكن أن يحرموا منها بسهولة في وقت قصير، لذلك فإنهم يعرضون أنفسهم لسطوة أعظم الحزن، في حين أن الذين يفرحون في الله يمكنهم أن يفعلوا ذلك حتى حين «لا يزهر التين ولا يكون حمل في الكروم». لقد استدعي كل جيرانهم لمشاركتهم حزنهم، وليواسوهم في محنتهم (ع ١٧): «اندبوها يا جميع الذين حواليها». ليت لا ينتفخ أحد، أو يتكل على قوته أو جماله، لأن ليس فيهما ما يحميه من دينونات الله.

رابعا: سوف يكون خرابا مخزيا بحيث إنه سيعرضهم للاحتقار: «أسكروه» (أسكروا موآب، ع ٢٦).

خامسا: الخراب يشمل كل ما هو عزيز لديهم، ليس فقط فاكهتهم الصيفية وكرومهم، بل وثرواتهم أيضا (ع ٣٦): «الثروة التي اكتسبوها قد بادت». فالثروات مثل التراب، تتسرب من بين أصابعنا حتى وإن أمسكناها بكل قوة. ومع ذلك فإن هذا ليس أسوأ ما في الأمر، فحتى أولئك الذين كانوا يدينون بديانة زائفة كانوا مغرمين بالثروة أكثر من أي شيء آخر، ولذلك فإنه على الرغم من أنه كانت في الحقيقة وعدا، إلا أنها كانت بالنسبة لهم تهديدا (ع ٣٥)؛ حتى أن الله قال: «وأبطل من موآب يقول الرب من يصعد في مرتفعة»، لأن المرتفعات سوف تخرب، وحقول التقدمات سوف تتلف، بل إن الكهنة أنفسهم كل «من يبخر لآلهته» يؤخذ أيضا «إلى السبي» (ع ٧).

سادسا: كان خرابا عادلا، وقد استحقوه لأنهم جلبوه على أنفسهم بسبب خطاياهم.

(١) وأكبر خطية كانوا مشهورين بها بشكل فظيع هي الكبرياء. وقد ذكرت ست مرات (ع ٢٩): «قد

سمعنا بكبرياء موآب». لقد اتهموا بهذا في إشعياء ١٦: ٦، غير أنه تم التعبير عن هذه الخطية هنا بشكل أكثر تفصيلا مما جاء هناك. ولقد ورد هنا مثالان عن كبرياء موآب:

أ. تصرفوا بوقاحة تجاه الله. ويجب إذلالهم بالخزي (ع ٢٦) ذلك أن موآب «تعاظم على الرب». لقد فضل الموآبيون كموش على الرب يهوه، واعتقدوا أنهم ند لإله إسرائيل.

ب. لقد سلكت باحتقار تجاه إسرائيل، في متاعبهم الراهنة، ومن ثم ستقع موآب في نفس المتاعب، والسخرية لأن إسرائيل كانت «ضحكة» لهم (ع ٢٦ و٢٧). غير أن الموآبيين لم يدخروا جهدا في إعلان فرحهم، وكانوا يزهون بشعور النصرة على أي إسرائيلي يقابلونه في محنته ويضحكون عليه.

(٢) كانوا فضلا عن ذلك مشهورين بالحقد على شعب الله، وبالخيانة في معاملاتهم معهم (ع ٣٠). والأمة التي فرحوا لسقوطها، سوف ترجع إلى سابق عهدها. وما قيل عن الخطاة بصفة عامة (إش ٢٤: ١٧ و١٨) من ناحية «أن الهارب من صوت الرعب يسقط في الحفرة والصاعد من وسط الحفرة يؤخذ بالفخ» قد تم التنبؤ به هنا على نحو من التفصيل بالنسبة لخطاة موآب (ع ٤٤). والتشبيهات المجازية المستخدمة في آية ٤٤ شُرحت في مثال واحد (ع ٤٥): أولئك الذين هربوا من القرى خوفا من قوات العدو وضعوا أنفسهم «في ظل حشبون»، ووقفوا هناك، واعتقدوا أنهم في أمان، كما تفعل الجيوش الآن حين تتراجع أمام مدفعية مدينة محصنة، أما هنا فسوف يخيب ظنهم، لأن «الذين يصعدون» من الحفرة «يعلقون في الفخ»، وحشبون، التي اعتقدوا أنها تحميهم قد أكلتهم بحسب ما سبق وتنبأ به موسى منذ أمد بعيد (عد ٢١: ٢٨). ويختم الأصحاح بوعد موجز عن عودتهم من السبي «في آخر الأيام». فالله الذي دفع بهم إلى السبي، سوف يرد «سبي موآب» (ع ٤٧). وهكذا يتعامل الله بشفقة معهم، بقدر ما يتعامل مع شعبه. حتى مع الموآبيين «لا يحاكم إلى الأبد ولا يحقد إلى الدهر». وهذه النبوة الخاصة بموآب نبوة طويلة، ولكنها تختتم بتعزية: «إلى هنا قضاء موآب».

الأصحاح التاسع والأربعون

كأس السخط لازال يدور، ولابد أن تشرب منه جميع الشعوب (إر ٢٥: ١٥). وهذا الأصحاح يضعها في يد كل من:

أولا: بني عمون (ع ١ – ٦).

ثانيا: أدوم (ع ٧ – ٢٢).

ثالثا: دمشق (ع ٢٣ – ٢٧).

رابعا: قيدار وممالك حاصور (ع ٢٨ – ٣٣).

خامسا: عيلام (ع ٣٤ – ٣٩).

عدد ١ – ٦

بعد موآب، يأتي بنو عمون وذلك من ناحية القربى وكذلك من ناحية الجوار.

(١) يتم هنا عمل، باسم الله، ضد بني عمون، وذلك لتعديهم غير المشروع على ممتلكات سبط جاد المجاور لهم (ع ١). فقد تركت هذه الأراضي من السكان تقريبا بعد أن سبى ملك أشور الجلعاديين (٢مل ١٥: ٢٩؛ ١أخ ٥: ٢٦)، وأصبحت فريسة سهلة لأي غاز يأتيها بعد ذلك. ألم يترك أي من الجاديين ممن لهم حق الميراث؟ وإذا لم يكن منهم، ألا يوجد إسرائيليون. ألم يُترك أحد من يهوذا، والذين هم أقرب إليهم منكم؟ لماذا «ملكهم»، كما لو كان له حق في المدن الحصينة، أو «مولك» وثنهم، كما لو كان له حق توزيعها على من يعبدونه «يرث... جاد؟» ولماذا «شعبه يسكن في مدنه» التي هي من نصيب ذلك السبط من شعب الله؟ لقد «عيروا شعبي وتعظموا على تخمهم» (صف ٢: ٨)، وتفاخروا بأنها أرضهم. ويخطئ الذين يعتبرون أن ما يستطيعون أخذه بالقوة هو ملك لهم. وكما أن هناك عدالة بالنسبة للملاك، هكذا الحال أيضا بالنسبة لورثتهم، الذين يعد خداعهم خطية كبيرة، سواء كانوا لا يعرفون حقهم أو كانوا لا يعرفون كيف يحصلون عليه.

(٢) نجد هنا دينونة ضدهم لاغتصابهم حقوق غيرهم. فإن الله سوف يسمع حتى في «ربة»، وهي عاصمتهم ومن المدن القوية «جلبة حرب» (ع ٢). وسوف تصير مدنهم خربة. أما أراضيهم، التي كانوا يتباهون بها، فسوف تخرب (ع ٤). لقد اتهموا

بالارتداد عن الله، لأنهم كانوا من نسل لوط البار. كانوا عنيدين متمردين (هكذا يترجمها البعض) وبعد أن تركوا إلههم كانوا يفتخرون « بالأوطية» (الأودية). هذه كانوا قد اغتصبوها من إسرائيل. كانوا يتباهون بقوة أوديتهم التي تحيطها الجبال فجعلتها منيعة، كما كانوا يفتخرون بمنتجاتها. وكانوا يمنون أنفسهم بأنه لن يمنعهم شيء على الإطلاق من التمتع بها، الغد سيكون مثل اليوم، ولذلك تحدوا الله وأحكامه. «ملكهم يذهب إلى السبي هو وكهنته ورؤساؤه معا» (ع ٣): «وتطردون كل واحد»، وسوف يهرب كل واحد بحياته (ع ٥)، ولكي يكمل شقاؤهم فإنه «ليس من يجمع التائهين»، لن يفتح لهم أحد بابه. وبعدئذ تقع أرض بني عمون في أيدي البقية من إسرائيل (ع ٢).

(٣) ومع ذلك أعطوا أملا في الرحمة بعد ذلك (ع ٦)، كما حدث قبلا بالنسبة لموآب.

عدد ٧ - ٢٢

بعد ذلك جاء دور الأدوميين ليعرفوا مصيرهم من الله على فم إرميا، كانوا هم أيضا أعداء قدامى لشعب الله. وكثير من التعبيرات المستخدمة في هذه النبوة «عن أدوم» مأخوذة عن نبوة عوبديا «عن أدوم»، لأن الذي يلهم جميع الأنبياء هو واحد، وهو الروح الذي يلهم الجميع.

أولا: سيعم الخراب بلاد أدوم وتصبح مهجورة «قد جلبت عليه بلية عيسو حين عاقبته» (ع ٨). لقد حان الوقت الذي يعاقبه فيه الله، ويحاسبه، وبعد ذلك سوف يهربون من السيف، ويتركون المعركة ويختبئون «في محاجئ الصخر». وسوف ينهب الفاتح كل ما يمتلكون، والذين يدمرونهم لن يشبعوا إطلاقا (ع ٩ و١٠) سوف يجردون عيسو، وينزعون من الأدوميين كل ما عندهم. أما أقاربه من الموآبيين، وجيرانهم من الفلسطينيين، والذين كان يتوقع أن يلقى العون منهم، أو على الأقل يجد عندهم ملاذا، فقد نهبوا مثله. والترجمة الآرامية تجعل هذه أقوال الله إلى شعبه، حيث تفرق بينهم وبين الأدوميين في هذه الكارثة، وترجمتها هي: «أما أنت يا بيت إسرائيل، فلن تترك أيتامك أنا أحييهم وأراملك عليَّ يتوكلون». مهما يحدث لأرامل الأدوميين وأيتامهم، فسوف اهتم بمن هم لك. لقد تفاخروا، ولكن الله سيجعلهم صغارا «بين الشعوب» ومحتقرين «بين الناس»، والذين احتقروا شعب الله سيكونون هم أنفسهم محتقرين «بين الناس» (ع ١٥؛ عو ٢). «وتصير أدوم عجبا» حتى أنه لن يهتم أحد بالاقتراب من حطامها «لا يسكن هناك إنسان» (ع ١٨).

ثانيا: ستكون أدوات هذا الخراب مرعبة. فلقد صمم الله على أن تخرب أدوم، وعندئذ فذاك الذي سوف يستخدم لخرابها سوف يأتي بسرعة وبقوة. والذي تشير إليه النبوة هنا هو نبوخذراصر. وسوف يأتي «كأسد من كبرياء الأردن» (ع ١٩)، بل إن «صغار الغنم تسحبهم» (ع ٢٠)، فأقل عامل في حاشية نبوخذراصر «يسحبهم» للذبح، ويجبرهم على الاستسلام. وسوف يأتي نبوخذراصر، ليس مثل الأسد ملك الحيوانات (ع ٢٢) بل «كنسر يرتفع ويطير» ثم ينقض على فريسته بسرعة شديدة وقوة هائلة، وفي الحال يمتلك الرعب «قلب جبابرة أدوم»، لأنهم سيكتشفون أنه عدو لاطائل من مقاومته.

ثالثا: ستخونهم ثقتهم في أنفسهم يوم محنتهم.

(١) اتكلوا على حكمتهم، لكنها لن تفيدهم في هذا الموقف. وهذا أول شيء ركزت عليه هذه النبوة ضد أدوم (ع ٧). فقد كان ذلك الشعب شهيرا بحكمته، وكان يظن أن رجاله سياسيون متميزون، ومع ذلك فإنهم خلال هذه المحنة سيتخذون إجراءات خاطئة، وسوف تفشل كل خططهم، وسوف يتساءل الناس ويتعجبون، ماذا جرى للأدوميين؟ «ألا حكمة بعد في تيمان؟» هكذا كان الحال فعلا، بعد أن خطط الله لخراب ذلك الشعب، لأن الذين يدمرهم يجعلهم مفتونين بأنفسهم (انظر أيوب ١٢: ٢٠). «هل تلاشت حكمتهم؟» كما يترجمها البعض، أو «هل بادت؟» (كما يفهمها آخرون)، هل أصبحت عقيمة؟.

(٢) اتكلوا على قوتهم، ولكن هذه أيضا لن تجدي فتيلا (ع ١٦). كانوا مصدر رعب لجيرانهم، لأنه ما من أمة مجاورة تجرأت على أن تتدخل في

www.DIFA3IAT.com

شئونهم. وقد حسبوا أنه لا توجد أمة في العالم لديها الجرأة على عمل ذلك. كانت بلادهم جبلية، لها ممرات كثيرة، وظنوا أنه بمقدورهم الدفاع عنها ضد أي غاز (انظر عوبديا ٣، ٤، ٨).

رابعا: لا مفر من خرابهم.

(١) لقد كان ذلك بتدبير من الله (ع ١٢)، وقد حلف أنه سيأتيهم الخراب (ع ١٣) وأنهم سيتجرعون كأس «الرعدة» التي وضعت في أيدي جيرانهم.

(٢) سيعرف بهذا العالم كله (ع ٢١): «رجفت الأرض»، قلقت جميع الشعوب «من صوت سقوطهم»، «صرخة سُمِع صوتها في بحر سوف»، الذي يتدفق على سواحل أدوم. سوف تسمعها السفن الراسية في البحر الأحمر (بحر سوف) لكي تأخذ بضائعها (١مل ٩: ٢٦).

عدد ٢٣ – ٢٧

كثيرا ما كانت مملكة أرام التي تقع شمالي كنعان مصدر متاعب لشعب الله. وكانت دمشق عاصمة هذه المملكة. وقد ذكرت هنا أيضا مدينتي «حماة» و«أرفاد» وهما من مدنها الهامة الأخرى (ع ٢٣)، كما ذكرت أيضا قصور «بنهدد» التي أقامها أثناء حكمه، والتي حكم عليها بصفة خاصة بالخراب (ع ٢٧، انظر أيضا عاموس ١ : ٤). وقد بدأت دينونة دمشق بالخوف والهلع. «لأنهم قد سمعوا خبرا رديئا» بأن ملك بابل سينقض عليهم بكل قواته، تملكهم الخزي، وذابت فيهم نفوسهم «قد ذابوا»، واصبحوا كالبحر المضطرب الذي «لا يستطيع أن يهدأ» (إش ٥٧: ٢٠)، أو مثل رجال يواجهون «ريحا عاصفة» (مز ١٠٧ : ٢٥)، وإما أن البلية التي بدأت في المدينة ستصل إلى سواحل البحر (ع ٢٣). «ارتخت» دمشق الآن (ع ٢٤)، واعترفت بأنه لا فائدة من التفكير في مقاومة مصيرها شأنها في ذلك شأن «المخاض» التي لا حيلة لها في مقاومة «الأوجاع» حيث لا يمكنها أن تهرب منها. كانت مدينة «شهيرة» (ع ٢٥)، ليست لمجد الله، بل لنفسها، وكانت محط إعجاب الغرباء الذين يزورونها. كانت مدينة «فرح». أما الآن فقد غمرها الخوف والحزن. وانتهى الأمر بسقوطها الرهيب واحتراقها. لقد ذبح سكانها، (ع ٢٦)، أما «شبانها» الذين كان من المفترض أن يدافعوا عنها، فقد سقطوا بالسيف «في شوارعها»، وهلك «كل رجال الحرب» الذين يدافعون عنها. وأصبحت المدينة رمادا (ع ٢٧)، ذلك أن الجيش الذي حاصرها «أشعل نارا» في سورها، ولكنها ستلتهم بصفة خاصة «قصور بنهدد»، والتي شهدت في السابق تخطيط الكثير من المؤتمرات التي كانت تستهدف إيقاع الأذى بشعب الله إسرائيل.

عدد ٢٨ – ٣٣

تتنبأ هذه الأعداد عن الخراب الذي سيلحقه نبوخذراصر وجيشه بشعب قيدار (نسبة إلى قيدار بن إسماعيل، والذين سكنوا جزءا من الصحراء العربية)، و«حاصور»، الذي ربما كانوا أساسا من الكنعانيين، من مملكة حاصور شمالي كنعان، التي كان ملكها يابين، غير أنهم إذ طردوا من هناك، أقاموا في صحراء العربية. وكانوا يعيشون في «خيام» (ع ٢٩) ولم يكن لديهم أسوار أو مدن حصينة، «لا مصاريع ولا عوارض» (ع ٣١). وكانوا من الرعاة وليس لديهم نفائس أو نقود، فلم يكونوا يملكون سوى المواشي والجمال. ولم يكن لديهم جنود، لأنهم لم يكونوا يخشون الغزاة، كانوا أمة «تسكن وحدها» (ع ٣١). وعلى الرغم من أنه لم تكن لديهم تجارة، أو ثروات، إلا أنه ذكر عنهم هنا أنهم «أمة مطمئنة» (ع ٣١). أغنياء حقا من لديهم ما يكفي لسد احتياجاتهم، ويعرفون متى يستكفون. ولسنا في حاجة إلى الذهاب إلى كنوز الملوك وبلادهم، أو إلى أموال التجار، لكي نبحث عن الأثرياء، ذلك أننا قد نجدهم بين الرعاة الذين يسكنون الخيام. كان ملك بابل مصرا على ألا يقال أبدا إن ذاك الذي هزم مدنا حصينة هذا عددها، لم يستطع أن يقهر أولئك الذين يعيشون في خيام. وكان من الغريب حقا أن ينقض النسر ليصيد هذا الذباب. لقد عاشوا بين جيرانهم دون أن يلحقوا بهم أي أذى. ولقد قال الله (ع ٢٨): «قوموا اصعدوا إلى قيدار اخربوا بني المشرق». ولقد أمر الله بذلك لتقويم شعب لا يشكر. والحيرة التي تملكتهم، والخراب الذي حل بهم نتيجة ذلك، كان الناس «ينادون إليهم»، أولئك الذين هم على السواحل سوف يبعثون بالإنذار إلى

WWW.DIFAIAT.com

كافة أنحاء أرضهم، الأمر الذي سيدفعهم إلى اضطراب تام، وسوف ينادون «الخوف من كل جانب».. إن العدو يحاصرنا. وسوف يدفعهم الخوف إلى عدم اللجوء إلى أية مقاومة. ولن يحتاج العدو أن يضرب ضربة واحدة، فسوف يخرجونهم من خيامهم (ع ٢٩). فهناك «الخوف من كل جانب» ذلك أن الأعداء يحاصرونهم من كل ناحية. ويأخذ البابليون «شققهم وكل آنيتهم وجمالهم» على الرغم من أنها ليست سوى أشياء بسيطة وبدائية، ولكنهم سيسلبونها من أجل السلب نفسه: «ويأخذون... شققهم وآنيتهم وجمالهم» (ع ٢٩). «جمالهم» ستكون غنيمة لأولئك الذين لم يأتوا من أجل أي شيء سواها (ع ٣٢).

ولم يذكر أن أيا منهم سوف يقتل، ذلك أنهم لم يحاولوا إبداء أية مقاومة، وقد قبلت خيامهم ومواشيهم كفدية لحياتهم، ولكنهم سيطردون من مكانهم ويشتتون. وستبقى أرضهم غير مسكونة، فهي بعيدة لا تضم مدنا أو أراضي تغري الغرباء، ولن يعبأ أحد بأن يحل بدلا منهم، ومن ثم «تكون حاصور... خربة إلى الأبد» (ع ٣٣).

عدد ٣٤- ٣٩

يعود تاريخ هذه النبوة إلى بداية حكم صدقيا. والعيلاميون هم الفرس الذين من سلالة عيلام بن سام (تك ١٠: ٢٢)، ويعتقد البعض أنها ذلك الجزء من بلاد فارس الأكثر قربا من اليهود، ويقولون إنهم كانوا معادين لإسرائيل، وعيلام هي التي «حملت الجعبة» (السهام) في حملة ضدهم (إش ٢٢: ٦)، ولذلك يجب أن تحاسب مع الآخرين. وقد جاءت النبوة هنا بصفة عامة: «وأجلب عليهم شرا، حمو غضبي» (ع ٣٧). سوف يجعل قواتهم عاجزة. وكان العيلاميون من رماة السهام المشهورين، ولكن الله يقول: «هأنذا أحطم قوس عيلام» (ع ٣٥)، سيحطم أهم أسلحتهم وبذلك يكون قد حطم «أول قوتهم». وكثيرا ما يعمل الله على أن تخذلنا أكثر الأشياء التي نتكل عليها، وأن ما كان يشكل «أول» قوتنا، سيثبت أنه أقل شيء ينفعنا. وسوف يتشتت شعبهم. وسيأتي عليهم أعداء من جميع الأنحاء، وسوف يسبون البعض إلى البلدان التي جاءوا منها (ع ٣٦). «وأجلب على عيلام أربع رياح»، فالعاصفة تأتيهم أحيانا من جهة، وأحيانا أخرى من جهة أخرى. سوف يهلك رؤساؤهم وتتغير حكومتهم تماما (ع ٣٨): «وأضع كرسي في عيلام». وسوف يقام هناك عرش نبوخذراصر، أو عرش كورش، الذي بدأ غزواته مع العيلاميين. وقد يكون المعنى المقصود هو العرش الذي يجلس الله عليه للدينونة. وكان ملك عيلام شهيرا منذ القدم (تك ١٤: ١). كان كدرلعومر رجلا مقتدرا في أيامه، ولنا أن نفترض أن خلفاءه كانوا من الشخصيات العظيمة، غير أن ملك عيلام نفسه كان أمام الله شأنه شأن أي رجل آخر. ومع ذلك فإن خراب عيلام لن يكون مستديما (ع ٣٩): «ويكون في آخر الأيام أني أرد سبي عيلام». فبعد أن دمر كورش بابل، وأصبحت الإمبراطورية في أيدي الفرس، ليس من شك في أن العيلاميين عادوا في نصرة، واستقروا في بلادهم ثانية. غير أن هذا الوعد كان له أن يتحقق بالكامل في أيام المسيح، وذلك حين وجدنا عيلاميين بين أولئك الذين- بعد أن أعطي الروح القدس- سمعوا يتكلمون بألسنتهم بعظائم الله (أع ٢: ٩، ١١)، وهذا أعظم إيمان.

الأصحاح الخمسون

في هذا الأصحاح والأصحاح الذي يليه نجد دينونة بابل، والتي وضعت في آخر نبوات إرميا ضد الأمم، لأنها آخر ما تحقق من هذه النبوات. وقد استخدمت بابل كقضيب في يد الله لتأديب كل الأمم الأخرى، وأخيرا سيلقى الآن بهذا القضيب في النار. وقد تنبأ إشعياء بخراب بابل على يد كورش، والآن، وبعد أن وصل الأمر إلى ذروته تنبأ إرميا، لأنه على الرغم من أنه في هذا الوقت رأى المملكة تزدهر «كشجرة خضراء» إلا أنه تنبأ بأنها ذوت وقطعت. وكما أن نبوات إشعياء عن خراب بابل وخلاص إسرائيل يبدو أن القصد منها أن تكون رمزا لانتصار جميع المؤمنين في عهد النعمة على قوى الظلام، والخلاص العظيم الذي صنعه ربنا يسوع المسيح. هكذا أيضا نبوات إرميا عن الأحداث نفسها يبدو أنها تشير إلى الانتصارات الرؤيوية لكنيسة الإنجيل على بابل العهد الجديد. ولما كانت مملكة بابل أكبر وأقوى من أي من الممالك الأخرى التي جاءت النبوات ضدها هنا، لذلك كان لسقوطها دوي أعظم مما كان بالنسبة للدول الأخرى، ثم إن ما سبق التنبؤ به على

www.DIFA3IAT.com

وجه الإجمال قبلا (إر ٢٥: ١٢؛ ٢٧: ٧) جاء هنا بصفة خاصة على نحو من التفصيل، وبقدر أعظم من الحرارة والنور النبوي. لقد دُمرت بابل لتفسح الطريق لعودة المسبيين من شعب الله، ونجد هنا:

أولا: خراب بابل (ع ١ – ٣، ٩ – ١٦، ٢١ – ٢٢، ٣٥ – ٤٦).

ثانيا: خلاص شعب الله (ع ٤ – ٨، ١٧ – ٢٠، ٣٣ و٣٤).

عدد ١ – ٨

أولا: هنا الكلمة التي تكلم بها الرب على بابل. كان ملك بابل في غاية اللطف مع إرميا، ومع ذلك كان لابد وأن يتنبأ عن خراب تلك المملكة، لأن أنبياء الله لا تتحكم فيهم الأغراض أو الأهواء. ومهما كان أصدقاؤنا، فإنهم إذا ما كانوا أعداء الله، فليس بمقدورنا أن نقول لهم سلام.

(١) الحديث عن خراب بابل جاء هنا: كما لو كان قد تم بالفعل (ع ٢).

(٢) تم الحديث عنه كشيء تم بالكامل. فحتى أوثان بابل التي يحميها الشعب بكل ما في وسعه سوف تدمر. وسوف ينسحق «بيل» و«مرودخ» وهما من آلهتهم الأساسية، وسيخزى أوثانها. وسوف تخرب البلاد (ع ٣): «من الشمال»، من ميديا التي تقع شمالي بابل، ومن أشور التي شن منها كورش الحرب على بابل، ومن هناك «طلعت عليها أمة... تجعل أرضها خربة».

ثانيا: هنا كلمة قيلت لتكون تعزية لشعب الله، سواء لشعب إسرائيل أو ليهوذا.

(١) جاء الوعد بأنهم سيعودون أولا إلى إلههم وبعد ذلك إلى أرضهم، والوعد الخاص بتجديدهم وإصلاحهم هو الذي يمهد السبيل لكل المواعيد الأخرى (ع ٤ و٥). سوف «يبكون ويطلبون الرب» كما فعل كل بيت إسرائيل أيام صموئيل (١صم ٧: ٢)، وسوف يذهبون وهم يذرفون الدمع وذلك نتيجة شعورهم المقدس بالحزن، لأنها دموع التوبة عن الخطية، وذلك حين بزغ يوم خلاصهم. وسوف ينجح هذا في دفعهم «إلى التوبة»، في حين أن السبي لم يفلح في ذلك. وسوف «يطلبون الرب»، ولن يغرقوا تحت أحزانهم بل «يبكون ويطلبون الرب إلههم». سوف يطلبون الرب باعتباره «إلههم»، سوف يقطعون الآن كل علاقتهم بالأوثان. ويفكرون في العودة ثانية إلى أرضهم، وسوف يفكرون في ذلك ليس باعتباره رحمة فحسب، بل كواجب عليهم (ع ٥): «يسألون عن طريق صهيون ووجوههم إلى هناك». والرحلة طويلة وهم لا يعرفون الطريق، ولكنهم سوف «يسألون» عن الطريق. وهذا ما يرمز إلى عودة النفوس المسكينة إلى الله. ولدى كل المؤمنين الحقيقيين رغبة صادقة في الوصول إلى النهاية، واهتماما متواصلا للبقاء في الطريق. وسوف يجددون عهدهم للسير مع الله بدرجة أوثق في المستقبل. سوف يأتون قائلين «هلم فنلصق بالرب بعهد أبدي».

(٢) حالتهم الراهنة يرثى لها باعتبارها حالة محزنة استمرت مدة طويلة: «كان شعبي خرافا ضالة» (ع ٦). ضلوا «على الجبال... ساروا من جبل إلى أكمة» ولم يجدوا مرعى، «نسوا مربضهم» في بلادهم ولم يتمكنوا من معرفة الطريق إليها. «أضلتهم رعاتهم»، رؤساؤهم وكهنتهم، أضلوهم عن واجبهم، وبذلك أغاظوا الله فعمل على أن يخلصهم من أيديهم. كان حالهم يشبه حالة الخراف الضالة «كل الذين وجدوهم أكلوهم»، وجعلوهم فريسة لهم، كانوا يسخرون منهم، وقالوا لهم إنهم يستحقون ما قاله لهم أنبياؤهم مرات عديدة. كانوا يحتقرون الهيكل وتقاليد أسلافهم، وعلى ذلك يستحقون أن يعانوا من هذه الظروف الأليمة.

(٣) طلب منهم أن يسرعوا حالما فتح باب الحرية لهم (ع ٨): «اهربوا من وسط بابل»، اسرعوا إلى صهيون، «وكونوا مثل كراريز أمام الغنم»، جاهدوا من أجل ذاك الذي يجب أن تكون له الأولوية والذي يؤدي إلى مثل هذا العمل الصالح.

عدد ٩ – ٢٠

يواصل الله هنا– من خلال النبي– خصامه مع بابل.

أولا: التكليف والمهمة التي أعطيت لمن يستخدمون كأدوات لتحطيم بابل. فالجيش الذي سيقوم بهذه المهمة سمي «جمهور شعوب عظيمة» (ع ٩)،

الماديون والفرس وحلفاؤهم والقوات الإضافية الأخرى. فسوف «يوقظهم الله ويصعدهم» لعمل ذلك، ويعدهم لهذا العمل، وبعد ذلك يأمرهم الله أن يصطفوا «على بابل حواليها... ارموا عليها. لا توفروا السهام» (ع ١٤). وحين يكلف الله بمهمة فإنه يعطي معها النجاح. فلم يؤمروا أن «ارموا عليها» فقط، بل «اهتفوا عليها» (ع ١٥) هتاف النصرة، كأولئك الذين هم واثقون من الانتصار.

ثانيا: الخراب والدمار الذي سيحل على بابل تم التعبير عنه بتعبيرات كثيرة متباينة.

(١) ثروات بابل ستصبح فريسة سهلة للغزاة (ع ١٠).

(٢) سوف تخلى أرض بابل من سكانها وتظل غير مأهولة (ع ١٣).

(٣) يخزى أسلافهم من جبنهم الذي دفعهم إلى الهرب من أول هجمة (ع ١٢)، أو «التي ولدتكم...». وبابل نفسها، المدينة الأم، سوف «تخجل»، حين ترى نفسها وقد أصبحت مهجورة.

(٤) أعظم المعجبين ببابل سوف يرون أنها أصبحت جديرة بالازدراء، وأصبحت أقل الأمم قاطبة «برية وأرض ناشفة وقفر» (ع ١٢).

(٥) المدينة العظيمة، أعظم مكان فيها، سوف يخرب تماما. إنه انتقام الرب الذي لا يستطيع أحد أن يقاومه سواء بالقانون أو الحرب.

(٦) لن يترك في بابل حتى «الزارع... وماسك المنجل» (ع ١٦). سوف يحين وقت جني المحصول، ولن يوجد من يجنيه، ويأتي وقت الغرس، ولن يكون هناك من يغرسون.

ثالثا: سبب هذا الخراب. مرد ذلك غضب الله، «بسبب سخط الرب لا تُسكَن» بابل، «بل تصير خربة بالتمام» (ع ١٣) وسخطه مبرر، وذلك (ع ١٤): «لأنها قد أخطأت إلى الرب»، ومن أجل ذلك قال «لا توفروا السهام». وكانوا مسرورين بما ألحقوه بأورشليم من أذى (ع ١١): «لأنكم قد فرحتم وشَمِتُّم». فحين دمر تيطس فيسباسيان أورشليم بكى عليها، غير أن هؤلاء البابليين شعروا بالفرحة والنصرة. أما ما نهبوه من أورشليم فقد استخدموه في توفير وسائل ترفعهم. وهؤلاء الذين ابتلعوا الثروات على هذا النحو لابد وأن يتقيأوها ثانية. ولم يكونوا يستهدفون أقل من تدمير شعب الله بشكل تام «إسرائيل غنم متبددة» (ع ١٧)، كما وصفت سابقا (ع ٦)، لم تكن الكلاب تنبح إليها وتضايقها فحسب، بل «قد طردته السباع» أيضا (ع ١٧). أحد ملوك أشور سبى الأسباط العشرة وأكلهم، وآخر قام بغزو يهوذا وخربها، مزق صوف هذه الخراف المسكينة ولحمها، وأخيرا هاجمهم نبوخذراصر ثم «هرس» عظامهم، وعلى هذا يجب معاقبة ملك بابل مثلما سبق وأن عوقب ملك أشور (ع ١٨).

رابعا: الرحمة التي وعد بها شعب الله. سوف يحررون من عبوديتهم، «وأرد إسرائيل إلى مسكنه فيرعى» مثل الغنم التي أطلقت في حظيرتها (ع ١٩). وسوف يعيد لهم رخاءهم، فلن يعيشوا فحسب، بل يعيشون في راحة وذلك في أرضهم التي يعودون إليها ثانية، وسوف يرعون في «كرمل وباشان» وهي أغنى وأكثر الجهات خصبا في البلاد. كانوا «يسألون عن طريق صهيون» (ع ٥)، حيث كان عليهم أن يخدموا الله ويعبدوه. وكان هذا هدفهم الرئيسي من العودة، ولكن الله سيأتي بهم إلى كرمل وباشان، حيث يرعون ويشبعون بوفرة. وسوف يصفح الله عن إثمهم، وهذا أساس كل راحتهم (ع ٢٠): «وفي ذلك الزمان... يُطلَب إثم إسرائيل فلا يكون». ولن ترفع عنهم العقوبات المترتبة عن إثمهم فحسب، ولكن الله سينسى الإساءة التي وجهوها له ويتصالح معهم. وهذا ما يشير إلى أن الله يغفر الذنوب جميعا، ولا يعود يذكرها بعد. هذا قد يشمل أيضا إصلاح حقيقي للقلب والحياة، وكذلك غفران تام للخطية. والذين يغفر لهم الله خطاياهم، يحتفظ بهم لأمر أعظم، لأن الذين يبررهم هؤلاء يمجدهم.

عدد ٢١ – ٣٢

(١) تجندت القوات وكُلفت بتدمير بابل. تم استدعاء قوات كورش لتصعد على بابل (ع ٢١) لقد جاءوا لغزوها من بعيد. ليأت الكل معا، لأنه سيكون ثمة عمل وأجر كاف للجميع (ع ٢٦) ويجب بصفة خاصة دعوة «أصحاب القسي» لمهاجمتها (ع

٢٩). وهكذا «فتح الرب خزانته» (ع ٢٥)، أي ترسانته، «وأخرج آلات زجره». ومادي وفارس هما الآن ترسانة الله، من هناك يحضر آلات زجره، وهم كورش ورؤساؤه وجيوشه

(٢) أعطيت لهم التعليمات الخاصة بما يجب عليهم عمله (ع ٢١). «افتحوا أهراءها» (ع ٢٦). انهبوا ثرواتها، «كوموها عراما». فرؤساؤها وعظماؤها سيسقطون بالسيف، وليس كرجال حرب في ميدان المعركة، بل كحيوانات (ع ٢٧).

(٣) أعطيت لهم تأكيدات بنجاحهم. ليعملوا ما أمر به الله، وسوف ينجزون ما هدد به. وسوف ينتصر كورش لاشك في ذلك، لأنه يحارب حرب الله.

أ. كانت بابل سبب متاعب وضيق وأذى لكل جيرانها، فقد كانت «مطرقة كل الأرض» (ع ٢٣). وذاك الذي هو إله كل الشعوب، سينتقم إن عاجلا أم آجلا لحقوق الأمم التي أضيرت وذلك من أولئك الذين غزوها ظلما وعدوانا.

ب. تحدت بابل الله نفسه: «قد خاصمت الرب» (ع ٢٤)، دخلت في نزاع معه (بحسب ما تعنيه الكلمة) كما يحدث النزاع بالقانون أو المعركة، عارضوه علانية، ولذلك «وجدت وأمسكت» كما في فخ.

ج. خربت بابل أورشليم، المدينة المقدسة، والبيت المقدس الموجود بها (ع ٢٨). فحرق الهيكل وسلب أوانيه، كانت من ضمن بنود الاتهام الموجه لبابل، والذي شدد عليها بشكل أكثر من كونها مطرقة كل الأرض، لأن صهيون كانت فرح كل الأرض ومجدها.

د. كانت بابل وقحة متغطرسة ولذلك كان يجب أن تسقط (أي ٤٠: ١٢). ولن يسقطوا نتيجة طعن الآخرين لهم، بل نتيجة عثرتهم، لأنهم يرفعون رأسهم عاليا حتى أنهم لا ينظرون إطلاقا تحت أقدامهم.

عدد ٣٣- ٤٦

أولا: آلام إسرائيل وخلاصها منها. «إن بني إسرائيل وبني يهوذا معا مظلومون» (ع ٣٣). والذين بقوا من المسبيين من الأسباط العشرة عند توحيد مملكتي أشور وبابل، يبدو أنهم جاءوا واختلطوا مع أولئك الذين من السبطين ولذلك هم «معا مظلومون». وكانت تعزيتهم في محنهم هي أنه على الرغم من ضعفهم فإن «وليهم قوي» (ع ٣٤)، الذي ينتقم لهم (هذا معنى الكلمة). «رب الجنود اسمه»، وهو سيكون بحسب اسمه، وسوف يكون الإله الذي يعتمدون عليه. «يقيم دعواهم لكي يريح الأرض»، يريح أرض شعبه، من كل الأعداء المحيطين بها. وهذا ينطبق على كل المؤمنين، الذين يشكون من سيطرة الخطية والفساد، كما يشكون من ضعفهم. عليهم أن يعرفوا أن «وليهم قوي». ويستطيع أن يفي بما يطلبونه منه. ولن تسود عليهم الخطية، سوف يحررهم، وبالحقيقة يكونون أحرارا. وسوف يريحهم الراحة التي تبقى لشعبه.

ثانيا: خطية بابل، وعقوبتهم المترتبة على تلك الخطية:

(١) الخطايا التي اتهموا بها هي الوثنية واضطهاد المؤمنين.

أ. ظلموا شعب الله، سبوهم أمسكوهم. أبوا أن يطلقوهم. لم يطلقوا أسراهم «إلى بيوتهم» (إش ١٤: ١٧).

ب. وظلموا الله نفسه وسلبوه، وأعطوا للآخرين المجد الذي له وحده، وذلك لأنها «أرض منحوتات هي» (ع ٣٨). والكلمة الأصلية التي استعملت للأوثان (المنحوتات هنا) تعني رعب (الاسم الذي يطلق على العمالقة المرعبين). لأنهم كانوا يصنعون تماثيل أوثانهم بحيث تبدو مخيفة، تبث الرعب في الحمقى والأطفال. وكانت بابل «أم الزواني» (رؤ ١٧: ٥)، أي مصدر الزنا.

(٢) دينونات الله عليهم بسبب هذه الخطايا جاءت بحيث تعمل على دمارهم.

أ. كل ما كانوا سيتخذونه دفاعا وعونا لهم سوف يقطع بالسيف. كان البابليون لمدة طويلة سيف الله الذي عاقب به الأمم الخاطئة المحيطة بهم. أما الآن، فإذ أصبحوا أشرارا كأي دولة منهم، بل لعلهم أسوأ، فقد أُحضر سيف ليكون ضدهم (ع ٣٥)، سيف حرب، وهو في يد الله سيف العدالة. وسوف يكون سيفا على «رؤسائها وعلى حكمائها». أما فلاسفتهم، ورجال دولتهم، ومشيروهم، فتعليمهم وحكمتهم لن

www.difa3iat.com

تنفعهم ولن تنفع الجمهور في شيء. أما عرَّافوهم ومنجموهم الذين دعوا هنا «المخادعين» أو الأنبياء الكذبة، لأنهم يخدعونهم بنبواتهم الكاذبة التي يعدونهم فيها بالسلام والازدهار، فسوف يتحدثون بحماقة، ويصبحون كأناس فقدوا كل عقل ومنطق. «سيف على أبطالها فيرتعبون»، ولن يكونوا بعد أبطالا. «سيف على خيلها وعلى مركباتها»؛ ذلك أن الغزاة سيستولون على خيلهم ومركباتهم. جيوش الأمم الأخرى التي كانت في خدمتهم سوف يتملكهم الإحباط. «كل اللفيف الذي في وسطها» سيصيرون ضعفاء جبناء كالنساء. و«سيف على خزائنها» التي هي عصب الحرب، فسوف «تنهب» ويستخدمها العدو ضدهم.

ب. ستكون البلاد خربة (ع ٣٨) «مياهها فتنشف»، الماء الذي يحفظ المدينة. ولقد فرع كورش نهر الفرات إلى قنوات عديدة بحيث استطاع جيشه أن يعبرها، وبهذا وصلوا بسهولة إلى أسوار بابل، والتي كان يعتقد أن النهر كان يجعلها منيعة لا يمكن الوصول إليها. ثم إن الماء الذي يجعل الأرض مثمرة سوف تنشف أيضا (ع ٣٩). وهذا ما تضمنته النبوة عن بابل (إش ١٣: ١٩ – ٢٢).

ج. الجيش الغازي سيجعل الملك والمملكة في أقصى حالات الذعر والارتباك (ع ٤١ – ٤٣). فالذين كانوا يعاملون الآخرين بقسوة، عليهم أن يتوقعوا معاملة بالمثل ولن يجدوا أية رحمة.

د. سوف يلحق بهم الأذى بقدر ما يتملك الخوف منهم، لأن الغازين يصعدون عليهم «كأسد» لكي يمزقوا ويخربوا (ع ٤٤). وسوف «يخرب مسكنهم عليهم» (ع ٤٥)، وسوف يكون الخراب هائلا حتى أن جميع الأمم سترتعب منه (ع ٤٦). أما هذه الأعداد الثلاثة فسبق أن قرأناها من قبل (إر ٤٩: ١٩ – ٢١) في نبوة خراب أدوم، التي تحققت على أيدي جيش بابل، وقد كررت هنا في نبوة خراب بابل التي سوف تتم ضد البابليين.

الأصحاح الحادي والخمسون

يواصل النبي في هذا الأصحاح نبوة سقوط بابل، الأمر الذي تنبأ به أنبياء آخرون. ونجد هنا:

أولا: تسجيلا للمصير الذي ينتظر بابل مع تفاصيل بالمآسي العديدة التي تصاحب سقوطها، وتشجيعات عظيمة أعطيت من هناك لشعب الله، الذين تحملوا أمورا قاسية بسببها (ع ١ – ٥٨).

ثانيا: إلقاء نسخة من السفر المكتوب فيه الويلات التي ستأتي على بابل في نهر الفرات كتصوير وتصديق على ما سيحدث لها (ع ٥٩ – ٦٤).

عدد ١ – ٥٨

أولا: إقرار بالأبهة والقوة العظيمتين اللتين كانتا لبابل وكيف استخدمهما الله في تدبيراته الإلهية (ع ٧): «بابل كأس ذهب»، إمبراطورية غنية وعظيمة، «رأس من ذهب» (دا ٢: ٣٨)، «كأس ذهب بيد الرب»، وقد رتب أن «تسكر كل الأرض» من خمرها. البعض سكر بملذاتها، وآخرون برعبها وهلكوا بها. وبنفس هذين المعنيين قيل إن بابل العهد الجديد أسكرت ملوك الأرض (رؤ ١٧: ٢؛ ١٨: ٣). وكانت بابل أيضا فأس حرب لله، هكذا كانت في هذا الوقت الذي تنبأ فيه إرميا (ع ٢٠). كما كانت «أدوات حرب» استخدمها ليهلك بها «الأمم» و«الممالك»، ويكسر بها الخيل والمركبات والتي كانت إلى حد كبير قوة الممالك، (ع ٢١) «الرجل والمرأة»، «الشيخ والفتى» التي كانت تعمر بهم الممالك (ع ٢٢) «الراعي وقطيعه»، «الفلاح وفدانه» التي تعتمد عليها الأمم في قوتها وحياتها (ع ٢٣). ومثل هذا الخراب أحدثه جيش بابل حين استخدمه الله أدوات لغضبه لتأديب الأمم، ومع ذلك فيجب أن تسقط الآن بابل نفسها.

ثانيا: وجه لها اتهام من قبل شعب الله.

(١) جاءت الشكوى بخصوص شرها الغير قابل للإصلاح (ع ٩). فشعب الله الذين كانوا مسبيين وسط البابليين حاولوا إقناعهم بحماقة وثنيتهم (إر ١٠: ١١)، ولكنهم لم ينجحوا في ذلك. ومع ذلك يأخذ البعض هذا القول على أنه صادر عن القوات التي استأجروها لمساعدتهم، حيث أعلنوا أنهم بذلوا قصارى جهدهم لإنقاذها من الخراب، غير أن جهودهم ضاعت هباء، وعلى ذلك يجب أن يرجعوا

WWW.DIFAA3IAT.COM

كل إلى البلاد التي جاء منها: «لأن قضاءها وصل إلى السماء»، ومن العبث محاولة صده أو تجنبه.

(٢) كانت الشكوى من حقدها الدفين ضد إسرائيل. ثمة شعوب أخرى عاملها البابليون بقسوة، غير أن إسرائيل فقط هي التي اشتكت إلى الله من معاملتها ولجأت إليه بثقة (ع ٣٤ و٣٥). تقول «صهيون» و«أورشليم»، «ظلمي ولحمي»، الظلم لحق بأطفالنا الذين هم «لحمنا» وقطعة منا، ولكل دم شعبي، الذي سفكوه مثل الماء، يأتي «على سكان أرض الكلدانيين»، ليت ذنب ذلك يأتي عليهم، ويطلب من أيديهم.

ثالثا: الحكم الذي أصدره بناء على هذا الاتهام، قاضي السماوات والأرض العادل، نيابة عن إسرائيل ضد بابل. لقد أجاب بقوله (ع ٣٦): «هأنذا أخاصم خصومتك»، اترك لي الموضوع، في الوقت المناسب أدافع عنه بفعالية «وانتقم نقمتك» وسوف أحاسبهم عن كل نقطة دم من دماء أورشليم. والله يتعامل مع إسرائيل بأفضل مما يستحقون، وعلى الرغم من آثامهم وقسوته عليهم إلا أن «إسرائيل ويهوذا ليسا بمقطوعين عن إلههما» فالله لا يزال إله إسرائيل، وسوف يدافع عنهم باعتباره الرب إله الجنود، إله القوة «لأن الرب إله مجازاة يكافئ مكافأة» (ع ٥٦) وسيجازيهم عن شر أعمالهم، وسوف يدين بابل «على كل شرهم الذي فعلوه في صهيون» (ع ٢٤). وسوف يكيل كورش لبابل بنفس الكيل الذي كالت به لليهود. وسوف ينتصر أبناء صهيون (ع ١٠): «قد أخرج الرب برنا»، لقد ظهر في ضعفنا ضد أولئك الذين عاملونا بظلم، وعوضنا عن هذا الظلم. «هلم فنقص في صهيون عمل الرب إلهنا»، حتى يقبل الآخرون وينضمون إلينا في تسبيحه.

رابعا: إعلان سيادة الله الذي تبنى قضية صهيون وتعهد بأن يحاسب هذا العدو القوي المتغطرس (ع ١٤)، وسوف يملأ بابل بأعداد هائلة من قوات العدو، «إني لأملأنك أناسا كالغوغاء» يقهرونك. ولكن من هو ذاك الذي بمقدوره أن يحطم مملكة قوية مثل بابل؟ يتحدث النبي عنه من الأوصاف السابق ذكرها في إرميا ١٠: ١٢ - ١٦، والتي كررها هنا ليبين أن الله سيقتنع بدينونة أولئك الذين رفضوا أن يقتنعوا بكلمته إنه إله فوق الكل.

(١) هو الله خالق العالم (ع ١٥).

(٢) له سلطان على كل المخلوقات التي خلقها (ع ١٦)، ثم إن عنايته الإلهية هي خلق مستمر.

(٣) الأوثان التي تعارض إتمام كلمته ما هي إلا زيف ومن يعبدونها ما هم إلا حمقى (ع ١٧ و١٨). ولا توجد أدنى مشابهة بين إله إسرائيل وآلهة هؤلاء الوثنيين (ع ١٩): «ليس كهذه نصيب يعقوب»، فالله الذي يقول هذا ويعمله هو «مصور الجميع... رب الجنود»، وثمة علاقة وثيقة بينه وبين شعبه، لأنه «نصيبهم»، وهم خاصته.

خامسا: وصف للأدوات التي ستستخدم في هذه الخدمة «قد أيقظ الرب روح ملوك مادي» (ع ١١)، داريوس وكورش، الذين جاءوا ضد بابل بإلهام من الله، لأن هدفه أن يخرب بابل. والذين يستخدمهم الله ضد بابل شبهوا (ع ١): «ريحا مهلكة»، التي إما أنها ببرودتها تدمر ثمار الأرض، أو بشراستها تدمر كل ما يصادفها. وهذه الريح تخرج «من خزائنه» (ع ١٦) «على بابل وعلى الساكنين في وسط القائمين عليَّ» (ع ١)، أي أولئك الذين هم من شعوب أخرى ممن اندمجوا معهم. وقد شبه هؤلاء الأعداء «بالمذرين» (ع ٢) «فيذرونها» كالعصافة. وكان البابليون «مذرين» لكي يذروا شعب الله (إر ١٥: ٧).

سادسا: أعطوا تكليفا شاملا بأن يُخرجوا كل شيء. عليهم أن ينزعوا قوسهم ضد الرماة البابليين (ع ٣). عليهم أن ينشدوا كل الاستعدادات اللازمة. ولقد دعوا إلى هذا (ع ٢٧ و٢٨)، أن يرفعوا «الراية»، التي سيجندون تحت لوائها المحاربين، وعليهم أن يضربوا «بالبوق» ليجمعوا الرجال معا، وعلى الشعوب التي سيتكون منها جيش كورش أن تعد جنودها. وعلى ممالك «أراراط ومني وأشكناز» من أرمنيا العالية والواطئة، ومن أسكانيا وفريجية وبثينية، أن ترسل قوائم مجنديها، وعليهم أن يخربوا الأرض كالجراد (يؤ ١: ٤).

سابعا: ضعف بابل وعدم قدرتها الدفاع عن نفسها ضد هذه القوات التي تهددها. لقد دعوا

هنا لأن يستعدوا للعمل غير أن ذلك كان من باب السخرية (ع ١١): «سنوا السهام» التي علاها الصدأ من عدم استعمالها، «أعدوا الأتراس»، والتي من جراء الفترة الطويلة التي عم فيها السلام والأمن قد تبعثرت وأهملت (ع ١٢): «على أسوار بابل ارفعوا الراية». ولكن المحاربين البابليين سيجبنوا عن أن يُلبوا النداء (ع ٢٩): «كف جبابرة بابل عن الحرب»، (ع ٣٠) ذلك أن الله سلب منهم قوتهم وشجاعتهم ومن ثم «جلسوا في الحصون»، ولذلك فإن العدو، وبدون أدنى مقاومة «حرقوا مساكنها. تحطمت عوارضها». ونفس المعنى ورد في الأعداد ٥٦ – ٥٨. وحين جاء المهلك على بابل ألقوا القبض فورا على رجالها الأشداء «وتحطمت قسيهم». فشلت سياساتهم. وجلس رؤساؤهم وقادتهم، جلسوا معا كالسكارى بسبب غبائهم ويأسهم. «أسوار بابل العريضة» خذلتهم (ع ٥٨). وحين وجد العدو وسيلة لاجتياز نهر الفرات، والذي كان يعتقد بأنه لا يمكن اجتيازه، فلابد وأنهم اعتقدوا أيضا أن الأسوار حصينة لأنها: «أسوار بابل العريضة». ويقول البعض أنه كان ثمة سور ثلاثي يحيط بالمدينة الداخلية، ومثله حول الخارجية، ومع ذلك فإنها «تدمر تدميرا وأبوابها الشامخة تحرق بالنار».

ثامنا: إنه خراب لا مفر منه، ذلك أن قوة إلهية تعمل لإنجازه ومن ثم لا يمكن مقاومتها (ع ٨)، على الرغم من أنه حين تنبأ إرميا بهذا، وبعد ذلك بسنوات عديدة، كانت بابل في ذروة قوتها وعظمتها. إنه خراب عادل. وقد جلبت بابل ذلك بحق على نفسها، ولذلك لا يمكن أن تهرب منه لأن بابل كانت «الجبل المهلك... المهلك كل الأرض» (ع ٢٥) كما تفعل الحجارة التي تسقط من الجبال العالية فتتلف الأرض التي حولها، أما الآن فإن بابل نفسها سوف تُدحرج «عن الصخور»، وكذلك (ع ٣٣): «بابل كبيدر»، الذي كان شعب الله يدوس فيه مدة طويلة، غير أنه قد جاء الآن الوقت الذي تداس هي نفسها فيه. كانت بابل تبدو حصينة ودفاعاتها قوية لأنها: «الساكنة على مياه كثيرة» (ع ١٣)، وزحف أي عدو تكتنفه مصاعب جمة بسبب الأنهار. وهي «الوافرة، الخزائن» ومع ذلك «قد أتت آخرتك»، ولا يمكن أن تحميك مياهك أو ثرواتك. «فإنه يأتي خبر في هذه السنة» أن كورش يقوم بتجهيزات هائلة إعدادا للحرب. «ثم بعده في السنة الأخرى» بأن خطته إنما هي ضد بابل. وحين كان على مسافة بعيدة جدا كان حريا بهم أن يرسلوا رسلا لمعرفة شروط السلام، غير أنهم كانوا متكبرين، وتقست قلوبهم لكي يجلبوا الخراب على أنفسهم. وملك بابل نفسه كان بعيدا جدا عن المكان الذي شن منه الهجوم حتى أنه مر وقت طويل قبل أن يبلغ بأنه تم الاستيلاء على المدينة، ولذلك فإن الذين كانوا معسكرين على مقربة من المكان أرسلوا عداء تلو الآخر (ع ٣١). كان عليهم أن يحيطوه علما أن العدو قد استولى على «المعابر» (ع ٣٢) وهي القلاع أو الحواجز القائمة على النهر، وإذ تسيدوا معابر النهر فمن ثم «القصب أحرقوه بالنار» وذلك لكي ينذروا المدينة ويبثوا الرعب في أهلها، ولذلك استسلم كل الرجال. جاء الرسل بالأخبار، والتي سرعان ما تأكدت بوجود الأعداء أنفسهم في القصر واغتيالهم الملك (دا ٥: ٣٠). وتلك الوليمة الدنسة التي كانوا يشتركون فيها في نفس الوقت الذي تم فيه الاستيلاء على المدينة يبدو أنه أشير إليها في عددي ٣٨ و٣٩: «يزمجرون معا كأشبال» كما يفعل الناس أثناء عربدتهم، حين تلعب الخمر بعقولهم. لقد مر الكأس بينهم، والآن «تدور»، إليهم، «كأس يمين الرب» (حب ٢: ١٥ و١٦) دعهم يمرحون ما وسعهم المرح بهذا الكأس المرير، لأنه في ذات الليلة وهم في ذروة صخبهم اغتالوا بيلشاصر. ولقد شبهت قوة العدو هنا بطوفان من الماء (ع ٤٢): «طلع البحر على بابل»، والتي إذا ما حطمت الجسور لا يوجد ما يحدها ولذلك «فتغطت بكثرة أمواجه»، فإذا تمكن منهم جيش عظيم «صارت مدنها خرابا»، قفرا لا يسكن فيها إنسان (ع ٤٣). وهو خراب سيشمل آلهة بابل، وأصنامها ومنحوتاتها دلالة على أنه «تخزى كل أرضها وتسقط كل قتلاها في وسطها»، وأنه في طول البلاد وعرضها «أعاقب منحوتات بابل» (ع ٤٧) وكذلك «يتنهد الجرحى في كل أرضها» (ع ٥٣). ومع أن الغزاة أنفسهم من الوثنيين إلا أنهم سيدمرون الأوثان والمعابد الخاصة بآلهة بابل. وكان الإله بيل هو الوثن الرئيسي الذي يعبده البابليون، ولهذا ذكر اسمه هنا بصفة خاصة على أنه سيلحق به الدمار (ع ٤٤):

«وأعاقب بيل» ذلك الوثن الذي تقدم له كل هذه الذبائح الوفيرة. وسوف تهجر مذابحه، ولن يلقى بعد ذلك أي اعتبار من أحد، وبذلك فقد خذلهم هذا الوثن. «وتكون بابل كوما» (ع ٣٧)، بل لن ينتفعوا حتى بأطلالها (ع ٢٦): «فلا يأخذون منك حجرا لزواية ولا حجرا لأُسُس».

تاسعا: نجد هنا نداء إلى شعب الله بأن يخرج من بابل. فإنه من الحكمة بالنسبة لهم، أن يهجروا المدينة حين يقترب الدمار (ع ٦): «اهربوا من وسط بابل»، حتى لا يهلكوا «بذنبها». من الحكمة أن يخرجوا من بابل حتى لا يتملكهم الذعر، إن لم يدركهم خرابها (ع ٤٥ و٤٦). وأولئك الذين ليست لديهم نعمة كافية لأن يتماسكوا وقت التجربة يجب أن تتوافر لهم الحكمة الكافية أن يبتعدوا عن طريقها. ولقد قيل لهم (ع ٥٠ و٥١): «أيها الناجون من السيف» سيف البابليين مضطهديكم، ومن الفرس الذين يدمرونكم، «اذهبوا لا تقفوا»، اسرعوا بالذهاب إلى بلادكم، لأنه ليس هنا مكان راحتكم، بل في كنعان. أما المسبيون العائدون (ع ٥١)، فإذ ذكروا بأورشليم، صاحوا قائلين: «قد خزينا لأننا قد سمعنا عارا غطى الخجل وجوهنا» لأننا سمعنا أن «الغرباء قد دخلوا مقادس بيت الرب»، حيث دنسوها وخربوها، كيف نسمع هذا ولا نحزن؟ ولقد أجاب على هؤلاء (ع ٥٢) أن إله إسرائيل سينتصر على آلهة بابل، ولذلك يتلاشى الخزي إلى الآبد.

عاشرا: المشاعر المتنوعة التي أثارها سقوط بابل.

(١) البعض سيحزنون لسقوط بابل: «صوت صراخ من بابل» (ع ٥٤) حيث يندبون هذا الخراب الرهيب (ع ٥٥). وسوف يقولون في رثائهم (ع ٤١): «كيف أخذت شيشك»، وكيف أخطأنا بشأنها؟ كيف أصبحت هذه المدينة «دهشا في الشعوب»، بعد أن كانت موضع إعجاب و«فخر كل الأرض؟»

(٢) مع ذلك فإن البعض سيفرحون بسقوط بابل، ليس لأن ذلك سيكون مبعث شقاء لإخوتهم في الإنسانية، بل لأن ذلك يعد إعلانا لدينونة الله العادلة، ولأن ذلك يمهد الطريق لإطلاق سراح مسببي الله (ع ٤٨).

عدد ٥٩- ٦٤

(١) عملت نسخة من هذه النبوة، ويبدو أن ذلك كان بمعرفة إرميا نفسه، لأن باروخ كاتبه لم يذكر هنا (ع ٦٠): «فكتب إرميا كل الشر الآتي على بابل».

(٢) أرسلت إلى بابل، إلى المسبيين هناك بيد «سرايا» الذي ذهب هناك لأنه من حاشية صدقيا الملك، وكان ذلك «في السنة الرابعة لملكه» (ع ٥٩)، ولقد ذهب إلى بابل «مع صدقيا» أو كما جاء في الهامش «نيابة عن صدقيا».

(٣) طلب من سرايا أن يقرأه على مواطنيه الذين كانوا في السبي: «إذا دخلت إلى بابل ونظرت وقرأت كل هذا الكلام» لنفسك ولأصدقائك لكي تشجعهم وهم في السبي، اطلب منهم أن يروا بعين الإيمان نهاية هذه القوى التي تهددهم.

(٤) طلب منه أن يعلن سلطان الله بالنسبة للأمور التي قرأها ويقينية إتمامها. وعلى الرغم من أن سرايا يرى بابل مزدهرة، إلا أنه بعد أن قرأ هذه النبوة يتعين عليه أن يتنبأ بسقوطها. وحين نرى ما عليه هذا العالم وما فيه من المباهج والمغريات التي يلوح لنا بها، علينا أن نقرأ في كلمة الرب أن العالم يزول وشهوته، وهنا نتعلم أن ننظر إليه باستصغار بعين الإيمان.

(٥) عليه بعد ذلك أن يربط السفر بحجر ويلقي به وسط نهر الفرات، كعلامة تؤكد الأمور التي تضمنها، ثم يقول «هكذا تغرق بابل ولا تقوم» (ع ٦٤). من حيث العلامة كان الحجر هو الذي أغرق السفر. غير أنه في الشيء المرموز إليه كان السفر بالأحرى هو الذي أغرق الحجر، فالأمر الإلهي الذي صدر ضد بابل في هذه النبوة هو الذي أغرق المدينة، التي بدت وكأنها راسخة كالصخر. والكلمات الأخيرة من الأصحاح تختم رؤيا هذا السفر ونبوته «إلى هنا كلام إرميا». ويرجع تاريخ هذه النبوة إلى «السنة الرابعة» من حكم صدقيا (ع ٥٩)، قبل أن ينهي شهادته بوقت طويل، ولكنها ستكون آخر ما يتحقق من جميع نبواته ضد الأمم (إر ٤٦: ١). أما الأصحاح المتبقي، فهو أصحاح تاريخي، وكما يظن البعض قد أضافه شخص آخر.

الأصحاح الثاني والخمسون

التاريخ هو أفضل مفسر للنبوة، ولذلك، ومن أجل فهم أكثر لهذه النبوة التي تتعلق بخراب أورشليم ويهوذا، ذكرت لنا هنا بعض المعلومات التاريخية، وهي تتفق مع النواحي التاريخية الواردة في ٢ملوك ٢٤ و٢٥، غير أن التكرار هنا جاء ليلقي الضوء على سفر مراثي إرميا:

أولا: حكم صدقيا الذي اتسم بالشر (ع ١ – ٣).

ثانيا: حصار الكلدانيين لأورشليم والاستيلاء عليها (ع ٤ – ٧).

ثالثا: المعاملة القاسية التي عومل بها صدقيا والرؤساء (ع ٨ – ١١).

رابعا: خراب الهيكل والمدينة (ع ١٢ – ١٤).

خامسا: سبي الشعب (ع ١٥ و١٦) وأعداء أولئك الذين أخذوا إلى السبي (ع ٢٨ – ٣٠).

سادسا: نقل ما نهب من الهيكل (ع ١٧ – ٢٣).

سابعا: اغتيال الكهنة وعظماء آخرين (ع ٢٤ – ٢٧).

ثامنا: الأيام الطيبة التي شهدها يهوياكين في النهاية الأخيرة من حياته، وذلك بعد موت نبوخذراصر (ع ٣١ – ٣٤).

عدد ١ – ١١

تبدأ هذه القصة في مستهل حكم صدقيا، على الرغم من أن السبي قد حدث مرتين قبل ذلك، المرة الأولى في السنة الرابعة من حكم يهوياقيم، والمرة الأخرى في السنة الأولى لحكم يهوياكين.

(١) غضب الله ضد يهوذا وأورشليم بسبب خطيتهما (ع ٣). وقد صمم على أن يطرحهم «من أمام وجهه». لقد طردهم من تلك الأرض الطيبة التي كانت بها علامات تدل على وجوده معهم وذلك في الخير الوفير الذي كانت توفره لهم العناية الإلهية، وفي تلك المدينة المقدسة والهيكل وما كان بهما من علامات وجوده معهم في عهد نعمة ومحبة.

(٢) سلوك صدقيا الشرير وإدارته السيئة، وقد عاقبه الله بسببهما. وصل صدقيا إلى سن الرشد حين اعتلى العرش حيث كان «ابن إحدى وعشرين سنة» (ع ١)، ولم يكن أسوأ الملوك (لم نقرأ إطلاقا عن أن له علاقة بالوثنية) ومع ذلك «عمل الشر في عيني الرب»، لأنه لم يعمل الصلاح الذي كان يجب عليه عمله. أما عمله الشرير الذي عجل بهذا الخراب فهو أنه «تمرد على ملك بابل»، وكانت هذه خطيته وحماقته التي كان من جرائها أن جلبت الخراب على شعبه. لقد غضب عليه الله تماما لغدره في تعامله مع ملك بابل (حز ١٧: ١٥ – ٢١).

(٣) وقد سقطت أورشليم في يد ملك بابل بعد ثمانية عشر شهرا من الحصار. وتذكارا لمرحلتين من مراحل خرابهم، فإنهم أثناء سبيهم كانوا يصومون في «الشهر الرابع... والعاشر» (زك ٨: ١٩)، أما صوم «الشهر الخامس» فكان تذكارا لحرق الهيكل، أما صوم «الشهر السابع» فكان لاغتيال جدليا. لقد تواصل حصار المدينة ثمانية عشر شهرا. ونفذت الأغذية. وعلى الرغم من الهجمات المستمرة فقد رفضت الحامية التسليم، إلا أنه سرعان ما «اشتد الجوع في المدينة» (ع ٦) ولم يكن خبز «للشعب»، فلم يكن من الغريب إذا أن «ثغرت المدينة» (ع ٧) والأسوار في حالة كهذه لا تصمد طويلا بدون الرجال، مثلما لا يصمد الرجال دون الأسوار، بل ولن ينفع كلاهما الشعب في أي شيء بدون الله وحمايته.

(٤) هرب الملك ورجاله الأشداء من المدينة «ليلا» (ع ٧)، غير أنه تم الإمساك بالملك «في برية أريحا»، وتشتت حراسه «وتفرق كل جيشه عنه» (ع ٨).

(٥) المصير الذي لاقاه صدقيا على يد ملك بابل. لقد عامله كمتمرد «فكلمه بالقضاء عليه» (ع ٩)، «فقتل ملك بابل بني صدقيا أمام عينيه وقتل أيضا كل رؤساء يهوذا» (ع ١٠)، ثم «أعمى عيني صدقيا»، «قيده بسلسلتين من نحاس» وأتى به وهو في نشوة الانتصار إلى بابل. وقد حكم عليه بالسجن المؤبد، حيث قضى فيه بقية حياته (لا أستطيع أن أقول أيامه، لأنه لم يكن يرى أياما بعد) في ظلام وبؤس. وكثيرا ما أخبره إرميا بما سوف يواجهه، ولكنه لم يبال بتحذيراته، ولو فعل لكان قد منع هذا المصير الرهيب.

عدد ١٢ – ٢٣

تتحدث هذه الأعداد عن الفوضى الرهيبة التي أحدثها الجيش البابلي بعد شهر من سقوط المدينة تحت قيادة نبوزرادان، الذي كان قائد حرس الإمبراطورية.

(١) أحرق الهيكل بعد أن قام أولا بسلب كل ما فيه من أشياء ثمينة «وأحرق بيت الرب»، الهيكل المقدس الجميل، «حيث سبحك آباؤنا» (إش ٦٤: ١١).

(٢) أحرق القصر الملكي، ولعله القصر الذي بناه سليمان بعد أن بنى الهيكل، والذي أصبح منذ ذلك الحين «بيت الملك».

(٣) أحرق «كل بيوت أورشليم».

(٤) حطم «كل أسوار أورشليم» لكي ينتقم لصمودها أمام جيشه مدة طويلة. وهكذا أصبحت المدينة الحصينة رمادا (إش ٢٥: ٢).

(٥) أخذ كثيرين إلى السبي (ع ١٥)، فأخذ «بعضا من فقراء الشعب»، أي فقراء المدينة، لأنه «أبقى من مساكين الأرض (مساكين الريف) كرامين وفلاحين»، كما أخذ أيضا «بقية الشعب الذين بقوا في المدينة»، الذين نجوا من السيف والجوع، والذين هربوا من الجيش.

(٦) وقد نهبت الأواني التي كانت لا تزال في الهيكل. وكل ما كان له قيمة عظيمة نهبوه، كل الأواني «ما كان من ذهب فالذهب وما كان من فضة فالفضة»، ومع ذلك تبقى البعض منها (ع ١٩). غير أن معظم ما سلب من الهيكل الآن كان من نحاس، وتلك التي كانت أقل قيمة أخذت أخيرا. وحين هدمت أسوار المدينة، هدمت أعمدة الهيكل أيضا، وكلاهما دلالة على أن الله الذي كان قوة ودعامة حكومتها، المدينة والهيكل، قد تخلى عنهما. وما من أسوار تحمي، أو أعمدة تسند أولئك الذين يتخلى عنهم الله. وكانت أعمدة الهيكل هذه للزينة. وقد سميا «ياكين» ومعناه «يثبت»، و«بوعز» ومعناه «صاحب العز أو القوة»، ولذلك كان تحطيم هذين العمودين يشير إلى أن الله لم يعد هو المؤسس لبيته، ولن يكون قوته. وقد وصف هنا هذان العمودان (ع ٢١ – ٢٣؛ ١مل ٧: ١٥). ولقد أخذت كل الأواني الخاصة بمذبح النحاس، لأن إثم أورشليم، مثل إثم بيت عالي الكاهن لن يطهر بذبيحة أو تقدمة (١صم ٣: ١٤). ولقد قيل (ع ٢٠): «لم يكن وزن لنحاس كل هذه الأدوات»، وهكذا كان الأمر عند صناعتها (١مل ٧: ٤٧) «لم يتحقق وزن النحاس» في ذلك الحين (٢أخ ٤: ١٨). والذين سلبوها لم يتوقفوا لوزنها مثلما يفعل المشترون.

عدد ٢٤ – ٣٠

حدث كئيب للغاية:

(١) عن اغتيال بعض الرجال العظام غدرا في ربلة، وعددهم اثنان وسبعون (طبقا لعدد شيوخ إسرائيل، عد ١١: ٢٤ و٢٥)، وهكذا جاء عددهم في (٢مل ٢٥: ١٨ و١٩). والعدد هنا مطابق باستثناء أنه قيل هناك إنهم كانوا خمسة مشيرين، أما هنا فقد جاء العدد «سبعة». ولعله أخذ سبعة من هؤلاء المشيرين، غير أن اثنين منهما وهما «إرميا»، و«عبد ملك» قد أطلق سراحهما، ولذلك لم يقتل منهم سوى خمسة فقط. وقد ذكر أولا «سرايا الكاهن الأول». ولعل سرايا الكاهن كان ممن يثيرون الشغب ومن ثم أصبح مكروها من قبل ملك بابل. ورؤساء هذا الشعب قادوه إلى الخطأ، ولذلك اقتص منهم الآن العدل الإلهي.

(٢) سبي البقية. «فسبي يهوذا من أرضه» (ع ٢٧؛ لا ١٨: ٢٨). وهنا نجد ذكرا:

أ. لسبيين، أحدهما في السنة السابعة لنبوخذراصر (مع نفس ما قيل إنه حدث في السنة الثامنة، ٢مل ٢٤: ١٢)، وآخر في السنة الثامنة عشرة من حكمه، وهو مع ذاك الذي قيل (ع ١٢) إنه كان في السنة التاسعة عشرة. غير أن الأعداد هنا أقل، مما نجدها بالنسبة للسبي السابق (٢مل ٢٤: ١٤ و١٦) حين كان هناك ١٨,٠٠٠ مسبي، في حين أن عددهم هنا قيل إنه ٣٠٢٣. وحين أخذ بقية الشعب إلى السبي (ع ١٥) كان الاعتقاد أنهم سيزيدون على ٨٣٢ نفسا، وبمقدورنا أن نستنبط أنه أضيف إلى هذه الحسابات أعداد الذين اغتيلوا من العظماء في ربلة، وكل الذين قيل إنهم سبوا هنا تم «قتلهم» على اعتبار أنهم متمردون.

ب. بالنسبة للسبي الثالث، الذي لم يذكر قبل ذلك، والذي كان في السنة الثالثة والعشرين من حكم نبوخذراصر، أي بعد خراب أورشليم بأربع سنوات (ع ٣٠): عندئذ جاء نبوزراداان وأخذ ٧٤٥ يهوديا، ولعل ذلك جاء كانتقام لقتل جدليا، والذي كان يمثل تمردا آخر على ملك بابل، وأن أولئك الذين أخذوا الآن تم

www.difa3iat.com

قتلهم. وإذا كان هذا إجمالي عدد المسبيين (وكان عددهم الإجمالي ٤٦٠٠ نفس، ع ٣٠)، لقد قل عددهم عما كانوا عليه، لكن الله جعلهم مثمرين في أرض محنتهم، وكلما زاد اضطهادهم زاد عددهم.

عدد ٣١- ٣٤

هذه القصة الخاصة بإعادة الملك يهوياكين من العبودية سبق أن وجدناها في ٢ ملوك ٢٥: ٢٧ – ٣٠، مع فارق بسيط وهو أنه قيل هناك إن ذلك كان «في الشهر الثاني عشر في السابع والعشرين من الشهر» أما هنا فقد ذكر أن ذلك «في الخامس والعشرين من الشهر». ومن المحتمل أن الأوامر صدرت بإطلاق سراحه «في الخامس والعشرين» غير أنه لم يقدم للملك حتى «السابع والعشرين». لقد أبقى نبوخذراصر هذا الملك التعيس في السجن مدة طويلة، أما ابنه فعلى الرغم من أنه كان يميل إلى هذا السجين، إلا أنه لم يستطع أن يحصل له على أي معروف، بيد أنه حين مات الرجل العجوز، قام ابنه بإطلاق سراح يهوياكين وجعله من المقربين له. لقد سقط يهوياكين من العرش إلى السجن، ولكنه ارتقى هنا ثانية من السجن إلى عرش دولة (ع ٣٢)، على الرغم من أنه ليس عرش قوة.

وكما حدث في السابق حيث بدلت ثيابه الملكية بثياب السجن، هكذا الآن بدلت ثياب السجن بثياب ملكه. وعلى الرغم من أن ليل البلية قد يكون طويلا جدا، إلا أنه علينا ألا نيأس؛ فالنهار سوف يبزغ أخيرا. لقد ظل يهوياكين في السجن مدة سبع وثلاثين سنة، في الحبس والاحتقار، وذلك منذ أن كان في الثامنة عشرة من عمره. ليت أولئك الذين طالت محنهم يشجعون أنفسهم بهذا المثال، «لأن الرؤيا بعد إلى الميعاد في النهاية تتكلم» وستتكلم بالتعزية، ومن ثم يجب انتظارها. وبمقدور الله أن يعمل على أن يجد نعمة في عيون مضطهديه، ويحول قلوبهم بحيث تشفق عليهم (مز ١٠٦: ٤٦)، «وأعطاهم نعمة قدام كل الذين سبوهم». وليس من العبث أن تأمل، وفي هدوء تنتظر خلاص الرب.

وإذا ما قارنا النبوة وتاريخ هذا السفر، يمكننا أن نتعلم:

أ. ليس بالأمر الجديد بالنسبة للكنائس أو الأشخاص ذوي المكانة الرفيعة أن ينحلوا ويفسدوا.

ب. إن الخطية تجلب الخراب على من يعيشون فيها، وما لم تتم التوبة والرجوع عنها، فمن المؤكد أنها ستنتهي إلى خراب.

www.difa3iat.com

مراثي إرميا

(١) عنوان هذا السفر: ليس لهذا السفر عنوان في اللغة العبرية، لكنه يبدأ مثل أسفار موسى الخمسة بأول كلمة فيه وهي «كيف»، وقد أطلق المفسرون اليهود عليه كلمة «مراثي» كما فعل اليونانيون ونحن على غرارهم. وكما لدينا أغاني وأناشيد فرح مقدسة، لدينا أيضا أناشيد رثائية جنائزية مقدسة.

(٢) إن كاتب هذا السفر هو إرميا الشاعر، وهكذا نرى الانسجام في ارتباط هذا السفر بسفر نبوته، إذ يعد ملحقا له. لدينا هناك النبوات عن خراب يهوذا وأورشليم، ثم تاريخها حتى يتبين كيفية تحقق النبوات فيهما. ولدينا هنا تعبيراته الممزوجة بالأسى على الأحداث الواقعة بهما. عندما رأى تلك الكوارث القادمة، تمنى أن تكون رأسه ماء وعيناه ينبوع دموع. وعندما وقعت تلك الكوارث بكى وكان في شدة التأثر على بلاده. وعلى الرغم من قسوة بلاده عليه ومع أن دمارها وخرابها كانا دليلا على صدق نبوته، فقد رثاها بكل أسى وحزن.

(٣) المناسبة التي قيلت فيها هذه المراثي هي دمار يهوذا وأورشليم على يد الجيش البابلي وانهيار المملكة اليهودية. مدنيا ودينيا. قد يظن البعض أن تلك المراثي قالها إرميا عند وفاة يوشيا (٢أخ ٣٥: ٢٥) ولكن يبدو أنه قالها عن تلك الكوارث عندما حدثت بالفعل. ومن ثم لا علاقة ليوشيا بها. بل إن محور هذه المرثاة هو رثاء دمار أورشليم.

(٤) إن نظم هذه المراثي ليس شعريا فقط بل أبجديا فيما عدا الأصحاح الخامس. تبدأ كل آية منها بحرف تبعا لترتيب الأبجدية العبرية، فالحرف الأول هو الألف ثم الثاني الباء... إلخ.

ولكن في الأصحاح الثالث تصبح الأبجدية ثلاثية بمعنى أن الحروف الثلاثة الأولى تكون ألف، ثم الثلاثة التالين باء.. مما ساعد على حفظها، ويُعد هذا من أساليب الروعة في الكتابة. وفي الأصحاحات الثاني والثالث والرابع وضع حرف الفاء قبل حرف العين، والمعروف أنه يتبعه وهذا في جميع الأبجديات العبرية.

وقد نرد ذلك إلى أن حرف العين الذي يقابل الحرف العددي سبعين، يذكرهم بتغيير وضعه هكذا، بالسبعين سنة التي يرد الرب في نهايتها سبيهم.

(٥) واستخدم المراثي عند اليهود الأتقياء في معاناتهم، يعطيهم ذخيرة لغوية روحية تساعدهم على التعبير عن حزنهم بصورة طبيعية، كما تساعدهم على تخليد ذكريات صهيون بينهم، عندما كانوا في بابل. لقد تعلموا هنا أن يبكوا حزنا على خطيتهم أمام الله.

الأصحاح الأول

الأبجدية الأولى لهذه المرثاة ٢٢ فقرة، نرى فيها النوح على شقاء أورشليم، وتفاقم وضعها الحالي الذي يرثى له بالمقارنة بحالة الرخاء التي كانت تحياها سابقا، والاعتراف بأن الخطية كانت سببا لكل تلك المآسي، وطلب عدل الله تجاه أعدائهم ورحمته تجاههم.

(١) شكوى موجهة إلى الله من الكوارث التي وقعت عليهم (ع ١ – ١١).

(٢) الشكوى ذاتها موجهة لأصدقائهم (ع ١٢ – ١٧).

(٣) طلب الله وبره فيما يتعلق بالكوارث. (ع ١٨ – ٢٢) وتوسله بكل تواضع لأجلها.

عدد ١ – ١١

أولا: مآسي أورشليم:

(١) فيما يتعلق بحالتهم المدنية:

أ. كانت فيما مضى مدينة عامرة بالسكان وأصبحت الآن مهجورة (ع ١). كانت تزدحم بشعبها الذي يقطنها، وبشعوب أخرى كانت قد لجأت إليها، وكانت لها تجارة رائجة معها، ولكن الآن سُبي شعبها وأصبحت مهجورة. لم تعد الأماكن الرئيسية في المدينة كما كانت فيما مضى.. أماكن الإلتقاء والتجمع. «كيف صارت كأرملة!» تركها ملكها– الذي كان كبعل لها، ورفضها إلهها، وخلت من أبنائها.. إنها وحيدة وحزينة كالأرملة.

ب. كانت مدينة لها سيادة وسلطان وها قد استعبدت الآن. لقد كانت عظيمة بين الأمم، محبوبة جدا من البعض ومهوبة الجانب من البعض الآخر. كان البعض يقدم لها هدايا. وآخرون يدفعون الجزية، حتى صارت بالفعل «السيدة في البلدان». ولكنها الآن قد فقدت ليس فقط أصدقاءها وغدت مهجورة، بل فقدت أيضا حريتها وصارت مستعبدة، تدفع الجزية أولا لمصر ثم لبابل. فالخطية لا تقود الشعب إلى العزلة فقط، بل إلى العبودية أيضا.

ج. كانت مدينة تمتلئ بالرحمة، وقد أصبحت الآن تمتلئ بالحزن. وكانت أورشليم مدينة فرح، حيث كانت الأسباط تذهب لتفرح وتتهلل أمام الرب. بل كانت فرح الأرض كلها، ولكنها الآن تبكي بمرارة، تبكي ليلا في صمت ووحدة. بينما يستريح الآخرون في الليل، تتجه كل أفكارها نحو أثقالها ومشاكلها. رأسها ينبوع ماء وعيناها ينبوع دموع حتى تبكي نهارا وليلا (إر ٩: ١)، «ودموعها على خديها» (ع ٢).

د. هؤلاء الذين انفصلوا عن الوثنيين أصبحوا يسكنون الآن بين الأمم، الذين كانوا سابقا شعبا متميزا اصبحوا الآن شعبا مختلطا (ع ٣)، «قد سُبيت يهوذا» من أرضها إلى أرض أعدائها– الغرباء عن الله وعهود الموعد– الذين معهم لم تجد لها راحة. «ذهب أولادها إلى السبي قدام العدو»، سُبي الذين كان ينبغي أن يكونوا أساس الجيل الآتي، لذا فمن المرجح أن تظل الأرض مهجورة لعدم وجود من يَرثها. هؤلاء الذين يسكنون بين أهلهم، كشعب حر، في أرضهم، سيتعلمون أن يكثروا الشكر والحمد من أجل تلك المراحم إذا نظروا إلى آلام ومآسي الذين أجبروا على العيش في بلاد غريبة.

هـ. هؤلاء الذين اعتادوا الانتصار.. قد أصابتهم الهزيمة. «قد أدركها كل طارديها بين الضيقات» (ع ٣)، لذا سقط شعبها دون مفر في أيدي العدو، لأنه لم يكن هناك سبيل للهروب (ع ٧). صار مضايقوها في كل مكان أسيادها، لقد أصبح أعداؤها في راحة (ع ٥).

و. هؤلاء الذين كانوا شعبا له كرامته، وقد اعطاه الله كرامة فاحترمه جيرانه، صار الآن رجسا (ع ٨) يحتقره الجميع، «كل مكرميها يحتقرونها». لقد أحطوا من قدر أنفسهم بخطاياهم. انتصر عليهم اعداؤهم (ع ٩)، إن عار الشعوب الخطية.

ز. هؤلاء الذين عاشوا في أرض مثمرة، أوشكوا على الفناء لنقص الطعام اللازم (ع ١١). كل شعبها يتنهدون في اكتئاب ويأس. «لم يكن خبز لشعب الأرض» (إر ٥٢: ٦)، وفي فترة سبيهم كانوا يجدون صعوبة شديدة في الحصول على الخبز (مرا ٥: ٦)، لقد «دفعوا (قايضوا) مشتهياتهم للأكل» حتى يحافظوا على حياتهم، أو لكي يستردوا الحياة بعد أن كانت على وشك الانتهاء.

(٢) قائمة بآلامهم فيما يتعلق بوضعهم الكهنوتي والطقسي:

أ. لم تعد أعيادهم الدينية تراعى ثانية (ع ٤)، طرق صهيون نائحة، واكتست بالأعشاب الضارة، أهملت الأعياد الرسمية وامتهنت (إش ١: ١١ و١٢)، وهكذا وضعت نهايتها. وكما ناحت طرق صهيون هكذا أيضا «كل أبوابها خربة» تلك التي تعود العابدون الأمناء التقابل عندها، ولكنها أصبحت مهجورة وخربة الآن.

ب. «كهنتها يتنهدون» على خراب الهيكل، وتحولت أغانيهم إلى تأوهات. وفي يوم ازدهار صهيون، (مز ٦٨: ٢٥)، كانت معهم فتيات ضاربات للدفوف، أما الآن فنلاحظ الانحطاط الذي صار. فقد كانت «عذاراها مذللة وهي في مرارة»، إذ كان جميع الساكنيين في صهيون في حزن شديد على الأعياد، وهم كانوا «حاملين عليها العار». (صف ٣: ١٨).

ج. وقد انتهكت قدسية معابدهم، (ع ١٠)، فقد دخل الأمم «مقدسها»، الهيكل الذي لم يكن ليسمح للإسرائيليين بدخوله، بالرغم من عظم تبجيلهم وإخلاصهم، بل كان الكهنة فقط هم الذين يقدرون أن يدخلوه. ولكننا نرى الآن الأمم وقد تزاحموا بالهيكل ليس للعبادة ولكن للسلب والنهب.

د. أصبحت كل الأشياء الثمينة التي كانت تزين الهيكل، والتي كانت تستخدم في عبادة الله، غنيمة في يد العدو (ع ١٠) «بسط العدو يده على كل مشتهياتها». أما عن ماهية هذه المشتهيات، فإنها تتضح في إشعياء ٦٤: ١١، حيث يضاف إلى الشكوى من حرق الهيكل أن كل مشتهياتها صارت خرابا تابوت العهد والمذبح، وكل علامات حضور الله معهم، والتي تعد أثمن من كل الأشياء الأخرى. قد أصبحت الآن حطام وحملت بعيدا. وهكذا «خرج من بنت صهيون كل بهائها» (ع ٦) فقد كان جمال بنت صهيون هو جمال القداسة، لذلك عندما تهدم الهيكل ذلك المكان الجميل المقدس، فني جمالها.

هـ. أصبحت أعيادهم الدينية موضعا للسخرية، (ع ٧) «رأتها الأعداء ضحكوا على هلاكها» لقد ضحكوا عليها لأنهم رأوا تقديسها لليوم السابع للرب. وقد سخر البعض من اليهود لأنهم يضيعون سبع وقتهم (يوم السبت). ولكن الحقيقة إنه إذا قُدست السبوت كما ينبغي، فستكون لها قيمة أكبر من كل أيام الأسبوع الأخرى. وبينما كان اليهود يصرحون بأنهم يقدسون هذا اليوم طاعة لوصايا إلههم، سألهم أعداؤهم: وما الفائدة من طاعتكم لوصايا الله الذي ترككم الآن في مذلتكم؟

و. أصبحت حالتها الآن على نقيض ما كانت عليه سابقا، (ع ٧). والآن في أيام الصعوبات والضلال عندما بدأت كل الأشياء تبدو سوداء وكئيبة، بدأت تتذكر كل المشتهيات التي كانت لديها في أيام القدم. وكثيرا ما يعلمنا الله قيمة المراحم بحرماننا منها.

ثانيا: خطايا أورشليم هي السبب في كل هذه المصائب «فالرب قد أذلها». (ع ٥). وقد فعل هذا كقاضٍ عادل «لأجل كثرة ذنوبها». وإن كانت ضيقاتها كثيرة فإن خطاياها أكثر جدا، (انظر إرميا ٣٠: ١٤). إنها رجسه (ع ٨) «قد أخطأت أورشليم خطية» أخطأت بإرادتها، عمدا، أورشليم التي كانت تتمتع بامتيازات رائعة، أخطأت خطية عظيمة (ع ٨) ولذلك (ع ٩) «انحطت انحطاطا عجيبا». لقد كانوا ظالمين لذلك فإن إدانتهم عادلة (ع ٣). «قد سبيت يهوذا من المذلة ومن كثرة العبودية»، لأن الأغنياء بها كان يقومون بإيذاء الفقراء وخاصة (كما يتضح من الكلمات الآرامية) ظلمهم للعبيد العبرانيين، وهي التهمة المنسوبة إليهم (إر ٣٤: ١١). وقد كان الجميع «يحتقرونها» (ع ٨) «لأنهم رأوا عورتها»، وقد بسطت ذيلها في حمأة الخطية.

ثالثا: وهنا توجه الشكوى ضد أصدقاء أورشليم إذ كانوا زائفين وغير رحماء لقد «غدروا بها» (ع ٢) وأصبحوا بالفعل «أعداء» لها. صار رؤساؤها كالأيائل عند أول إنذار يسارعون بالهرب. كلهم «كأيائل»، جوعى لانعدام المرعى، لذلك فهم «يسيرون بلا قوه أمام المطارد». جيرانها ليسوا ودودين. «وليس من يساعدها» (ع ٧) «ليس لها معز» ولا يوجد من يرق لها، أو يخفف من حزنها (ع ٧، ٩).

رابعا: وهنا يأتي طلب وجه إله أورشليم، وكل شيء موضوع تحت نظرته الحانية (ع ٩) «انظر يا رب إلى مذلتي» وآية ١١ «انظر يا رب وتطلع». فالوسيلة الوحيدة لراحة نفوسنا هي أن نضع أحمالنا على الله أولا. ثم نجعله يفعل بنا ما يحسن في عينيه.

عدد ١٢ - ٢٢

يعترف النبي في هذه الأعداد- نيابة عن الجماعة الباكية- على يد الله في هذه المصائب ويرى بره.

أولا: ترى الجماعة الباكية، وهي في ضيقها تعظم من مصيبتها وتتوجه إلى كل المشاهدين لها قائلة «انظروا إن كان حزن مثل حزني» (ع ١٢). وقد يحق إطلاق مثل هذا القول عن أحزان أورشليم، ولكننا نميل إلى تطبيق هذا القول بطريقة مباشرة أيضا علينا عندما نكون في ضيق. إذا وضعت مشاكلنا بجوار مشاكل الآخرين ثم قسمت المشاكل بالتساوي، وأخذ كل واحد نصيبه منها مثل الآخرين، عندئذ لقال كل منا: «أرجوك أعطني نصيبي الأول كما كان».

ثانيا: وها هي تتطلع إلى ما هو وراء الأحداث، إلى سبب هذه المتاعب. أن الرب هو «الذي أذلني»، وقد فعل ذلك لأنه غاضب مني.. فعل ذلك في «يوم حمو غضبه» (ع ١٢). وهي تبدو كمن يعاني من حمى «أرسل نارا إلى عظامي» (ع ١٣). وتبدو كمن في شبكة، وكلما حاول الخروج منها أطبق عليه الشرك. وتبدو أيضا كمن في برية، وفي طريق موحش: قد «ردني إلى الوراء» فلا أستطيع التقدم وقد «أذلني»، حتى أنه لم يعد لي ما يساندني، بل أنني مغشي عليَّ «خربة اليوم كله». وهي كمن وضع تحت نير، ليس نير الخدمة، بل نير التأديب (ع ١٤) «شد نير ذنوبي بيده». إن نير وصايا المسيح هين (متى ١١: ٣٠). ولكن نير تعدياتنا ثقيل. عندما يشتد علينا نير ضميرنا بأحكامه باعتباره ممثلا لله، فإنه يشد نير الذنوب بيده ويضفرها ويصعدها إلى أعناقنا (ع ١٤)، ولن يحل هذا النير إلا بيد رحمته الغافرة. إنه هو الذي «رذل... كل مقتدريَّ» (ع ١٥). فصارت وكأنها في معصرة، والله هو الذي يدوس العذراء بنت يهوذا. فهي في يد أعدائها، والرب هو الذي أسلمها لهم (ع ١٤). الله الذي كثيرا ما أحرز انتصارات ليعقوب (مز ٤٤: ٤). الآن يصرح بغزو ضد يعقوب لأنه قد عصى وصايا الشريعة.

ثالثا: وهي تطلب نصيبا عادلا من عطف أولئك الذين رأوا مذلتها (ع ١٢) «أما إليكم يا جميع عابري الطريق؟» هل تستطيعون أن تنظروا إليَّ بلا اهتمام؟ ألا يعنيكم في شيء احتراق منزل جارتكم؟

رابعا: ثم تبرر حزنها الخاص (ع ١٦) «على هذه أنا باكية»، أبكي في الليل (ع ٢) عندما لا يراني أحد، «عيني تسكب مياها». لقد «بسطت صهيون يديها» (ع ١٧) وهذا تعبير عن اليأس أكثر من دلالته على الحاجة. فقد تركها الله. ولا عجب من إعياء نفوس القديسين عندما يبتعد عنهم الله المعزي، الوحيد الذي يستطيع أن يعزيهم. لقد هلك بنوها ولم تعد لديهم القدرة على مساعدتها. فهم لا يستطيعون أن يساعدوا أنفسهم، فكيف سيقدرون على مساعدتها؟ جميع عذاراها وشبانها، الذين كانوا سبب فرحها ورجائها، قد «ذهبوا إلى السبي» (ع ١٨). محبيها قد خدعوها، بعضهم لم يرد مساعدتها والبعض الآخر لم يقدر أن يعزيها. وقد «بسطت... يديها» لطلب العزاء والراحة، ولكن «لا معزي لها» (ع ١٧). وكان محبوها هم أصنامها. وكانت مصر وأشور موضع ثقتها. ولكنهما خدعاها. «الكهنة والشيوخ» الذين كانوا يجب تواجدهم لحمل المسئولية في هذه المصائب، ماتوا جوعا (ع ١٩). أو ذهبوا يلتمسون خبزا لكي يحيوا «في الخارج يثكل السيف». ويذبح جميع الذين يجدهم في طريقه. «وفي البيت» قطع المحاصرون جميع الإمدادات حتى أنه لم يبق في البيت إلا «الموت» نتيجة المجاعة. والأعداء الذين كانوا سبب الكارثة، كانوا همجيين، وكذلك كان المتفرجون من عمون وأدوم. الذين كانوا يكنون لأورشليم نية سيئة. لقد «سمعوا ببليتي. فرحوا لأنك فعلت» (ع ٢١). فقد سرهم حدوث خلاف بين الله وإسرائيل.

خامسا: ثم تبرر فعل الله، معترفة بأن خطاياها تستحق هذه التأديبات. فإن «ذنوبها» هي التي ربطتها بنير ثقيل جدا. (ع ١٤) فبالعصا التي نمتلكها نُضرب. وهي تعترف بأن أعمال الله عادلة وأن أعمالها كانت آثمة «قد عصيت أمره» (ع ١٨)، وأيضا آية ٢٠ «قد عصيت متمردة». مهما حاولنا فلن نستطيع وصف بشاعة الخطية، وعلينا أن ندرك دائما مدى بشاعة خطايانا نحن، وأن ندعوها تمردا، بل تمردا عظيما. إن الحزن بسبب الخطية يجب أن يكون عظيما جدا ويجب أن يؤثر في النفس.

سادسا: وهي تطلب رحمة الله وعدله فيما يتعلق بقضيتها الحالية: «انظر يا رب فإني في ضيق». وهي تناشد عدالة الله فيما يختص بإيذاء أعدائها لها. (ع ٢١ و٢٢) ليتك «تأتي باليوم الذي ناديت به»، اليوم الذي عُين في مشورات ومقاصد الله وأُعلن في النبوات، اليوم الذي سيصير أعدائي فيه مثلي، حينما يوضع في أيديهم كأس الترنح الذي هو في يدي الآن. لذلك يمكن أن تقرأ هذه الرغبة على أنها صلاة.. «ليأت اليوم الذي ناديت به»، ثم تستمر في الصلاة.. «ليأت كل شرهم أمامك» اسرع بالوقت الذي ستحاكمهم فيه على تعدياتهم «كما فعلت بي من أجل كل ذنوبي». وتتعدى هذه الكلمات كونها مجرد صلاة، فهي تعتبر احتجاجا على أي شكل من أشكال الاندماج مع هؤلاء. يجب أن تكون صلواتنا متفقة مع كلمة الله، وبالرغم من واجبنا أن نغفر لأعدائنا وأن نصلي لأجلهم، إلا أنه يمكننا أن نصلي لله بإيمان لكي يتمم ما وعد به تجاه أعدائنا وأعداء كنيسته.

الأصحاح الثاني

تم وضع الرثاء الأبجدي الثاني بنفس النغمة الحزينة، ومضمونه هو نفس مضمون ما سبق، فيبدأ بكلمة كيف، كالأصحاح الأول، «يالحزننا، وا أسفاه علينا!»

أولا: يظهر هنا غضب إله صهيون كسبب لمصائبها (ع ١ – ٩).

ثانيا: ثم يظهر حزن أبناء صهيون بسبب المصائب التي أصابتهم (ع ١٠ – ١٩).

ثالثا: الأمر يرجع إلى اهتمام الله ورحمته (ع ٢٠ – ٢٢). اليد التي جرحت يجب أن تشفي.

عدد ١ – ٩

هنا نجد صورة حزينة جدا لحالة شعب الله، لصهيون وأورشليم، ولكن يبدو أن التركيز كله في هذه الأعداد على يد الله. إن سبب الحزن هو أن الرب يبدو غاضبا منهم، فهو الذي يؤدبهم بغضبه.

أولا: لقد كان سرور الله في القديم بشعبه، وكان يظهر لهم كصديق، ولكنه الآن غاضب منهم ويظهر أمامهم كالعدو. والذين يعرفون كيف يقدرون رحمة الله لايوجد ما يخيفهم أكثر من يد الله، فتوجيهات المحبة يسهل احتمالها، أما توبيخات المحبة فتجرح بعمق. فالعقاب الإلهي قد اشتعل في يعقوب مثل نار ملتهبة (ع ٣). لكن خطيتهم هي التي أضرمت هذه النار. إن الرب أب حنون على أبنائه، حتى أننا نثق أنه لا يغضب أبدا منهم إلا عندما يثيرون غضبه. وهو الآن عدو لهم. أو على الأقل يبدو لهم «كعدو» (ع ٥). «مد قوسه كعدو»، وقد نصب يمينه ضدهم ممسكا بسيف «كعدو». حقا إن الرب ليس عدوا لشعبه عندما يغضب منهم ويؤدبهم بغضبه، لكن أحيانا يكون كالعدو لهم عندما تبدو لهم عنايته الإلهية، في ظاهرها، وكأنها تميل إلى تدميرهم. ولكن.. مبارك الرب، فإن المسيح هو «سلامنا»، هو صانع السلام الذي قتل العداوة.

ثانيا: لقد كان شعب الله يبدو مشرقا في وقت، وكان ذا شأن بين الأمم، ولكن الآن قد غطى السيد ابنة صهيون بالظلام. (ع ١)، بغيمة سوداء، لن تستطيع صهيون إذا رؤية وجهه من خلالها. فهي «غيمة سميكة» (كما تشير الكلمة) «غيمة سوداء» ليست كتلك التي كان الله يقودهم بها في البرية، ولا تلك التي ظهر فيها الله في الهيكل وملأه بمجده. كلا، فذلك الجانب من الغيمة قد تحول عنهم كما تحول أمام المصريين في البحر الأحمر. «نصب يمينه»، حتى أنهم لم يستطيعوا تفادي العاصفة التي وجهت إليهم. فما الذي بإمكان يمينهم فعله أمام الأعداء بعد أن أرجعها الله وأفناها كما فعل بيمين يربعام.

ثالثا: لقد كانت أورشليم ومدن يهوذا في القديم قوية ومحصنة جدا، ولكن الآن غضب الله عليها. لقد تم تدميرها بالكامل حتى أنه يبدو لهم أنهم قد ابتلعوا. لقد «ابتلع كل قصوره». (ع ٥). بالرغم من أنها كانت قبلا مكرمة وقوية، غنية، ومحصنة. ولم يكتف الله بتدمير مساكنها بل هدم حصونها أيضا. وهكذا فقد ضاعف من الحزن والرثاء لابنة يهوذا، عندما شاهدوا جميع سبل دفاعاتهم وقد ذهبت عنهم. وقد تأكد هذا في الأعداد ٧ – ٩. لقد حصر في يد العدو أسوار قصورها. أسوار القصور لها يمكن أن تحميهم إلا إذا كان الله سور نار من حولهم. ومهما أوقع الله

www.difa3iat.com

من خراب على شعبه، فهذا يحدث تبعا لمقاصده. ولكنه عندما يفعل ذلك فإنه «يمد المطمار»، أي خيط القياس، ليفعل كل شيء بدقة وبالقياس، فإلى هذا الحد سيكون الدمار ولن يتخطى هذا المقدار.

رابعا: لقد كانت حكومتهم في ازدهار فيما مضى، وكان ميزان القوة يميل إلى جانبهم. ولكن صار الأمر على النقيض الآن.. لقد أوصل المملكة ورؤساءها إلى الأرض منجسين (ع ٢). لقد نجسوا أنفسهم في البداية بأوثانهم، ثم تعامل الله معهم كما يتعامل مع الأشياء النجسة. ولا عجب من احتقار الجميع للكاهن والملك، بالرغم من شخصياتهم التي كانت موقرة وغير قابلة للتعدي عليها، عندما «رذل (الله) بسخط غضبه الملك والكاهن» (ع ٦). لقد زال التاج عن رؤوسهم، لأن ملكها ورؤساءها قد تشتتوا بين الأمم ودخل بينهم السجناء (ع ٩)، ويعاملون الآن باحتقار دون أي اعتبار لشخصياتهم. فمن عدل الله إذا أن يقلل مِن شأن هؤلاء الذين تسببوا بخطيتهم في تقليل شأن أنفسهم.

خامسا: لقد كانت وصايا الله في وقت ما تطبق بنقاء، وكانت لديهم علامات تدل على حضور الله معهم، ولكن هذا الجمال قد ذهب عن إسرائيل، ولاشك أنه كان أجمل ما في إسرائيل. وكان تابوت العهد موطئ قدمي الله، تحت كرسي الرحمة، بين الكروبيم، وكان هذا الرمز أقدس الرموز عن حضور الله، أو قد أطلق عليه موطئ قدميه (١أخ ٢٨: ٢؛ مز ٩٩: ٥؛ ١٣٢: ٧). هناك استقرت الشكينة، ولكنه لا يذكر الآن موطئ قدميه. وسمح الرب على ما يبدو بسقوط التابوت في أيدي البابليين. فما جدوى علامات حضور الله إن كان غير حاضر؟ إن الله قائم هو ومملكته بدون هذا الموطئ. وقد كان هؤلاء الذين خدموا في الأمور المقدسة مصدر بهجة للعيون (ع ٤). لقد كانوا «أنقى من الثلج وأكثر بياضا من اللبن» (مرا ٤: ٧). ولكنهم ذبحوا وامتزج دمهم بذبائحهم. وكان الهيكل هو خيمة الله (إذ كان يطلق على الخيمة قديما «الهيكل») لقد نزع الله «مظلته» قلع أوتادها وقطع حبالها (ع ٦)، ولم تعد بعد خيمة أو على الأقل لم تعد خيمة الله. فعندما يحتقر الناس خيمة الله، عندئذ فمن حق الله أن يحرمهم منها. «رذل مقدسه» (ع ٧)، فقد تنجس بالخطية، الشيء الوحيد الذي يكرهه، ولذلك فقد رذل أيضا مقدسه الذي كان يسر به ويدعوه «راحتي إلى الأبد» (مز ١٣٢: ١٤)، ويفسر البعض كلمة «مجتمعه» (ع ٦) ليس على أنها الهيكل فقط، بل على أنها معابد ومدارس الأنبياء التي حرقها العدو (مز ٧٤: ٨). لقد كانوا يذكرون السبوت والمواسم المهيبة، أما الآن فقد «أنسى الرب في صهيون الموسم والسبت». فالآن بعد أن دمرت صهيون، ليس هناك فرق بين أيام السبوت والأيام الأخرى، فقد أصبحت كل الأيام أيام نحيب، حتى أن كل المواسم قد نُسيت. وقد طُرح الآن المذبح الذي كان يقدس عطاياهم. لأن الله لن يقبل عطاياهم بعد ذلك، ولن يتمجد بذبائحهم (ع ٧). وكان المذبح «مائدة الرب»، ولكن الله لن يسكن بينهم ثانية، ولن تكون هناك لهم أعياد، ولن يحتفل الرب معهم بأي من أعيادهم ثانية. لقد تباركوا قبلا بالأنبياء وبمعلمي الشريعة ولكن لم تعد هناك شريعة (ع ٩)، ولم يعد الشعب يقرأها، ولا يشرحها الكتبة، وقد ذهب لوحا الشريعة مع تابوت العهد، أُخذ سفر الشريعة منهم. «أنبياؤها أيضا لا يجدون رؤيا من قبل الرب». فقد اضطهدوا أنبياء الله، واحتقروا الرؤى التى كانت من قبل الرب، ولذلك فمن حق الله أن يخبرهم بأنهم لن يكون لهم أنبياء آخرون ولا رؤى أخرى.

عدد ١٠ - ٢٢

بالحق سميت هذه «مراث» تعبيرا عن الحزن، مثل محتويات درج حزقيال (حز ٢: ١٠).

أولا: لقد قدمت هنا عدة نسخ من المراثي، وهي مفعمة بالحياة.

(١) نزعت ثياب الدولة عن القضاة والحكام الذين اعتادوا الظهور بها، وتنطقوا بمسوح الحزن بدلا منها (ع ١٠)، ولم يعد الشيوخ يجلسون على كراسي القضاء، عروش بيت داود، بل يجلسون على الأرض، ويفعلون ذلك وهم ساكتون، والحزن يغمرهم، ولا يعلمون ماذا يقولون. وقد رفعوا التراب على رؤوسهم وتنطقوا بالمسوح.

WWW.DIFA3IAT.COM

(٢) «تحني عذارى أورشليم رؤوسهن إلى الأرض». هؤلاء اللاتي كن دائما في فرح قد عرفوا الحزن الآن.

(٣) ويعد النبي نفسه نموذجا للحزانى (ع ١١) «كلّت من الدموع» عيناه. لقد بكى كثيرا حتى أنه لم يستطع البكاء ثانية، لقد أعمى عيناه بالبكاء. كان لدى إرميا علاج أفضل مما لدى جيرانه. وأفضل مما كان لدى بني جنسه من قبل. فقد كان دمارهم سببا في خلاصه، ولكن اهتماماته الخاصة أُبتلعت وسط اهتمامه بعامة الشعب، وهو ينوح لأن شعبه قد دمر، كما لو كان هو نفسه أعظم المتألمين من هذه الكارثة العامة.

ثانيا: لقد صرخ قلبهم إلى الله (ع ١٨). لقد ظن البعض أن يكون صراخهم إلى الله هو للشكوى، ولكن كانت صرخة الكثيرين منهم إلى الله بإخلاص لطلب الرحمة في بليتهم، ويحثهم النبي على هذا الفعل: «يا سور بنت صهيون». إما أنه يقصد الواقفين على السور، أي حراس الأسوار (إش ٦٢: ٦) أو بسبب تهدم السور (الذي لم يتم اكتمال بنائه إلا بعد أن أخذت المدينة بشهر). فلتستمر ابنة صهيون في رثائها. وقد كان هذا سبب رثاء نحميا بعد ذلك (نح ١: ٣ و٤). «اسكبي الدمع كنهر نهارا وليلا» .. إبكي بلا توقف، «لا تعطي ذاتك راحة» من البكاء، لا تكف حدقة عينك. فالمصائب ستستمر وستتكرر أسباب الحزن. وستكون هناك مناسبة جديدة للنوح كل نهار وكل ليل. وبالتدريج سيصبحون ميالين إلى أن يتقسوا تدريجيا. وسيحتاجون إلى أن يُحزنوا نفوسهم إلى أن يتحول كبرياؤهم وقسوة قلوبهم إلى تواضع ووداعة.

ثالثا: وهنا تحدد أسباب الرثاء:

(١) فني الشعب بسبب المجاعة. لقد أدبهم الله بقلة مواردهم الغذائية منذ وقت مضى عن طريق نقص الأمطار (إر ١٤: ١)، والآن بسبب شدة الحصار الذي جلبه الرب عليهم بقسوة. لأن الأطفال ماتوا بين أذرع الأمهات بسبب الجوع (ع ١١). وقد ذكر هذا الأمر أيضا في آية ١٩. «أطفالك المغشى عليهم من الجوع في رأس كل شارع». لقد كان هناك من الأطفال من ذبح بيد أمهاتهم لكي يأكلوهم. (ع ٢٠). وهذا ما حدث في حصار السامرة. (٢مل ٦: ٢٩).

(٢) سقط كثيرون بالسيف، الذي كان يقضي عليهم الواحد تلو الآخر، وخاصة عندما تكون اليد الممسكة به يد عدو قاس كالبابليين فلم ينج أي شخص مهما كان عمره فحتى هؤلاء المستثنون من حمل السيف نظرا لتقدمهم في الأيام، إذ أن هؤلاء أيضا ماتوا بالسيف. ولم ينج الرجال والنساء، «عذاراي وشباني سقطوا بالسيف». وكان هذا من فعل الله. ولكن ما حدث بعد ذلك كان في غاية القسوة. قد قتلتهم «ولم تشفق» لأن نفسه كانت حزينة بسبب شقاء إسرائيل.

(٣) لقد خدعهم الأنبياء الكذبة (ع ١٤) وقد لاحظ إرميا هذا الأمر باهتمام منذ وقت مضى ورثاه قائلا: «آه أيها السيد الرب هوذا الأنبياء يقولون لهم لا ترون سيفا» (إر ١٤: ١٣) . وهو يذكر ذلك ضمنا في مرثاته. لقد كانت رؤياهم من محض خيالهم. وعلى الأرجح أنهم كانوا يعلمون بأن رؤياهم التي ادعوها كانت مزيفة. لقد نصبهم الشعب، وأعلموهم بما يجب عليهم أن يقولوه. فقد كانوا إذا أنبياء بحسب قلوبهم. فعلى الأنبياء أن يخبروا الشعب بأخطائهم، وأن يكشفوا لهم خطاياهم حتى يتوبوا، وهكذا يمنعون عنهم الدمار، ولكن هؤلاء الأنبياء كانوا يعلمون أن هذا سوف يتسبب في فقدهم لتأييد وحب الشعب لهم. ولذلك فهم «لم يعلنوا إثمك» بالرغم من أنه كان من المحتمل أن تكون هذه وسيلة لمنع سبيهم، عن طريق توبتهم عن آثامهم.

(٤) استهزأ بهم جيرانهم (ع ١٥). «يصفق عليك بالأيادي كل عابري الطريق».. كانوا يقولون هل هذه هي المدينة التي كانت تدعى «كمال الجمال» (مز ٥٠: ٢)، فكيف تكون الآن كمال القُبح؟ أين ذهب كل جمالها؟

(٥) لقد هزمهم الأعداء (ع ١٦)، هؤلاء الذين فكروا بالشر على أورشليم قد فتحوا الآن «أفواههم»، «يصفرون ويحرقون الأسنان»، ونطقوا بالتوبيخ والاحتقار «قد أهلكناها»، وهذا من فعل أيدينا، وهذا مكسبنا، وهي ملكنا الآن. «حقا إن هذا اليوم الذي رجوناه. قد وجدناه قد رأيناه».

www.DIFAAIAT.com

(٦) وفي كل هذه الظروف كان الله ضدهم (ع ١٧). «فعل الرب ما قصد». ما قصده الله ضد شعبه سوف يتم، وهذا ما نجده في النتائج. وقد أخبرهم الله عندما أعطاهم الشريعة بيد موسى، عن القضاء الآتي عليهم إن لم يحفظوا وصاياه، والآن إذ هم بالفعل مذنبون لتعديهم وصاياه، فقد نفذ الله الحكم عليهم، طبقا لما جاء في لاويين ٢٦: ١٦؛ تثنية ٢٨: ١٥.

رابعا: هنا يطلب العزاء والعلاج لموضوع هذه المراثي. ويأتي طلب العزاء في آية ١٣. يحاول النبي أن يجد بعض الكلمات الملائمة والمقبولة ليقول لها: بماذا أعزيك أيتها العذراء بنت صهيون؟ نحن نحاول أن نعزي أصدقاءنا بإخبارهم أن حالتهم ليست الوحيدة من نوعها، فهناك الكثيرون الذين يعانون من مشاكل أكبر من مشاكلهم، ولكن حالة أورشليم لن تعترف بهذه الحجة: «بماذا أشبهك يا ابنة أورشليم، بماذا أقايسك فأعزيك؟» فأي مدينة، أو دولة لها حالة مثل حالتك؟ يالأسف، فليس هناك من يشابهك في حالتك، ولا يوجد حزن مثل حزنك، لأنه لم يكن هناك مجد مثلما كان لك. وقد نخبر الأصدقاء بأن حالتهم غير ميؤوس منها، بل أنه يمكن علاجها بسهولة، ولكن هذه الحجة غير مقبولة هنا بالنظر إلى الاحتمالات البشرية، «لأن سحقك عظيم كالبحر. (أنت مجروحة) ومن يشفيك؟» فليس هناك حكمة ولا قوة إنسان بإمكانها إصلاح مثل هذه الحالة المشوهة والمكسورة. ولذلك فليس هناك فائدة من إعطاء هذا العلاج. وطريقة العلاج التي تم وصفها هنا هي أن يتجهوا بأنفسهم إلى الله، وأن يودعوا حالتهم في أيدي الله، وبصلاة تائبة، وأن يتحمسوا ويثبتوا في هذه الصلوات (ع ١٩).. قومي من التراب، ومن حزنك، «اهتفي في الليل»، حينما ينام الجميع، اسجدي على ركبتيك، وألحي على الله طلبا للرحمة، «في أول الهزع»، وفي كل هزع الليل، ثم «اسكبي كمياه قلبك قبالة وجه السيد» ولتكن صلاتك بلا قيود أو تشتت، ولتكن بإخلاص وجدية، تعقلي وضعي حالتك أمام السيد، «ارفعي إليه يديك» بانتظار وبرغبة مقدسة، اطلبي «لأجل نفس أطفالك». هذه الحملان المسكينة، ماذا فعلت؟ لتكن معك كلمات.. خذي معك هذه الكلمات (ع ٢٠) «انظر يا رب وتطلع بمن فعلت هكذا» أليسوا ملكك، من نسل إبراهيم خليلك ويعقوب مختارك؟ يا رب تطلع بشفقتك إلى هذه الحالة.

الأصحاح الثالث

إن غرض هذا الأصحاح هو ذات غرض الأصحاحين السابقين، ولكن طريقة كتابته تختلف: فقد كانت أعداد الأصحاحين السابقين طويلة، أما هذا الأصحاح فأعداده قصيرة، كما تختلف كذلك الأوزان، فقد كان الوزن سابقا بالأبجدية المفردة، أما هنا فبالأبجدية الثلاثية.

أولا: شكوى حزينة من عدم رضا الله، وما ينتج عن ذلك (ع ١ – ٢٠).

ثانيا: كلمات عزاء لشعب الله (ع ٢١ – ٣٦).

ثالثا: وصف لما يجب عمله في هذه الحالة المأساوية (ع ٣٧ – ٤١).

رابعا: تجديد الشكوى (ع ٤٢ – ٥٤).

خامسا: التشجيع للثقة في الله (ع ٥٥ – ٦٦). ويفهم البعض هذه الأعداد على أنها كلام النبي نفسه عندما كان مضطهدا ومسجونا، ولكن على ما يبدو أن هذه الكلمات صادرة عن شعب الله البائس المأسور، الذي يهتم النبي جدا بشقائه. ولكن الشكوى هنا أكثر عمومية من تلك المذكورة في الأصحاح السابق، وهي للاستخدام في المخدع أكثر من استخدامها وسط الاجتماعات المهيبة. ويظن البعض أن إرميا هو الذي قدم هذه الشكاوى، ليس فقط كشفيع (وسيط) لإسرائيل بل كرمز للمسيح.

عدد ١ – ٢٠

يمكن أن يطلق عنوان (مزمور ١٠٢) على هذا الأصحاح «صلاة لمسكين إذا أعيا. وسكب شكواه قدام الله». ويقدم النبي شكواه.

(١) بأن الله غاضب. وهذا يسبب الآلام ويجعلها مريرة (ع ١) «أنا هو الرجل الذي رأى مذلة». واختبرها جسديا، بقضيب سخطه. فالله يغضب على شعبه، ولكن هذا الغضب ليس سيفا يبتر، بل عصا يصحح فقط؛ فهو لهم «قضيب سخط»، ورغم أنه محزن الآن إلا أنه سيكون مفيدا في النهاية. ومع استخدام هذه العصا فلابد من الألم، وإذا كان لنا أن نرى آلاما فوق الاحتمال، فعلينا أن نخضع ولا نتذمر

لأننا واثقون أن الغضب عادل وأن الآلام ممزوجة بالرحمة.

(٢) بأنه سار في الظلام؛ والظلام يعني المتاعب والحيرة. وهكذا كانت حالة صاحب الشكوى (ع ٢): لقد قادني بعدة سلاسل من الأحداث، في الظلام ولا نور، في الظلام الذي أخافه وليس في النور الذي كنت أرجوه (ع ٦). «اسكنني في ظلمات» كظلمة القبر «كموتى القِدَم» الذين لا نذكرهم الآن.

(٣) بأن الله ظهر أمامه كعدو حقا، لقد انقلب ضدي، (ع ٣). على قدر إدراكي، إذ أنه قد «رد عليَّ يده اليوم كله».. «وتأدبت كل صباح» (مز ٧٣: ١٤). وعندما ترد يد الله علينا، قد نظن أن قلبه أيضا قد أصبح ضدنا «هو لي دب كامن»، يدهشني بأحكامه، «وأسد في مخابئ»، حتى أصبحت غير آمن في كل الطرق التي أسير فيها و«مد قوسه» (ع ١٢). «ونصبني كغرض للسهم» و«أدخل في كليتي نبال جعبته»، وبهذا كان جرحي جرح داخلي (ع ١٣).

(٤) بأنه يمكن أن تكون هناك مقارنة مناسبة بين الدولة اليهودية وبين الرجل الطاعن في السن. (ع ٤): «أبلي لحمي وجلدي». لقد انتهيت وذبلت، وقد «كسر عظامي». و«أحاطني» بعلقم أي الأحساس المرير بهذه المصائب (ع ١٥). لقد مزج خبزي «بالحصي»، حتى جرشت «أسناني» بها (ع ١٦). لقد «كبسني بالرماد» أو «ملأني بالرماد» كما يقرأها البعض.

(٥) بأنه غير قادر على تمييز طريق الهرب. (ع ٥) «أحاطني» حاصرني كما تحاصر المدينة، فالطرق التي كانت مفتوحة قد أغلقت الآن تماما: فقد «أحاطني» من كل جانب «بعلقم ومشقة»، وأنا أرتبك وأقلق لأجد طريق للهرب ولكني لا أجد شيئا، (ع ٧) لقد سيج عليَّ فلا استطيع الخروج. فأنا مقيد، وكما يضاعف قيد المجرمين ذوي السمعة السيئة، هكذا «ثقل سلسلتي» كما «سيج طرقي بحجارة منحوتة»، بسور من الحجر لا يمكن اقتحامه وهكذا «قلب سبلي» أحاول جيئة وذهابا ولكن بلا جدوى فأنا محصور بداخله. وهكذا (ع ١١) «ميَّل طرقي» وحطم مشروعاتي. لقد «مزقني» وجعلني خرابا، ومنع عن نفسي كل عزاء.

(٦) بأن الله لا يصغي لصلواته (ع ٨): «أيضا حين أصرخ» في جدية، من سيجعله ليسمعني وهو «يصد صلواتي». إن الله يغضب أحيانا من «صلاة شعبه» (مز ٨٠: ٤)، وحالتهم يرثى لها حقا عندما يحرمون من عزاء الصلاة المقبولة.

(٧) بأن جيرانه (من حوله) يهزأون بمتاعبه (ع ١٤) «صرت ضحكة لكل شعبي» لكل الأشرار منهم، الذين كانوا سعداء بالقضاء الذي شمل الشعب كله، وبصفة خاصة بآلام النبي إرميا.

(٨) بأنه كان على وشك اليأس من خلاصه. أنك لم تفقدني سلامي فقط لكنك «أبعدت عن السلام نفسي» (ع ١٧). لقد «نسيت الخير». قد مضى وقت طويل منذ كان لي خير، لذلك فقد نسيت هذا المفهوم. فقد تعودت جيدا على الحزن والعبودية حتى أصبحت فاقدا لمعنى الفرح والحرية «بادت ثقتي ورجائي من الرب» (ع ١٨): فليس باستطاعتي أن أثق في الله كمساند لي، فحتى إلهي إله لا يرحم.

(٩) أعاود الحزن كلما تذكرت مذلتي وتيهاني (ع ١٩ و٢٠). ومتاعبي وخطيتي التي جرت عليَّ كل هذا. فالخطية هي التي تجعل كأس الآلام كأس مرارة. ولم يغب أبدا عن فكر المسبيين في بابل كل مآسي الحصار، وكانوا يبكون عندما يتذكرون صهيون، حقا أنهم لم ينسوا أبدا أورشليم. (مز ١٣٧: ١، ٥).

عدد ٢١ - ٣٦

أولا: لقد بدأت الغيوم تنقشع، والسماء تصفو. وتبدلت النغمة الحزينة فبدأ السرور يظهر على حزانى صهيون. فلولا الأمل لتحطم القلب. هناك شيء عندما نتذكره يعطي بعض الأمل فينقذ القلب من التحطم. (ع ٢١) «أردد هذا في قلبي». فإننا نتصور أننا نسينا ما أخفيناه في قلوبنا، حتى يرده الله إلى قلوبنا بنعمته. «أردد هذا في قلبي من أجل ذلك أرجو» وأُحفظ من اليأس المقيت. إذا كانت الحالة سيئة فمن رحمة الله أنها ليست أسوأ. فنحن نُبتلى «بقضيب سخطه» ولكن «من إحسانات الرب أننا لم نفن» (ع ٢٢).

(١) فيض الرحمة التي يعترف بها: «أننا لم نفن». إن كنيسة الله تشبه عليقة موسى، كانت تحترق ولكنها لم تفن. لقد اضطهدها الناس ولكن الله لم يتركها، ولذلك بالرغم من أنها مطروحة لكن

غير هالكة (٢كو ٤: ٩). تأدبت ولكنها لم تفن. صُهرت كالفضة ولكنها لم تصر نفاية.

(٢) وقد تدفقت هذه الأنهار إلى المنبع: فكل ذلك بسبب محبة الله العظيمة. فالله نبع رحمة لا ينضب، فهو أب كل رحمة. فإن كان الله يتعامل معنا بحسب خطايانا لفنينا منذ أمد بعيد، ولكنه يتعامل معنا بمقتضى محبته العظيمة.

ثانيا: ولا يزال لهم ذكريات لطف رحمته الإلهية والتمسك بمواعيده حتى في عمق آلامهم. لقد كانوا يكثرون من الشكوى من عدم شفقة الله. (مرا ٢: ١٧ – ٢١)، ولكنهم يصححون ما كانوا يقولونه ويعترفون بأن:

(١) «مراحمه لا تزول». فهي لا تزول حقا، أبدا، حتى وإن بدا في غضبه وقد أغلق مراحمه الرقيقة. فأنهار الرحمة تجري ملآنة باستمرار ولا تجف أبدا. فهي «جديدة في كل صباح». فلنا في كل صباح دلائل جديدة على رحمة الله تجاهنا، «غداة غداة يبرز حكمه» (صف ٣: ٥) فقد يزول عزاؤنا ولكن رحمة الله لا تزول.

(٢) «كثيرة أمانتك». ورغم دمار أورشليم إلا أن حق الله يدوم للأبد.

ثالثا: إن الله كان ولا يزال، السعادة الكاملة لشعبه، لذلك فهم يعتمدون عليه. (ع ٢٤) «نصيبي هو الرب قالت نفسي» وذلك:

(١) عندما فقدت كل ما كان لي في العالم.. الحرية والحيوية.. والحياة ذاتها أيضا، لكني لم أفقد نصيبي في الله.

(٢) عندما يكون نصيبي هو الله، ففي هذا كفايتي.. فلديَّ ما يكفي لموازنة جميع متاعبي وما يعوضني عن كل الخسائر.

(٣) هذا ما كنت أعتمد عليه: «من أجل ذلك أرجوه». سوف أستند عليه، عندما تفشل المساعدات الأخرى.

رابعا: والذين يتعاملون مع الله سيكتشفون أن رجاءهم في الله لن يخيب (ع ٢٥). عندما ننتظره بإيمان، علينا أن نطلبه في صلاتنا. وطلبنا إياه سيساعدنا على الاستمرار في انتظارنا. (من الواجب علينا أن نرضى ونتعزى بسكوت) فجيد للإنسان أن يتوقع بسكوت خلاص الرب، وأن يكون لنا رجاء بأنه سيأتي، وأن ننتظر تحقيق هذا الرجاء. وعلينا أن ننتظر بسكوت وهدوء، بلا صراع أو جدال مع الله، بل بخضوع للمشيئة الإلهيه. «يا أبانا... لتكن مشيئتك».

خامسا: إن الآلام حقا لخيرنا، وإذا تحملناها كما يجب، سوف تأتينا بالخير. فليس من الجيد فقط أن ننتظر الخلاص. ولكن من الجيد أيضا أن نكون تحت الآلام في ذات الوقت (ع ٢٧). «جيد للرجل أن يحمل النير في صباه» لقد سبي الكثيرون من الشباب وهو يخبرهم أنه جيد لهم أن يحملوا نير السبي، وسوف يختبرون ذلك إذا عملوا باجتهاد وحققوا هدف الله بحملهم النير. فيبدو هنا أن النير هو نير الآلام. فقد وجد الكثيرون أنه جيد لهم أن يحملوا النير في صباهم؟ إن النير علمهم التواضع بدلا من الكبرياء والعناد. «كعجل غير مروضٍ» (إر ٣١: ١٨). ولكن متى نحمل النير حتى يكون جيد لنا أن نحمله في صبانا؟

(١) عندما نكون تحت الآلام، مكتوب «يجلس وحده ويسكت». وذلك حتى نستطيع أن نتحدث مع الله ونتحدث إلى قلوبنا، فبهذا نُسكت كل الأفكار الحزينة والمقلقة التي بداخلنا.

(٢) عندما نتضع ونصبر تحت الآلام، فالذي يجعل في التراب فمه هو الذي يختبر الفائدة التي تأتيه من حمل النير، فوضع اليد على الفم فقط لا يعد علامة الخضوع لمشيئة الله، بل جعل الفم في التراب يدل على الحزن عند ذكر الخطية. فمن يتواضع حقا بسبب الخطية سيبتهج بسبب الرجاء الذي له بالنعمة، بالرغم من أنه «يجعل في التراب فمه».

(٣) عندما نتواضع أمام الذين يتسببون في آلامنا، تكون لنا روح غافرة (ع ٣٠). لقد أعطانا المسيح مثالا لذلك، لأنه بذل ظهره «للضاربين» (إش ٥٠: ٦). إن الذي يتحمل الازدراء والإهانة، ولا يرد بالمثل، سوف يعلم أنه جيد أن يحمل النير في الصبا، لأن ذلك سيكون له فائدة روحية.

سادسا: سوف يعود الله بالتعزيات إلى شعبه حسب

WWW.DIFA3IAT.COM

كثرة مراحمه. وعلينا أن نعزي أنفسنا بهذا:

(١) إننا قد نكون بائسين ولكننا لسنا مطروحين، فتأديب الأب للابن لا يعني حرمان الابن من الميراث.

(٢) وبالرغم من أن الأمر قد يبدو أننا متروكين في فترة ما، ولكننا لسنا كذلك بالفعل.

(٣) وبالرغم من الحزن الذي قد يأتي علينا، إلا أن يد الله ورائه، لذلك علينا أن نتأكد أن هذا الحزن سيكون لفترة وجيزة فقط (١بط ١ : ٦).

(٤) بأن الله يزخر عزاء وشفقة حتى لأولئك الذين قد سمح الله لهم قبلا بالحزن. لقد افترس وسيشفي (هو ٦ : ١).

(٥) بأنه عندما يعود الله للتعامل معنا بمقتضى نعمته، سيكون ذلك بسبب مراحمه وليس لاستحقاق فينا.

سابعا: لو سمح الله بالحزن فإن ذلك يكون لغاية مقدسة وحكيمة، والله لا يسر بمصائبنا (ع ٣٣) وهو لا يرغب من قلبه في أن يسبب لنا هذا الحزن، كما يقول الكتاب.

(١) أن الله لا يسمح لنا بالآلام إلا عندما نتسبب نحن فيها. وإذا أظهر لنا رحمته فهذا لأنه يريد خيرنا، وإن جاءت أشياء مريرة ضدنا، فذلك لسببين لأننا نستحقها أولا.. ولأننا نحتاج إليها ثانيا.

(٢) ولا يسر الله بموت الخطاة ولا بإنزعاج القديسين، ولكنه يعاقب على مضض. فهو لا يسر ببؤس أي مخلوق، فهو بعيد كل البعد عن ذلك حتى أنه يتألم وتحزن نفسه على شقاء شعبه.

(٣) الله يبقي رحمته لشعبه حتى عندما يسمح لهم بالآلام. فإن كان الله لا يسر بأن يحزن بني البشر، فكم بالحري مع أولاده. ويمكن لأولاد الله أن يروا بالإيمان المحبة التي في قلب الله حتى عندما تظهر على وجهه علامات الحزن، أو عندما نراه وعصاه في يده.

ثامنا: بالرغم من استخدام الله للبشر كآلات في يده لتأديب شعبه، إلا أنه لا يسر أبدا بظلمهم لشعبه (ع ٣٤ – ٣٦). وهناك أسلوبان لاضطهاد الأعداء لشعب الله، والنبي يؤكد هنا أن الله لا يرضى عن أي منهما:

(١) إذا أساء الناس إليهم بقوة السلاح، فإن الله لا يرضى عن ذلك. فهو نفسه لا «يدوس أحد تحت رجليه». ولكنه يهتم بصرخات المسجونين، ولا يرضى عن فعل الناس، فدوس الناس الذين على الأرض فعل وحشي همجي.

(٢) إن أذى الناس شعب الله وهم يدعون أن هذا عدل. إذا حرفوا «حق الرجل» حتى لا يعرف الرجل حقوقه، وإذا منعوا العدالة عن إنسان وحكموا عليه بحكم خاطئ، فليعلموا أن الله يراهم. فهذا يحدث «أمام وجه العلي» (ع ٣٥). والله لا يرضى عنهم. وما يفعله أكثر بكثير مما يعبر عنه. إن تضليل العدالة، ومساندة الظلم كلاهما يعد إهانة كبيرة في حق الله، وسوف يدين الله من يفعل ذلك إن آجلا أو عاجلا.

عدد ٣٧– ٤١

أولا: ولا يجب علينا أن نتصارع مع الله بسبب الآلام التي يسمح لنا بها في أي وقت (ع ٣٩). «لماذا يشتكي الإنسان الحي؟» ويقدم النبي هذا السؤال بناء على عقيدته في سيادة الله وعنايته. «لماذا يشتكي الإنسان الحي، الرجل من قصاص خطاياه؟». إن الذين يعانون من السبي عليهم أن يخضعوا لمشيئة الله في كل آلامهم. «فهل للإنسان الحي أن يشتكي عندما يعاقب على خطاياه؟» نحن خطاة وما نشتكي منه ما هو إلا العقاب العادل لخطايانا، وهو أقل بكثير مما نستحقه. لذا.. دعونا لا نشتكي، فبدلا من التذمر علينا بالتوبة، والسعي للتصالح مع مشيئته المقدسة كدليل لتصالح الله معنا.

ثانيا: ويجب أن نعد أنفسنا لتحقيق غاية الله من هذه الآلام، وهي أن نتذكر خطيتنا وأن نعود إليه ثانية (ع ٤٠). «لنفحص طرقنا ونمتحنها». ولنوظف ضميرنا للبحث والمحاولة. «لنمتحن طرقنا»، ونمتحن أنفسنا، إذ علينا أن نحكم على حالتنا ليس بالكلام الأجوف، ولكن بالفعل، ولا نعني فعلا محددا، ولكن طرقنا والغايات التي نهدف إليها، والقواعد التي نسير وفقا لها، ومغزى حياتنا بالنسبة إلى هذه القواعد

والغايات. وعندما نكون تحت الآلام، يكون هذا أفضل وقت للتفكير الجيد في طرقنا (حج ١: ٥)، حتى نتوب عن كل ما هو خطأ ونصلحه في المستقبل، وهكذا نحقق غرض الله من آلامنا. وفي أوقات المصائب العامة قد نكون ميالين إلى أن نعكس ذلك على طرق الآخرين، ونلقي باللوم عليهم، بينما علينا أن «نفحص ونختبر طرقنا نحن». «ونرجع إلى الرب». لقد سرنا مع الله وساءت أحوالنا منذ أن تخلينا عنه. يجب أن تكون قلوبنا مع صلواتنا في نفس الإتجاه. يجب أن نرفع قلوبنا وأيدينا، كما يجب أن نسكب نفوسنا بكلماتنا. فالصلاة تعنى أن نرفع أنفسنا إلى الله (مز ٢٥: ١). ونقول: «أبانا الذي في السماوات». والنفس التي ترغب في أن تظل مع الله في السماوات للأبد، سوف تستمر بأعمال التقوى تتعلم الطريق إلى هناك وتتقدم حثيثا في هذا الطريق.

عدد ٤٢ – ٥٤

لقد اعترف النبي بأن الإنسان الحي يجب ألا يشكو، ومع ذلك نجد هنا الغيوم وقد عادت ثانية.

أولا: لقد اعترفوا بأن الله الذي سبب لهم هذه الآلام هو إله بار. (ع ٤٢). «نحن أذنبنا وعصينا» ادع الخطية باسمها الحقيقي.. ادعوها «تعدي أو تمرد».

ثانيا: وهم يشتكون من الآلام التي أتت عليهم. وتنعكس هذه الشكوى على الله أيضا.

(١) فهم يشتكون من علامات غضب الله (ع ٤٢). «أنت لم تغفر». «قتلت ولم تشفق» (ع ٤٣). وكانوا يشتكون أيضا من وجود حاجز يفصلهم عن الله «لقد أخفيت نفسك» (ع ٤٤). «التحفت» بسحابة كثيفة جدا حتى أن صلواتنا لا تنفذ منها بل تفقد عندها.

(٢) ويشتكون من ازدراء من حولهم بهم (ع ٤٥). «جعلتنا وسخا وكرها في وسط الشعوب». لقد جعلوا أنفسهم كرها لذلك فإن من حولهم أيضا يرونهم هكذا.

(٣) ويقدمون شكواهم أيضا من تدمير اعدائهم لهم (ع ٣٧). لقد دمر «شعبي» (ع ٤٨). «كل بنات مدينتي» (ع ٥١). لقد طاردهم الأعداء حتى طغوا عليهم (ع ٥٣). لقد حاولوا أن يقضوا عليَّ «في الجب». كما لو كانت حياتي في السجن أو القبر. لقد كانوا ينظرون إلى الأمة اليهودية على أنها قد ماتت ودفنت. ويقارن هنا دمارهم بغرق الإنسان الحي في المياه (ع ٥٤).

(٤) ويشتكون من حزنهم وخوفهم المتزايد (ع ٤٨ و٤٩). وأضيفت في آية ٥١. «عيني تؤثر في نفسي» وكلما نظرت إلى خراب المدينة زاد حزني.

(٥) ووسط هذه الشكاوى توجد كلمة عزاء (ع ٥٠). سنظل نبكي حتى «ينظر الرب من السماء». فمهما ساءت الأحوال، فإن نظرة واحدة من السماء تكفي لإصلاحها. وبينما كانوا يواصلون البكاء كانوا مستمرين أيضا في الانتظار. ولن يجف دمعهم إلا عندما «ينظر الرب من السماء».

عدد ٥٥ – ٦٥

صراع يجيش في قلب النبي بين الإيمان والخوف والرجاء. ولكن الإيمان له الكلمة الأخيرة. وينتهي الصراع بانتصاره. ووجد النبي وأصدقاؤه ثلاثة دلائل على صلاح الله:

(١) لقد سمع الله صراخهم: رغم اعتقادهم أن سحابة غضبه سوف تمنع صلواتهم من النفاذ إلى الله (ع ٤٤). فبينما كانوا في عمق الجب، كانوا يدعون باسم الرب (ع ٥٥). «لا تستر أذنك عن زفرتي، عن صياحي» انظروا كيف يدعو الصلاة «زفرته». وذلك لأننا في صلاتنا نعبر عما يضايقنا أمام الله. وتعد الصلاة زفير الإنسان الجديد. الذي يستنشق هواء الرحمة في شهيقه ويخرجه في تمجيد في زفيره. وبذا تكون الصلاة الدليل على الحياة الروحية والوسيلة للحفاظ على استمراريتها.

(٢) لقد هدَّأ من خوفهم (ع ٥٧). «دنوت يوم دعوتك». عندما نقترب إلى الله كواجب علينا، فنحن نراه بالإيمان وهو يقترب إلينا بمقتضى رحمته. لقد قلت «لا تخف».

(٣) لقد بدأ بالفعل يظهر لهم (ع ٥٨) لقد توليت قضيتي يا رب، لقد «فككت حياتي». ثم يعزي نفسه بعدالة الله، وبعلمه الكلي «رأيت يا رب ظلمي» ورأيت أني لم أفعل شرا ولكني تألمت كثيرا.

كما «رأيت... كل افكارهم عليَّ» (ع ٦٠) لقد كانوا فرحين لبؤسي، كما استهزأ الفلسطينيون بشمشون لتعاملهم معه كما تعاملوا معنا، لتكون يدك عليهم كما كانت يدهم عليَّ.

الأصحاح الرابع

يعد هذا الأصحاح مرثية أبجدية أخرى لدمار أورشليم، كما في الأصحاحين الأول والثاني.

أولا: يرثي النبي هنا للاحتقار الذي لحق بمن كانوا يكَّرمون قبلا (ع ١ و٢).

ثانيا: ويرثي لنتائج المجاعة (ع ٣ – ١٠).

ثالثا: يرثي لضرب أورشليم (ع ١١ و١٢).

رابعا: ويعرفهم بأن خطايا القادة كانت هي سببا لكل ما حل بهم من كوارث (ع ١٣ – ١٦).

خامسا: تسليمه بأن كل شيء سيتم تدميره (ع ١٧ – ٢٠).

سادسا: يتنبأ بدمار الأدوميين الذين أسقطوا أورشليم (ع ٢١).

سابعا: كما يتنبأ برد سبي بنت صهيون أخيرا (ع ٢٢).

عدد ١ – ١٢

إن الرثاء في هذا الأصحاح يبدأ برثاء التغيير المحزن الذي حدث لأورشليم، المدينة التي كانت سابقا «الإبريز الجيد» قد فقدت بريقها. وتحولت إلى نفاية.

أولا: لقد تهدم الهيكل الذي كان بمثابة مجد أورشليم وحاميها. ويعتقد البعض أن الذهب هنا (ع ١) هو ذهب «الهيكل» الذهب الجيد الذي غشي به الهيكل (١مل ٦: ٢٢). وعندما احترق الهيكل، اتسخ الذهب، وانهارت «حجارة القدس» بالنار، وألقيت في رأس كل شارع، وهي الآن ملقاة وسط الأشياء الأخرى المتهدمة.

ثانيا: لقد أسيء إلى الأمراء والكهنة الذين كانوا بمثابة «بنو صهيون» (ع ٢). وقد كانت إسرائيل غنية بهم أكثر من غناها بكنوز الذهب والفضة. ولكنهم تحطموا الآن كآنية من الفخار. لقد أصبحوا فقراء، وجاءوا إلى السبي، وكانوا محتقرين.

ثالثا: كان الأطفال الصغار جوعى بسبب نقص الخبز والماء (ع ٣ و٤).

رابعا: لقد أصبح الأشخاص المرموقين فقراء (ع ٥). والذين كانوا يعيشون في رفاهية قد سلب منهم كل شيء في الحرب، لقد هلكوا في الشوارع، وليس لهم أين يسندون رأسهم. وكما رفع المساكين من التراب (مز ١١٣: ٧) هكذا توجد أمثلة لأناس أغنياء قد أصبحوا في التراب.

خامسا: إن الأشخاص الذين كانوا مكرمين، ربما لكونهم مقدسين، قد اشتركوا مع الآخرين في هذه الكارثة (ع ٧ و٨). لقد تغير نُذُرُها (جمع نذير). كان لهؤلاء وجوه لامعة بسبب فرحهم بتكريس أنفسهم لله كموسى، كانوا «أنقى من الثلج وأكثر بياضا من اللبن». لم يشربوا خمرا ولا مسكرا؛ فكانت لهم بشرة صحيحة وملامح تدل على السرور. ولكن قد تشوهت صورتهم الآن (كما قيل عن المسيح في إشعياء ٥٢: ١٤). لقد أصبحت صورتهم أشد ظلاما من السواد وبدأ البؤس يظهر عليهم، بسبب الجوع من ناحية، والحزن والحيرة من ناحية أخرى. وهم «لم يُعرَفوا في الشوارع». وهؤلاء الذين كانوا يحترمونهم لا يلحظونهم الآن.

سادسا: ماتت أورشليم موتا بطيئا، لأن المجاعة كان لها دور في الدمار أكثر من أي دينونة أخرى. لقد ماتت أورشليم ببطء، ماتت وهي تشعر بنفسها وهي تموت. وظهرت خطيتها وهي أشد خطورة من خطية سدوم، لذلك لا عجب من العقاب الذي نالته فلم يكن أبدا لسدوم وسائط النعمة التي كانت لأورشليم. «أيادي النساء الحنائن طبخت أولادهن». لقد كانت الحالة محزنة جدا حتى أنه لم يكن لديهن طعاما لأولادهن (ع ٤). ولكن الأسوأ من ذلك أنهن أستطعن أن يطعموا أنفسهن بأولادهن. إن دمار أورشليم هو دمار شامل (ع ١١). وهو دمار عجيب (ع ١٢). لقد كانت مفاجأة لملوك الأرض ولكل سكان المسكونة الذين كانوا يعرفون أورشليم. لقد كانوا يعرفون أنها مدينة الملك العظيم، ولذلك كانوا يعتقدون أنها تحت الحماية الإلهية حتى كان من غير المجدي لأي عدو أن يفكر في الهجوم عليها.

www.difa3iat.com

عدد ١٣ – ٢٠

أولا: الخطايا التي بسببها أتى الدمار عليهم أظهرت بر الله. (ع ١٣ و١٤). أنه «من أجل خطايا أنبيائها وآثام كهنتها». لكن الخطية الأساسية ضدهم كانت الاضطهاد. فقد قام الأنبياء الكذبة والكهنة الفاسدون بسفك دم الصديقين في وسطها. فلم يكتفوا بسفك دماء أطفالهم الذين قدموهم ذبيحة لمولك، بل سفكوا أيضا دماء الصديقين بينهم، الذين قد قدموهم ذبيحة للصنم الأشد قسوة وعداء للحق والدين الحقيقي. فليس هناك شيء يجعل الأنبياء والكهنة في موقف اشمئزاز أكثر من خطية الاضطهاد.

ثانيا: إن شهادة من حولهم تدين خطيتهم وتظهر عدالة أعمال الله ضدهم. لقد وبخوهم بقسوة على نقائهم المزيف، بينما يعيشون في الإثم. «حيدوا! نجس! ينادون إليهم». لقد كان الجميع يصرخون من نجاستهم وكان يمكنهم التنبؤ بسهولة بأن الله لن يسمح لهؤلاء بأن يستمروا طويلا فيما يفعلون في هذه الأرض الجيدة. قد لفظتهم الأرض كما فعلت بأسلافهم، وعندما رأوا هروب يعقوب وتشتيته وتجواله، أخبروهم به. وقالوا: إن الرب نفسه قد شتتهم. كما قالوا عندما رأوا طردهم، إن الله لم يعد يحرسهم فكيف إذا سيساعدون أنفسهم؟ ولكنهم لم يصيبوا في هذا الأمر، لأن الله لم يتركهم بالرغم من كل ما فعلوه.

ثالثا: يأسهم بسبب المصائب التي أصابتهم. فنحن ننظر لما أصابنا على أنه أمر لا مفر منه. «لأن نهايتنا قد أتت» (ع ١٨)، نهاية كل من الجماعة والدولة. لقد خذلتهم الملاجئ التي لجأوا إليها. لقد بحثوا عن المساعدة في تلك الملاجئ ومع حلفائهم الأقوياء، ولكن ذلك لم يفدهم شيئا. لقد كانوا يبحثون عن شيء لم يجدوه أبدا (ع ١٧). انتظروا أمة لتخلصهم ولكن آمالهم قد خابت، لقد هزمهم المضطهدون (ع ١٨). نصب الرجال فخاخا في كل خطوة، «حتى لا نمشي في ساحاتنا». وعندما حاصر البابليون المدينة، قاموا بتعلية آلات حصارهم فوق الأسوار حتى يستطيعوا قذف الناس في الشوارع. فكانوا يطاردونهم بالأسهم من مكان لآخر. وكان طاردوهم «أخف من نسور السماء» (ع ١٩).

عدد ٢١ و٢٢

عادة ما تنتهي مزامير داود الرثائية بكلمات عزاء، وهذا بمثابة خروج الحياة من الموت أو انبعاث النور من الظلام، وهذا ما يحدث في هذا الأصحاح. وقد تم التنبؤ بما في هذا الأصحاح لتشجيع شعب الله.

أولا: هناك نهاية لمتاعب صهيون (ع ٢٢). فلن تستمر متاعب شعب الله طويلا بعد أن يتم ما أرسلت من أجله.

ثانيا: سيكون هناك نهاية لانتصارات أدوم. ويوجه هذا الكلام الساخر إلى أدوم (ع ٢١). «اطربي وافرحي يا بنت أدوم». إن كأس الترنح، الذي هو من نصيب أورشليم الآن لتتجرعه، سوف يمر عليك بعد ذلك. وقد تنبأ النبي هنا بدمار أدوم (إر ٤٩: ٧ –٢٢). هذه الكأس التي ستمر عليك سوف تسكرك، وسوف تثملين، وبعيدا عن حكمتك، ستترنحين وتتعثرين وبعد ذلك سوف تتعرين وتعرضين نفسك للاحتقار كما حدث مع نوح عندما كان ثملا.

الأصحاح الخامس

إن هذا الأصحاح بالرغم من قلة أعداده عن الأصحاح الأول والثاني والرابع. إلا أنه لا يخضع للنظام الأبجدي.

أولا: عرض للمصائب الحالية التي حلت على شعب الله في سبيهم (ع ١ – ١٦).

ثانيا: اعتراض على ما حدث لمقدس الله (ع ١٧ و١٨) .

ثالثا: تضرع باتضاع لله حتى يعيد لهم رحمته (ع ١٩ – ٢٢). وتطلق بعض النسخ القديمة على هذا الأصحاح «صلاة إرميا».

عدد ١ – ١٦

إن شعب الله، والحزن يغمره، يعطى منفذا لأحزانه أمام عرش النعمة. «اذكر يا رب ماذا صار لنا، أشرف وانظر إلى عارنا»، «لا تصغر لديك كل المشقات التي أصابتنا» (نح ٩: ٣٢). والكلمة التي تشمل كل الأحزان التي أتت عليهم هي «العار».. «أشرف وانظر إلى عارنا». وعارهم هذا ينعكس على اسم وكرامة هذا الإله الذي اسماهم شعبه.

www.DIFA3IAT.com

أولا: يعترفون بعار الخطية، بعار شبابهم في الأيام الأولى لأمتهم. وهذا الاعتراف للتوبة عن خطايا أسلافهم، التي استمروا هم أيضا في فعلها، والتي كان من العدل أن يتألموا بسببها.

ثانيا: يستعرضون الخزي الذي تحملوه، والذي سبب لهم العار.

(١) أخذت منهم الأرض الصالحة التي أعطاها لهم الله، (ع ٢) لقد صارت للغرباء فقد سكنوا في البيوت التي بنيناها نحن، وهذا هو سبب عارنا.

(٢) صارت بلادهم وأمتهم مثل الأرامل والأيتام (ع ٣). «صرنا أيتاما بلا أب» (وهذا لا مفر منه). فملكنا، أي أب المدينة، قد انفصل عنا، ويبدو حقا أن الله أبانا قد تركنا. أمهاتنا ومدننا صارت كالأرامل، معرضون للخطأ والمهانة، وهذا هو سبب عارنا.

(٣) لقد اهتموا جدا بأن يحصلوا على ضرورياتهم. فقد كان الماء قبلا بالمجان ولكن الآن (ع ٤) علينا أن نشتري الماء الذي نشربه. وكان الحطب سابقا في متناول يدهم، أما الآن حطبنا يأتي بالثمن. ونحن ندفع الكثير للحصول على الحزمة الواحدة. ولكن ما الذي يفعلوه ليحصلوا على الخبز؟ بعضهم قد باع حريته ليحصل عليه (ع ٦). لقد خضعنا لمصر ولأشور. وعقدنا أفضل صفقة نستطيع أن نعقدها حتى نستطيع أن نحصل على كفايتنا من الخبز. «بأنفسنا نأتي بخبزنا». لقد سرقوا من المدينة حتى يأتوا ببعض الإمدادات، لقد كانوا في خطر من السيف. وهذا السيف كان يطلق عليه «سيف البرية».

(٤) لقد أصبحوا عبيدا، وهذا هو أعظم سبب لعارهم، (ع ٥) أعناقنا وضعت تحت النير المحزن وهو نير الاضطهاد. كان المساكين المسبيين في بابل متعبين ولم تكن لهم راحة، لا راحة في الليل، ولا راحة في يوم السبت. فهم لم يريدوا أن يحكمهم الله، ولا خدامه أو أنبياؤه، الذين كان يتصف حكمهم باللطف والنعمة، ولذلك كان من العدل أن يتم وضعهم تحت الحكم القاسي للأعداء والعبيد.

(٥) والذين اعتادوا أن يحتفلوا بالأعياد، هم الآن في مجاعة (ع ١٠) «جلودنا اسودت كتنور»، جفت وأصبحت صلبة وأصابتها الحمى من الجوع. ومن «جرى نيران الجوع».

(٦) وقد كان جميع الشعب يعامل باحتقار ويساء إليهم. فقد أذلت النساء، حتى في صهيون، هذا الجبل المقدس (ع ١١).

(٧) وهناك نهاية لكل أفراحهم (ع ١٤) فالشباب الذين اعتادوا أن يُظهروا الفرح والبهجة، قد أوقفوا غناءهم، وهكذا حدث مع جميع الشعب (ع ١٥). «مضى فرح قلبنا، صار رقصنا نوحا». وربما يشير هذا إلى فرح أعيادهم المهيبة، والرقص الذي كان فيها (قض ٢١: ٢١).

(٨) انتهى كل مجدهم، فقد كان مجدهم يكمن في العدالة، ولكنه قد ذهب الآن (ع ١٤). وكانت كرامة الملك مجدهم، ولكنها ذهبت أيضا. لقد زال التاج عن رأسنا، ولم يلحق العار بالملك فقط بل بالتاج أيضا، فليس هناك من يخلف الملك. فالتيجان الأرضية تفنى وتزول، ولكن مبارك الرب من أجل وجود تاج مجد لا يفنى ولا يسقط أبدا، ومملكة لا تتزعزع أبدا.

عدد ١٧ - ٢٢

أولا: يعبِّر شعب الله عن اهتمامه العميق بما أصاب الهيكل من دمار، أكثر من اهتمامهم بالأشياء الأخرى التي أصابتهم (ع ١٧ و١٨). لقد لوث الشعب جبل صهيون بخطاياهم، ولذلك كان الله عادلا عندما ألحق بهم الخراب، «الثعالب ماشية فيه» بكل حرية كما تفعل في الغابات.

ثانيا: وهم يعزون أنفسهم بالإيمان بأبدية الله (ع ١٩) لكنك «أنت يا رب إلى الأبد تجلس». فما يهز العالم لا يقلق صانعه. ومهما قامت ثورات على الأرض، فلن يتغير الفكر الأبدي لله، فالله لا يتغير، ويملك إلى الأبد. هو مطلق في حكمته وقداسته وعدله وصلاحه.

ثالثا: وبتواضع يجادلون الله فيما يختص بغضب السماء الواقع عليهم الآن «لماذا تنسانا إلى الأبد» كما لو كنا بعيدين عن فكرك؟ أنت لا تتغير، ورغم أن عرش مقدسك قد تهدم إلا أنك تبقى كما أنت. وبالرغم من أننا قد لا نستطيع أن نخاصم الله، إلا أننا

نستطيع أن نتحاجج معه (إر ١٢: ١).

رابعا: وهم يصلون بجدية لله للحصول على الرحمة والنعمة، يا رب لا ترفضنا للأبد، ولكن ارددنا اليك، جدد أيامنا (ع ٢١). وبالرغم من أن هذه الكلمات لم توضع في آخر الكلام إلا أن جماعة الربيين يكررون هذه الصلاة ثانية لأنهم لا يريدون أن يختموا الكتاب بهذه الكلمات الحزينة (ع ٢٢).

وهكذا كانت هذه الكلمات الختام لهذا الأصحاح. وهذا يتفق مع تلك الصلاة المكررة (مز ٨٠: ٣، ٧، ١٩) «يا الله أرجعنا، وأنر بوجهك فنخلص»، أرجعنا إليك من أصنامنا، بتوبة خالصة وبإعادة تشكيلنا حتى نعود إليك. وإذا جدد الله قلوبنا فسوف يجدد أيامنا بمحبته.

WWW.DIFA3IAT.COM

٤
تفسير الكتاب المقدس
متى هنري

www.difa3iat.com

لأكثر من ثلاثمائة عام كان -ولا يزال- تفسير «متى هنري» رائدًا في مجال شرح كلمة الله. وأكثر ما يميز هذا المرجع الكتابي الفريد أنه يشرح الآيات الكتابية بأسلوب عميق يرتبط بقرينة النص، وينتقل بالدارس إلى تطبيقات حياتية تخاطب التحديات التي يعايشها المسيحي في عالم اليوم. لقد أثر هذا المرجع في منبر الكنيسة، وأثبت بجدارة أنه مصدر روحي غني لكنيسة المسيح في أنحاء العالم.

مطبوعات إيجلز